دورية دولية محكمة

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

ISSN: 2625-8943

العدد الحادي والعشرون -تشرين الثاني- نوفمبر2021م- المجلد5

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

المركز الديمقراطي العربي

Journal of cultural linguistic and artistic studies

International scientific periodical journal

رقم التسجيل
VR.3373.6326.B

Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

مجلة
الدراسات الثقافية
واللغوية والفنية

دورية علمية محكمة فصلية

تصدر عن
المركز الديمقراطي العربي
برلين – ألمانيا

ISSN : 2625-8943

JOURNAL OF
CULTURAL LINGUISTIC
AND ARTISTIC STUDIES

An International scientific
Periodical Quarterly Journal
Issued by
The Democratic Arabic Center

تعنى المجلة بالبحوث والدراسات الاكاديمية الرصينة التي يكون موضوعها متعلقا بجميع مجالات علوم اللغة والترجمة والعلوم الإسلامية والآداب، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا العلوم الفنية وعلوم الآثار، للوصول الى الحقيقة العلمية والفكرية المرجوة من البحث العلمي، والسعي وراء تشجيع الباحثين للقيام بأبحاث علمية رصينة

© Democratic Arabic Center
Germany - Berlin
ISSN: 2625-8943
E-MAIL
culture@democraticac.de

الهيئة المشرفة على المجلة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

دورية علمية دولية محكمة

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي

ألمانيا – برلين

وتعنى بنشر الدراسات والبحوث في التخصصات التالية

- الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
- اللغات والترجمة والآداب والعلوم الاسلامية
- العلوم الفنية وعلوم الآثار

رئيس التحرير

أ. د. سالم بن لباد

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد جودات
جامعة محمد الخامس بالرباط / المغرب

أ.د. الغالي بن لباد
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان / الجزائر

أ.د. ضياء عني العبودي
جامعة ذي قار / العراق

أ.د. رفيق سليمان / الجامعة الأمريكية – الأوروبية / ألمانيا

د. أحمد حسن إسماعيل الحسن
الجامعة الهاشمية / الأردن

د. محمد أحمد محمد حسن مخلوف
جامعة الأزهر / مصر

د. جمال ولد الخليل
جامعة حائل / المملكة العربية السعودية

د. محمد فتحي عبد الفتاح الأعصر
بجامعة الطائف / المملكة العربية السعودية

د. حاجي دوران
جامعة آيدين إستانبول / تركيا

د. رسول بلاوي
جامعة خليج فارس – بوشهر / إيران

د. محمود خليف خضير الحياني
الجامعة التقنية الشمالية / العراق

نائب رئيس التحرير

أ.د. عبد الكريم حمو
باحث بالمركز الوطني للبحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية - وهران

مساعد رئيس التحرير

أ.د. بدرالدين شعباني
جامعة قسنطينة 2/ الجزائر

د. هبري فاطمة الزهراء
جامعة تلمسان / الجزائر

التصميم والإخراج الفني

أ.د. بدرالدين شعباني

شهادة تحكيم

المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

بناءً على تقرير السادة الخبراء ؛ يشهد مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بأن:

مجلة (لدراسات الثقافية واللغوية والفنية)

الحاملة للترقيم المعياري:

ISSN: 2625-8943

قد تحصلت على درجة 100/57

وعليه فهي حسب مؤشر (AIMQSJ) تعتبر من المجلات الحسنة ؛ فئة (B+)

Germany
Berlin 10315
Gensinger
Str: 112

المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

Arabic Index of Measuring the Quality of Scientific Journals

Indexpolls.de
برلين/ ألمانيا

مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات

رئيسة اللجنة العلمية

أ. د. جميلة ملوكي المركز الجامعي مغنية/ الجزائر

اللجنة العلمية

أ.د. الغالي بن لباد جامعة تلمسان / الجزائر
أ.د. ضيـاء غنـي العبـودي جامـعـة ذي قـار/ العـراق
أ.د. محمد أحمد سامي أبـو عيـد جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن
أ.د. عبـد الحليـم بـن عيسـى جامعـة وهـران1/ الجـزائر
أ.د. عبد الكريم حمو باحث بالمركز الوطني للبحـث فـي الأنثـروبولوجيـا الاجتمـاعية وهـران / الجـزائر
أ.د. الـزاوي لعمـوري جـامعـة الجـزائـر 2/ الجـزائـر
أ.د. بـدرالـدين شعبانـي جـامعـة قسنطينـة 2/ الجـزائر
أ.د. محمـد بوعـلاوي المركـز الجـامعي أفلـو/ الجـزائر
د. محمـد ياسـين عليـوي الشـكري كليـة التربية للبنات جامعة الكـوفة / العـراق
د. كاهيـة بايـة جامعـة محمـد بوضـياف المسيلة/ الجـزائر
د. علاء الدين عبـد اللطيـف عبـد العـاطي محمد أبو العنين جامعة القاهرة/ مصر
أ.د. حبيـب بوسغـاي المركـز الجامعي عين تيمـوشنت / الجـزائر

أ.د. سـالم بن لبـاد جـامعة غليزان/ الجزائر
أ.د. ليلـى مهـدان جامعـة خمـيس مليـانة/ الجـزائر
أ.د. محمـد صـديق بغـورة جامعـة المسيـلة/ الجـزائر
أ.د. الزهـرة قريصات جامعة تيارت/ الجـزائر
أ.د. نعيمـة بـن عليـة جامعـة البـويرة/ الجـزائر
أ.د. جميـلة ملوكي المـركز الجامعي مغنيـة / الجـزائر
د. نصيـرة شيـادي جامعـة تلمسـان/ الجـزائر
د. كمـال علـوات جامعـة البـويرة / الجـزائر
د. طـه حميـد حـريش الفهـداوي كليـة الامام الاعظم جامعة بغداد / العراق
د. مالكـي سميرة جامعة وهـران 2/ الجزائر
د. حسـام العفـوري الجـامعـة العـربيـة المفتـوحـة / الأردن
د. هدية صارة باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في الأنتـروبولـوجيـا الاجتمـاعية والثقـافية وهـران/ الجـزائر
د. فـاتح كـرغلي جـامعة البـويرة / الجـزائر
د. فتيحـة بوشـان جامعـة البـويرة/ الجزائر
د. صافية زفنكي/ جامعة دمشق/ فرع السويداء

د. جمال ولد الخليل جامعة حائل/ المملكة العربية السعودية
د. فاطمة الزهراء ضياف جامعة بومرداس/ الجزائر
د. سمية قندوزي جامعة / الجزائر
د. ساحي علي جامعة عمار ثلجي الأغواط /الجزائر
د. محمد بن لباد المركز الجامعي مغنية / الجزائر
د. آمنة شنتوف مركز تطوير اللغة العربية وحدة تلمسان / الجزائر
د. سعيد دراجي المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة / الجزائر.
د. بن عزوز حليمة جامعة تلمسان/ الجزائر
د. بن عطية كمال جامعة الجلفة/ الجزائر
د. خالد حوير شمس جامعة بغداد/العراق
د. كاتب كريم جامعة وهران 1/ الجزائر
د. حمداش مونيرة جامعة الجزائر 2/ الجزائر
د. محمد رزق الشحات عبد الحميد شعير جامعة هيتت / تركيا
د. أرزقي شمون جامعة بجاية / الجزائر
د. صليحة لطرش جامعة البويرة/ الجزائر
د. نسيمة بغدادي جامعة المسيلة/ الجزائر
د. أمينة بن قويدر جامعة تيارت/ الجزائر
د. رشيدة بودالية جامعة البويرة / الجزائر
د. سوسن بوزبرة جامعة تيارت/ الجزائر
د. محمد بلحسن المركز الجامعي مغنية/ الجزائر
د. مصدق صارة جامعة وهران 2/ الجزائر
د. عبد القادر قدوري جامعة الأغواط/ الجزائر
د. هشام بن مختاري جامعة وهران 2 / الجزائر
د. سعاد هادي حسن ارحيم الطائي جامعة بغداد/ العراق
د. رسول بلاوى جامعة خليج فارس – بوشهر/ إيران
د. محمود خليف خضير الحياني الجامعة التقنية الشمالية / العراق
د. بابو سقال مريم جامعة سعيدة/ الجزائر
م.أ.د. علي عبد الأمير عباس الخميس جامعة بابل/ العراق
د. فاطمة الزهراء نهار جامعة البليدة/ الجزائر
د. أحمد حميد أوغلوا جامعة إبراهيم جاجان/ تركيا
د. بوزياني فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر

مقاييس وشروط النشر

تخص البحوث المرسلة الى المجلة الى مجموعة من الشروط تتمثل فيما يلي

1. يجب أن تتوفر في البحوث المقترحة الأصالة العلمية الجادة وتتسم بالعمق.
2. على صاحب البحث كتابة إسمه وعنوانه الالكتروني والجامعة والبلد الذي ينتمي اليه أسفل عنوان البحث، مع إرفاق سيرة ذاتية وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.
3. ترتب المراجع والهوامش في نهاية المقال حسب الطرق المنهجية المتعارف عليها ووفقا للتسلسل العلمي المنهجي وبطريقة يدوية.
4. ترفق المقالات بملخص لا يتجاوز 10 أسطر باللغة العربية ويترجم الملخص الى اللغة الانجليزية أو العكس مع التطرق الى الكلمات المفتاحية.
5. حجم البحث لا يقل عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة.
6. تكتب المقالات بحجم 16 بصيغة Traditional Arabic بالنسبة للمتن وبحجم 12 بصيغة Times New Roman بالنسبة للهوامش، أما بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى يكون بحجم 12 بصيغ Times New Roman بالنسبة للمتن و10 بالنسبة للهوامش وبنفس الصيغة.
7. إرفاق البحث بملخص باللغتين العربية والانجليزية.
8. على البحوث المقترحة أن تراعي القواعد المنهجية والعلمية المتعارف عليها.
9. ترسل المقالات المقترحة لهيئة أمانة التحرير لترتيبها وتصنيفها، كما تعرض المقالات على اللجنة العلمية لتحكيمها.
10. يجب ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم الى مجلة أخرى.
11. ترسل المقالات الى البريد الالكتروني للمجلة.
12. تمتلك المجلة حقوق نشر المقالات المقبولة ولا يجوز نشرها لدى جهات أخرى الا بعد الحصول على ترخيص رسمي منها.
13. لا تنشر المقالات التي لا تتوفر على مقاييس البحث العلمي أو مقاييس المجلة المذكورة.
14. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث المرفوضة الى أصحابها.
15. تحتفظ المجلة بحق نشر المقالات المقبولة وفق أولوياتها وبرنامجها الخاص.
16. البحوث التي تتطلب تصحيح أو تعديل مقترحا من قبل لجنة القراءة تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
17. ألا تكون البحوث المرسلة مستلة من مطبوعة، او جزء من أطروحة.
18. أن تتضمن البحوث المرسلة على قائمة المراجع تدرج في الأخير.

الهوامش

تكتب بنظام APA على الشكل الآتي: في المتن يكتب بين قوسين: لقب الكاتب والسنة والصفحة (اللقب: السنة، ص ..)

المراجع

تكتب المعلومات الكاملة في آخر المقال على هذا النحو : إسم ولقب الكاتب، عنوان الكتاب، الجزء، دار النشر، الطبعة، بلد النشر، سنة النشر، الصفحة.

التحكيم

تخضع كل البحوث المقترحة للتحكيم العلمي المزدوج من طرف لجنة القراءة وبسرية تامة، بحيث

- **يحق للمجلة اجراء بعض التعديلات الشكلية الضرورية على البحوث المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها.**
- **يقوم الباحث بتصحيح الأخطاء التي يقدمها له المحكمين في حال وجودها وإعادة ارسالها للمجلة.**
- **لغات المقالات: العربية، والأمازيغية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإسبانية، الإيطالية، والروسية.**

- المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي المجلة -

ترسل البحوث المقدمة للنشر عبر البريد الالكتروني

culture@democraticac.de

الفهـرس

الرقم	العنـوان	الصفحــة
1	كلمة العدد	11
2	الأساليب البلاغية في النص الروائي لدى أحلام مستغانمي ولويس إردريك "دراسة مقارنة" Rhetorical Styles in Narrative Text of Ahlam Mostaganemi And Louise Erdrich "Comparative Study" م. د. آلاء صادق هليل الشريفي – العراق د. احميد محمود احميدات - فلسطين	37-13
3	الحجاج والبلاغة الحجاجية - بحث في الوشائج Argumentation and the argumentative rhetoric - Search for the links الأستاذ الدكتور: عبد الجليل العشراوي ـ مراكش ـ المغرب	55-38
4	اضطراب الكفاءات التعليمية في الهيئات والمؤسسات التعليمية في الجزائر في ظل التكوين السلبي للموارد البشرية -قراءة في المسألة- Disruption of educational competencies in educational bodies and institutions in Algeria in light of the poor human resources training د.فتيحة حداد، تيزي-وزو، الجزائر	78-56
5	أثر القرآن الكريم في شعر ابن زيدون من خلال جهورياته وعبادياته: دراسة وصفية The Impact of the Noble Qur'an on Ibn Zaydun's Poetry through his Johouriat and Abadiat: A Descriptive Study مرعي أرحومه جمعة الجالي، ليبيا	90-79
6	حرفة النّسج اليدويّ والتّنمية المستدامة/الوسط الغربيّ للبلاد التونسيّة أنموذجا The hand weaving loom and sustaintainable development : The case of central west of Tunisia د. عبد الكريم براهمي، تونس	112-91
7	جمالية التصريع في ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا Aesthetic ettesri' in the office of the sacred flame Moufdi Zakaria د رحماني ليلى – تلمسان- الجزائر	121-113
8	متطلبات إصلاح وتطوير الموازنة العامة في ليبيا (مدخل نظري) REQUIREMENT For REFORMATION AND DEVELOPMENT OF THE PUBLIC BUDGET IN LIBYA	153-122

	(THEORITICAL INTRODUCTION) د. مخلوف مفتاح محمد ـ جامعة الزيتونة	
172-154	خطاب الكراهية في الشعر العربي القديم Hate Speech in Ancient Arabic Poetry د. عادل ايت العسري (كلية الآداب والعلوم الإنسانية-مراكش/المغرب)	9
209-173	ألفاظ الرياح بين الرحمة والعذاب دراسة دلالية في البيان القرآني The words of the wind between mercy and torment A semantic study in the Qur'anic statemnt - د .صلاح الدين المرغني رجب الطبال - جامعة طرابلس - د. عز الدين سلطان البشير- جامعة الزيتونة -بترهونة	10
228-210	حجاجية التأويل في الخطاب الأصولي المعتزلي-كتاب "الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار" عيّنةً- The Argumentative Interpretation of the Mystical fundamentalist discourse “the five origins of Judge Abd Al-Jabbar” model د. بسمة زحاف-أم البواقي- الجزائر-	11
243-229	التأويل اللّساني الكمي للوظيفة النّحويّة - قراءة في آليّة الجزم أنموذجاً- Quantitative linguistic interpretation of syntactic function -a reading in the mechanism of Eljazm as a Model- الأستاذ: محمّد نجيب مغني صنديد - عين تموشنت- الجزائر	12
259-244	النظرية التكاملية لابن خلدون في اكتساب اللغة وتأثيرها في الفكر الغربي The integrative theory of Ibn Khaldoun in language acquisition and its impact on occidental ideology د. يونس البودامي – المملكة المغربية	13
277-260	الخطاب بين الدلالة والخلفية الفكرية والمذهبية Discourse between significance and the intellectual and doctrinal background د. العبادي عبد الحق، تيارت، الجزائر	14
298-278	آليات الكشف المنهجي عن محاسن مقصورة حازم القرطاجني الشعرية What about rhetoric and beauty in the poem of Hazem Al-Qartajani’s Al-Maqsurah? إبراهيم نادن الحدوشي -أسفي-المغرب	15
313 -299	النظريات اللسانية العرفانية، المبادئ والمفاهيم Cognitive Linguistic Theories: Principles and Main Concepts د. علية بيبية. تبسة /الجزائر	16

17	حوار الأقليات المسلمة مع الغرب- الأهداف والنتائج المبتغاة- - Dialogue of Muslim Minorities with the West - Objectives and Desired Results د.فارح رضوان، فاس-سايس- المغرب	325-314
18	نظرية أفعـال الكلام بين التأثيل اللساني الغربي والتمثل النحوي العربي Speech verb theory between Western linguistic rooting and Arabic grammatical representation د. تجاني حبشي - الجلفة- الجزائر	342-326
19	أثر العلوم الدينية في تأسيس الدرس اللغوي العربي The effect of religious studies in establishing the Arabic language lesson د. حبيب حساني. تيارت - الجزائر.	357-343
20	صّراع اللغة العربية الفصيحة واللّهجات العامية في العالم العربي The struggle between classical Arabic and colloquial dialects in the Arab world د. بن التواتي عبد القادر –الأغواط-الجزائر -	374-358
21	النص والجسد :تجليات وتمثلات Text and Body: Manifestations and Representations د. نعار محمد ، تيارت، الجزائر	384-375
22	الفن بين العقل الأداتي والعقل الجمالي من منظور مدرسة فرانكفورت Art between instrumental reason and aesthetic reason in the perspective of the Frankfurt School عمر شهبي،– القنيطرة، المغرب.	396-385
23	بنية العجائبي في رواية الحوات والقصر للطاهر وطار The fantastic structure in the novel “Al-Hawat W Al-Qasr” (The Fisherman And The Palace) by Al-Taher Wattar حني سيف الدين - الجزائر	409-397
24	أهمية اللغة في التبليغ الثقافي The importance of language in cultural communication أ. قشيوش رشيدة، تلمسان -الجزائر	420-410
25	المصطلح النحوي واللساني؛ مفهومهما وخصائصهما "الحقول الدلالية نموذجا" Grammatical and linguistic term; their concept and characteristics. "semantic field theory as a model" لطيفة السالمي؛ -الرباط (المغرب).	435-421

451-436	الغناء الشعبي بمنطقة الغرب: دراسة سيميائية لأغنية "الغابة" أنموذجا. Folk singing in the west region study semiotic of the «jungle» theme song بوعزة الخلقي- القنيطرة، المغرب. حنان المنوني- القنيطرة، المغرب.	26
463-452	جمالية الرقص الشعبي في المنجز الفني للنزعة التعبيرية _ محمد صغير أنموذجاً _ The aesthetic of the Folk dance in the artwork of the expressionism Algerian artist Mohammed Seghir Aesthetic approach in the artistic models of the جعفاري سمير- مستغانم- الجزائر	27
480-464	Le recours à la didactique intégrée en classe de DNL au Maroc The usage of integrated didactics in non-linguistic subjects in the moroccan classroom. Zhaoui Laila. Kenitra. Maroc.	28
505-481	Les Termes de l'Héritage dans le Coran Étude Traductologique de quelques termes de l'Héritage dans Coran de l'arabe vers le français The Terms of Inheritance in the Quran Translation study of some terms of Inheritance in Quran from Arabic to French Saber Oubiri, Montreal, Canada	29
521-506	Simultaneous Interpreter as a Speaker المترجم الفوري بوصفه متحدثا Ibrahim Talaat Ibrahim	30

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام، على صفي وحبيب ونجي الرحمن محمد ابن عبد الله، وآله وصحبه وبعد،

يطيب لنا أن نزف إلى قرائنا الأعزاء، في كل العالم خبر صدور العدد الواحد والعشرون، من مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، يحمل هذا العدد دراسات علمية قيمة متنوعة، تصب في اختصاص المجلة، وقد شارك في تحكيمها أساتذة دكاترة من مختلف جامعات الدول العربية، من الجزائر، المغرب، المملكة السعودية، سوريا، تونس، مصر، الأردن، العراق، وإيران، وتركيا ... وإنه لمن واجبنا الاعتراف بمجهوداتهم وشكرهم على ذلك.

هذه البحوث وعلى غزارتها، تعد من المواد العلمية والمعرفية المهمة في مجال الدراسات اللغوية والثقافية والفنية، لذلك يصعب علينا انتقاءها رغم خضوعها للتحكيم الثنائي وأحيانا الثلاثي. وإنه في هذا السياق نعتذر من الذين لم يتسنى لهم نشر ورقتهم البحثية في هذا العدد، ونضرب لهم موعدا في الأعداد المقبلة بحول الله تعالى.

في الأخير نشكر كل من ساهم في اصدار هذا العدد، وشكر خاص للسيد رئيس المركز الديمقراطي العربي.

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور سالم بن لباد

الأساليب البلاغية في النص الروائي لدى أحلام مستغانمي ولويس إردريك
"دراسة مقارنة"

Rhetorical Styles in Narrative Text of Ahlam Mostaganemi And Louise Erdrich
"Comparative Study"

إعداد الباحثان

م. د. آلاء صادق هليل الشريفي – العراق
alaa.sadiq@alkadhum-col.edu.iq
كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة/ أقسام واسط

د. احميد محمود احميدات - فلسطين
Ehmedat2018@yahoo.com
وزارة التربية والتعليم الفلسطينية/ شمال الخليل

الملخص

تناولت هذه الدراسة الجانب البلاغي في فن الرواية من خلال استعراض بعضا من الأساليب البلاغية التي زخرت بها أعمال كل مِنْ أحلام مستغانمي ولويس إردريك. حيث هدفت هذه الدراسة إلى دراسة وتحليل (الأساليب البلاغية والفنية في أعمال الروائية أحلام مستغانمي ولويس إردريك)، وذلك من خلال التعرف إلى العناصر البلاغية والفنية في أعمالهما في ضوء البلاغة العربية، وبلاغة النص الروائي، وإجراء المقارنة بينهما. وقد اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستنباط واستخراج العناصرالبلاغية والفنية في الأعمال الروائية، والمنهج المقارن لغرض المقارنة بين الروائيتين في الأساليب البلاغية والفنية على مستوى اللغة والنص الروائي، والتعرف إلى أوجه التشابه والاختلاف بينهما. وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها تعد تجربة جديدة في الدراسات المقارنة للأساليب البلاغية بين روائيتين تنتميان إلى لغتين مختلفتين. وقد توصل الباحثان إلى مجموعة من النتائج مفادها: أن الروائيتين أبدعتا في استخدام الأساليب البلاغية (الاستفهام، الاستعارة، عنصر التأنق والبراعة في التعبير)، إلا أن هناك تباينا في كمية الاستفهام وعنصر التأنق من حيث: كثرة الاستفهام عند أحلام بينما قل عند لويس، أما بلاغة النص الروائي المتمثلة في أساليبه الثلاث (الأساليب البلاغية الجزئية، وبلاغة السرد والصورة) ؛ فقد برعت كلاهما في توظيفها في رواياتهما، إلا أن مستغانمي اهتمت بلغة النص لإبراز الجانب الفني، بينما وظفتها لويس إردريك لخدمة الفكرة الأساسية في الرواية، تفوقت إردريك باستخدامها عبارات ومفردات خيالية، واستخدامها الكلمات الغامضة المرتبطة بالثقافة المحلية لقبائل الأوجيبو.

الكلمات المفتاحية: أساليب بلاغية، النص الروائي، مستغانمي، إردريك..

Abstract

This study focused on the rhetorical aspect of the art of the novel by reviewing some of the rhetorical methods in the works of Ahlam Mosteghanemi and Louis Adric. This research aims to compare the novels of Ahlam Mostaghanemi and Louise Erdrich using classical Arabic rhetoric and artistic methods, then identify and analyse their rhetoric, and compare them. The researcher first employed the descriptive analytical approach to identify and extract rhetorical elements and artistic methods in their works, and then used the comparative approach to identify the similarities and differences between them. This study is significant in that it presents a new experience in comparative studies of rhetorical methods between two novelists representing two different languages. The rhetorical methods that are found similar are questioning, metaphor, element of elegance and ingenuity in the expression. However, in terms of differences, there are variations in the amount of questions as well as the element of elegance. It is discovered that there are more questions in Ahlam Mostaghanemi's novels than there are in Louise Erdrich's novels. In terms of the eloquence of the texts, three methods were found. They are partial rhetorical methods, and the narrative eloquence and image, all of which were successfully employed by both the novelists in their novels. While Mostaghanemi used rhetoric to depict the artistic side, Louise Erdrich was more inclined to use rhetoric to depict the basic idea of the novel. She also excelled in using magical terminology or occult terms that are associated with the local culture of the Ojibo tribes. Apart from that, the study found that there is no significant difference between Arabic rhetoric and English rhetoric

key words: Rhetorical Styles, Narrative Text, Mostaganemi, Erdrich.

المقدمة

لقد أدركت البلاغة العربية منذ وقت مبكر، أن "الوظيفة المركزية في اللغة، هي الوظيفة الجمالية أو الشعرية للغة" (البدراني والمشهداني، 2010، 171)؛ ومع ذلك، "لم تكن البلاغة مجرد خاصية ملازمة

للأسلوب، أو اللغة، أو الحوار، أو السرد، أو الوصف، أو أي عنصر آخر من العناصر المكونة للعمل الأدبي على حدة، بل اعتبرت في الأساس خاصية شاملة، تبدأ فعالياتها وتفاعلاتها منذ أول كلمة في العمل الأدبي إلى آخر كلمة فيه". (نبيل راغب، 2003، 8).

وإذا كانت الراوية الحديثة تعمد إلى تشكيل وحداتها السردية في ضوء ما تقترحه المفاهيم الأدبية والفنية والنقدية المعاصرة، التي تتجاوز الأطر المعيارية التقليدية، إلا أن لغة الرواية تظل مجالاً مفتوحاً لكل الأساليب والعناصر البلاغية القديمة الأصيلة؛ فالرواية بحد ذاتها تظل نظاماً لغوياً قائم من حيث بنيته وتشكيله على مبدأي الاختيار والتوزيع، إذ يستطيع المتلقي والناقد أن يعنى بدراسة العناصر البلاغية في النص الروائي، سواء العناصر البلاغية المرئية والملموسة، أم العناصر الخفية وغير المباشرة.

وتظهر لنا إشكالية هذه الدراسة في أن العمل الروائي يمثل انعكاسا للبيئة التي يستوحي منها الأديب عمله، فبيئة الروائية أحلام مستغانمي العربية تختلف عن بيئة الروائية لويس إردريك الأمريكية من وجوه كثيرة: كاللغة والثقافة والحضارة والهموم والقضايا وغيرها، فتكون عملية المقارنة بين الأساليب البلاغية في النص الروائي لدى الروائيتين من الدراسات التي تستوجب الدقة في اختيار النصوص، وبيان أوجه الشبه والاختلاف بينها؛ للوقوف على جماليات النصوص وبلاغتها، وقدرة اللغة على استيعاب المعاني والدلالات التي تريدها الروائية من انعكاس الواقع في عملها.

أولا: العناصر البلاغية عند أحلام مستغانمي:

تشمل العناصر البلاغية كافة الأساليب التي حددتها البلاغة العربية في أطرها العلمية الثلاثة (المعاني، البيان، البديع)؛ ففي علم المعاني نجد: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، والنداء، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والإيجاز والإطناب، والمساواة؛ وفي علم البيان، هناك: التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية. "أما علم البديع فيشمل: المحسنات اللفظية: كالجناس والسجع والاقتباس ورد الصدر على العجز. والمحسنات المعنوية: كالطباق والتورية والمقابلة والتقسيم. بالإضافة إلى العناصر الخفية غير المباشرة في البلاغة، كدافعية الأديب نحو الكتابة وأسلوبه الخاص وطرق استخدامه للفنون بما يتناسب مع السياق وغيرها، فهي عناصر التي تفرق بين الأديب وغير الأديب" (نبيل راغب، 2003، 9).

وإذا كانت الرواية بطابعها وعناصرها الأساسية (الشخصيات، الحبكة، الحوار، السرد.. الخ)، تجنح في كثير من الأحيان إلى تغليب طابعها الحكائي والدرامي ليكون سيد الموقف في لغة التعبير على حساب البلاغة، فإن أحلام مستغانمي أدركت مدى حاجتها إلى ذلك التوازن والتناغم بين الطابع الروائي والبلاغة، سواء بلاغة اللغة، أم بلاغة السرد، أم بلاغة الأسلوب، وحرصت على تحقيقه في نسق

برعت فيه دون التعدي على خصوصيتها الإبداعية- أو لغتها الفردية التي تكفل التميز والتفرد لشخصيتها في الرواية.

لقد استطاعت أحلام مستغانمي في ثلاثتها الروائية، التي استهلتها بروايتها (ذاكرة الجسد،1993)، وثنتها برواية (فوضى الحواس،1998)، وأكملتها برواية (عابر سرير،2003)، أن تحقق ذلك التناغم والانسجام الناجح والمتفرد بين قوة المعنى وبلاغة السرد، وبين العناصر الروائية والعناصر البلاغية؛ إذ برز هذا التناغم بشكل لافت للنظر في (ذاكرة الجسد)، وإن كانت في عملها الثاني قد انحازت إلى البلاغة أكثر، إلا أنها تمكنت من استعادة ذلك التوازن والتناغم في عملها الثالث. (شوقي بزيع، 2003).

1. بلاغة المعاني لدى أحلام مستغانمي- عنصر الاستفهام أنموذجاً:

يكاد يكون عنصر الاستفهام في أعمال أحلام مستغانمي ظاهرة مستحوذة، إذ تصادفنا التساؤلات منذ الصفحات الأولى، ويستمر وجودها بشكل متفاوت على متن السرد وفي الحوارات؛ ففي مستهل روايتها (ذاكرة الجسد) نقرأ لها:

"فما أجمل الذي حدث بيننا... ما أجمل الذي لم يحدث... ما أجمل الذي لن يحدث.

قبل اليوم، كنت أعتقد أننا لا يمكن أن نكتب عن حياتنا إلا عندما نشفى منها.

عندما يمكن أن نلمس جراحنا القديمة بقلم، دون أن نتألم مرة أخرى.

عندما نقدر على النظر خلفنا دون حنين، دون جنون، ودون حقد أيضا.

أيمكن هذا حقًا؟

نحن لا نشفى من ذاكرتنا.

ولهذا نحن نكتب، ولهذا نحن نرسم، ولهذا يموت بعضنا أيضا.

- أتريد قهوة؟" (ذاكرة الجسد، 1993: 7).

وفي مستهل (فوضى الحواس) تطل الكاتبة على نصها الروائي بنفس الصيغة الأنثوية المتسائلة (أحلام مستغانمي)

"كم كان يلزمها من الإيمان، كي تقاوم نظرته؟!"

كم كان يلزمه من الصمت، كي لا تشي به الحرائق؟!"

"كيف لها أن تنسى.. كل ما لم يحدث بينه وبينها؟"

"كم يلزمها من الأكاذيب، كي تواصل الحياة وكأنه لم يأت؟! كم يلزمها من الصدق كي تقنعه أنها انتظرته حقاً؟!" (فوضى الحواس،1997: 9)

أما في روايتها (عابر سرير) فتتساءل أحلام مستغانمي منذ سطورها الأولى:

"أكنا إذن نتمرن رقصاً على منصة السعادة، أثناء اعتقادنا أن الفرح فعل مقاومة؟ أم أن بعض الحزن من لوازم العشاق؟"

كنت ستسألها: كيف ثغرها في غيابك بلغ سن الرشد؟ وبعيد قبلة لم تقع، كنت ستستفسر: ماذا فعلت بشفتيها في غيبتك؟ من رأت عيناها؟ لمن تعرى صوتها؟ لمن قالت كلاماً كان لك؟"

"ما الذي يوزن وقع أقدامها، لتحدث كل هذا الاضطراب الكوني من حولك؟" (عابر سرير،2003 : 2).

جاءت صور وأغراض الاستفهام عند أحلام مستغانمي متباينة ومتعددة، ومن أجل إثارة شعور المتلقي، لجأت إلى تنوع أدوات الاستفهام. فلو لاحظنا استخدامها لأدوات الاستفهام المتعددة في نفس النص أعلاه (الهمزة ، لمن ،كيف ، كم ، ما) ، وكأن الكاتبة من خلال تعددية أدوات الاستفهام، وكأنها تستدرج الآخر لاستحضار ذاتها، وفي كل مرة أرادت أن يكون لها ذلك، فإنه لا يكون إلا إذا جلبته على جناح التساؤلات المتتالية والمتفاوتة طولاً وموضوعاً وصوراً، فالأسئلة ليست إلا مفاتيح عبور وموجات اتصال قادرة على الوصول بالكاتبة إلى أعماقها الدفينة، حيث يعتلج فيها إحساسها بذاتها، وحيث يستكين إحساسها بالآخر، ويتبلور إحساسها بالعالم كله من حولها في تلك اللحظات التي تقوم فيها بخطواتها الأولى لشق وتمهيد طريق مغامرتها السردية، وكل ذلك جاء على وتر جانح يترنح بين الرغبة في البوح والرهبة من كل شيء إلا عواقبه، ودون أن تتوقع شيئاً من ذلك كله غير فعل الكتابة للكتابة ذاتها.

كما يأتي عنصر الاستفهام في أعمال أحلام مستغانمي يحمل في ذاته طابعاً وجدانياً حتى تشوق المتلقي، ويتمكن من الإمساك بخيوط القصة وإدارة تفاصيلها في نسق سردي تتألق فيه بلاغة السؤال لتطغى على المشهد السردي، بما تنطوي عليه صيغه المتعددة من تناقضات وتلاعبات تعبيرية تستدر المباعد من الحكاية على عجل حثيث، وبدون انقطاع، حتى وإن طالت المسافات الفاصلة بين الأسئلة، أو تباينت المناسبات السردية والشعورية لطرحها؛ إذ تبرز بلاغة الاستفهام في كون الكاتبة وقد أغدقت في ممارسة فعل التساؤل المعلن على سبيل التحقيق المراوغ والمخاتل مع الآخر (الرجل)، إلا إن غايتها المتوارية من طرح كل تلك التساؤلات تتمثل قطعاً في تحقيق رغبتها العارمة باكتشاف ذاتها أو الكشف عنها، وذلك بالضبط ما توحي به الصور الحسية المباشرة التي تنطوي عليها جل التساؤلات التي تحضر غالباً بكثافة عالية:

"هل الورق مطفأة للذاكرة؟.. من منّا يطفئ أو يشعل الآخر؟.. من أين جاء هذا الارتباك؟

"كيف تطابقت مساحة الأوراق البيضاء المستطيلة، بتلك المساحة الشاسعة البياض للوحات لم ترسم بعد.. وما زالت مسنده جدار مرسم كان مرسمي؟ وكيف غادرتني الحروف كما غادرتني قبلها

الألوان. وتحول العالم إلى جهاز تلفزيون عتيق، يبث الصور بالأسود والأبيض فقط؟" (ذاكرة الجسد، 1993: 4).

تكشف بلاغة الصيغ الاستفهامية عند أحلام مستغانمي من خلال الماديات الحسية لأن الصور الحسية تكون أقرب إلى ذهن المتلقي، والسبب أنها تتمحور حول المشهد الحسي فتعطي المخاطب تصوراً واضحاً للفكرة ولهذا تستدعي أحلام مشاهد حسية على سبيل المثال ما مذكرته في النص أعلاه "وتحول العالم إلى جهاز تلفزيون عتيق، يبث الصور بالأسود والأبيض" والتي من خلالها تستدعي صورة الآخر/ الرجل في محاولة لاستقراء أحواله الآنية بالنسبة لها، وبالنسبة لما تقرأه في نفسها من مقاصده وأحواله وصوره، في الوقت نفسه الذي تستدعي فيه ذاتها من خلال الآخر نفسه، في سياق تتقارع فيه الإيقاعات الدلالية للألفاظ التي ترد في سؤال معبرة عن الزمن المتوزع أو ربما المتشظي بين الحاضر والماضي القريب والبعيد، كلحظة سابقة على استعادة الكاتبة لاندماجها مع الـ (نحن) الغامضة والمجردة في سؤال التالي، على نحو النص الآتي:

"تتساءل.. ماذا تراه الآن يفعل؟

كادت تسأله: لماذا ألبس ابتسامته معطفاً للصمت، اليوم بالذات، بعد شهرين من القطيعة؟

ثم فكرت في سؤال آخر: أينتهي الحب عندما نبدأ بالضحك من الأشياء التي بكينا بسببها يوماً؟!" (فوضى الحواس، 1997: 3).

وبالسؤال، تحتج الكاتبة وتستنكر وتسخر، وهي مع ذلك كله تبحث عن حقيقة ما كامنة، تطلب منها أن تستعصي على الغياب حينما لا يطلب منها الحضور، فهل من حقيقة أخرى في كنه أحلام مستغانمي غير الحب؟! وهل من عنوان عريض للحياة والسياسة والوطن والكتابة والرواية والمرأة والأنثى غير الحب؟!- فالحب والعاطفة الأنثويان محمولان في أعمال أحلام مستغانمي تارة على مهد الحياة حينما تبشرنا بها ولادة جديدة، ومحمولان تارة أخرى على نعوش الموت الذي تجفل منه روح امرأة محبة وعاشقة، لكنها مع ذلك متمردة وعصية على التطبيع، وبين العنوان العريض والتفاصيل يأتي السؤال عن جدوى الكتابة وجدوى الرواية، لاسيما عندما تكون إشكاليات المكان (البيت/ الوطن) هاجساً مسيطراً:

"أمام كل هذا الزخم العاطفي، لا ينتابك غير هاجس التفاصيل، متربصاً دوماً برواية.

تبحث عن الأمان في الكتابة؟ يا للغباء!!

ألأنك هنا، لا وطن لك ولا بيت، قررت أن تصبح من نزلاء الرواية، ذاهباً إلى الكتابة، كما يذهب آخرون إلى الرقص، كما يذهب الكثيرون إلى النساء، كما يذهب الأغبياء إلى حتفهم؟ أتنازل الموت في كتاب؟ أم تحتمي من الموت بقلم؟" (عابر سرير، 2002: 2).

لقد أكدت البلاغة على أن الأدب تعبير موضوعي غير مباشر عندما يركز الكاتب جهده العقلي والانفعالي في إبداع شيء محدد، وكلما زاد انفصال شخصيته عن عقله المبدع، زادت قدرته على إدراك المشاعر المختلفة التي هي مادة الأدب، وعلى تحويلها إلى شيء جديد وهو العمل الأدبي. (نبيل راغب، 2003)

ولأن السؤال هو مفتاح معرفة كل شيء، ولأن البداية والنهاية، والحياة والموت، وكل المتناقضات في قوانين الوجود، ما هي إلا تساؤلات تزحف على الذهن، ولا نجاة منها إلا ببلوغ أجوبة تصب في فلك اليقين، فإن السؤال نفسه يصبح تعبيراً عن الثورة والتمرد، وفعلاً من أفعال العصيان والخروج على المعتاد والمألوف، فلا حياة إن غدت الحياة رتيبة، ولا حياة إن كان المرء يجهل ذلك الحد الفاصل بين إرادته والقدر.

وفي رواية (فوضى الحواس، 1997) أيضا، يأخذ الاستفهام في ترسيخ دلالاته بين أوصاف الفكرة التي تصوغها ألسن أبطال الرواية، كقولها على لسان البطلة حياة:

" كان الطريق بعيدا بعض الشيء، ورغبة لا تفارقني أثناءه بالجلوس أخيرا إلى هذا الرجل ... يصلني منه بعض عطره، تحمله نحوي نسمات سيارة مسرعة، فأتقاسم معه مجرى الهواء.. وكثيرا من صمت الأسئلة.

أولها: لماذا جلس جوار السائق؟ أليضع مسافة بيننا ...

أما السؤال الأهم فهو ليس جلوسي وراءه وإنما طبعا سبب وجودي معه.

ما الذي أوصلني إلى هنا؟ ترى فضولي الأدبي هو الذي جعلني أدخل مغامرة على هذا القدر من الغرابة؟

أم تراني أذهب نحو الحب بذريعة الأدب؟

وكيف يمكن لرجل لم يقل لي سوى بضع كلمات، أو بالأحرى كلمة أن يأتي بي حتى هنا....؟" (فوضى الحواس، 1997: 74)

هذا التدرج في طرح الاستفهام بتنوع الصيغ له دلالاته البلاغية التي تثري القارئ بكمٍ هائلٍ من الأفكار والمعاني الناتجة عن تلك الأسئلة، فطبيعة السؤال الاستفهامي يحدد العلاقة بين فكرة الكاتبة التي تتحدث عنها وقدرة المتلقي في الكشف عن المعنى ودلالته. ولقد ساقت الراوية الكثير من الأسئلة التي تدل على إرادتها في الإفصاح عن تلك الشخصية وطبيعتها وصفاتها ومعالمها، وإبرازها إلى المتلقي، وهي شخصية البطل خالد الذي سافر إلى فرنسا أثناء الحرب.

وكذلك نجد أغراض الاستفهام البلاغية المجازية التعجب والتهكم والتوبيخ كما جاء في الرواية نفسها:

"أسئلتي الوجودية بدأت مع القطة: كيف تستطيع القطة أن تحمل صغيرها بين أنيابها من دون أن تؤذيه؟ وهل حقا هي تخفي صغارها عن أبيهم الذي يحدث عندما يجوع يأكلهم؟ وهل الآباء جمعهم قساة وغير مبالين؟ وهل ثمة قطط أكثر أمومة من نساء يحملن أثداء تدر اللبن وتضن بالرحمة؟" (عابر سرير،2002: 48)

لقد خرج الاستفهام عن غرضه الحقيقي إلى الغرض المجازي، فالكاتبة هنا أو البطلة لم تقصد من تلك الأسئلة البحث عن شيء مجهول بالنسبة لها، أو أمر غير معروف لديها، أو حقيقة غابت عن بالها، وإنما قصدت من وراء ذلك دلالات كثيرة ومعنى يحمله السياق العام للرواية، فالحديث يجري عما حدث في الجزائر من ثورة أكلت أبنائها، وشتت شملهم، وفرقت جمعهم، ونفتهم من أوطانهم، فكان الاستفهام عن حال القطط هو استفهام مجازي أرادت الكاتبة أو البطلة أن تثبت أن الوطن بمن فيه يحمل القساوة والشدة على أبنائه فيلحق بهم الأذى، ويرمي بهم في الشتات والمنافي. فكان الاستفهام هنا يحمل في طياته صبغة التعجب والتهكم والتوبيخ. وقد عبرت الكاتبة عن ذلك في نهاية الأسئلة بقولها: "لم أبحث لهذه الأسئلة عن جواب، ف (الأجوبة عمياء، وحدها الأسئلة ترى). (عابر سرير،2003: 49)

لقد تجلت بلاغة الاستفهام في أعمال أحلام مستغانمي، من حيث استخدمت هذا العنصر على نحو أظهر بالفعل براعتها وقدرتها اللغوية والأدبية في ممارسة وإدارة فعل الكتابة في لحظات التداعي الحر لروح السرد ورغبتها المتأججة والمهيمنة في إبداع القص؛ فاللاوعي حاضر في كينونة الكاتبة فيما وراء السطور والكلمات والمعاني والصور بفعل قدرتها على اقتناص الأسئلة، وبفعل ألفتها مع السؤال، وصحبتها ومعانقتها له، وكأنما هو عين الرجل/ الآخر وجوهر ذاتها في آن معاً، وليس إلا كلاهما يظلان موضوع اختباراتها السردية، وتحقيقاتها الحكائية في نسق يفترض أن يتجه فيه القص نحو تعقيد وتكثيف كل المشكلات لتغدو كعقدة واحدة، ومن ثم حلحلتها بالتدريج حتى ينتهي طرح الحكاية برسم ملامح بداية أخرى مع أسئلة جديدة تغري بخوض مغامرة كتابة وبوح جديدة، ولكن ليس قبل أن: "تجمع الكاتبة مسودات مغامراتها الأخيرة والمبعثرة في حقيبة، رؤوس أقلام.. ورؤوس أحلام" (ذاكرة الجسد، 1997: 327).

2. بلاغة البيان لدى أحلام مستغانمي- عنصر الاستعارة أنموذجاً:

من العلامات المميزة لأعمال أحلام مستغانمي الروائية، اهتمامها الواضح باللّغة الروائية كفضاء للإبداع، ولعل سبب ذلك مرّده إلى كونها كانت شاعرة قبل أن تكون روائيّة؛ فعناية الكاتبة بلغتها الروائية يفوق كل توقّع، حتى يخيّل للقارئ أنّ لغة الخطاب الروائي عندها هي موضوع النص ذاته"؛ وهذا ما طبع أعمالها الروائية بطابع كثيف من بلاغة السرد وشعرية اللغة وثراء الأسلوب؛ فلغة أحلام مستغانمي الروائية أقرب إلى لغة شعرية منها إلى النثر، وهذا ما يتّضح من خلال الاستعارات المكثفة

والمجازات بصفة عامة، والتي تتجلّى في أعمالها في مستويات مختلفة، تبدأ من العناوين التي اختارتها لأعمالها". (نادية ويدير، فبراير 2012: 212)

تحمل عناوين روايات أحلام مستغانمي "مدلولات استعارية ذات طابع استفزازي بدرجة كبيرة، ومدعاة للفضول لمعرفة محتوى النّص الروائي واكتشاف مضامينه الفكرية والأدبية التي تؤهّله لتلقي إيجابي وجمالي لدلالة هذا العنوان أو ذاك" (نادية ويدير، فبراير 2012، 214)؛ "فالعنوان يطرح دائما تساؤلاً لا يفك شفرته إلا بعد الانتهاء من قراءة الرواية" (حسنية فلاح، 2009، 42)؛ "وبهذا تتدرج عناوين روايات مستغانمي ضمن الوظيفة التي قال بها ايكو، أي تلك العناوين التي تشوش فكر القارئ، وتحدث نوعاً من الصدمة لديه، تجعله في حيرة وارتباك؛ فالمتلقي لعنوان ذاكرة الجسد- على سبيل المثال- يجد نفسه في ارتباك وقلق إزاء المدلول المتناقض والمتنافر الذي تحمله كلمتيّ العنوان (الذاكرة، الجسد)، الأمر الذي يفتح معه أبواب العديد من التساؤلات، التي تنفتح معها احتمالات التأويل" (نادية ويدير، 2012: 213)، في فضاء لا نهائي من المعاني المتحملة والممكنة، الأمر نفسه الذي يتجلى بقدر مماثل بالنسبة لعنواني (فوضى الحواس)، و(عابر سرير).

بيد أن العنصر الاستعاري المحمول في عنوان العمل الروائي يتجاوز مكانه في واجهة معمار الرواية، ليدخل في صلب النص الروائي نفسه حاملاً معه استعارات جديدة، كما في عنوان العمل الثاني (فوضى الحواس)؛ إذ تدل كلمة (فوضى) في بعدها الدلالي والمجازي على الفوضى لحظة الخلق- أي خلق لغة داخل الرواية-، ذلك أن اللّغة حسب ما يوحى للقارئ هي المعبرة عن الفوضى والتشتت الذي تعيشه البطلة /الكاتبة، لذلك كانت اللّغة هي الوسيلة التي تجمع شظايا تلك الفوضى والأحاسيس المبعثرة المتولدة عنها، فهي التي تعين أسباب هذه الفوضى (حسنية فلاح، 2009)؛ تماما كما يعبر عن ذلك النص الآتي:

"وكنت أنثى القلق، أنثى الورق الأبيض، والأسرة غير المرّتبة، والأحلام التي تنضج على نار خافتة، وفوضى الحواس لحظة الخلق" (فوضى الحواس،1997 :124).

تحدث الاستعارة أثرها البلاغي على مستوى المعاني التي يمكن استشفافها منها، الأمر الذي يمكن إدراكه من خلال إخضاع العبارة أو الجملة التي تتضمن الاستعارة للتحليل، على غرار العبارة التي تحمل مدلول عنوان رواية (ذاكرة الجسد)، والتي جاءت في نص الرواية على لسان بطلها "خالد طوبال":

"نحن لا نشفي من ذاكرتنا" (ذاكرة الجسد، 1993: 7).

فالذاكرة أصبحت على نحو ما مرضاً لا دواء له ولا شفاء يرجى منه؛ "إذ يحدث هنا تفاعل في الاستعارة بين الـ (ذاكرة) والـ (مرض) باعتبار هذا الأخير هو الطرف الغائب والمحذوف من العبارة الاستعارية، ولكننا ندركه من السياق العام للعبارة بفضل مدلول كلمة (نشفي)، التي تصبح في هذا

المسار قرينة على هذا المدلول الذي حملته لنا الاستعارة المكنية- على نحو يمثله الشكل الآتي (غرسة لبقع، 2012):

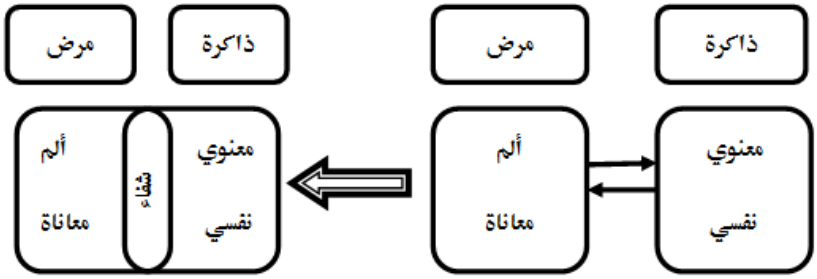

شكل رقم (4 - 1):

بلاغة الاستعارة في عبارة "نحن لا نشفي من ذاكرتنا"

ومن صور الاستعارة في هذه الرواية أيضا استعارة الموت التي جاءت في مواضع عدة، فهي تقول فيها:

"كان الموت يمشي إلى جوارنا، وينام ويأخذ، كسرته معنا على عجل ... كان الموت يمشي ويتنفس معنا ... الموت قرر أن يرفضني". (ذاكرة الجسد،1997: 26)

نلاحظ أن الموت جاء استعاريا يخفي الكثير من المعاني كما هو حقيقة ما يخفيه الموت في عالم الغيب، فهو يأخذ معه كل ذكرى وكل جسد، يأخذ كل حلم وكل أمل، لا يترك خلفه أي أثر، وهنا يتضح جمال المشهد الذي يصف ذاك الإنسان الملازم والمصاحب لغيره في جميع تفاصيل الحياة.

وفي رواية (عابر سرير) تمتد حمولات المدلول الاستعاري للعنوان في أكثر من موضع من عمق النص الروائي، على غرار المقطع الآتي:

"كنت أثناء ذلك أهدئ من روعي، فقد يكونوا قد اصطحبوه لإجراء فحوصات أو التصوير الشعاعي، أو ربما غيروا غرفته ليس أكثر، ذلك أنّني تذكرت أنه قال لي مرة منذ أكثر من أسبوعين: "قد لا تجدني في هذه الغرفة، قد أنقل إلى جناح آخر".. قبل أن يعلّق مازحاً: "أنا هنا عابر سرير" (عابر سرير، 231:2003).

لا بد وأن يحدث هذا المعنى صدمة ما عند القارئ، من حيث لم يكن يتوقع أن يصل إلى دلالة من هذا النوع، لاسيما إذا أخذ بالاعتبار المضامين الحسية لموضوعة الجنس والإيحاءات الجنسية التي تلوح دوماً في أعمال أحلام مستغانمي، وهنا تبرز بلاغة الاستعارة وبراعة التوظيف الذي مارسته الكاتبة في أحداث الصدمات غير المتوقعة للقارئ؛ فالاستعارة تعطي أفقاً واسعاً لمدلولات يفترض أن تكون متجانسة مع إيقاع الأحداث الروائية باعتبارها خامة تصنعها شخصياتها، إلا أن بلاغة الاستعارة أعطت

مساراً مختلفاً بفضل القدرات اللغوية والأدبية التي امتلكت الكاتبة ناصيتها، وهذا بدوره ما أكسب السرد بلاغته وسماته الفنية والجمالية.

لقد وظفت أحلام مستغانمي عنصر الاستعارة في رواياتها الثلاث لتحمل معها الكثير من المفارقات الموضوعية والدلالية التي ارتبطت بالأحداث والشخصيات، فجاءت الاستعارات حاملة لقضايا الوطن والثورة والسياسة والفكر والتاريخ.. وغير ذلك، وهذا ما أكدته الباحثة "فاطمة مختاري " لا يمكن الحديث بشكل مستقل عن الاستعارة في الرواية بمعزل تام عن الواقع بأبعاده المتعددة وخاصة الاجتماعية والثقافية والتداولية، التي تتوجه الرواية ضمن مساراتها فحين تتخلى الرواية عن الواقع معنها أنها تخلت عن البعد الإنساني.(فاطمة مختاري: 2014).

وكل ذلك في أفق الاستخدام والتوظيف البلاغي للاستعارات المتعددة الصياغات والصور والأنواع والوظائف، والتي استفادت منها الكاتبة في تكثيف واختزال الكثير من الصور والمعاني التي أرادت إيصالها للمتلقي، دون أن تخدش بتقنيات القص بلاغة اللغة التي حرصت على أن تكون هي مادتها الأساسية، فكان انحيازها للغة وبلاغتها واضحاً بالقدر الذي تمكنت فيه من الإبقاء على عناصر الرواية حية ويقظة طوال رحلة السرد، وهذا ما برعت به أحلام مستغانمي بالفعل.

3. بلاغة البديع لدى أحلام مستغانمي- عناصر التأنق والبراعة في التعبير أنموذجاً:

تتجلى بلاغة التعبير في استهلالات أحلام مستغانمي على مستوى العمل الروائي ككل، وعلى مستوى فصول الرواية، والمقاطع، والفقرات، حيث تتخذ الاستهلالات في أعمالها نمطاً يكشف عن خصوصية متفردة، لا سيما وأن الكاتبة تعتمد أساليب الإنشاء والبيان بشكل أساسي في تكوين افتتاحياتها، وهي مع ذلك لا تفتقد الطابع البديعي من حيث اختيار المفردة ووضعها في سياق ما، والتعامل معها في سياق آخر، على نحو يُظهر براعة التعبير لديها، فالبداية تأتي من عمق الذاكرة في (ذاكرة الجسد)، بمقولة استطاعت أن تصمد في وجه النسيان مذ قيلت ذات يوم، وحافظت على ذلك المعنى الواقعي الصادق بالنسبة للذات الساردة حتى الزمن الحاضر:

"ما زلت أذكر قولك ذات يوم:

الحب هو ما حدث بيننا، والأدب هو كل ما لم يحدث" (ذاكرة الجسد، 1993: 7).

إن التقابل الذي ترسمه وتحدد معالمه العبارة السابقة بين (الحب والأدب)، ليس تقابلاً هشاً غير ذي معنى بالنسبة لما سيكون عليه موضوع أحداث الرواية، وخيط مسارها حتى النهاية، بل هو تقابل جوهري، يحكي ارتباطاً وظيفياً بين ما هو شعوري خالص (الحب)، وما هو فعل محسوس (الأدب)، في حين تكمن المفارقة البلاغية التي ترسمها العبارة في تقرير ما حدث وما لم يحدث.

في (فوضى الحواس) تختزل أحلام مستغانمي فعل البدء والاستهلال بالعبارة الصريحة والمباشرة التي تحمل معنى البداية، لتعطي انطباعاً تالياً بأن هاجساً ما ناتجاً عن تجربة سابقة لابد من البدء من عنده:

"بدءً

عكس الناس، كان يريد أن يختبر بها الإخلاص. أن يجرب معها متعة الوفاء عن جوع، أن يربي حباً وسط ألغام الحواس" (فوضى الحواس،1997: 1).

تنطوي هذه البداية على جرس موسيقي تؤدي موسيقاه مقطوعة متتالية من العبارات والجمل المنفردة والمستقلة، تنتهي بحرفي قافية متجانسان صوتياً هما (س، ص)؛ إنها الموسيقى التعبيرية التي يدركها القارئ ناعمة دون افتعال أو تكلف، كما في الألفاظ التي وردت في نهايات الفقرات الثلاث: (الناس، الإخلاص، الحواس).

يتخذ الأمر نمطاً جديداً مغايراً في (عابر سرير، 2003)، لكنه يحافظ على ذلك القوام الموسيقي والبناء الانشائي والتعبير البياني في مزيج متكامل:

"كنا مساء اللهفة الأولى، عاشقين في ضيافة المطر، رتبت لهما المصادفة موعداً خارج المدن العربية للخوف" (عابر سرير،2003: 2).

في هذا الاستهلال تتضح البراعات الثلاث: البدء، الانتقال، الاختتام، وهي معطيات بديعية تتضمن رتلاً بلاغياً واحداً في نسقها الكلي، أما على مستوى الجزئيات فنجد ذلك الترنيم الموسيقي والإيقاعي الذي يقوم به حرف (ف) في (اللهفة، ضيافة، المصادفة، للخوف)، وكل ذلك في متوالية تعبيرية تضج بالاستعارات الفعالة التي تحشد ذهن المتلقي صوب معانيها الخفية: (مساء اللهفة، في ضيافة المطر، رتبت لهما المصادفة، المدن العربية للخوف).

لقد أحكمت الكاتبة مواضعَ التأنق في استهلالها لكل رواية من الروايات الثلاث، بتوثيق عرى علاقات لا يمكن تجاوزها، فجاء التوافق جلياً بين بدء الكلام في الافتتاحيات الثلاث من جهة، وبين خواتمه سواء من ناحية التركيب أم الدلالة وذلك من جهة أخرى، ولولا وجود هذه العلاقات المشتركة لاستحالت تلك المظاهر البديعية إلى صيغ اعتباطية متكلفة لا جدوى من وجودها أو عدمه.

كان السارد (الكاتبة) في السياق الأول قد أنهى حديثه الذي خاطب فيه مدينة قسنطينة الجزائرية، وفي انتقاله سلسة وبارعة، بدأ خطاباً آخر موجهاً للمرأة التي شكلت على طول الرواية هاجسه العاطفي، حيث لا يستعصي النص على القارئ أو يعطيه شعورا بأن ثمة فجوة سردية قد حدثت، فالصيغة الخطابية ظلت هي نفسها، ولكن مع تغير وجهة الخطاب والمخاطب، وذلك كله في نسق كان فيه

السارد يستدر الأحداث والأفكار والصور من الذاكرة، الذاكرة التي تمثل بالأساس جوهر النص الروائي كله.

ونجد من أمثلة حسن الانتقال في رواية (ذاكرة الجسد، 1993) أيضا قولها:

"ولكن كان هناك شيء ما في هذا الزواج، يرفض أن يدخل عقلي وأقتنع به." (ذاكرة الجسد، 1993: 350)

ثم جاء في بداية الفصل التالي (الخامس) قولها:

"لعرسك لبست بدلتي السوداء.

مدهش هذا اللون، يمكن أن يلبس للأفراح .. وللمآتم!" (ذاكرة الجسد، 1993: 351)

ختمت الكاتبة الفصل الثاني بحدثيها عن عرس وزواج بنت أخ سي الشريف من رجل الدولة، وكان هذا الزواج لا يعجب البطلة؛ لأنه في نظرها زواج من رجل سارق وناهب لأملاك الدولة كما أشارت بذلك في صفحات الرواية. ثم نرى أن الفصل التالي جاء تتمة لما انتهت به في الفصل الرابع، فهو حديث عن اللون الذي اختارته البطلة في يوم الزواج وهو اللون الأسود، الذي له دلالات كثيرة منها: الفرح، والحزن وغيرهما، وهنا دلالة اللون أشار الصدمة والتعجب من هذا الزواج. على كل حال فإن ما يعنينا أننا وجدنا هذا الارتباط بين حلقات الرواية في الفصلين الرابع والخامس متشابكتين في خيط واحد، يعبران عن فكرة واضحة وموضوع متناسق في عرض الأفكار وبيانها في صفحات الرواية.

ومن رواية (فوضى الحواس، 1993) يمكن أن نستخرج عددا من الأمثلة على حسن الانتقال والتخلص بين فصول الرواية، مثال ذلك قولها:

"وهو.. لماذا تراه اختار الأسود؟

أم ليأتي مطابقاً للون جئته فيه مصادفة. واختارته لي الحياة بنية التضليل، كي أعطيه إشعاراً كاذباً.. بأنني "هي"؟!

****

عشرة أيام من الترقب الصامت.

حاولت خلالها أن أتجاهل أنني أنتظر شيئاً. ولكنني لم أستطع أن أفعل غير ذلك" (فوضى الحواس، 1993: 54).

ينطوي هذا النص الانتقالي على العديد من العناصر البلاغية التي جاءت منتقاة بعناية، ولكن دون مبالغة أو اغتيال لعفوية السرد وتلقائيته؛ إذ أنهت الكاتبة مقطعها الأول بتوظيف لمَّاح لعنصر الاستفهام والتساؤل، مع دفعة استعارية (للون جئته فيه مصادفة)، ليبقى النص محافظاً على واقعيته صورة ودلالة، من خلال اعتماد الكاتبة نمط السرد المتعالي بلغة معيارية، جاءت متناسقة مع عنصر

الحدث وديناميته الانفعالية والشعورية التي يطغى عليها عنصر التفكر والتأمل في فحوى السؤال وارتباطاته بواقعية الحدث، لتبدو البداية الجديدة وكأنها سفر نحو الأجوبة أو توطئة لها، فما بعد السؤال ليس إلا (عشرة أيام من الترقب الصامت)؛ ففي هذا الانتقال نأت الكاتبة عن اللغة الشعرية، دون أن تخدش سطح نصها أو تفقده تماسكه.

ومثال آخر على حسن الانتقال من رواية (عابر سرير، 2003)، قولها في نهاية الفصل السابع:

"هيا زيان، انتهى الآن كل شيء فارقص، عندما ترقص كما عندما تموت تصبح سيد العالم، ارقص كي تسخر من المقابر.

تدبر رجلين لرقصتك الأخيرة، وتعال دون حذاء.

في الرقص كما في الموت لا نحتاج إلى أحذية." (عابر سرير، 2003: 282)

وقد انتقلت الكاتبة أو البطلة في الفصل التالي (الثامن) بقولها:

الموت يضع ترتيبا في القرابات.

برغم تلك العشرة، تعود فرانسواز غريبة، فموعدها الأخير مع زيان في المستشفى، بعدها أقلتني إلى المطار بسيارتها، ودعتني بمودة لم تكن يوما حبا، ومضت لأصبح، أنا الموجود في حياته مصادفة، كل أهله. (عابر سرير،2003: 283)

كان هذا الانتقال مترابطا ومتناسقا تحيوط متشابكة تمثل لوحة فنية بديعة، ترسمها الكاتبة بصورة الاجتماع بين زيَّان وفرانسواز، وما ترتب على ذلك من تراقص القلوب وتعاطفها مع بعضها البعض، كقصة حب بين شخصين رسمتا صورة نمطية تبدأ بالحب والمودة والغزل وتنتهي بالفراق والألم، كما هو الموت المفرق والقاطع لكل وصل، إذ هو الحد الذي تنتهي عنده كل أمانٍ وكل ذكريات. إذا نرى أن الانتقال من نهاية الفصل السابع إلى الفصل الثامن كان انتقالا سلسا لا يشعر فيه القارئ بابتعاده عن الفكرة الأولى أو المعنى الأول في الفصل السابع، كما لا يشعر بفجوة بينهما، فالفكرة واحدة والخيط متصل ومتلائم.

أما حسن الختام ففي نهايات الروايات الثلاث، تكرر أحلام مستغانمي نفسها مرتين، فالنهاية في (ذاكرة الجسد، 1993) تكاد تكون النهاية نفسها في (فوضى الحواس، 1997) من حيث الدلالة والصورة الكلية:

"ولكنني أصمت.. وأجمع مسودات هذا الكتاب المبعثرة في حقيبة، رؤوس أقلام.. ورؤوس أحلام" (ذاكرة الجسد، 1993: 327).

"فارداً دفاتره وأقلامه.. يتجه نحوي.. يضع حمولته من الدفاتر الجديدة.." (فوضى الحواس، 1997: 216).

فالتكرار أفقد نهاية العمل الثاني جدته وإبداعيته، إذ بدا وكأنه محاكاة أو مماثلة سردية لتجربة الرواية السابقة.

والحقيقة أن أحلام مستغانمي فقدت الكثير من فرادتها وبراعتها الفنية والبلاغية في (فوضى الحواس، 1997) نتيجة الإغراق الذي مارسته في الشعرية من جهة، والتكرارات والمماثلات التي سكبتها فيها من وعاء (ذاكرة الجسد، 1993) من جهة أخرى، وهو ما أدركته وتلافته إلى حد كبير في (عابر سرير،2003).

وفي النهاية يمكن القول: إن أحلام مستغانمي قد وظفت واستخدمت في أعمالها الروائية الثلاثة (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير) معظم العناصر والأساليب البلاغية المتعارف عليها في فنون البلاغة العربية، وإن دراسة وبحث هذه العناصر في الخطاب الروائي المعاصر يظل أمراً ممكناً، فقد ساهمت هذه العناصر في إكساب العمل الروائي بلاغته القيمة على مستويات عدة، تدرجت من مستوى اللفظ والمفردة إلى مستوى النص الروائي ككل، وإن البلاغة العربية تتسم بالمرونة والقابلية الشديدة لاستيعاب مفاهيم وعناصر الأسلوبية الحديثة والمعاصرة، بل ولعلها سبقتها في كثير من جوانب الدرس النقدي المعاصر.

ثانيا: العناصر البلاغية عند لويس إردريك:

اشتهرت أعمال لويس إردريك بلغتها القوية وعباراتها ومفرداتها الخيالية، وقدرتها الفائقة على تشكيل عوالمها الروائية من القصص المتقطعة، واستخدامها الغامض للسحر والقوى الخارقة التي تشكل معتقدات الديانة القديمة لقبائل الـ (أوجيبو) (Caleb Tankersley, 2016)؛ إذ تسعى من خلال رواياتها وأعمالها القصصية إلى استكشاف أسرار الدين والثقافة والروابط الأسرية؛ فغالباً ما تدور أحداث وروياتها في المساحات المفتوحة في ولاية داكوتا الشمالية، موطن جماعتها المحلية (التشيبوا- الأوجيبو) (Chippewa - Ojibwa)- إحدى فصائل الهنود الحمر- ساعية إلى إحياء الهوية الثقافية للجماعات الأصلية في أمريكا الشمالية.

1. بلاغة المعاني عند لويس إردريك – عنصر الاستفهام أنموذجا:

في الجزء الثاني من رواية (The Antelope Wife) والذي جعلته الكاتبة بعنوان (Neej)، ويبدأ بنفس فكرة الحرز، وهي الفكرة العامة للاستفهام التي وظفتها إردريك للحفاظ على وحدة وتماسك النص الروائي:

"The blue beads are colored with fish blood, the reds with powdered heart. The beads collect in borders of mercy. The yellows are dyed with the ocher of silence. There is no telling which twin will fall asleep first, allowing the other's

colors to dominate, for how long. The design grows, the overlay deepens. The beaders have no other order at the heart of their being. Do you know that the beads are sewn onto the fabric of the earth with endless strands of human muscle, human sinew, human hair?" (The Antelope Wife, 1998: 73).

"تلون الخرزات الزرقاء بدم الأسماك، والأحمر مع قلب المسحوق. تتجمع الخرزات على حدود الرحمة. وقد صُبغت الصفراء بمغرة الصمت. ولا يوجد أي دليل على أي توأم سوف ينام أولاً، مما يسمح للألوان الأخرى كم من الوقت، ينمو التصميم، تتعمق التراكيب، ولا يملك المخرزون أي ترتيب آخر في عمق كيانهم، هل تعلم أن الخرز مخيط على نسيج الأرض مع خيوط لا نهاية لها من العضلات البشرية شعر الانسان؟".

هنا، تستخدم إردريك لغتها الممزوجة بثقافتها المحلية ومعتقداتها، عبر سلسلة من الاستعارات الفرعية ضمن الاستعارة المركزية الكبرى التي حملها مضمون الرواية، والمتمثلة بالخرز، في الوقت الذي نجد لها ما يقابل الاستفهام في المعاني من البلاغة العربية، عندما تتساءل متعجبة ومستنكرة: "هل تعلم أن الخرز مخيط على نسيج الأرض مع خيوط لا نهاية لها من العضلات البشرية شعر الإنسان؟!".

"Years later, during a Christmas dinner, Mary's andZosie's granddaughter Cally inquires about Augustus Roy: "He disappeared, foul play, but the body was never discovered. What did you do? Boil him? Eat him? Grind up his bones to sprinkle on your rhubarb plants? What? Who took the first bite?" and Mary answers: "He did" (The Antelope Wife،1998: 212)

" بعد سنوات، خلال عشاء عيد الميلاد، استفسرت حفيدة ماري وزوزي عن أوجستس روي: "لقد اختفي، مسرحية غبية، لكن لم يتم اكتشاف الجسد أبدًا. ماذا فعلت؟ غليه؟ أكله؟ طحن عظامه وللرش على النباتات نباتات راوند الخاصة بك؟ ماذا؟ من أخذ اللقمة الأولى؟ " وأجابت ماري: "لقد فعل" (زوجة الظبي، 1998: 212).

ومن خلال هذا الأسلوب، الاستفهام أعلاه يبدو هذا فكرة موت اغستس قد حيرت فكر ماري وبـادرت إلـى طرح عدة أسئلة استفهامية قصيرة مقطعـة متسـائلة كمـا وردت "ماذا فعلت؟ غليه؟ أكله؟ طحن عظامه وللرش على النباتات نباتات راوند الخاصة بك؟ ماذا؟ من أخذ اللقمة الأولى؟" لتصـوير الموقف بـأدق تفاصيله، وهذه الأسئلة بعضها استفساري وفي الآخر تقريري، وهي أسئلة ليست لها إجابات. لأن في الإجابة تصل إلى نهاية القصة، لذا جاءت صيغ الاستفهام خيالاً يشوبه بعض الحقائق المخفية التي تحتاج إلى عمق التفكير في الكشف عن الجواب، فنجد ما يصيب القارئ الذي

عندما يقرأ تلك الأسئلة التي توحي بشيء التشاؤم الذي أعرب عنه لويس إردريك صورة وحشية بلاشفقة والذي تمزجه إردريك من مفردات وعبارات من لغتها وثقافتها ومعتقداتها القديمة.

وهكذا، تكتمل اللوحة البلاغية للسرد الذي مارسته إردريك واستخدمت فيه التصوير المادي المحسوس، المليء بالألوان والخرز والريشات، في لوحة استفهامية شاملة لكل مضمون الرواية، أي بلاغة التعبير في النص الروائي لا تتوقف عند حدود المفردات والجمل، بقدر ما تتجاوزها إلى مستوى النص الروائي بأكمله؛ فهل نحن في أيدي كيانات أقوى منا، ولم يعد من الممكن لنا أن نصوغ مصيرنا مهما حاولنا؟- حاولت إردريك أن تقدم إجابة بأنه ربما يكون لدينا القدرة على تغيير مسار حياتنا، إذا تصرفنا بشكل إيجابي في اللحظات الحاسمة، مثلما فعل (Almost Soup) عندما كان على وشك فقدان حياته.

2. بلاغة البيان عند لويس إردريك – عنصر الاستعارة أنموذجا:

في روايتها (Antslope Wife,1998) (زوجة الظبي) تستخدم إردريك مجموعة واسعة من الأساليب السردية: وجهات نظر سردية متعددة، حكايات متعددة، استراتيجية نسج القصص معًا بالإضافة إلى رواة متعددين، ويتضمن السرد إيقاعات شعرية بالإضافة إلى صور معقولة حيث يهدف الشعر إلى توصيل النص المكتوب إلى التقاليد القبلية الشفوية عند الأجيبو، وبالتالي يتحول قراءها إلى نوع من المستمعين. إذ تستخدم الاستعارة كثيرًا، وأبرزها الاستعارات المجازية للخرز والحياكة، ومختلف الألوان الملصقة والممزوجة، والتي تشاكل الأنماط الملونة المصبوغة على ريشات الأجيبو. فالحرفة المعقدة لخرز الأمريكيين الأصليين هي الاستعارة المركزية التي ترتكز عليها إردريك على رواياتها المتعددة المتشابكة:

"Everything is all knotted up in a tangle. Pull one string of this family and the whole web will tremble" (The Antelope Wife,1998: 239).

"كل شيء معقود بشكل متشابك. اسحب سلسلة واحدة من هذه العائلة وسوف ترتعش كل الشبكة".

فالأسرة - سواء المباشرة أم الموروثة- عبارة عن رابطة شد تربط بين شخصيات الرواية، مثل حبل المشنقة نخط للحياة.

تتألف رواية (زوجة الظبي) (The Antelope Wife) من أربعة أجزاء مختلفة، كل جزء يبدأ بنفس الفكرة المتكررة، إذ يبدأ كل جزء بمقدمة قصيرة تعمل كموصل، مما يتيح الوصول إلى الحكايات التي يتم إخبارها في كل جزء بسلاسة واتساق، فالجزء الأول وهو بعنوان (Bayzhig)، بالنص الآتي:

"EVER SINCE THE BEGINNING these twins are sewing. One sews with light and one with dark. The first twin's beads are cut-glass whites and pales, and the other twin's beads are glittering deep red and blue-black indigo. One twin

uses an awl made of an otter's sharpened penis bone, the other uses that of a bear. They sew with a single sinew thread, in, out، fast and furious, each trying to set one more bead into the pattern than her sister, each trying to upset the balance of the world" (Antelope Wife,1998: 1).

"وقبل أي وقت مضى، هذه التوائم تعمل في الخياطة. واحدة تخيط مع الضوء وواحدة مع الظلام. حبات التوأم الأولى هي بياض زجاجي وقشور، وحبات التوأم الأخرى متلألئة بلون نيلي أحمر وأزرق أسود. (...) كن يخيطن خيطاً منفصلاً واحداً في الداخل والخارج سريعًا وبشكل غاضب، تحاول كل واحدة منهن أن تضع حبة أخرى في النمط أكثر من أختها، كل واحدة منهن تحاول إفساد توازن العالم".

وبالتالي، فإن المرأة هي من تقرر أهم الأشياء في الحياة وتنسج نمط وجودها. ففي (زوجة الظبي) تصور إردريك قوة المرأة في تحدي تقاليد السلطة الذكورية "(Stookey,1999) بالإضافة إلى ذلك، فالنساء الأمريكيات الأصليات في الرواية لهن القدرة على التواصل مع الطبيعة وقواها- القدرات الخارقة، وإجراء واجبات خاصة في دائرة المجتمع، وقويات بما فيه الكفاية ليقولن "لا" لتأثيرات مختلفة. أخيرا، يعهد للمرأة القدرة على خلق نمط من العالم من خلال إعطاء الحياة لكليهما، رجال ونساء. فرواية إردريك تظل ذات طابع أسطوري، يظهرن فيها النساء باعتبارهن "أبطال الثقافة المحلية" وممثلات للقوى الإيجابية الأخرى.(Ana Primorac, 2014)

يسعى بطل الرواية (جو)-الطفل ذو الثلاثة عشر عاماً الذي اغتصبت والدته- إلى طلب العدالة عبر سنوات طويلة حتى تمكن من أن يصبح مدعياً عاماً، وفي رحلته الطويلة يواجه الكثير من المحن والمواقف الصعبة التي يصنعها الآخرون البيض بوحشية معه، والتي تكشف عن الحد الأدنى مما عاشه أسلافه في الماضي، فما يجري اليوم، ليس إلا (Maria Russooct, 2012):

"The gut kick of our history, which I was bracing to absorb"

"ركلة في الأمعاء في تاريخنا، كنت أستعد لامتصاصها".

ترسم إردريك باللغة معالم "الهوية التي تتسم بقدر هائل من التعقيد، وهو التعقيد الذي تمكنت من الكشف عنه من خلال الاستخدام المكثف للأدوات والتقنيات البيانية والبلاغية، حيث يصبح الصوت تعبيراً مستمراً عن الهوية المفقودة في غياهب الماضي، لتصبح موضوع الذاكرة وثيمتها؛ إلا أن تلك (الأصوات تخلفت عن الركب) (The Sounds are left behind)، وأي وجود لها فهو في موضع الحجز، وجود مقيد يفتقد ذاته وحريته والقدرة على تعريف نفسه. (Robyn Drury, 2013)

وظفت الاستعارات البلاغية في تصوير انتهاك الجسد الأنثوي وغزو المنزل المستدير كمساحة مقدسة للمجتمع المحلي، في إطار استجواب الخطاب العنصري والاستعماري، والكشف عن الدوافع والرغبات الاستعمارية التي تنزع إلى تدمير كل شيء في غير مماثل لها في سعي حثيث لاقتلاع الهويات الأصلية. (Aleksandra Izgarjan, 2014).

3. بلاغة البديع لدى لويس إردريك- عنصر التأنق والبراعة في التعبير أنموذجاً:

في افتتاحية الجزء الثالث من رواية (The Antelope Wife,1998) أيضاً، وهو بعنوان (Niswey).

"SOUNDING FEATHER, GREAT GRANDMA of first Shawano, dyed her quills blue and green in a mixture of her own piss boiled with shavings of copper. No dye came out the same way twice. According to her contribution, always different. The final color resulted from what she ate, drank, what she did for sex, and what she said to her mother or her child the day before" (The Antelope Wife,1998: 99).

"سيرة غناء، الجدة الكبيرة من لـ (شوانو) الأولى، والتي صُبغت ريشاتها باللونين الأزرق والأخضر في خليط من تبولها الخاص المغلي مع نشارة النحاس. لا صبغة خرجت بنفس الطريقة مرتين (...)، وقد نتج اللون الأخير عما أكلته، وشربته، وما فعلته من أجل الجنس، وماذا قالت لأمها أو لطفلها في اليوم السابق".

وهكذا، فإن الفوارق الدقيقة في الألوان التي لا تعد ولا تحصى على ريش الأجيبو، تمثل الأنماط المتعددة الألوان للثقافة والوجود للأمريكيين الأصليين، حيث تستكمل لويس إردريك هذه الفكرة بتكرارها مرة أخرى في بدايات أجزاء الرواية، الأمر الذي نلتمسه في بداية الجزء الرابع، والتي شكلت ذروة الاستعارة المركزية التي حملتها الرواية:

"THE RED BEADS WERE HARD to get and expensive، because their clear cranberry depth was attained only by the addition, to the liquid glass, of twenty-four-carat gold. Because she had to have them in the center of her design, the second twin gambled، lost, grew desperate, bet everything. At last, even the blankets of her children" (The Antelope Wife, 1998:183).

"كانت الأحجار الحمراء صعب للحصول عليها وباهظة الثمن، لأن عمقها التوت البري واضح يتم الحصول عليه فقط بالإضافة إلى الزجاج السائل من الذهب عيار 24 قيراط، ولأنها اضطرت إلى

الحصول عليها (لتضعها) في مركز تصميمها، راهنت التوأم الثانية، وخسرت، واصبحت يائسة، وراهنت بكل شيء. وأخيراً، حتى بطانيات أطفالها".

كان للأسلوب الحكيم في الروي اختياراً موفقاً من لويس إردريك التي حاكت به نمط تلقين المعتقدات في ثقافتها المحلية للآخرين، والذي يجعل من القارئ مستمعاً، مما أضفي على جو النص حيوية تواصلية وتفاعلية لا تنفصل عن القيم البلاغية للمفردات والعبارات ضمن لغة السرد، والتي لا تفهم- أي العناصر البلاغية- إلا في إطار الثقافة التي ولدت فيها.

تندرج أعمال لويس إردريك في رأي العديد من النقاد مع تقاليد الواقعية السحرية، من خلال توظيف الرؤى والمعجزات والأحلام والعناصر الخارقة للطبيعة في رواياتها، وغرس شعور غير واقعي بلغتها السردية؛ ومع ذلك فقد استطاعت لويس إردريك أن تحقق الجودة العضوية لنصوصها الروائية من خلال التوظيف البارع والذكي للغة نفسها طوال رواياتها مع الاحتفاظ بذلك الإحساس الرائع المتدفق مع اللغة التي تستخدمها في مزج ما يمكن وصفه بأنه "ثروة من الأساطير" مع المناظر الطبيعية التي تصفها الكاتبة مرتبطة بالثقافة المحلية لقبائل الأوجيبو؛ فكل هذه العناصر على الرغم من التعقيدات الحافلة بها، كانت محط توظيف لغوي بارع لدى إردريك، التي عرفت دائماً كيف تستثمر ذلك كله، دون أن يفقد عملها الروائي تماسكه ووحدته النصية (Caleb Tankersley, 21).

ثالثا: أوجه التشابه والاختلاف في العناصر البلاغية:

نجد من بين الأساليب الإنشائية التي رفعت أسلوب الروائيتين إلى مصاف الجمال والإبداع الاستفهام، فقد كشفت بلاغة الصيغ الاستفهامية عند أحلام مستغانمي الماديات المحسوسة، حيث إنَّ المحسوسات تكون أقرب إلى ذهن المتلقي؛ والسبب أنها تتمحور حول المشهد الحسي فتعطي المخاطب تصوراً واضحاً للفكرة، ولهذا تستدعي أحلام مستغانمي مشاهد حسية لهذا التدرج في طرح الاستفهام، وكما امتازت رواياتها بتنوع الصيغ الاستفهامية دلالاته البلاغية التي تثري القارئ بكمٍ هائلٍ من الأفكار والمعاني الناتجة عن تلك الأسئلة، فطبيعة السؤال الاستفهامي يحدد العلاقة بين فكرة الكاتبة التي تتحدث عنها وقدرة المتلقي في الكشف عن المعنى ودلالته. ولقد عرضت أحلام مستغانمي في رواياتها الكثير من الأسئلة التي تدل على رغبتها في الإفصاح عن تلك الشخصية وطبيعتها وصفاتها ومعالمها، وإبرازها إلى المتلقي.

كما ربطت أحلام مستغانمي الاستفهام في رواياتها بالمكان الذي يعتبر عنصراً أساسيا في بناء الفكرة العامة للرواية، والمكان هو البؤرة التي تتنفس فيها الراوية؛ لأنه مرتبط بهوية الرواية، وظفت الروائية أحلام مستغانمي الاستفهام ليدل على أهمية المكان وترسيخه في ذهن المتلقي تقريرا لا شعوريا، والكشف عن العلاقة الوطيدة للمكان في نفس الكاتب، والتي تطلب من خلاله إلى عكس تلك العلاقة

في نفوس المتلقين. ويسيطر هاجس المكان على طول خط الرواية باعتباره محطة تعرض فيه الراوية بضاعتها وأفكارها وهواجسها.

بينما جاءت صيغ الاستفهام في روايات لويس إدريك لتصوير المواقف في رواياتها، بعضها استفساري وفي الآخر تقريري، لأن في الإجابة تصل إلى نهاية القصة، لذا وظفت الاستفهام على هيئة خيال غامض يحتاج إلى التفكير في الكشف عن الجواب والذي تمزجه لويس إردريك من مفردات وعبارات من لغتها وثقافتها ومعتقداتها القديمة.

وبهذا فقد استعملت أحلام مستغانمي ولويس إردريك تقنياتهما الخاصة لتوظيف الاستفهام، مما جعلت من أسلوبهما الاستفهامي ليس مجرد سؤالاً استفهامياً منطوقا على لسان شخصيات الرواية، ولكن جاءت لتعبر عن حيرة وبعد يكشف عن الذات والمجتمع. بل جعلته يشمل الإنكار والتوبيخ والتهكم والاستهزاء، والتعجب، وقد استخدمتا هذه التقنية لإثارة انفعالات ومشاعر داخلية للمتلقي مما يجعل القارئ مشدوداً لرواياتهما. إلا أن هناك تباينا في كمية الاستفهام حيث أكثرت أحلام مستغانمي من استخدامها بينما قل عند لويس إردريك، ولربما يرجع هذا إلى إن الاستفهام يتمتع بحرية أكثر من حيث العدد في اللغة العربية.

أما بالنسبة لعنصر الاستعارة؛ لقد وظفت أحلام مستغانمي عنصر الاستعارة في رواياتها وربطته بدلالات الخطاب وأبعاده الجمالية التي ارتبطت بالأحداث والشخصيات، فجاءت الاستعارات حاملة لقضايا الوطن والثورة والسياسة والفكر والتاريخ. وكل ذلك في أفق الاستخدام والتوظيف البلاغي للاستعارات المتعددة الصياغات والصور والأنواع والوظائف، والتي استفادت منها الكاتبة في تكثيف واختزال الكثير من الصور والمعاني التي أرادت إيصالها للمتلقي، دون أن تخلل بتقنيات القص بلاغة اللغة التي حرصت على أن تكون هي مادتها الأساسية؛ فكان انحيازها للغة وبلاغتها واضحاً بالقدر الذي تمكنت فيه من الإبقاء على عناصر الرواية حية ويقظة طوال رحلة السرد، وهذا ما برعت به أحلام مستغانمي بالفعل.

استطاعت أحلام مستغانمي أن توظف الجانب الأسطوري، وأن تمزج بين الواقع والخيال لتعطي نصوصها الروائية جمالاً واقعياً وخيالياً في نفس الوقت، وذلك من خلال توظيف الاستعارات والايحاءات على نحو كثيف؛ فجاءت لغتها استعارية حافلة بعنصر التشبيه وهو ما جعل نصوصها الرّوائية تفتح على فضاء رحب من المعاني والدلالات التي لا يمكن حصرها.

بينما استخدمت لويس إدريك الاستعارة كثيرًا، وأبرزها الاستعارات المجازية للخرز والحياكة، ومختلف الألوان الملصقة والممزوجة، والتي تشاكل الأنماط الملونة المصبوغة على ريشات الأجيبو. فالحرفة المعقدة لخرز الأمريكيين الأصليين هي الاستعارة المركزية التي ترتكز عليها لويس إردريك على

رواياتها المتعددة المتشابكة ودهاء بلاغي يجعلنا نتواصل مع الرواية بالصور الذهنية، إذا حفلت النصوص بصور استعارية ذهنية حسية قابلة للتأويل من قبل القارئ والذي بدوره يكون متفاعلا مع مختلف الصور البلاغية البارزة ذات دلالات روائية تثير انتباه المتلقي.

فقد وظفت أحلام مستغانمي ولويس إردريك الاستعارة بدءا من عناوين رواياتهما وتماثلت كلاهما في توظيفها لعنصر الاستعارة بشكل كثيف، ولربما تصح المقولة القائلة "الرواية استعارة كبرى." (وسيمة مزداوت، 23:2012).

ولم تعمد أي منهما في عنونة الروايات إلى تلك الصيغ المعقدة والصيغ المركبة وإنما جاءت عناوين الروايات الثلاث للإشارة إلى الصور والمعاني التي تحملها هذه العناوين بين طياتها من خلال استخدامهما المكثف للأدوات والتقنيات البيانية والبلاغية لتصبح رموزاً تحمل بين جنباتها نهراً من الإيحاءات، فقد استعملت كل من أحلام مستغانمي ولويس إردريك لفظة (الجسد) في إطار استجواب الخطاب العنصري والاستعماري، والكشف عن الدوافع والرغبات الاستعمارية التي تنزع إلى تدمير كل شيء في غير مماثل لها في سعي حثيث لاقتلاع الهويات الأصلية. فجاءت الاستعارة ظاهرة كثيرا في سياق رواياتهما على طولها.

في حين تجلت بلاغة التعبير في استهلالات أحلام مستغانمي ولويس إردريك، حيث ركزت على الحدث والدخول فيه مباشرة، وتحرص على أن القارئ يكتشف الأحداث مبكراً ولتعطيه مزيداً من التشويق اللازم لاستمرار التواصل مع القارئ، في رواياتهما الثلاث يأتي الاستهلال بعد طرح الحدث مباشرة، فضلاً عن ذلك، فقد أحكمت أحلام مستغانمي ولويس إردريك مواضعَ التأنق في استهلالهما لكل رواية من الروايات الثلاث، فجاء التوافق جلياً بين بدء الكلام وبين خواتمه سواء من ناحية التركيب أم الدلالة وذلك من جهة أخرى، ولولا وجود هذه العلاقات المشتركة لاستحالت تلك المظاهر البديعية إلى صيغ اعتباطية متكلفة لا جدوى من وجودها أو عدمها، وفي نهاية الحديث قد أبدعت كلتاهما في استخدم الأساليب البلاغية جميعها.

استخدمت أحلام مستغانمي في رواياتها (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير) ولويس إردريك في رواياتها الثلاث (عقار الحب، زوجة الظبي، البيت المستدير) جميع الفنون البلاغية التي تم اختيارها (الاستفهام، والاستعارة، وبلاغة التعبير) وبرزت قدراتهما البلاغية في توظيف الأساليب في أعمالهما الروائية، وساهمت هذه الفنون في إبراز القيمة الجمالية البلاغية لهذه الأعمال ومضمونها الفكري والإنساني ولا يصعب على القارئ اكتشاف الفكرة الجميلة التي طرحتها نصوصهما الروائية، والوصول إلى نقطة العمق.

الخاتمة

استطاعت الدراسة أن تقدم تجربة جديدة في الدراسة المقارنة للأساليب البلاغية والفنية بين خطابين روائيين ينتميان إلى لغتين مختلفتين، ويقف كل منهما على محكات اجتماعية وتاريخية وثقافية مغايرة ومتباينة تماماً عن محكات الخطاب الآخر، كما فتحت الدراسة لأول مرة في حقل البحوث البلاغية والنقدية العربية نافذة على أعمال الكاتبة الأمريكية لويس إردريك. ويمكن إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليه هذه الدراسة في الآتي:

1- استعملت أحلام مستغانمي تقنياتها الخاصة لتوظيف الاستفهام، مما جعلت من أسلوبها الاستفهامي - ليس مجرد سؤلاً استفهامياً- وإنما جاء ليحدد العلاقة بين فكرة الكاتبة التي تتحدث عنها وقدرة المتلقي في الكشف عن المعنى ودلالته.

2- وظفت أحلام مستغانمي عنصر الاستعارة في رواياتها الثلاث، لتحمل معها الكثير من المفارقات الموضوعية والدلالية، حيث جاءت الاستعارات حاملة لقضايا الوطن والثورة والسياسة والفكر والتاريخ في أفق متعددة الصياغات والصور والأنواع والوظائف التي أرادت إيصالها للمتلقي.

3- تجلت بلاغة التعبير في استهلالات أحلام مستغانمي على مستوى العمل الروائي ككل، وعلى مستوى فصول وأجزاء روايتها، والمقاطع، والفقرات، مع اعتماد الكاتبة استخدام أساليب الإنشاء والبيان بشكل أساسي في تكوين افتتاحياتها، دون أن تفقد طابعها.

4- أبدعت لويس إردريك في توظيف الاستعارات البلاغية التي استدعت الأشياء المادية، وهي تدرك تماماً أنها ومن خلال تقديم صور حسية قابلة للتخييل المادي واللمس ومحاكاتها على أرض الواقع، وإمكانها في النهاية من تقديم صورة شاملة غاية في الأناقة والجمال.

5- لقد وظفت لويس إردريك لغتها السردية بعيداً عن الأدوات البلاغية لترسم ملامح شخصياتها مظهرة أن السرد قادر على إنتاج بلاغة دون البلاغة بمفهومها وأدواتها التقليدية، بينما حصرت توظيفها للبلاغة في الكشف عن المكنون الثقافي والمعتقدات الكامنة وراء النص الروائي.

6- تماثلت الأساليب البلاغية لدى الكاتبتين أحلام مستغانمي ولويس إردريك نتيجة اعتمادهما -على حد سواء- على اللغة الشعرية في أعمالهما، والتي جعلت من ظواهر الاستعارة والتشبيه والكناية من أبرز أوجه التشابه بين الكاتبتين.

7- هناك اختلاف جوهري بين توجه أحلام مستغانمي وتوجه لويس إردريك في تحديد وظيفة الأساليب البلاغية داخل متون النصوص الروائية؛ إذ تبين أن أحلام مستغانمي وظفت العديد من الأساليب البلاغية الجزئية في تشكيل ملامح لغتها الروائية على نحو كثيف، أما غاية لويس إردريك؛ فكانت مختلفة ولم تتجه بالأساس إلى بلاغة اللغة، بقدر أن تكشف عن فكرة بحد ذاتها.

المصادر والمراجع

1. حسينة فلاح. (2009). **الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي:(ذاكرة الجسد- فوضى الحواس- عابر سرير)**، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي-وزو، الجزائر.
2. شوقي بزيع. (2003). **قراءتان مختلفتان في رواية الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي الجديدة.(عابر سرير)- الحياة مجاز والكتابة الروائية هي الواقع الحقيقي**، صحيفة الحياة: العدد (14582).
3. غرسة لبقع.(2012). **آليات اشتغال الاستعارة في الخطاب الروائي- ثلاثية أحلام مستغانمي أنموذجاً**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة زيان عاشور- بالجلفة، الجزائر.
4. فاطمة مختاري. (2014). **الكتابة النسائية أسئلة الاختلاف وعلامات التحول- مقاربة تحليلية في خصوصية الخطاب الروائي النسائي العربي المعاصر**، أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
5. مستغانمي، أحلام. (1993). **ذاكرة الجسد**. بيروت – لبنان: دار الآداب.
6. مستغانمي، أحلام. (2003).**عابر سرير**. الطبعة الثانية. بيروت – لبنان: منشورات أحلام مستغانمي.
7. مستغانمي، أحلام. (2007). **فوضى الحواس**. الطبعة السادسة عشر. بيروت-لبنان: دار الآداب.
نادية ويدير. (2012). **اللّغة والقارئ النموذجي في رواية ذاكرة الجسد**، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية، الصفحات 212- 226
8. نبيل راغب. (2003). **عناصر البلاغة الأدبية**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
9. وسيمة مزداوت. (2012). **الاستعارة الروائية- دراسة في بلاغة السرد**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر.

المراجع الأجنبية

1. Aleksandra Izgarjan.(2014). Signs of the times in Louis Erdrich's novel the round house: Knjizevna Smotra.
2. Ana Primorac. (2014). Love, Family, and Women's Roles in Louise Erdrich's novels. Four Souls and The Antelope Wife, Master Degree. Thesis Submitted To University of Osijek.
3. Caleb Tankersley. (2016). Magical Resistance: Louise Erdrich's Use of Magic Realism in Tracks and The Plague of Doves, Native American Symposium, Thesis Submitted To Southeastern Oklahoma State University.
4. Louise Erdrich. (1998). *The Antelope Wife*. New York: Harper Perennial.

5. Lorena L. Stookey .(1999). Louise Erdrich: A Critical Companion, Westport, Conn; Greenwood Press: Santa Barbara California.

6. Robyn Drury (2013). The peculiar geography evoked in The Round House is one that Louise Erdrich.

الحجاج والبلاغة الحجاجية - بحث في الوشائج

Argumentation and the argumentative rhetoric - Search for the links

الأستاذ الدكتور: عبد الجليل العشراوي
ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة القاضي عياض ـ مراكش ـ المغرب
E-mail : jaliloo@hotmail.com

ملخص المقال:

ارتبطت البلاغة عند المفكرين الأوائل أمثال أفلاطون وأرسطو وشيشرون بفن الإقناع، وإلى ذلك عاد علماء الحجاج أمثال شايم بيرلمان وألبيريشت تيتيكا وأوليفي روبول من أجل بلورة "بلاغة جديدة"، وشكل ذلك مرجعية وإطارا نظريا ومنهجيا صاغ في ضوئها علماء الحجاج أنموذجا بلاغيا جديدا هو "البلاغة الحجاجية"

ونجد صدى لذلك في السياق العربي؛ حيث انبرى ثلة من البلاغيين الجدد أمثال حمادي صمود ومحمد العمري وعبد الله صولة إلى انتشال البلاغة من الاختزال الذي تعرضت له فانحصرت في اعتبارها نظرية للصياغة تطغى عليها المقصدية التعليمية، وجعلها "علما عصريا" يصل بين البنيات الحجاجية والبنيات الأسلوبية، ما يمكن معه الجزم بالتفاعل القائم بين مكون الحجاج، والذي هدفه الظفر بالإقناع، والمباحث البلاغية بيانا ومعاني وبديعا بوصفها إطارا لإغنائه.

فكيف يمكن رصد هذه الصلات والوشائج؟

وكيف تشتغل البلاغة حجاجيا؟

الكلمات المفاتيح: البلاغة ـ الحجاج ـ البلاغة الحجاجية ـ الإقناع ـ نظرية المساءلة

Abstract

The rhetoric of early thinkers such as Plato, Aristotle, and Cicero was associated with the art of persuasion, and to that, pilgrim scholars such as Chaim Perelman, Albrecht Titika and Olivier Ruebul returned to crystallize a "new rhetoric", and this constituted a reference and a theoretical and methodological framework in the light of which the pilgrim scholars formulated a new rhetorical model, "Rhetoric".

We find an echo of this in the Arab context; A group of new rhetoricians, such as Hammadi Samoud, Muhammad Al-Omari and Abdullah Solah, sought to extricate rhetoric from the reduction it was subjected to, so it was confined to considering it a theory of formulation dominated by educational intent, and making it a “modern science” that connects argumentative and stylistic structures, with which interaction can be asserted. Existing between the component of Hajjaj, whose goal is to gain persuasion, and the rhetorical investigations with a statement, meanings and innovation as a framework to enrich it.

How can these links and ties be monitored ?

How does rhetoric work as an argumentation ?

Key words : Rhetoric - argumentation - argumentative rhetoric - persuasion - accountability theory

مقدمة:

تنطوي البلاغة على طاقة إبلاغية هائلة، وتحوي في داخلها آليات تنفذ إلى عمق الإنسان، عقله وعاطفته، فتحرك فيه نوازع الاندفاع والتراجع، والتريث والتسرع، والقبول والرفض، وغيرها من المواقف والاستجابات.

كما تؤمّن البلاغة قدرا مهما من الشحنات ذات القوة التأثيرية على المتلقي، قارئا كان أو مستمعا، فتجعله يقتنع ويساير رأي المقنع له إذا ما كان توظيف الأساليب البلاغية في محلها وكان المحاج على دراية تامة بأسرارها ومفاتيح ولوج عالمها.

وفي بحثي هذا، أتناول أولا توضيح ماهية البلاغة من الناحية اللغوية والاصطلاحية وأحدد عناصرها، ثم أبسط الغاية والغرض من المحاج؛ لأطرح السؤال عن العلاقة بين البلاغة والمحاج، وأجيب عن ذلك بعرض أهم التوظيفات البلاغية في المحاج باعتبارها خادمة له ومبلغة لمقصده، كما أعرض لتصور ميشال مايير حول علاقة البلاغة بالمحاج من خلال "نظرية المساءلة "، وأختم بحثي بخاتمة مقتضبة مجملة لأهم الخلاصات.

1. ماهية البلاغة:

1-1- في اللغة:

أصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته.

نقول لغة: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، إذا وصل وانتهى إلى غايته.

ونقول: أبلغت الشيء إبلاغا وبلاغا، وبلّغته تبليغا، إذا أوصلته إلى غايته (منظور، صفحة 419).

والرجل البليغ هو من كان **فصيحا** (الكلام الفصيح ما سلم من التلعثم والتلكؤ) حسن الكلام يبلغ بعبارة لسانه غاية المعاني التي في نفسه، مما يريد التعبير عنه وتوصيله لمن يريد إبلاغه ما في نفسه.

والأمر البالغ، هو الأمر الذي وصل إلى غايته فكان نافذا.

1-2- في الاصطلاح:

البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى حال من يخاطِب به مع فصاحة مفرداته وجمله.

فيشترط في الكلام البليغ شرطان:

- أن يكون فصيح المفردات والجمل.
- أن يكون مطابقا لمقتضى حال من يخاطِب به.

وبلاغة المتكلم صفة ثابتة مستقرة في ذات المتكلم يستطيع بها تأليف كلام بليغ (حبنكة، 1996، صفحة 129).

يقول السكاكي: " البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها " (السكاكي، 1987، صفحة 196)وإنما هي تحصل بتأليف الكلام ونظمه وإعطائه ما يستحق من إعراب. (العلوي، 1914، الصفحات 166-167) وهو ما يثبت الصفة التركيبية للبلاغة، فلا يوصف اللفظ المفرد بالبلاغة، لأن البلاغة إنما يظهر أثرها، ويبدو رونقها عند التراكيب المخصوصة (العلوي، 1914، صفحة 125)؛ أما وأنها درس وظيفي للغة، فعلى اعتبار أنها تقوم على الأخذ بدور السياق والمقام في صياغة البنية اللغوية، وتربط بينهما ربطا، وهنا تبرز سمتها الوظيفية، بحيث يعتقد البلاغيون أن خصائص البنية تعكس وظيفة التبليغ المرتبطة بالمقام.

وعموما فالبلاغة لا تدرس البنيات من حيث هي كذلك، وإنما تدرسها في علاقتها بوظائفها المقامية. (هنوش، 2016، صفحة 77)

وقد يبدو الأمر ملتبسا بخصوص الحدود الفاصلة بين النحو والبلاغة، غير أن علماء البلاغة والنحو انبروا للمسألة وفصلوا القول فيها، فابن الأثير يرى أن البلاغي والنحوي " يشتركان في ان النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة. والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة... وذلك أمر وراء النحو والإعراب." (الأثير، صفحة 37)

1-3- عناصر البلاغة:

ترجع البلاغة في أصولها العامة إلى تحقق العناصر الستة الآتية:

- الالتزام بما ثبت في متن اللغة وقواعد النحو والصرف، واختيار الفصيح من المفردات والجمل والقواعد.
- الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد.
- الاحتراز عن التعقيد في أداء المعاني المرادة، سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى.
- انتقاء الكلمات والعبارات الجميلة التي يدرك وقعها في النفس.
- تصيد المعاني الرفيعة، وتقديمها في قوالب لفظية ذات مزية مؤثرة.
- تزيين الكلام بالمحسنات التي تستثير إعجاب المخاطبين وتبث الأنس في النفوس (حبنكة، 1996، الصفحات 131-132).

2. الحجاج والغاية منه:

يمثل الحجاج في الوقت الراهن مبحثا يحظى بوجاهة لا تنكر، ويمارس على كثير من المهتمين في مختلف التخصصات إغراء لا يدافع. ولكونه منطقا للعمل لا منطقا للنظم، موضعا لتفاعل لغوي بين القيم والدلالات فإنه قد شكل انعطافا في مجال علوم اللغة والبلاغة والمنطق.

يواجَه الباحث في الحجاج بصعوبات جمة، لكونه من المفاهيم الملتبسة، وذلك لعدة اعتبارات أهمها (أعراب، 2010، صفحة 30) :

تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها.

- تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها: الخطابة، الخطاب، القضاء، الفلسفة، المنطق، التعليم...
- خضوع الحجاج في دلالته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من ليونة تداولية، وكذلك من تأويلات متجددة، وطواعية استعمالية.

الحجاج لغة من حاج، و " **حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...) وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة (...) والحجة الدليل والبرهان** " (منظور، صفحة 779) وبهذا يكون الحجاج عند ابن منظور مرادفا للجدل أي " **مقابلة الحجة بالحجة** " (منظور، صفحة 779) وما يؤكد ذلك أيضا قوله في مادة (ج د ل) " هو رجل محجاج أي جدل " (منظور، صفحة 571).

والأمر نفسه نجده عند أبي الوليد الباجي الذي عنون كتابه ـ وهو كتاب في علم أصول الفقه ـ بـ " **المنهاج في ترتيب الحجاج** "، وقد وصفه في المقدمة بأنه كتاب في الجدل يقول: " **أما بعد فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن المجادلة عادلين...أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل.**" (الباجي، 1978، صفحة 7). ويذهب الزركشي (ت749هـ) في كتابه " **البرهان في علوم القرآن** "السيوطي (ت911هـ) في كتابه " **الإتقان في علوم القرآن** " المذهب ذاته من أن الجدل والحجاج مترادفان، ويستخدمان في المتن ألفاظ " المحاجة والحجاج والاحتجاج " على أنها ألفاظ مرادفة للفظ الجدل، وتسد مسده (صولة، الحجاج في القرآن، 2007، صفحة 17).

و بالرجوع إلى الأصول اللاتينية للمصطلح، نجد أن كلمة Argument من الفعل اللاتيني Arguere ، وتعني جعل الشيء واضحا و لامعا و ظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي argues ويعني أبيض لامعا (بنور، 2008، صفحة 27).

وفي اللغة الفرنسية (Robert, 1989, p. 535)، تشير لفظة argumentation إلى عدة معان متقاربة، أبرزها:

- استعمال الحجج.

- مجموعة من الحجج تستهدف تحقيق النتيجة ذاتها.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة ما.

ويمكن القول إن فعل الحجاج يقوم على " **الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصاحبة بحجج.**" (أعراب، 2010، صفحة 32)

وفي اعتقاد فولكيي FOUQUIE ـ ففي الحجاج إشارة إلى الشك، لأنه يفترض أن مجال الاتفاق حول موقف معين، ليس واضحا بما فيه الكفاية؛ مما يجعل مجال الحجاج مجالا للشبيه والمعقول والمحتمل الذي ينفلت من كل الضروريات الحسابية؛ إذ أن طبيعة المداولة والحجاج، تتعارض مع الضرورة والبداهة، لأننا لا نحاج ضد البداهة، ولا نتداول حينما يكون الحل ضروريا أو أنه إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع مستمع إلى تبني موقف، اعتمادا على إثباتات أو حجج (طروس، 2005، صفحة 8).

وفي اصطلاح طه عبد الرحمان، يدعى حجاجا " **كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها** " (طه، 2006، صفحة 226)، فالخطاب الحجاجي حسبه قائم على قصد الإفهام، دون إلزام للمخاطب بالدعوى المطروحة.

ومن أبسط التعاريف اللسانية للحجاج كونه " **فعلا لغويا أو عملية لسانية اتصالية الغاية منها الإقناع، الذي يعتمد على وسائل منطقية ولغوية خاصة في غاية الوضوح**" (علوي، 2010، صفحة 270) على أن الفعل الإقناعي أحد أشكال الفعل الإدراكي، وهو يتعلق بمقام التلفظ، ويتجلى في استدعاء المتكلم لكل أنواع الصيغ والطرق التي تهدف إلى أن يكون التواصل فعالا، ويقبل المخاطب التعاقد أو التفاهم التلفظي المقترح (علوي، 2010، صفحة 270).

يبدو من خلال هذا التعريف أن اللغة حمالة لوظيفة حجاجية ذاتيا وجوهريا، وهي وظيفة " **مؤشر لها في بنية اللغة، وفي بنية الجمل والأقوال نفسها، فنحن نجدها في الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية التركيبية والدلالية والتداولية** " (العزاوي، 2007، صفحة 9) .

وباعتبار الحجاج طريقة لعرض الحجج وترتيبها، وكذا مجموع الحجج الناتجة عن ذلكم العرض (أسيداه، 2006، صفحة 123)، ولما كانت وجهته هي المستقبل، كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ويكون ذلك بالتأثير في المخاطب بوساطة الوسائل البلاغية، سواء تعلق الأمر بالحجاج الذي قوامه العقل ويرمي إلى إسكات صوت الهوى، وجعل صوت العقل قوام الاستدلال، أو الحجاج الذي يقصد دغدغة العواطف وإثارة الأهواء استنفارا لإرادة جمهور السامعين.

وهكذا تكون الغاية من الحجاج أن تجعل المخاطبين مذعنين لما يطرح عليهم من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة. (صولة، الحجاج في القرآن، 2007، صفحة 31)

3. البلاغة والحجاج: أية علاقة؟

تعتبر البلاغة المجال المفضل للحجاج (عشير، 2006، صفحة 202)، من هذا المنطلق يمكن ربط الجسور بين البلاغة والحجاج، على اعتبار أن اللغة تخزن ذخرا إبلاغيا ثمينا توفره صيغها النثرية والشعرية العديدة والتي تجنح إلى المبالغة والانفعال، لا لشيء إلا لأنها قررت أن تحفر في دخائلنا ندوبا لا تمحى. فمطلبها الأساس أن تقتحم النفوس، بما تمتلك من عدة نفسية، وتخاطب العقول بما تحويه من معطيات منطقية، والهدف إحداث الخضة المرجوة والمطلوبة، والوصول بذهن السامع إلى الاقتناع المنشود.

يثير البحث في البلاغة العربية إشكالات معرفية ومنهجية عدة، لعل أبرزها الحيرة الاصطلاحية الناجمة عن تداخل مباحث بلاغية رئيسة استبدت بالدرس البلاغي العربي وهي البيان والبديع والفصاحة والبلاغة. ومخطئ من ظن البلاغة من شأن البلاغيين وحدهم، بل هي ظاهرة توزعتها تخصصات عدة، نظر إليها كل منها من زاوية معينة مثل النحو والفقه والأصول والكلام والتفسير.

ويمكن لمتتبع تاريخ البلاغة أن يلحظ أن " البيان " مصطلح ظهر قبل تبلور كلمة " بلاغة " مفهوما جامعا، فقد كان مصطلح " البيان " يشير إلى كل ما يتحقق به التبليغ كما يمكن أن يستفاد من إشارات "ابن خلدون" في الفصل الثاني الذي عقده لـ " علم البيان " من مقدمته، حيث يذكر أن "البيان" شكل الاصطلاح الأكثر شهرة عند المشتغلين بعلوم اللسان العربي، كان يأتي عندهم على رأس اللائحة المصطلحية التي تضم أصناف هذا العلم. (خلدون، 2004، صفحة 373) ويعزز هذا الطرح ما أكده ضياء الدين بن الأثير بقوله: "...وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسال عن أحوالهما اللفظية و المعنوية." (الأثير، صفحة 37)

إن لفظة " بيان " لم تكن متميزة عن غيرها من ألفاظ العربية قبل القرن الهجري الثالث، لكن إعمال الجاحظ لها في كتابه " البيان والتبيين " سيرفعها إلى مستوى " المفهوم " ليتحول البيان عنده إلى مصطلح معني أساسا بالتبليغ وكشف المعنى للقارئ أو السامع بغرض إفهامه و إقناعه، يقول: " البيان

اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل و السامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع." (الجاحظ، 2005، صفحة 56) فالبيان عند الجاحظ لفظ جامع تندرج تحته " جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ... أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة." (الجاحظ، 2005، صفحة 57)

إن ما يعني الجاحظ من هذا كله فعالية الخطاب ونجاعته وليس فنيته وجماله، فقد كان متكلما صاحب مقالة ورئيس نحلة، لذلك نظر في الجوانب الاستدلالية في العملية البيانية، أي قدرة الخطاب على التأثير في السامع لتعديل موقفه أو تغييره أو إنشاء اعتقاد لديه، وبهذا يكون الجاحظ المنظر الأول لمقومات الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، فالمعنى عنده " ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال." (الجاحظ، 2005، صفحة 91)

ونجده يقرن الخطاب بوظيفته الأساس وهي الفهم والإفهام فـ " كلما كان اللسان أبين كان أحمد، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل." (الجاحظ، 2005، صفحة 14) المهم إذا عنده " كيف يكون الخطاب ناجعا " (العمري، 2012، صفحة 39) وذاك مدار البلاغة الجاحظية.

إن تنزيل الجاحظ البلاغة هذه المنزلة الوظيفية دفعت به إلى استدعاء عناصر خارجة عن النص، ومنحها صفة الشرطية لإيقاع التأثير المرجو وتحقيق المقاصد المتوخاة؛ إذ البيان حسبه " يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف..." (الجاحظ، 2005، صفحة 16) لأن " البيان بصر والعي عمى." (الجاحظ، 2005، صفحة 57)

لقد عاشت البلاغة بعد الجاحظ محنة بسبب محاولة الفصل بين جناحيها الأساسين: التداول والتخييل، ما جعل هذا العلم العتيق يعاني حالة من الانشطار والاختزال، تم بموجبهما التمييز بين مفهومين اثنين:

أ- البلاغة الضيقة المستندة إلى مرتكزات تقنينية تصنف المباحث البلاغة إلى أبواب معروفة، وتضغطها في قواعد معلومة يقتصر دورها على مد المتكلم بعناصر الزينة التي تمكن من تنميق الخطاب وتحسين الكلام.

ب- البلاغة الرحبة المنفتحة على الخطاب الطبيعي بما هو تحقق إنساني، حيث تغدو البلاغة منهجا أو تقنية بوسعها استيعاب مختلف السياقات التي يقتضيها استعمال الكلام، والذي وصفه التوحيدي بقوله: " وأوسع من هذا الفضاء حديث الإنسان." (التوحيدي، 2001، صفحة 216)

فالبلاغة ـ إذن ـ علم كلي تجعل من النفع مبدأ مناولاتها لمختلف أنواع الخطاب، وعلى اختلاف قنوات الاتصال، لأن مباحث البلاغة العربية لا يمكن أن تضمن استمرارها الزمني وامتدادها التاريخي ضمن فضاء البلاغة العالمية، إلا في سياق السؤال البلاغي المبني على الاحتمالات والممكنات القرائية ـ وهي إحدى أسس الحجاج والإقناع ـ لا على التمثلات النمطية والنظرة الاختزالية التي تجعل من البلاغة ضربا من التحسين والزخرفة لا غير.

4. توظيفات البلاغة في الحجاج والإبلاغ:

لما كانت بلاغة الكلام مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها، (الهاشمي، الصفحات 31-32) كان لزاما إخراج الكلام في صورة مخصوصة دون أخرى، وعدول به من صورة إلى صورة أخرى تطابق مقتضى الحال أو الاعتبار المناسب. وهنا يطرح بشكل ضمني مفهوم " المعيار " La norme في مقابل " العدول " L'écart؛ فإذا كان المعيار هو الجملة مجردة وقد اشتملت على مسند إليه ومسند وهو مقتضى حال ما، فإنه في معظم الأحيان يعدل عن هذه الصورة أي الجملة بطرفيها: المسند والمسند إليه بأن يحذف أحد الطرفين أو بان تضاف إليهما مؤكدات ومخصصات، بحيث يكون مدار البلاغة في نهاية الأمر- كما اعتبرها الكثير من البلاغيين ـ على الإطناب والإيجاز وغيرهما، مراعاة لمقتضى الحال الذي يجري كما يقال على مقتضى الظاهر.

على أن الكلام البليغ، بما خرج عن مقتضى الظاهر لاعتبارات خطابية/ مقامية، يجعلنا حينئذ إزاء عدول صريح، مثل ما يقع في أسلوب الالتفات (*الالتفات: الاعتراض والاستدراك وسبيله أن يكون المتكلم آخذا في معنى ثم يعرض له غيره يعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول، كقول كثير:

لو ظان الباخلين ـــ وأنت منهم راوك تعلموا منك المطالا (القيرواني، 2007، صفحة 57)

أو تجاهل العارف (*تجاهل العارف: أن تسأل عن شيء تعلمه موهما أنك لا تعرفه، وأنه مما خالك فيه الشك والريبة، وشبهة عرضت بين المذكورين. (العلوي، 1914، صفحة 80) وقد اختلف العلماء في تسميته، فقد سماه السكاكي " سوق المعلوم مساق غيره"، وسماه العلوي " التجاهل ")؛ وهو عدول عن الطريقة المعتادة في جعل الكلام مطابقا لمقتضى الحال.

إننا باعتمادنا العدول نكون قد طبقنا قانون الأنفع في الخطاب، وهو أمر تختص به البلاغة العربية في أبوابها كلها بيانا ومعاني وبديعا؛ وهو نوعان: كمي ونوعي.

يحصل العدول النوعي بتغيير نوع الكلام قياسا إلى معيار معين، ويكون العدول الكمي بتغيير كم الكلام بأن تضاف إلى الصورة المعيارية عناصر لغوية أخرى تؤكد أو تخصص، كما قد ينقص كم الكلام. ويؤدي الجانب الكمي في الكلام وظيفة أساسا؛ إذ ينقله من كلام همه الإبلاغ إلى كلام وظيفته الأبرز الحجاج. فمن وجهة نظر حجاجية، يفضي التصرف في كم الكلام ـ بالزيادة أو النقصان ـ إلى تغير نوعه، فتصبح ظاهرة الكم مفضية إلى تغير في نوعية الدلالة، فينتقل الكلام من طريقة الإبلاغية L'infirmativité إلى أخرى هي الحجاجية L'argumentativité (صولة، في نظرية الحجاج ـ دراسات و تطبيقات، 2011، صفحة 113)، وبذلك يغدو العدول كميا ونوعيا في آن.

1-4- التوكيد والإيجاز

إن دخول التوكيد على الكلام يجعله مخرجا على غير الأصل، لأن التوكيد خلاف الأصل (الزركشي، 1984، صفحة 385)، وهو " تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد." (العلوي، 1914، صفحة 176)

إن الربط بين التوكيد والزيادة واعتبارهما يمثلان عدولا كميا من الأمور التي نجد صداها في كتب القدماء، فالسيوطي يقول: " واهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه." (السيوطي، 1988، صفحة 255) أي أن ذلك يجعل الكلام مطابقا للمقام، أو مؤثرا فيه بفضل ما ينتج عن خصيصة العدول تلك من طاقة حجاجية؛ فانتقالنا مثلا من " زيد خرج " إلى " إن زيدا خرج " و " زيد هو الخارج " و " والله إن زيدا خرج " هو أداء لمعان زوائد بالنسبة إلى المعنى الحاصل من أصل الجملة في تشكلها الخبري الابتدائي، أي الجملة الصفر. فما زيد يعد ألفاظا للتوكيد.

أما العدول الكمي بالنقصان فمرادف لمفهوم الإيجاز الذي ميز فيه علماؤنا بين نوعين: إيجاز قصر وإيجاز حذف، الأول قائم على تقليل اللفظ وتكثير المعنى دون حذف، أما الثاني فيقوم على إسقاط شيء من الكلام دون الإخلال بالمعنى، وهو الذي يهمنا أمره لقدرتنا على التحقق من وجود عدول بالنقصان في الكلام؛ إذ له أصل يقاس عليه ويضبط كمه بناء عليه، ويصفه ابن الأثير بأنه: ينتبه له من غير كثير كلفة في استخراجه، لمكان المحذوف منه، ذلك أنه " إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل." (العلوي، 1914، صفحة 102) ومثلما أن العدول بالزيادة خلاف الأصل عند الزركشي، فإن الحذف أو العدول بالنقصان عنده أيضا خلاف الأصل. (العلوي، 1914، صفحة 104)

وبذا يكتسي الكلام بعدوله زيادة أو نقصانا صبغة حجاجية، لأن هذا الإجراء يكسب اللفظ قوة، وقوته متعلقة بقوة المعنى. وقد نعت "صولة" تلك العناصر اللغوية الداخلة على البناء التركيبي في مظهره الإخباري البسيط بالعوامل الحجاجية. (صولة، في نظرية الحجاج ـ دراسات و تطبيقات، 2011، صفحة 126)

2-4- المجاز

يعد المجاز تحولا استبداليا يخرقه قواعد الانتقاء الدلالي، يمكن وضعه ضمن العدول الجدولي كونه خروجا من الحقيقة إلى غيرها، ويمكن وضعه على محوري المشابهة والمجاورة.

فماذا يكون المجاز مشابهة؟ وماذا يكون مجاورة؟

4-2-1- محور المشابهة: المجاز تشبيه واستعارة

يحضر في هذا المحور مفهوم " الموضع Topoi " كما جاء عند بيرلمان بوصفه فكرة أو رأيا هو محل إجماع من قبل المتخاطبين، وهو بمثابة ما يسميه تولمين " قانون العبور Loi de passage " من المعطى إلى النتيجة على النحو التالي:

هو أسد إذن هو شجاع ←

↓

ذلك أن كل أسد شجاع (مقتضى)

والعلاقة القائمة بين هذه العناصر تتأسس على استلزام تواضعي من قبيل المقتضى باعتباره معلومة عامة مشتركة.

واستنادا إلى قانون العبور ذاك صح لنا أن نلحق الكناية ـ وإن كانت أدخل في محور المجاورة منها في محور المشابهة ـ بهذا النمط العرفي من العدول، من ذلك كناية " كثير رماد القدر "؛ فلا يرد حكم كون الكريم كثير الرماد لأنه في حكم الاقتضاء. والتخطيط التالي يوضح ذلك:

هو كثير الرماد ← إذن هو كريم

↓

(ذلك أن كل كريم يكون كثير الرماد)مقتضى

والكناية موضع التمثيل تعد بمثابة البينة على الدعوى في شأن شخص ما كما يرى الجرجاني، فقد ينكر علينا الحكم بأن زيدا كريم، ولكن لا يرد علينا كون الكريم كثير الرماد. وهو الشأن نفسه في الاستعارة،

ففيها يتم تنصيب الدليل الذي يقطع بوجود الصفة في الموصوف، فنكون آكد وأبلغ في الدعوى. (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 2001، الصفحات 54-55)

وبالعودة إلى مثال المشابهة السالف، فإن حجة من هذا القبيل قائمة على التشبيه والاستعارة تظهر فعاليتها الحجاجية في كونها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي دون عدول؛ إذ بالإمكان أن نترقى بها في الحجاج على النحو التالي (صولة، في نظرية الحجاج ـ دراسات و تطبيقات، 2011، صفحة 94):

نتيجة فاحذره
قول 2 بل أسد
قول 1 هو شجاع

كما تضفي الاستعارة على النص جوا من تداعي الأفكار والتذكر. ولعل من أبرز الذين استخدموها في التراث العربي على وجه مؤثر كان الجاحظ في حكايته الموسومة ب " مريم الصناع "حيث نجد أن مريم التي زوجت ابنتها خلعت عليها أجود الثياب، وطرحت حول عنقها ومعصميها قلائد الفضة والذهب، أثارت استغراب الزوج ودهشته مما حمله على سؤالها قائلا: " آنّى لك هذا يا مريم؟ " فأجابته على التو:" هو من عند الله " (صولة، في نظرية الحجاج ـ دراسات و تطبيقات، 2011، صفحة 45).

فهذا الحديث بين الزوجين استعاره الجاحظ (أو اقترضه) من الآية الكريمة، قال تعالى: " **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكرياء كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنا لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**"(آل عمران الآية 37).

من هذا المثال يمكن تبين ما يلي:

- لقد قوى الجاحظ عنصر الدهشة التي ملأت وجه الزوج.
- اتجاه "مريم " إلى إثارة الزوج وتحريك فضوله من خلال عنصر الغموض الذي أضفته على وجود المال بحوزتها، كل ذلك بهدف انتزاع إعجابه، واحترامه لها بعد وقوفه على السر، بدليل أنه ألح في استفساره، قائلا: " دعي عنك الجملة، وهات الاستفسار ".
- أبرز الجاحظ مدى اعتزاز هذه الزوجة المحنكة بنفسها من خلال الشبه الذي خلقته وأوجدته بينها وبين " مريم " التي جاء القرآن على ذكرها. (حمدان، 1991، صفحة 45)

أما التشبيه فيضطلع بوظيفة أساس إذ يهدف إلى توكيد المعنى المراد قوله، وكذا ترسيخه في ذهن المتلقي، ويكون له ذلك على أكمل وجه إذا استعان بعنصر المبالغة، مثال ذلك ما نجده في هذا البيت من الشعر:

وبدا الصباح كأن غرّته * وجه الخليفة حين يُمتدح (البيت للشاعر محمد بن وهب، ورد عند: (السكاكي، 1987، صفحة 343)

ففي هذا البيت لجأ الشاعر إلى عكس طرفي التشبيه؛ فقد جعل من الصباح فرعا ومن وجه الخليفة أصلا، وهو يريد من وراء ذلك كله التخييل والإيهام وإقناع المتلقي بأن وجه الخليفة أكثرُ ضياء وتألقا من الصباح.

وترفع الكناية من قيمة المعنى الحقيقي وترسخه في النفس، فهي اللحمة الدالة، وهي الإلماح حين لا يجوز الإفصاح. وبذلك تسمو بالتعبير عن القول الفاحش والمبتذل فتكون المخرج من مأزق الاستحياء. ويستشهد بعض البلاغيين بالآية الكريمة التي يقول فيها عز وجلّ: "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا "(فصلت الآية 20). فـ" جلودهم"، في هذه الآية، تأتي كناية عن " فروجهم ". والقرآن الكريم أعطى الفروج معنى مجازيا هو " الجلود " لا لشيء إلا لأنه أراد أن يسمو باللفظ الفاحش إلى ما يدل على معناه من غيره. (المبرد، صفحة 06)

وفيما يخص " الكلمة " فقد شجع البلاغيون على استخدام الكلمة أو اللفظة الموسومة بالعذوبة، ونبهوا على ضرورة الابتعاد عن اللفظ المنطوي على جرس ممجوج يحدث نفرة في السمع، ومن ذلك ما عابه النقاد والبلاغيون العرب على المتنبي في قوله مادحا سيف الدولة الحمداني:

مبارك الاسم أغر اللقب * كريم (الجرشى) شريف النسب (البرقوقي، 1938، صفحة 114)

فكلمة (الجرشى) في هذا البيت من المفردات غير المحببة إلى النفس والمستساغة.

2-2-4- محور المجاورة: المجاز المرسل

تقوم المجاورة على أساس وظيفة التبئير Focalisation ومدارها على المجاز المرسل خاصة، على أن المجاز " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول." (الجرجاني، أسرار البلاغة، 2001، صفحة 248) والغرض منه " أن تبين أن للفظ أصلا مبدوءا به في الوضع ومقصودا، وأن جريه على الثاني إنما هو على سبيل الحكم يتأدى إلى الشيء من غيره." (الجرجاني، أسرار البلاغة، 2001، صفحة 279) فقولنا: " نشر الحاكم عيونه في البلاد " تم فيه العدول عن معلومة قديمة لا يثار بشأنها اعتراض أو تحفظ، وهي (الجواسيس) وجيء بمعلومة جديدة بمثابة تبئير للجزء الذي لا يصلح الجاسوس إلا به، ولا يمكن أن ينجز ما هو مطلوب منه إلا بوساطته.

والمقصود بالتبئير تسليط الضوء على ما هو أهم في المعلومة، فهو الجديد الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المخاطب، يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: " وينزل لكم من السماء رزقا "(غافر الآية 13) وتنزيل الرزق من السماء هو نزول المطر، لأن المطر سبب الرزق وهو في نفسه آية أدمج معها امتنان، ولذلك [عقب] بقوله " وما يتذكر إلا من ينيب " (ابن عاشور، 1984، الصفحات 102-103) ولو قيل: " وينزل مطرا " لما وقع ذلك موقع حجاج.

والحجاج في القول الإلهي يجري في مقام الامتنان وتذكير المشركين بما ينبغي عليهم من وجوب التوحيد، والغاية من ذلك حملهم عليه. ووسيلة الإقناع تمت بالعدول عن لفظ المطر إلى لفظ الرزق تحقيقا لقانون الأجدى والأنفع ليكون اللفظ أكثر مشاكلة للمعنى؛ إذ الرزق ثمرة المطر الصافية، لذلك كان أقوى في التوجيه، أما المطر فقد يثر وقد يفسد أحيانا. (صولة، في نظرية الحجاج ـ دراسات و تطبيقات، 2011، صفحة 96)

3-4- الخبر والإنشاء

إعمالا لمبدأ الأنفع والأجدى في الخطاب يتم الترجيح بين الخبر والإنشاء والعدول من أسلوب إلى آخر حتى تغدو المعاني أكثر إلزاما بالحكم المتضمن فيها.

فالعدول من الإنشاء إلى الخبر لا يعتمد إلا عندما يكون شاحنا للقول بالقوة الملزمة التي تفيد التقرير وتحصيل الحاصل، كقوله تعالى: " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء "(البقرة الآية 228) عوض " ولتتربص المطلقات ..." وكذا قوله تعالى: " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين "(البقرة الآية 233) عوض " ولترضع الأمهات ..."

"[ف] إنما جيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته، وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولابد." (الزركشي، 1984، صفحة 349) ويدخل في هذا الباب أيضا التعابير الدعائية من قبيل: (يرحمه الله أو رحمه الله) عوض (رب ارحمه)

أما العدول من الخبر إلى الإنشاء فكثير، ويلجأ إليه إعمالا لمبدأ تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره من أجل توخي المعاني الجليلة بالتراكيب والتعبيرات المناسبة إقناع للآخر وتأثيرا في نفسه، فبه ننتقل من الفصيح إلى الأفصح وبه تفرق بين البليغ والأبلغ، فلاحظ الفرق بين التقرير والاستفهام فيما يلي:

- أ لست أخاك (عوض أنا أخوك)
- أ في الله شك (عوض لا شك في وجود الله)

- " أ ليس الله بكاف عبده "(الزمر الآية 36)

بقي أن نتطرق إلى العدول من أسلوب إنشائي إلى آخر من الإنشاء، وهنا نستحضر لزاما نظرية الأفعال اللغوية عند سورل (Searle, 1979) ونمثل لذلك تباعا بالعدول عن الأمر ثم عن النهي إلى الاستفهام:

- قال تعالى: " فهل أنتم منتهون "(المائدة الآية 91)
- قولك: أ تضرب أخاك (عوض لا تضرب أخاك)

إن القول الاستفهامي في الحالتين أبلغ من الأمر والنهي المباشرين لأن الاستفهام في هكذا مقام يجعل المخاطب في حالة اضطراب إلى الجواب، ويكون ذلك أكثر قوة إذا ارتبط بالنفي كقولنا: " أ لست أخاك "(قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: " أ لست بربكم " الاستفهام تقريري، ومثله يقال في تقرير من يظن به الإنكار أو ينزل منزلة ذلك. (ابن عاشور، 1984، صفحة 168) عدولا عن القول التقريري " أنا أخوك " والذي لا بعدو أن يكون مجرد وصف للواقع وإخبار عنه. أضف إلى ذلك ما أضيف من معان إلى الأمر والنهي والتقرير المجردة، وهي معاني اللوم في جميع تلك الأقوال:

- لوم على عدم الارعواء
- ولوم على الإقدام على ضرب الأخ
- ولوم آخر على من ينكر الأخوة

إن هذا المعنى الزائد المستفاد من الاستفهام هو الذي يعمق درجة الإقناع، ويفعل عمليا مبدأ الأنفع بلاغيا وحجاجيا.

5. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة:

تعد نظرية المساءلة إحدى النظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة والخطاب الذي يتم داخل عمليات التخاطب خاصة، سواء كان تواصلا عاديا أو حجاجا يهدف إلى الإقناع. (عشير، 2006، صفحة 192)

تعبر لغة التخاطب داخل القول الحجاجي عن أسئلة خفية وتطرح قضايا مشتركة بين الناس فالقول الذي لا يثير أسئلة (أي القول الذي لا يتجاوز ظاهر لفظه)، لا يقيم علاقة حجاجية بين المتخاطبين سواء كان المعنى الذي يحمله خفيا أو حرفيا، لذلك فالواضح والضمني في الحجاج مرتبطان بما يتيحانه من إمكانات تساؤلية لإبراز الاختلاف الإشكالي، والقول أو اللغة واستعمالاتها هي مصدر الاختلاف حول مضمون القضايا التي يتجادل الناس حولها لتأكيدها أو رفضها أو التشكيك فيها.

وهكذا فالوجوه البلاغية تؤكد حضورها ودورها الطلائعي في كل خطاب حجاجي باعتبار البلاغة " اسما جامعا لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، فإذا أعطيت لكل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو " (عشير، 2006، صفحة 203).

يجعل ابن المقفع، من خلال تعريفه هذا، البلاغة أداة للتعبير عن رفض الواقع، كما يحددها مايير في مصطلح المجاز على أنه " يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو إلى ذلك طريق للتعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب" (عشير، 2006، صفحة 203).

إن أهمية التعريفين للبلاغة تكمن في ربط الحجاج بالبلاغة ربطا تساؤليا، وذلك على مستوى النطق متى اقترن الاحتجاج بسياق الجواب والابتداء، وهو نفس الاتجاه الذي سار عليه مايير لتحقيق عملية الحجاج، إذ يبدأ في الوقت الذي نعطي فيه الحق لأنفسنا في القول والفعل.

يُوقع ابن المقفع الوصل بين البلاغة والحجاج في الوظيفة التي تؤديها الأقوال المتميزة بالتوتر والاستدلال بحيث تؤدي إلى الالتفات إلى ما يقوله المتكلم وتنفد إلى اعتقاده، وهي وظيفة يراها مايير ضرورية لأنها " تؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال/ جواب " (القارصي، صفحة 394).

يولي مايير الصور البلاغية عناية بالغة، لأن وجودها في الخطاب يعني أن سؤالا طرح فيه والسؤال يستدعي بالضرورة جوابا، وتأتي الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، ولنأخذ مثلا هذا السياق المجازي " زيد أسد ": ظاهر اللفظ في هذه الجملة لا يفيد الحقيقة لذا يتساءل المخاطب عن مقصد المتكلم وعن سبب اقتران زيد بالأسد؟ (القارصي، صفحة 396).

إن الاختلاف القائم بين المسند والمسند إليه هو أصل هذا التساؤل ومصدره، ولا يكون الحل إلا في الجواب المفسِّر للتماهي الصوري البلاغي بين الطرفين. (القارصي، صفحة 396)

خاتمة

يعتمد الحجاج على البلاغة بحكم أنها المورد والمنبع الذي يستقي منه آليات خطابه حتى يصل إلى غرضه الإبلاغي والإقناعي فيتخذ عدة مسارات.

هي إذن ـ أي البلاغة ـ المجال المفضل للحجاج؛ لأن تحقيقه لغرضه يتوقف لزاما على التوظيف الأمثل لآليات البلاغة وضروبها وأساليبها، ومتى كان النص الحجاجي متمثلا وممتثلا للأسرار البلاغية ومستثمرا فاعلا لها كان أقدر على بلوغ مقصده بإقناع المخاطب والمستمع، واستمالته حتى في أصعب الظروف.

من هذا المنطلق فكل خطاب حجاجي لا يضمر وراءه أسئلة ويكتفي بظاهر لفظه قد يعجز عن بلوغ مراميه.

ونستطيع من خلال فحص الوشائج التي تصل البلاغة بالحجاج القول إن تحليل الخطاب يفرض الانطلاق من مبدأ بلاغي عام، يقضي بأن لكل خطاب بلاغته الخاصة، ويقوم على وصف للوقائع الخطابية لا على تطبيق القواعد أو استظهار الشواهد؛ ذلك أن البلاغة العربية لن تؤمّن استمرارها وامتدادها التاريخي ضمن فضاء البلاغة العالمية إلا في سياق السؤال البلاغي القائم على الاحتمالات والممكنات القرائية لا على التمثلات النمطية والبناءات الثابتة والاختزالات التي تقصي حتما وظيفية المباحث البلاغية وحجاجيتها.

لائحة المصادر والمراجع

Robert, L. g. (1989). Dictionnaire de la langue française. Paris.

Searle .(1979) .*Les actes de langage* .Paris : Herman.

ابن خلدون. (2004). *مقدمة ابن خلدون* (الإصدار 1). (عبد الله محمد الدرويش، المترجمون) دمشق: دار البلخي.

ابن رشيق القيرواني. (2007). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* (المجلد 2). (عبد الحميد هنداوي، المترجمون) بيروت: المكتبة العصرية.

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. (بلا تاريخ). *الكامل في اللغة و الأدب*. بيروت: مكتبة المعارف .

أبو الوليد الباجي. (1978). *المنهاج في ترتيب الحجاج* (الإصدار 2). تونس: دار الغرب الإسلامي.

أبو بكر العزاوي. (2007). *الخطاب و الحجاج* (الإصدار 1). الدار البيضاء: الأحمدية للنشر.

أبو حيان التوحيدي. (2001). *الهوامل و الشوامل* (الإصدار 1). (سيد كسروي، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد الهاشمي. (بلا تاريخ). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الإفريقي المصري ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب* (المجلد 8). بيروت: دار صادر.

الجاحظ. (2005). *البيان و التبيين* (المجلد 1). (جويدي، المترجمون) بيروت: المكتبة العصرية.

الحبيب أعراب. (2010). *الحجاج و الاستدلال الحجاجي ،ضمن الحجاج-مفهومه و مجالاته* (المجلد 3). (حافظ إسماعيلي علوي، المترجمون) الأردن: عالم الكتب الحديث.

السكاكي. (1987). *مفتاح العلوم* (الإصدار 2). (نعيم زرزور، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي. (1988). *معترك القران* (المجلد 1). (أحمد شمس الدين، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

الطاهر ابن عاشور. (1984). *تفسير التحرير و التنوير* (المجلد 9). تونس: الدار التونسية للنشر.

بدر الدين الزركشي. (1984). *البرهان في علوم القرآن* (الإصدار 3). القاهرة، مصر: مكتبة دار التراث.

سمير أبو حمدان. (1991). *الإبلاغية في البلاغة العربية* (الإصدار 1). بيروت: منشورات عويدات الدولية.

ضياء الدين ابن الأثير. (بلا تاريخ). *المثل السائر*. (بدوي طبانة وأحمد الحوفي، المترجمون) القاهرة: دار نهضة مصر.

عبد الجليل هنوش. (2016). *التاسيس اللغوي للبلاغة العربية* (الإصدار 1). الأردن: دار كنوز المعرفة.

عبد الرحمان البرقوقي. (1938). *شرح ديوان المتنبي* (الإصدار 2). مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

عبد الرحمان حسن حبنكة. (1996). *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها* (الإصدار 1، المجلد 1). دمشق: دار القلم.

عبد الرزاق بنور. (2008). *جدل حول الخطابة و الحجاج*. تونس: الدار العربية للكتاب.

عبد السلام عشير. (2006). *عندما نتواصل نغير*. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

عبد القاهر الجرجاني. (2001). *أسرار البلاغة* (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد القاهر الجرجاني. (2001). *دلائل الإعجاز*. (عبد الحميد هنداوي، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الله صولة. (2007). *الحجاج في القرآن* (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الفارابي.

عبد الله صولة. (2011). *في نظرية الحجاج ـ دراسات و تطبيقات* (الإصدار 1). تونس: مسكيلياني للنشر.

عبدالرحمان طه. (2006). *اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

محمد أسيداه. (نونبر، 2006). الحجاج. *فكر ونقد*(83)، الصفحات 123-127.

محمد العمري. (2012). *البلاغة بين التخييل والتداول*. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

محمد طروس. (2005). *النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية* (الإصدار 1). الدار البيضاء: دار الثقافة.

محمد علي القارصي. (بلا تاريخ). *البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة ميشال مايير ضمن أهم نظريات الحجاج في لتقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. منوبة تونس: طبع كلية الآداب.

محمدأسيداه وحافظ إسماعيلي علوي. (2010). *اللسانيات و الحجاج ، الحجاج المغالط : نحو مقاربة لسانية وظيفية ، ضمن (الحجاج مفهومه و مجالاته)* (المجلد 3). الأردن: عالم الكتب الحديث.

يحي بن حمزة العلوي. (1914). *الطراز المتضمن لأسرار الإعجاز* (المجلد 2). القاهرة: مطبعة المقتطف.

اضطراب الكفاءات التعليمية في الهيئات والمؤسسات التعليمية في الجزائر
في ظل التكوين السلبي للموارد البشرية
-قراءة في المسألة-

Disruption of educational competencies in educational bodies and institutions in Algeria in light of the poor human resources training

د.فتيحة حداد، جامعة مولود معمري، تيزي-وزو، الجزائر
البريد الإلكتروني:bleu001dz@yahoo.fr

ملخص المداخلة:
نعالج في هذه الورقة العلمية إشكالية الاضطراب التكويني للكفاءات التعليمية التي تعاني منها المؤسسات التعليمية في الجزائر من جهة وتلك الاقتصادية في ما بعد كنتيجة حتمية للتكوين السلبي للموارد البشرية في الجزائر.
جاءت مداخلتي هذه كاستقصاء للحالة التعليمية والاقتصادية في البلاد في اطار تعامل المؤسسات مع الموارد البشرية المتكونة علميا وثقافيا بشكل عشوائي ولأجله فقد أتيت للبحث عن إمكانيات تحسيّن هذه الوضعية من خلال وضع فرضيات حاولت الإجابة عنها من خلال محاولة التعرف إلى معيقات وصعوبات العملية التكوينية بداية من عناصر العملية التعليمية كمعطى ديداكتيكي والمؤسسات المسيرة والمكونة للعناصر البشرية من متعلم ومعلم.
الكلمات المفاتيح: المعلم، المتعلم، المستثمر والمستثمر فيه، المورد البشري، العملية التعليمية، الكفاءة التعليمية.

Abstract:
In this paper, I address the problem of the formative disruption of educational competencies that plague educational as well as economic institutions in Algeria, as a result of the poor training of human resources and the absence of professional development in institutions.
My presentation investigates the educational and economic situation in the country in the context of the institutions' incapacity to deal with human resources that are randomly formed. For that, I deal with the possibilities of improving this situation by suggesting hypotheses that target the obstacles and difficulties of the formative process, starting from the elements of the educational process as a didactic given, to the exploration of professional development policies within the institution.
Key words: the teacher, the learner, the investor and the invested, the human resource, the educational process, educational efficiency.

تمهيد:

يعتبر المورد البشري عنصرا وسيطا في كل العمليات والعلاقات التي تؤسس وتبرمج للحياة اليومية العملية منها والعلمية مهما اختلفت وتعددت أو تنوعت وبخاصة مسألة تكوين الأجيال من حيث تعليمهم وتربيتهم في مجتمعاتنا أو في المجتمعات الأخرى، عربية كانت أو غربية ،حيث تعتبر هذه المسألة من بينً أعقد المسائل وأهمها في أن واحد في كل العصور ومع كل الأمصار، بحكم أنها الطريقة والمنهجية المثلى في بناء المجتمعات وتأسيسها في ظل التعامل مع العنصر الفعال لها والمتمثل في المتعلم الطفل "كمستثمر فيه" ومن ثم في طرائق تكوينه وبناء كفاءاته بناء سليما يسمح له بالنمو الذهني والمعرفي العنصران اللذان سيسهلان عليه التعامل مع الحياة العملية بكل ما تحمل هذه الاخيرة من تناقضات ،وقوانينً وأعراف وأحكام واجتماعيات كثيرة ومتنوعة.

I-تأطير إشكالية الورقة:

سأطرح في ورقتي هذه إشكالية أسباب ضعف العلاقة القائمة ما بينَ المستثمر "المعلم الأستاذ ،المدير المشرف المسؤول" والمستثمر فيه المتعلم الطفل "التلميذ" الطالب الجامعي "مورد الغد و مؤسسه"، أي أننا نبحث في ما مدى تَحَقيق الكفاءة التعليمية التعلميّة من خلال العمليات التعليميةً الناتجة بدورها عن الطرائق أو المناهج التعليمية المُنتهجة لتحقيق المعرفة لدى المتعلم المستثمر فيه؟ ثم دراسة إسقاطات هذه العلاقة المضطربة ما بيّن الطرفين والتعرف بالضرورة القصوى إلى النتائج المتوقعة من خلالها- الملاحظة في أرضية الواقع ، كما سنوضح هذا من خلال الجانب التطبيقي الذي سنقف معه في الجزء الثاني من الورقة البحثية هذه-والتي سنحاول التوصل إليها من خلال عمليتي التدريب والاكتساب المدرسي والمؤسساتي - إشارة مني إلى التربصات التي يقوم بها المتعلمين الطلبة كمرحلة أساسية لقياس مدى كفاءتهم في أرضية الميدان -رغبة منا في التعرف إلى مستوى الكفاءة المكتسبة لدى العنصر المتعلم(المستثمر فيه)(الطفل المتعلم) في(المدارس والمؤسسات التعليمية في الجزائر كميدان لهذه الدراسة) في ظل التكوين للمورد البشري (المعلم الأستاذ) مركزة على التغيب الواضح للقوانين التربوية والبيداغوجية - للأسف الشديد-،في كثير من الأحيان مؤشرة على ضرورة استحضارها(استحضار هذه القوانين) من قبل الهيئات المعنية لمعالجة الوضع القائم معالجة علمية دقيقة في اطار التطبيق الصارم للنظريات التعليمية من خلال الاستغلال الحسن للمناهج والمقاربات التعليمية الحديثة والمعاصرة لتحسينً الكفاءات التعليميةً لدى المتعلمين. ولأجله أتيت قائلة:

يبقي مفهوم الكفاءة -كضرورة يجب تحقيقها في أرضية الواقع من خلال التدريبات الاكتسابية المطبقة في الهياكل التعليمية- من القضايا الصعبة المنال في ظل التغيرات التي تعرفها المدرسة الجزائرية بكل مستوياتها التعليمية خاصة والمدرسة العالمية بعامة، أهمها: تلك المرتبطة بالميدان البيداغوجي

والتكويني التعليمي ذا الطابع المعرفي المادي والمعنوي الحضوري وذلك الافتراضي أو عن بعد. ولتحقيق مفهوم هذا المصطلح أولا ثم الحديث عن طرائق اكتسابه ثانيا، ومن ثم دوره في ترقية المعطى التعلمي والمعرفي لدى المتعلم "المستثمر فيه، والحديث عن النقائص التي يعاني منها وكيفية تصويبها وإبداء حلول وقراءات في هذا الشأن من جهة، وإيجاد الحلول والتصويبات للمسائل المطروحة أعلاه من جهة أخرى، ارتأينا الوقوف أولا وقبل كل شيء مع مفهوميّن وجدناهما ذا أدوار أساسية في تحقيق هذا المفهوم أولا وفي تحقيق الحياة العملية للمتعلمين المستثمر فيهم ولكل منا ثانيا، وهما:

1- الهيكلة المادية والمعنوية: المدرسة L'école:الهيئة المسؤولة عن التعليم والتعلم، أو ما يُمكن الاصطلاح عليه ببيَت التعليم والتعلم والكيان التأسيسي ذو الدور الفعال في بناء الحياة العلمية والعملية لدى جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والتكوينية، وأبعادهم السلوكية ،والأخلاقية، والتربوية. وإذ أتينا لتحديد مفهوم هذا المصطلح قديما وحديثا في بُعديه اللغوي والاصطلاحي لوجدنا إن الآراء قد اختلفت واضطربت حول مفهوم هذا المصطلح وأصل هذه الكلمة ،حيث هناك "من أرجعها إلى مادة "دَرَسَ" في اللغة العربية عن طريق الاشتقاق على ما هو معروف في علم الصرف (طه الوالي ، 1989، صفحة 132)،إلا أننا نقول أن كلمة " أسكول" التي وردت عند "ابن العبري" بالمعنى نفسه الذي تدل عليه كلمة مدرسة في المفهوم الديني اليوم (فتيحة حداد، 2014، صفحة 224،218)،ويرجع أصل لفظ (école)،إلى اللفظ اليوناني(schole)،"ويعني وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع رفقائهم لتثقيف الذهن" (عبد اللطيف الفرابي و محمد ايت موحى و آخرون، 1994، صفحة 82)،أي لشرح المفاهيم الثقافية والتربوية المعرفية.

فالمدرسة على هذه الحال هي: "المكان الصالح الذي يستثمر فيه فضول الطفل وميوله بين أفراد الجماعة والتي تعمل على الكشف على قدراته، وتمده بالوسائل والطرائق التي يستطيع بواسطتها أن يستغل مواهبه ويحقق و أهدافه" (autres, 2000, pp. 93-95).أي أننا نلاحظ أن مفهوم المدرسة لم يختلف كثيرا عما كان عليه في القديم ،حيث نجد إن موقع "التعريفات" (Les Définitions) قد عَرف المدرسة على أنها الهيئة أو المؤسسة التي تنتج التعلمات، كما يُمكن أيضا أن نتحدث عن مفهوم هذا المصطلح من خلال حديثنا عن المتعلمين والمعلمين والمناهج وكذا الطرائق التعليمية المنتهجة فيها كمؤسسة (fr, 2011)،وكذا عن أنواع المدارس (...Suivant les nombreuses conceptions de l'enseignement, il y a lieu de mentionner de différents modèles d'école : l'école sélective (qui considère qu'il y a une culture dominante sont les valeurs sont ceux qui doivent être transmis), l'école compensatoire (les valeurs de la culture dominante sont les « normales » et elle tente de compenser les déficits afin de les

atteindre), l'école compréhensive (elle met en lumière les valeurs positives et négatives de chaque culture), l'école inclusive (elle a pour base les capacités de chacun pour transformer le milieu et en finit avec l'inégalité) et l'école moderne ((qui a pour but d'éduquer d'une manière rationaliste, séculaire et non coercitive.

التي نتجت من خلال التعدد العلمي والمنهجي في العمليات التعليمية والفكرية ،حيث نجد في ميدان الفن والرسم وكذا الدراسات اللسانية أو الأدبية أو التوجهات الدينية مثلا ،حيث نقول تمذهب فلان لفن فلان أي انتمى إلى مدرسته الفنية وبخاصة في ميدان الرسم، كما يُمكن أيضا أن نقول تمذهب فلان للمذهب الفلاني في الميدان الديني أي اتبع القواعد والطرائق التي يقول بها المذهب الشافعي في الديانة الإسلامية مثلا. أي أنه زيادة على المفهوم العام المتداول لدى العامة والخاصة لهذا المصطلح والمتمثل في الهيكلة المادية وكل معداتها المادية والمعنوية وكل ما يمكن أن يتمخض من مناهج وطرائق بيداغوجية تربوية لتعليم وتربية الجيل الصاعد فقد أشرنا إلى بعض من هذه التعريفات التي تفضي إلى المفهوم الموسع للهيكلة في بعديها المادي والمعنوي فما مفهوم المعلم أو المتعلم كعنصر بشري فعال في حنايا هذه الهيكلة؟

2-العنصر البشري(المعلم والمتعلم) :العنصران الأساس في العملية التعليمية والعملية الانتاجية ببعديها الذهني التربوي التعليمي والاقتصادي المنتج، كمحور تدور على مستواه العملية الاستثمارية لتحقيق الكفاءة في كل المجالات على تنوعها واختلاف أهدافها-واللذان سأقوم بتعريفهما لاحقا بكل دقة- ،مركزة على الدور الفعال الذي يلعبه العنصر البشري (المستثمر والمستثمر فيه) في تحقيق الكفاءات وإنجاحها من خلال المؤسسات الوطنية الفاعلة بشكل عام: الاقتصادية الضخمة وتلك ذات الفعل الاقتصادي الجواري، أي الفاعلة في الحياة الاجتماعية وعلى رأسها المدرسة كفضاء فاعل ومحرك وجامع لهذه الحركية في كل الاتجاهات وعبر كل المجتمعات والأمم ومع كل الأجيال مهما اختلفت انتماءاتهم الفكرية المعرفية ومع كل التغيرات الزمنية والمكانية التي من الممكن أن تتعرض لها البشرية جمعاء.وهنا، ومع هذه النقطة بالذات بادرت بالتساؤل مرة أخرى عن تلك الأفكار التي تداولات وجالت على مستوى ذهني ،والتي تصورت أنها ستتداول أيضا على مستوى أذهان القراء الأفاضل لهذه الورقة، فأتيت قائلة: ما العلاقة القائمة ما بينً العنصر أو الجزء الأول والعنصر الثاني في هذه الإشكالية ؟أي ما بيّن المدرسة كمؤسسة فكرية بيداغوجيا تعليميةً فاعلة في المجتمعات والعنصر البشري كهيكلة استثمارية وكيان فكري اجتماعي فاعل؟

وبشكل أخر تسألت قائلة :هل الإشكال قائم على مستوى عدم فهم الأدوار في التأديات العملية وبالتالي الفعلية المقصودة في الحركية التعليمية في شكلها الهندسي العام من قبل العنصرين الاثنين (المعلم والمتعلم) ؟أم أنً الاشكال كائن على مستوى العملية التعليميةً كعملية بيداغوجية تعليميةً قائمة على مفهوم

الانتاج الفعلي للعنصر البشري الممثل في المتعلم المثالي الطفل ومقدار كفاءاته المحصل عليها كرجل الغد المنتج للطاقات الفعلية، في العملية الانتاجية في ظل التحليل الاقتصادي والسسيو ثقافي والجيوسياسي في إنتاج هذه العملية التعليميةً ومحصولها؟أم أن الإشكال في المعلم الأستاذ(المستثمر البشري) كحامي للعملية التعليمية وبالتالي مُمثل للمورد البشري في طرحنا هذا أم كيف ؟نحو ما سنمثل له ادناه من خلال احتمالين اثنين على التوالي:

أ-الاحتمال الأول :نوضح من خلاله الدور التعليمي العادي المألوف لدى المستثمَر(المعلم الأستاذ) والمستثمر فيه (المتعلم الطفل ،التلميذ) من خلال المدرسة كمكان وحرم تعليميً تعلمي يجتمع فيه ومن خلاله المعلم والمتعلم لأداء رسالة التعليم والمعرفة وبالتالي العملية الاستثمارية في إطار الدورة التعليمية العادية المحورية القائمة على الثلاثية التعليمية :المعلم (المستثمر) والمتعلم الطفل(التلميذ، المستثمر فيه)،والمحتوى التعليمي(المرموز له في الشكل بحرفي : م/ت) في الشكل أدناه:

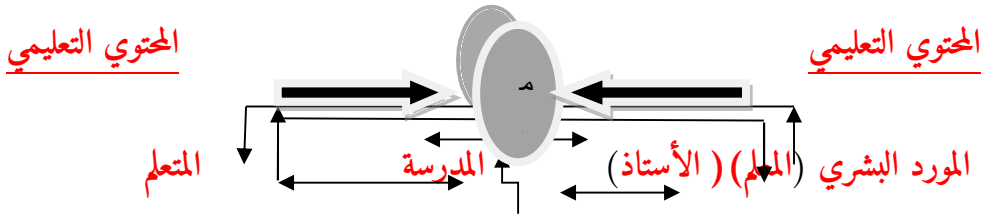

الترسيمة رقم (1) العملية التفاعلية ما بيّن المعلم الأستاذ(المستثمر) والمتعلم التلميذ (المستثمر فيه) كطرفين أساسيين في تحقيق العملية التعليمية(المحتوى التعليمي) في أحضان المؤسسة التعليمية (المدرسة)

•-تحليل ترسيمة الاحتمال الأول:

نوضح في هذا التصور الأول: المسار العادي للعملية التعليمية، وإسقاطاتها (كما هو موضح من خلال الشكل) الرابطة للعنصريينَ الأساسيَين (المعلم والمتعلم) الساهرين على توصيل المحتوى وتحقيق الكفاءة التعليمية في ظل المؤسسة التعليميَة (المدرسة).والغاية من هذه العملية ،والذي مثلنا له ببناء الكفاءة التعليمية، حيث نلاحظ من خلال المخطط إن العلاقة ما بيَن الطرفين علاقة واضحة تقوم على التبادل المعرفي من أخذ وعطاء في ظل التطبيق المنهجي الصارم وكذا الأدوار المفروضة بين هذيَن العنصرين المؤسسين للعملية التعليمية.

والسؤال الذي يفرض نفسه مرة أخرى في احتمالنا الأول هذا والذي يمكن الاصطلاح عليه بالاحتمال التقليدي في العمليات التعليمية هو: هل لهذه العلاقة التقليدية القائمة بين قطبي العملية التعليمية قوة تحقيق الكفاءة التي يُطمح لها من قبل المسيرين الساهرين على ضرورة تطور البلاد في ظل العملية التعليمية الناجحة الحاملة للمجتمع الراقي والمدرسة المرغوب فيها الآن في وقتنا الراهن؟ هذه

المؤسسة المسؤولة على تكوين العنصر البشري المستثمر فيه(وبشكل مباشر)الخادم للمجتمع الذي نبتغيه راقيا حاملا لسمات وخصائص العنصر البشري المتطور العصري؟

ب- **الاحتمال الثاني**: يُمثل الرؤى المختلفة للعملية التعليمية والتفاعل القائم ما بين المتعلم (المستثمر فيه) و المعلم (المستثمر)،حيث أننا نلاحظ أن الأدوار في هذا الاحتمال الثاني والذي يمكن نعته بالاحتمال المعاصر قد اختلفت حتى لا نقول تغيرت، حيث أن دور المؤسسة التعليمية ككيان مادي سيغدو غير ضروري في تحقيق العملية التعليمية ،إلا في ما استعصى من دراسات تجريبية مادية خاضعة للضرورة المادية. أي أن هذا الاحتمال يحملنا إلى تصور امكانية استنتاج الكفاءات التعليمية المسطرة الكترونيا من قبل المتعلمّين المستثمر فيهم مستقبلا مبتعدين بهذا عن ذلك المفهوم والدور المزدوج للهيكلة أو المؤسسة التعليمية الممثلة في المدرسة .

وعليه نخلص للقول إن دور الهيئة التعليمية أو المؤسسة التعليمية لم يعد محوريا مثل ما كان عليه في الاحتمال الأول المُمَثل لمدرسة القرن التاسع عشر في ظل الملاحظة المهيمنة، والتي تجدر الإشارة إليها و الممثلة في التغيرات التي مست مفهوم المحتوى التعليمي المنتج المباشر للكفاءة التعليمية، كما سنلاحظ من خلال تحليلاتنا الآتية:

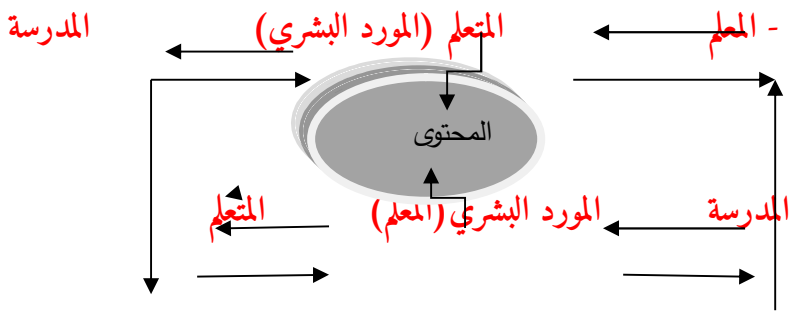

الترسيمة رقم "2"ترسيمة توضحية للعملية التعليمية ودور الهيئة التعليمية فيها كهيئة غير محورية.

-تحليل الترسيمة الثانية:

نلاحظ في هذا التصور الثاني الأدوار المبهمة بالنسبة لعناصر العملية التعليمية التعلمية ،وكذا العوامل المساعدة على قيمها، والتي نرى أنها وردت معكوسة شكلا وسليمة مضمونا ،وذلك نظرا لتداول هذه الأخيرة(الأدوار) في ما بَينها ،أي أن مهامها لم تعود نفسها تلك المتداولة والمتعارف عليها (اضطراب دور المدرسة-كهيئة فاعلة في العملية التعليمية التعلمية – أي تغير دور المدرسة في ظل التغيرات المفروضة)من جهة ،وعناصر العملية التعليمية ،وكذا الطرائق المقترحة لتحقيق العملية التعليمية التعلمية من جهة أخرى وبالتالي النتائج المتوقعة في الجانب المنهجي لها بخاصة ،والذي نرى أنها تعود للأسف

الشديد بنتائج غير ايجابية للعملية التعليمية أولا وللبحث التعليمي الديداكتيكي ثانيا ،ولحركية وديناميكية المؤسسة الاجتماعية المستثمر فيها ثالثا بعامة وهي المجتمعات القائمة على مفهوم تكوين الأفراد، رغم تأكيد الكثيرين من أصحاب الاختصاص وشركائهم الاجتماعين على ضرورة اقحام هذا النوع من المدارس، والذي اتفق على تسميته ونعته بالمدرسة الافتراضية ،أو مدرسة القرن الواحد والعشرين، أم أننا نقول أن المسألة ظرفية وكل شيء سيعود إلى مكانه وأصله ذات يوم.

وهنا نتسأل مرة أخرى قائلين: هل الاشكال قائم على مستوى ضعف التفاعل بين عناصر هذه العملية التعليمية الاستثمارية وبالتالي اضطراب مفاهيم ومصطلحات المعطى العلمي التعليمي التعلمي للمتعاملينً في ما بينهم أم أن الاشكال قائم على مستوى اضطراب المهام وعدم تطبيقها في أرضية الواقع وبخاصة تلك المرتبطة بالعملية المنهجية والعملية التطبيقية السليمة في ظل التعدد الجديد لمفهوم الهيئات التعليمية والضرورة الواقعية المفروضة في ظل المدرسة الافتراضية؟ أم أن المشكل كان ولازال قائم وما اضطراب مفهوم الهيكلة التعليمية إلا نقطة بسيطة في بحر واسع.

حتى نتمكن من الإجابة عن كل هذه التساؤلات وأخرى نظنها معلقة تفرضها ضرورة تطور الدراسة وتحليل عناصر هذه الأخيرة ، لابد لنا من استكمال تعريف بعض المصطلحات والفرز فيها وفي أدوارها التي تقوم على تحقيق وإنجاح الكفاءات من عدمها ،وبالتالي تحديد العلاقة القائمة ما بين العنصر البشري والمؤسسة المهيكلة من جهة ، والمؤسسات الاجتماعية الاقتصادية الجوارية، وشبه الجوارية من جهة أخرى ،والتي سنحاول تقسيمها إلى قسمين اثنين ،سيعبر القسم الأول منها عن الأسس التعليمية التقنية المعبرة عن الجانب الديداكتيكي: من مفهوم للعملية التعليمية وعناصر هذه الأخيرة كعناصر أس في التمرس الاستثماري الكتابي والشفهي ،ومن ثم النظري والتطبيقي للمتعلم الطفل والمعلم الأستاذ ،أما الجزء الثاني أو القسم الثاني فقد جعلناه معبرا عن المفاهيم الاستثمارية في الموارد البشرية مركزين على ضرورة إبراز هذه المصطلحات في العالم اللساني والتعليمي الديداكتيكي، بحكم كون هذا الميدان -ومنذ الأزل ،وحتى الوقت الراهن- زادا استثماريا مهما في كل المجالات والميادين على تنوعها وتعددها واختلافها باعتبار أن الحياة العملية تنطلق منه وتعود إليه، وبخاصة عندما ترتبط الحال بالميدان الاقتصادي ،حيث يعتبر المتعلم المستثمر فيه لبنة التطور الاقتصادي والاجتماعي ،والتي حاولنا حصرها في العناصر الأتية: المورد البشري، الموارد البشرية ،الاستثمار والمستثمر البشري، المستثمر فيه.....الخ في الاطار المفاهيمي للإشكالية المطروحة.

II-الإطار المفاهيمي للإشكالية المطروحة :

1- ضبط مصطلحات الدراسة في شكلها العام:

1-1 المصطلحات ذات الأبعاد التعليمية الديداكتكية:

يمكننا القول أن لمصطلح "التعليمية عدة معطيات تمحور حول العملية التعليمية التي تعبر بالضرورة القصوى عن الأبعاد المنهجية للفعل التعليمي وكذا العناصر المشتركة في هذا الفعل التعليمي في أي معرفة كانت والتي نصطلح عليها نحن كأهل هذا الاختصاص بعناصر العملية التعليمية، وهي:

-المتعلم؛

-المعلم؛

- المحتوى التعليمي أو المادة التعليمية؛ والتي سنحاول التعرف إليها كونها عناصر ديداكتكية واستثمارية في لآن واحد

-**أ المتعلم، المستثمر فيه: L'apprenant investit**الجزء أو الطرف الأول في العملية التعليمية، وهو العنصر المهم في حمل المادة التعليمية أو المعطى التعليمي المادي ،عليه تقع المسائل التعليمية ،منه ومن خلاله تُطبق المناهج التعليمية والمعطيات البيداغوجية ،ويعتبر المحور الأساس في إنجاح العملية التعليمية، عُرف بعدة تسميات وعدة مصطلحات في العلوم المختلفة والمقاربات المنهجية ،نحو: المتعلم التلميذ، التلميذ الطفل ،المستثمر فيه، المتعلم الطفل ، الطفل المتعلم المثالي...الخ، وإذ أتينا لتعريفه لقلنا إنه مصطلح أو "تسمية من تسميات المتعلم استعملت على الخصوص من طرف الاتجاهات البيداغوجية الحديثة" (عبد اللطيف الفرابي و محمد ايت موحى و آخرون، 1994، صفحة 21)، ولأجله وجب علينا معرفة قدراته وأبعاد شخصيته الحركية العاطفية ،الاجتماعية، والمتعلم في اللغة اسم فاعل مُتعلّم من تَعلّم يُقال تَعلم يَتعلّم، تَعلُما، فهو مُتعلم ،والمفعول مُتعلم وتَعلم الأمر أي أتقنه، والمتتبع للدراسات التربوية والتعليمية الديداكتيكية الحديثة يجدها قد استبدلت مصطلح التلميذ بالمتعلم تعاملا مع حركة الطفل المعرفية والعاطفية النفسية والاجتماعية (مجمع اللغة العربية، 2014، صفحة 26).وإذ أتينا إلى الاستغلال المصطلحي المعمول به في وزارة التربية والتعليم الوطنية لوجدناه يتراوح ما بين المتعلم والتلميذ ،نحو ما هي عليه الحال في هذه الفقرة القصيرة جدا من الوثيقة المرافقة للمناهج أين نجد أن البيداغوجي المربي المختص يستغل المصطلحين معا: "ويمكن تلخيص هذا المسعى في كون التلميذ يصل إلى حل وضعيات بشكل مُرض....وبمعنى أوضح مطالبة المتعلم بالنتيجة....مثال في تلخيص قصة، بعض التلاميذ يفضل تجزئة أفكارها....والمدرس هنا يُحاسب المتعلم...الخ" (الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2004، صفحة 6) وبحكم إن الوثيقة الرسمية المرافقة للمناهج المدرسية التعليمية ،والتي أتت بعد اصلاحات 2003 تعبر عن هذا التداخل ما بيّن المسميين فهذا تدليل على أن مفهوم الحركية العاطفية للطفل المتعلم في المؤسسات التربوية التعليمية لم تفهم بعد بشكل دقيق في الجزائر.

ب-**المعلم المستثمر: L'enseignant investiture** الجزء الثاني من العملية التعليمية، تقوم عليه هذه الأخيرة ومعه يقوم نجاحها. له عدة تسميات وعدة اصطلاحات وهذا بحسب الانتماءات العلمية

والتخصصات التي يقف عليها والمستويات التي يتعامل معها حيث نجد مصطلح: الأستاذ، المعلم، الشيخ، المربي المدرس المؤدب، المدرب ...الخ.

يحمل المعلم على عاتقه مسؤولية التعليم والتدريب، تعليم وتدريب وتربية المتعلم الطفل أو المتعلم الناضج (البالغ)، بطريقة حضورية أو افتراضية عن بعد.

تختلف نوعية المتمدرسين المتعلمين الصغار أو الكبار. وإذ أتينا لتعريف المتعلم لقلنا: "هو حلقة الوصل بين المتعلم والمجتمع " (مجدي العزيز ابراهيم، 2006، صفحة 223)، وهو أيضا هؤلاء الأشخاص الذين يتحملون مهمة تربية التلاميذ داخل المدارس،-حسب التقرير الذي أدلت به هيئة اليونسكو في 1978-" (عبد اللطيف الفرابي و محمد ايت موحى و آخرون، 1994، صفحة 102)،كما يمكن وصف المعلم على أنه الشخص الذي يقف داخل القسم لتأدية مهامه التعليمية من تدريس وتدريب وإرشاد، اعتبارا لأبعاده السيكولوجية المكونة لشخصيته (عبد اللطيف الفرابي و محمد ايت موحى و آخرون، 1994، صفحة 32)،وهو "ذلك الذي لم يعد ناقلا للمعرفة وإنما مخطط وموجه ومدير لعملية التدريس" (محسن على عطية، 2003، صفحة 32)، أي إن المعلم لم يبق ذلك المعتمد على الإلقاء وفقط بل تجاوز ذلك إلى التخطيط وكذا التكوين لمختلف الأنشطة التعليمية.

ج-المحتوى التعليمي، المعرفة المستثمرة: Le contenu pédagogique(éducatif) ou La connaissance investie

المادة التعليمية أو المحتوى التعليمي، هو ذلك الزاد المعرفي الذي يتوزع ما بيّن المعلم والمتعلم رغبة في تحقيق الفهم وبالتالي بلوغ ذروة المعرفة كما يمكن لنا أن نقول أنه ذلك الكم الهائل من المعلومات المتواجدة في المرجع أو المنهج وهو تلك المعرفة الناتجة عن التجارب الطويلة والمستمرة للإنسان في تعامله مع محيطه (هاشم عواضة ، 2008، صفحة 24)،ويعرفه معجم علوم التربية قائلا: "نعني بالمحتوى هذا الجزء من الثقافة الموجودة، وبالأخص الأنساق الصورية التي تقدمها للتلاميذ من أجل تحقيق الأهداف التعليمية• " (عبد اللطيف الفرابي و محمد ايت موحى و آخرون، 1994، صفحة 52).ومنه نؤسس إذا لعملية الانتقال المعرفي ما بيّن العناصر الثلاثة المؤسسة للعملية التعليمية الديالكتيكية حسب ما يعبر عنها (بلبل) (Pelpel)في كتابه(se former pour enseigner) حسب المثلث التعليمي المعرفي والدوائر المعرفية التي يصنعها لبناء الكفاءات:

•-لأنساق الصورية هي:النسق الصوري للغة الأم ،والنسق الصوري للأعداد (الكم)،والنسق الصوري للزمان والمكان(التاريخ-الجغرافيا)،الذي يتيح تعيين الأشياء والأشخاص والأحداث،و النسق الصوري لمعايير ونماذج السلوك،أو بتعبير عام النسق الصوري للعلاقات الانسانية.فالأنساق الصورية إذن أنماط تتيح تصنيف مظاهر الحياة وأفعال الإنسان....)

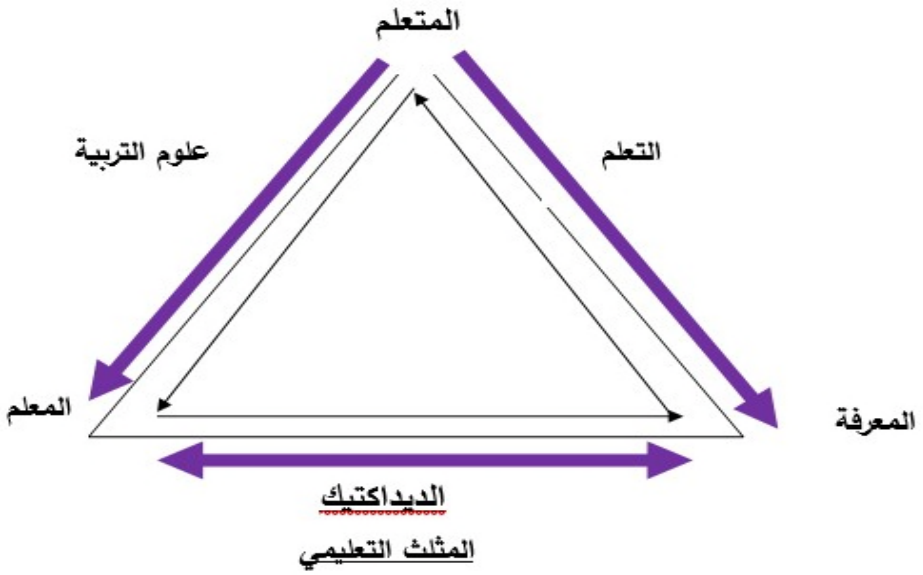

تحليل المثلث التعليمي :نلاحظ من خلال هذ ا المثلث التعليمي أن العملية التعليمية عملية دائرية ،تدور حول ثلاث نقاط مهمة والمتمثلة في المتعلم التلميذ الطالب والمعلم الأستاذ والمحتوى التعليمي ،كما سنرى في الجانب التطبيقي من خلال محاولاتنا التعرف إلى طرائق ووسائل التعلم لاكتساب المعارف و بالتالي الكفاءات التي سيحتجها المتعلم في حياته العملية.

2- 1المصطلحات ذات الأبعاد الاستثمارية:

1-الموارد البشرية:

سنحاول أن نتحدث ونشير أولا إلى كيفية نشوء هذه المصطلحات من جهة وطرح أهميتها في العملية التعليمية و بالتالي في تحقيق مفهوم الكفاءات في العناصر المتعلمة المستثمر فيها.

أ-النشأة والأهمية:

ارتبطت نشأة وأهمية المصطلح المزدوج «الموارد البشرية "بمصطلحين ظهرا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وهما:التسيير(la gestion)،والذي يمكن تعريفه على أنه العلم المبني على القوانين والقواعد والأصول العلمية القابلة للتطبيق ،وقوفا وتعاملا مع ثلاثة نقاط ضرورية وهي: الأهداف ،الموارد المحدودة والأفراد (نوري منير، 2010، صفحة 35) من جهة ،ومصطلح التنمية (Le développement) من جهة أخرى ،والذي يمكن تعريفه من عدة زوايا أهمها الزاوية الاقتصادية حيث يرى أصحابها أن التنمية تعني المزيد من الانتاج الاقتصادي في حين علماء السياسة يعتبرون أن

التنمية تعني المزيد من التقدم نحو الديمقراطية وتوفير الاستقرار السياسي، أما علماء الاجتماع فإن التنمية حسبهم هي مجموعة العمليات المنظمة والهادفة التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي (فريدريك معتوق، ب.ت، صفحة 128).أتى هذان المصطلحان كنتيجة حتمية لتطور مصطلح "الموارد البشرية "الذي أصبح مجالا معرفيا مُهما استجابة للتحديات العلمية المتمثلة بالترابط المعرفي في حقول المعرفة من جهة وإشباع حاجات العاملين وحاجات الزبائن وحاجات المجتمع من خلال النظرة التكاملية بين الفاعلية التنظيمية والفاعلية الاجتماعية من جهة أخرى.

ارتبط مصطلح" الموارد البشرية " بالإنسان العامل وإنتاجه في المعطيات والتسميات القديمة ،وأما حديثا فقد جاء ارتباطه بالأفراد والعمال المؤسسين لمنظومة العمل ،فنقول إن المورد البشري أو العنصر البشري قد ارتبط بشخص الموظف كعنصر بشري مستثمر فيه، ومن خلاله وبالتالي انتاجه وأعماله وبالخصوص رأس ماله (Human resources ، 18-04-2017)والمورد البشري في المفاهيم الاقتصادية الحالية هو عصب المؤسسة أو الشريان الرئيس لها أو يُمكن القول بأنه القلب النابض للمؤسسة مهما كان نوعها(شركة مالية أو اجتماعية تربوية)- نحو ما هي عليه الحال معنا في هذه الدراسة أين اتخذنا المدرسة كمؤسسة أولى وعينة للدراسة من خلالها نحاول التعرف إلى مدى إسهام المدرسة من خلال اطاراتها طبعا في بعث وخلق الاستثمار في ظل تحقيق الكفاءات -وعليه نقول إنه لا توجد مؤسسة بدون موارد بشرية- بحكم التطور الفكري والثقافي للأفراد والجمعات ،حيث لاحظنا تطور المصطلح بالتدرج مثل ما أشرنا إليه أعلاه- من مصلحة العاملين إلى مصلحة المستخدمين ،إلى مصلحة الموارد البشرية- وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن الفكر البشري قد تطور والمفاهيم الاقطاعية قد انتهت ،والمستخدم أي المستثمر قد تأكد من أن الموظفين هم أساس حركية المصالح الاستثمارية وبهم ومن خلالهم تتم التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحكم أن الاستثمار المؤسساتي للموارد البشرية من شأنه أن يُقلل من حوادث العمل وتحقيق أهداف العمل الاستثماري -(Spécialités.Bayt.com.Tizi Ouzou, 2019, p. 1) في المؤسسات.

ب-المفاهيم والمصطلحات:

- **مفهوم الموارد البشرية: Les Ressources Humaines-**

حل هذا المصطلح وبشكل تدريجي محل اصطلاح الأفراد أو القوى العاملة في سنة 1970، حيث قامت الجمعية الأمريكية لإدارة الأفراد بتغيير المصطلح إلى إدارة الموارد البشرية حتى يكون متماشيا ومتوافقا مع أدوار الاستراتيجية المتزايدة للموارد البشرية في المنظمات (ميلاط نظرة، 2020/2019، صفحة 10).

والموارد البشرية هي منظمة تعنى بالتركيز على المهام الخاصة بالموظفين من خلال تقسيم الشركة وفقا لمجموعة من الأنشطة التي تشمل التدريب وتوظيف الموظفين الجدد، وتوجيه الأفراد وتوفير الاستحقاقات الخاصة بالموظفين باعتبارهم من أهم أصول العمل. كما نجد تعريفات ومفاهيم أخرى لمصطلح المورد البشري نحو ذلك الذي يقول الموارد البشرية: هي عبارة عن تلك الجموع من الأفراد المؤهلين ذوي الخبرات والقدرات والمهارات المناسبة لأنواع معينة من الأعمال والرغبين فيها بحماس واقتناع (غربي و بلقاسم سلاطنية و آخرون، 2007، صفحة 19) أي أنها الإدارة التي تهتم بالأشخاص العاملين في الشركة فتحرص الموارد البشرية بأنها جزء من ادارة المنشآت وتهتم بإدارة وتدريب الموظفين باعتبارهم من أهم أصول العمل (تيم يزن، 09-06-2019، صفحة 34،63).

نصل هنا إلى القول إن تجارب الدول المتقدمة، قد أكدت بأن الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة فنيا قد ساعدت على تحقيق معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادي من خلال زيادة الانتاج والإنتاجية، وهذا لاهتمامها المتواصل بكوادرها عكس الدول التي هي في طريق النمو-نحو ما هي عليه الحال في ورقتنا هذه في بلادنا الجزائر- والتي نلمس فيها أن معدل الانتاج والانتاجية في بناء الكوادر المؤهلة مضطرب جدا نتيجة ضعف التكوين والتأهيل للموارد البشرية في مساراتهم التكوينية والتدريبية بشكل عام، ولأجله سنتعرف إلى مفهوم الاستثمار ودوره في تحقيق هذه العملية .

•-مفهوم الاستثمار:La définition de l'investissement

الاستثمار في مفهومه العام هو مصطلح اقتصادي حديث النشأة، يشير إلى توظيف رؤوس الأموال لتنشيط مشروع اقتصادي معين يرجع بالمنفعة المادية على أصحاب المشروع ويؤثر ايجابا على اقتصاد المجموعة (مفهوم الاستثمار). يعبر الاستثمار عن رأس مال معين مستخدم في إنتاج أو توفير الخدمات أو السلع، كما يمكن أن يكون استثمارا ثابتا والذي نجده في الأسهم الممتازة والسندات البنكية أو السلع ذات القيمة نحو المعادن الثمينة كالذهب والفضة وكذا الأحجار الكريمة نحو الألماس والزمرد ...الخ (Économie, Tizi-Ouzou ، 2019).

أ-مفهوم الاستثمار البشري: L'investissement dans le capital humain

يعتبر الاستثمار في العنصر البشري في مختلف دول العالم غاية في حد ذاته لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي السياسية، إلا أن المطلوب في هذا العنصر هو التعرف إلى مفهوم هذا المصطلح المزدوج حيث وجدنا أن مفهومه يدور حول تنمية المهارات والقدرات والقيم وبالتالي الروح العملية في العنصر البشري ومختلف المعارف المتخصصة لدى القوى العاملة التي يمكن استخدامها والاتكاء عليها لاستغلال مجمل الموارد المادية (article/99648)

ب مفهوم رأس المال البشري : Définition du capital humain

حتى نتعرف إلى مفهوم رأس المال البشري كان لابد لنا أن نؤرخ قليلا لهذا المفهوم حيث وجدنا أن البدايات الأولى لاستخدام هذا المصطلح إنما تعود إلى بداية الستينيات من القرن العشرين، وهذا ما تؤكده دراسات كل من شولتز وبيكر-باحثان أمريكيان جاءا للبحث في الميدان الاقتصادي و تحليل الوضعية الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد انهيار اقتصاد المزارعين و بالتالي ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية و افلاس البنوك في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تحصل شولتز على جائزة نوبل في الميدان الاقتصادي. -على الرغم من وجود بعض البحثة الذين يعيدون الاهتمام إلى العنصر البشري إلى أدم سميث في القرن الثامن عشر الميلادي. (Woodhall ,M, 1985, p. 21.223)

تعددت تعريفات هذا المصطلح حيث هناك من يرى أنه: المعرفة والمهارات والامكانات والقدرات والصفات والخصائص المختلفة الكامنة في الأفراد والتي لها صلة بالنشاط الاقتصادي هو رأس المال البشري ،كما هناك من يرى أنه المدى الذي يمكن أن يستخدم فيه الأفراد كل ما تعلموه وما يمتلكونه استخداما للنشاط الاقتصادي (الوافي الطيب ، صفحة 123)،إلا أننا نجد تعريف أكثر تحديدا والذي قُدم من قبل" Kendrech "، حيث أطلق عليه رأس المال غير المادي أو غير الملموس الذي يتراكم بالاستثمار في التعليم والبحوث والتدريب (مسعداوي يوسف، 2015، صفحة 235)،وهو مجموع المعارف والمهارات والخبرات وكل القدرات التي تمكن زيادة انتاجية العمال فردا كانوا أو جماعة معينة (بوسهوةنذير و وبوقفة عبد الحق، 2015).ومنه نخلص إلى أن الجزء النظري من هذه الورقة ينبهنا إلى أن ما بين ثلاثية التعليم و التعلم و المعرفة هناك الحياة العملية المقابلة والتي نؤسس ونبني من خلالها لمستقبل الأمم من خلال بناء مستقبل المتعلمين في ظل الاستثمار في قدراتهم ومعارفهم وخبراتهم في ظل تعليمهم وتدريبهم بغية الوصول إلى ترقية طريقة تفكيرهم و بالتالي أساليب وطرائق تعاملهم مع مستجدات الحياة العملية ،وهو الطرح الذي سنتعرض له في الجانب التطبيقي كجزء ثان من هذه الورقة،متسائلين قائلين مرة أخرى هل سيتحقق مفهوم الكفاءة على مستوى المتعلمين حتى نستطيع أن نقول إنه حقيقة قد نجحت العملية الاستثمارية ؟و هل تعثراتها في أرضية الواقع قائمة أم أنها مجرد اشاعات ؟

III-الجانب التطبيقي للورقة:

1- التذكير بفرضية الدراسة وأهداف الورقة البحثية:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الفرضية التالية:

تَمكين المعلمينَ في كل الميادين التعليمية من تطبيق كفاءاتهم المحصل عليها لتأهيل المتعلمين وتهيئتهم في مراحلهم التعليمية لتحضيرهم لخوض مشاوير حياتهم المهنية العملية ومنه تحقيق الأهداف المنشودة نحو:

-محاولة التقليل من اضطراب الكفاءات التعليمية في الهيئات والمؤسسات التعليمية في توصيل المعلومات والمعطيات العلمية وبالتالي المعطيات المراسية لتحقيق الأهداف المرجوة من التعليم والتعلم لمتعلم اليوم ورجل الغد؛

-التعرف إلى المدى الذي وصلت إليه الكفاءات الجزائرية وتحسين طرائق وأساليب تعليمها لصد وردع التفوق الخارجي الذي يُحاول امتصاص الأدمغة الجزائرية..... ، وأهداف أخرى نراها في خاتمة هذا البحث.إلا أنه وقبل أن نتعرف إلى التطبيق المباشر للدراسة، سنقوم أولا بدراسة الوضعية وشرحها لغاية تحقيق الدراسة التطبيقية بنتائجها.

2-دراسة الوضعية :

أتت هذه الدراسة كجزء أساس للورقة البحثية والتي تُمثل الوضعية الاكتسابية للمتعلمين في مرحلتين اثنتين، الأولى منها تلك المرتبطة بالمدى الاستيعابي الاكتسابي في المراحل التعليمية ،وقد وقع اختيارنا على المستوى الثالث جامعي كمرحلة انتقالية محورية في ذهنيات المتعلمين وبالتالي اسقاطاتهم الاكتسابية على واقعهم العملي كمرحلة ثانية نحقق ونتحقق من خلالهما الجانب التطبيقي في أرضية الواقع ،ولأجله فقد اتبعنا في تحقيق هذه الغاية المراحل التالية:

2-1 تحقيق المدونة البحثية: La réalisation du corpus

-أ مفهوم و تعريف المدونة:La définition du corpus

نقصد بالمدونة أو ما يُمكن أن نصطلح عليه كذلك بمجتمع البحث تلك الاجابات الشفهية أو المكتوبة في شكل نصوص أو أفراد وجماعات مختارة نقوم بإسقاط الجانب النظري عليهم ،كل بحسب كفاءاته وقدراته ومستواه العلمي التعلّمي، رغبة منا في الحصول على نتائج تتماشى وأهداف البحث ونتائجه المتوقعة في ظل شروط وقوانين محكمة: "مجموع من النصوص والمراجع والوثائق والأجوبة.....التي ينطلق منها عملية تحليل المحتوى ويكون حقل المتن كل العناصر التي يحتاجها المحلل والتي ينبغي أن ينتقيها بناء على أهداف وفرضيات معينة والتي يشترط فيها: الشمولية....والتمثيلية....والانسجام.....والوضوح..." - Ensemble de textes établi selon un principe de documentation exhaustive, un critère thématique ou exemplaire en vu de leur étude linguistique », sur le site cnrtl.fr/définition/corpus, dictionnaire ortolang - (عبد اللطيف الفرابي و محمد ايت موحى و آخرون، 1994، صفحة 55) وقد جاءت مدونة هذه الورقة في عنصرين اثنين هما:

-قسم التسيير، كلية الاقتصاد جامعة مولود معمري، تيزي-وزو ،الجزائر؛

-قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب واللغات ،جامعة مولود معمري ،تيزي-وزو.

ب- اختيار المدونة و أهميتها:

جاء اختيارنا لهذه المدونة بناءا على أهمية الإشكال المطروح من جهة وأهمية الاختصاصان اللذان قد أخترنهما للاشتغال عليهما من جهة أخرى، والمتمثلان في:

- **العينة الأولى:** طلبة قسم الاقتصاد، الليسانس، المستوى الثالث، تخصص تسيير، وقع اختيارنا على هذه الفئة من الطلبة لأنهم يمثلون الفئة المتكونة في ظل الأليات الاقتصادية التي تأتي كضرورة في تأسيس وبعث حركية البلاد ومستقبلها من جهة؛

-**العينة الثانية:** طلبة قسم اللغة العربية، المستوى الثالثة ليسانس، تخصص لسانيات تطبيقية، وقد جاء اختيارنا لهذه العينة أيضا للأهمية التي تحملها اللغات في شكلها العام واللغة العربية بشكل خاص في العملية التواصلية في ظل السياسة التجارية الحالية التي تقوم على الاتقان اللغوي السليم لبناء اقتصاد عالمي محمول بين حنايا اللغة العربية كلغة وطنية أولى في الجزائر .فالهدف من استغلال هذه العينة من هذا القسم "قسم اللغة العربية وآدابها" إنما جاء لأجل تبيّان المدى الذي وصلت إليه اللغة العربية في ميدان تسويقها كلغة وطنية ولغة عالمية رافدة للاقتصاد متسائلين مع أعضاء هذه العينة عن نسبة استغلالهم للغة العربية في المعاملات التجارية على اختلافها وعلى اختلاف طرائقها (أي الافتراضية أو تلك القائمة في المؤسسات كهيئات مادية قائمة) لرفع الاقتصاد الوطني وبالتالي الإسهام في العملية الاستثمارية في ظل اللغة العربية في القرن الواحد والعشرين في ميدان التعليم أولا، أي في المؤسسات التعليمية ،ومنه المؤسسات الاقتصادية.

-ج- وصف المدونة:

جاءت مدونة هذه الورقة البحثية متكونة من مجموعة من الآراء كإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي حاولنا صياغتها في شكل استبيان لمجموعة من الأساتذة المعلمّين في كلا الكليتين- كلية الآداب و اللغات وكلية الاقتصاد- ،والتي جعلناها عينة هذا العمل العلمي الأكاديمي في قسمي:التسيير بالاقتصاد واللغة العربية بكلية الآداب واللغات ،جامعة مولود معمري، تيزي-وزو ،الجزائر.

د- مكونات المدونة البحثية:

لقد حاولنا تكوين مدونة ضخمة من كلا القسمينّ حتى نستطيع التوصل إلى نتائج أكثر تنوع وأكثر دقة، لتحقيق المطلوب ،إلا أنه ونظرا لنوع الورقة البحثية• فقد وقفنا عند عشرين عنصرا من الأساتذة المُكونيّن في كلا القسمينّ وبالتالي في كلا الكُليّتين ،على الرغم من أن الاجابات التي وردتنا جاءت ضئيلة ،وصعبة القراءة ،نظرا لعدم فهم الأسئلة بشكل واضح من قبل الأساتذة المُكونين في قسم التسيير بكلية الاقتصاد والتي أوردناها باللغة العربية –كما هو موضح أدناه–على الرغم من ترجمتنا للمدونة في ورقة

" •-احتكامنا إلى قواعد المجلة المقرر نشر بها هذا الورقة البحثية" التحكم في عدد الصفحات

جانبية - ولقد قمنا بتقسيم المدونة إلى ثلاثة أقسام كل قسم يُعبر عن معطى معين - بحيث جاء القسم الأول لتقديم البيانات الشخصية والتعرف من خلالها على كل مستجوب ،أما الجزء الثاني من المدونة فقد جاء مُعرفا بمستوى المورد البشري المستثمر الأستاذ من خلال طرح أسئلة تحمل الايجاب أو النفي ،مع ضرورة التعليل، ختمنا الاستبانة بجزء ثالث طرحنا من خلاله وفي جمل مركبة متوسطة المدى الانشغالات المعبرة عن لب الإشكالية مطالبين بإجابات دقيقة حاملة للحلول الممكنة.

ه-تحقيق الاستبيان:

في اطار انجاز دراسة علمية أكاديمية والتي عَنونَها ب :"اضطراب الكفاءات التعليمية في الهيئات والمؤسسات التعليمية في الجزائر في ظل التكوين السلبي للموارد البشرية "-قراءة في المسألة-

أردنا وضع بين أيديكم هذا الاستبيان لمساعدتنا في الاجابة عن الأسئلة المحتوة في هذه الاستمارة والتي سوف نسعى من خلالها إلى بناء نتائج خادمة للأبعاد التعليمية التكوينية أولا وما مدى نجاح التكوين السليم للموارد البشرية في ظل التكفل السليم ثانيا، أي أننا حاولنا التعرف إلى مدى نجاح الكفاءات التعليمية في تهيئة الكوادر البشرية المستثمر فيها في ظل الهيئات والمؤسسات التعليمية في كل المستويات المختلفة، وهل يؤدي هذا التكوين بالضرورة القصوى إلى التكوين السليم للموارد البشرية أم كيف؟

نعلمكم أن هذا الاستبيان قد تم اعداده من قبلي الأستاذة الباحثة د. فتيحة حداد بكلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري، تيزي-وز. و قد رتبته على النحو التالي:

1- البيانات الشخصية:

-ضع علامة(×) على الآتي:

- الجنس: ذكر: ☐ أنثى ☐
- السن: ما بين 30 إلى 35 ☐ 45 وما فوق ☐
- مدة العمل والخبرة :من 5 إلى 10 سنوات ☐ من 15إلى 30 سنة ☐
- الانتماء المؤسساتي: جامعة مولود معمري ☐ أخرى ☐

2-أجب بنعم أم لا مع التعليل:

-اللغة مهمة في التحصيل المعرفي؟

-المتعلم مستثمر فيه ؟

-الكفاءة مهمة في التحصيل العملي؟

-المورد البشري هو المتعلم الكفء ؟

3-أجب عن الأسئلة التالية:

-ماهي اهتماماتك في الحياة؟

.....

-ما مفهوم التحصيل المعرفي حسب تجربتكم التعليمية ؟

.....

-التعليم بالمقاربة بالكفاءات يفصح عن التحكم في مجريات ذهنيات المتعلم أم كيف؟

.....

- البرامج التعليمية في اختصاص الاقتصاد في التسيير على وجه التحديد تتيح فرصة تكوين ذهنيات المتعلمين أم كيف ؟

.....

-ما هي النشاطات المعرفية التي تسهم وبشكل مباشر في بناء وتأسيس كفاءة بشرية مستقبلية حسب التجربة؟

.....

-ما هي أسباب ضعف التكوين البشري في الهيئات و المؤسسات التعليمية في الجزائر؟

-أ ضعف المناهج و الطرائق الأدائية ؟

.....

-ب صعوبة البرامج المقترحة من قبل الهيئة الوصية أم كيف ؟

.....

- ما هي الحلول التي ترونها مناسبة لتحسين التكوين السليم للموارد البشرية المستثمر فيها في الجامعات الجزائرية ؟

.....

-رأيكم في المسألة

.....

في الاخير، نقول: نأمل أن تأتي الاجابات على تساؤلاتنا هذه علمية، دقيقة، هادفة معبرة عن الغاية المتوخاة منها. والشكر موصول للجميع للإسهام في هذا الطرح.

د. فتيحة حداد كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري تيزي-وزو الجزائر.

و-تحليل المدونة:

اعتمدنا في تحليل هذه المدونة على النتائج المتوصل إليها من خلال الإجابات الواردة في الاستبانات والتي جاءت معبرة عن عدة ذهنيات وعدة أفكار يختلف بعضها عن بعض بحسب المرجعية العلمية لكل مجيب من كلا الكُلّيتين أولا، وبين كل أعضاء العينة الواحدة ثانيا نظرا لنوع الرصيد الثقافي المكتسب والمعبأ على مستوى الأدمغة لكل واحد تعملا والتجربة العلمية والعملية التعليمية المكتسبة في أرضية الميدان. وقد جاءت مراحل تحليل المدونة للاستبانة على النحو التالي"

- احصاء عدد المجيبون على كل التساؤلات المطروحة والتي قدرت في قسم اللغة العربية ب18 مجيب، أي ما يُعادل18 وثيقة وأما في قسم التسيير بكلية الاقتصاد فقد قدرت عدد الوثائق الحاملة للإجابات ب 16 استبانة؛

-حذف كل تلك الاستبانات التي لم تحمل اجابات علمية دقيقة؛

-احصاء عدد الاناث والذكور من خلال الاجابات، فوجدنا أن عدد الأستاذات المجيبات في قسم اللغة العربية وآدابها يفوق بالكثير العدد الذكوري عكس ما وجدناه في قسم التسيير بكلية الاقتصاد أين جاءت الاجابات الذكورية أكثر من تلك التي وردت عند العنصر الأنثوي.

-احصاء المراحل العمرية ونوعية الاجابات نسبة إلى هذه الصفة، فوجدنا أن الاجابات المرتبطة بالفئة العمرية الشابة تتفهم اكثر التداخل والتآلف القائم ما بين المفاهيم الاقتصادية المادية والإسهام اللغوي في المعاملات التجارية في ظل استراتجيات الحديث والتسويق اللغوي عكس ما هي عليه الحال مع الفئات العمرية التي اجتازت الأربعين ويعود السبب في هذا حسب تجربتنا الميدانية وملاحظتنا القائمة إلى طرائق تكوين الموارد البشرية وبالتالي طرائق تعبئة الكفاءات المعرفية خلال المراحل التعليمية المختلفة.

- قمنا أيضا بإحصاء نوعية الاجابات من حيث التفعيل الإيجابي المعبر عنه من خلال الاجابات الواردة في الجزء الثالث من هذا الاستبيان والتي وجدناها تروج أحيانا لأفاق تعليمية استثمارية جد متطورة، وأحيانا أخرى لأراء جد مضطربة في ظل التضارب الواقع ما بين المفهوم الاقتصادي المغلوط والمفهوم الاجتماعي غير الواقعي حسب ما يمثله الجدول أدناه:

الجملة الشر	الطرح الاصطلاحي	الطرح الاجتماعي	الطرح المعرفي	البعد الاجتماعي	الطرح الثقافي	الطرح الاقتصادي	المفهوم الاستثماري	قراءة النتائج حسب الجنس
س1	سليم	مضطرب	متوفر	مغيب	مضطرب	غير واضح	مضطرب	مطلب الحياة مضطرب عندا لجنسين
س2	مفهوم	مضطرب	مفهوم	مغيب	قائم	قائم	مفهوم	المفهوم المعرفي قائم عند الجنسين
س3	مفهوم	مغيب	متوفر	مغيب	مغيب	قائم	قائم	الطرح مغيب في بعده التعليمي ،قائم فيالبعد الاقتصادي عند الذكور
س4	واضح	قائم	قائم	قائم	قائم	قائم	قائم	الطرح مفهوم عند الجنسين
س5	غير مفهوم	غير قائم	مغيب	مغيب	قائم	مغيب	مغيب	الطرح غير مفهوم
س6	مفهوم	قائم	قائم	قائم	قائم	قائم	قائم	الطرح قائم و مفهوم
س7	مفهوم	مضطرب	مضطرب	مضطرب	مضطرب	مضطرب	مضطرب	الطرح مضطرب
س8	مفهوم	مضطرب	مضطرب	مضطرب	مضطرب	مضطرب	مضطرب	الطرح مضطرب جدا

-ه-نتائج التحليل:

-مفاتيح الجدول: جاءت مفاتيح الجدول في ثلاثة نقاط ،الأولى منها :الترميز، حيث رمزنا للأسئلة بالحرف "س" متبوع برقم معين دليل على رقم السؤال بحسب ما جاءت عليه الأسئلة في الاستبيان، أما الثانية فقد جاءت في الخانات التسعة في التمثيل الاستقامي وثمانية خانات في الترتيب العمودي، والمدقق للاستبيان يلاحظ أنه يحوي على تسعة أسئلة، تركنا السؤال الأخير معلق كملخص نعول عليه في توصيل بعض النتائج والاقتراحات ،أما النقطة الثالثة فقد مثلنا لها بتلك النقاط المعبئة في الجدول المستخلصة من الأسئلة المطروحة المعبرة عنها بآرائنا المستنتجة من القراءات المسقطة على الاجابات .

وقد اشتغلت بطريقتين أو أسلوبين اثنين هما: الأسلوب الاحصائي والأسلوب التحليلي حيث توصلت في الطريقة الأولى إلى النتائج التالية :

- اضطراب المفاهيم الثقافية والاجتماعية عند الفئة المستثمرة، في كلا التخصصين: اللغة أو الاقتصاد وكذا عند الجنسين الذكوري والأنثوي،

-الفهم المضطرب للمفاهيم الاقتصادية الاستثمارية وعلاقتها بالسياسات الاجتماعية والثقافية في بناء المفهوم التعلمي التحصيلي لدى المتعلمين كفئة مستثمر فيها في الهيئات والمؤسسات التعليمية في التعليم العالي كهيئة استثمارية يُعول عليها مستقبلا.

استنتاج معطيات احصائية شارحة لوضعية فقدان الثقة ما بين التركيبة الاجتماعية: المتعلمين، المعلمين والوسط الاجتماعي المنتج بالضرورة القصوى للذهنيات الحاملة للمفاهيم المعرفية المغايرة للثقافات مما أدى إلى تدهور التركيبة الاجتماعية الشابة في ظل تهلهل آليات البناء الاجتماعي أمام تدهور المفاهيم الثقافية والتربوية، والتي سجلنا على النحو التالي:

-الفهم الاستثماري وعلاقته بالمؤسسات التعليمية: وجدناه لا يتعدى 20%من نسبة الفهم المطروح في أرضية الواقع لهذه العلاقة وأهميتها في حياة تأسيس الكفاءة التعليمية العملية للمتعلمين حسب الأساتذة المكونين.

-الاصطلاح الاقتصادي الجاف: والذي وجدناه قائم وقدرنا نسبة تداوله ب:55% وبخاصة عند العنصر الذكوري في كلية الاقتصاد من خلال طرح الأساتذة لهذا المفهوم ومادى استجابات المتعلمين المستثمرين فيه.

-مسألة ربط التكوين بالكفاءات العملية، وجدناها مغيبة :5%للأسباب نفسها، قلة الوعي، وقلة المتابعة الواجب توفرها هذه المرة بين الهيئة ذاتها أي المؤسسة الساهرة على السير الحسن للعملية التكوينية والمتعلم المستثمر فيه رغبة في ربط وعي الفرد المتكون ووضعه في ظل الشخص المسؤول غدا.

-3-الاقتراحات والتوصيات:

يدفعنا هذا العمل إلى التفكير في مسألتين اثنتين لا ثالث لهما، واللتين سأعبر من خلالهما عن الاقتراحات والتوصيات التي أتمنى أن تجد صدى في يوم من الأيام ما بين المتعلمين ولدينا نحن كمعلمين ومدربين في مؤسساتنا وهيئتنا التعليمية وهي:

-ضرورة متابعة المتعلم وربطه منذ نعومة أظافره بمفهوم المسؤولية المستقبلية، أي أنه يجب أن نتعلم كجنود للتعليم والتعلم أن نربي الأطفال المتعلمين على حب ما يفعل وضرورة تحمل مسؤولية ما يفعل، والابتعاد عن مفهوم الاتكالية.

-تقاسم التربية والتكوين منذ الصغر ما بين الأسرة كلبنة أولى والهيئات التعليمية والتربوية في كل المستويات على اختلاف مستوياتها.

-بناء الأسس الهندسية على مستوى أذهان المتعلمين، رغبة في بناء فضاء ذهني يقوم على ربط جزئيات الميادين الحياتية حتى ترتقي معه في تفكيره البراغماتي النفعي، مما يجعله صاحب تفكير عام غير جزئي يحمل الكل في ظل الجزئية والعكس صحيح، ومنها أي من هتين النقطتين نقول من هذا المنبر بضرورة:

-تأهيل وهيكلة البرامج والطرائق التعليمية ورفع مستوى التعليم من الوضعية التي هو عليها إلى المفاهيم الهندسية القائمة على مفهوم فهم الثقافات وحبها وفهم العلوم وربطها ببعضها البعض للارتقاء بها.

-بناء مدرسة جديدة في ظل تفكير جديد يرتقى والتفكير العالمي القائم على الابعاد الاجتماعية المتفاوتة والأبعاد الاقتصادية المنتجة و المبادئ الأخلاقية المشروعة.

المصادر و المراجع :

المراجع العربية :

1- طه الوالي،" التعليم عند المسلمين في بداياته وتطوراته عبر مراحله ومناهجه ومؤسساته «،مجلة الدراسات النفسية والتربوية،ع9،المغرب ، 1989م.

2-نوري منير ،تسير الموارد البشرية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2010م.

3-فريدريك معتوق ،معجم العلوم الاجتماعية(إنجليزي ،فرنسي ،عربي)، د.ط ،منشورات أكاديميا، دت.

4- علي غربي ،بلقاسم سلاطينه و آخرون تنمية الموارد البشرية،ط1،دار الفجر للنشر و التوزيع،2007م.

5- يزن تيم، إدارة الموارد البشرية (أساليب الإدارة الحديثة)، الأجيال للنشر والتوزيع، المكتبة الإلكترونية ، تيزي-وزو،09-06-2019م.

6-الوافي الطيب ،محاضرات في مقياس مراقبة التسيير ،معهد العلوم الاقتصادية والتجارية و التسيير، جامعة تبسة ،الجزائر.

7- مسعداوي يوسف ،دور الاستثمار في التعليم في تنمية رأس المال البشري-دراسة تقييمية لحالة الجزائر «،مجلة الاقتصادالجديد،العدد12،المجلد،2015م.

8- بوسهوة نذير، وبوقفة عبد الحق ،أهمية الإنفاق العام على قطاع التعليم العالي و البحث العلمي في تراكم الرأس المال البشري دراسة حالة الجزائر –أعمال الملتقى الوطني الأول: تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية جامعة الجلفة ، الجزائر،20-2015/05/21 .

2-فتيحة حداد، تطور مناهج تعليم اللغة العربية في العصور الإسلامية الأولى"-دراسة تاريخية نقدية- أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري-تيزي-وزو، الجزائر:2014م.

9- عبد اللطيف الفارابي، محمد أيت موحى وآخرون ، معجم علوم التربية لمصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، سلسلة علوم التربية ، 9-10، ط1،دار الخطابي للنشر والتوزيع،المغرب:1994م.

10-المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة:2004م.

11-بربزي عبد الله ، "صورة المتعلم في نظريات التعلم :من الذات المنفعلة إلى الذات الفاعلة"

12-الوثيقة المرفقة لمناهج السنة الثالثة من التعليم المتوسط، مادة اللغة العربية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، يوليو2004م.

13-مجدي العزيز إبراهيم، تنمية تفكير المعلمين و المتعلمين(ضرورة تربوية في عصر المعلومات)،د.ط، عالم الكتب للنشر و التوزيع، القاهرة:2006م.

14-محسن على عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية، ط1،دار المناهج للنشر والتوزيع ،عمان:2003م.

15-هاشم عواضة، تطوير أداء المعلم كفايات بالتعليم والتأهيل المتواصل والإشراف، ط1،دار العلم للملايين، لبنان:2008م.

المراجع الأجنبية :

-01 Louis Amilla, et autres, dictionnaire de pédagogie, éditions bourdas paris, 2000.

-02 Les définitions. fr/école, les définitions, dico des définitions, NOV1, 2011.

-03 Human resources « Business dictionary » retrieved 18-04-2017 –Edited.

-04Woodhall ,M(1985)Human Capital Concepts .In G. Psacharopoulos (ED),Economics of Education :Research and studies.Oxford :Pergamum.

المواقع الإلكترونية:

WWW.Spécialités.Bayt.com.Tizi-Ouzou-01 ماهي أهمية المورد البشري في المؤسسة "، le 23 /06 /2019.

02 - ميلاط نظرة، محاضرات في مقياس: تسيير الموارد البشرية جامعة برج بوعريرج،الجزائر:2019-2020، على الموقع التالي : Fshs.univ-bba.dz.

03 -مفهوم الاستثمار على الموقع التالي:https://bayrdz.com.

04- www.Un dictionnaire .com. Économie, Tizi-Ouzou le 22-05-201905- www.shabiba.Com/article/99648.

أثر القرآن الكريم في شعر ابن زيدون من خلال جهورياته وعبادياته: دراسة وصفية

The Impact of the Noble Qur'an on Ibn Zaydun's Poetry through his Johouriat and Abadiat: A Descriptive Study

مرعي أرحومه جمعة الجالي/جامعة درنة،فرع القبة، ليبيا
marae.aljaly@omu.edu.ly

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تتبع الأثر القرآني في شعر ابن زيدون، من خلال شعره في ابن جهور، وابن عباد، ومحاولة بيان كيفية اختيار الآية الموظفة من خلال شعره في ممدوحَيْهِ. واعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي الذي يقوم على قراءة شعره، ومحاولة استخراج التوظيفات والوقوف على معناها، وخلص البحث إلى نتائج منها:

1ـ برز الأثر القرآني في شعر ابن زيدون بشكل واضح، وهذا يدل على عمق هذا الأثر في نفسه، وإيمانه المطلق بأهميته داخل النص، وما يضفيه عليه من قداسة وطابع تشريفي.

2ـ أن شعره كان تعبيراً صادقاً عن مكنوناته النفسية، ومواقفه، ففي محنة السجن وظف في شعره أغلب القصص القرآني التي تصور الآلام والمعاناة، فاستوحى من خلال خطابه لابن جهور قصة السامري، وقصة سيدنا يوسف والذئب، وقصة سيدنا موسى في أكثر من موقف، وقصة سيدنا إبراهم، تصويراً لآلامه وأحزانه ومعاناته. أما في بلاط المعتضد بن عباد فيشير إلى الآيات القرآنية التي تتحدث على نعم العيش والأمن، وعقاب من كفر بهذه النعم.

الكلمات المفتاحية: أثر القران الكريم، شعر ابن زيدون، جهوريات، عباديات

Abstract

This research aims to trace the Quranic impact on Ibn Zaydun's poetry, through his poetry in Ibn Jahour and Ibn Abbad, and to try to show how to choose the employed verse through his poetry in Mamdouhi. A descriptive and analytical method was used based on reading Ibn Zaydun's poetry to extract the employments and determine the meaning of these employments. The results showed that the Quranic impact emerged clearly in Ibn Zaydun's poetry, and this indicates the depth of this effect in himself, his absolute belief in its importance within the text, and the holiness and honorable character it confers on it. The results also revealed that Ibn Zaydun's poetry was a true expression of his psychological secrets and his attitudes. In the ordeal of prison, he employed most of the Quranic stories that depict pain and suffering in his poetry. Through his speech to Ibn Jahour, Ibn Zaydun was inspired by the story of the Samaritan, the story of our Master Joseph and the wolf, and the story of our Master Moses in more than one situation, and the story of our Master Abraham; a depiction of his pain, his sorrows and his suffering. As for the court of Al-Mu'tadid bin Abbad, he refers to the Quranic verses that speak of the blessings of life and security and the punishment of those who disbelieve in these blessings.

Keywords: Quranic effect; Ibn Zaydun's poetry; Johouriat; Abadiat

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن هذا البحث يتناول أثر القرآن الكريم في شعر ابن زيدون من خلال شعره في بلاط بني جهور، بقرطبة، وفي بلاط بني عباد بإشبيلية من حيث كيفية اختيار الآية القرآنية.

فمن خلال دراستنا لشعر ابن زيدون نجده قد تأثر تأثيراً واضحاً بالقرآن الكريم، حيث شكل رافداً ثقافياً لشعره مدركاً أن ما حملته لغة القرآن من بيان وبلاغة وروعة في التعبير تضفي على شعره مدلولات عميقة وتكسبه رونقاً وجمالاً.

وسنتتبع في هذا البحث أثر القرآن الكريم في شعره والكشف عن أسبابه، وبيان نوعه في البلاطين.

ويكمن سبب اختيار الموضوع، في أن أغلب الذين تناولوا شعر ابن زيدون اهتموا بالظواهر الأدبية في شعره، ودراسة أغراضه، وركزوا على قضاياه السياسية، والاجتماعية، والعاطفية، على أنه شاعر السياسة، واللهو والمجون والحب، بسبب طبيعة عصره، ولم يلتفتوا إلى الظواهر الدينية. ومن أهم الدراسات التي تناولت شعره دراسة الدكتورة زهراء نعمة، والدكتورة دنيا نعمة، (أثر القرآن الكريم في شعر ابن زيدون)، عالجت الباحثتان الموضوع في مدخل وثلاثة مباحث، بينتا في المدخل ثقافة الشاعر وبيئته، وتناول المبحث الأول توظيف القصص القرآني والألفاظ والمعاني في شعر الغزل والطبيعة، وتناول المبحث الثاني توظيف القصص القرآني والألفاظ والمعاني في المدح والرثاء، وتناول المبحث الثالث توظيف القصص القرآني والألفاظ والمعاني في الشكوى والعتاب. فتتبعت هذه الدراسة المعنى واللفظ القرآني والقصص القرآني، في أغراضه الشعرية، دون تحديد أسباب التوظيف من خلال البلاط الذي عاش فيه، وأثره في شعره، وكذلك دراسة بلال سالم الهروط (الإبداع الفني وقضايا الأسلوب في شعر ابن زيدون) وهي أيضاً دراسة جادة أهتمت بأساليب ابن زيدون الفنية. ومن هنا سيهدف هذه البحث إلى تتبع أثر القرآن في شعر ابن زيدون من خلال جهورياته، وعبادياته، وقد سلكت هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي المستفيد من المنهج التاريخي.

المبحث الأول، حياة ابن زيدون وعصره: ابن زيدون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، ولد سنة 394هـ، فعاش حياة الصبا بقرطبة في أحلك عهودها وأظلم عصورها في عهد غروب شمس الخلافة الأموية في الأندلس وزوال نورها وانطفاء نجمها، فترة التناحر على الخلافة وإثارة الفتن وبعث الاضطرابات وانتشار الدسائس والانقلابات. اشترك ابن زيدون في ثورة بني جهور على آخر خلفاء بني أمية لقلب الحكم، وقد أسهم بدور رئيس في "نشأة الدولة الجَهْوَرِيّة"(ابن خاقان، 1989ص 209)، فاتخذه أبو الحزم وزيراً له، إلى أن وقع له "طلب صيره إلى الاعتقال"(ابن سعيد،

ص63)، فتركت هذه المحنه أثراً عميقاً في نفسيته، لأن شعره كان تصويراً صادقاً لمعاناته وآلامه، فظل يستعطفه فلم يعف عنه، ففر من السجن واتصل بالمعتضد بن عباد ملك إشبيلية فاحتفل به احتفالاً رائعاً، "فألْقَى بِيَدَيْهِ مقاليدَ مُلْكِهِ وزِمامِهِ، واسْتَكْفى لَهُ نَقْضَهُ وإبْرامَهُ، فَفَازَ قِدْحُهُ، وما جازَ عبَّاداً ثَنَاؤُهُ ولاَ مَدْحُهُ، ومازالَ رائحاً في العُدَّةِ وغادِياً، ولائحاً في سمائِها وبادِياً، لَمْ يَتَقَلَّصْ لَهُ ظِلٌّ، ولا أَضْحَى لَهُ أَمَلٌ مُسْتَظِلٌّ، إلى أنْ أدْرَكَهُ حِمَامُهُ(ابن خاقان، 215، 216) فمدحه حباً وصدقاً مشيداً بكل ما وجده من بر وحفاوة وصار وزيراً له. ويعد ابن زيدون من أبرز شعراء الأندلس في القرن الخامس الهجري، وهو سليل أسرة اشتهر أفرادها بالعلم والأدب (الصفدي، 2000، ص56) ، فأبوه فقيه ذو مكانة علمية، ودينية محترمة، فوصله بالعلماء والفقهاء من أصحابه، فمهد له هذا الجو الذي درج فيه عوامل العظمة والنبوغ ، ومن العلامات البارزة في شعره تأثره بالقرآن الكريم ، مستعيناً بألفاظه ومعانيه وموظفا لآياته الكريمة؛ لأن مناهج الدراسة عند الأندلسيين الأولى كانت" تتناول الخط وقراءة القرآن وتعلم النحو والصرف ورواية الشعر، أما التعليم العالي عندهم فيقوم على تفسير القرآن الكريم ودراسة علوم الدين..."(عبد العظيم، 1955 ص 24) وفي ذلك يقول ابن زيدون مفتخراً بعلمه: (ابن زيدون، 1957 ص 386)

وَأَنْجَدَنِي عِلْمٌ تَوَالَتْ فُنُونُهُ كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِخَابُ

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في شعر ابن زيدون في أبي الحزم ابن جهور:

ويعد أبو الحزم هو أول ممدوحي ابن زيدون، فقد كان "من أشد الناس تواضعا وعفة وصلاحا، وأنقاهم ثوباً، وأشبههم ظاهراً بباطن، وأولاً بآخر ... جليس كتاب منذ درج .. مشاهدا للجماعة في مسجده، خليفة الأئمة متى تخلفوا عنه، حافظاً لكتاب الله قائماً به في سره وجهره متقناً لتلاوته متواضعا في رفعته"(ابن بسام، 1997 ص603). ولعل أول قصيدة استعطف بها أبا الحزم من سجنه بائيته التي قال في مطلعها حاناً لولادة بقوله:

وَلَقَدْ قَضى فِيكِ التَّجَلُّدُ نَحْبَهُ فَثَوَى وأَعْقبَ زَفْرَةً ونَحِيبَا(ص324)

فالشاعر تجلد في هواها حتى انقضى صبره، إلا أنه ما زال ساعٍ إليه، كناية على وفائه لها، في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ الأحزاب: الآية 23: ورغم اختلاف الموقفين إلا أن الصورة التي رسمها الشاعر في مخيلته، مقتبسة من الآية الكريمة، فهي تشير إلى الصدق والوفاء بالعهد. ثم انتقل إلى ممدوحه فوصفه بأنه:

مَـلِكٌ أَطَاعَ اللهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ مَا زَالَ أَوَّابـًا إِلَيْهِ مُنِيبًا
يَأْتِي رِضَاهُ مُعَادِيًا وَمُوَالِيًا وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبًا ومُثِيبًا

يشير إلى قوله تعالى:﴿فإنه كان للأوابين غفورا﴾ الأسراء: الآية 25، ثم ويصف حاله وما ألمَّ به من آلام معاناة، لو ألمت بجبل لانهال وصار كثيبا مهيلاً، في إشارة إلى الهول العظيم الذي سيكون عليه حال الأرض والجبال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ المزمل: الآية14، فيقول:

لألَّمَّ بي ما لو ألَّمَّ بشاهقٍ لأنهال جانبه فصار كثيبا

ويرى الشاعر أن سبب المحنة التي آل إليها هم الوشاة الذين كانوا كإخوة يوسف عليه السلام حين ألقوا به في غيابات الجبِّ، واتهموا الذئب زوراً وبهتاناً بدمه، يقول:

كَانَ الوُشَاةُ ـ وقَدْ مُنِيتُ بإفْكِهِمْ ـ أسْباطَ يَعقُوبٍ وكُنْتُ الذِّيبَا

وتدور فكرة الشاعر من خلال القصيدة حول الاعتراف بالخطيئة، حيث يتمنى من أبي الحزم أن يقبل بهذا الاعتراف، وأن يقول له ما قال يوسف لأخوته(لا تثريبا) في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ (يوسف:9) أي لا لوم عليكم ولا تعيير على هذا الذنب، فأنت أيها الأمير إذا جدت علي بالسماح فلن أخشى ملاماً أو عقابا، فقال:

وإذا المُنى بِقَبُولِكَ الغَضِّ الجنى هُزَّتْ ذَوَائِبُها فلا تَثْرِيبَا

ولما كان السجن أعظم محنة تعرض لها الشاعر، استدعت مخيلته القصص التي تصور الآلام والمعاناة؛ فكثر في شعره الاستعطاف، وطلب العون من الأصدقاء، ومن قصائده بعد هذه المحنة لاميته الشهيرة التي أشار فيها إلى الكثير من آيات القصص القرآنية، ويذكر أن أمه زارته في سجنه، فلما رآها واهية الجفون لغزارة ما ذرفته من الدموع من شدة وجدها، ناجاها داعيا إياها إلى الصبر، وأن تتأسى بأم موسى التي رمت بابنها في اليم، فيقول: (ص264)

أَمقْتولةَ الأجْفَـانِ مَالَكِ والـهاً ؟ ألَمْ تُرِكِ الأيَّـامُ نجماً هوى قَبلـــي
أقِلّي بكـاءً لستِ أوَّلَ حـــرّةٍ طَوَتْ بالأسى كشْحاً على مضَضِ الثُّكلِ
وفي " أمّ موسى" عِبرةٌ إذ رَمَتْ بِهِ إلى اليمّ في التَّابُـوتِ ، فاعْتبِري واسْلِي

فهو يشير إلى قصة سيدنا موسى الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص:37) ثم يخاطب ممدوحه في حيرة متسائلاً ماذا أفعل بمديحي لك وثنائي عليك، أأبدله بهجاء؟ فأكون ناقضاً للعهود بعد قوتها وتوكيدها، فيكون كالتي نقضت غزلها بعد قوة نسجه متأثرا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل:92)، قائلاً معبراً عن معاناته:

أَأَنْكُثُ فِيكَ المَدْحَ مِنْ بَعْدِ قوةٍ ولا أقْتَدِي إلَّا بِناقِضَةِ الغَزْلِ؟

كما عبّر الشاعر عن بؤسه وشقائه حين شكا أصدقاءه الذين تنكروا له وانقلبوا عليه بعد نكبته، واتقوا الاقتراب منه، كما لو كان السامري" وهو الذي أضل بني إسرائيل، ودعاهم إلى الشرك لما خرج موسى عليه السلام لمناجاة ربه، فعاقبه الله بأنه لا يمسَّ إنساناً إلاَّ أدركتهما الحُمى معاً"(الداية، 1969ص 78)، فتحامى الناس وتحاموه، فكان يصيح فيهم: لا مساس، فقال:

مَا تَرى في مَعْشَرٍ بَعْدَمَا حَا لُوا عنِ العَهْدِ وخَاسُوا؟
ورَأَوْنِي سَامِرِيّاً يَتَّقُونِي مِنْهُ المَسَاسُ

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي* قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه:95 ـ 97)، فالشاعر انتابته الحيرة فلا يدري ما حلَّ به، وما سيفعل فحاله كحال، من أضلته الشياطين عن منهجه الموصل إلى مقصده(السعدي، سورة الأنعام الآية71)، مقتبساً لفظة حيران من قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام:71]، قائلا:

أنا حيران وللأمر وضوح والتباس

غير أن الشاعر بعد هذا الغضب، واليأس يعاوده الرضى والأمل، فهذه الشدة سيعقبها فرج؛ فالماء يتفجر من الصخر الصلد. فقوم موسى عليه السلام لما كانوا في محل لا ماء فيه طلبوا منه أن يدعو الله تعالى، أن يسقيهم، فأوحى الله لموسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت العيون الجارية السارحة(السعدي،1432هـ،283)، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾الأعراف،الآية:160،فقال آملاً متصبراً:

إن قسا الدهر فللماء من الصخر انبجاس

ويمضي الشاعر في استلهام القصص القرآني، فكما زادت محنته ازداد استدعاؤه للقص القرآني كقوله مستعطفاً أبي الحزم: (ص283)

نارُ بَغْيٍ سَرى إلى جَنَّةِ الأمْنِ لظَاهَا فأصْبحَتْ كالصَّرِيمْ
بِأبِي أنْتَ !! إنْ تَشَأْ تَكُ بَرْداً وسَلاماً كنَارِ إبراهيمِ

ففي البيت الأول، يستحضر الشاعر قصة أصحاب الجنة الواردة في قوله تعالى: "فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ القلم 19ـ 20،وكأن الشاعر يقارن بين حاله قبل سجنه وبعده، فتحول من جنة إلى جحيم؛ لأنه لم يحافظ على ما أنعم الله عليه، فارتكب خطأً صيره إلى السجن، ويشير في البيت إلى قصة سيدنا إبراهيم الذي ألقى به قومه في النار ؛ ليحرقوه فأنقذه الله منها

بأن جعلها برداً وسلاماً عليه، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنباء:69) مصوراً "ما يتحلى به أبو الحزم من سمات القوة والهيبة... كأنه أراد القول بأن عطفك يحول نكبتي إلى جنة، ويبدل محنتي سروراً، مثلما تبدلت حرارة النار ولهيبها جنة ونعيما على سيدنا إبراهيم بأمر إلهي" (الهروط، 2004 ص130)، ثم يبحث الشاعر عن سبيل يخرجه من هذا المآل الذي صار إليه؛ يتذوق من خلاله رضى أبي الحزم العذب السائغ بعد أن تكدر صفو العتاب، ورأى ما رأى من عذاب، فيقول: (259)

هَل مِن سَبيلٍ ، فماءُ العَتْبِ لي أسِنٌ، الى العُذُوبةِ من عُتباكَ والحَصَرِ

في إشارة إلى قوله تعالى في وصف حال الظالمين لما يرون العذاب الأليم، فيظهرون الندم فيطلبون العودة، ليعملوا صالحا: ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾الشورى:44، ويلتفت إليه؛ محاولاً أن يكسب وده، ويحظى بعطفه فيلتمس له بعض العذر في إطالة أمد السجن، وأن المآل تم بأمر الله وقدره فهو كاشف الضر دون غيره، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الأسراء:56)، فقال:

وإن يثبّط أبا الحزم الرَّضى قدَرٌ عن كشفِ ضري فلا عتبٌ على القدر

ويقول الشاعر:

ما للذنوب التي جاني كبـائرها غيــري يحمّلـــني أوزارها وزري؟

يتساءل الشاعر في حيرة ما بالُ ينقلب عليَّ ويحملني أخطاء لم أجنها، فيهمل الجناة ويعاقبني، موظفاً لفظة (كبائر) التي وردت في قوله تعال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم،32)، ولفظة(وزر) من قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الزمر:7)

فالشاعر إنما يأتي بمثل هذه الآيات والقصص؛ ليرقق قلب أبي الحزم، فيحظى بعفوه، ولذلك أرسل إليه في أخريات سجنه قصيدته الميمية، التي ذكر فيها المدة التي قضاها سجيناً؛ لينال العفو فيكون الختام مسكاً قائلاً: (ص278)

أَفَصَبْرٌ مِئِينَ خمساً من الأيامِ؟ ناهيكَ من عذابٍ أليمِ
وإذ خِتامُ الرِّضا المُسَوَّغ مِسْكٌ ومِزاجُ الوصالِ مِنْ تَسْنِيمِ

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (28)} (المطففين)

وقد ذكر الشاعر هذه المدة مرة أخرى عقب فراره منه، فأرسل إلى صديقه أبي بكر بن مسلم طالباً شفاعته عند أبي الحزم بن جهور: (289)

مئينٌ مِنَ الأيَّامِ خَمْسٌ قَطَعْتُهَا أسِيْراً، وإنْ لَمْ يَبْدُ شَدٌّ ولاَ قَمْطُ

وقد برّر فراره بفرار سيدنا موسى حين فر من القبط، وهو بذلك ينفي عن فعلته خروجه عن المألوف، طالما أن هناك فعلاً مماثلاً شكّل القدوة له فقال:

فَرَرْتُ، فإنْ قالُوا الفِرَارُ إرَابَةٌ فقد فرّ موسى حين همّ به القِبْطُ

إشارةً إلى قوله تعالى على لسان موسى لما فرَّ إلى مدين، خوفاً على نفسه من القتل: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء:21)، وخاطب الشاعر صديقه وهو متخف بضواحي قرطبة عقب فراره، مستحضراً قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾. (سبأ:16)، وذلك في قوله:

أتدنو قطوف الجنتين لمعشر وغلتي السدر القليل أو الخمط

فجاء التناص هنا منسجماً مع المعنى القرآني الوارد في الآية، ومع توافق المعنى اختلف التركيب القرآني عن التركيب الشعري حيث كان الأسلوب القرآني أقوى في الدلالة مما ورد في البيت الشعري، فالله عز وجل رزق أهالي سبأ جنتين عظيمتين من الثمار والبساتين وأمرهم بشكر النعمة، إلا أنهم كفروا النعمة فعاقبهم بسيل عرم، فأبادها وأبدلت الجنتان بقليل الخمط والأثل والسدر. فالوشاة والحاقدون يتنعمون بالثمار اليانعة مع أبي الحزم، ولا يظفر الشاعر إلا بالقليل، لكنه وكّل أمره إلى خالقه الذي بيده الضر والنفع، مبدياً عقيدة سليمة تؤمن بالقضاء والقدر، وأنه ذو " نفس نقية تقابل أحداث الحياة بسكينة ووقار فلا تغريها خيرات آتية مهما كثرت، ولا يقنطها ملذات ذاهبة مهما عظمت"(عبد الستار، 1990ص 104) قائلاً:

وإن يأبَ إلا قبضَ مبسوطِ فَضْله ففي يد مولًى فوقه القبضُ والبسطُ

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الرعد:26، وكتب حاناً إلى قرطبة: (161)

محل ارتياح يذكر الخلد طيبه إذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى

فالزهراء تذكره بجنات خلد أكلها دائم وظلها، فلا يصيب المؤمنين فيها ظمأ، ولا يتعرضون للفحات الشمس، مشيراً إلى قوله:﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ طه، الآية:118ـ 119،

وكتب إلى المظفر أمير بطليوس، طالباً شفاعته لدى أبي الحزم، وقد عرف بالقول المحكم البليغ وبالعقل الراجح، والنظر الصائب السديد، ذاكراً صفاته، وقد أوتي من الحكمة والبلاغة، وما أوتي سيدنا

داوود عليه السلام، في أشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ص، الآية:20، يقول الشاعر: (412)

شَهِدنا لأوتيَ فصلَ الخطابِ وخُصَّ بفضلِ النُّهى والحكم

ويقول ابن زيدون: (399)

إنَّ الغِنى لهْو القناعة، لا الذي يشْتَفُّ نُطفةَ ماءُ وجهِ القانع

فيرى أن الغنى هو القناعة، وإذا ما حاول القانع خوض بحار الغنى، فإنه يكون قد راق ماء وجهه، فلفظة:(القانع) لفظة قرآنية، وردت في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الحج:36، واستخدم لفظة(الباخع) التي تحمل معنى التسلية، والتخفيف من الوطء النفسي بنفس المعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف:6)، يقول ابن زيدون"

مَنْ مبلغٌ عني البلادَ ـ إذا نُبَتْ ـ أن لستُ للنَّفس الألوف بباخع

فليعلم من تنكروا لي أنني لن أقتل نفسي حزناً عليهم، فإن لي من عزة نفسي وإبائي حصناً منيعاً.

المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في شعره في المعتضد بن عباد:

أُنزل الشاعر منزلاً كريماً في دنيا أميره الناعمة تحت الظلال الوارفة والقطوف الدانية، فقال شاكراً نعم الإكرام والأمن: (ص485)

لقد جدت حتى ما بنفسي خصاصة وأمنت حتى ما بقلبي تخوف
وَبوّأْتَهُ دُنْيَاكَ دَارَ مُقَـــامَةٍ بحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ ، وَذُلِّلَ مَقْطِفُ

مشيراً إلى قوله تعالى:﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قريش:4، وقوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾، وقال معرضاً بأعداء المعتضد الذين كفروا بنعمته فهاجمهم فخرب أوطانهم، ودك حصونهم فسواها بالتراب، فأصبحت قفرٌ، فقال:

فإنْ يَكْفروا النُّعمى فتلك ديارُهُمْ بِسيفِكَ قاعٌ صفصفُ الرَّسمِ تنسفُ

مشيراً إلى وصف أهوال القيامة وما فيها من الزلازل، تجعل الجبال كالعهن(السعدي،486) قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ۝ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۝ لاَّ تَرَىَ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً ۝ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ سورة

طه:105-108)، فهؤلاء الأعداء كالوا لك صاعاً وافياً من الغدر، فجازيتهم جزاءً رادعاً، وفي ذلك يقول:

لكالُوكَ صاعَ الغدرِ لُؤمَ سجيَّةٍ، وكيلَ لهمْ صاعُ الجزاءِ المطفَّفُ

مشيراً إلى تحذير الله من البخس في المكيال، في قوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (3) (المطففين)، وقد وصف الشاعر كتائب جيش المعتضد البرية، وأساطيله البحرية، التي اجتاحت أعداءَه فقذفتهم واهلكتهم، مستحضراً قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾لأسراء:66. فقال:

ستعتامُهُمْ في البَرِّ والبحْرِ بالتَّوى كتائبُ تُزجى أو سفائنُ تجدفُ

فالمعتضد طوقهم بعم لكنهم تنكروا وجحدوا، فطوقهم بسيفه، يقول الشاعر: (ص441)

كُفَّارِ أَنْعُمِكَ الأُولَى حَلَّيْتَهُمْ أَطْواقَهُمْ، سيُطَوَّقُونَ ظُبَاكا

مشيراً إلى وصف الذين يضنون بنعم الله، ويظنونه خيرا لهم، بل هو شر يطوقون به يوم القيامة[30] قال تعالى: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة:180)، ويقول الشاعر في مدحه للمعتضد: (ص242)

لو يفاع المجرة اعتضت منه راح يدعوا ثبوره المستفيض

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ (11)، ويقول في رثاء والدة المعتضد: (555)

خفضت جناح الذل في العز رحمة لها وعزير أن تذل وتخضعا

حيث أظهر ابن زيدون ممدوحه بالعز الذي لا مجال فيه للذل والخضوع، فلا يخفض جناحه إلا لوالدته متذللاً لها، باراً بها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الأسراء:24) وبعد موت المعتضد رثاه الشاعر بقصيدة رائية، مهنئاً فيها ابنه المعتمد بولاية الحكم، وقد كرر الشاعر في هذه القصيدة عشرين بيتاً من رثائه لأم أبي الوليد بن جهور مع تغييرات طفيفة، وهي ظاهرة غريبة عند شاعر فحل كابن زيدون، كقوله: (567)

يُطِيل العدا فيَّ التَّناجي خفيةً يقُولونَ: " لا تَسْتَفْتِ، قد قضيَ الأمر"

كرر الشاعر إشارته للآية في مرتية سابقة مع تغيير طفيف، فالشاعر أحس بتهامس الأعداء علية آملين أن يفسدوا ما بينه وبين المعتمد من صلات معتقدين أنه قد قضي عليه بالهلاك، موظفاً قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف:41، توظيفاً دلالياً، وعلى الرغم من اختلاف الموضوع في السياقين إلا أنهما يشتركان في كون الأمور في نهايتها ترد إلى الله سبحانه وتعالى.

ويذكر أن ابن زيدون قد زار قبر المعتضد للتحية والسلام كما كان يفعل في حياته، لكن هيهات فالمعتضد لا يسمع دعاء ولا يرفع سترا، ولا يأذن للزائر، فعبر قائلاً:

نغاديكَ ـ داعينا السَّلامُ ـ كعهدنا فما يُسمعُ الدَّاعي، ولا يُرْفَعُ السِّترُ

فتأثر الشاعر بهذا الموقف فاستدعت مخيلته ما سيكون عليه حال المؤمنين حين يبعثون من قبورهم، ويقومون منها، ويدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنة ولا يسرة، يصيح بهم ويسمعهم أجمعين، فيحضرون موقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن لا تسمع إلا همسا يقول تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾.طه:(108)

ورسم ابن زيدون صورة رائعة للمعتضد جاعلاً من قصره كعبة وقبلة للملوك، وصور انتصار جيشه الكثيف الذي ملأ الجو بالغبار وارتجفت الأرض من وقع السنابك والأقدام، وقد أشرقت علينا من شرفة القصر التي تشبه محراب داوود، في وضاءة وجمال يوسف، مشيراً في كل بيت إلى آية أو لفظة القرآنية، كالاعتكاف، والطواف، والمحراب، والطود العظيم، وجنة عدن، وتزلف، وترجف، فيقول:

أليس " بنو العبَّادِ" القبلةَ التـــي عليها لِآمـالِ البريَّةِ مَعــكفُ
ولا قَبْلَ " عبّادٍ " حوى البحرَ مجْلِسٌ ولا حملَ الطَّودَ المُعظَّمَ رفرفُ
وعُدنا إلى القصر الذي هو كعبةٌ يُغاديه منّا ناظـرٌ أو مطـوِّفُ
رأيناك في أعلى المصـــــلّى كأنّما تطلّع من محرابِ داوُدَ يُوسُفُ
قَرَنَّا بحمدِ اللهِ حمـــــدَكَ، إنهُ لأوكَدُ ما يُحْظِـــي لديهِ ويُزلِفُ
بجيم لعاصيه يشب وقــوده وجنة عـــــدن للمطيعين تزلـــف
فإذ نحن طالعناه، والأُفق لابسٌ عجاجتهُ والأرضُ بالخيلِ ترجُفُ

فالقصيدة مليئة بمعاني القوة والجمال، المستمدة من القرآن الكريم، التي خلعها الشاعر على ممدوحه وقصره.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في ديوان ابن زيدون، ودراستنا لشعره ولغته، نستنتج الآتي:

1 ـ برز الاستدعاء القرآني في شعر ابن زيدون بشكل كبير في أغلب قصائده وفي أغلب أغراضه الشعرية، وهذا يحيلنا إلى الأثر القرآني العميق في نفسه، وإيمانه المطلق بأهميته داخل النص، وما يضفيه عليه من قداسة وطابع تشريفي، وقد ساعده في ذلك نشؤه في أسرة تهتم بالدين اهتماماً بالغاً. فظهرت ثقافته القرآنية من خلال إشارته للآيات، و القصص والألفاظ القرآنية.

2 ـ لم يوظف الشاعر ولو آية واحدة لفظاً ومعنى، وقد يكون السبب في ذلك هو تعظيمه للقرآن الكريم، ومن ثم رفض ذكر الآيات بلفظها، فشعره يتناول في كثير من الأحيان قضايا عاطفية وجدانية يصعب معها ذكر الآيات بلفظها وقد يكون السبب أيضاً هو صعوبة تطويع الآيات القرآنية بلفظها لقواعد الشعر، فلذلك جاءت كل الآيات القرآنية في شعره على شكل إشارات خفية فقط.

3 ـ أن شعره كان تعبيراً صادقاً عن مكنوناته النفسية، ومواقفه، فجاءت أغلب إشارته للقصص القرآن في محنة السجن في استعطافه لأبي الحزم، فاستوحى من خلال خطابه له قصة السامري عندما تخلى عليه الأصدقاء، وقصة أصحاب الجنة، وقصة سيدنا يوسف والذئب، وجنة سبأ وقصص سيدنا موسى في أكثر من موقف، وقصة سيدنا إبراهم، فكل هذه الصور جاءت تعبيراً لحاله في السجن وتصويراً لآلامه وأحزانه ومعاناته. بينما جاءت الأبيات التي يشير فيما لوصف نعيم الجنة والإحساس بنعمة الأمن، والبطش بالأعداء كافري النعم في شعره في المعتضد بن عباد.

المراجع:

ـ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ـ بيروت، 1997.
ـ ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الجزء الأول، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، 1989.
ـ الداية، محمد رضوان، مختارات من الشعر الأندلسي، منشورات المكتب الإسلامي ـ دمشق، 1969.
ـ ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن، عبد الله، المخزومي، ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار النهضة، مصر،1957.
ـ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، دار ابن الجوزي، بيروت، 1432ه.
ـ ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، الجزء الأول، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية(د.ت).

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، الجزء السابع، تحقيق أحمد الأرناؤوط ـ و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.
ـ عبد الستار، محمد، وآخرون، في العقيدة والأخلاق، دار المطبعة المحمدية، القاهرة،1990.
ـ عبد العظيم، علي، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955.
ـ الفكيكي، عبد الهادي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، دار النمير للنشر والتوزيع، دمشق1996.
ـ الهروط، بلال سالم، الإبداع الفني وقضايا الأسلوب في شعر ابن زيدون، (رسالة ماجستير) الأردن، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة،2004.

حرفة النّسج اليدويّ والتّنمية المستدامة
الوسط الغربيّ للبلاد التونسيّة أنموذجا

The hand weaving loom and sustaintainable development :
The case of central west of Tunisia

د. عبد الكريم براهمي
مخبر دراسات مغاربيّة، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس. جامعة تونس
Research Laboratory «DIRASET» Maghreb Studies
The Faculty of Human and Social Sciences of Tunis (FSHST), University of Tunis
الإميل: abdelkarimbrahmi994@yahoo.com

الملخّص: يهدف هذا المبحث إلى تبيان الدّور الذي يمكن أن تضطلع به حرفة النّسج اليدويّ للمساهمة في تحقيق التّنمية المستدامة في المناطق المهمّشة والمفقّرة، على غرار الوسط الغربيّ للبلاد التّونسيّة. ولإنجاز هذا العمل اعتمدنا مقاربة أساسها عمل ميدانيّ يعتمد تقنية الملاحظة المباشرة والمقابلات نصف الموجّهة مع عديد الحرفيّات. وتؤكّد النّتائج التي توصّلنا إليها أنّ تعدّد مزايا حرفة النّسج اليدويّ التي جعلتها تنهض بدور رئيس في التّنمية المستدامة بمختلف أبعادها، لا تخفي كثرة التّحدّيات التي تواجهها وحاجتها إلى مزيد من الدّعم والتّطوير.
الكلمات المفاتيح: الحرف اليدويّة، التنمية المستدامة، الوسط الغربي، البلاد التّونسيّة.

Abstract : This research studies the investment of traditional trades, particularly, the textile trade in sustainable development, in the central west of Tunisia. It aims to show the role that this trade can play in achieving sustainable development in marginalized and impoverished areas. To achieve this goal, we adopted a qualitative approach based on fieldwork using the technique of direct observation and semi-directed interviews with several craftswomen. The results of this work confirmed that the numerous assets of the weaving loom enabled it to play a major role in sustainable development in its various dimensions. However, in spite of all its advantages, weaving loom still faces a multitude of challenges and needs to be supported and further developed.
Key words: traditional crafts, the weaving loom, sustainable development, central west, Tunisia.

المقدّمة

تمثّل الحرف التقليديّة مقوّما من مقوّمات التّراث الثقافيّ الإنسانيّ، إذ تشمل العديد من المهن، وتجمع بين الإرث الحضاريّ والثّقافيّ والفاعليّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، فهي تضطلع بدور هامّ في تحقيق التّنمية المستدامة في مختلف مستوياتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والبيئيّة والسّياسيّة. وعليه فإنّ الحرف اليدويّة أصبحت رأس مال قابلا للاستثمار في بلدان عديدة انخرطت في هذه التّجربة وجعلت من حرفها اليدويّة ومن تراثها الثقافيّ والطّبيعيّ أحد الأسس الرّئيسة للتّنمية المستدامة. ويهتمّ هذا البحث بدراسة حرفة النّسج اليدويّ بمنطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ المتكوّن من ولايتي/ محافظتي سيدي بوزيد والقصرين، لأنّها من الحرف المنزليّة الأكثر انتشارا، ولدورها في محاربة الفقر وتحقيق التّنمية في هذه المنطقة التي تنتمي إلى المناطق الدّاخلية بالبلاد التونسية تعاني من التّهميش والإقصاء المتواصلين منذ استقلال البلاد. وهي كذلك من المناطق المعروفة تاريخيّا بتربية الأغنام مصدر الصّوف المادة الأوليّة الأساسيّة المستعملة في هذه الحرفة قبل انتشار استعمال مواد صناعيّة أخرى في العشريّات الأخيرة.

- **مشكلة البحث:**

رغم أهميّة مساهمة الحرف اليدويّة في التنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة في مختلف مناطق البلاد التّونسيّة وتحديدا في المناطق المهمّشة مثل مناطق الوسط الغربيّ، فإنّ الوعي بدورها في تحقيق الأبعاد الأخرى للتّنمية المستدامة على غرار الاستدامة البيئيّة والثقافيّة مازال محدودا مقارنة بواقع الحرف اليدويّة في العديد من بلدان الشّمال. ما يظهر في قلّة العناية بها من قبل الأطراف المعنيّة بتطويرها ودعمها. ولذلك يدرس هذا البحث تعدّد مزايا حرفة النّسج اليدويّ مقارنة بالحرف اليدويّة الأخرى وببقيّة القطاعات الاقتصاديّة، ما يجعل مساهمتها فعّالة في تحقيق التّنمية المستدامة في منطقة الوسط الغربيّ. كما ينظر كذلك في إمكانيّات دعم هذه الحرفة وتطويرها، وتحليل مختلف أبعاد الاستدامة التي يمكن تحقيقها. وبناء عليه، يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة التّالية:

- ماهي مزايا حرفة النّسج اليدويّ التي تجعلها تضطلع بدور هام في التّنمية المستدامة لمختلف جهات البلاد التّونسيّة وخاصّة منها الجهات المهمّشة من قبل الحكومات المتتالية منذ استقلال البلاد مثال جهة الوسط الغربيّ؟

- ماهيّ مختلف الآليات والسّبل الممكنة لتطوير هذه الحرفة اليدويّة ودعمها حتى تتمكّن من الاضطلاع بدورها في التّنمية المستدامة.

- فيم تتمثّل أبعاد الاستدامة في التّنمية التي تؤمّنها حرفة النّسج اليدويّ بالوسط الغربيّ التّونسيّ.

- **أهداف البحث:**

يهدف البحث في حرفة النّسج اليدويّ والتّنمية المستدامة إلى تبيان العلاقة القائمة بينهما من جهة، بمعنى أنّ تواصل مزاولة حرفة النّسج اليدوي يؤدّي إلى تحقيق التّنمية المستدامة، والتّوعية بأهميّة هذه العلاقة من جهة أخرى خاصّة وأنّ التّنمية المستدامة من المفاهيم الحديثة التي مازالت لم تلق الأهميّة التي تستحقّها في أغلب بلدان الجنوب ومنها البلاد التونسيّة مقارنة بما تلقاه من اهتمام متزايد في أغلب بلدان الشّمال. وتأكيد العلاقة التّفاعليّة بينهما، بمعنى أنّ كلّما تزايد الاهتمام بهذه الحرفة اليدويّة – التي تنفرد بعديد المزايا- ودعمها وتطويرها، تزايد دورها في تحقيق التّنمية المستدامة، بمختلف أبعادها وخاصّة منها الأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة والثّقافية، في مختلف مناطق البلاد التونسيّة وخاصّة في المناطق الدّاخليّة التي تعيش الإقصاء والفقر على غرار منطقة الوسط الغربيّ التونسيّ، وفي صفوف الفئات الاجتماعيّة والجندريّة المهمّشة، وخاصة منها المرأة المنتمية إلى الأوساط الاجتماعيّة الفقيرة وذات المستوى التعليمي المتدنّي، ما يزيد من أهميّتها.

- أهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في تأكيده العلاقة بين الحرف اليدويّة والتّنمية المستدامة، أي إظهار الدّور الذي يمكن أن تضطلع به الحرف اليدويّة في التّنمية المستدامة بمختلف أبعادها، وتحديدا دور حرفة النّسج اليدويّ في تحقيق التّنمية المستدامة في الجهات المهمّشة وفي صفوف الفئات الاجتماعيّة الفقيرة نظرا إلى تعدّد مزاياها مقارنة بالحرف اليدويّة الأخرى، ما يستوجب دعمها وتطويرها. فإلى جانب دورها التنمويّ الاجتماعيّ والاقتصاديّ وهي الأبعاد الواضحة للتّنمية المستدامة، لحرفة النّسج اليدويّ أدوار تنمويّة أخرى لا تقلّ أهميّة عن الأدوار المذكورة سابقا وهي التنمية الثقافيّة والبيئيّة، رغم قلّة وعي غالبيّة السّكان بذلك. ويكتسب هذا البحث أهميّته كذلك من كونه من البحوث القليلة التي اهتمت بهذا الموضوع وخاصّة بمنطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ التي لم تلق حظّها لا في مجال التّنمية ولا في مجال البحوث العلميّة.

- فرضيّات البحث:

يفترض هذا البحث أنّ لتعدّد مزايا حرفة النّسج اليدويّ دورا هاما في مساهمتها الفعّالة في تحقيق التنمية المستدامة في منطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ التي تعيش التّهميش والاقصاء من البرامج التنمويّة لمختلف الحكومات التي تعاقبت على حكم البلاد التّونسيّة منذ استقلالها في 1956، كما تفترض أنّ مدى مساهمة هذه الحرفة اليدويّة في تحقيق التّنمية المستدامة في مختلف أبعادها مرتبط بمدى دعم هذه الحرفة وتطويرها من قبل مختلف الأطراف المتدخّلة في قطاع النّسيج اليدويّ والتّنمية المستدامة. وعليه، تتمثّل الفرضيّات الاجرائيّة في:

- وجود علاقة وطيدة بين تنوّع مزايا حرفة النّسج اليدويّ، ودورها في تحقيق التنمية المستدامة في منطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ.

- وجود ترابط بين ما تلقاه هذه الحرفة من دعم وتطوير، ودرجة اسهامها في تحقيق التّنمية المستدامة في مختلف أبعادها في منطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ، التي تتجلّى في تنوّع أبعاد الاستدامة، ومنها البعد الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ والبيئي.

- منهج البحث:

اعتمدنا في انجاز هذا البحث على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، وللاقتراب أكثر من واقع حرفة النّسج اليدويّ استعنّا بالعمل الميدانيّ القائم على الملاحظة المباشرة ، وعلى تقنية المقابلات مع العديد من حرفيّات النّسج اليدويّ المنتميات إلى جهة الوسط الغربيّ، وتحديدا عشر حرفيّات موزّعات بالتّساوي بين ولايتي سيدي بوزيد والقصرين، ومجموعة من طالبات الماجستير بالمعهد العالي للفنون والحرف بالقصرين، تخصّص التّصميم من أجل التّنمية المستدامة اللّواتي درّستهنّ مادة أنتروبولوجيا المنتوج وسوسيولوجيّته في الموسم الدّراسي الجامعي 2018-2019)، وذلك في إطار منهج البحث الكيفيّ، ما مكّننا من الاطّلاع المباشر على العديد من إبداعات الحرفيّات وتصاميمهنّ المبتكرة وتطلّعاتهنّ المستقبليّة، والتعرّف إلى المشاكل التي يعانيها القطاع، وبناء عليه، تكوّنت لدينا فكرة شاملة عن واقع هذا القطاع الحرفيّ. واتّبعنا هذا المنهج في البحث من أجل التّحقّق من صحّة الفرضيّات التي ارتأينا الاشتغال عليها.

1 - في توضيح المفاهيم

تنبني الأطروحة التي سنشتغل عليها في هذا البحث على مفهومين أساسيّين، وهما: الحرف اليدويّة التقليديّة وتحديدا حرفة النّسج اليدويّ، والتّنمية المستدامة.

1 - 1 - مفهوم الحرف التّقليديّة

الحرفة لغة هي الصّناعة وجهة الكسب، وهي اسم من الاحتراف وهو الاكتساب (ابن منظور: د.ت: 43-45). أمّا اصطلاحا فتعني المهارة في صنع شيء ما. وتشكّل الحرف التّقليديّة جزءا من قطاع الحرف اليدويّة الذي يتكوّن كذلك من الحرف الصّناعيّة والتّجاريّة. وتعتمد الحرف التقليديّة المهارات اليدويّة مع إمكانيّة استعمال الآلات في بعض مراحل الإنتاج. وتكشف الموروث الثقافي والحضاري للجماعات المحليّة بما يحتويه من عادات وتقاليد، وهي بذلك تمثّل نتاجا حضاريّا لآلاف السّنين من التفاعل الحي بين المجتمعات المحليّة وبيئتها الطّبيعيّة. أمّا الحرف الصّناعيّة والتّجاريّة فتشمل مختلف الحرف التقليديّة التي يعاد إنتاجها بطريقة آليّة وتتميّز بوفرة إنتاجها، والإقبال المتزايد على استهلاكها، وهي ليست معنيّة بالمحافظة على الطّابع التقليدي للمنتج (Anquetil, 1984 : 3-7 ; Unido, 205 : 29-30)، وتضطلع مختلف الحرف اليدويّة بوظائف اقتصاديّة واجتماعيّة وثقافيّة.

ويشمل قطاع الحرف التّقليديّة في تونس كلّ النشاطات الحرفيّة التي يتّسم إنتاجها بطابع تراثيّ، وتكشف الخصوصيّات الحضاريّة والثقافيّة للبلد. وتغلب عليها المهارات اليدويّة، مع إمكانيّة الاستعانة ببعض الوسائل والمعدّات الآليّة. وتتنوّع منتجاتها من نفعيّة وظيفيّة إلى فنيّة جماليّة، ورمزيّة وغيرها. وتضبط الحرف التقليديّة بأمر يحدّد قائمة تضمّ أكثر من سبعين حرفة، واستنادا إلى هذا المفهوم لا يضمّ قطاع الحرف التقليديّة في تونس الصّنائع اليدويّة غير التّراثيّة، ولا ينتمي إلى قطاع الحرف الصّغرى. فقطاع الحرف الصّغرى يشمل مختلف الصّنائع غير التراثيّة، ويكوّن قطاعا موازيا لقطاع الحرف التقليديّة. (بن يوسف،2005: 2- 3) وتشرف على قطاع الحرف التّقليديّة في تونس وزارة السياحة والصّناعات التقليديّة، ويتولّى ديوان الصّناعات التقليديّة مهام التخطيط واستقراء واقع القطاع وآفاقه، وتأطير الحرفيين وتشجيعهم على مزاولة حرفهم، وضمان جودة المنتج الحرفيّ، والمحافظة على الخصائص الحضاريّة والتراثيّة للحرف، وإصدار مختلف القوانين والتشريعات المنظّمة للقطاع، وتنظيم التّظاهرات الجهويّة والوطنيّة، وحثّ الحرفيين ومساعدتهم على المشاركة في المعارض المحليّة والدّوليّة للتعريف بمنتجاتهم، وغيرها من المهام الأخرى.

أمّا حرفة النّسج اليدويّ فتُعدّ من أهم تخصّصات قطاع الصناعات التقليّدية في البلاد التّونسيّة، ويتجلّى ذلك في ارتفاع نسبة الحرفيين والمؤسّسات الحرفيّة الناشطة في هذا القطاع، وفي انتشارها الجغرافيّ في مختلف جهات البلاد، وخاصّة بالوسط الغربيّ. وقد تميّزت في السّابق بتنوّع منتجاتها المعدّة للاستهلاك العائلي، ومنها: "البطّانيّة" و"الكليم" و"المرقوم" و"البرنوس"، و"القْطيفْ" وهو نوع من الزربيّة التي تمتاز بها جهة سيدي بوزيد وتحديدا قبيلة الهمامة (براهمي، 2006: 161). إلاّ أنّ التحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة التي عرفتها البلاد التونسيّة عامّة أدّت إلى التخلّي عن البعض من هذه المنتجات مثل "البطّانيّة" و"البرنوس"، وتواصل إنتاج بعضها الآخر مثل الزربيّة و"الكليم" و"المرقومْ" بعد خضوعه إلى بعض التّغييرات، وفي المقابل أُبتكرت إنتاجات جديدة من النّسيج اليدويّ بعضها ذات وظائف نفعيّة وظيفيّة، وأغلبها ذات وظائف فنيّة جماليّة. وقد اقترنت هذه التّحوّلات بأخرى تمثّلت في الإنتاج المعدّ للتّسويق، وبذلك أصبحت حرفة النّسج اليدويّ من الحرف المشغّلة لأعداد كبيرة من اليد العاملة النسائيّة بالجهة (مقابلات مع مجموعة من طالبات الماجستير، تخصّص التّصميم من أجل التّنمية المستدامة بالمعهد العالي للفنون والحرف بالقصرين، اللّواتي درّستهنّ مادة أنتروبولوجيا المنتوج وسوسيولوجيّته، خلال السّنة الجامعيّة 2018- 2019). وهي تحوّلات تكشف العلاقة بين إنتاج المنسوجات اليدويّة والسّياحة الثقافيّة، وهي خاصّية لا تهمّ حرفة النّسج فقط وإنّما كل الحرف في البلاد التونسيّة.

1 - 2 - مفهوم التّنمية المستدامة

التّنمية لغة هي الزّيادة والوفرة والتّكثير والنماء. أمّا اصطلاحا، فتعني تحقيق أفضل الظروف الإنسانية الملائمة للفرد في المجتمع. ولئن كانت التّنمية مفهوما اقتصاديّا محضا، فإنّ التنمية المستدامة هي تنمية دائمة وشاملة. ورغم صعوبة تحديد مفهوم مضبوط للتّنمية المستدامة، فإنّنا سنعتمد المفهوم الذي تشكّل عام 1987 من خلال تقرير "مستقبلنا المشترك" المعروف كذلك باسم "براندت لاند"Brandtland الصادر عن اللّجنة العالميّة المعنيّة بالبيئة والتنمية، الذي عرّف التنمية المستدامة بكونها نمطا من أنماط التّنمية التي تلبّي احتياجات الحاضر، دون مساس باستحقاق الأجيال اللّاحقة وحاجتها إلى تلبية الضرورات الحياتيّة. ويعرف مفهوم التّنمية المستدامة تغيّرات عديدة، فبعد أن كانت ثلاثيّة الأبعاد: الاستدامة الاقتصاديّة، والاستدامة الاجتماعيّة، والاستدامة البيئيّة (Bhamra, 2015)، أُضيف إليها بعدان آخران: الاستدامة الثقافيّة، واستدامة آليّات الحوكمة. ليصبح قوامها خمسة أبعاد (Diemer, 2013 b). ولا يمكن تحقيق تنمية فعليّة دون تكامل هذه الأبعاد وتفاعلها على اختلافها. ويعود ظهور مصطلح التّنمية المستدامة إلى فشل التّنمية التي تقوم على مركزيّة الدور الاقتصاديّ في تحقيق أهدافها.

فهدف التّنمية المستدامة، إذن، ليس زيادة الإنتاج والرفاهيّة الاقتصاديّة أو الماديّة فحسب، بل تحسين مستوى عيش النّاس، ورفع مستواهم الثقافيّ. وتقترن التنمية المستدامة كذلك بإرساء الدّيمقراطيّة وتحقيق المساواة بين الجنسين وتطوير التراث الثقافيّ والمحافظة عليه، والاستقرار الاجتماعيّ والتماسك السياسيّ، وحق التّعبير، والمحافظة على البيئة من أجل الأجيال الحالية واللّاحقة. وفي المقابل، فإن تدهور المنظومات البيئيّة وارتفاع معدلات الجريمة والعنف المنزليّ وانتشار الأمراض المعدية في بلدان كثيرة لا يمكن تعويضه بارتفاع في متوسط الدخل الفرديّ.

ويستوجب تحقيق التّنمية المستدامة قوّة الإرادة السياسيّة ووضوحها، وتشريك الجماعات المحليّة في مختلف مراحل التّنمية على غرار التّخطيط والتّنفيذ والرّقابة والإشراف. ومراعاة الخصوصيّات الثّقافيّة للمجتمع، وموارده الاقتصاديّة، وعليه، لا يمكن استيراد نظريّات تنمويّة جاهزة لتطبيقها بشكل آلي على مجتمعات أخرى، لأنّ التّنمية المستدامة تعتمد على الذّات مع مراعاة الظّروف التّاريخيّة والموضوعيّة للبلد. فالتّنمية المستدامة، إذن، هي تنمية تُنفّذ دون أعراض جانبيّة أو أخطار تهدّد البيئة أو الموارد الطّبيعيّة أو مستقبل المجتمعات المستهدفة بهذه التنمية، وهو ما يستلزم استيعاب المعارف التقليديّة والخبرات والمهارات التي تملكها الجماعات المحليّة المستهدفة من عمليّة التنمية ويكون ذلك عبر إشراكها في مختلف مراحل هذه التنمية. (بشرى، 2014: 22- 23)، وهي بذلك تنمية لا تفصل الإنسان المعاصر عن تراثه (الجوهري، 2012: 37) بل تجعل من التّراث الثقافيّ والثّقافة بصفة عامّة رأسمال يمكن استثماره لتحقيق التّنمية المستدامة.

استنادا إلى المقاربة المنهجيّة التي اتّبعناها في هذا البحث، وبالاعتماد على بعض المفاهيم التي سعينا إلى توضيحها، سنحاول الاجابة عن الاشكاليّات التي طرحناها.

2 – في مزايا حرفة النّسج اليدويّ

تتميّز حرفة النّسج اليدويّ و قطاع الحرف اليدويّة بصفة عامّة عن قطاع الصّناعات الآليّة الحديثة بالعديد من المزايا، منها:

2 – 1 - العراقة، والقدرة على التكيّف مع متغيّرات السّوق الاستهلاكيّة

- العراقة

تتميّز الحرف اليدويّة في البلاد التّونسيّة وفي مختلف البلدان الأخرى بعراقتها. إذ ترتبط بنشأة الإنسان، فمنذ العصر الحجريّ كان الإنسان يعيش على القنص وهي حرفة تتطلّب الكثير من المهارات سواء أكان من حيث الكيفيّات أم من حيث الأدوات المستعملة. وإلى جانب حرفة القنص تُعدّ حرفة النّسج اليدويّ كذلك من الحرف التي تعود إلى العصور الحجريّة (Balter M., 2009 : 1329 ; Kvavadze E. et al., 2009 : 1359)، لأنّها حرفة تلبيّ إحدى الحاجات الأساسيّة للإنسان البدائيّ المتمثّلة في إنتاج اللّباس لحمايته، وتطوّرت حرفة النّسج شيئا فشيئا حتى بلغت مرحلة إنتاج الأغطية والمفروشات. وفي الفترة القديمة أشارت بعض المصادر إلى المنسوجات البربريّة المتمثّلة في مفروشات وأغطية وميّزت بين صنفين: أحدها خشن، والآخر ليّن (Triki, 2013-2014 : 98). ويبدو أنّ الصّنف الأوّل أصبح يسمّى بالزّربيّة أو "القطيف" والصّنف الثّاني يُسمّى بـ "الكْليمْ" أو "المرْقومْ". وفي الفترة الوسيطة تذكر بعض المصادر أنّ الزّرابي مثّلت جزءا من الهدايا المقدّمة إلى قناصل الدّول الأجنبيّة ببلاد المغرب (Ibid). وفي بداية القرن السّادس عشر أشار الحسن الوزّان المعروف باسم ليون الإفريقيّ إلى أنّ الزّرابيّ مثّلت مكوّنا ضروريّا من جهاز العروس في مدينة فاس المغربيّة (Léon l'africain, 1981)، إلاّ أنّ هذا الأمر لا يقتصر فقط على مدينة فاس وإنّما يشمل بقيّة مناطق بلاد المغرب، والأهم من ذلك أنّ الظّاهرة استمرّت إلى أيّامنا الرّاهنة. وتكشف عديد الأدلّة الأثريّة والتاريخيّة عراقة حرفة النّسج اليدويّ بالبلاد التونسيّة وبلاد المغرب عامة، منها العثور على بعض أدوات تحويل الصّوف في قبور النّساء القرطاجيّات وأهمّها المغزل، ما يجعل منها جزءا من الأثاث الجنائزيّ القرطاجيّ (Delattre, 1901 : 41)، واكتشاف لوحات فسيفسائيّة تعود إلى العهد الرّومانيّ تضمّنت مشاهد لغزل الصّوف مثل اللوحة الفسيفسائيّة التي عثر عليها بطبرقة بشمال غرب البلاد التّونسيّة وتعود إلى القرن الرّابع ميلاديّا (الأندلسي،2017: 40).كما تتوفّر بعض الإشارات المكتوبة التي تعود إلى الفترة الرومانيّة منها على سبيل المثال الإشارة التي أوردها الأسقف تارتوليانوس أثناء حديثه عن تحصّن النّسوة حيث أوصاهنّ بالمكوث في بيوتهنّ وغزل الصّوف والاشتغال بالإبرة (Bensiddik, 1999 : 146).

وتُظهر عراقة حرفة النّسج اليدويّ والحرف التّقليديّة بصفة عامّة جوانب هامّة من خصوصيّات المجتمع وأصالته وهويّته الثقافيّة والحضاريّة. وهي تُعدّ أحد المقوّمات الأساسيّة للشّخصيّة الوطنيّة، لأنّ المنتج الحرفيّ يمثّل ما تبقّى من ثقافة الشّعوب المتراكمة. فالحرف التّقليديّة، إذن، تمثّل جزءا من الرّصيد الثّقافيّ والحضاريّ الإنسانيّ (عبد اللطيف، 2006). وهو ما يكشف العلاقة بين حرفة النّسج اليدويّ والحرف التّقليديّة بصفة عامّة، والتراث. وبذلك اكتسبت الحرف اليدويّة أهمّية كبيرة لدى مختلف الشّعوب والحضارات منذ القديم، وهو ما تُظهره تلك الهالة القدسيّة التي أحاطت بالحرف اليدويّة بتخصيص آلهة تشرف عليها، أو بنسبتها إلى أنبياء أو إلى أولياء يُعتقد أنّهم شيوخ تلك الحرف والصّنائع، فالحدادة تُنسب إلى النّبيّ داوود، وسباكة النّحاس إلى النّبيّ سليمان، والنّسج والخياطة إلى إدريس، والبناء إلى إبراهيم والصّيد في البحر إلى يونس، وصناعة الفلك إلى نوح، ولحام الحديد إلى ذي القرنين (قرآن كريم؛ مرسي، 2015: 154). إلى ذلك يزخر تراثنا الشّعبيّ الشفويّ بالأقوال المأثورة والأمثال الشّعبيّة التي تُعلي من شأن الحرف والصّنائع اليدويّة، وتحثّ على العمل اليدويّ بصفة عامّة، منها على سبيل المثال "يُوفى مال الجدّين ويُقْعد كدّ اليدين"، و"الصّنعة مقياس الذّهب"، و"صنعة في اليِدْ أمان من الفقر"، و"صنعة بوكْ لا يْعايْروكْ"، و"اللّي ما تَعْمْلُو بذْراعِك ما تِحْسبُو مْتاعِكْ"، و"ذْراعِكْ يا علاّفْ" (الرّزقي، 2010).

- القدرة على التكيّف مع متغيّرات السّوق الاستهلاكيّة

يتّسم قطاع النّسيج اليدويّ، والحرف التّقليديّة بصفة عامة بالمرونة والقدرة الفائقة على التّكيّف مع متغيّرات السّوق الاستهلاكيّة النّاتجة عن التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وسرعة التّأقلم مع رغبات المستهلكين وأذواقهم مقارنة بالصّناعات الآليّة. لأنّ إحداث تغيير في المنتج النهائيّ في الحرف اليدويّة لا يتطلّب تغيير الآلات المستعملة والتّخطيط المسبق لذلك، بل المهارة الفائقة للحرفيّ فقط وقدرته على الخلق والإبداع (مقابلة مع الحرفيّة سعيدة براهمي من سيدي بوزيد، في 5 أفريل 2049). وهو ما يفسّر القيمة المضافة العالية للحرف اليدويّة بما فيها حرفة النّسج اليدويّ فقيمة المواد الأوليّة المستعملة في عمليّة الإنتاج وقيمة المعدّات والوسائل المستعملة تقدّر في أغلب الحرف بنسبة تتراوح بين 40 و60 ٪ من القيمة النّهائيّة للمنتج التقليدي (عوض، 2011: 10)، أمّا النّسبة المتبقّية فهي قيمة تكلفة اليد العاملة، وتُفسّر هذه النّسبة المرتفعة بطول الفترة الزمنيّة التي يستغرقها الإنتاج.

إلى جانب العراقة والقدرة الفائقة على التّكيّف مع متغيّرات السّوق الاستهلاكيّة، تمتاز حرفة النّسج اليدويّ كذلك بقدرتها التشغيليّة وانتشارها الجغرافيّ الواسع، ما يتجلّى في انتشارها في المناطق المهمّشة المحرومة من التّنمية العموميّة، وشمولها الفئات الاجتماعيّة الفقيرة.

2 – 2 - القدرة التّشغيليّة، والانتشار الجغرافي

- القدرة التّشغيليّة

تتجلّى القدرة التّشغيليّة للحرف اليدويّة بصفة عامّة، وحرفة النّسج اليدويّ بصفة خاصّة في كامل جهات البلاد التونسيّة، في انخفاض تكلفتها الاستثماريّة وعدم حاجتها إلى تمويلات هامّة (عوض، 2011: 14)، لأنّها من الحرف المنزليّة التي لا تحتاج محلّا أو مقرّا خاصّا لمزاولتها، ولا معدّات آليّة مكلفة فهي تعتمد على النّول العمودي "السدّاية" (براهمي، 2006: 149- 156)، وموادا خامة محليّة متوفّرة بكميّات كبيرة، وبأثمان مقبولة (مقابلة مع الحرفيّة مباركة بوعزيزي، سيدي بوزيد في 12 فيفيري 2020). وبذلك فهي توفّر فرص عمل كثيرة لطالبات الشّغل من النّساء، لأنّها حرفة نسائيّة بالأساس، وخاصّة منهنّ ذوات المؤهّلات التعليميّة المتدنّية (Richard Noëlla, 2008)، وهو ما يجعلها قادرة على خلق أعداد كثيرة من مواطن الشّغل للفئات الفقيرة (عوض، 2011: 14).ففي سنة 2016 بلغ عدد الحرفيين في قطاع النّسيج بكامل البلاد 101067 حرفيّ أي حوالي 63,6 ٪ من مجموع الحرفيين المرسّمين بالدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة، أمّا في الوسط الغربيّ التونسيّ فيبلغ عدد الحرفيّين في قطاع النّسيج اليدويّ المرسّمين بالدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة 13552 حرفيّ أي 86,7 ٪ من مجموع الحرفيين في مختلف قطاعات الحرف التقليديّة (الدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة، 2016)، إلاّ أنّ عدد الحرفيّين في قطاع النّسيج غير المرسّمين يفوق عدد المرسّمين، وأغلبهم من النساء. وعليه فهي تُسهم في التخفيض من نسبة البطالة، وتمكّن الدّولة من الاستفادة من كافة مواردها البشرية وخاصّة من النّساء.وتفضل الإشارة في هذا السّياق إلى الإضافة النّوعيّة التي يمثّلها اشتغال العديد من الفتيات خرّيجات المعاهد العليا للحرف والفنون- المنتشرة في مختلف جهات البلاد التّونسيّة بما في ذلك الوسط الغربيّ - في مختلف قطاعات الحرف اليدويّة، ومنها قطاع النّسج اليدويّ وخاصّة في مجال الابتكار والإبداع والتّصاميم الجديدة (مقابلات مع مجموعة من طالبات الماجستير، تخصّص التّصميم من أجل التّنمية المستدامة بالمعهد العالي للفنون والحرف بالقصرين، السّنة الجامعيّة 2018- 2019).

- مرقوم قفصيّ، (نسبة إلى ولاية قفصة) يحتوي على "موتيفات" الجمل "بالمِخْفَة".

- مشهد صيد على قطعة نسيج، اعتماد تقنية الرسوم ثلاثيّة الأبعاد.

- **المصدر:** شوشان البوعزيزي سميرة، 2008- 2009: 68، 155.

- الانتشار الجغرافي

ساهم انخفاض التّكلفة التمويليّة لحرفة النّسج اليدويّ وطابعها المنزليّ في انتشارها جغرافيّا، وهو ما يُفسّر قدرتها على تحقيق التنمية الإقليمية المتوازنة، إذ تغطّي مختلف المناطق الحضريّة والريفيّة وحتى المناطق الجبليّة النائية التي تنعدم فيها فرص العمل، وبذلك تحقّق معدّلات متقاربة من النّموّ الاقتصاديّ المستدام في الوسط الغربيّ التّونسي وفي جميع مناطق البلاد (منظّمة العمل العربيّة، 1994: 12- 15). وهو ما يُمكّن من تركيز السّكان في الأرياف والقرى للحدّ من ظاهرة النّزوح الريفيّ، التي تتزامن مع اشتداد الأزمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والطّبيعيّة. ويتأكّد الانتشار الجغرافي الواسع لحرفة النّسج اليدويّ من خلال انتماء العديد من الحرفيّات في الوسط الغربيّ إلى قرى وأرياف بعيدة عن المدن الكبرى وعن مركز الولايات.

لا تقتصر مزايا حرفة النّسج اليدويّ في تونس فقط على عراقتها وقدرتها عل التّكيّف مع متغيّرات السّوق الاستهلاكيّة، وقدرتها التشغيليّة العالية، وانتشارها الجغرافي الواسع، بل شملت كذلك ارتباطها الوثيق بقطاع السّياحة الذي يعدّ من القطاعات الاقتصاديّة الحيويّة في تونس.

2 – 3 -الارتباط بالسّياحة

تتميّز الحرف التّقليديّة في البلاد التونسيّة بارتباطها الوثيق بقطاع السّياحة، فـ 80 ٪ من قطاع الحرف التّقليديّة مرتبط بالسّياحة. ويمثّل هذا الارتباط نقطة قوّة لقطاع الحرف التّقليدية. إذ تضطلع

السّياحة بدور هام في تنمية الحرف وفي إيجاد سوق لترويج منتجاتها، وهي خاصّية تميّز قطاع السياحة والتراث في مختلف البلدان التي تتميّز بإرث ثقافيّ وحضاريّ بصفة عامّة، فالسّياحة منذ نشأتها ارتبطت بالتراث الثقافيّ بمختلف عناصره. ولئن كان الاهتمام في البداية بالتراث الأثريّ فقد توسّعت دائرة اهتمام السّياحة الثقافيّة فشملت مختلف العناصر التّراثيّة الأخرى سواء أكانت ماديّة أم غير ماديّة ومن أهمّها قطاع الحرف التقليديّة لأنّها تكشف الهويّة والخصوصيات الحضاريّة والثقافيّة للجماعات المحليّة. ويبدو ارتباط قطاع الحرف بالسّياحة في ارتباط الأسواق التراثيّة التي تضمّ مختلف الحرف اليدويّة التّقليديّة على غرار الأسواق في العديد من المدن العتيقة التونسيّة، والقرى الحرفيّة الموجودة في العديد من المدن بالقطاع السياحيّ. وهي بذلك تمثّل إحدى أهمّ مكوّنات الجذب السّياحيّ الثقافيّ، فالعديد من السّياح يقبلون على شراء تذكارات، وهدايا لأقربائهم وأصدقائهم من منتجات الحرف اليدويّة المميّزة للبلاد التي يزورونها. وعليه فإنّ المحافظة على الحرف وتطويرها يُعدّ من النقاط الرّئيسة في مختلف برامج التنمية السّياحيّة (عطيّة، 2013).وتفضل الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ العلاقة تاريخيّة تفاعليّة بين التّراث والسّياحة، فالسّياحة اعتمدت منذ نشأتها على التراث الذي اضطلع بدور هام في مختلف مراحل تطوّرها، وهو ما يؤكّده عديد الدّارسين لهذا الموضوع، منها على سبيل المثال دراسة لا بلانت (Laplante, 1996)، وبرتو (Bertho, 1999) وبوير (Boyer, 2005)، وباتَن (Patin, 2005). وعليه، فإنّ تطوّر مفهوم التّراث وتوسّعه مكّن من تنويع المنتج السياحيّ، وفي المقابل يُنمّي تطوّر السّياحة التّراث بإعادة إنتاجه، ويساهم في المحافظة عليه، فكلّ منهما يتغذّى من الآخر (Lazzarotti, 2003). وتبدو السّياحة الثقافيّة وخاصّة البديلة منها أكثر ارتباطا بالتراث المحليّ لأنّها تستقطب جمهورا خاصّا من السّيّاح المحلّيين والأجانب الذين يرغبون في اكتشاف أنماط العيش المحليّة والاطّلاع على الخصوصيّات الثقافيّة والحضاريّة للجهة، من ذلك الحرف اليدويّة والأطعمة التقليديّة ومختلف العادات والتقاليد والممارسات اليوميّة، وذلك بمشاركة السّكّان المحلّيين حياتهم اليوميّة.

وعلى خلاف السّياحة البديلة، أو المنوال السياحيّ على أساس العرض، يُختزل النّشاط السّياحيّ في إطار السّياحة الشّعبيّة، أو المنوال السياحيّ على أساس الطّلب، وهو المنوال المهيمن في أغلب بلدان الجنوب، ومنها البلاد التونسيّة في بعده الاقتصاديّ فقط، ويهمل طبيعته الكليّة التي تشمل مختلف أبعاده الأخرى الاجتماعيّة والثقافيّة (الفنيّة والتراثيّة والرمزيّة) والبيئيّة. ويجعل هذا المنوال السّياحيّ من مختلف عناصر التراث، ومنها الحرف التّقليديّة مجرّد سلعة قيمتها فيما تحقّقه من ربح ماديّ. وهو توظيف مبتذل، ومشوّه لتاريخ البلاد وتراثها وهويّتها الثّقافيّة والحضاريّة. وهو منوال سياحيّ كرّسته بلدان الشّمال وتحديدا البلدان الرأسماليّة الغربيّة منذ استقلال بلدان الجنوب، لتحقيق هيمنتها الجيو اقتصاديّة والثقافيّة عليها، ما يعتبره بعض الباحثين نوعا آخر من الاستعمار (الوشّاني عادل، 2017).

ورغم أنّ الارتباط الوثيق للحرف التّقليديّة بالسّياحة كما هو الشّأن في تونس يُعدّ مظهر قوّة للقطاع الحرفيّ إلاّ أنّه قد يؤدّي إلى ارتهانه إلى السّياحة التي تمثّل قطاعا اقتصاديّا غير مضمون، وهو ما يجعله يتأثر سلبا بتراجع قطاع السّياحة نتيجة الظروف الاقتصاديّة والأمنيّة الداخليّة وفي البلدان المجاورة. لذلك يجب إيجاد بدائل أخرى لترويج المنتجات الحرفيّة للتّقليص من حدّة تبعيّته للقطاع السّياحيّ، وذلك بالتشجيع على الاستهلاك الدّاخليّ من خلال إقامة المزيد من المعارض الدّاخليّة القارة والمتنقّلة في مختلف جهات البلاد، وتشجيع التّصدير للأسواق الخارجيّة.

ولتكون مساهمة الحرف اليدويّة عموما، وحرفة النّسج اليدويّ خصوصا فعّالة في تحقيق التنمية المستدامة في مختلف مناطق البلاد وتحديدا في المناطق الدّاخليّة الفقيرة المهمّشة، يجب على مختلف الأطراف المتدخّلة في هذا القطاع تنميته من خلال دعمه وتطويره، هو ما بيّنته العديد من الدّراسات، وأكّدته كلّ المقابلات التي قمنا بها مع عديد الحرفيّات من الوسط الغربيّ التّونسيّ.

3- في تنمية قطاع النسيج اليدويّ، وأبعاده المستدامة

3 - 1 - تنمية قطاع النسيج اليدويّ

تتطلّب تنمية قطاع الحرف اليدويّة الدّعم والتّطوير والتّسويق (سالم ووفيق، 2016) حتّى تواكب التّحوّلات الهامة التي يشهدها المجتمع في البلاد التّونسيّة وفي العالم. وبناء عليه يتطلّب دعم الحرف اليدويّة تدخّل الدّولة وتوفيرها الآليّات اللاّزمة لتوجيه هذا القطاع الحيويّ، وتوفير الموارد والجهود حتّى تتحقق الاستفادة من هذا القطاع الذي يساهم في التنمية الذّاتيّة للمجتمعات المحليّة، ومن ذلك توفير:

- الدّعم الماديّ للحرفيين بتوفير المواد الخام، والأدوات المستعملة في الإنتاج، والمساعدة في التّرويج (مقابلة مع الحرفيّة رشيدة جابلّي من القصرين في 10 جانفي 2020).

- الدّعم الفنّي الذي يقتضي الرّفع من مستوى القدرات التقنيّة للحرفيين وتنمية مهارتهم وكفاءاتهم، من خلال تعميم تعليم الحرف على اختلافها وتكثيف الدّورات التدريبيّة والتّكوينيّة لنقل الخبرات التقنيّة وتنمية المهارات وفتح آفاق الإبداع لتكون المنتجات مواكبة للتّطوّر مع المحافظة على أصالتها(مقابلة مع الحرفيّة دليلة غانمي من سيدي بوزيد في 13 جانفي 2020).

- الدّعم الاجتماعي بتحسين أوضاع الحرفيين الماديّة من خلال تأمين التغطية الاجتماعيّة للنّاشطين في القطاع وعائلاتهم (مهران، 2014: 165).

- الدّعم المعنويّ بالرّفع من شأن الحرفيين واعتبارهم كنوزا بشريّة حيّة وثروة هامّة، (الاتفاقيّة الدوليّة لصون التراث غير الماديّ الصّادرة عن اليونسكو في 2003) ما يجعلهم يفتخرون بأنفسهم وبحرفهم التي تمثّل جزءا من تاريخ مجتمعهم.

- الدّعم القانونيّ، بتشريع قوانين تحمي المنتج من المنافسة الخارجيّة، وتحافظ على حقوق العاملين في قطاع الحرف التّقليديّة. (مقابلة طالبات الماجستير، تخصّص التّصميم من أجل التّنمية المستدامة بالمعهد العالي للفنون والحرف بالقصرين، السّنة الجامعيّة 2018- 2019).

وبذلك فإنّ مختلف أصناف الدّعم تؤدّي إلى تحسين الكفاءة الإنتاجيّة للحرف المستهدفة وهو ما يزيد في مساهمتها في محاربة الفقر وحلّ مشاكل البطالة. وقد أكّدت لنا كلّ الحرفيّات المستجوبات اللواتي قمن معهنّ بمقابلات بحاجتهن الماسّة لمختلف أصناف الدّعم التي أشرنا إليها، خاصّة بعد التغيّرات التي عرفتها تونس إثر ثورة 17 ديسمبر 2010، التي انعكست سلبا على قطاع السّياحة والحرف التّقليديّة.

لكن دعم الحرف التقليديّة يظل عديم الفائدة إن لم يعاضده تطويرها لتصبح متماشية والحداثة، أي الحرص على وصل الأصالة بالحداثة حتّى لا يضيع عمق التّراث بسبب تألية الإنتاج، وعليه يجب إعادة إنتاج الحرف اليدويّة. ففي أحيان كثيرة تتغيّر وظيفة المنتج التّقليديّ نظرا إلى تراجع وظيفته الأصليّة في الحياة اليوميّة، وهو ما ينجرّ عنه ابتكار تصاميم جديدة للمنتج، وإحداث تغييرات في حجم المنتج وشكله ولونه (مقابلات مع مجموعة من طالبات الماجستير، تخصّص التّصميم من أجل التّنمية المستدامة بالمعهد العالي للفنون والحرف بالقصرين، السّنة الجامعيّة 2018- 2019). ويُعدّ تجديد وظيفة العديد من المنتجات الحرفيّة ضروريّة للاستمرار في الإنتاج والمحافظة على الحرف اليدويّة (مهران، 2014: 166-167) وتهدف عمليّة إعادة إنتاج الحرف اليدويّة إلى المحافظة على التّراث وإبقائه ماثلا في الذّاكرة الجمعيّة. وتقتضي إعادة الإنتاج انتقاء المخزون التراثيّ وتحويره وإثرائه بالتجديدات والابتكارات والإبداعات. فإعادة الإنتاج، إذن، لا تعني الإبقاء على عناصر التراث ثابتة كما هي ولا تغييرها كليّا. لأنّ أحسن وسيلة لصون الحرف اليدويّة والمأثورات الشّعبيّة عامّة وتنميتها وحمايتها هي مواصلة إبداعها والاستمرار في مزاولتها (مرسي، 2015: 154).

وفي هذا الإطار سعى العديد من الحرفيين بالوسط الغربيّ التونسيّ إلى ابتكار الحرف وتجديدها، للتّأقلم مع التّطورات وتجاوز صعوبة تسويق المنتجات التقليديّة التي تراجع استعمالها وفقدت وظائفها الأصليّة. فمثلا شهدت حرفة النّسج تراجعا في إنتاج المنسوجات التقليديّة على غرار "البطّانيّة" و"البرنوس" البرنس وغيرها، لكن في المقابل تواصل إنتاج "المرقوم" و"الكليم" والزّربيّة، وأُبتكرت نماذج جديدة من المنسوجات بعضها لها وظيفة عمليّة وظيفيّة، وأغلبها لها وظيفة جماليّة وفنيّة (مقابلة مع الحرفيّة خديجة همامي من سيدي بوزيد في 02 فيفري 2020) . ومنها السّتائر على الأبواب والنّوافذ، وأغطية للمكاتب والطّاولات في غرف الاستقبال وفي المكاتب، وحقائب نسائيّة، ومحفظات، ومضلاّت، ومعلّقات حائطيّة تحمل "موتيفاتْ" متنوّعة (شوشان البوعزيزي، 2008- 2009)، ورسوما ثلاثيّة الأبعاد. وتلقى هذه المنسوجات المبتكرة رواجا لدى السّياح الأجانب والشّباب المقبلين على الزّواج

حيث أصبحت تمثّل جزءا من "جهاز" العروس (الجزيراوي، 2017: 18). ومن الابتكارات الأخرى التي شهدتها حرفة النّسج حياكة أقمشة صوفيّة تتميّز بجودتها العالية واعتمادها في تصميم الأزياء العصريّة وصناعتها، وهي منتجات تلقى رواجا هاما في الدّاخل والخارج. ومن التّجديدات الأخرى التي عرفها قطاع النّسيج مزج المنسوجات بالجلد لإنتاج أنواع من الحقائب اليدويّة والمحفظات، ومزج المنسوجات بالحلفاء لإنتاج أنواع من الحصر والكثير من عناصر الدّيكور (مقابلة مع الحرفيّة زينة حرشاني من سيدي بوزيد في 15 جانفي 2019، والحرفيّة سالمة غضباني من القصرين في 18 مارس 2019). وتكشف هذه التّجديدات المهارات اليدويّة والقدرة على التّخيّل والابتكار والإبداع.

أمّا تسويق المنتجات الحرفيّة فيُعدّ تحدّيا يواجهه هذا القطاع في الوسط الغربيّ التونسيّ وفي العديد من البلدان الأخرى نظرا إلى شدّة منافسة المنتجات الصّناعيّة الأجنبيّة التي تتميّز بأسعارها المنخفضة مقارنة بأسعار منتجات الحرف اليدويّة عامّة (Khan and Amir, 2013)، وخاصّة منها حرفة النّسج اليدويّ ذو الجودة العالية، ويتطلّب تذليل هذا التّحدي:

- التعريف بمنتجات الحرف اليدويّة بالدّعاية لها اعتمادا على المطويّات والكتيبات ومختلف وسائل الإعلام (دعم الإعلانات المتعلّقة بالمنتجات الحرفيّة المختلفة في وسائل الإعلام العموميّة) ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، وإقامة المعارض القارة والمتنقّلة في تونس وخارجها.
- تحسين جودة المنتجات الحرفيّة والضّغط على التّكلفة.
- دراسة السّوق قصد تحديد القدرة الشّرائيّة والتعرّف على أذواق المستهلكين ورغباتهم لمعرفة نوعيّة المنتجات التي يُقبلون عليها.
- استهداف الأسواق الخارجيّة من خلال الحرص على ربط قطاع الحرف التقليديّة بقطاع السّياحة، والتّشجيع على التّصدير.
- توسيع الاعتماد على التّسويق الإلكترونيّ الذي يُعدّ من أنجع أساليب التسويق الحديثة التي تُمكّن من اقتحام عالم التّسويق الواسع.

تساهم تنمية قطاع الحرف التّقليديّة في تحسين الكفاءة الإنتاجيّة للحرف المستهدفة، وفي رفع دخل المجتمعات المحليّة، ودعم الاستقرار الاجتماعيّ ومحاربة الفقر وحلّ مشاكل البطالة خاصّة وأنّ أغلبيّة المشتغلين في الحرف اليدويّة ينتمون إلى الفئات الاجتماعيّة الفقيرة، ما سنتولّى تحليله في العنصر الموالي المتعلّق بأبعاد الاستدامة في تنمية قطاع حرفة النّسج اليدويّ بمنطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ.

معلّقات حائطيّة من النّسيج اليدويّ

حقائب يدويّة

نماذج من منتجات النّسج اليدويّ لطلبة المعهد العالي للفنون والحرف بالقصرين

يُعدّ تعدّد مزايا حرفة النّسج اليدويّ مؤشّرا هامّا على الدّور الكبير الذي يمكن أن تضطلع به في تحقيق التّنمية المستدامة في مختلف مناطق البلاد التونسيّة وفي المناطق الدّاخليّة المهمّشة، خاصّة إذا حظيت بالدّعم الكافي، وحرصت مختلف الأطراف المتدخّلة في القطاع على تطويره والنهوض به.

3 - 2 - أبعاد الاستدامة في تنمية قطاع الحرف بالوسط الغربيّ التّونسيّ

تظهر استدامة التنمية الناتجة عن الاستثمار في الحرف اليدويّة بصفة عامّة، وحرفة النّسج اليدويّ بصفة خاصّة بالوسط الغربيّ التونسيّ في العديد من المستويات منها الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والبيئيّة.

تتجلّى الاستدامة الاقتصاديّة في مساهمة تنمية قطاع النّسج اليدويّ التقليديّ في تحقيق عائدات ماليّة للمجتمع المحلّيّ بشكل متواصل ودائم، وخاصّة للنّساء المشتغلات بهذا القطاع. وتُعدّ حرفة النّسج اليدويّ من الحرف المنزليّة التي تضمن الشّغل لعدد كبير من النّساء اللّواتي يصعب عليهنّ إيجاد فرص عمل أخرى في مختلف أرياف وقرى الوسط الغربيّ. وهو ما يساهم في توفير مداخيل هامّة للعاملات في هذا القطاع سواء في منازلهنّ لحسابهنّ الخاص أو في بعض الورشات المُعدّة لمزاولة هذه الحرفة. كما أنّ الحفاظ على حرفة النّسج واستثمارها اقتصاديّا بارتباطها بقطاع السّياحة الثقافيّة، والسّعي إلى تصديرها، من شأنه أن يسهم في تعزيز الاقتصاد الوطنيّ والمحلّيّ، ويولّد الدّخل، والعملة الصّعبة، فصادرات الصّناعات اليدويّة بلغت 685 مليون دينار سنة 2018، أي 1,61 ٪ من مجموع صادرات البلاد التّونسيّة (الدّيوان الوطني للصّناعات التقليديّة، 2019).وتنتمي حرفة النّسج اليدويّ إلى الحرف التي تعتمد في الغالب الموارد والإمكانات المحليّة التي تتمثّل في الخامات ومصادر التّمويل والمهارات، وهي بذلك تكرّس سياسة الاعتماد على الذّات.

أمّا الاستدامة الاجتماعيّة فتظهر في الدّور الهام الذي يضطلع به قطاع الحرف اليدويّة في التشغيل، حيث بلغ عدد الحرفيين 350 ألف حرفيّ سنة 2018، أي حوالي 11 ٪ من مجموع النّشطين بالبلاد التّونسيّة. منهم 168933 حرفيّ مرسّم بالدّيوان الوطنيّ للصّناعات التقليديّة، أي حوالي 48,3 ٪ من مجموع الحرفيّين (الدّيوان الوطني للصّناعات التقليديّة، 2019)، منهم 101067 حرفيّ في قطاع النّسيج اليدويّ (نفس المرجع، 2016). وعليه، يُسهم قطاع الحرف، وخاصّة حرفة النّسج في محاربة الفقر، ورفع مستوى عيش السّكان المحلّيين. لأنّ الاستثمار في قطاع النّسج اليدويّ يمكّن من تشغيل أعداد هامّة من النّساء، وخاصّة من بين الفئات الفقيرة في مختلف قرى وأرياف الوسط الغربيّ، وهو ما تبيّناه من خلال العمل الميدانيّ الذي أجريناه في عديد القرى والأرياف المهمّشة في كلّ من ولايتي سيدي بوزيد والقصرين. ومن جملة 15617 حرفيّ مرسّم بالدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة سنة 2016 منهم 13552 حرفيّ ينشط في قطاع النّسج اليدويّ أي 86,7 ٪ من مجموع الحرفيّين. (الدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة، 2016) أمّا الحرفيّون غير المرسّمين في الدّيوان فيفوق هذا العدد نظرا إلى أنّ أغلبها حرف منزليّة. وتبدو الاستدامة الاجتماعيّة أيضا من خلال مساهمة هذه الحرفة والحرف التقليديّة بصفة عامّة في دعم الاستقرار الاجتماعيّ والسّياسيّ للمجتمع من خلال تمكين الفئات الأشدّ فقرا من مورد اقتصاديّ دائم (عوض، 2011: 13؛ حاج، 2001: 12)، يمكّنهم من توفير حاجياتهم الأساسيّة

مثل المسكن والمأكل والملبس والتعليم. وبما أنّ حرفة النّسج هي إحدى عناصر السّياحة الثقافيّة فهي تساهم في دعم الحوار والتّفاعل بين مختلف الثّقافات الإنسانيّة، ما يساعد على استتباب السّلم في العالم، ويساهم في نشر ثقافة التّسامح والتّفاهم بين الشّعوب والدّول.

وأمّا الاستدامة الثّقافيّة فتتجلّى في السّعي إلى المحافظة على جزء من المنظومة الثقافيّة المحليّة للأجيال اللّاحقة، من خلال إعادة إنتاج حرفة النّسج اليدويّ والاستمرار في مزاولتها ومواصلة إبداعها. وتتمثّل أهمّ الأهداف من الاستدامة الثقافيّة في وترسيخ الهويّة بالمحافظة على الذّاكرة الجماعيّة للأجيال اللّاحقة للاعتزاز بالانتماء إلى الوطن. وتَعتبر السّياحة الثقافيّة البديلة التراث الثقافيّ بما في ذلك قطاع الحرف التّقليديّة إرثا إنسانيّا جماعيّا، وتؤمن بالتّنوّع الثقافيّ وتجعله عنصر تقارب بين الشّعوب، ولذلك تحترم ثقافات الشّعوب الأخرى، وتتجنّب النظرة الدّونيّة إليها. وهو ما يتعارض وخيار السّياحة الشعبيّة بالبلاد التونسيّة التي كانت تقدّم التونسيّ في هيئة الفقير البائس المتخلّف. وهي صورة مغلوطة مشوّهة لتاريخ البلاد وتراثها وهويّتها الثّقافيّة وإمكاناتها السّياحيّة الفعليّة، فيها مسّ من الهويّة الثّقافيّة (السّعيدي، 1998- 1999: 5-6، 82- 89؛ الوشاني، 2017). وهو ما يتعارض ومبدأ التنمية الثقافيّة المستدامة التي تقوم على احترام ثقافة الآخر مهما كانت.

وتعدّ الاستدامة البيئيّة إحدى الأوجه الأخرى التي يؤمّنها الاستثمار في قطاع النسيج التقليديّ، نظرا إلى مساهمتها في التّخفيف من تأثير التغيّر المناخيّ، والمحافظة على البيئة والموارد الطّبيعيّة للأجيال اللّاحقة لأنّها حرفة تعتمد مواد أوّليّة طبيعيّة وحيوانيّة من ذلك صوف الأغنام ووبر الإبل وشعر الماعز والحرير والقطن والجلد والحلفاء، وتقنيّات تقليديّة بدل الإنتاج واسع النّطاق الذي يقوم على التّآلية، ولذلك فهي لا تستنزف الموارد الطّبيعيّة، ولا تلحق أيّ ضرر بالبيئة (Bhamra, 2015).

خاتـــمة:

بعد إنهاء بحثنا نرى من الأهمّية تعديد بعض النّتائج التي نستعرضها على النّحو الآتي:

- إنّ تعدّد مزايا حرفة النّسج اليدويّ بالوسط الغربيّ التّونسيّ، ساهم في تواصل مزاولتها التي تعدّ شرطا أساسيّا لصون هذه الحرفة اليدويّة والمحافظة عليها من الاندثار، بفعل التّحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة والثقافيّة التي يعرفها العالم والبلاد التّونسيّة في إطار العولمة. ومن أهمّ مزاياها قدرتها الفائقة على التّأقلم مع متغيّرات السّوق الاستهلاكيّة، وقدرتها التّشغيليّة العالية وانتشارها الجغرافيّ الواسع لعدم حاجتها إلى استثمارات باهظة في ما تعلّق بالمواد الأوليّة والمعدّات التّقنيّة المستعملة، والتّكوين.

- اضطلاع حرفة النّسج اليدويّ بدور هامّ في المساهمة في تحقيق التّنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة في جهة الوسط الغربيّ التّونسيّ التي تنتمي إلى الجهات المفقّرة، وفي صفوف الفئات الاجتماعيّة والجندريّة المهمّشة خاصّة وأنّها حرفة نسائيّة، وهي الأكثر انتشارا في صفوف النّساء الفقيرات ذوات المستوى

التعليمي المتدنّي، ما يجعل منها وسيلة فعّالة للنّهوض بالمرأة وتقليص الفجوة بين الجنسين، في جهة منسيّة يصعب فيها إيجاد مواطن شغل للنّساء.

- إنّ الحرص على مواصلة مزاولة حرفة النّسج اليدويّ ودعمها وتطويرها سيزيد من قدرتها على تحقيق التّنمية المستدامة في جهة الوسط الغربيّ التونسيّ إذا توفّرت الإرادة السّياسيّة، وتظافرت جهود مختلف الأطراف المتدخّلة في قطاع حرفة النّسج اليدويّ والحرف اليدويّة التّقليديّة عامّة.

- التّوعية بأهميّة التّنمية المستدامة التي يمكن أن تتحقّق في منطقة الوسط الغربيّ التّونسيّ بفضل دعم حرفة النّسج اليدويّ وتطويرها، التي لا تقتصر فقط على البعدين الاقتصاديّ والاجتماعيّ كما يتصوّر غالبيّة سكّان هذه المناطق، وإنّما تشمل أبعادا أخرى أهمّها البعد الثّقافيّ والبعد البيئيّ.

- اعتبار السّياحة الثقافيّة البديلة، أو المنوال السياحيّ على أساس العرض من الوسائل النّاجعة لاستثمار التّراث الثقافيّ التّونسيّ بصفة عامّة والحرف اليدويّة بصفة خاصّة في تحقيق التنمية المستدامة، باعتبارها وثائق حيّة تكشف العمق الثقافيّ والحضاريّ للمجتمعات المحليّة. وإلى جانب الحرف اليدويّة يمكن توظيف بقيّة عناصر التّراث الثقافيّ سواء أكانت ماديّة أم غير ماديّة، لتحقيق التّنمية المستدامة بالوسط الغربيّ. ما يكمّل الصّورة ويمكّن من التّعرف إلى مختلف إمكانات التّراث الثقافيّ التي يحظى بها الوسط الغربيّ للبلاد التّونسيّة. ويمكن الاستئناس بتجارب البلدان التي نجحت في المحافظة على قطاعها الحرفيّ وتراثها الثقافيّ وإعادة تأهيله وتوظيفه في تحقيق التنمية المستدامة، والاستفادة منها، على غرار فرنسا وإيطاليا واسبانيا وتايلاندا والفليبين والمغرب الأقصى وغيرها من الدّول الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع

- **باللّغة العربيّة:**

- ابن منظور أبي الفضل جمال الدّين، (د. ت.) لسان العرب، المجلّد التّاسع. دار صادر بيروت.

- الأندلسي نضار، (2017)، الحياة اليوميّة للمرأة في المغرب القديم، دار القلم الرّباط، الطّبعة الأولى. 232ص.

- براهمي عبد الكريم، (2006)، الغذاء واللّباس في برّ الهمامة: الهيشريّة والمكّاسي نموذجا، دراسة لإنشاء جناح إتنولوجي لمشروع متحف بسيدي بوزيد. رسالة ماجستير تراث وعلوم متحفيّة، جامعة منّوبة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات. 257 ص.

- بشرى محمّد المهدي، (2014)، "التراث الثقافي والتنمية المستدامة تكامل وليس تنافرا"، المأثورات الشّعبيّة عدد 87، السّنة 23. ص. 19- 29.

- بن يوسف عزيزة، (2005)، الصّناعات التقليديّة بتونس، ورشة عمل حول الصّناعات التقليديّة في الوطن العربي، المغرب 17-19 سبتمبر 2005.

- الجزيراوي محمّد، (2017)، "التراث الثقافي غير المادي ودوره في التنمية"، الحياة الثقافيّة عدد 281. ص 10- 19.
- الجوهري محمّد محمود، (2012)، "الفلكلور التّطبيقي"، الفنون الشعبية عدد 91. ص. 37- 51.
- حاج سالم عطيّة، (2001)، "الصّناعات التّقليديّة بين الموروث الثّقافي والفاعليّة الاقتصاديّة"، مجلّة الحرفي بالجزائر، عدد خاص.
- الدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة، (2016)، الصّناعات التّقليديّة من خلال الأرقام.
- الديوان الوطني للصناعات التقليدية، (2019)، دليل الصّناعات التّقليديّة في الجهات خلال سنة 2018.
- الرّزقي محمّد الصّادق، (2010)، الأمثال العاميّة التّونسيّة وما جرى مجراها، دار سحر للنّشر، الطبعة الثّانية.
- السّعيدي محمّد الحبيب، (1998- 1999)، أسواق الأحلام: صورة تونس من خلال استغلال التّراث في القطاع السّياحي، شهادة الدّراسات المعمّقة في الآثار والتّراث، جامعة تونس الأولى، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس. 184 ص.
- شوشان البوعزيزي سميرة، (2008- 2009)، المنسوجات الصّوفيّة بقفصة: دراسة في الأنتروبولوجيا الثّقافيّة، شهادة الماجستير، جامعة منّوبة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيات، قسم التّاريخ. 272 ص.
- عبد اللّطيف علاء الدّين (2006)، " الحرف والصّناعات اليدويّة كأداة للجذب السّياحي في مصر (بالتّطبيق على منطقة خان الخليلي)"، مجلّة كليّة السّياحة والفنادق، جامعة الفيّوم، المجلّد العاشر، العدد 1/1، ص. 77- 107.
- عطيّة أحمد خلف، (2013)، " تنمية الحرف اليدويّة التقليديّة والأسواق التّراثيّة كمدخل لتعزيز السّياحة الثقافيّة: الواقع والتّحديّات وآفاق التّطوير في سورية"، مجلّة جامعة تشرين للبحوث والدّراسات العلميّة، سلسلة العلوم الهندسيّة، المجلّد 35، العدد 5.
- عوض شريف محمّد، (2011)، "الصّناعات الحرفيّة... طريق للتنمية المستدامة"، الفنون الشعبية عدد 89. ص. 5- 28.
- محمود معوض تمام سالم وغادة محمد وفيق، (2016)، "تنمية الحرف اليدوية والصناعات التقليدية كأحد مقومات الجذب السياحيّ المصريّ" مجلة كلية السياحة والفنادق - جامعة الفيوم، المجلد العاشر، العدد ½، ص. 225-256.
- مدني يوسف حسن، (2017)، "الثقافة الماديّة ودورها في التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة"، الثقافة الشّعبيّة عدد 38. ص. 162- 175.

- مرسي أحمد علي، (2015)، "حول المأثورات الشعبية والتنمية المستدامة: الحرف الشّعبيّة نموذجا"، الفنون الشعبية، عدد 100. ص. 153- 167.

- مندور محمّد، (2016)، " اقتصادات المحافظة على التراث والتّنمية الشّاملة"، الموروث عدد 4، ص. 67- 83.

- منظّمة العمل العربيّة، (1994)، الصّناعات الصّغرى والحرف التقليديّة في الوطن العربي أداة للتنمية، مؤتمر العمل العربي، الدّورة الحادية والعشرين: تقرير المدير العام لمكتب العمل العربي، البند الأوّل، القسم الأوّل، القاهرة.

- مهران إيمان، (2014)، "مصداقيّة تنمية الحرف التقليديّة في العالم العربي"، الثقافة الشّعبيّة، عدد 24. ص. 160- 167.

- الوشاني عادل، (2017)، "السياحة والتراث والدولة الوطنية: آليات الهيمنة الجيوسياسية وضرورات فك الارتباط"، ضمن القداسة والرّهانات الجيوسياسيّة للتراث، جمع وتقديم ياسين كرامتي و إيف جيرو، أشغال الجامعة الصّيفية بالمنستير 2017، الطّبعة الأولى، مجمع الأطرش للنّشر وتوزيع الكتاب المختص. تونس.

▪ **باللّغات الأجنبيّة:**

- Anquetil Jacques, la préservation et le développement de l'artisanat utilitaire et créateur dans le monde contemporain, consultation d'experts sur « la préservation et le développement de l'artisanat dans le monde contemporain », Rio de Janeiro,27-31 aout 1984, p.p. 3 – 7

- Bensiddik N., Etre femme dans le Maghreb ancient, AWAL, Cahiers des Etudes Berbéres, n° 20, 1990.

- Balter M. (2009), « Clothes Make the (Hu) Man. Science, 325(5946):1329.

- Bertho Lavenir C., (1999). La roue et le stylo. Comment nous sommes devenus touristes. Paris, Odile Jacob, 438 pp.

- Bhamra A., (2015), Resilience framework for measuring development. Récupéré le 11 avril 2015 à l'adresse :
https://sustainabledevelopment.un.org/content/documents/642997-Bhamra-Resilience%20Framework%20For%20Measuring%20Development.pdf.

- Boyer M., (2005). Histoire générale du tourisme du XVI[e] au XXI[e] siècle. Paris, L'Harmattan, 327 pp.

- Delattre A. L., Lanécropole des Rabs pretres et pretresses, 3° année de fouille, extrait du Cosmos 1901.

- Diemer A., (2013 b). « L'éducation systématique, une réponse aux défis posés par le développement durable », Education relative à l'environnement, 13, p. 247-263.

- Khan, W. and Amir, Z., (2013), « Study of Handicraft Marketing Strategies of Artisans in Uttar Pradesh and Its Implications », Research Journal of Management Sciences, Vol. 2(2), 23-26.

- Kvavadze E., Bar-Yosef O., Belfer-Cohen A., Boaretto E.,Jakeli N., Matskevich Z., Meshveliani T. (2009), « 30,000-Year-Old Wild Flax Fibers », Science, 325(5946):1359.

- Laplante M., (1996). L'expérience touristique contemporaine. Fondements sociaux et culturels. Québec, Presses de l'Université du Québec, 167 pp.

- Lazzarotti O., (2003). « Tourisme et patrimoine: ad augusta per angustia ». Annales de Géographie, vol. 1- 112, no 629. Tourisme et patrimoine, p. 91- 110.

- Léon l'africain, Description de l'Afrique, nouv, trd, par A.Epaulard, 2 éd, paris Maisonoeuvre,1981.

- Noëlla Richard, Artisanat et création d'emplois pour les jeunes et les femmes les plus pauvres, Programme intersectoriel de l'UNESCO sur le thème transversal « élimination de la pauvreté, en particulier de l'extrême pauvreté », UNESCO 2008.

- Patin V., (2005). Tourisme et patrimoine. Paris, La Documentation française, 176 pp.

- Triki Loubna, L'artisanat berbère : permanence des matériaux, symbolisme des formes. Étude historique et anthropologique, de l'antiquité à nos jours. Thèse en

vue de l'obtention du Doctorat de l'Université de Paris Ouest-Nanterre La Défense, 2013-2014.

- Unido, Creative Industries and micro and small Scale Enterprise Development a Contribution to Poverty Alleviation, Vienna Austria, 2005.

جمالية التصريع في ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا

Aesthetic ettesri' in the office of the sacred flame Moufdi Zakaria

د رحماني ليلى جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر
llarabi@ymail.com

ملخص:

تعدّ المطالع الشعرية في رؤية النقاد من أكثر الموضوعات التي تحتاج إلى اهتمام الشعراء ، فهي تحتوي على مالا تحتويه الأبيات الأخرى من القصيدة الشعرية من حيث الأثر ووقعها في النفس، فتنبّهوا إلى خصوصية ذلك التشكيل الفني الذي امتازت به هذه المطالع، وأولوه عناية كبيرة، وسمّوه التصريع، لكون نهاية الشطر الأول مشابهة لنهاية الشطر الثاني.

فهذه الظاهرة الإيقاعية تشدّ انتباه المتلقي بعد أن تأسره بالموسيقى التي تبعثها من الجماليات التي تجلي قدرة الشاعر وتبرز سعة فصاحته و غزارة مادته اللغوية.

ويبدو أن الشاعر مفدي زكريا وهو من الشعراء الجزائريين الذين منحوا الشعر عطاء خاصا أراد لقصائده أن تؤثر في الأسماع وتجلب الانتباه فعمد إلى تصريع مطالعها في ديوانه اللهب المقدس جامعا بين نوعيه العروضي والبديعي، فجاء معبرا عن انفعالاته ومحدثا نوعا من الرصانة والاتزان في موسيقى البيت أو القصيدة التي تضمنته.

هذا ما ستحاول هذه الدراسة الوقوف عليه مبرزة جمالية ذلك التشكيل الإيقاعي في المتن المدروس متتبعة المنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: الشعر- التصريع- اللهب المقدس- مفدي زكرياء.

Abstract :

The subject relating to the beginnings of the poems in the vision of the specialists of the criticism is one of the subjects which must require more interest on the part of the poets: they contain what the other lines of poetry do not contain especially in terms of impact on the mind. This is the reason why the poets realized the feature of these beginnings of poems and gave it such great importance that they gave it a specific name "ettesrie" which takes into account the fact that the end of half of the first line is similar to that of the second half. This rhythmic phenomenon which catches the receiver's attention, by capturing him with the music that it emits, is considered as a beauty that highlights the poet's capacity for eloquence and fluency in language. It seems that Algerian poet Mufdi Zakaria, who gave poetry a special offer, wanted his poems to touch hearts and grab attention. So, he used "ettesrie" extensively in his poems to ensure a balance between the music of the verse and that of the poem that included it. This is what this study will try to stand upon, highlighting the esthetic of the rhythmic formation in the **studied text, following the descriptive and analytical approach.**

Keywords: poems, ettesrie, sacred flame, Moufdi Zakaria.

إنّ المطالع الشعرية في رؤية النّقاد القدامى من الموضوعات التي تحتاج إلى اهتمام الشعراء، فالحق أنّها تشتمل على مالا تشتمل عليه الأبيات الأخرى من القصيدة من حيث الأثر ووقعها في النفس، إذ " ينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره فإنّه أوّل ما يقرع السمع و به يستدلّ على ما عنده من أوّل وهلة " (القيرواني (د ت)ص217) فتنبّهوا لخصوصية ذلك التشكيل الفني الذي امتازت به المطالع وأولوه كبير العناية وسمّوه بالتصريع.

وهو في المطالع مظهر من مظاهر القصيدة العربية عندما تكون نهاية الشطر الأول مشابهة لنهاية الشطر الثاني.

" إنّما وقع التصريع في الشعر ليدل على أنّ صاحبه مبتدئ إمّا قصة ، و إمّا قصيدة ، و ليعلم أنّه أخذ في كلام موزون غير منثور و لذلك وقع في أوّل الشعر " (مناع،1995 ص235)

و التصريع مأخوذ من المصراعين الذي هما بابا البيت ، جاء في العيون الغامزة " التصريع تبعية العروض (آخر الصدر)للضرب (آخر العجز) قافية و وزنا و إعلالا و سمّي البيت الذي له قافيتان مصرّعا تشبيها له بمصراعي باب البيت المسكون ، و اشتقاقه من الصّرعين و هما نصفا النهار ، فمن غدوة إلى انتصاف النهار صرعُ، و منه إلى سقوط الشمس صرع " (الدماميني، 1994 ص140)

ويشاطره الفكرة نفسها ابن رشيق حين يقول " واشتقاق التصريع من مصراعي الباب ولذلك قيل لنصف البيت "مصراع " كأنّه باب القصيدة ومدخلها وقيل بل هو من الصّرعين، وهما طرفا النهار الأوّل من طلوع الشمس إلى استواء النهار والآخر من فيل الشمس عن كبد السماء إلى غروبها " (القيرواني (د ت) ص174)

و لئن أدرجنا التصريع في باب الإيقاع الداخلي على غير ما درج عليه بعض النقاد في إلحاقه بباب القوافي فلأنه " في المستحب في نظم الشعر من الواجب فيه، علاوة على أنه يعلن عن بدء وحدة تكرارية ينهض بها، و هو يرتبط في الشعرية العربية بالصنعة و التجويد " (ولد عبدي، 2009 ص215)

من هنا رأى النقاد العرب أنّه من المستحبّ للشاعر أن يصرّع قصيدته، فإذا لم يفعل كان كما يقول ابن رشيق " كالمُتَسور الداخل من غير باب " (القيرواني (د ت) ص177) أي الذي يثب من فوق الحواجز وعليه أصبح التصريع مظهرا أساسيا من المظاهر الإيقاعية التي اتكأت عليها القصيدة العربية القديمة.

لذلك وجدنا أبا تمام يقول:

و نَفَقوا إلى الجَدْوَى بجَدْوَى و إنّما يروقُكَ بَيْتُ الشِّعْرِ حَيْث يُصَرّع

وهو على ضربين: عروضي وبديعي. فالعروضي: " عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والإعراب والتقفية، بشرط أن تكون العروض قد غيّرت عن أصلها لتلحق الضرب في وزنه " (ابن أبي الأصبع،1963ص99)

ويعرّفه ابن رشيق:" ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " (القيرواني (د ت) ص173) أي أنّ العروض المصرّعة طرأ عليها استثناء من زيادة أو نقص أو تغيير لتوافق الضرب.

ومثال التصريع العروضي قول امرئ القيس : (امرؤ القيس،2004ص122)

ألا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالي وهل يَنْعمنَ مَنْ كان في العُصُر الخالي

فإذا ما قطعنا هذا البيت وجدناه من بحر الطويل وتفعيلاته على النحو الآتي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

نلاحظ أنّ وزن العروض " مفاعيلن" .

فهل أخطأ الشاعر؟ الحقيقة أنّ الشاعر لم يخطئ و إنّما لجأ إلى التصريع ليجانس بين شطري البيت الذي هو مطلع القصيدة، فتخلّى عن " مفاعلن" التي هي عروض الطويل المقبوضة، و استعمل بدلها "مفاعيلن" الصحيحة و ذلك بهدف الإتيان بقافية في نهاية الشطر الأوّل مشابهة لقافية البيت بقصد إحداث جرس أوّل وهلة "أنّه أخذ في كلام موزون غير منثور، و لذلك وقع أوّل الشعر " (القيرواني (د ت) ص174)

أمّا البديعي:" فهو استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز في الوزن والإعراب والتقفية ولا يعتبر بعد ذلك أمرا آخر وهو في الأشعار كثير ولاسيما في أوّل القصائد (ابن أبي الأصبع، 1963ص99)

فجعل المصراع الأوّل من البيت مثل قافيته يبعث في القصيدة نوعا من السحر والجمال، وإذا كان المطلع مصرّعا، فإنّ ذلك يشدّ انتباه المتلقي بعد أن يأسره بالموسيقى التي يبعثها «والتصريع يلعب دورا موسيقيا يراه كثير من الشعراء والنّقاد على قدر كبير من الأهمية، إذ أنّه يحدث لونا من ألوان التّماسك النّصي فضلا عن التماسك الإيقاعي في البنية الشعرية " (أبو شوارب،1997ص125)

ممّا دفع كثيرا من الشعراء إلى تجاوز التزامه في المطالع إلى تكراره في عدد من أبيات القصيدة «وربّما صرّع الشاعر في غير الابتداء وذلك إذا خرج من قصّة إلى قصّة أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذ بالتصريع إخبارا بذلك وتنبيها عليه" (القيرواني (د ت) ص174)

كما نلمح ذلك في شعر امرئ القيس إذ يقول في مطلع معلقته: (امرؤ القيس،2004 ص110)

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

و إذا كان أهل العروض يطلقون على هذا البيت مقفى لا مصرّعا لأنّ العروض لم يتغير وزنها فجاءت على وزن " مفاعلن " فهو النوع البديعي الذي تستوي فيه العروض و الضرب وزنا و قافية دون التغيير في وزنها ..."أهل البديع يسمّون التقفية تصريعا، إذ لا يعتبرون الفرق بينهما " (ابن أبي الاصبع،1963ص100)

فصرّع الشاعر أبياتا أخرى من المعلّقة غير المطلع قائلا: (امرؤ القيس،2004 ص117)

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

قام الشاعر بتصريع هذا البيت داخل المعلّقة عندما انتقل من المقدمة الطللية إلى وصف الليل.

ويعدّ النّقاد التصريع من علامات إجادة الشاعر وسعة فصاحته وغزرة مادته واقتداره في بلاغته " فهو يوحي بأنّ الشاعر قد حدّد قافيته التي يبني عليها قصيدته، أمّا من جهة المتلقي فإنّ التصريع إعداد لأذنه، وتهيئة لحسّه لمعرفة هذه القافية وتقبّلها" (مومني،1982 ص209)

و يبدو أنّ الشاعر مفدي زكريا قد أراد لقصائده أن تؤثر في الأسماع و تجلب الانتباه، فعمد إلى تصريع مطالعها في أربعين قصيدة من بين الأربعة و الخمسين موجودة في الديوان، أي بنسبة 74 % جامعا بين نوعيه العروضي و البديعي.

1.التصريع العروضي :

يستهل الشاعر قصيدته – جلالك يا عيد الرئاسة رائع – (الطويل) [18](زكريا،2000 ص180)

مَصِيرٌ بروحِ الشَّعْبِ قَرَّرَهُ الشَعبُ وحُكْمٌ بِعَزْمِ الشَّعْبِ سَطَّرَهُ الرَبُّ

ن--- ن---

مفاعيلن مفاعيلن

و يستهل قصيدته –سنثأر للشعب – بقوله : (الطويل) [19](زكريا،2000 ص198)

سَلُوا مُهْجَةَ الأَقْدَارِ هَلْ جَرَسُهَا دَقَّا وهَلْ خَاطِرَ الظلّمَاءَ عَنْ شرِهَا انشَقَا

ن--- ن---

مفاعيلن مفاعيلن

و يقول في قصيدة –فلا عز حتى تستقل الجزائر : (الطويل)[20] (زكريا،2000 ص305)

مَدَدْنَا خُيُوطَ الفَجر قُم نصنع الفَجْرَا وَصُغْنَا كِتَاب البعث قم ننشُرِ السَفْرَا

ن--- ن---

مفاعيلن مفاعيلن

و يبتدئ قصيدة- بني أمّي – (الطويل) [21] (زكريا،2000 ص320)

عَلَى نَبضاتِ الشَّعْبِ وَقَّعتُ أَلحَانِي وَ منْ نَشْوَةِ التَحرِيرِ لحّنتُ أَوْزَانِي

ن--- ن---

مفاعيلن مفاعيلن

فما نلاحظه أنّ جلّ القصائد المصرّعة التي جاءت على وزن الطويل عمد فيها الشاعر إلى تغيير وزن العروض ، التي هي الأصل مقبوضة *وجوبا (مفاعلن) فحوّلها إلى مفاعيلن الصحيحة حتى تلائم الضرب الصحيح وزنا و قافية.

و من التصريع العروضي كذلك ما جاء على وزن البسيط حين نجده يستهل قصيدته – إقرأ كتابك – بقوله : (البسيط) (زكريا،2000 ص57)

هَذَا (نُوفَمْبَرُ).. قمْ وحيّ المدفعَا وَاذكرْ جِهَادَكَ.. وَالسِنِينَ الأَرْبعَا

-ن- -ن-

فاعلن فاعلن

أدخل التصريع في مطلع هذه القصيدة جمالية موسيقية لافتة ، إذ جعل ألفاظه أكثر توهجا في الدلالة و الوضوح ، فأكسبها خطابية صادقة مباشرة تعكس حالة الشاعر المتحمسة في تأجيج الثورة و ما كانت عليه في السنين الأربعة التي مضت.

و يفتتح قصيدته – ماذا تخبئه يا عام ستينا (البسيط) (زكريا،2000 ص149)

عَامٌ مَضَى كَمْ بِهِ خَابَتْ أَمَانِينَا مَاذَا تُخَبِّئُهُ يَا عَامُ سِتِّينَا ؟

-- --

فَعْلُن فعْلُن

و يستهل قصيدته - أ في السموات عرش أنت تنشده -(البسيط):[24] (زكريا،2000 ص219)

مَا للجِرَاحَات تُخفيهَا فَتُبدِينا وَ للْحُشَاشَاتِ نَأسُوهَا فَتُدْمِينَا

-- -- فَعْلُنْ

فعْلُنْ

فتآلف العروض و الضرب على نسق واحد (فَعْلُنْ) أتاحَ للشاعر فرصة التعبير عن الضيق و الحزن اللذين ألما به و لا سيما في استخدامه لصوت النون الذي يبعث على الحزن و الأنين.

وفي انتقالنا إلى قصيدة أخراة - من يشتري الخلد ؟ إنّ الله بائعه- (البسيط): (زكريا،2000 ص236)

يَا شَاعِرَ الخُلْدِ حَقَّ اليَومَ تَخليدُ وَخَالِدُ الشِّعْرِ قُم أَينَ الأَناشِيدُ؟

-- --

فَعْلُنْ فَعْلُنْ

و يقول في رسالة الشعر في الدنيا مقدسة (البسيط): (زكريا،2000 ص287)

سَلِ العُرُوبَةَ هَلْ ضَجَتْ لِشَكْوَانَا و سَلْ أُمَيَّةَ هَلْ رَجَتْ لِبَلْوَانَا ؟

-- --

فَعْلُنْ فَعْلُنْ

عروض بحر البسيط الأولى مخبونة * على وزن فَعِلُنْ ، و هذه العروضة المخبونة لها ضربان : الأول مخبون مثلها و الثاني مقطوع * إذ فَاعِلُنْ تصير فَاعِلْ ثم تحول إلى فَعْلُنْ.

و عندما صرّع الشاعر أبياته هذه قام بتغيير وزن العروض من فَعِلُنْ إلى فَعْلُنْ حتى تستوي مع الضرب، ليُحدثَ استواؤُها رنةً موسيقيةً تستسيغها الأذن، و تهتز لها النفوس "فإن للتّصريع طلاوة وموقعا من النفس" (القرطاجني،1966ص283)

فمن الملاحظ على هذه الأبيات أنها وردت في مطلع القصائد محددة الهدف والغاية، وممهّدة للموضوع العام الذي طرقه الشاعر في بقيّة الأبيات، وهنا يكمن سرّ جمال المطلع في إيحاءاته التي لخّصت كل ما يعانيه الشاعر.

2.**التصريع البديعي**:

أمّا هذا النّوع، فإن مجيئه في الديوان قد نال حظوة أكبر من سابقه، إذ لا يعمد فيه الشاعر إلى تغيير وزن العروض حتى تتلاءم مع الضرب، بل يكفيه أن يتلاءما وزنا وقافية ، و حكمه في الكثرة و القلّة حكم بقية أنواع البديع " إذ كلّ ضرب من البديع متى كثر في شعر سمج ، كما لا يحسن خلو الكلام منه غالبا و كلّ ما جاء منه متوسط من غير تكلّف فهو المستحسن " (ابن أبي الأصبع،1963 ص99)

فبهذا اللون البديعي يزيّن الشعراء مطالع قصائدهم، فيضفي عليها نغما ولحنا موسيقيّا يشدّنا بشغف لمتابعته.

وإذا غايتنا التمثيل للظاهرة واستقراؤها، نورد أمثلة تعكس ما للتصريع البديعي من حضور لافت لدى شاعرنا.

فقد صرع مفدي في افتتاحية قصيدته – و تكلّم الرّشاش جلّ جلاله-(الكامل) (زكريا،2000 ص133)

أَكْبَادُ مَنْ؟هَذي التي تَتَفَطَّرُ وَ دِمَاءُ مَنْ ؟هَذِي التي تَتَقَطَّرُ ؟

لقد حاول الشاعر في نسج بينته على هذا النسق التصريعي لفت انتباه القارئ إلى الحالة الشعورية التي يتضاعف فيها الإضراب لديه مشكّلا في ذلك نسقا موسيقيا عزّز من قيمة النص؛ فأظهر البعد الدلالي والنفسي للفظتي التصريع (تتفطر-تتقطر) ذلك أن اللفظ "انعكاس واع لنفسية الشاعر و مدى قدرته على انتقاء الألفاظ و حساسيته في التعامل معها بما يتناسب مع إبداعه " (السويدي،1997ص49)

ويقول مفتتحا قصيدته –زنزانة العذاب-(البسيط) (زكريا،2000 ص20)

سَيَّانٌ عِنْدِي مفْتُوحٌ ومُنْغَلِقُ يَا سِجْنُ بَابُكَ أَمْ شُدَّتِ به الحَلَقُ

جاءت قافية العروض على روي (القاف) موافقة لقافية البيت و التي رويها كذلك (القاف)، فثمة حالة من الحزن و الضعف يوحي بها التصريع في هذا البيت ليُبقي القارئ في متابعة متواصلة مع هموم الشاعر التي سيفصح عنها في الأبيات المتتالية .

و يقول مستهلا قصيدته –وليد القنبلة الذرية-(الرمل) (زكريا،2000 ص160)

مَادَهَاهُ؟ ويْل أُمِّهِ مَا دَهَاهُ ويلَتَاهُ مِنْ جِيلِهِ وَيْلَتَاهُ !

توافق العروض و الضرب وزنا و قافية ساهم في إخفاء مزيد من ذلك التعبير عن الحالة الشعورية للشاعر ،و متوسلا من خلاله كسب عطف القارئ.

و في افتتاحية أخراة لقصيدته- يوم الخلاص- (الخفيف) (زكريا،2000 ص208) :

أَشْرَقَ العِيدُ فَانْشُرُوا الأَعْلاَمَا وَ امْلَأُوا الكَوْنَ بَهْجَةً وَ ابْتِسَامَا

لا شك أنّ الرنين السمعي لصوت (الميم) في العروض والضرب قد أبقى المشاهد على إطلاع على اللوحة الفنية التي حاول الشاعر رسمها.

و يقول في –أكذوبة العصر – (البسيط): (زكريا،2000 ص140)

أُكذُوبَةُ العَصْرِ أَم سُخْرِيَةَ القَدَرِ هَذي التي أُسِّسَتْ فِي صَالِحِ البَشَرِ؟

يبدو أن الشاعر في هذه القصيدة، قد جارى القدامى في تصريع البيت الذي ينتقل فيه من موضوع إلى موضوع آخر فيقول مجموعة من الأبيات:

مُعَسْكَرُ الحَقِّ إنَّ الحَقَّ مُنْتَصِرُ رَغْمَ الطُغَاةِ ورَغْمَ العَابِثِ الأَشِرِ

فالملاحظ على هذا البيت أنّه مصرّع إخبارا للسامع أنّه أنهى تلك التساؤلات الموجّهة إلى تلك المنظمة المزعومة لحلّ قضايا الأمم إلى موضوع آخر وهو التقرير والإخبار.

كما صرّع في مواضع غير المواضع المألوفة للتصريع، و قد تمّ له ذلك و من أجل تجسيد مظاهر التصريع سعى مفدي إلى ممارسته في القصيدة الواحدة أكثر من مرة و ذلك إدراكا منه للدور الذي يلعبه في تصعيد شاعرية النص . (زكريا،2000 ص219)

مَا للجِرَاحَاتِ، نُخْفِيهَا فَتُبْدِينَا وَللحُشَاشَاتِ نَأْسُوهَا فَتُدْمِينَا؟

وللفَوَاجِعِ، نَنْسَاهَا فَتَفْجَأُنَا وللسِهَامِ نُفَادِيهَا فَتَصْمِينَا؟

ولليَّالِي، نُصَافِيهَا فَتُنْغِصُنَا وللزَمَانِ، نُدَارِيهِ فَيُرْدِينَا؟

وللسَّمَاوَاتِ، نَدْعُوهَا فَتُكْسِفُنَا وللحُظُوظِ، نُدَانِيهَا فَتُقْصِينَا؟

أ للمَقَادِيرِ ثَارَاتُ بِمَغْرِبِنَا أَمْ للأَعَاصِي، غَارَاتُ بِوَادِينَا؟

يا للرَّوَائِعِ...! كَمْ هَاجَتْ مَشَاعِرُنَا فَأَرْسَلَتَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا شَوَادِينَا.

نلاحظ أبياتا متتالية من قصيدة –أفي السموات عرش أنت تنشده- مصرّعة إذ جاءت أعاريضها ملائمة لأضرابها وزنا و قافية و هذا دلالة على قدرة الشاعر و غزارة مادته و تمكّنه من المعجم اللغوي. إن هذا التصريع يولد أبعادا إيقاعية تتعاضد مع موسيقى الإطار لتخلق فضاءً قائما على موازنات صوتية و دلالية.

إنّ التصريع من الجماليات التي تجلّي قدرة الشاعر، فقد اهتم بهم مفدي زكريا في ديوانه لاهتمامه بموسيقاه الشعرية و عنايته برونقها، فجاء معبّرا عن انفعالاته و محدثا نوعا من الرّصانة و الاتزان في موسيقى البيت أو القصيدة التي تضمنته فالتناغم يحدث بين شطري البيت.

فكان توظيفه للتصريع في مطالع قصائده ليزيد من ذلك التلون الإيقاعي الذي زوّدها بأنغامه و موسيقاه، بعد أن أصبح المطلع هو الذي يحدّد ملامح القصيدة و يربط بين مفرداتها حتى أنّنا نقف حائرين أمام مقدماتهم تلك التي لخّصوا فيها كل ما يريدون قوله.

فلقد أحسن شاعرنا استثمار التنظيم الموسيقي للتصريع الذي كان واضحا في أغلب قصائد الديوان، و كثير من البحور الشعرية قد استوعبته (الطويل-البسيط-الكامل-الرمل-الخفيف-الوافر-المتقارب-السريع) ليظهر من هذا كله أن الشاعر تقيد باستعمال هذه الظاهرة الموسيقية بما وضعه القدماء من تنظيمات إيقاعية، و قد فعل ذلك القدماء و المحدثون لما فيه من حيوية و قدرة على إثارة الانفعال .

الهوامش والإحالات:

1-ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر آدابه و نقده- تحقيق محمد حي الدين عبد الحميد- دارالرشاد الحديثة- الدار البيضاء-(دت) -ج1 - ص 217

2-هاشم مناع : الشافي في العروض و القوافي – دار الفكر العربي –بيروت –ط3-1995- ص 235

3-الدماميني : العيون الغامزة على خبايا الرامزة –ج- الحساني حسن عبد الله – مكتبة الخانجي – القاهرة- ط2-1994- ص 140

4-محمد ولد عبدي : السياق و الأنساق في الثقافة الموريتانية- دار نينوى-دمشق-2009 - ص 215

5-ابن أبي الأصبع : تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر –تح حفني محمد شرف-مصر- ط1963- ص99

6- امرؤ القيس : الديوان –تحقيق:مصطفى عبد الشافي-دار الكتب العلمية-بيروت-ط5-2004- ص.122

7-مصطفى أبو شوارب : البنية الإيقاعية في شعر عبد العزيز سعود البابطين –دار المعرفة-1997- ص125

8-قاسم مومني : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري- دار الثقافة –القاهرة-1982-ص209

9-مفدي زكريا : اللهب المقدس- موفم للنشر- الجزائر-ط4-2000-

*-القبض : زحاف مفرد و هو حذف الخامس الساكن

*الخبن : زحاف مفرد و هو حذف الثاني الساكن

*القطع : حذف ساكن الوتد المجموع و إسكان ما قبله

10- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء و سراج الأدباء-تحقيق محمد الحبيب بن خوجة-دار الكتب الشرقية-تونس-1966 -ص283
11-السويدي –فاطمة : الاغتراب في الشعر الأموي-مدبولي-القاهرة-ط1-1997- ص 49

متطلبات إصلاح وتطوير الموازنة العامة في ليبيا(مدخل نظري)

REQUIREMENT For REFORMATION AND DEVELOPMENT OF THE PUBLIC BUDGET IN LIBYA (THEORITICAL INTRODUCTION)

د. مخلوف مفتاح محمد ـ جامعة الزيتونة*

المخلص

يهدف هذا البحث إلى إثارة النقاش حول أهمية إصلاح وتطوير الموازنة العامة في ليبيا. وقد تضمن تعريف بالموازنة العامة وبالاتجاهات الحديثة في إعدادها. وكذلك تضمن تعريف بماهية شفافية الموازنة العامة وأهميتها مضافا إليها المعايير الدولية لشفافية الموازنة واليات تعزيزها في جميع مراحل الموازنة المختلفة، وأخير، تحليل موجز للموازنة العامة في ليبيا. واعتمد البحث على المنهج الوصفي، وعلى الأدبيات الاقتصادية، والأدبيات العالمية المتعلقة بشفافية الموازنة،وعلى البيانات الرسمية فيما يخص الموازنة العامة الليبية. وتوصل البحث إلى أن ليبيا مازالت تتبنى نظام الموازنة التقليدي، ولا تلتزم بممارسات شفافية الموازنة العامة.

وعليه،أوصى بضرورية تطوير الموازنة العامة من خلال الانتقال إلى موازنة أكثر حداثة، وتطبيق مبادئ واليات شفافية الموازنة العامة التي أصبحت وسيلة مثلى لرفع كفاءة وفعالية الموازنة العامة، وأحد الدعائم الأساسية للحكم الرشيد.

الكلمات الافتتاحية: الموازنة العامة، أهمية الموازنة، أساليب الموازنة الحديثة، الحوّكمة، شفافية الموازنة.

ABSTRACT:

This research aims at raising the discussion on the importance of reformation and development of the public budget in Libya. The definition of the public budget included the modern trends in its preparation as well as the definition of the transparency and importance of the public budget in addition to the international standards of the budget transparency and mechanisms of its enhancement at all the various stages of the budget. Lastly , a short analysis of the public budget in Libya. The research relied on the descriptive method, economical literatures and the international literatures related to budget transparency and the official data related to the Libyan public budget. The research reached to the fact that Libya is still adopting the conventional budget system and dose not adhere to practices of public budget transparency. Therefore I, recommend for the necessity of developing the public budget through moving to a more modern budget and application of the principles and mechanisms of the public budget transparency which became an ideal means for upgrading the efficiency and effectiveness of the public budget which is the one of the key support of the rational government.

Keywords: Public budget, importance of the budget, means of the modern budget preparation methods, governance, budget transparency.

المقدمـــة

الموازنة العامة في العصر الحديث ضرورة لا غنى عنها لكل دولة من دول العالم، فبدونها يصعب أن تسير المصالح والوزارات والمؤسسات الحكومية سيرا منتظما، وبدونها لا تستطيع الدولة القيام بوظائفها، كما تصعب إدارة الاقتصاد الوطني وتوجيهه في الاتجاه المخطط له. فالموازنة في واقع الأمر هي المحور الذي تدور حوله جميع أعمال الدولة، ونشاطاتها في جميع المجالات المختلفة.

وإذا كانت الموازنة على هذا القدر من الأهمية، فان الرقابة على المال العام لها أيضا أهميتها الكبيرة، وهي اليوم من المظاهرالمميزة للمجتمعات الحديثة، ولذا كان من الأهمية بمكان العمل على تدعيم الرقابة المالية بصورة تجعلها قادرة على الحيلولة دون إهدار المال العام أو العبث به. ولهذا شهدت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا من العديد من الدول بعملية صنع الموازنة ومدى تمتعها بالشفافية، وزادت المطالبات العالمية بضرورة الالتزام بقواعد الشفافية والمساءلة، والمشاركة في إعداد الموازنة العامة للدولة، ولم يكن هذا نابعا فقط من الاهتمام بالجانب السياسي بل لأن الشفافية والمساءلة والمشاركة في إعداد الموازنة العامة للدولة حق أوجدته الضرورة الاقتصادية، وركن من أركان العمل الجدي لرفع كفاءة وفعالية وعدالة النفقات العامة، وتحصيل الإيرادات العامة، وإن إغفال الشفافية والمساءلة والمشاركة قد يهدم جانب محوري من مكونات العقد الاجتماعي بين السلطة والمجتمع. وقد اهتمت الدول المتقدمة، والعديد من الدول النامية بعملية صنع الموازنة العامة وتمتعها بالشفافية لزيادة كفاءتها وفعاليتها.

وعند النظر إلى دولة ليبيا نجد أنها مازالت تتبع الموازنة التقليدية (ميزانية البنود)،ولا تهتم ممارسات شفافية الموازنة العامة التي أصبحت محل إجماع دولي على أنها اكبر ضمانة للدول للاستفادة من امكاناتها ومواردها المحدودة.

ومن هنا يمكن التساؤل عن سبب عدم الأخذ بالأساليب الحديثة في إعداد الموازنة العامة؟ ولماذا هذا القصور والتقصير في تطبيق قواعد الحوّكمة وشفافية الموازنة العامة طالما هي من ركائز رفع كفاءة وفعالية الموازنة العامة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل اقتضى الأمر أن يقسم البحث إلى مقدمة وستة أقسام: شملت المقدمة نبذة مختصرة عن البحث، ويتضمن القسم الثاني للدراسات السابقة، ويتضمن الثالث مفهوم الموازنة العامة وأهميتها، وأنوعها الحديثة، ويتناول القسم الرابع مفهوم شفافية الموازنة العامة للدولة وأهميتها، والقسم الخامس يستعرض واقع الموازنة العامة في ليبيا، وتم تخصيص القسم الأخير للخاتمة والتي تحتوي النتائج والتوصيات.

يهدف البحث إلى إثارة النقاش حول ضرورة إصلاح تطوير الموازنة العامة في ليبيا. **ويستند البحث على الفرضية الآتية:** كلما أمكن تطبيق الأساليب الحديثة في إعداد الموازنة، والأخذ بمقترحات شفافية الموازنة العامة كلما أدى ذلك إلى زيادة كفاءة الموازنة العامة في ليبيا.

وتأتي أهمية البحث من ندرة الدراسات المحلية التي تناولت أهمية تطوير الموازنة العامة في ليبيا من حيث تحديثها وتمتعها بالشفافية، وهو بذلك يسد نقصا في هذا الجانب، وأيضا من حيث انه يحفز باحثين آخرين لتناول هذا الموضوع.

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي، وتمت الاستعانة بالأدبيات الاقتصادية، وبالأدبيات العالمية، وبعض الدراسات العلمية ذات الصلة بموضوع هذا البحث. وفيما يتعلق بواقع الموازنة العامة الليبية اعتمد البحث على البيانات الرسمية، وعلى مراجعة القانون المالي للدولة الليبية، ولائحة الميزانية والحسابات والمخازن.

الدراسات السابقة:

لقد أثبتت الدراسات التجريبية أهمية الأساليب الحديثة في إعداد الموازنة العامة كون هذا الأساليب (الموازنات الحديثة) تركز على كفاءة انجاز الأهداف إلى جانب الرقابة المالية. وكذلك أثبتت الدراسات التطبيقية أهمية الشفافية في رفع كفاءة الموازنة العامة في مختلف البلدان. وفيما يلي بعض الدراسات ـــــــــ واغلبها في بيئة مشابهة للاقتصاد الليبي ـــــــــ التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها.

في ليبيا، نجد دراسة (العبيدي، 2018)، قد استنتجت أن موازنة البنود(الموازنة المعمول بها حاليا) مناسبة للحالة الليبية نظرا لقلة الكوادر البشرية المدربة على الأنواع الأخرى من الموازنات الحديثة كموازنة الأداء. كما توصل كل من الزوبيك (2001)، والعبيدي (2002) إلى أن الأساليب الحديثة من الموازنات يصعب تطبيقها في ليبيا لعدم توافر الكوادر القادرة على تطبيق هذه الأنواع من الموازنات.

في مصر، أوضحت دراسة حمدي(2016) أن إضافة مفهوم الحوّكمة وتطبيق مبدأ الشفافية يحدثان نقلة نوعية في أداء المؤسسات على النحو الذي يعزز التنمية الاقتصادية المستدامة. وتشير دراسة السيد (2017) إلى أن دولة مصر تقدمت خطوات نحو تطبيق مبدأ شفافية الموازنة العامة، فمنذ العام 2017م أصبحت الحكومة تصدر تقرير نصف سنوي عن الأداء المالي، وأنشئت وزارة المالية وحدة لشفافية الموازنة والتواصل المجتمعي بغرض زيادة الإفصاح وتعزيز شفافية الموازنة.

في الجزائر، أكدت دراسة أوكيل(2016) على أهمية الالتزام بحوكمة الموازنة العامة للدولة، وعلى ترشيد النفقات العامة،بينما تفيد دراسة مسعودي واخرون(2021)، أن المالية العامة في الجزائر مازالت

بعيدة عن تحقيق الشفافية؛ حيث لا يتم الإفصاح عن كافة المصروفات والمشروعات العامة. وفي الجزائر أيضا، توضح دراسة أيمان(2021)، أن نظام الموازنة التقليدي لا يستجيب لمتطلبات التسيير السليم للمال العام، ولا يخدم حوكمة الميزانية العامة. وترى الباحثة، أن مشروح إصلاح الميزانية الجاري حاليا يمثل نقطة تحول نحو تحديث الميزانية، وخطوة أولى نحو تطبيق حوكمة القطاع العام. كما أوصت دراسة (عطية، احمد،2020) إلى ضرورة إتباع الأساليب الحديثة في إعداد الموازنة، ويكون هذا التحول تدريجي، وينبغي الاستفادة من التجارب الدولية في هذا الإطار.

وفي العراق، استنجت دراسة سلوم والمهايني(2007) أن الموازنة العامة التقليدية عاجزة عن تقديم الكفاءة الاقتصادية، وينبغي التحول إلى موازنة أكثر حداثة وتطور، كما يرى الركابي (2017) أن الموازنة العامة في العراق بحاجة إلى التحول إلى الأساليب الحديثة، ويقترح الموازنة التعاقدية كخيار مناسب. وكذلك يرى السندي (2020) أن الأخذ الأساليب الحديثة في إعداد الموازنات يخدم التنمية المستدامة في العراق، ويقترح هو أيضا الموازنة التعاقدية.

في الأردن، تشير دراسة ياسر جدوع (2015) إلى ايجابيات الأساليب الحديثة في إعداد الموازنة، وان الأردن يمتلك مقومات تطبيق الموازنة الصفرية، وعليه، ينبغي الشروع في تطبيق هذه الموازنة لما لها من فوائد تعود على الاقتصاد الأردني.

وفي السعودية، أوضح الباحث بسام البسام (2020) أن المملكة السعودية وهي في طور التحول، تحتاج إلى تطبيق الأساليب الحديثة في إعداد الموازنة مع الأخذ في الاعتبار تطبيق الحوكمة والشفافية، وذلك لزيادة كفاءة وفعالية الموازنة العامة.

مفهوم وأهمية الموازنة، وأنواعها الحديثة

1 ــمفهوم الموازنة: لم تأت فكرة الموازنة مرة واحدة وإنما كانت على مراحل متتالية. والموازنة بمفهومها الحديث مشتقة من الحضارة الغربية، فكلمة Budgetالمعربة بالموازنة أساسها من كلمة فرنسية قديمة bouguette تعني الكيس الصغير من الجلد أو القماش الذي توضع فيه النقود. تفصيلا لهذا التطور، يراجع (قطيش،2005).

واصطلاح الموازنة أو الميزانية العامة يستخدم بشكل مترادف فليس هناك اتفاق على اختلاف المصطلحين، وان كان الأول هو الأرجح.(عصفور،20،2011).

للموازنة تعريفات متعددة ومتنوعة، تختلف بسبب اختلاف التشريعات بين الدول، وأيضا الرأي الذي يريد أن يؤكده الباحث أو المؤلف. وفيما يلي، بعض التعريفات الواردة في كتب الموازنة العامة.

فالموازنة العامة هي" الخطة السنوية للقطاع العام التي تحدد الإيرادات المتوقع تحصيلها، وتقدير الإنفاق العام الضروري لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها السلطات العامة من القيام بنشاطها الاقتصادي خلال السنة القادمة"(العاني،118،1996).

والموازنة العامة هي" تقدير معتمد من السلطة التشريعية لنفقات الدولة وإيراداتها عن فترة مستقبلية غالبا هي السنة يعبر عن أهدافها الاقتصادية والمالية"(بركات، 343،1998).

ويعرف البعض الموازنة العامة بأنها " تقدير مفصل ومعتمد لمصروفات الدولة وإيراداتها لمدة مقبلة من الزمن، وهي الأداة الرئيسية التي تستخدمها السياسة المالية لتحقيق مجموعة من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والمالية"(عبد المطلب، 2010، 324).

وفي هذا السياق، يكون من المناسب الإشارة إلى الفارق بين الموازنة والحساب الختامي للدولة. ففي حين الموازنة هي نظرة توقعية لفترة مقبلة، فأن الحساب الختامي يتعلق بالإيرادات والنفقات التي حُصلت وأُنفقت فعلا عن السنة التي انقضت (سنة الموازنة). (عدلي،2008). أي أن الحساب الختامي هو بيان لحسابات الموازنة ونتيجة تنفيذها عن السنة المالية المنقضية، وهو الذي يُظهر العجز (أو الفائض) الفعلي في الموازنة.

ويتضمن تعريف الموازنة طبيعتها أو خصائصها، فالموازنة هي عمل إداري من اختصاص السلطة العامة له محتوى مالي تقديري يتعلق بفترة مستقبلية لكمية النفقات العامة والإيرادات العامة، والتي تتبلور في جدول محاسبي يكتسي صفته القانونية من القانون الذي يجيزه ويجعله ملزم.وبالإضافة إلى ما تقدم تتصف الموازنة بأنها خطة قصيرة الأجل (سنوية الموازنة)، والموازنة العامة تعكس الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.يراجع على سبيل المثال:(عباس، 2015، 32).

2 ــ **مبادئ ومراحل الموازنة**، تفصيلا يراجع (قطيش،2005) و(عباس،2015).

2 ـ 1 مبادئ الموازنة،منذ نشأت الموازنة ترسخت تباعا مجموعة من المبادئ (القواعد) تنظم شئونها. وعلى السلطة التنفيذية التقييد بهذه المبادئ ـــــــــــ وإن كان هناك بعض الاستثناءات على المبدأ الأصل لمقتضى المصلحة الاقتصادية ـــــ عند تحضير الموازنة العامة. وتهدف هذه المبادئ إلى وضوح المركز المالي للدولة وتسهيل عملية الرقابة البرلمانية، وإلى تحضير الموازنة بأسلوب علمي واقتصادي. وهذه المبادئ هي:مبدأ سنوية الموازنة، مبدأ وحدة الموازنة، مبدأ شمول الموازنة،مبدأ عدم التخصيص، مبدأ توازن الموازنة.انظر الشكل(1). وربما أصبحت المصارحة المبدأ السادس، وقد أقرت دولة فرنسا فعلا هذا المبدأ عام2002(عباس،2015).

الشكل(1): مبادئ (قواعد) الموازنة العامة

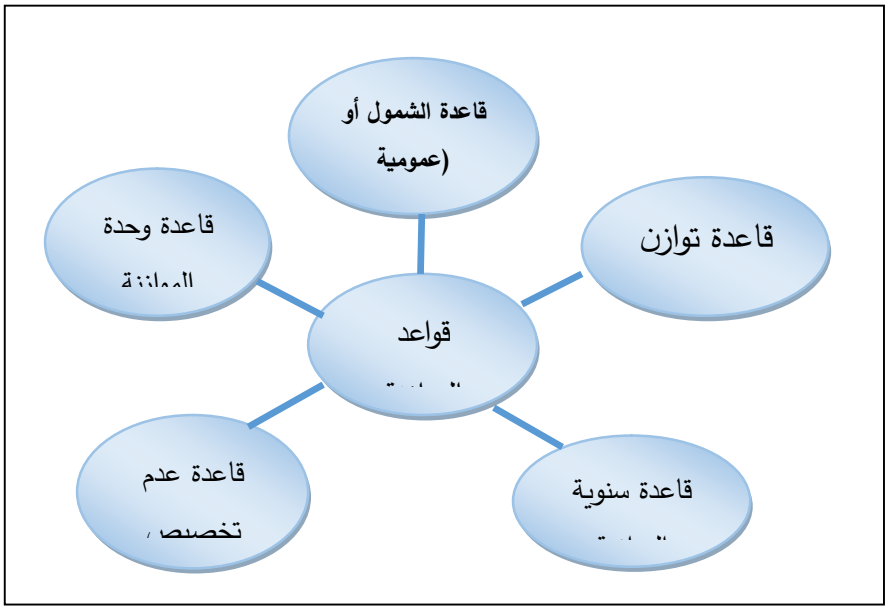

المصدر:عصفور، 2011، ومع بعض التعديل.

ينص مبدأ سنوية الموازنة على أن تغطي الموازنة العامة اثنا عشر شهراً. ويترتب على ذلك بأن تقوم السلطة التنفيذية بإعداد تقديرات أرقام الميزانية لمدة سنة مالية مقبلة، وأن تكون هذه التقديرات قابله للتنفيذ خلال سنة، وإقرار الموازنة من قبل السلطة التشريعية يكون صالحاً لمدة سنة واحدة. ويقضي مبدأ وحدة الموازنة بأن تدرج جميع إيرادات الدولة، ونفقاتها في موازنة واحدة، وتظهر في وثيقة (مستند) واحدة، تذكر جميع النفقات في جدول خاص بها، والإيرادات في جدول خاص بها. أمّا مبدأ الشمول، فهو يقضي بأن يذكر في وثيقة الموازنة جميع إيرادات الدولة أيا كان مصدرها، وجميع نفقاتها، وتكون النفقات مفصولة عن الإيرادات، وتظهر بكامل مبالغها دون اقتطاع أو إنقاص. وينص مبدأ عدم التخصيص (الشيوع) بأن لا يُخصص إيراد معين لتغطية نوع معين من النفقات، وإنما يتطلب تجميع الإيرادات العامة ثم يعاد توزيعها على جميع أوجه الإنفاق العام المختلفة حسب الأولويات السائدة في الدولة. وأمّا مبدأ التوازن، فينص على أن يتساوى مجموع النفقات العامة مع مجموع الإيرادات العامة العادية (من غير القروض والوسائل النقدية)، وأن لا تكون هناك زيادة ولا نقصان فيها. بعبارة أخرى، أن تكون نفقات الدولة في حدود إيراداتها، بحيث لا يكون في الموازنة العامة للدولة فائض، ولا عجز.

2 ـ 2 ـ مراحل (دورة) الموازنة، تمر الموازنة العامة للدولة في معظم دول العالم في أربع مراحل، مرحلة التحضير، والاعتماد، والتنفيذ، والرقابة على التنفيذ. انظر الشكل رقم(2).

ويطلق على هذه المراحل عادة مسمى دورة الموازنة العامة.للمزيد عن هذه المراحل، يراجع(عصفور، 2011)، (فليح، 2010).

الشكل(2) مراحل(دورة) الموازنة العامة

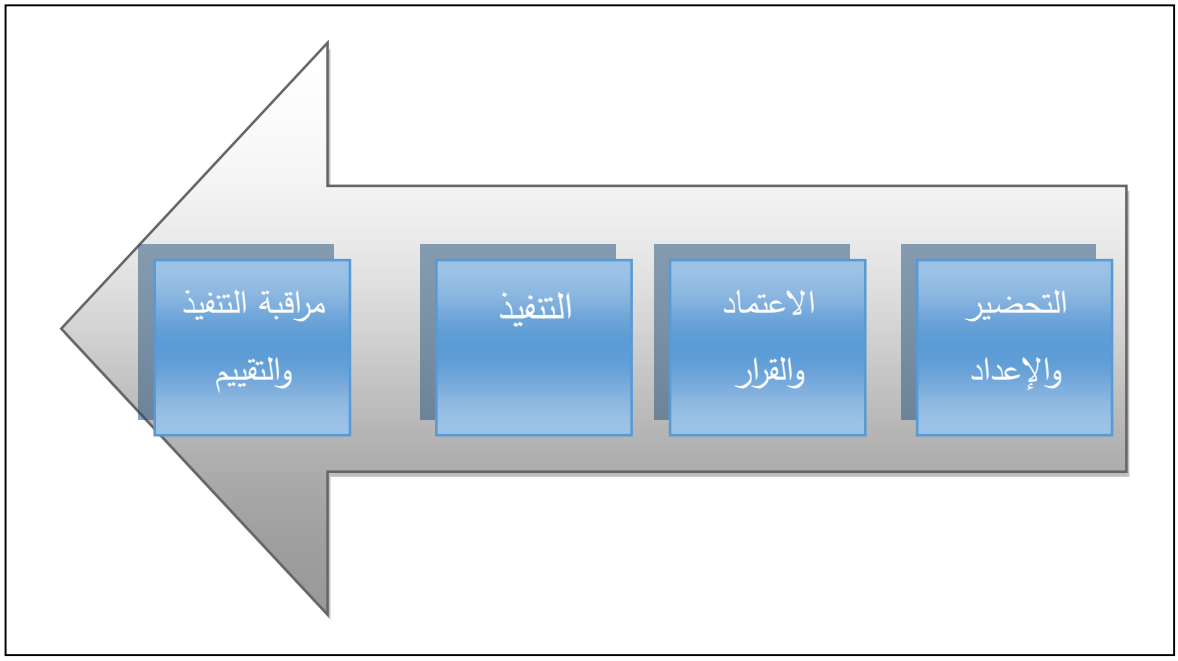

المصدر: (منتدى الاستراتجيات الأردني،2018).

تقع مرحلة الإعداد (التحضير) على مسؤولية الأجهزة الإدارية في السلطة التنفيذية، وغالباً ما تكون هناك دائرة مختصة (وزارة المالية أو الخزانة) لهذا العمل تكون مستقلة عن باقي الدوائر الأخرى، ولكن تنسق معها عند إعداد مشروع الموازنة.

مرحلة اعتماد الموازنة، بعد الانتهاء من التحضير، تعرض الموازنة على السلطة التشريعية لاعتمادها، وبعد الموافقة عليها تصبح الموازنة وثيقة قانونية قابلة للتنفيذ.

مرحلة التنفيذ، يقصد بتنفيذ الموازنة إخراج محتوياتها إلى الواقع، وتقع مسؤولية التنفيذ على السلطة التنفيذية من خلال الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة، حيث تبدأ هذه المصالح والهيئات بتحصيل الإيرادات التي أُجيزت، وصرف النفقات المعتمد صرفها. ويتم الصرف من قبل الوحدات الإدارية وفقاً لما هو مخول لها قانوناً.

مرحلة الرقابة، هي المرحلة الأخيرة، وهي المرحلة الأهم، فهي تظهر مدى سلامة ودقة تقديرات الإيرادات والنفقات العامة، ومدى مطابقة التنفيذ الفعلي للخطط الموضوعة، وكشف المخالفات والانحرافات، ولا تقتصر الرقابة على الناحية المحاسبية فقط، وإنما تشمل الرقابة على أداء الوحدات

الإدارية القائمة على تنفيذ الميزانية وفق الأهداف الموضوعة. وتتم عملية الرقابة من قبل السلطة التنفيذية، ومن السلطة التشريعية، واليوم وفي ظل قواعد الشفافية أصبح الجمهور شريكا في الرقابة.

3 ـ أهمية الموازنة العامة:

لم تعد الموازنة العامة مجرد بيان يتضمن الإيرادات العامة والنفقات العامة، وإنما هي أيضا الأداة الرئيسة التي يمكن عن طريقها تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة. وسيتم تناول فيما يلي ـــ باختصار ـــــ أهمية الموازنة من الناحية السياسة والاقتصادية والاجتماعية. تفصيلا يراجع كل من: (حشيش،1996)،(دويدار،1996)،(نزيه،2015).

أمّا من الناحية السياسية، للميزانية أهمية سياسية وبخاصة في الأنظمة الديمقراطية، لأن إلزام السلطة التنفيذية بالتقدم لإجازة الميزانية من قبل البرلمان يعني إخضاعها للرقابة الدائمة من السلطة التشريعية الممثلة للشعب، وهذه الرقابة النيابية سوف تعزز الثقة في مالية الدولة. ومن جانب آخر، تساعد الموازنة العامة على استقرار النظام السياسي، وذلك من حيث أن السلطة الحاكمة في مجتمع معين هي من تحدد بدرجة كبيرة السياسة المالية، وتوزيع الإيرادات والنفقات العامة بين فئات المجتمع وهو ما يساعد على استقرار التنظيم الإداري للدولة، ومن ثم استقرار النظام السياسي. وفي المجمل، الموازنة العامة لها مظهر سياسي، يتمثل في كون الموازنة أداة سياسية لتحقيق أهداف الدولة الاقتصادية والاجتماعية .

وأمّا من الناحية الاقتصادية، تحظى الموازنة بأهمية كبيرة خاصة بعد اتساع دور الدولة في الحياة الاقتصادية وما تبعه من وظائف جديدة للمالية العامة، وأصبحت الموازنة العامة أداة تتضمن دورا وظيفيا في مجال فعالية تخصيص الموارد الاقتصادية وكفاءة استخدامها. والميزانية بوصفها خطة مالية، فهي تتضمن الهيكل التمويلي وتضع تصورات لما سوف يكون عليه التمويل الحكومي، وتهتم بإدارة الدين العام، وتوضح كيفية استخدام الإيرادات العامة في تحقيق أهداف المجتمع الاقتصادية كتحقيق العمالة الكاملة عن طريق زيادة فرص العمل، وتعبئة القوى الاقتصادية غير المستغلة، ومن ثم المساهمة في زيادة الدخل القومي والرفع من مستوى المعيشة. كما يمكن من خلال الموازنة العامة القضاء على أخطار التضخم أو الحد منها، وإنعاش الاقتصاد الوطني في فترات الكساد، فعن طريقها يتم ضخ السيولة في الاقتصاد القومي لتنشيطه. ويمكن تلخيص الأهمية الاقتصادية للموازنة العامة في النقاط الآتية:

(1) تستطيع الدولة عن طريق الموازنة تنمية المشروعات المستهدفة من خلال رصد الأموال اللازمة لها بالموازنة. (2) تستطيع الدولة تنمية بعض المناطق والقطاعات عن طريق تخصيص المبالغ اللازمة لذلك بالموازنة. (3) تستطيع الدولة عن طريق الموازنة التأثير في حجم الطلب الكلي الفعلي بما لهذا الطلب من اثر على الإنتاج الجاري، وخلق طاقات إنتاجية تؤثر في إنتاج الفترة المقبلة. (4) تستطيع الدولة عن

طريق الموازنة تعميم التوازن في الاقتصاد بما يؤدي إلى توازن المتغيرات الاقتصادية الكلية في الاقتصاد القومي

ومن الناحية الاجتماعية، أصبحت الموازنة العامة تقوم بدور هام في المجال الاجتماعي، فهي أداة رئيسية تستخدمها الدولة في تحقيق الأهداف الاجتماعية حيث تحتوى الموازنة على العديد من الإجراءات التي تستهدف العدالة الاجتماعية، فمن خلال سياسة النفقات والإيرادات العامة تتمكن الدولة من تحقيق التوازن الاجتماعي والقضاء على التفاوت بين دخول الأفراد، وأيضا ضمان وصول بعض الخدمات العامة دون مقابل للفئات ذات الدخل المحدود، وذلك عن طريق سياسات إعادة توزيع الدخل القومي كالضرائب وتوجيه حصيلتها لتمويل بعض أنواع النفقات التي تستفيد منها الطبقات الفقيرة، مثل: إعانات الضمان الاجتماعي ودعم السلع الاستهلاكية. انظر في هذا الجانب(الخطيب،2002) و(الحاج،2007).

4 ـ الأساليب الحديثة للموازنة العامة(أنواع الموازنات):

تطورت الموازنة العامة متأثرة بالأنظمة السياسية والنظريات الاقتصادية ومبادئ المحاسبة وسلوك الإدارة العامة. ومرت أثناء تطورها بعدة مراحل. والواقع يرجع تطور الموازنة العامة في العصر الحديث إلى المراحل التي مرت بها الموازنة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، فإليها يرجع الفضل في تطوير أفكار الموازنات الحديثة، ومنها انتقلت إلى العديد من بلدان العالم.

وأنتجت مراحل تطور الموازنة عدة أنواع من الموازنات هي: موازنة الأداء (موازنة البرامج والأداء)، موازنة التخطيط والبرمجة (موازنة البرامج)، الموازنة الصفرية، والموازنة التعاقدية. ويطلق على هذه الموازنات اسم الاتجاهات الحديثة في الموازنة. وفيما يلي توضيح لهذه الموازنات المعروفة، والبداية بالموازنة التقليدية، ثم بالموازنات الحديثة. انظر الشكل رقم(3). التفاصيل لدى(عصفور،2011، 197).

موازنة البنود، هي النوع الأول للموازنة بمفهومها الحديث، تم تطبيقها في أمريكا عام 1921 وحتى عام 1939م(تاريخ تطور الموازنة في الواقع كان في بريطانيا). ومازالت تطبق على نطاق واسع في الدول النامية، وبعض الدول المتقدمة. وتسمى بموازنة البنود بسبب تركيزها على تحديد المصروفات ذات الطبيعة المتشابهة في مجموعة واحدة (بند) بصرف النظر عن الجهة الحكومية أو البرامج المحددة.

تتميز موازنة البنود بسهولة الإعداد نتيجة وضوح التعليمات، وبإحكام الرقابة المالية، وكذلك تتميز بسهولة إجراء المقارنات والدراسات بين إيرادات ونفقات السنوات السابقة. غير أن موازنة البنود بها العديد من العيوب: فهي تركز على النفقات من دون الاهتمام الكافي بالأهداف والعوائد الاقتصادية والاجتماعية، ولا تتصف بوضوح الأهداف، وينقصها التخطيط، وهي قليلة المرونة عند التنفيذ حيث الاعتمادات موجودة في بنود لها أنواع من النفقات، ولا تساعد على إدخال برامج جديدة للموازنة. وقد

أدت هذه العيوب إلى استحداث أساليب جديدة تكون أكثر فائدة وفعالية في ظل زيادة الاهتمام بالخدمات الحكومية والارتقاء بها.

الشكل (3): أنواع الموازنات التقليدية والحديثة

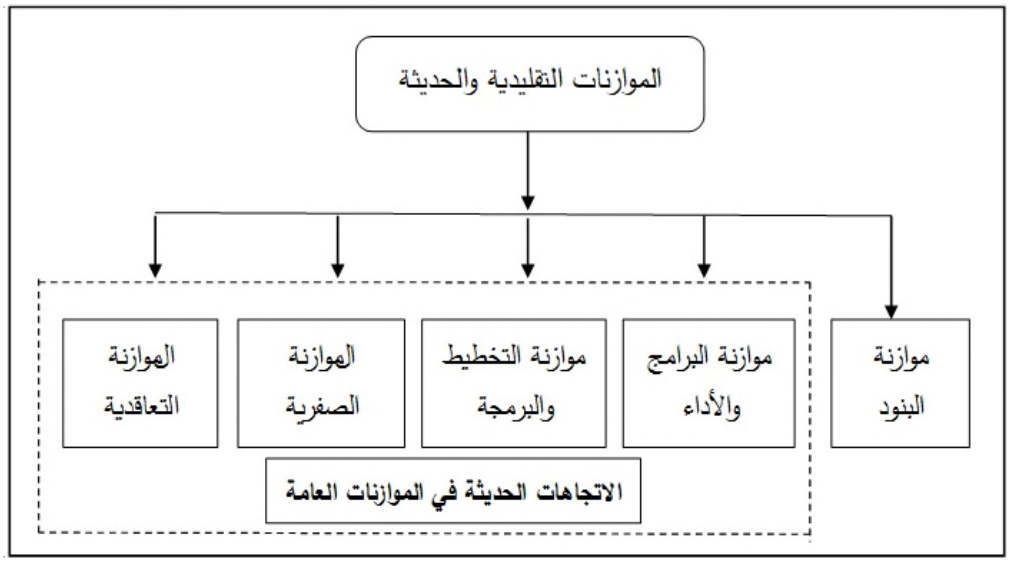

المصدر: الفكرة من (عصفور،2011) ، مع بعض التعديل وإضافة الموازنة التعاقدية

موازنة البرامج والأداء، تعد موازنة البرامج والأداء محصلة المحاولات الأولى لإصلاح نظام الموازنة التقليدية في أمريكا. حول تطور هذه الموازنة راجع على سبيل المثال (سلوم، المهايني،2007).

وتعريف موازنة البرامج والأداء حسب مكتب الموازنة الأمريكية "هي تلك الموازنة التي تبين الأهداف التي تُطلب لها الاعتمادات المالية، وتكاليف البرامج المقترحة للوصول إلى تلك الأهداف، والبيانات والمعلومات الكمية (الإحصائية) التي تقيس الانجازات، وكل ما انحز من الأعمال المدرجة تحت كل برنامج" (عصفور،207،2011).

وتركز موازنة الأداء على كفاءة الأجهزة الحكومية في الانجاز، فهي تهتم بالانجازات، أو النتائج المتوقع تحقيقها، فلا يقتصر الأمر على الرقابة المالية على النفقات، لكنه يمتد ليشمل عنصر الكفاءة الإدارية في الانجاز. أي أن موازنة الأداء تركز على المخرجات، بالإضافة إلى المدخلات، ومن ثم فأن موازنة الأداء أصبحت تهتم بالجانب الإداري والذي يبن الانجازات والإعمال، إضافة إلى الجانب المحاسبي الذي يركز على الرقابة على النفقات.

وتطبيق موازنة البرامج والأداء يتطلب توفر بعض المتطلبات الأساسية، مثل: تحديد الأهداف، وترتيب سلم أولوية لها، وتحديد الخدمات والنشاطات التي يجب أن تؤديها الجهات التنفيذية، واختيار وحدات ملائمة لقياس الأداء لكل خدمة أو نشاط، ووجود نظام لمحاسبة التكاليف، ونظام للمحاسبة القومية. (المصدر نفسه).

تتميز موازنة البرامج والأداء من حيث أنها تساعد في توزيع الامكانيات المالية المتاحة لدى الدولة بشكل أفضل من الموازنة التقليدية، وتساعد في تحسين عمليات تنفيذ المشروعات والبرامج الحكومية، وتوفر للمواطنين معلومات كافية عن الخدمات التي تقدمها لهم الدولة. كما تمتاز باللامركزية والمرونة، فهي تمنح المسئولين على التنفيذ الفرصة الكافية للتنفيذ، وتساعد السلطات التشريعية على الرقابة الفعالة (عطية، احمد، 2020).

ووجهت لموازنة الأداء عدة انتقادات منها، ما يلي: صعوبة تحديد وحدات الأداء التي تقاس بها الانجازات لكل وزارة ومصلحة حكومية، فبعض الأنشطة يصعب تحديد معايير لها، وصعوبة توفير المعلومات التفصيلية عن نشاطات الأجهزة الحكومية المختلفة لعدم وجود أنظمة دقيقة للمعلومات، وارتفاع تكلفة تطبيقها؛ لأنه يتطلب توفر كوادر مدربة على المحاسبة والمتابعة ويتطلب وجود أنظمة محاسبة ومتابعة متقدمة. وبالنظر إلى هذه الانتقادات، يمكن القول، أن هناك صعوبة في تطبيق هذه الموازنة في البلدان النامية. للمزيد يراجع (عصفور،2011).

موازنة التخطيط والبرمجة: هي المرحلة الثالثة في تطور الموازنة العامة في أمريكا. أقرت عام 1965م بتوجيهات من الرئيس جونسون، بحيث يتم العمل بها وفق جدول زمني في الوزارات والمصالح الحكومة الفيدرالية. لكن الحماس قد خف لتطبيق موازنة البرامج تدريجيا في الأجهزة الحكومية الفيدرالية مع تولي نيكسون الرئاسة، وتم التوقف عن استخدامها والتخلي عنها في عام 1971م. غير أن بعض الأجهزة الحكومية كوزارة الدفاع لم تتخل نهائيا عن موازنة البرامج بعد تطبيق الموازنة الصفرية، واستمرت في تطبيق بعض جوانبها، وعادت إلى استخدامها، ولكن بصورة معدلة بعد توقف العمل بالموازنة الصفرية عام 1981م(المرجع السابق).

وموازنة البرامج تهدف إلى توفير المعلومات الأساسية لمتخذي القرارات لمساعدتهم على اتخاذ القرارات المناسبة لتحقيق الهدف الأساسي والمتمثل في استخدام الامكانات المالية المتاحة بكفاءة وفعالية لإشباع اكبر قدر ممكن من حاجات المواطن. وهي موازنة تركز على عنصر التخطيط، وعلى ضرورة الربط بين التخطيط والموازنة. (نفس المرجع)

تتضمن موازنة البرامج بعض مزايا الموازنات التي سبقتها، فهي تهتم بالمدخلات كما في الموازنة التقليدية، وتهتم بالمخرجات كما هو الحال في موازنة الأداء. وهي تعمل على تحديد الأهداف بدقة وترتبها حسب

أولويتها، وترفع من مستوى كفاءة وفعالية الإدارة الحكومية، وتحسّن ترشيد عملية اتخاذ القرارات في الأجهزة الحكومية، وأيضا تقوي الرقابة على تنفيذ المشاريع، وتقوي الترابط بين الخطة والموازنة العامة. ولكن تُنتقد من حيث: صعوبة تحديد الأهداف لجميع الأجهزة والأنشطة الحكومية تحديدا دقيقا، وصعوبة تحديد عوائد (ناتج) بعض المشروعات بشكل مادي وملموس، وكذلك ارتفاع تكاليف تطبيقها. (المرجع نفسه).

الموازنة الصفرية: هي المرحلة الخامسة في تطور الموازنة الأمريكية (المرحلة الرابعة هي مرحلة موازنة الإدارة بالأهداف التي ظهرت بسبب صعوبات واجهت تطبيق موازنة الأداء، وتم تطبيقها عام 1970م لفترة قصيرة من الوقت في أمريكا. ولذلك لم يتم التطرق إليها هنا).

يرجع ظهور فكرة الموازنة الصفرية ـــــــ وأن كانت بغير هذا الاسم(الصفرية) ـــــ إلى مقالة للأستاذ(لويس) عام 1952م بعنوان نحو " نظرية للموازنة"(عصفور،2011). وفي الحكم عام 1977معندما وصل كارتر إلى الحكم أصدر مرا بتطبيق الموازنة الصفرية في أجهزة الدولة الفيدرالية، وظهرت الميزانية الفيدرالية على الأساس الصفري لأول مرة عام 1979م. ولكن لم تستمر طويلا فترة تطبيق الموازنة الصفرية في أجهزة الحكومة الفيدرالية، فقد توقف العمل بها عام 1981م بعد وصول ريغان إلى منصب الرئاسة الأمريكية، وعاد العمل بالموازنة السابقة، موازنة البرامج. (مسعودي، تيجاني، 2019).

ومفهوم الموازنة الصفرية يقوم على مبدأ وجوب دراسة وتقييم شاملتين لجميع البرامج والمشاريع الحكومية، وعلى أن يقدم المدير الإداري المبررات والدراسات التي تدعم برامجه القديمة وكأنها برامج جديدة يطلب الموافقة عليها لأول مرة، فالمدير الإداري مطالب بتقييم مشاريعه من نقطة البداية، فلا أولوية للبرامج التي تحت التنفيذ على المشاريع الجديدة، فطبقا للموازنة الصفرية تخضع للمراجعة والتقييم جميع أوجه النفقات وليس الزيادة الحاصلة في النفقات الحالية مثلما هو الحال في الموازنة التقليدية، فهي لا تستثني مستوى الإنفاق الحالي من الدراسة التفصيلية والتقييم، ولا تفترض استمرار المشروعات، فمن المحتمل أن تُخفض أو تُلغى المشاريع التي تحت التنفيذ إذا تبين بعد إجراء التقييم لها أن كفاءتها أصبحت منخفضة.(عصفور،2011) .

مما تقدم، يتضح أن الموازنة الصفرية (موازنة الأساس الصفري) تركز على فعالية النفقات الحكومية، فهي تعمل على تحسين الخدمات من دون زيادة في النفقات أو في معدلات الضرائب على المواطن، وتركز على الربط بين المنفعة والتكلفة. وهي تنقل مسؤولية الدفاع عن البرامج واثبات جدواها من الإدارة العليا إلى الإدارة الوسطى.

ووجهت إلى الموازنة الصفرية العديد من الانتقادات، منها: صعوبة توفر البيانات الكافية عن البرامج والمشاريع المستهدفة، وصعوبة المراجعة السنوية لكل البرامج والمشروعات. وهي تحتاج وقت طويل للإعداد، وكادر مؤهل للتطبيق. يراجع. (مسعودي، تيجاني،2019).

الموازنة التعاقدية: الموازنة التعاقدية تنص على أن تقوم الحكومة بطرح مشاريعها على الشركات الراغبة في التنفيذ على أن يراعى العقد التكلفة والمنفعة وعنصر الزمن. وهي أيضا تتحدد في أن تكون العلاقة بين الأجهزة المنفذة والحكومة علاقة تعاقدية يتم بموجبها تنفيذ مهام محددة قابلة للقياس الكمي مقابل مبالغ محددة تدفعها الحكومة. وقد كانت تجربتها الأولى عندما تبنتها الحكومة النيوزلندية عام 1996م (السندي، 2020). ويتم تطبيقها حاليا في العديد من الدول، مثل: أمريكا، اليابان، كندا، وأوربا.(الركابي،2017، 283).

تتميز الموازنة التعاقدية بأنها تساعد على تقديم حلول ناجحة للعديد من المشاريع، وتساعد على تنفيذ المشاريع بكفاءة اقتصادية وفعالية، وساهمت في توصيل المخرجات المطلوبة للمواطن مع ترشيد الإنفاق العام، وساعدت على إعادة ربط الموازنة بالخطط التنموية.(سلوم، المهايني،2007). ولكن يعاب على الموازنة التعاقدية ضرورة توفر العديد من المتطلبات لتطبيقها، مثل: وجود التشريعات والقوانين الكافية لاعتمادها، وتقدير تفاصيل عناصر الإنفاق العام والاحتياجات لكل برنامج من برامج الحكومة المستهدفة، ويتطلب تطبيقها أيضا تحديد معايير قياس الأداء المالي والفني، واعتماد محاسبة التكاليف في الوحدات الحكومية، وتحديد الجهات المسئولة عن التنفيذ، ووضع نظام لمحاسبة المسئول عن الخلل.(السندي، 2020).

مفهوم شفافية الموازنة العامة وأهميتها

يتناول هذا القسم من البحث شفافية الموازنة العامة للدولة وأهميتها، ولكن بعد إشارة مختصرة لمفهوم الشفافية بصفة عامة، ثم الشفافية المالية، وذلك على النحو التالي:

1 ـــ الشفافية بصفة عامة: الشفافية من المصطلحات الحديثة ارتبط استخدامه بالهيئات المعنية بمكافحة الفساد في العالم، والدعوة إلى ضرورة إطلاع الجمهور على منهج السياسات العامة وكيفية إدارة موارد الدولة من قبل القائمين عليها. والشفافية تعني المكاشفة، والوضوح عن الشيء وعدم الإخفاء، فهي عكس السرية، فيكون الفعل أو النشاط شفافا إذا كانت كل المعلومات حوله متوفرة وجلية وواضحة (نزيه،2015، 752).

والمعنى الاصطلاحي للشفافية كما عرفتها الأمم المتحدة، هي حرية تدفق المعلومات مُعرّفة بأوسع مفاهيمها، والعمل بطريقة تسمح لأصحاب الشأن الحصول على المعلومات الضرورية لمصالحهم واتخاذ القرارات المناسبة واكتشاف الأخطاء.(مؤسسة الشفافية الليبية، 2010).

وعرفت هيئة النزاهة الشفافية بأنها آلية الكشف والإعلان من جانب الدولة عن أنشطتها كافة في التخطيط والتنفيذ.(هيئة النزاهة، منشور الشفافية، 2015).

ويتطلب تحقيق الشفافية توافر منظومة من الآليات، مثل: الفصل بين السلطات الثلاث، والشراكة الحقيقة بين الحكومة والمواطنين، وتشريع قوانين تساعد المواطنين ومنظمات المجتمع المدني على مساءلة الحكومة، ووجود أجهزة رقابية تعزز الشفافية وتكافح الفساد (نزيه، 754،2015).

2 ـــ الشفافية المالية:

تعود نشأت الشفافية المالية إلى عام 1998معندما استحدث صندوق النقد الدولي ميثاق الممارسات السليمة في مجال شفافية المالية العامة على اعتبار أن شفافية المالية العامة عنصر أساسي لسلامة الحوكمة والذي يحظى بأهمية بالغة في دعم الاستقرار الكلي، والدرجة العالية من النمو (دليل الشفافية،9،2007). وبعد هذا الإعلان تزايد الاهتمام بتعزيز شفافية المالية العامة، فتوالت المبادرات الدولية ـــ انظر الإطار رقم(1) ـــــــ منها ما تحور حول مبادئ إتاحة وعلنية البيانات والمعلومات كما هو الحال في تقييمات شفافية المالية العامة المعتمدة من قبل صندوق النقد الدولي. ومنها ما اهتم بالتقنية موفرا برامج تقييميه مثل، برنامج الإنفاق العام والمساءلة المالية، وإطار تقييم إدارة المالية العامة(البستاني، 2020).

ويُعرف صندوق النقد الدولي الشفافية المالية بأنها" الانفتاح على الجمهور العريض فيما يتعلق بالهيكل والوظائف التي تقوم بها الحكومة، وسياسات المالية العامة، وحسابات القطاع العام، والتوقعات الخاصة بالمالية العامة (IMF,2001).

وتستند الشفافية المالية ـ وفقا لميثاق الشفافية المعدل في عام 2014م على أربع مبادئ أساسية:1 ـــ إعداد التقارير المالية. 2 ـــ وضع تنبؤات المالية العامة وإعداد الموازنة. 3 ـــ تحليل وإدارة المخاطر على المالية العامة. 4 ـ أدارة إيرادات الموارد.

وتنقسم هذه المبادئ (الركائز)الأربعة إلى مبادئ أساسية، وكل مبدأ أساسي ينقسم إلى مبادئ فرعية، ويتم تقييم هذه المبادئ وفقا للممارسات بين جيدة ومتقدمة.(البستاني،2020) و(جبران، 2018).

ويعتمد صندوق النقد الدولي تقييمات المالية العامة المشار إليها اختصارا (FTES) لتشخيص واقع الشفافية المالية، وتوفر هذه التقييمات معلومات عن مواطن الضعف والقوة في المؤسسات التي ترعى عملية إدارة المال العام. للمزيد عن هذه المبادئ يراجع (ميثاق شفافية المالية العامة لعام 2019، صندوق النقد الدولي).

وهكذا، يتضح أن مفهوم الشفافية المالية يستند على مبدأ إتاحة المعلومات والبيانات المالية أمام صانعي القرارات والسياسات، ومؤسسات المجتمع المدني، حيث يدعو ميثاق شفافية المالية العامة إلى" إتاحة المعلومات والبيانات المالية أمام صانعي السياسات، ومؤسسات المجتمع المدني، والجهات الفاعلة في الأسواق بغرض تمكينهم من مساءلة الحكومات المتتالية على أدائها المالي، وعلى أوجه إنفاق الموارد العامة ومدى تحقيق القيمة المثلى من توظيفها " (البستاني، 2020، 10).

الإطار(1): مبادرات مختارة في مجال الشفافية	
الجهة	الميثاق أو المنشور
صندوق النقد الدولي	ميثاق شفافية المالية العامة : يقر الميثاق إتاحة المعلومات والبيانات المالية. ويقدم الميثاق أربع ركائز أساسية لشفافية المالية العامة:(1) تقارير المالية العامة. (2) وضع تنبؤات المالية العامة وإعداد الميزانية. (3) تحليل وإدارة المخاطر على المالية العامة. (4) إدارة إيرادات الموارد. وكل ركيزة تنقسم إلى مبادئ أساسية، وكل مبدأ أساسي ينقسم إلى مبادئ فرعية.
صندوق النقد الدولي	تقييمات شفافية المالية العامة: يحدد الصندوق أربع مرتكزات لشفافية الموازنة العامة: (1) تحديد الاختصاصات والمسؤوليات في القطاع العام.(2) المسار الواضح للموازنة. (3) إتاحة المعلومات للإطلاع العام. (4) وجود رقابة داخلية وتدقيق مستقل.
منظمة التعاون والتنمية	أفضل الممارسات المعنية بشفافية الموازنة. وهي مصممة لتكون أداة تساعد الحكومات على إعداد وإدارة موازنات عامة أكثر شفافية، وأصدرت المنظمة لاحقا أيضا برنامج MENAالخاص بالإدارة الرشيدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
منظمة الجمارك العمالية	إعلان اروشا، يتضمن الإعلان الإرشادات الواجب إتباعها لضمان النزاهة.
مبادرة الموازنة المفتوحة 2005	دليل الموازنة المفتوحة، ويتضمن الخطوات الواجب إتباعها لإتاحة معلومات الموازنة للمواطنين.
المبادرة المعنية بالصناعة الاستخراجية	مبادرة مشتركة تشجع على نشر تقارير منتظمة عن الإيرادات التي تحصل عليها الحكومات. ونالت هذه المبادرة اهتماما خاصة من الدول المصدرة للنفط والغاز والتي تعاني من نظام مؤسسي هش.
المبادرة العالمية 2011	هي تجمع مختلف الجهات من حكومات،وجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني، والمؤسسات المالية الدولية بهدف مناقشة المعوقات التي تعيق الشفافية

	والمشاركة، والمحاسبة.

الصدر: صندوق النقد الدولي، دليل الشفافية (2007)، مع بالتعديل.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن هناك مجموعة من المعايير الدولية لقياس تحقيق مستوى الشفافية، مثل: قيام المؤسسات الحكومية بوضع نصوص السياسات التي تتبناها في متناول الجمهور وبشكل دوري، ووضع قواعد واضحة للنشر والإفصاح تحدد فيها المعلومات التي يجب توفيرها والمواعيد التي يجب نشرها فيها، وتوفير البيانات الأساسية المتعلقة بالمالية العامة لشكل مفصل وسريع ودقيق. و أن تكون نصوص القوانين واللوائح والتعليمات والإجراءات متاحة للجمهور(نزيه، 2015، 755).

3 ـــ **شفافية الموازنة العامة:** ينعكس مفهوم شفافية الموازنة العامة في أدنى صوره المقبولة بالوضوح التام في مؤشرات ومكونات الموازنة العامة في كافة مراحلها، بحيث تكون هناك وثائق واضحة ومتاحة وميسرة في كل مرحلة من مراحل مشروع الموازنة (أسامة، ريم،7،2020).

ولا يقف هدف شفافية الموازنة على إتاحة المعلومات لمراحل الموازنة المختلفة، وإنما يمتد ليشمل قياس مدى كون المعلومات والبيانات المرتبطة بالموازنة متاحة ومفصح عنها بشكل مقروء ودقيق، ويسهل الوصول إليها في وقت مناسب، ويقصد بالمعلومات كل أنواع المعلومات المتعلقة بالأنشطة والقواعد والخطط والعمليات المالية. كما يكون هذا الإفصاح عن البيانات والمعلومات المتعلقة بالموازنة العامة نقطة انطلاق لمراقبة شعبية فعالة تقلل من الآثار السلبية على المجتمع.(المصدر السابق).

واهتمت المؤسسات الدولية المالية والاقتصادية اهتماما كبيرا بشفافية الموازنة العامة وتعددت تعريفاتها. فقد عرفها صندوق النقد الدولي (IMF) بأنها التزام الصراحة مع الجمهور بشان أنشطة المالية العامة التي تقوم بها الحكومة سواء كانت هذه الأنشطة سابقة أو حالية أو مستقبلية، وكذلك هيكل الحكومة ووظائفها وسياسات المالية العامة والنتائج المترتبة عنها (IMF,2012).

وعرفتها منظمة التعاون الاقتصادي(OECD) بأنها" الإفصاح عن كافة المعلومات المتعلقة بالموازنة بأسلوب منهجي وفي الوقت المناسب.

وعرفتها شراكة الموازنة الدولية (IBP) على أنها" مقدرة كل الإفراد في الدولة على الحصول على كل المعلومات والإحصائيات المتعلقة بمختلف أنواع المصروفات والإيرادات.

ويعرفها أخر بأنها" إتاحة بيانات الإيرادات والمصروفات والأنشطة المالية الأخرى للجمهور، بحيث يمكن لمختلف أصحاب المصلحة بما في ذلك الأوساط الأكاديمية والباحثين ووسائل الإعلام الوصول إليها وفهمها وتحليلها"(السيد،2021، 1150).

وهذه التعريفات المتعددة هي متقاربة في معناها، فهي جميعها تؤكد على ضرورة الانفتاح على الجمهور ومصارحته بكافة الأمور المتعلقة بالموازنة وفي الوقت المناسب وبالسرعة المطلوبة ليتمكن من مساءلة الحكومة.

وتقييم شفافية الموازنة يتم من خلال ثلاثة مجموعات من الخصائص المعيارية: الأولى، نشر وإتاحة المعلومات وكل ما يتعلق بالموازنة بطريقة دورية ووقت مناسب. والثانية، إمكانية وجود دور فعال للسلطة التشريعية لمراجعة الموازنة ومساءلة الحكومة. والثالثة، وجود دور فعال للجمهور ولمؤسسات المجتمع المدني لتعديل سياسة الموازنة إذا اقتضت الحاجة ومساءلة الحكومة.(البستاني،2020).

ويتوقف مقدار شفافية الموازنة على مدى تفاصيل البيانات والمعلومات المقدمة في الموازنة سواء تلك التي تتعلق بالإيرادات أو النفقات أو أعباء الدين العام وغير من الأمور المالية الهامة، وعلى مقدار المعلومات المتوفرة والتي يمكن للجمهور الإطلاع عليها والحصول عليها من خلال طلب يقدم للجهة المختصة بالموازنة أو تلك المعلومات التي يتم نشرها في وثائق هامة لصالح الأطراف المهتمة بالموازنة.(نزيه، 2015، 760).

وتوجد اليوم ثمانية (تقارير) أساسية معترف بها دوليا ـــــــ وهي في إطار الموازنة المفتوحة ـــــــ ينبغي نشرها من قبل الحكومات خلال مراحل إعداد موازنة العامة. انظر الإطار رقم (2).

الإطار(2): التقارير المطلوبة خلال دورة الموازنة العامة	
المرحلة	الوثيقة ومحتواها
مرحلة الإعداد	البيان التمهيدي:هو وثيقة تسرد المحددات العامة والافتراضات الأساسية للاقتصاد الكلي. وهو يستهدف تأطير مشروع الموازنة العامة.
	مقترح الموازنة: هو التقرير الذي يعرض الخطة كاملة موضحا فيها الخطة المالية للحكومة وأولويات سياسة الموازنة لكل وزارة.
	دليل موازنة المواطن: هو نسخة بسيطة للموازنة يسهل على المواطن فهمها
	تقرير الموازنة المعتمدة: هو الموازنة التي اقرها البرلمان، وهي المرجع الأساسي والنهائي لتنفيذ تدابير المالية العامة.
مرحلة التنفيذ	التقارير الدورية: هي تقارير دورية، تنشر كل ثلاثة شهور، أو بشكل مثالي كل شهر، تتناول سير تنفيذ الموازنة. ويجب أن تفسر سبب أي اختلاف يظهره التنفيذ الفعلي.
	التقرير نصف السنوي: تقرير لتقييم الأداء المالي للحكومة، ومراجعة مسار الموازنة من خلال تقديم المعلومات حول ما حدث في الستة شهور الأولى.

مرحلة الرقابة	تقرير نهاية العام(الحساب الختامي): تقرير يعرض في نهاية سنة الموازنة لمناقشة أداء الموازنة كما تم تنفيذها، ومقارنة الواقع الفعلي للإيرادات والمصروفات بالمقدّرة، والدين العام خلال السنة المالية.
	تقرير المراجعة: هو تقرير يحتوي تقييمات رسمية مستقلة من قبل أجهزة الرقابة العليا لتقييم مدى التزام الحكومة بالقوانين المالية للموازنة. ويجب أن يكون متاحا للجمهور.

المصدر: من إعداد الباحث.

هذا. ويؤكد برنامج الإنفاق العام والمساءلة (PEFA) على فعالية المالية العامة وموثوقية الموازنة العامة إذ يقرر أن الغرض من نظام إدارة المالية العامة الجيّد هو ضمان تنفيذ سياسات الحكومة وتحقيق أهدافها، وأن انتظام وانفتاح النظام المالي من بين العناصر المطلوبة من اجل الحصول على النتائج المرغوب فيها للموازنة العامة والمالية العامة، وحدد برنامج الإنفاق العام والمساءلة المالية سبعة محاور للأداء في نظام المالية العامة المنفتح والمنتظم. وتمثل هذه المحاور السبعة العناصر الرئيسية لنظام إدارة المالية العامة، كما تعكس الأمور المرغوب فيها والقابلة للقياس. والمحاور السبعة هي: موثوقية الموازنة، شفافية المالية العامة، إدارة الأصول والخصوم، وضع السياسات والاستراتيجيات المالية بناءً على السياسات، قابلية الرقابة والتنبؤ في تنفيذ الموازنة، المحاسبة ورفع التقارير، والفحص والمراجعة الخارجية. ويوضح الشكل(4) العلاقة المتداخلة ما بين المحاور السبعة لنظام إدارة المالية العامة وعلاقتها بالموازنة العامة. للإطلاع أكثر. ويقابل هذه المحاور 31 مؤشرا يركز كل منها على الجوانب القابلة للقياس بنظام إدارة المالية العامة. يراجع(الإنفاق العام والمساءلة، 2018).

الشكل(4): محاور الإنفاق العام والمساءلة المالية ودورة الموازنة.

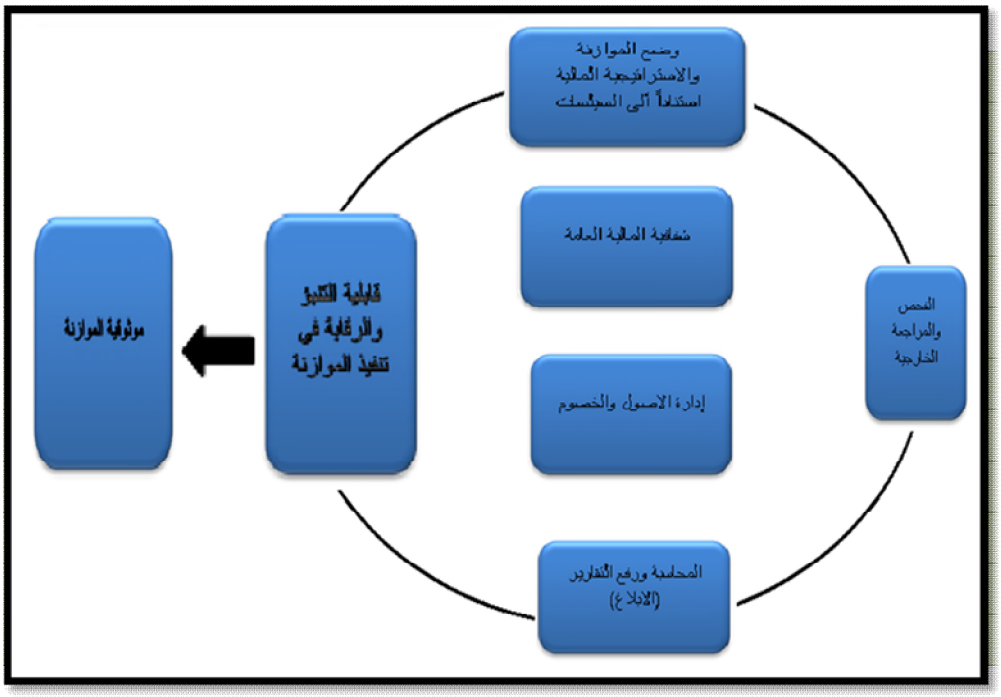

المصدر: دليل الشفافية (PEFA).

---

4 ـــ **أهمية شفافية الموازنة،** من الناحية السياسية، تساعد الشفافية في عملية المحاسبة والمساءلة، فهي تعزز القدرة على محاسبة الحكومة والثقة في سياساتها، وأيضا الرقابة البرلمانية على الموازنة، وكذلك تعزز المشاركة المجتمعية في صنع الموازنة. ولتعزيز هذه المشاركة المجتمعية تضمن مسح الموازنة الذي قامت به شراكة الموازنة الدولية(IBP) لعام 2012 مجموعة من الممارسات لعل أهمها: يجب أن تكون المشاركة قائمة على أساس قانوني، ويجب إشراك أفراد المجتمع في جميع مراحل الموازنة، وان تكون هناك آليات متعددة لإشراك الجمهور، وان تقع المشاركة مع جميع أطراف الحكومة(IBP,2012,P38).

أما من الناحية الاقتصادية، فقد أصبحت شفافية الموازنة العامة ضرورة اقتصادية يفرضها واقع العصر الحديث وإيقاعه، وهي اليوم ركن أساسي من أركان العمل الجدي لرفع كفاءة الموازنة وعدالة الإنفاق العام تحصيل الإيرادات العامة، وضمان الاستخدام الفعال للمال العام والتقليل من فرص إهداره. فالشفافية تساعد على الانضباط المالي والسيطرة على النفقات العامة، وتعدم حصيلة الضرائب كونها تعزز الثقة بين الحكومة والممول، وهي تساعد على تحقيق التنمية؛ فلكي تتحقق التنمية لا بد من

توافر الشفافية في كافة السياسات المالية، وأيضا متابعة برامج التنمية وقياس كفاءتها، ولذلك تعد الشفافية أساسا مهما لتحقيق التنمية المستدامة.

وكذلك تساعد الشفافية على الحد من الأزمات الاقتصادية لكونها توفر معلومات عن المخاطر المحتملة لأفاق المالية العامة. وبالإضافة إلى ما سبق تساعد الشفافية على زيادة حجم الاستثمارات، وتسهل النفاذ إلى الأسواق المالية، وتحسن التصنيف الائتماني.

ومن الناحية الاجتماعية، تكتسب الشفافية أهميتها من كونها وسيلة فعالة لمكافحة الفساد الذي تغلل في كافة دول العالم تقريبا، وهي وسيلة ناجحة لدعم العدالة الاجتماعية وإعادة توزيع الدخل لصالح الطبقات الفقيرة أو محدودة الدخل.

ونظرا لهذه الأهمية الكبيرة شرعت العديد من الدول في تطبيق ممارسات شفافية الموازنة العامة، وقد اظهر مسح الموازنة المفتوحة لعلم 2012، وكذلك عام 2015 تقدم واضح في الالتزام بقواعد واليات شفافية الموازنة العامة. غير أن تقرير مسح الموازنة لعام 2017، والذي يضم 115 شريكا(منظمة أو هيئة) ـــــ وليبيا لا يوجد لها ممثل ـــــ أشار إلى بعض التراجع قياسا بعام 2016، حيث معظم الدول فشلت في نشر الوثائق والمعلومات الرئيسة(تقرير مسح الموازنة لعام 2017، ص: 10 ـــ 15).

واقع الموازنة العامة في ليبيا

الموازنة العامة في ليبيا مرت ثلاثة مراحل:الأولى، مرحلة الميزانية الإدارية (التسييرية)، وهي التي تم تطبيقها في نهاية خمسينيات القرن الماضي، واقتصرت على تغطية النفقات الإدارية وتحصيل الإيرادات اللازمة لتغطية هذه النفقات الإدارية، فهي لا تتضمن نفقات التنمية، ولا نفقات الدفاع، نظرا للأحوال الاقتصادية البائسة آنذاك. المرحلة الثانية، جاءت في بداية السبعينيات بعد إصدار قانون التخطيط الذي اقر ميزانية التنمية، وأصبحت الموازنة العامة تتضمن الموازنة التسييرية، وموازنة التنمية كل منها منفصلة عن الأخرى. المرحلة الثالثة، هي مرحلة الميزانية الموحدة التي أقرت بموجب تعديل بعض مواد القانون المالي للدولة عام 1989م،وأصبحت الموازنة العامة تغطي الميزانية التسييرية، وميزانية التنمية(التحول)، والموازنات المستقلة كموازنة الدفاع.(العبيدي،56،2018).

والموازنة التسييرية تشمل المصروفات والإيرادات الجارية، وتنظمها لائحة الميزانية، والحسابات والمخازن. وميزانية التنمية ينظمها قانون التخطيط ولائحته،وهي تختص بمصروفات التنمية والإيرادات المخصصة لها. وتتمتع الميزانيات الأخرى بالاستقلالية الإدارية والمالية لتغطية نفقاتها وفقا لحاجة البلد.

طبقا للمادة الثانية من قانون المالي الليبي(الصادر في 24 أكتوبر1967م، وتعديلاته اللاحقة) تتولى لجنة مالية مختصة بتكليف من وزير الخزانة بأعداد مشروع الموازنة، والميزانيات الاستثنائية والميزانيات

الملحقة. ومدة الموازنة العامة طبقا للمادة الثالثة المعدلة بموجب القانون رقم 26 لسنة 1974م، اثنا عشر شهراً تبدأ من أول يناير وتنتهي في 31 ديسمبر من كل سنة.

تشمل الميزانية العامة "برنامجا سنويا يعد مقدماً بإيرادات ومصروفات مختلف الوزارات والمصالح، تحدد الإيرادات والمصروفات العامة على أساس الامكانات المالية المعقولة بالاستناد إلى كافة البيانات المالية الفعلية الممكنة، وتقدر المصروفات كاملة دون أن نستنزل منها مصروفات تحصيلها". (نص المادة الرابعة من القانون المالي).

يصدر وزير الخزانة (أو المالية) قرارا بالقواعد والتوجيهات اللازمة لتحضير الموازنة. وعلى الوزارات والمصالح تقديم مقترحاتها بشان الإيرادات والمصروفات معتمدة من الوزير المختص في موعد أقصاه الحادي والثلاثون من أغسطس، تكون هذه التقديرات مفصلة وموضحا بها الأسس التي بنيت عليها، وذلك كما تنص المادة الخامسة. وتُرسل هذه التقديرات إلى الإدارة العامة للميزانية والتي بدورها، وفق المادة الحادية عشر من لائحة الميزانية، تحيلها ـــــ بعد مراجعتها ـــــ إلى لجنة المالية بوزارة المالية، ويعرض وزير المالية (أو الخزانة) مشروع الميزانية على مجلس الوزراء(الحكومة)، وذلك كما تنص المادة الثانية عشر من لائحة الميزانية.

تحتفظ الحكومة وفقا للمادة الرابعة عشر من القانون المالي للدولة بأموالها بالمصرف المركزي. وتكون للحكومة، كما تنص المادة الخامسة عشر، ستة حسابات منفصلة: الحساب العام، حساب الاحتياطي العام، حساب التنمية، حساب الدين العام، حساب العهد والأمانات، وحساب الطوارئ.

وتقسم الموازنةـــــ طبقا للمادة الساسة من القانون المالي ـــــ إلى جزئين رئيسيين، يُخصص الأول للإيرادات، والثاني للمصروفات، وتقسم الإيرادات إلى أبواب وتقسم الأبواب إلى بنود تبعا لتعدد إيراد كل مصدر. وتقسم المصروفات إلى أقسام(ويجور تقسيمها إلى فروع) وتقسم الأقسام إلى أبواب. وأبواب المصروفات هي: المرتبات وما في حكمها، باب المصروفات العمومية، وباب نفقات الإعمال الجديدة. وقد يقسم كل باب إلى بنود وأنواع بنود. (المادتين: الثانية، والثالثة من لائحة الموازنة).وبعد التعديل الصادر عام 2015م، تشمل المصروفات العامة خمسة أبواب، هي: المرتبات وما في حكمها، نفقات التسيير والتجهيز والتشغيل، مشروعات وبرامج التنمية، نفقات الدعم، وباب نفقات الطوارئ. وقد ظهرت النفقات العامة في ميزانية عام 2021م المقدمة للبرلمان للاعتماد على هذا النحو.

بعد هذا التوضيح المختصر لنشأت الموازنة العامة في ليبيا، وبعض القواعد القانونية الضابطة لها، نستعرض تطور حجم وهيكل هذه الموازنة العامة.

كما هو معلوم، ليبيا بلد ريعي يعتمد على النفط؛ فالإيرادات النفطية تشكل معظم الإيرادات العامة، وهي عماد الموازنة العامة، ومحرك النشاط والنمو الاقتصادي. والاعتماد الكبير على النفط جعل

الإيرادات العامة، والنفقات العامة تتطور وتتقلب وفقا لتقلبات أسعار النفط، فعندما ترتفع أسعار النفط، تزداد الإيرادات ومن ثم النفقات العامة، وعندما تنخفض أسعار النفط تنخفض الإيرادات العامة وبالضرورة تنخفض النفقات العامة. ويمكن ملاحظة ذلك من الإحصائيات الواردة بالجدول(1).

على سبيل التوضيح، ارتفعت الإيرادات العامة من نحو 570 مليون دينار عام 1970م إلى نحو6800 مليون دينار عام 1980م. أي أنها تضاعف أكثر من (12) مرة، ثم أخذت في التراجع نتيجة انخفاض سعر النفط لتبلغ نحو 3000 مليون دينار عام 1985م، ونحو 2400 مليون دينار عام 1990م. وعاودت الإيرادات العامة الارتفاع مجددا مع انتعاش أسعار النفط في نهاية التسعينات لتصل إلى أكثر من 72 مليار دينار عام 2008م، وأكثر من 70 مليار دينار عام 2012م، لكنها تراجعت في السنوات التالية لعام 2012 وتقلبت نتيجة الصراع المسلح وأثره على الإنتاج النفطي، وأيضا نتيجة انخفاض أسعار النفط.

وارتفع حجم النفقات العامة من نحو 375 مليون دينار ليبي عام 1970م إلى أكثر من 5760 مليون دينار عام 1980م (تضاعفت أكثر من 15 مرة)، وكان هذا الارتفاع مدفوعا بارتفاع أسعار النفط وخصوصا بين عامي 1973، 1979م(الطفرة النفطية)، وبالرغبة في التوجه نحو التنمية الاقتصادية. غير أن حجم النفقات العامة اخذ يراجع منذ العام 1981م نتيجة لتراجع أسعار النفط، وبخاصة في منتصف عقد الثمانينيات ليبلغ اقل من 4000 مليون دينار عام 1985، وحوالي 2408 مليون دينار عام 1993م. ثم عاد وارتفع مع تحسن أسعار النفط في العام 1999م، وتظهر الزيادة في النفقات العامة بشكل واضح عام 2003م، واستمر حجم النفقات العامة في الارتفاع (عدا عامي2009، 2011م) حتى بلغ أكثر من 65 مليار دينار عام

الجدول (1):

تطور حجم (بالمليون دينار)الإيرادات والنفقات العامة في ليبيا بالفترة (1970 ــ 2019)

السنة	الإيرادات		النفقات		الفائض
	القيمة	معدل التغير	القيمة	معدل التغير	
1970	570.5	ــــ	375	ــــ	195
1975	1628.2	ــــ	2656	ــــ	(1028)
1980	6808.5	ــــ	5762	ــــ	1047
1983	3717	ــــ	4503	ــــ	(786)

1985	3012	—	3905	—	(893)
1989	2122	—	2963	—	(842)
1990	2442	—	2752	—	(310)
1993	2753	—	2408	—	345
1995	4738	—	4629	—	108
2000	4668.2	—	5250.2	—	(58.2)
2001	5998.8	28.5	5631.6	7.3	367.2
2002	8574.1	42.9	8487.0	50.7	87.1
2003	16913.6	97.3	6107.7	-28.0	10805.9
2004	23087.0	36.5	7725.7	26.5	15361.3
2005	37106.0	60.7	21343.0	176.3	1576.3
2006	47088.0	26.9	21378.0	0.2	2571.0
2007	53366.3	13.3	30883.8	44.5	22482.5
2008	72741.2	36.3	44115.5	42.8	28625.7
2009	41785.0	-42.5	35677.2	-19.1	6107.8
2010	61503.1	47.2	54498.8	52.8	7004.3
2011	16813.3	-72.7	23366.5	-57.1	(6553.2)
2012	70131.4	317.1	53941.6	130.9	16189.8
2013	54763.6	-21.9	65283.5	21.0	(10519.9)
2014	21543.3	-60.7	43814.3	-32.9	(22270.9)
2015	16843.4	-21.8	36014.9	-17.8	(19171.5)
2016	8845.2	-47.5	29171.3	-19.0	(20326.1)
2017	22337.6	152.5	32692.0	12.1	(10354.4)
2018	49143.6	120.0	39286.4	20.2	9857.2
2019	57365.2	16.7	45813.0	16.6	11552.2

المصدر: من إعداد الباحث بالاستناد على النشرة الاقتصادية للمصرف المركزي، أعداد تغطي الفترة المذكورة.

2013م، وسجلت الموازنة العامة في هذا العام عجزا تجاوز عشرة مليار دينار، وارتفع العجز إلى أكثر من 20 مليار دينار عام 2014م، وظل عند هذا المستوى تقريبا في السنتين التاليتين(2015،2016)، لينخفض بمقدار النصف تقريبا عام 2017، ويختفي عام 2018م وهو العام الذي أقرت فيه رسوم بيع النقد الأجنبي لتعويض النقص في تمويل الموازنة، حيث سجلت الموازنة فائضا في هذا العام والعام الذي يليه.

وواقع الموازنة العامة للدولة الليبية يمكن قراءته بشكل أفضل من إحصائيات الجدول(2)، الذي يوضح المصروفات وبنودها، والإيرادات ومصادرها في السنوات الأخيرة.

الجدول(2): تفاصيل بنود الموازنة بالقرة (2008، 2010 ـ 2020م)

(الأرقام بملايين الدينارات، وهي مقربة لأقرب مليون)

البيان	الفترة					
	2008	2010	2011	2012	2013	2014
الإيرادات:	72741	61503	15813	70131	54763	21543
ـــ إيرادات نفطية	64417	55713	15813	66932	51775	19976
ـ إيرادات غير نفطية	8324	5790	983	3199	2988	1567
النفقات:	44116	54941	23366	49123	64929	43814
ـ المرتبات (ضمن التسيرية)	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	23632
ـ التسييرية	11875	15121	17580	36733	42599	2689
ـــ تنموية (التحول)	28903	23729	00	5500	13276	4482
ـــ الدعم وموازنة الأسعار	ـــ	8020	4414	11709	9409	12440
العجز	28626	7004	(6553)	16190	(10520)	(22271)
البيان	الفترة					

	2015	2016	2017	2018	2019	2020
الإيرادات:	16843	8845	22337	49144	57365	غير متوفرة
ـ إيرادات نفطية	10598	6665	19209	33476	31395	
ـ إيرادات غير نفطية	6246	2180	3128	2435	2523	
ـ إيرادات رسم بيع النقد الاجنبي	ـــــ	ـــــ	ـــــ	13232	23447	
النفقات:	53601	29171	32692	39286	45813	غير متوفرة
ـ المرتبات	20307	19094	20293	23607	24512	
ـ التسييرية	3626	2488	4541	5663.	9429	
ـ تنموية (التحول)	3862	1748	1889	3390.	4638	
ـ الدعم وموازنة الأسعار	8220	5724	5790	6627	7235	
العجز	(19172)	(20376)	(10354)	9857	11552	ـــــ

المصدر: منقول من إحصائيات النشرة الاقتصادية للعام 2016، والعام 2020م

ويتضح من الجدول(2) أعلاه، مدى اعتماد الموازنة العامة على إيرادات النفط. فهذه الإيرادات هي المصدر الأهم من مصادر الإيرادات العامة. وكما نلحظ أن باب المرتبات بعد فصله عن الميزانية التسييرية في السنوات التالية لعام 2013م يمثل 50% من إجمالي حجم المصروفات(النفقات العامة)، يليه باب الدعم وموازنة الأسعار، فيما كان باب مصروفات التنمية في حدود 10% من حجم النفقات بين العامين 2014م، 2019م. غير أن الباحث يرى أن العشر سنوات الأخيرة (سنوات الأزمة) من غير المنطقي القياس عليها.

ولكن تبقى الموازنة العامة في ليبيا بصفة عامة تعتمد على الإيرادات النفطية بشكل كبير، فالإيرادات النفطية تمثل نحو 85% من إجمالي الإيرادات العامة(عامي 2008، 2010)، ويمثل باب المرتبات، وباب الدعم وموازنة الأسعار ثقلا كبيرا على الموازنة العامة.

نستنتج مما تقدم، أن الموازنة العامة لدولة ليبيا تعاني من الخلل الهيكلي، فهي تعتمد بدرجة كبيرة على عوائد النفط، ويشكل باب المرتبات نسبة كبيرة من المصروفات. وقد أشار إلى هذا الخلل وزير الدولة للشئون الاقتصادية في مقابلة مع مجلة فورميكي الايطالية بتاريخ 6/8/ 2021م، حيث قال الوزير الغويل

لا بد من أن يعالج بند المحافظة على الاستدامة المالية، ونحن نحتاج إلى تعديل في هيكل الضرائب وفي النظام الضريبي حتى يتحقق التمويل اللازم للميزانية.

والموازنة العامة في ليبيا هي موازنة مجزأة وتعتمد على منهج تقدير آلي تراكمي خاصة فيما يتعلق بالموازنة التسييرية، وهذا ما أكد عليه تقرير" أولويات إصلاح الإدارة المالية العامة في الأوضاع الجديدة" (2012) الخاص بليبيا المقدم من خبراء من الصندوق والبنك الدوليين، حيث جاء فيه أن الموازنة العامة في ليبيا مجزأة، وغير متكاملة المراحل، ولا توجد رؤية متوسطة الأجل يمكن الاسترشاد بها في إعداد الموازنة السنوية.

بالإضافة إلى ما سبق، الموازنة في ليبيا هي موازنة تقليدية(موازنة بنود)، والموازنة التقليدية ـــــ كما سبق التوضيح ـــــ بها الكثير من العيوب إلى الدرجة التي قللت من فاعليتها، ومن ثم أهميتها الاقتصادية والاجتماعية.

وفيما يتعلق بشفافية المالية وشفافية الموازنة العامة بصورة خاصة، يمكن القول أن بوضوح أن ليبيا لا تطبق الممارسات والإجراءات والقواعد المتعلقة سواء بشفافية المالية العامة آو شفافية الموازنة العامة، فلا توجد سوى محاولات متعثرة، وقد أشار إلى هذا التعثر تقرير تطبيقات الحوكمة في الإدارة الليبية الصادر عن المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات (2019)، حيث أوضح التقرير أن الحوكمة(والتي تحتوى الشفافية والمساءلة والمشاركة) لم تنل اهتمام كاف من السلطات قبل عام2011، وبعد هذا العام حدثت محاولات بدعم من المنظمات الدولية وخصوصا البنك الدولي الذي نظم العديد من الاجتماعات وورش العمل حول الحوكمة والشفافية. كما أكدت أيضا وثيقة روما متعددة الإطراف (2014) على ضرورة الالتزام بالحوكمة كآلية لتطوير الإدارة الليبية

وكذلك أوضحت تقارير البنك الدولي أن ليبيا هي الأقل تقدما في تدعيم الحوكمة من بين بلدان شمال إفريقيا والشرق الأوسط والدول العربية.ويوضح تقرير مؤشرات مدركات الفساد لعام 2019م الصادر عن منظمة الشفافية العالمية، أن ليبيا من ضمن العشر دول الأكثر فسادا في العالم. كما أوضح تقرير بعثة الأمم المتحدة لليبيا (2020) بقيادة الخبير "فاليرياغوفي" أنه من اللازم إعادة النظر في دور الدولة في القطاع المالي، وتدعيم نظام الحوكمة ووضع إستراتيجية طويلة الأجل للقطاع المالي مع التركيز على الجهاز المصرفي.

وفي سياق شفافية المالية العامة بما في ذلك شفافية الموازنة العامة في ليبيا، أشارت وزارة الخارجية الأمريكية إلى ضعف الشفافية في ليبيا. ونبّهت الوزارة إلى ضرورة إتاحة تقارير مؤسسة التدقيق عن الميزانية المنفذة للحكومة والشركات المملوكة للدولة للجمهور في غضون فترة زمنية معقولة، وضمان إفصاح المؤسسة الليبية للاستثمار عن مصدر تمويلها أو منهجها العام للسحب .

وترى الخارجية الأمريكية انه رغم إتاحة تقرير الميزانية في نهاية العام على الإنترنت، إلا أنه لم تتوفر للجمهور سوى معلومات محدودة عن التزامات الديون، بما في ذلك ديون الشركات المملوكة للدولة.(مكتب المتحدّث الرسمي للوزارة . 27يوليو 2021) .

أخيرا، نشير إلى أن مجلس النواب الليبي قد رفض اعتماد موازنة عام 2021م في جلساته خلال شهري يوليو وأغسطس، إلى حد كتابة هذا البحث لم يتم اعتماد الموازنة. وسبب الرفض الأساسي هو غياب شفافية الموازنة، وعدم وضوحها، وذلك وفقا لرئيس لجنة المالية بالمجلس وكذلك العديد من الأعضاء. وإذا كانت الموازنة العامة غبر واضحة وغير شفافة حتى بالنسبة للمتخصصين كأعضاء لجنة المالية، فكيف تكون واضحة وشفافة للجمهور؟

الخاتمـــــة

اهتم البحث بتقديم فكرة موجزة عن الموازنة العامة للدولة، وأهميتها، وأنواعها الحديثة، ثم تناول شفافية الموازنة العامة، والياتها، وأهميتها، واستعرض واقع الموازنة العامة في ليبيا.وتم التوصل إلى عدد من النتائج والتوصيات. جاءت على النحو التالي:

أولا ـ النتائج:

ـــــ عدم وضوح الرؤية الاقتصادية والمنهج الاقتصادي في ليبيا أدى إلى عدم الاهتمام بالموازنة، بحيث أصبحت الموازنة عمل روتيني بدون رؤية اقتصادية متكاملة للموازنات المتعاقبة في ليبيا.

ـــــ تعاني الموازنة العامة في ليبيا من خلل هيكلي، حيث يظهر تفاوت كبير بين بنود المصروفات، وكذلك بين مصادر الإيرادات العامة.

ـــــ الموازنة العامة من النوع التقليدي، فمنذ إقرار أول موازنة بشكل رسمي في نهاية خمسينات القرن الماضي لم يطرأ أي تعديل على الموازنة العامة سوى بعض التعديلات الشكلية، وظلت ليبيا تسير على الموازنة التقليدية (موازنة البنود). فضلا على ذلك تعتمد الموازنة على منهج آلي تراكمي في تقدير النفقات وخاصة النفقات التسييرية، وهي غير متكاملة مراحل الإعداد، ولا تعد وفق رؤية واضحة مخطط له.

ـــــــ رغم أن شفافية الموازنة العامة ترفع من كفاءة وفعالية الموازنة، وهي اليوم محل إجماع دولي على أنها اكبر ضمانة للدول للاستفادة من مواردها المحدودة، ما تزال ليبيا بعيدة عن الالتزام بقواعد الشفافية المالية وشفافية الموازنة على حد سواء.

ـــــــ تقادم القوانين والتشريعات المالية وعدم مقاربتها لشفافية الموازنة العامة.

ـــــــ وأخيرا،لا يمكن التغاضي عن التداعيات السلبية للوضع السياسي والوضع الأمني المتدهور الذي تعيشه ليبيا حاليا، فلا شك أن الوضع السياسي الراهن والذي يغيب فيه الأمن، ويغيب فيه وضوح

الأدوار، وتتداخل فيه الاختصاصات، وتتعدد فيه المؤسسات السيادية ذات الطبيعة الواحدة قد اثر سلبا على الموازنة العامة، وعلى المالية العامة بشكل عام.

ثانيا ـــ التوصيات:

ـــــ إن الموازنات الحديثة التي تركز على كفاءة الأداء، إضافة إلى الرقابة المالية قد نقلت الموازنة من أداة تحدد وسائل إنفاق المال العام إلى أداة للتخطيط ورسم السياسات المراد تنفيذها والنتائج المراد تحقيقها في ظل التخصيص الأمثل للموارد المتاحة. وعليه، يوصي هذا البحث بتحديث الموازنة العامة في ليبيا من خلال الانتقال من موازنة البنود إلى احد الأنواع الحديثة(يمكن تشكيل لجنة علمية فنية لاختيار نوع الموازنة المناسب، ويقترح الباحث موازنة الأداء)، ويكون هذا الانتقال تدريجي. وفي هذا الإطار، ينبغي العمل على تأهيل وتدريب كوادر بشرية على هذه الأنواع من الموازنات الحديثة لكونها تتطلب خبرة جيّدة هي غير متوفرة حاليا بمن تؤكل إليهم مهمة إعداد الموازنة.

ـــــ الشفافية المالية هي ضرورة اقتصادية لا يمكن لدولة تؤجلها تسعى لتحقيق كفاءة الأفاق العام وفعالية السياسات المالية، والحد من إهدار المال العام. وهذا يعني ضرورة الشروع في تطبيق قواعد واليات شفافية الموازنة العامة. بحيث تعمل الحكومة على ضمان نشر وثائق الموازنة بطريقة منتظمة، وجمع أراء المواطنين بشان سياسات الموازنة. وعلى الحكومة إعداد موازنة المواطن (موازنة مبسطة)، وبطريقة يسهل فهمها، الحصول عليها حتى يتمكن المواطنون من المشاركة في خطط الحكومة والتعرف على أهداف الموازنة. وربما يكون من المناسب إنشاء وحدة لشفافية الموازنة والتواصل المجتمعي بوزارة المالية لزيادة الإفصاح وتعزيز الشفافية ودعم المشاركة المجتمعية في الموازنة، كما ينبغي تحديث التشريعات المالية بما يتطابق مع المعايير الدولية للشفافية المالية، لتصبح هذه التشريعات ملزمة بشكل أكثر صراحة على توفير وإتاحة المعلومات عن الموازنة مفصلة ومبسطة يسهل فهما من قبل المواطنين.

ـــ أن تكون لكل جهة حكومية معنية بإعداد موازنتها رؤية ورسالة وأهداف إستراتيجية، إضافة إلى مؤشرات أداء. ومن دون هذا التوجه يكون من الصعب ربط الموازنة العامة بالتنمية.

ـــــ ضرورة وجود هيئات مستقلة لرقابة الموازنة غير خاضعة للسلطة التنفيذية كي تتمكن من أداء دورها على الوجه الأكمل.

ـــــ وبالنظر إلى النقاط السابقة في أعلاه، يتعين أن يكون هناك مشروع لإصلاح الموازنة، يعمل هذا المشروع على اختيار نوع من أنواع الموازنات الحديثة، ويعزز تطبيق قواعد واليات الشفافية المالية، وشفافية الموازنة.

ـــــــ وأخيرا، نذكر بأنه لا يمكن معالجة مشاكل الاقتصاد في ظل الوضع السياسي الذي تعيشه ليبيا حاليا، وعليه، يوصي البحث بضرورة انجاز المصالحة السياسية والوطنية في اقرب وقت. وأن أي تأخير في أنجار هذه المصالحة سيعمق التداعيات السلبية على الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

المراجع:

أولا ـــ الكتب:

1 ـــــــ محمد دويدار، دراسات في الاقتصاد المالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.

2- حمدي أحمد العناني، اقتصاديات المالية العامة، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، 1992م.

3 ـــــ عادل احمد حشيش، أساسيات المالية العامة، دار الجامعة الجديد، الإسكندرية،2006.م.

4 ـــــ عادل فليح العلي، مالية الدولة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.

5ـــــ عبد الكريم صادق بركات، الاقتصاد المالي، الدار الجامعية، الإسكندرية،1987م.

6 - عبد المطلب عبد المجيد، الاقتصاد الكلي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2010م.

7ـــــ عبد اللطيف قطيش، الموازنة العامة للدولة (دراسة مقارنة)، منشورات الحلبي الحقوقية. مكتبة الروضة الحديدية. الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2005م.

8 ـــــ محمد شاكر عصفور، أصول الموازنة العامة، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 2011م.

9 ـــ سوزي عدلي ناشد، أساسيات المالية العامة، منشورات الحلبي الحقوقية، لينان، 2008م.

10 ـ عباس محمد نصر الله، المالية العامة والموازنة العامة، منشورات مكتبة زين الحقوقية والأدبية، بيروت ، لبنان، 2015م.

ثانيا ـــ أوراق بحثية، اطاريح ورسائل، المنظمات والتقارير:

1 ـ نزيه عبد المقصود محمد، شفافية الموازنة العامة للدولة: أهميتها واليات تعزيزها، مجلة جامعة الأزهر، العدد الثلاثون، الجزء الثالث، 2015م.ص: 738 ـــ 825

2 ـــ جمال محمود وآخرون، عجز الموازنة والأداء الاقتصادي في مصر. المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، المجلد 34، العدد14 ،2018م. ص:115 ـــ146.

3 ـ أسامة دياب، ريم عبد الحليم" شفافية المالية العامة للدولة: الضرورة الغائبة عن واقع الاقتصاد المصري" وحدة العدالة الاقتصادية والاجتماعية، المبادرة المصرية للحقوق الشخصية ط1، 2014م.WWW.eip. org

4 ـــ حسن عبد الكريم سلوم، محمد خالد المهايني"الموازنة العامة للدولة بين الإعداد والتنفيذ والرقابة" مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 64، 2007م. ص: 92 ـــ 116

5 ـ احمد حمدي عبد الدائم" الحوكمة في الموازنة وتطبيقاتها لتحقيق التنمية الاقتصادية بمصر" المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئة. مجلد7، ملحق العدد 4، 2016م، ص:256 ـــــ 280.

6 ـ ناجي شايب الركابي"الموازنة التعاقدية أداة للتنمية في ظل ندرة الموارد"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد 52، 2017. ص:275 ـــــ 298

7 ـــــ محمد ياسين غادر، محددات الحوكمة ومعاييرها" ورقة بحثية مقدمة لمؤتر العلمي الدولي"عولمة الإدارة في عصر المعرفة"، كلية إدارة الأعمال، جامعة الجنان، لبنان،2012م.

8 ـــــ عطية عز الدين، احمد بيرش" أساليب إعداد وتنفيذ الموازنة، مجلة إدارة الإعمال والدراسات الاقتصادية،جامعة الجلفة، الجزائر، مجلد06، العدد02، 2020. ص: 409 ـــــ 828.

9 ـــــ بسام بن عبد الله البسام" حوكمة الميزانية العامة في المملكة العربية السعودية" مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد17، العددB2، 2020. ص: 175ـــ 209ـ

10 ـــــ محمد مسعودي وآخرون" أهمية شفافية الموازنة العامة في الجزائر وفق مبادرة الموازنة المفتوحة (2006 ـــ2017م)، مجلة البحوث الاقتصادية المتقدمة، المجلد06، العدد01، 2021 الجزائر، ص: 228 ـــــ243

11 ـــــ السيد صلاح الدين سيد، شفافية الموازنة وأهميتها الاقتصادية مع الإشارة لحالة مصر" مجلة كلية الشريعة والقانون، العدد23، الجزء الثاني،2021.ص:1144ـــ 1198

12 ـــــ مسعودي علي، تيجاني محمد العيد" الموازنة الصفرية (النشأة ، المفهوم، المزايا والعيوب)"، مجلة المنهل الاقتصادي، المجلد02،العدد 0، 2019، جامعة لخضر، الجزائر،ص:203ـــــ210

13ـــ اسكندر البستاني: حول واقع وممارسات الشفافية المالية للدولة اللبنانية" ورقة السياسات العامة، الجمعية اللبنانية لتغزيز الشفافية، 2020م.

14 ـــــ علي السندي" دور الأساليب الحديثة في إعداد الموازنة وأثرها على التنمية المستدامة" ورقة مقدمة لندوة علمية في جامعة الحدباء، 2020م، (research Gate.338384902)

15ـــــ حسن الحاج" عجز الموازنة: المشكلات والحلول" سلسلة إصدارات المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 2007، العدد 63، السنة السادسة.

16 ـ إيمان عبدوس " آليات حوكمة الميزانية العامة واتجاهات تطبيقها وفق إصلاح الميزانياتي في الجزائر" مجلة معهد العلوم الاقتصادية. المجلد 24، العدد 01، 2021، ص، 347ـــــ365.

17 ـــــ مصطفى عبد الرحمن المروان وآخرون" دور الحوكمة في مكافحة الفساد في وحدات القطاع العام في المملكة العربية السعودية" المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، المجلد الخامس ، العدد 19، 2021، ص: 125 ـــــ 190

18 ـــ محمد علي جبران" الشفافية والإفصاح في الموازنة العامة في الدولةوحسابها الختامي: دراسة تحليلية لمعرفة التزام الجمهورية اليمنية بمبادئ الشفافية المالية" مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، جامعة صنعا، 2018.ص: 137 ـ 174

19 ـــ أوكيل حميدة، دور الموارد المالية العمومية في تحقيق التنمية الاقتصادية في الجزائر، أطروحة، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة أمحمد بوقرة، الجزائر، 2016م.

20 ـــــ احمد يوسف العبيدي، إمكانية تطبيق موازنة البرامج والأداء في بعض الوحدات الإدارية العامة، رسالة ماجستير، جامعة بنغازي (قاريونس سابقا)، 2000م

21 ـــــ فتحي الزوبيك، إمكانية إعداد الموازنة على الأساس الصفري في بعض الوحدات الإدارية العامة، جامعة بنغازي (قاريونس سابقا)،2001م

22 ـــــ عبد الحميد علي العبيدي "مدى ملائمة موازنة الأبواب والبنود كأداة تخطيط ورقابة على المال العام" (دراسة حالة بمراقبة الخدمات المالية ببنغازي)، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد، جامعة بنغازي،2018م.

23 ـــ ياسر حامد جدوع، مدى إمكانية تطبيق أسلوب موازنة التعاقدية عند إعداد الموازنة العامة الأردنية" رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والإعمال، جامعة جدارا، الأردن، 2015م.

24 ـــ "مفهوم الشفافية ودور الأجهزة العليا للرقابة"، جهاز المراجعة المالية، مؤسسة الشفافية في ليبيا. www.shaffaflibya.com.option.2015

25 ـــ تطبيقات الحوكمة في الإدارة الليبية. المنظفة الليبية للسياسات والاستراتيجيات. 2016.

26ـ ـــــ راني الخوري، الموازنة في الأردن، منتدى الاستراتيجياتالأردني،2013.org .jsf @ Info

27 ـــــالمبادرة العالمية لشفافية المالية العامة (GIFT) https:www.Fiscalttransparency.net.

28 ـــــ الإنفاق العام والمساءلة المالية (PEFA) المجلد الثاني، 2018م https:www.pefa.org.

29 ـــ النشرة الاقتصادية، مصرف ليبيا المركزي، أعداد مختلفة المدة.

30 ـــــ صندوق النقد العربي، تقرير عن الاستقرار المالي في الدول العربية، 2019م.

31ـــــ مجموعة من الخبراء الدوليين" أولويات إصلاح الإدارة المالية العامة في الأوضاع الجديدة في ليبيا، صندوق النقد الدولي،2012م.

32 ـ تقرير مسح الموازنة المفتوحة لعام 2017، شراكة الموازنة الدولية (IBP)

33ـ تقارير صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، الموقع الالكتروني.

34 ـ القانون المالي الليبي. ولائحة الميزانية والحسابات والمخازن الليبية.

35ــ هيئة النزاهة العامة، منشور الشفافية. من الموقع:-http://www.nazaha.iq/search web/OThers/4.pdf.28/7/2015

36 ـ بيان وزارة الخارجية الأمريكية بشان الشفافية في ليبيا 2021/6/27م.

37 ـــ جريدة فورميكي الايطالية 8/6/ 2021م.

38 ,OECD, Best practices for budget Transparency, 2002 http://www.oecd.org/dataoecd/33/13/1905258.pdf)

39 , IBP, open Budget Transform Lives , The open Budget Survey 2008 (http://www.internationalbudget.org/wpcontent/ uploads/2011/06/2008finalfullReport.English1.pdf)

خطاب الكراهية في الشعر العربي القديم

Hate Speech in Ancient Arabic Poetry

د. عادل ايت العسري (كلية الآداب والعلوم الإنسانية-مراكش/المغرب)
aitelasriadil@gmail.com

الملخص

يعد التواصل أحد أهم سمات العصر الحديث، وقد كان لوسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي دور كبير في تقوية الروابط الإنسانية وتعزيز ثقافة الحوار بين الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع نفسه أو إلى مجتمعات وثقافات مختلفة، لكن بعض الجماعات رفضت الانخراط في هذا المسار، إذ تبنى أصحابها خطابا معاديا للآخر، فدعوا إلى إقصاء كل من هو مختلف عنهم سواء من الناحية الجسدية أو الفكرية أو الدينية أو العرقية، ويطلق على هذا النزوع اسم خطاب الكراهية، وهذه الظاهرة ليست وليدة العصر الحديث، فقد عانت المجتمعات القديمة منها أيضا بما في ذلك المجتمع العربي الذي تجلى فيه خطاب الكراهية على مستوى الشعر العربي القديم، فلم تخل بعض القصائد من أبيات تدعو إلى إقصاء الآخر أو تحرّض على تصفيته جسديا. وسنحاول، من خلال هذه الدراسة، الكشف عن أهم الأغراض الشعرية العربية القديمة التي تجلى فيها خطاب الكراهية، فضلا عن تحديد الأسباب التي دفعت الشعراء إلى تبني ذلك الخطاب.

كلمات مفتاحية: التواصل، ثقافة الحوار، خطاب الكراهية، إقصاء، الشعر العربي القديم.

Abstract:

Media and social networks have played a major role in strengthening human bonds and promoting a culture of dialogue in modern societies, however some individuals and groups still prefer to adopt hate speech, inciting people to exclusion of all those who are different from them, whether physically, intellectually, religiously or ethnically. This is not a new phenomenon; because ancient societies also suffered from it, including Arab society, in which hate speech manifested itself at the level of ancient Arab poetry. Certain poems were not devoid of verses calling for the exclusion of the other or inciting his torture or his physical liquidation. And we will try, through this study, to reveal the most important ancient Arab poetic purposes in which hate speech manifested itself, as well as to identify the reasons which pushed poets to adopt this speech.

Keywords: Human Ties, Culture of Dialogue, Hate Speech, Exclusion, Ancient Arab Poetry.

مقدمة

الشعر ديوان العرب الذي أودعوه تقاليدهم ورؤيتهم للحياة، كما أنه وثيقة تاريخية سجلت العديد من أيام العرب وأهم الأحداث التي عاشوها منذ الجاهلية، وأهم ما ميز ذلك الشعر هو الطابع الغنائي؛ فقد كان الشعر مرآة عكست أحاسيس الشاعر ومشاعر جماعته، وهي أحاسيس متنوعة نتج عنها تعدد في أغراض الشعر العربي القديم، فكان المدح والهجاء والفخر والرثاء. وهذا التعدد لا ينفي وجود بعض القواسم المشتركة بين هذه الأغراض، إحداها أن الشعراء القدماء ضمنوا قصائدهم المختلفة أبياتا تحرض على العنف أو احتقار بعض الجماعات والأفراد، ولذلك يمكن القول إن تلك الأبيات تندرج ضمن موضوع أو غرض واحد هو خطاب الكراهية.

كانت الكلمة سلاح الشاعر للدفاع عن نفسه أو عن عشيرته، ولذلك كانت القبائل والأفراد -على حد سواء- يخشون ألسنة الشعراء؛ فبعض هؤلاء سخروا قصائدهم لإلحاق الأذى بالخصوم من خلال كشف عيوبهم والتشهير بهم والحط من قيمتهم، لكن تأثير الشعر كان يتجاوز -أحيانا- ما هو نفسي إلى ما هو جسدي.

لم يدرس خطاب الكراهية من الناحية الأكاديمية إلا في بدايات القرن الواحد العشرين، إذ ربط الباحثون الغربيون ظهور هذا الخطاب بانتشار وسائل الإعلام والتواصل، لكن هذا الأمر لا ينفي وجود تجليات لخطاب الكراهية في المجتمعات القديمة؛ فأسباب الصراع والعداء قد وجدت منذ أن نشأت الحياة على وجه الأرض، ويظهر، من خلال المصادر التاريخية، أن المجتمع العربي القديم لم يخل -في أي عصر- من الحروب والفتن والصراعات الفردية والقبلية التي أسهمت في تبني الأطراف المتصارعة لخطاب الكراهية. ومن هنا، فإن الدراسة الحالية ستسعى إلى تحديد تلك الأطراف، بالإضافة إلى رصد أهم الأبيات التي تجلى فيها خطاب الكراهية، مع تحديد الدوافع التي كانت وراء إنتاجه.

1-احتقار ذوي البشرة السوداء

اتسم المجتمع العربي الجاهلي بطابعه القبلي؛ إذ توزعت على امتداد شبه الجزيرة العربية قبائل متعددة لا رابطة بينها، وكانت القبيلة الواحدة تتكون من أفراد تجمعهم رابطة الدم أو الولاء، وكان وجود القبيلة واستمرارها رهينا بخضوع أفرادها لمجموعة من الضوابط التي تضمن الحفاظ على التجانس والترابط بينهم، وكل مخالفة لتلك الضوابط كانت تعد تهديدا صريحا لبقاء القبيلة، ولذلك لم يتوان زعماء القبائل وسادتها عن ردع أية محاولة للثورة على القوانين، وذلك بحرمان العناصر الشاذة من حق الانتماء إلى القبيلة، وكان يطلق على تلك العناصر اسم الصعاليك، وقد ضم هؤلاء بين صفوفهم «مجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم، ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم...وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم، فسموا أغربة العرب» (ضيف، 2008، ص 375)، ويعد عنترة بن شداد أشهر هؤلاء الأغربة، وكان أبوه شداد قد

رفض الاعتراف ببنوته؛ لأن أم عنترة «كانت أمة سوداء يقال لها زبيبة... وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجبت، اعترفت به وإلا بقي عبدا» (الأصفهاني، 2008، ص 168)، ولم تقتصر معاناة عنترة على طرد أبيه له، بل راح الناس يعيرونه بلون بشرته، وعن ذلك يقول الشاعر (التبريزي، 1992، ص 48):

تُعَيِّرُنِي العِدَا بِسَوَادِ جِلْدِي وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو السَّوَادَا

يظهر أن خصوم عنترة كان يركزون في خطابهم العدائي على لون بشرته، فهم يعتقدون أن سواد بشرته نقيصة تستوجب الحط من قدره، وهو ما رفضه عنترة؛ لأنه يرى أن خصاله الحسنة كفيلة بإبطال دعوى الخصوم الذين لم يرتكز خطابهم العنصري على أي مبرر موضوعي، ويبدو أن خطاب الكراهية قد أثر في عنترة حتى أنه لم يجرؤ-أحيانا- على ذكر اللون الأسود في شعره، واكتفى بالإشارة إليه، يقول عنترة (التبريزي، 1992، ص 157):

وَمَا وَجَدَ الأَعَادِي فِيَّ عَيْباً فَعَابُونِي بِلَونٍ فِي العُيُونِ

جرت عادة العرب ألا يعيروا الرجال أو يهجوهم بصفاتهم الجسمية؛ فـ« متى سلب المهجو أمورا لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيبا في الهجاء، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه، أو صغير الحجم، أو ضئيل الجسم، أو مقتر، أو معسر، أو من قوم ليسوا بأشراف، إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة، وخصاله كريمة نبيلة» (قدامة، 1302، ص 73).

كان خصوم عنترة يعلمون أن احتقارهم سواد بشرته أمر قبيح ومناف للأعراف الاجتماعية، لكن بغضهم له أعماهم، ودفعهم إلى خرق تلك الأعراف، وهم لا ينفكون عن الطعن في نسب الشاعر من خلال تذكير الناس بأنه ابن أمة حبشية، وأنه ورث عنها سوادها، ولذلك فهو لا يرقى إلى مستواهم الاجتماعي، ولا يمكن أن يكون ندا لهم، وقد كشف الشاعر زيف هذا الادعاء بقوله (الخطيبي، 2009، ص 35):

يُنَادُونَنِي فِي السِّلمِ يَا ابْنَ زَبِيبَةٍ وَعِنْدَ صِدَامِ الخَيْلِ يا ابْنَ الأَطَايِبِ

كان بعض أفراد قبيلة عنترة يسخرون منه طوال فترة السلم، ويعيرونه بسواد بشرته، فينادون عليه-خلافا لما جرت عليه العادة- باسم أمه وليس باسم أبيه، وهم يقصدون بذلك تذكيره بنسبه الوضيع، وبأنه مجرد عبد، أما في حالة الحرب، فإن خطاب الكراهية الموجه للشاعر يخفت ليحل موضعه خطاب التسامح، بل إن المعادين لعنترة يعلون من شأنه، ولا يذكرون أي شيء ذي صلة بلونه الأسود؛ لأنهم-حينئذ-

يكونون في حاجة ماسة إليه، فهم يعلمون مقدار شجاعة عنترة وبأسه في مواجهة الأعداء، ولذلك كانوا يتملقونه، فينادونه بابن الطيّب.

كانت قيم التسامح التي بشّر بها الإسلام أحد أبرز الأسباب التي دفعت العديد من الناس إلى اعتناقه؛ إذ إنه جعل من التقوى المعيار الوحيد للتفاضل بين الناس، بيد أن ذلك لا يعني القضاء النهائي على الخطاب العنصري؛ إذ ظل بعض الأفراد ينظرون بازدراء إلى أصحاب البشرة السوداء، وكانت دنانير بنت كعبويّة الزنجي إحدى ضحايا الخطاب العنصري الذي صدر عن زوجها أعشى سليم الذي رآها «يوما وقد خضبت يديها بالحنّاء، واكتحلت بالإثمد، فقال:

تُخَضِّبُ كَفًّا بِتكتْ مِن زِندِهَا ... فَتُخضِبُ الحِنَّاءُ مِن مُسْوَدِّهَا
كَأَنَّهَا وَالكُحلُ فِي مِرْوَدِهَا ... تَكحُلُ عَينَيهَا بِبَعضِ جِلْدِهَا

فلما سمعت ذلك، قالت:

وَأَقْبَحُ مِنْ لَونِي سَوَادُ عِجَانِهِ ... عَلَى بَشَرٍ كَالقَلبِ أَوْ هُوَ أَنْصَعُ

فسمّوه أسود، وصاح به الصبيّان فطلّقها» (الجاحظ، 1964، ص 214).

لقد حاول زوج دنانير التقليل من شأنها وإظهار تميزه عنها بناء على لون البشرة، وذلك عندما وصفها بشدة السواد حتى كأنها هي التي تخضب الحناء بلونها وليس العكس، ومما يدل على أن خطاب الزوج كان عنصريا وليس بدافع البسط أو المزاح، أنه عندما وُصف بالسواد، وأصبح الناس يعيرونه به، بادر إلى تطليق الزوجة لكونها السبب في ذلك، وهذا يدل على أن خطاب الكراهية كان يولد خطابا أشد تطرفا منه، وأنه كان يمثل تهديدا لوحدة المجتمع وتجانس أفراده؛ لأنه كان يولد في النفوس مشاعر الحقد والضغينة، ويؤدي بالأفراد إلى تبني سلوك عدواني يهدد التعايش المشترك. ويبدو أن العنصرية ضد السود كانت تستمد مشروعيتها من مجموعة الخطابات التي غذت المتخيل العربي الإسلامي، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن بطلان من أن «(الزنجيات) مساويهن كثيرة، وكلما زاد سوادهن، قبحت صورهن، وتحددت أسنانهن، وقل الانتفاع بهن، وخيفت المضرة منهن. والغالب عليهن سوء الأخلاق» (هارون، 1973، ص 374).

كان صمت السلطة السياسية عن خطاب الكراهية ضد السود سببا في تنامي الحقد ضد هذه الفئة، بل إن تلك السلطة دعمت-بشكل غير مباشر- ذلك الخطاب من خلال السياسة التي انتهجها الخلفاء العباسيون تجاه الزنوج الذين استقدموا من إفريقيا للعمل في الحقول، وكانت المعاملة السيئة التي تعرض لها العبيد السود سببا في اندلاع أخطر الثورات في العصر العباسي، ويرتبط الأمر عليها بثورة الزنج التي كانت- في جوهرها- ثورة «عبيد على أسياد... وعد بحياة كريمة يملكون فيها ملك أسيادهم... وقد

استمرت حركة الزنج أربع عشرة سنة، بين سنة 255هـ وسنة 270هـ ... وكانت في أساسها ثورة فقراء مسحوقين على أسياد طغاة ظالمين » (أدونيس، 1979، ص 66)، وقد تزعم هذه الحركة شخص يدعى علي بن محمد بن عبد الرحيم الذي تمكن من إعداد جيش قوي قهر جيوش العباسيين، وقد أغار جيش الزنج على مدينة البصر سنة 257هـ« فقتل من أهلها خلقا، وهرب نائبها بغراج ومن معه، وأحرقت الزنج جامع البصرة ودورا كثيرة، وانتهبوها» (الدمشقي، 1990، صفحة 28).

وقد شكل اقتحام الزنج البصرة موضوع قصيدة نظمها ابن الرومي، استهلها بالتعبير عن الحزن الشديد الذي ألم به جراء الخراب الذي حل بالمدينة، وعن ذلك يقول الشاعر (ابن الرومي، 2002، ص 238):

ذَادَ عَن مُقْلِتي لَذِيذَ المنَامِ ... شُغلُهَا عَنهُ بِالدُّمُوعِ السِّجَامِ
أَيَّ نَومٍ مِن بَعدِ مَا حَلَّ بِالبَصْـ ... ـرَةِ مِنْ تِلْكُمُ الهِنَاتِ العِظَامِ
أَيَّ نومٍ مِن بَعدِ مَا انتَهَكَ الزّنْـ ... ـجُ جِهَاراً مَحَارِمَ الإِسلاَمِ

ثم انتقل ابن الرومي بعد التعبير عن مشاعر حزنه إلى تصوير أوجه الدمار الذي ألحقه الزنج بالبصرة، فأشار إلى انتهاكهم المحارم، وإمعانهم في القتل وسفك الدماء، أما قصد الشاعر من التوقف عند هذا الحدث ورصد مظاهره فقد تجلى في نهاية القصيدة عندما قال ابن الرومي (ابن الرومي، 2002، ص 241):

صَدِّقُوا ظَنَّ إِخْوَةٍ أَمَّلُوكُم ... وَرَجَوْكُمْ لِنَبْوَةِ الأَيَّامِ
أَدْرِكُوا ثَأْرَهُمْ فَذَاكَ لَدَيْهِم ... مِثلُ رَدِّ الأَرْوَاحِ فِي الأَجسَامِ
لَمْ تُقِرُّوا العُيونَ مِنهُم بِنَصْرٍ ... فَأَقِرُّوا عُيونَهُمْ بِانتِقَامِ

يتضح أن غرض ابن الرومي هو تأجيج النفوس الحزينة ضد الزنج وتأليب سكان البصرة عليهم؛ فالشاعر لم يدع إلى تغليب صوت الحكمة والعقل للنظر في الأسباب التي كانت وراء ثورة العبيد السود قصد إيجاد حل نهائي للصراع، كما أنه لم يرجح حلا سلميا من خلال الدعوة إلى الحوار مع السود لمعرفة وجهة نظرهم ثم إقناعهم بإنهاء تمردهم، بل إن الشاعر تبنى خطابا تحريضيا وعمل على نشره، مستثمرا في ذلك حالة الغضب المهيمنة على النفوس جراء مشاهد القتل والإحراق والدمار التي عمت البصرة، فقد دعا الناس إلى الانتقام من الزنج بأسرع وقت ممكن، مؤكدا أن دماء القتل دين في رقبة الأحياء، والواجب يقتضي من هؤلاء أن يهبوا لنصرة إخوتهم الذين قتلوا، وقد أكد الشاعر أن نار الحزن لن تنطفئ إلا بعد قتل الزنج والتنكيل بهم، فالمطلوب هو الانتقام من السود وليس بالضرورة تحقيق النصر عليهم، وهذا ما

يعكس العداء والحقد اللذين كان يكنهما الشاعر-وبعض العباسيين- للزنوج، ولا شك أن هذا الخطاب العدائي لم يوقف ثورة الزنج، بل أسهم في تأجيجها وتعقيدها، والدليل على ذلك أن تمردهم استمر حوالي خمس عشرة سنة، وأدى إلى استنزاف قوة العباسيين.

2-الصراع بين العرب وبين العناصر الأجنبية

أسهمت الفتوحات في اتساع رقعة الدولة الإسلامية واعتناق عناصر أجنبية للدين الجديد، وهو ما أدى إلى تغير على مستوى تركيبة المجتمع الإسلامي الذي أصبح يستمد مقوماته وهويته من روافد ثقافية متنوعة؛ فقد امتزجت العناصر الأجنبية «بالعنصر العربي امتزاجا قويا، فإذا بنا إزاء أمة عربية تتألف من أجناس مختلفة، وقد مضت هذه الأجناس تنصهر في الوعاء العربي حتى غدت كأنها جنس واحد» (ضيف، 2008، ص 89)، وكان يفترض أن تندمج العناصر الجديدة في المجتمع الإسلامي بحيث تكون لهم الواجبات والحقوق نفسها التي تمتع بها العرب، لكن تلك العناصر فوجئت-مع مرور الوقت- بإقصائها من المشاركة في الحياة السياسية ومن تهميش دورها في المجتمع، وهو ما ولد في النفوس السخط والحقد قبل أن يتطور الأمر إلى تبني خطاب كراهية متبادل بين بعض المسلمين المتعصبين لعروبيتهم وبين بعض المسلمين الأعاجم.

2-1-معاداة الفرس للعرب

بلغت حركة الفتوحات الإسلامية أوجها في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه الذي دخل العراق قبل أن يأمر باستكمال مسيرة الفتح شرقا نحو الإمبراطورية السّاسانية، وقد تم النصر للمسلمين بعد معارك عديدة، واعتنق معظم الفرس الإسلام طواعية إيمانا منهم بأن تعاليمه عادلة تضمن المساواة بين جميع الأفراد دون تمييز فيما بينهم، لكن واقع الحال كان خلاف ذلك؛ إذ إن بعض العرب اعتقدوا أنهم أعلى مرتبة من العناصر الأجنبية الحديثة العهد بالإسلام، «وغلا كثير منهم في ذلك، فشعروا بأن الدم العربي الذي يجري في عروقهم دم ممتاز، ليس من جنسه دم الفرس والروم وأشباههم، وتملكهم هذا الشعور بالسيادة والعظمة، فنظروا إلى غيرهم من الأمم نظرة السيد إلى المسود» (أمين، 2007، ص 27)، وقد تجلى استعلاء العرب في إطلاقهم كلمة مولى على المسلمين غير العرب، وبخاصة المسلمين الفرس، «ولما استطال العرب على الموالي واحتقروهم، واعتبروهم دونهم دما وجنسا وشجاعة وخلقا، تولد في نفوس الموالي تيار عكسي نقموا به على العرب لخروجهم على الإسلام الذي يسوي بين أهله، ولا يعرف جنسا ولا طبقة» (الشايب، 1976، ص 269)، وقد عبر الشعراء الموالي عن سخطهم من سياسة الإقصاء، فتبنى بعضهم خطاب كراهية انتقصوا فيه من قدر العرب، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي إسحاق المتوكلي (الحموي، 1993، ص 129):

فَقُل لِبَنِي هَاشِمٍ أَجمَعِينَ ... هَلُمُّوا إِلَى الخلَعِ قَبل النَّدَمْ

وَعُودُوا إِلَى أَرضِكُم بِالحِجَازِ وَأَكلِ الضِّبَاب وَرَعيِ الغَنَمْ

يعكس هذان البيتان الشعور الذي كان يكنه بعض الموالي للعرب، فهؤلاء- حسب الفرس- ليسوا سوى رعاة غنم، اعتادوا الحياة الخشنة في الصحراء، وهم ليسوا أهلا لعيش حياة الترف أو قيادة الأمم الأخرى، ودورهم ينتهي بعد نشر الإسلام في البلاد الأجنبية، إذ ينبغي لهم العودة إلى الحيز الجغرافي الأنسب لهم أي صحراء الحجاز، ويلاحظ أن الشاعر فضل مخاطبة الخصوم "ببني هاشم" بدلا من العرب، أي أنه قصد الحط من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آل بيته، فكأنهم لم يكونوا جديرين بحمل الرسالة وتبليغها إلى الأمم الأخرى، ولا يخفى طابع العداء والكراهية في البيتين، والذي ترافق مع التهديد و الوعيد، إذ إن الشاعر حذر العرب من مغبة الندم في حال عدم استجابتهم لأمره، ويبدو أن الشاعر قد لمح من خلال ذلك إلى أن العرب قد أصبحوا هدفا لأعمال انتقامية من طرف الفرس.

ارتأى بعض الشعراء الموالي توجيه سهامهم إلى الأسس التي تنهل منها الهوية العربية، ويعد الشعر أحد أبرز منابعها، فقد امتاز العرب عن الأمم الأخرى بالفصاحة والبيان، وهو ما تجلى في أشعارهم التي صاغوها وفق قوالب خاصة عكستها البنية الثلاثية للقصيدة، إذ كانت أغلب القصائد تستفتح بالوقوف على الأطلال، يليها مقطع الرحلة، وصولا إلى الغرض الرئيس، وقد حاول بعض الشعراء الموالي التجديد على مستوى الاستهلال، لأنهم فطنوا إلى أن «الالتزام بالمقدمات الطّللية رمز خفي للحضارة العربية وما يتبعها من العصبية العربية والتمييز بين الجنس العربي وسائر الأجناس غير العربية الدخيلة في نطاق الحكم الإسلامي» (منتظري، 2016، ص 116)، ومن ثَمّ دعا بعض الشعراء الموالي إلى ترك الوقوف على الأطلال، يقول عبد الله بن أبي أمية منتقدا نهج الشعراء القدماء (ابن المعتز، 1976، ص 322):

دَع دِرَاسَاتِ الطُّلُولِ وَكُلَّ رَبعٍ مُحِيلِ
وَلَا تَصِف دَارَ سَلمَى ذَرهَا لِكُلّ جَهُولِ

ولم يقتصر الأمر على رفض التقيد بمنهج الشعراء على مستوى الاستهلال، بل اقترنت الدعوة إلى التحرر من المقدمة الطّللية باحتقار العرب، وعن ذلك يقول أبو نواس (ابن المعتز، 1976، ص 200-201):

دعِ الأَطلالَ تَسفيها الجَنوبُ وَتُبلِي عَهدَ جِدَّتِها الخُطوبُ
وَخَلِّ لِراكِبِ الوَجناءِ أَرضاً تَخُبُّ بِها النَّجِيبَةُ وَالنَّجِيبُ
بِلادٌ نَبتُهَا عُشَرٌ وَطَلحٌ وَأَكثَرُ صَيدِهَا ضَبعٌ وَذِيبُ
وَلا تَأخُذ عَنِ الأَعْرَابِ لَهواً وَلَا عَيشاً فَعَيشُهُم جَدِيبُ
دَعِ الأَلبَانَ يَشرَبُها رِجالٌ رَقِيقُ العَيشِ بَينَهُم غَرِيبُ
إِذا رابَ الحَلِيبُ فَبُل عَلَيهِ وَلا تُحرَج فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ
فَأَطيَبُ مِنهُ صافِيَةٌ شَمولٌ يَطوفُ بِكَأسِها ساقٍ أَدِيبُ

تكشف أبيات أبي نواس عن احتقار شديد للعرب ولعاداتهم، وهو ما عكسته أفعال الأمر التي وجهها الشاعر إلى أنصاره، داعيا إياهم إلى نبذ كل ما يمت بصلة للهوية العربية، والتي اختزلها الشاعر في عيش البداوة وشرب حليب النوق، ودعا -بالمقابل- إلى تبني قيم جديدة، أهمها شرب الخمر التي ارتبطت بالترف وبحياة اللهو اللذين ميزا الحضارة الفارسية. وهكذا يتضح أن سوء المعاملة التي استشعرها الفرس دفعتهم إلى تبني خطاب معاد للعنصر العربي؛ إذ رأوا أنه دخيل على ثقافتهم، لا يحترم حقوق الآخرين، ولا يسعى إلى بث قيم التسامح التي دعا إليها الإسلام، مما أدى إلى سخط العنصر الفارسي، وهو ما عكسه خطاب الكراهية ضد العرب في شعر الموالي، وقد اقترن ذلك الكره-في العديد من الأحيان- بنزعة التعالي على العرب وبفخر الفرس بأمجادهم القديمة وبانتمائهم للعجم.

2-2- استعلاء العرب على البربر

يعد البربر أهم عنصر أجنبي اصطدم به العرب بعد فتح الغرب الإسلامي، وهناك روايات عدة بخصوص تسمية تلك العناصر بالبربر، إحداها أن القائد اليمني أفريقش، الذي غزى المغرب وإفريقية، رأى في المغرب أفرادا «من الأعاجم، وسمع رطانتهم، ووعى اختلافها وتنوعها، تعجب من ذلك، وقال: ما أكثر بربرتكم، فسموا البربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة» (ابن خلدون، 2019، ص 1597)، وقد حمل الفاتحون العرب في أذهانهم صورة سلبية عن البربر، صورة غذتها مجموعة من المصادر التاريخية والجغرافية، فضلا عن بعض الأحاديث النبوية المنحولة، ومفادها أن البربر أشر الناس، يغلب عليهم الطيش والتهور، وأنهم أسرع الناس إلى الفتن (حقي، 2001، ص 139-140). ورغم محاولة العرب المسلمين إدماج البربر في الحياة العامة، من خلال إلحاقهم بصفوف الجيش وإسناد بعض المناصب الإدارية إليهم، بيد أن نزعة احتقار العرب للبربر لم تمح من بعض الصدور؛ إذ عانى قسم كبير من البرابرة-على غرار الموالي الفرس- من انتشار الظلم والطغيان الأموي، وهو ما أفرز مجموعة من الثورات التي أعلن أصحابها الخروج عن طاعة العرب (حقي، 2001، ص199)، وقد قابل الأمويون تلك الثورات بالعنف، كما واجهوها بخطاب عدائي، أظهروا فيه احتقارهم للبربر، وهو ما عبر عنه سليمان المستعين بالله بقوله (التلمساني، 1968، ص 430):

فَوَاعَجَبًا مِنْ عَبْشَمِيّ مُمَلَّكٍ ... بِرُغمِ العَوَالِي وَالمعَالِي تَبَرْبَرَا
فَلَو أَنَّ أَمْرِي بِالخِيَارِ نَبَذْتَهُم ... وَحَاكَمْتُهُم لِلسَّيفِ حُكْمًا مُحَرَّرَا
فَإِمَّا حَيَاةٌ تُسْتَلَذُّ بِفَقدِهِم ... وَإِمَّا حِمَامٌ لَا نَرَى فِيهِ مَا زَرَى

فهذا القائد الشاعر قد أعرب عن دهشته من جرأة البربر وإقدامهم على مواجهة الأمويين، فهم ليسوا-في نظره- سوى عبيد مملكين، لاحق لهم في المطالبة بالعدل أو المساواة، بل إن الشاعر قد ذهب أبعد من ذلك عندما أكد أن البربر لا يفهمون إلا لغة السيف، وأن الحياة لا تستقيم إلا بقتلهم،ولذلك يمكن

القول إن الأبيات السابقة تعكس بجلاء خطاب الكراهية الذي تغذيه «مجموعة من المشاعر الشاذة أو المتطرفة، التي قد تظهر في شكل نظرة احتقار وعداء اتجاه جماعات أو أفراد، وقد يتطور الأمر أحيانا إلى التحريض على العنف»(Angeliki Koukoutsaki-Monnier, 2019, p. 3) .

إن خطاب الكراهية، الموجه ضد البربر، يرتكز على الإيمان بأن العرق العربي أسمى من بقية الأعراق، ولا شك أن أصحاب هذا الخطاب يعتقدون أن فتحهم البلدان الأجنبية وحملهم راية الإسلام يمنحهم امتيازا عن بقية الشعوب التي يقتصر دورها على خدمة العرب الفاتحين، وتقديم فروض الطاعة لهم، وهو ما يمثل انتهاكا واضحا لتعاليم الإسلام الذي لم يدع إلى تأسيس المجتمع على أساس عرقي.

كانت التحالفات السياسية التي عقدها الأمويون في الأندلس أهم عامل وراء بلورة خطاب كراهية ضد الفصائل المنشقة أو الثائرة، وهو ما يتضح في حالة المرتضى المرواني الذي تقلد منصب خليفة المسلمين بقرطبة، وقد عقد هذا الأمير تحالفات عدة من بينها تحالفه مع البربر، وعندما توترت العلاقة بين الطرفين، وخرج البربر عن سيطرة الحاكم الأموي، هاجمهم الخليفة قائلا (التلمساني، 1968، ص 430):

قَد بَلَغَ البَرْبَرُ فينَا بنًا ... مَا أَفسَدَ الأَحوَالَ وَالنَّظْمَا
كَالسَّهمِ للطَّائِرِ لَولاَ الَّذِي ... فِيهِ مِنَ الرِّيشِ لما أَصمَى
قُومُوا بِنَا فِي شَأنِهِم قَومَةً ... تُزِيلُ عَنَّا العَارَ وَالرَّغْمَا
إِمَّا بِهَا نُمَلَّكُ، أَو لَا نَرَى ... مَا يَرجِعُ الطَّرفُ بِهِ أَعمَى

يرى المرتضى المرواني أن البربر هم سبب الفساد الذي حل بالأندلس وأهلها، وأن عودة الاستقرار والأمن لن تتم إلا باستئصال جذور هذا العرق من الأندلس، ومن ثمّ حرض الحاكم الأموي أنصاره على قتل البربر لإزالة العار الذي لحق بهم. إن الأمر يتعلق بقضية حياة أو موت؛ إذ إن القائد الأموي يرى أن التعايش مع البربر أضحى مستحيلا، فهم أصل الفتن والشر، ويلاحظ أن المرتضى المرواني تجنب- في خطابه- ذكر رابطة الدين التي تجمع العرب بالبربر، والتي جعلت منهم أمة واحدة موحدة؛ لأنه يعلم أن استحضار تلك الرابطة سيؤدي إلى إشاعة قيم التسامح و التعايش مع الآخر، وهو ما يتناقض مع أهداف الحاكم الأموي الذي كان يتوق إلى الانتقام من البربر الذين خذلوه، ورفضوا الانصياع لأوامره.

ولم يكن خطاب الكراهية ضد البربر-دائما- مقصودا في ذاته، وهو ما ينطبق على حالة الشاعر ابن فرج الإلبيري الأندلسي المعروف باسم السُّمَيْسِر الذي «كانت تغلب عليه شعوبية حمل بها على العرب حملة شديدة سفيهة» (فروخ، 1981، ص 683)، كما عرف بهجائه المر الذي لم يسلم منه أحد بما في ذلك الملوك، وكان المعتصم بالله، ثاني حكام طائفة ألمرية، قد اكتوى بهجاء الشاعر، فـ«احتال في طلبه حتى

حصل في قبضته، ثم قال له: أنشدني ما قلت فيَّ، فقال له: وحق من حصلني في يدك ما قلت شرا فيك، وإنما قلت:

رَأَيتُ آدمَ فِي نَومِي فَقُلتُ لَهُ ... أَبَا البَرِيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَد حَكَمُوا

أَنَّ البَرَابِرَ نَسلٌ مِنكَ قَالَ إِذَن ... حَوَّاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا» (التلمساني، 1968، ص 412)

إن ما يثير الاهتمام في هذا الخبر هو أن الشاعر الذي نفى تهمة الهجاء عن نفسه لم ينظم قصيدة مدح يطلب بها ود الأمير، بل فضل هجاء البربر؛ لأنه يعلم أن الحاكم العربي يبغضهم، وأنه يفضل سماع ما يحط من قدر البربر بدلا من سماع قصيدة تمجده، ويبدو أن عفو الحاكم عن الشاعر وعدم اعتراضه على البيتين دليل على إجازته لخطاب الكراهية ضد البربر، وتشجعيه على إنتاج ذلك الخطاب الذي ينسجم مع نزعة الاستعلاء عند بعض العناصر العربية.

3-الكراهية على أساس قبلي

تختلف دوافع إنتاج خطاب الكراهية من سياق ثقافي إلى آخر، ويمكن القول إن العصبية القبلية هي أحد أقدم تلك الدوافع عند العرب؛ إذ تزخر أيام العرب في الجاهلية بكثرة الحروب والفتن التي اندلعت بسبب رابطة الانتماء إلى القبيلة، ويرتبط الأمر بـ«دعوة مفرقة تقوم على تناصر فريق ضد آخر في حالة النزاع والخصام، مما يذكي نار الفتنة، ويشعل الحرب بين القبائل، ولم يكن هذا التناصر العصبي أو النصرة القبلية يستهدف دائما إلى إقرار الحق، أو إنصاف المظلوم، بل كان يستهدف مؤازرة المتعصب له سواء كان ظالما أو مظلوما» (الجابري، 2018، ص 166)، ولما كان الشعر بمثابة جهاز إعلامي عند العرب القدامى، فقد تم توظيفه لنشر خطاب العصبية، بل إن القصائد الشعرية كانت-في بعض الأحيان- « هي المحرك لبعض الأمور والمثيرة للمشاكل والداعية للقتل» (عبد الفتاح، 2008، ص 53)، وهو ما ينطبق على قبيلتي بني كعب بن ربيعة المضرية وبني شيبان بن ثعلبة المتصارعتين، ففي أوج ذلك الصراع، تعصب الأعشى لبني كعب، وخاطب خصومهم قائلا (الأعشى، 1950، ص 77):

وَلَنْ تَنتَهُوا حَتَّى تَكَسَّرَ بَيننَا ... رِمَاحٌ بِأَيْدِي شُجْعَةٍ وَقَوَائِمُ

وَحَتَّى يَبِيتَ القَومُ فِي الصَّفِّ ... لَيلَةً يَقُولُونَ نَوِّرْ صبحُ، وَاللَّيلُ عَاتِمُ

وُقُوفاً وَرَاءَ الطَّعنِ، وَالخَيلُ تَحتَهُمْ، ... تُشَدَّ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ القَوَادِمُ

لقد أكد الشاعر استحالة وجود حل سلمي لإنهاء الصراع بين القبيلتين، فالحرب وحدها هي التي ستضع حدا للخصومة، وستنهي حالة التوتر السائدة بين الطرفين. لقد أعمت العصبية عيني الشاعر، وجعلته يتغاضى عن الحقيقة؛ إذ إن أحد أفراد قبيلة بني كعب-التي تعصب لها الشاعر- هو الذي بادر إلى قتل

رجل من بني شيبان، فأمر يزيد بن مسهر الشيباني-أحد سادة قبيلة بني شيبان- بالثأر للقتيل، وذلك بـ«أن يقتلوا به "سيدا " من بني كعب» (الزركلي، 2002، صفحة 188).

لقد كان الثأر عادة مألوفة في الجاهلية، ولذلك فدفاع الشاعر عن بني كعب لا مبرر له، ولو كان الأعشى حريصا على حقن الدماء، لأمر بتقديم دية لأهل الضحية، لكن العصبية أعمت بصيرته، وجعلته يقف إلى جانب المعتدي، ويدافع عنه، بل إنه أنتج خطابا يحرض فيه على قتل بني شيبان، وكأن إزهاق أرواح الخصم أمر مشروع، بينما قتل أنصار الشاعر محرم وغير مقبول، وهو ما يعكس ازدواجية معايير الشاعر في الحكم على الوقائع، وعدم مساواته بين الناس، فهو يجعل بعضهم أفضل من بعض بناء على رابطة القبيلة، وبموجب ذلك يصبح قتل الآخر والقضاء عليه أمرا مشروعا ومستباحا.

أسهم ظهور الإسلام في إطفاء نار العصبية الجاهلية، لكن التطورات التي شهدتها الدولة الإسلامية، في نهاية الخلافة الراشيدية، كشفت أن جذوة تلك النار لم تنطفئ، بل كانت تنتظر أدنى فرصة للعودة من جديد، فـ« العصبية حالة لا تتلاشى في بناء المجتمعات البشرية، فهي ربما تجري تنحيتها أو اختفاؤها، ولكنها تظهر، ومن الضروري أن تظهر بأشكال مختلفة» (محمود، 1999، ص 104)، ويعد الشعر الأموي أهم خطاب تجلت فيه مظاهر العصبية وكره الآخر، يقول زياد الأعجم في هجاء بني أشقر، بطن الشاعر كعب الأشقري (الأعجم، 1983، ص 85):

قَالُوا الأَشَاقِرُ تَهجُوكُم فَقُلتُ لَهُم ... مَا كُنتُ أَحسِبُهم كَانُوا وَلَا خُلِقُوا
وَهُم مِنَ الحَسَبِ الذَّاكِي بِمَنزِلَةٍ ... كَطُحلُبِ المَاءِ لاَ أَصلٌ وَلاَ وَرَقُ
لَا يَكْثُرُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُم ... وَلَو يَبُولُ عَلَيهِم ثَعلَبٌ غَرِقُوا

إن الهجاء الموجه لبني الأشقر لا يستند على حقائق موجودة على أرض الواقع، فالصورة السلبية التي أسندها زياد الأعجم للقبيلة تستمد مقوماتها من الحقد والكره اللذين يكنهما الشاعر لخصومه، دون أن يأتي بدليل يثبت صحة دعواه، فالشاعر يزعم أن القبيلة المذكورة لا وجود لها، وحتى لو وجدت فإن نسبها وضيع لا يمكن الاعتداد به، ولذلك فوجودها وعدمها سواء، وتكتمل صورة الاحتقار للقبيلة في البيت الثالث الذي تهكم فيه الشاعر من قبيلة بني الأشقر عندما أكد أنها قليلة العدد، لا يزداد عدد أفرادها مهما عمّروا، فكأن نساءها ورجالها مصابون بالعقم، ولذلك تهكم الشاعر منهم، فهو يرى أن بول الثعلب يكفي لإغراق بني شيبان، وبالتالي فهم أضعف من أن يصمدوا أمام الجيوش الجرارة. ولا يخفى أن الصورة السلبية التي رسمها الشاعر للقبيلة لم يكن القصد منها الهزل أو إثارة ضحك المتلقي، بل حاول الشاعر أيضا إقناع المتلقي بقطع أي صلة مع بني الأشقر أو تجنب الحلول بهذه القبيلة؛ لأن جميع المزايا التي يفخر بها العرب، من كثرة الولد وشرف النسب، قد انتفت عنها.

ومن الأمثلة البارزة على قوة خطاب الكراهية في الشعر الأموي وتأثيره السلبي في النفوس ما يتصل بهجاء قبيلة بني نمير، فقد «قال أبو عبيدة: كان الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: نميري كما ترى، فما هو إلا أن قال جرير:

فَغُضَّ الطَّرفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلاَبَا

فصار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟، قال: من بني عامر. قال: فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوما آخرين:

وَسَوفَ يَزِيدُكُم ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الهِجَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ

(الجاحظ ، 1995، ص 35).

كان أفراد قبيلة بني نمير يعتزون بانتمائهم إليها، فلما قال فيهم الشاعر بيته، أصبحوا يتبرؤون من انتمائهم القبلي، ويدّعون أنهم من بني عامر، ويلاحظ أن الشاعر قد أثبت وضاعة بني نمير من خلال مقارنتها بقبيلتي كعب وبني كليب اللتان تحتلان-حسب الشاعر- قمة الهرم الاجتماعي، وهذا النوع من المقارنة هو أحد سمات الخطاب العنصري «الذي يحرص فيه المتكلم على تقديم صورة إيجابية عن نفسه، بينما يعرض صورة سلبية عن الآخر، وفي هذا الخطاب تحضر ثنائية: نحن/هم، ويتم ترسيخ هذه الثنائية من خلال توظيف الاستعارة وأسلوب المبالغة والنفي والسرد والإقناع.. وغيرها من الأساليب التي يتم تبرز التمايز القائم بين ((النحن)) وبين الـ((هم))»(Dijk, 2005, p. 45) . وقد تبنى شاعر آخر، وهو أبو الرديني العكلي، الخطاب نفسه، فنظم أبياتا تحط من قدر بني نمير، فهددوه بالقتل، فتحداهم الشاعر قائلا:«

أَتُوعِدُنِي لِتَقتُلَنِي نُمَيرُ مَتَى قَتَلَت نُمَيرُ مَنْ هَجَاهَا

فشد عليه رجل منهم فقتله» (الجاحظ، 1995، ص 35)، وهذا ما يؤكد خطورة خطاب الكراهية، فأصحابه يؤثرون بأفكارهم في الناس، وكلما تزايد أعداد المؤمنين به، كلما تزايدت فرص الصراع مع الآخر، وقلت فرص التعايش معه.

لقد أسهم بعض الشعراء الأمويين في تأجيج نار الخصومة بين القبائل، فبدلا من السعي إلى الصلح وتقريب وجهات النظر، نصّب بعض الشعراء أنفسهم للدفاع عن قبائلهم، فصبوا بقصائدهم الزيت على نار الخصومة، وتبنوا خطابا عدوانيا زاد من تعقيد الصراع ومن طول أمده، ويمكن أن نذكر في هذا النطاق الخصومة بين الطّرماح بن حكيم الطائي وبين الفرزدق التميمي، فقد قال الأول ساخرا من قبيلة الثاني (الطّرماح، 1994، ص 74-77):

تَمِيمُ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ القَطَا لَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ المكَارِمِ ضَلَّتِ

....

وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمْلَةٍ يَكُرُّ عَلَى صَفَّيْ تَمِيمٍ لَوَلَّتِ

وَلَو أَنَّ أُمَّ العَنكَبُوتِ بَنَت لَهُم مِظَلَّتَهَا يومَ النَّدَى لأَكَنَّتِ

يلاحظ أن الطرماح قد وظف الآليات نفسها التي جاءت في أبيات جرير، إذ إنه جاء بأسلوب المبالغة لإثبات جبن قبيلة الفرزدق التي أضحت تتوهم البرغوث فارسا جبارا يريد الفتك بها، فيهرب رجالها خوفا منه، كما أن الشاعر ادعى أن تميما قليلة العدد، فبيت العنكبوت يكفي لتستظل تحته القبيلة، ولم يكن هذا الخطاب التهكمي ليمر مر الكرام، فقد رد الفرزدق على الطّرماح قائلا (الفرزدق، 1987، ص 107):

أَتَذكُرُ شَأنَ الأَزدِ ما أَنتَ مِنهُمُ وَما لَقِيَت مِنّا عُمانُ وَذَلَّتِ

قَتَلناهُمُ حَتّى أَبَرنا شَريدَهُم وَقَد سُبِيَت نِسوانُهُم وَاستُحِلَّتِ

نَسِيتُم بِقِندابيلَ يَوماً مُذَكَّراً شَهيراً وَقَتلَى الأَزدِ بِالقَاعِ جُرَّتِ

ذكر الفرزدق ما صنعه هلال بن أحوز المازني التميمي بقبيلة الطّرماح، أي الأزد وبما حل بقبيلة عمان، فالقائد التميمي قد أخمد ثورة الخصوم، وأشاع فيهم القتل، وسبى نساءهم في واقعة قندابيل، وهذا نفي لكل ما ادعاه الطّرماح، كما استحضر الفرزدق التنكيل الذي تعرضت له جثث قتلى الأزد، ولا شك أن إثارة هذه الذكرى لن يؤدي إلى إخماد العداوة والكره بين الشاعرين، بل سيشعل نار الحقد، وسيغذي خطاب الكراهية، وربما أن إثارة ذكر القتل ستولد الرغبة في الانتقام.

4- الكراهية في الشعر السياسي

بنى الأمويون حكمهم السياسي على أساس عصبي قبلي، وقد ساعدهم تحالفهم مع قبائل أخرى في توطيد ركائز حكمهم، لكنهم-في المقابل- اضطهدوا الأحزاب والقبائل المعارضة لهم، وهو ما أدى إلى «نشوء حركات مناهضة للأمويين، وتمرد ونزوعات فكرية وفلسفية» (محمود، 1999، ص 120)، وتعد واقعة الحرّة أحد أبرز الثورات التي واجهت الأمويين، وقد انطلقت شرارتها من المدينة التي رفض أهلها مبايعة يزيد بن معاوية، وهي الواقعة التي قتل فيها بعض أقارب ابن قيس الرقيات، فنظم الشاعر قصيدة رثاهم فيها، قبل أن يهاجم الأمويين قائلا (الرقيات، 1997، ص 156):

كَيفَ الرَّقادُ وكُلَّمَا هَجَعَتْ عَيْنَيَّ أَلَمَّ خَيَالُ إِخْوَتِيَهْ

تَبكِي لَهُمْ أَسمَاءُ مُعْوِلَةً وَتَقُولُ لَيلَى وَا رَزِيَّتِيَهْ

واللهِ أَبرَحُ فِي مُقَدِّمَةٍ أهْدِي الجُيُوشَ عَلَيَّ شِكَّتِيَهْ

حَتَّى أُجَمِّعَهُمْ بِإِخوَتِهِمْ وَأَسُوقَ نِسْوَتَهُمْ بِنِسوَتِيَهْ

عبر الشاعر عن الألم العميق الذي حل به بعد علمه بمقتل أهله، وأكد أن ردة فعله لن تكون مثل أسماء وليلى؛ فهو لن يكتفي بالبكاء والعويل، بل سيثأر من بني أمية، لأن نفسه لن تهدأ حتى يقتل رجالهم ويسبي نساءهم، وقد أقسم الشاعر بأنه سيكون في مقدمة الجيش الذي سيزحف نحو بني أمية، ولكن ممن سيتكون هذا الجيش؟

القصيدة التي رثى فيها ابن قيس أهله لا تعبر عن مشاعر صاحبها فقط، فهي لسان معبر عن حال كل من فقد عزيزا له في واقعة الحرة، وقد حرص الشاعر على شحن النفوس الحزينة بالكراهية ضد الأمويين الذين قتلوا-حسب إحدى الروايات-« سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالي، وممن لا يعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف» (الدمشقي، 1988، ص 242)، ولا شك أن وراء هذا العدد الكبير من القتلى عدد أكبر من الأقارب الذين يتوقون إلى الثأر من القتلة، ومن هنا جاءت قصيدة الرقيات لحشد همم النفوس وتحريضها على الانتقام دون الاحتكام إلى مقتضيات الشريعة، وذلك من خلال طلب الفدية أو القصاص أو غيرها من أشكال العقاب التي تتوافق مع السنن والقوانين، و هي ضوابط من شأنها أن تحقن الدماء، وتطفئ الغضب الكامن في النفوس بعيدا عن قانون الغاب.

ولم تكن واقعة الحرة الثورة الوحيدة التي واجهها الأمويون؛ فالقمع الذي واجهوا به معارضيهم أدى إلى اندلاع ثورات أخرى عجلت بسقوط الدولة الأموية، لكن العداء الدفين في النفوس لم يهدأ بعد قيام الدولة العباسية؛ إذ دعا البعض إلى القصاص من بني أمية، والشاعر سديف بن ميمون أحد أولئك الذين رفضوا العفو عن الأمويين، فهو القائل (الأصفهاني، 2008، ص 245):

كَيْفَ بِالعَفْوِ عَنهُم وَقَدِيمًا ... قَتَلُوكُم وَهَتَكُوا الحُرُمَاتِ

....

قَتَلُوا آلَ أَحمَدَ لَا عَفَا ... الذَّنبَ لمروَانَ غَافِرُ السَّيِّئَاتِ

حَضَرَ الشَّرَّ يَا أُمَيَّةَ فَانْعَيْ ... عَيْشَ دُنيَاكِ وَانْذَنِي بِالشَّتَاتِ

يظهر أن الرغبة في الثأر دفعت سديف إلى تبني خطاب الكراهية والعمل على نشره في صفوف العباسيين، مذكرا إياهم بالجرائم التي اقترفها الأمويين في حق خصومهم، ولم يأل الشاعر جهدا لنشر خطابه المعادي للأمويين، فقد بلغه أن بعض أشراف بني أمية قصدوا الخليفة العباسي السفاح لمبايعته وطلب الأمان لديه، فسارع الشاعر إلى مجلس الخليفة، فلما دخل، ورأى سليمان بن هشام الأموي وهو يجلس على السرير بجوار الخليفة العباسي، قال سديف:«

لاَ يَغُرَّنَّكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ ... إِنَّ تَحتَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيَّا

فَضَعِ السَّيفَ وَارفَعِ السَّوطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوقَ ظَهرِهَا أَمَوِيًّا

واستمر في القصيدة حتى أتى على آخرها، وأبو العباس يغتاظ ويحنق ويتلون. فقال سليمان بن هشام لسديف: قاتلك الله ألا تسكت؟ فلما قال ذلك اشتد غضب أبي العباس. ونظر إلى رجال خراسان وهم وقوف بالأعمدة، فقال لهم بالفارسية: «دهيد»، يعني اضربوا. فشدخوا رؤوسهم بالأعمدة حتى أتوا على آخرهم... ثم جمعهم وأمر بالأنطاع، فبسطت عليهم ثم جلس فوقهم، ودعا بالغداء فتغدى وهم تحته، وكان بعض القوم فيه بقية حياة يتحرك، وفيهم من يسمع أنينه. فلما فرغ الخليفة السفاح من غذائه، قيل له: يا أمير المؤمنين، هلا أمرت بهم فدفنوا أو حولوا إلى مكان آخر، فإن رائحتهم تؤذيك؟ قال: والله إن هذه الرائحة لأطيب عندي من رائحة المسك والعنبر، الآن سكن غليلي» (ابن المعتز، 1976، ص 62).

كان القول الشعري-وحده- كافيا لتغيير موقف الخليفة العباسي الذي عبر، في البداية، عن استعداده للعفو عن بني أمية، والتغاضي عن الجرائم التي اقترفوها، فقد استقبل وفدهم، بل إنه قرب أحد أمرائهم منه، وأجلسه بجواره تأكيدا منه على خلو قلبه من الحقد أو الرغبة في الانتقام، وهو ما لم يرق لسديف الذي وظف التخييل الشعري لتغيير موقف الخليفة العباسي، فمن المعلوم أن الأقاويل الشعرية تستعمل « في مخاطبة إنسان يستنهض لفعل شيء ما، باستقرار إليه واستدراج نحوه: وذلك إما أن يكون الإنسان المستدرج لا روية له ترشده، فينهض نحو الفعل الذي يلتمس منه بالتخييل، فيقوم التخييل مقام الروية، وإما أن يكون إنسان له روية في الذي يلتمس منه ولا يؤمن إذا روى فيه أن يمتنع، فيعاجل بالأقاويل الكاذبة، ليسبق بالتخييل رويته حتى يبادر إلى ذلك الفعل» (الفارابي، 1931، ص 27)، وهو ما حدث مع الخليفة العباسي، فهو رجل ذو روية، يتمتع بذكاء وحكمة، لكن الشاعر لم يخاطب الجانب العقلي لدى السفاح، بل خاطب الجانب العاطفي فيه، موظفا مقدمات كاذبة عندما ادعى أن ظاهر بني أمية مخالف لباطنهم، فهم يكنون الغدر للعباسيين، لكن الشاعر لم يقدم ما يدعم هذه الدعوى، وبادر إلى التحريض على بني أمية من خلال الدعوة إلى التعامل معهم بالعنف، وقد نجح الشاعر في إقناع العباس السفاح؛ إذ إنه أوقد الغل في قلبه من جديد، وصور له جلساءه في هيئة عدو مقيت، فلم يجد الخليفة العباسي بدا من إطفاء نار الحقد، وذلك بالتخلص من ضيوفه، ويبدو أن تأثير خطاب الكراهية في الخليفة قد بلغ حدا كبير؛ لأنه لم يكتف بقتل بني أمية، بل تلذذ برائحة الدماء المنبعثة من جثتهم وهو يتناول الطعام فوق جثتهم، وهذا دليل قوي على التأثير الكبير الذي يحدثه خطاب الكراهية في النفوس، فهو يصور الصديق في صورة عدو، ويدفع بالناس إلى تبني العنف، فيرون فيه الحل الوحيد لمعالجة المشاكل، وهو لا يترك أدنى فرصة للتسامح مع الآخر أو العفو عنه.

تعد الأعياد الدينية من المناسبات التي يفترض أن تشيع فيها مشاعر الفرح والتسامح، فقد دعا الإسلام إلى اغتنام هذه الأعياد للصفح عن الآخرين وإلى صلة الرحم والمبادرة إلى فعل الخيرات، لكن الأديب أبا إسحاق الصّابي قد تبنى توجها مناقضا عندما هنأ صمصام الدولة البويهي بعيد الأضحى قائلا (الثعالبي، 1983، ص 330-331):

صَمْصَامُ حَربٍ وَغَيثُ سِلمٍ ... نَاهِيكَ فِي البَأسِ وَالسَّمَاح
اِسعدْ بِفِطرٍ مَضَى وَأَضْحَى ... وَافَاكَ بِاليُمْنِ وَالنَّجَاح
وانْحَرْ أَعَادِي بَنِي بُوَيْهٍ ... بِالسَّيفِ فِي جُملَةِ الأَضَاحِي

يقوم خطاب الكراهية عند الأديب على المماثلة بين الأعداء والمواشي؛ فالسجن أو النفي أو القتل ليس عقابا مناسبا للخصوم السياسيين، فهؤلاء ينبغي نحرهم؛ لأنهم يدخلون في جملة الأضاحي، ولا ينبغي التعامل معهم بصفتهم بشرا، ومن ثمّ فإن نحر الأعداء سيمثل-بدوره- عيدا جديدا لبني بويه، وهذه الدعوة إلى القضاء على الآخر تكرس خطاب الإقصاء لكل مخالف للسلطة التي تعتمد الازدواجية في تعاملها مع الرعية؛ فهي تعتمد الحرب والبأس مع المخالفين لتوجهاتها، بينما تجنح إلى السلم والتسامح مع أنصارها، وهو ما من شأنه أن يلغي الاختلاف والتعددية الفكرية اللتان تقوم عليهما الحضارات والمجتمعات الإنسانية.

خاتمة

استثمر بعض الشعراء العرب القدامى تداول الشعر بين الناس وتأثيره القوي فيهم لنشر خطاب الكراهية، وقد ورد هذا الخطاب في ثنايا قصائد الرثاء والمدح والفخر؛ إذ لم يكتف الشعراء بالتعبير عن أحاسيسهم أو نقل بعض الأحداث الواقعية، بل سعوا إلى التحريض ضد بعض الأفراد والجماعات، وقد كشفت الدراسة الحالية عن مجموعة من النتائج، أهمها:

- ✓ أن الخطاب العدائي ضد الآخر ارتكز على عنصر اللون أو العرق أو الانتماء القبلي أو التوجه السياسي؛
- ✓ تشكل ثنائية نحن/هم محور خطاب الكراهية في الشعر العربي القديم؛
- ✓ خرق بعض الشعراء قيم التسامح التي دعا إليها الإسلام، وفضلوا التعصب لجماعتهم أو لرأيهم الخاص؛
- ✓ رفض بعض الشعراء مبدأ الاختلاف مع الآخر، ورأوا أنه يشكل خطرا وجوديا عليهم، ومن ثم حرضوا على إقصائه أو تصفيته جسديا؛

✓ ولد خطاب الكراهية خطابا أشد تطرفا منه، وهو ما أسهم في تعقيد الخلافات وتأجيجها بدلا من حلها.

✓ ترتكز الأقاويل الشعرية -في خطاب الكراهية- على مقدمات كاذبة، تخاطب الوجدان والمشاعر، ولا تحتكم إلى المنطق أو إلى أدلة واقعية؛

✓ أسهم خطاب الكراهية في بث جو من العداء والحقد بين الجماعات، وهو ما أدى إلى اندلاع العنف أو تهميش بعض الجماعات.

لائحة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

1-إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة: عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 1999.

2- ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق أحمد حسن بسج، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت،.2002

3-ابن المعتز عبد الله، طبقات الشعراء، ط3، دار المعارف، القاهرة،.1976

4-الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، ط3، دار صادر، بيروت، 2008.

5-أمين أحمد، ضحى الإسلام، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

6-التبريزي الخطيب، شرح ديوان عنترة، ط1، دار الكتاب العربي،1992.

7-التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،.1968

8-التميمي همام بن صعصعة (الفرزدق)، ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

9-الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2018.

10-حقي محمد، البربر في الأندلس: دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، ط1،شركة النشر والتوزيع الدارس: الدار البيضاء، 2001.

11-الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

12-الدمشقي ابن كثير، البداية والنهاية، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.

13-الدمشقي ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990.

14-الرقيات عبيد الله بن قيس، ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، 1997.
15-الزركلي خير الدين، كتاب الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 .
16-زياد الأعجم، شعر زياد الأعجم، تحقيق يوسف حسين بكار، ط1، دار المسيرة، الأردن،1983.
17-سعيد علي أحمد (أدونيس)، الثابت والمتحول، ط2، دار العودة، بيروت، 1979.
18-الشايب أحمد، تاريخ الشعر السياسي، مطبعة نهضة مصر،1976.
19-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 2008.
20-عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2019 .
21-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحاده - سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 2001.
22-عبد الفتاح كمال حسن، شعر التحريض السياسي في العصر العباسي الأول، مجلة سر من رأى، مج 4، ع11، 2008.
23-عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1983.
24-عمرو بن بحر الكناني(الجاحظ)، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1995.
25-عمرو بن بحر الكناني(الجاحظ)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الغاجي، القاهرة، 1964.
26-الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان محمد أمين، ط1، مطبعة الخانجي، القاهرة،1931.
27-فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،1981.
28-قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1302.
29-منتظري ازاداه، قراءة سوسيولوجية في تجديد أبي نواس الشعري. إضاءات نقدية، 2016.
30-ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1950.
31-هارون عبد السلام محمد، نوادر المخطوطات، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1973.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1-Angeliki Koukoutsaki-Monnier, Annabelle Seoane, Discours de haine sur l'internet. *Publictionnaire. Dictionnaire encyclopédique et critique des publics* Université de Lorraine,2019.

2-Teun A. van Dijk,Le racisme dans le discours des élites, Dans Multitudes 2005/4 (no 23), pages 41 à 52.

ألفـاظ الريـاح بـين الرحمـة والعـذاب
دراسـة دلاليـة في البيـان القرآني
The words of the wind between mercy and torment
A semantic study in the Qur'anic statemnt

- د .صلاح الدين المرغني رجب الطبال قسم اللغة العربية – كلية الآداب- جامعة طرابلس
- د. عز الدين سلطان البشير، قسم اللغة العربية – كلية اللغات – جامعة الزيتونة –بترهونـــــــــة

ملخص البحث

خلق الله الرياح هذا المخلوق العظيم وأودع فيه أسراراً عظيمة منها ما هو مفيد للأعيان ومنها ماهو محرق قاتل مشتت للجماعات على الرغم من أن كلا الصنفين فيهما الخير ؛لأن الله -جل جلاله- لا يأتي منه إلا الخير،فبه توجد المياه الباردة المفعمة ب الخير والنماء والازدهار رحمة للعالمين.

حيث وجدنا الرياح الفتاكة القاسم للجبابرة التي تسمح وتقل كل شي أتت عليه بأمر ربها جزاء لمن كان كفر .

فالرياح جند من جنود الله يسخرها كيفما يشاء ،وجعلها الله أداة رعب لكل عاصي جبار متكبير،فكم من أمم قد مزقتهم الرياح وشتت شملهم كقوم عاد وثمود وجعل منها ذات النسائم العليلة والمبشرة بكل خير نبتالاشجار وتجلب السحب وتقتل الجراثيم في الجو وتقلل من آثار الجريمة وتقلل آثار الأدخنة و المخلفات الكيميائية والميكانيكة.

(Research Summary)

God created the winds this great creature and deposited in it great secrets, some of which are useful for the dignitaries, and some of which are scorching, scattered killer for groups, although both types have goodness; because God Almighty - only good comes from him, in which there are cold water full of goodness, growth and prosperity is a mercy to the worlds.

Where we found the deadly, rising winds of the mighty, sweeping and uprooting everything that came upon him by the command of her Lord, as a reward for those who disbelieved.

The wind is an army of God's soldiers who harness it as He wills, and God has made it a tool of terror for every arrogant, arrogant sinner. How many nations have been torn apart by the winds and scattered like the people of Aad and Thamud and made of them with sweet breezes and heralds with all goodness, trees grow, bring clouds and kill germs in the air and reduce the effects of fumes, chemical and mechanical residues, and this wind does not advance or delay except by the order of its Creator, Glory be to Him, the Most High.

ومما تقدم نقول إن هذه الرياح لا تقدم ولا تؤخر شيء إلا بأمر باريها سبحانه وتعالى.

وللرياح مهام متنوعة منها:

1-نقل السحب إلى الأراضي الميتة.

2- تلقيح لنباتات.

3-تحريك السفن.

4-الرياح سبباً في إظهار البهجة والفرح والسرور على العباد.

5الرياح تلعب دوراً رئيساً في الحفاظ على درجة حرارة كوكب الأرض

6-الرياح جند من جنود الله ووسيلة عذاب للعصاة والمتجبرين أعداء الله.

7-للرياح القدرة على توليد الطاقة.

تقسيم الرياح الواردة في القرآن الكريم:

حقـــــــــــــــــل الريـــــــــــــــــاح

الرياح الداله على العذاب والعذاب	رياح الرحمة والخير	رياح بين الرحمة
• الصر	- الناشرة	- المتصرفة
• الصرصر	- اللواقح	
• العاصف	- الرخاء	
• المؤتفكة	- المبشرات	
• الحاصب	- المقلة	
• الإعصار	- الذاريات	
• العاصف	- الطيبة	
• العقيم		

- The wind has a variety of functions, including:-

1- Move the clouds to the dead lands.

2- pollination of plants.

3- Moving ships.

4- The wind is a reason to show joy, happiness and pleasure to the people.

5- The winds are soldiers of God and a means of torment for the disobedient and the arrogant enemies of God.

6- Wind plays a major role in maintaining the temperature of the earth planet.

7- Wind has the ability to generate electric power.

This is an indicative classification of the winds mentioned in the Holy Qur'an, each according to the field to which it belongs:-

Winds field

The winds of torment	The winds of mercy and goodness	The winds between mercy and torment
Al sar	Al nashera	Al motasarefa
Al sarsar	Al lawaqeh	
Al asef	Al rakha	
Al motafaka	Al mobasherat	
Al haseb	Al maqla	
Al esar	Al thareyat	
Al aqeem	Al tayeba	

المقدمـــــــــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بادي ذي بدءٍ نحمد الله تعالى على ما من به علينا من نعم كثيرة لا تحصى ولا تعد ونصلي ونسلم على حبيبنا وقائدنا وشفيعنا سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

لقد اعتنى علماؤنا الأوائل بلفظ القرآن الكريم ودرسوه دراسات معمقة تبهر العقول ،وتتير الدروب لكل باحث أو دارس أومطلع لكتاب الله ،ومن دافع حبنا لكتاب الله، وما به من درر وأسرار ومعاني عميقة تكشف مع الزمن ؛كان دافعاً لنا للبحث والتقصي فيه؛ لأن مجال البحث والدراسة فيه مازال خصباً، فهو البحر الذي لا تنتهي نفائسه، والمعين الذي لا ينضب ؛عليه قد اتفقنا فيما بيننا على أن نبحث وندرس لفظة (الرياح) وما بها من تنوع دلالي في النص القرآني ؛لنقف على

الإعجـــــــــــاز القرآني والدقائق اللغوية للألفاظ القرآنية التي دلت عليه ،لنزداد علماً ويقيناً بأن هذا الكتاب العظيم هو من عند الله، الذي تحدى به الإنس والجان على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير، قال تعالى: [قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً][الإسراء : آية 88]، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: [وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ][فصلت : الآيات 40 - 41] وبما أن المسلم مأمور بأن يتفكر في آيات الله الكونية ،قال تعالى:[أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ][الأعراف : الآيات 184- 185] ،وقال تعالى: [لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ][الحشر : آية 21] هذا الفعل (نظر) إذا تعدى ب(في) كان بمعنى التفكر والاعتبار وإذا تعدى بنفسه كان بمعنى الانتظار ،وإذا تعدى ب(إلى) كان بمعنى الإبصار ،وهنا ندب الله تعالى عباده إلى التفكر والتدبر في آياته.

وقد ذم القرآن الكريم نقيض التفكر والتدبر، حيث ذم الله تعالى الذين يأكلون ويشربون كالإنعام ولا يتدبرون ولا يتفكرون فيما خلق الله في هذا الكون من أشياء تبهر العقول وتعجز الألسن بالتعبير عما تراه من مخلوقات ،قال تعالى: [وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ] [يوسف الآيات 105 - 107]،وقال تعالى:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً][الفرقان : الآيات 43 - 44]

وقال نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:" لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها" (ابن حبان ،1414هـ-1993م. 2 / 386).

قال تعالى:[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ][آل عمران : الآيات 190- 191]

خلق الله الرياح هذا المخلوق العظيم وأودع فيه أسراراً عظيمة منها ما هو مفيد للأعيان ومنها ماهو محرق قاتل مشتت للجماعات على الرغم من أن كلا الصنفين فيهما الخير ،لأن الله -جل جلاله- لا يأتي منه إلا الخير، فبه توجد المياه الباردة المفعمة بالخير والنماء والازدهار رحمة للعالمين ، قال تعالى:[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] [البقرة : آية 163] وروى أبو الفرج بن الجوزي بإسناده :"إن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة وعذاب، وينقسم كل قسم إلى أربع أقسام . ولكل قسم اسم، فأسماء أقسام قسم الرحمة: المبشرات، والنشر، والمرسلات، والرخاء. وأسماء أقسام قسم العذاب: العاصف، والقاصف، "وهما في البحر"، والعقيم، والصرصر " وهما في البر "(النويري،1424هـ2004م. - 1 / 89-90)وقد وردت في القرآن الكريم بكل هذه الأسماء .

قال السعدي في قوله تعالى وتصريف الرياح:" باردة وحارة، وجنوباً وشمالاً وشرقاً ودبوراً وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب"(السعدي، 1420هـ،2000م،1 / 78). فتصريفها تقلبها بين هذه الأمور، ووجدنا الرياح الفتاكة القاسمة للجبابرة التي تمسح وتقلع كل شيء أتت عليه بأمر ربها جزاء لمن كان كفر.

فالرياح جند من جنود الله يسخرها كيفما يشاء، وجعلها الله أداة رعب لكل عاصي جبار متكبر، وجعل منها ذات النسائم العليلة والمبشرة بكل خير تنبت الأشجار وتجلب السحب وتقتل الجراثيم في الجو وتقلل آثار الأدخنة والمخلفات الكيميائية والميكانيكية، وما تقدم هذه الريح ولا تؤخر إلا بأمر باريها سبحانه وتعالى.

فكم من أمم قد مزقتهم الرياح وشتت شملهم كقوم عاد ،قال تعالى: [وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ] [الذاريات: الآيات 41- 42] ،وقوم ثمود ،قال تعالى:[وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيامٍ وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ][الذاريات : الآيات 43 - 45] ،والأحزاب الذين جمعوا عدتهم وعتادهم وعندها زلزل المسلمون زلزالاً شديداً وذهب ببعضهم الظنون في الله مما شاهدوا من عدة وعتاد وجيوش لا حصر لها لاقتحام تجمعهم ، ثم جاء البشير بأمر الله للريح بأن تنصر عباده المؤمنين .فهزمهم الله وحده ومزق شملهم بأمر أحد مخلوقاته لنصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة الأحزاب التي حكاها لنا كتاب الله العزيز في سورة الأحزاب. قال تعالى:[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً] [الأحزاب : الآية: 9]

فوائد الريح التي ذكرت في القرآن الكريم :

للرياح فوائد جمة لا تحصى ولا تعد منها ما علمنا ومنها ما لم نعلم، وقد ذكر القرآن الكريم منها الكثير، وبما أن المقام ليس مقام ذكر فوائدها وتعدادها، لأنه يحتاج إلى كثير من الصفحات، ونحن نعلم

أن المجلات العلمية قيدت البحاث والدارسين بعدد محدد منها؛ لذلك رأينا أن نذكر شيئاً من فوائدها التي ذكرت في القرآن الكريم، من ذلك ما يأتي:

1-نقل السحب إلى الأراضي الميتة:

قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] [سورة الأعراف: آية 56]،وقال تعالى:[أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ] [السجدة: الآيات 26 -27] ،وقال تعالى:[واللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ] [سورة فاطر : آية 9] ،وقال تعالى:[اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ] [الروم : الآيات 47 - 48]

2- تلقيح النباتات:

قال تعالى:[وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] [الحجر : الآيات 22 - 25] تلقيح النبات يكون بالعوامل الطبيعية وذلك بواسطة الحشرات ،والطيور ،و المياه، والريح، وهو ما يسمى بالتلقيح الريحي، والتلقيح الريحي ضروري في عملية الإخصاب ،لا سيما للنباتات التي لا تنجذب إليها الحشرات ،فتنقل الرياح (حبيبات اللقاح) من العناصر الذكورية في النباتات إلى العناصر الأنثوية ،فيتم الإخصاب بإذن الله تعالى.

3- تحريك السفن:

قال تعالى:[وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ] [الشورى : الآيات 30- 32]،وقال تعالى:[أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ] [لقمان : الآيات 30 - 31]،وقال تعالى:[وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ][الروم : آية 45]، وقال تعالى:[هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى

أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] [يونس: الآيات 22- 23] حتى السفن التي تعمل بالمحركات والوقود ،لابد من وجود الرياح المتمثلة في الهواء الجوي حتى تتم عملية احتراق الوقود، و لا يمكن لهذه الأجهزة أن تعمل بكفاءة إلا بوجود الهواء للتبريد ولازالت هذه الأنواع من الفلك التي تجريها الرياح مسخرة للبشر ،فتبقى منة من منن الله التي لا تحصى.

4- الرياح سبباً في إظهار البهجة والفرح والسرور على العباد:

قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَالنَّوْمَ سُباتاً وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً] [الفرقان : الآيات 47- 49]،وقال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ][الأعراف : آية 56]،وقال تعالى: [وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] [الروم : آية 46]

5- الرياح جند من جنود الله ووسيلة عذاب للعصاة والمتجبرين أعداء الله :

لقد نصر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب ،قال تعالى:[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً] [الأحزاب : الآية: 9] وفي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:" نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ"(البخاري، -1422ه ،2 / 33،و ا بن حنبل ،(ت241هـ) ، (د.ت). 425/3)،وقال تعالى:[وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ] [الذاريات : الآيات 41 - 42] ،وقال تعالى:[وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ * سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ][الحاقة:5-7]

6- الرياح تلعب دوراً رئيساً في الحفاظ على درجة حرارة كوكب الأرض:

فلولا الجبهات الهوائية واختلاط الهواء الدافئ مع الهواء البارد، لزادت درجة حرارة المناطق المدارية يوماً بعد يوم لتصبح حارقة، وانخفظت درجة حرارة المناطق القطبية يوماً بعد يوم فتصير متجمدة، وعندها يختل توازن الحرارة عليها نتيجة الارتفاع الشديد في الحرارة في المناطق المدارية والانخفاض الشديد في درجات الحرارة في المناطق القطبية، وبالتالى تنعدم الحياة ويهلك كل من في الأرض من: (إنسان، حيوان، نبات).

7- للرياح القدرة على توليد الطاقة الكهربائية :

حيث باتت اليوم مصدراً رئيساً للطاقة المتجددة والبديلة، والتي يسعى الإنسان من خلالها إلى مد العديد من القرى والمدن والبلدان؛ لاستخدامها كطاقة بديلة عن الوقود الأحفوري والصخري، وبالتالي تقل نسبة العبء الاقتصادي والمالي على مستخدمي الوقود لتوليد الطاقة والتقليل من نسبة التلوث البيئي للكرة الارضية ؛ فعن طريق المولدات الريحية يمكن توليد (تربونات الرياح) كطاقة كهربائية بديلة .

الرياح في اللغة:

جمع ريح والرِّيحُ نَسِيم الهواء، وكذلك نَسيم كل شيء، وهي مؤنثة وفي التنزيل:[كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [آل عمران: آية 117]

وهي عند سيبويه فَعْلٌ و عند أَبي الحسن فِعْلٌ ،وفُعْلٌ والرِّيحةُ طائفة من الرِّيح عن سيبويه قال: وقد يجوز أَن يدل الواحد على ما يدل عليه الجمع ،وحكى بعضهم رِيحٌ ورِيحَة مع كوكب وكَوكَبَة وأَشعَر أَنهما لغتان وجمع الرِّيح أَرواح وأَراويحُ جمع الجمع وقد حكيت أَرْياحٌ وأَرايِح وكلاهما شاذ ،وأَنكر أَبو حاتم على عُمارة بن عقيل جمعه الرِّيحَ على أَرْياح، قال: فقلت له فيه "إِنما هو أَرْواح" فقال قد قال الله تبارك وتعالى:[وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ] [الحجر : الآية: 22] وإِنما الأَرْواحُ جمعُ رُوح قال فعلمت بذلك أَنه ليس ممن يؤْخذ عنه (ابن منظور، د ت 2 / 455)والرِّيح ياؤُها واو صُيِّرت ياء ،لانكسار ما قبلها وتصغيرها رُوَيْحة وجمعها رِياحٌ وأَرْواحٌ، قال الجوهري:" الرِّيحُ واحدة الرِّياح، وقد تجمع على أَرْواح ،لأَن أَصلها الواو وإِنما جاءَت بالياء لانكسار ما قبلها وإِذا رجعوا إِلى الفتح عادت إِلى الواو، كقولك: أَرْوَحَ الماءُ وتَرَوَّحْتُ بالمِرْوَحة ويقال رِيحٌ ورِيحَة كما قالوا دارٌ ودارَةٌ" (الفراهيدي،(ت175هـ)،82/7.،وينظر: ابن منظور ،والزبيدي(صرر).)وفي الحديث:" هَبَّتْ أَرواحُ النَّصْر"(ابن منظور،2 / 455.)الأَرْواحُ جمع رِيح ،ويقال :الرِّيحُ لآل فلان، أَي: النَّصْر والدَّوْلة وكان لفلان رِيحٌ ، وفي الحديث: كان -صلى الله عليه وسلم- إِذا هاجت الرِّيح يقول: "اللهم اجعلها رِياحاً ولا تجعلها ريحاً "(الزمخشري، (د.ت)، 291/2)، فالعرب تقول :لا تَلْقَحُ السحابُ إِلاَّ من رياح مختلفة يريد اجْعَلْها لَقاحاً للسحاب ولا تجعلها عذاباً ،ويحقق ذلك مجيءُ الجمع في آيات الرَّحمة. (ابن مظور- 2 / 455)... وفي الحديث عن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ » (أبي داود -4 / 486)، أَي: من رحمته بعباده.

ويومٌ راحٌ شديد الرِّيح يجوز أَن يكون فاعلاً ذهبت عينه وأَن يكون فَعْلاً وليلة راحةٌ وقد راحَ يَراحُ رَيْحاً إِذا اشتدّت رِيحُه وفي الحديث: ((إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتُحِشَتْ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَاذْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَالَ مِنْ

خَشْيَتِكَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ)) يومٌ راحٌ، أَي: ذو رِيحٍ (البخاري4 / 169) كقولهم: رجلٌ مالٌ ورِيحَ الغَدِيرُ وغيرُه على ما لم يُسَمَّ فاعله أَصابته الرِّيحُ فهو مَرُوحٌ قال مَنْظُور بنُ مَرْثَدٍ الأَسَدِيُّ يصف رَماداً :

هل تَعْرِفُ الدارَ بأَعْلَى ذي القُورْ؟
قــــد دَرَسَتْ غيرَ رمـــــــاد مَكْـــــفورْ
مُكْـــتَئِبِ اللّـــــــوْنِ مَـــرُوحٍ مَمْطُـــــــورْ

القُور جُبَيْلات صغار واحدها قارَة، والمكفور الذي سَفَتْ عليه الريحُ الترابَ، وكذلك مكان مَرِيح ومَرُوحٌ وشجرة مَرُوحة ومَريحة صَفَقَتْها الريحُ فأَلقت ورقها وراحَتِ الريحُ الشيءَ أَصابته، قال أَبو ذؤيب يصف ثوراً:

ويَعُوذ بالأَرْطَى إِذا ما شَفَّهُ قَطْرٌ وراحَتْهُ بَلِيلٌ زَعْزَعُ وراحَ الشجرُ(الزبيدي. 6 / 415)

وجَدَ الريحَ وأَحَسَّها .....ويقال: رِيحَتِ الشجرةُ فهي مَرُوحة وشجرة مَرُوحة إِذا هبَّت بها الريح مَرُوحة كانت في الأَصل مَرْيوحة ورِيحَ القومُ وأَراحُوا دخلوا في الريح، وقيل: أَراحُوا دخلوا في الريح ورِيحُوا أَصابتهم الريحُ فجاحَتْهم..... وقالوا: "فلان يَميلُ مع كل ريح "على المثل وفي حديث عليّ "ورَعاعُ الهَمَج يَميلون على كلّ ريح "،واسْتَرْوح الغصنُ اهتزَّ بالريح ،ويومٌ رَيِّحٌ ورَوْحٌ ورَيُوحٌ طَيِّبُ الريح، ومكانٌ رَيِّحٌ أَيضاً وعَشِيَّةٌ رَيِّحَةٌ ورَوْحَةٌ كذلك، قال الليث :"يوم رَيِّحٌ ويوم راحٌ ذو ريح شديدة ... والرَّوْح بالفتح نسيم الريح كانوا إِذا مَرَّ عليهم النسيمُ تَكَيَّفَ بأَرْواحِهم وحَمَلها إِلى الناس وقد يكون الريح بمعنى الغَلَبَة والقوة قال تَأَبَّط شرًّا :وقيل سُلَيْكُ بنُ سُلَكَةَ :

أَتَنْظُرانِ قليلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَو تَعْدُوانِ فإِنَّ الرِّيحَ للعادِي (ابن منظور 2 / 455)ومنه قوله تعالى: [وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] [الأنفال: الآية: 47] قال ابن بري :وقيل الشعر لأَعْشى فَهْمٍ من قصيدة أَولها :

يا دارٌ بينَ غُباراتٍ وأَكْبادِ أَقْوَتْ ومَرَّ عليها عهدُ آبادِ
جَرَّتْ عليها رياحُ الصيفِ أَذْيُلَها وصَوَّبَ المُزْنُ فيها بعدَ إِصعادِ

وأَراحَ الشيءَ إِذا وجَد رِيحَه، والرائحةُ النسيم طيِّباً كان أَو نَتْناً ،والرائحة ريحٌ طيبة تجدها في النسيم ،تقول لهذه البقلة رائحة طيبة ،ووَجَدْتُ رِيحَ الشيء ورائحته بمعنًى ورِحْتُ رائحة طيبة أَو خبيثة أَراحُها وأَرِيحُها وأَرَحْتُها وأَرْوَحْتُها وجدتها، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم:((عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ ثُرْمُلَةَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ -اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حِلِّهَا حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الْجَنَّةَ لَمْ يَشُمَّ رِيحَهَا)) (ابن حنبل34 / 39).قال أَبو عمرو :هو من رِحْتُ الشيءَ أَرِيحه إِذا وجَدْتَ

ريحه .....وقيل: يومٌ رائحٌ وليلة رائحةٌ طيبةُ الريح يقال: رَاحَ يومُنا يَرَاحُ رَوْحاً إذا طابَت رِيحهُ ويوم رَيِّحٌ قال جرير:

مَحى طَلَلاً بَيْنَ المُنيفَةِ فَالنّقَا ** صَباً رَاحَةٌ أوْ ذو حَبِيّينِ رَائِحُ

بها كلُّ ذيالِ الأصيلِ كأنهُ ** بدارةِ رهبي ذو سوارين رامح (جرير ،1964م. 1 / 95).

وقد وردت لفظة ريح في ديوان الهذليين بمعنى الرائحة الطيبة، يقول الشاعر:

فقولا لها قولا رفيقاً لعلّها سترحمني من زفـــرةٍ وعويـــــل

بريقتها أوريح ثوبٍ أشمُّـــهُ فيعرفَ رُوحي ريحَ روحِ خليلي (الهذليين،909/8).

وقال الفراء:" مكانٌ راحٌ ويومٌ راحٌ يقال افتح البابَ حتى يَراحَ البيتُ، أَي: حتى يدخله الريح (ابن منظور 2 / 455)

الرياح في الاصطلاح:

الريح أو الرياح هي عبارة عن انتقال أو تحرك للكتل الهوائية من منطقة إلى أخرى بشكل أفقي في الجو ، وذلك تبعاً لاختلاف قيم الضغط الجوي من منطقة إلى أخرى ،بحيث تتحرك الرياح دائماً حركة تسارعية من المناطق ذات الضغط الجوي المرتفع إلى المناطق ذات الضغط الجوي المنخفظ. (ينظر: مصور ،11فبراير،2018م. صـ45،و عبد النبي ،1يناير،2010،ص119).

وقيل: أن أصل الرياح ومادتها البخار اليابس الذي يرتفع من الأرض حين مرور الشمس عليها. وقد حاول المرزوقي رحمه تفسير تلك الظاهرة بقوله::" إن الشَمس إذا مرت على الأرض رفعت منها بخارَين: بخاراً رطباً وبخاراً يابساً، وكل واحد من البخارين قد يخالط البخار الآخر، إلا أنه يسقى بالأغلب عليه منهما. فأما البخار الرطب: فهو مادة الأمطار والأنداء كلها. وأما البخار اليابس فهو مادة الرياح كلها، وإنما يختلف هذان البخاران لاختلاف مواضعهما التي ثارا منها. وأقل ما يكون هيج الريح بعد المطر وذلك أنَ الأرض تبتل بالمطر، فلا يثور منها البخار اليابس الذي هو مادة الريح ،و كذلك يكون سكون الرياح عند المطر وعند انقضائه. فأما حرارة ريح الجنوب: فمن قِبَل أنها تأتي من ناحية ممر الشَمس من بلاد حارة فتسخن قبل أن تبلغ إلينا. وأما برودة ريح الشمال فلأنها تأتي من بلاد الشمس عنها غائبة فهي تبرد من قبل أن تبلغ إلينا، وتمر -أيضاً- بثلوج كثيرة. وأما كثرة ريح الجنوب فلتحلل البخارات من ناحية الجنوب. والبخار مائة الريح. وأمّا كثرة ريح الشمال في الصيف، وقلة ريح الجنوب، فلأنَ الشَمس يكون مرورها في الصيف بناحية الشَمال، فتذيب الثلوج الكثيرة، وتهيج البخارات من ناحية الشّمال". (المرزوقي،(د ت)،329/5).

وعلى ما ورد يمكن القول بأن دوران الأرض وأشعة الشمس وارتفاع الضغط الجوي وغيرها من أسباب أودعها الله في هذا الكون فكوَّن الرياح، وهذا لا ينافي ما جاء في الحديث النبوي الشريف

«الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ »؛ لأنها من رحمة الله بهم وسعته عليهم. (أبى داود -4 / 486)، أي: من رحمته بعباده.

الرياح في القرآن الكريم:

لقد ذكر الله تعالى لفظة (ريح) في القرآن الكريم بأسماء متعددة وصفات متنوعة، وهو أعظم مصدر يعتمد عليه في الكشف عنها واستظهار معانيها ودلالاتها أثناء السياق، فقد جاءت بصيغة الجمع (الرياح) في القرآن الكريم عشر مرات، مذكورة في عدة مواضع ،منها سورة البقرة آية (164)، والأعراف آية:56

وذكرت كلمة (ريح) بصيغة الإفراد في القرآن الكريم (أربع عشرة مرة) في سورة: آل عمران(117)، وذكرت مرتان في يونس(22)، ويوسف(94)، وإبراهيم(18) والإسراء (69) والأنبياء(81)، والحج(31)، وسبأ(12)، وص(36)، والشورى(33)، والاحقاف(24)، والذاريات(41) والحاقة (6). كما أن كلمة (ريحا) ذكرت أربع مرات في سورة الروم (51) والأحزاب (9) وفصلت (16) والقمر(19).

دلالة الريح والرياح في القرآن الكريم:

تناول بعض المفسرين واللغويين بالقول :أن الرياح بصيغة الجمع للرحمة، والريح بصيغة المفرد للعذاب، وينسبه بعضهم إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وجاء في الإتقان منسوباً إلى أبي بن كعب "كل شيء في القرآن الكريم من الرياح فهو رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب" (السيوطي، 1398هـ ،1 / 563) وجاء عن ابن سيده: "عامَّة ما جاء في التنزيل على لفظِ الرِّياح للسُّقْيا والرحمة كقوله عز وجل :[أَرْسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ] [الحجر :22] وقوله: [ومن آياتِهِ أن يُرْسِلَ الرياح مُبَشِّراتٍ][الروم :45] ، و قوله تعالى:[اللهُ الذي يُرْسِلُ الرياحَ فَتُثير سَحَاباً] [الروم: 47]وما جاء بخلاف ذلك جاء على الإفراد كقوله تعالى: [وفي عاد إذ أَرْسَلْنَا عليهم الريحَ العَقِيمَ] [الذاريات: 41] ، وقوله: [وأما عادٌ فأُهْلِكُوا بريح صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ] [الحاقة :5]، وقوله تعالى: [بل هو ما اسْتَعْجَلْتُم به ريحٌ فيها عذابٌ أليم][الأحقاف :23] فجاءت في هذه المواضع على لفظ الإفرادِ وفي خلافها على لفظَ الجمع"(ابن سيده، (ت458هـ)، (د.ت) 2 / 417)وقد جعل(السابق نفسه) سنده في هذا الحكم حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: كان يقول إذا هَبَّت رِيحٌ"اللهم اجْعَلْها رِياحاً ولا تَجْعَلها رِيحاً"(الخطابي،1 / 679) وقد تتبع الدكتور الباحث على العماري (العماري، 1409هـــــــــ) هذه القضية التي يرددها اللغويون تارة بدعوى الاطراد والشمول ،وتارة على أنها أغلبية ،وانتهى إلى أنها دعوى واهية الأساس ناقصة الاستقراء، لا يدعمها دليل صحيح، فالريح للرحمة والخير والسعة وليس خاصة بالعذاب كما قيل، واستند الباحث في حكمه هذا على أمور، منها:

أولا-اشتقاق كلمة الريح وتصاريفها تدل على الرحمة، والسعة والرَّاحة والنفع والخير، وقد استعملها العرب في فصيح كلامهم على هذا النحو.

ثانياً-أدرك بعض العلماء قصور هذا الحكم فقال الزركشي: "وقد اضطربت هذه القاعدة إلا في مواضع يسيرة لحكمة.....)) ثم ذكر آية سورة يونس: [هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ][يونس: الآية: 22]، وقال ابن المنير(هو أحمد بن محمد بن منصور ،من علماء الإسكندرية وأدبائها، ولي قضاءها وخطابتها في سنة 620هوتوفى سنة683م). صاحب الانتصاف من الكشاف: "وهم يقولون إن الريح لم ترد في القرآن إلا عذاباً بخلاف الرياح وهذه الآية:[إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ][الشورى: الآية:30] تحريم الإطلاق فالريح المذكورة في الآية هنا نعمة ورحمة ،(الزركشي، ،1377هـ -1957م،10/4،11)

ثالثاً- جاء لفظ الريح في القرآن الكريم للرحمة في مواضع منها قوله تعالى:[إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ][الشورى الآية:30] وفـــي مقـام المن بتسخيرها لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: [وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ [الأنبياء : الآية 80] ،وقوله تعالى: [فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ] [ص : الآية:35] قال الراغب: "الرخاء الريح اللينة السريعة التي لا تزعزع شيئاً" (الأصفهاني ،(د.ت)،192/1) ،وهذا دليل على أن لفظ الريح هنا المراد بها الريح الطيبة اللينة.

رابعا-القراءات القرآنية سنة متبعة ينقلها الخلف عن السلف ،وفي المصحف الكريم آيات قُرئت بالإفراد (الريح)والجمع(الرياح)وهذا دليل على أنه لا فرق بينهما ،فمن تلك الآيات قوله تعالى:[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ][البقرة : آية 163] قرأ(الرياح) بالجمع ،نافع ،وأبو عمر ،وابن عامر، وابن كثير وغيرهم، وقرأ بالإفراد(الريح)حمزة والكسائي(ابن مجاهد ،د.ت) ،ص173)،وقوله تعالى:[إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ][الشورى (: الآية:30]قرأ بالجمع(الرياح) كل من نافع وأبو جعفر ،وقرأ الباقون بالإفراد(الريح) (ابن الجزري ،(ت833هـ) ، د.ت).

خامساً-أما حديث النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم اجعلها رِياحاً ولا تجعلها ريحاً " (الزمخشري، (د.ت)291/2) الذي يتخذه بعضهم دليلاً لعموم تلك القضية وشمولها فهو ضعيف؛ لأن في سنده إبراهيم بن يحي وحسين بن قيس وكلاهما ضعيف (الذهبي، و(د. ت)57/1.).

سادساً-ورد في الحديث لفظ الريح بمعنى الخير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"لا تسبوا الريح فإنها من روح الله" (ابن ماجه، 1403ه،320/2).

سابعـــــــــاً- ونضيف إلى الأدلة السابقة أنه من يتأمل لفظة الريح الواردة في القرآن الكريم يجدها مقيدة بأوصاف ،عندما يراد بها الشر ،بعض هذه الأوصاف جاء مفرداً وبعضها جمعاً ،قال تعالى:[هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ][يونس : الآية: 22] ،وقال تعالى:[فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً][المرسلات: الآية: 2] ،وقال تعالى: [كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ][آل عمران : آية 117].

ثامناً-بينت الأحاديث الشريفة أن الريح من رحمة الله ونعمه على عباده ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ».(أبو داود -4/ 486)وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى الرِّيحَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ" (النسائي، -1988م. 233/6)و عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال :" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"(صحيح البخاري، 1 / 8)

وبعد العرض السابق لدلالة كلمة ريح ورياح ننتقل إلى تصنيف ألفاظ الرياح المذكورة في القرآن الكريم ودراستها دلالياً وفق ما تدل عليه في السياق التي ذكرت فيه في كتاب الله تعالى.

وقد اعتمدنا في هذا التصنيف ترتيبها وفق نظرية الحقول الدلالية التي تقوم على أن الكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها بجاراتها رأسياً وأفقياً، اشتمالاً أو تضمناً، ترادفًا أو تنافراً أو تضاداً ،أي :من خلال موقعها في الحقل الذي تنتمي إليه ،وتهدف الحقول الدلالية إلى جمع كل الألفاظ التي تخص حقلاً معيناً والكشف عن الصلات التي تكون بينها ،وعلاقاتها بالمصطلح العام ،أو بالمعنى الذي تندرج تحته هذه الألفاظ، من ذلك حقل ألفاظ الرياح ،هذا الحقل الرئيسي الذي تندرج تحته مجموعة من الحقول الفرعية كما هو موضح في المخطط الآتي:

حقـل الريـاح

الرياح الداله على العذاب والعذاب	رياح الرحمة والخير	رياح بين الرحمة
• الصر	- الناشرة	- المتصرفة
• الصرصر	- اللواقح	
• العاصف	- الرخاء	
• المؤتفكة	- المبشرات	
• الحاصب	- المقلة	
• الإعصار	- الذاريات	
• العاصف	- الطيبة	
• العقيم		

فالعلاقة بين الحقل الرئيسي والحـــقول التي تندرج تحتـــه هي علاقة اشتمـــــال وتضمين؛ حيث أن هذا الحقل يشتمل على الأسفل ،وكذلك الحال في الحقل الفرعي حقل الرياح الدالة على العذاب وما يندرج تحته فهي- أيضاً- علاقة اشتمال وتضمين ،بينما العلاقة بين الألفاظ المتعلقة بالرياح الدالة على العذاب والألفاظ الدالة على الرحمة والخير هي علاقة تضاد ؛حيث أن كل منها لا يكون الآخر.

ومن أسماء الرياح الواردة في القرآن الكريم ما يأتي:

الحقل الدلالي الأول - الرياح الدالة على العذاب:

1-الريح الصَرْ:

من صرر، والصِّرُّ: بالكسر والصِّرَّةُ: شِدة البرد ،وقيل: هو البَرْد عامة ،جاء في العين: "الصِّرُّ البرد الذي يَضْرِبُ كلَّ شيء ويحسنه وريح صِرّ وصَرّ شديدة البَرْد تَضْرِبُ النبات والحرث(الفراهيدي:82/7،وينظر ا:ابن منظور، و الزبيدي "صرر"). قال الزجاج: "الصِّر والصَّرْ صرَ: شدَّة البَرد"(ابن منظور، "صرر")،.فهي كالنار في حرقها ،يقال: أصاب النبات صِرَّ إذا أصابه بَرْد يَضِرُّ به(ابن فارس ، د.ت)282/3)،وحددت بريح الشَّمال التي أهلكت أقواماً خلت ذكر بعض منها في القرآن الكريم، وقد ورد لفظ (الصِّر) في القرآن الكريم ،قال تعالى:[مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ] [آل عمران : آية 117] ،والمقصود هنا ريح الشمال وهو في موضع تشبيه ،والمعروف عن هذه الريح أنها شديدة البرد يغلب عليها صوت عند اشتداد هبوبها(ينظر: القائي ،1409هـ -1989م. 130، الدامغاني ، د.ت) 277،وينظر: الشنقيطي، 44/ 24).

ومنه قول حاتم الطائي:

أوقدْ ، فإن الليل ليل قرَ ، ** والرّيحَ ، يا مُوقِدُ ، رِيحٌ صِرُّ)

عَسَى يَرَى نارَكَ مَنْ يَمُرُّ ** إنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً ، فأَنْتَ حُرُّ (الطائي - 1 / 34).

جاء في كتاب معاني القرآن: "الصر برد شديد مميت لكل زرع [أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْه]،أصابت زرع قوم فأبادته عن آخره ولم تدع له عيناً ولا أثراً" (ارفيده وآخرون، 1986م،صـــ228).

2-الريح الصَرْصر:

ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى:[فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ][فصلت : الآيات 14-15] ،وقال تعالى:[كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] [القمر: الآيات 18- 20] ،وقال تعالى:[الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ] [الحاقة : الآيات 1 إلى 5] جاء في :"تفسير الطبري:" قال ابن زيد، في قوله:(بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) قال: الصرصر: الشديدة، والعاتية: القاهرة التي عتت عليهم فقهرتهم."(الطبري،(ت310هـ) 1408هـ -1988م. 23/ 572).قال ابن كثير:" أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا على أم رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان."(ابن كثير 209/9)

قال ابنُ السِّكّيتِ : ريحٌ *!صَرْصَرٌ فيه قولان : يقال : أَصْلُهَا *!صَرَّرٌ من *!الصِّرّ ، وهو البَرْدُ ، فأَبْدَلُوا مكانَ الراءِ الوُسْطَى فاءَ الفعل ، كما قالوا تَجَفْجَفَ الثوبُ ، وكُبْكِبُوا ، وأَصله تَجَفَّفَ وكُبِّبُوا وأصله :تَجَفّفَ وكُبِّبُ ،وقال: هو الصِّرُّ مصدر صَرَّ الناقة يَصُرُّها صرّاً (ابن السكيت ،(ت244هـ) 1963م.123.)، ومن دلالة الصوت الشديد يقال :درهم صِري وصَري يعني له صوت إذا نقرته صوَّت (ابن دريد:145/1،والجوهري،وابن منظور، والزبيدي "صر" وينظر :الزمخشري:353.)وقد تابع المفسرون اللغويين في معنى (صَرْصَر)التي وردت في الآيات السابقة. وقيل: هي ريح الدبور ذات الصوت الشديد، والبرودة الزمهرير اللاسعة ، من الصرة وهي الصيحة أو باردة من الصر. ووصفت هذه الريح بالعاتية، أي: من العتو وهو الهبوب المقترن بالبرد الذي يحرق ببرده كإحراق النار وأشد ، وقيل

العتو الصوت الشديد وليس ببعيد أن تكون هذه الريح ذات صوت قوي مخيف مريب من شدة هبوبها متكرر فيها البرد (ابن فارس:28/4،وينظر : مجاهد:91/2،اليزيدي،328).وقد تكرر هذا اللفظ في موضعين آخرين من القرآن وكلها خاصة بقوم عاد وإهلاكهم بهذه الريح. جاء في التاج:" ويقال: هو من *!صَرِيرِ البابِ ، ومن الصَّرَّةِ ، وهي الضَّجَّة ، قال عزّ وجلّ :[فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقالَتْ عجوز عقيم] [الذاريات : الآية:29] ، قال المفسّرون : في ضَجَّةٍ وصَيْحَةٍ. وقال ابنُ الأَنْبَارِيّ في قوله تعالى : [كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ] [آل عمران : 117] ، ثلاثة أَقوال : أَحدها - فيها بَرْدٌ . والثاني - فيها تَصْوِيتٌ وحَرَكَة . وروى عن ابنِ عبّاس قولٌ آخر، فيهاصِرٌّ ، قال : فيها نارٌ .(الزبيدي(12 / 302)وجاء في أضواء البيان في إيضاح القرآن:" وهذه الريح الصرصر هي المراد بصاعقة عاد" (الشنفيطي، (44 / 25). في قوله تعالى: [فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ][فصلت:12].

3- الريح العاصف:

وهي الريح القوية المُدمرة والتي تشمل الأعاصير من قولك: عَصَفَتِ الرِّيحُ تَعْصِف عَصْفاً وعُصوفاً وهي ريح عاصِف وعاصِفةٌ ومُعْصِفَة وعَصوف وأَعْصفت في لغة أَسد، وهي مُعصِف من رياح مَعاصِف ومَعاصِيف إذا اشتدَّت والعُصوف للرِّياح وفي التنزيل قال تعالى: [والعاصفاتِ عَصْفاً][المرسلات: الآية:1]

يعني الرياح والرِّيحُ تَعْصِفُ ما مَرَّت عليه من جَوَلان التراب تمضي به، وقد قيل: إن العَصْف الذي هو التِّبْن مشتق منه؛ لأَن الريح تعصف به ، وريح عاصف شديدة الهُبوب، والعُصافةُ ما عَصَفَت به الريح على لفظ عُصافة السُّنْبُل ،وقال الفراء في قوله تعالى:[مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْ ءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ] [إبراهيم : آية 21]

قال فجعل العُصوف تابعاً لليوم في إعرابه وإنما العُصوف للرياح قال وذلك جائز على جهتين:

إحداهما -أَن العُصوف وإن كان للريح فإن اليوم قد يوصف به؛ لأَن الريح تكون فيه فجاز أَن يقال: يوم عاصف كما يقال: يوم بارد ويوم حارّ والبرد والحرّ فيهما.

والوجه الآخر- أَن يريد في يوم عاصِف الريح فتحذف الريح؛ لأَنها قد ذكرت في أَوَّل كلمة ،كما قال إذا جاء يومٌ مُظْلِمُ الشمسِ كاسِفُ يريد كاسِف الشمس فحذفه؛ لأَنه قدم ذكره، وقال الجوهري: "يوم عاصف، أَي: تَعْصِف فيه الريح ،وهو فاعل بمعنى مفعول فيه مثل قولهم: لَيْلٌ نائمٌ وهَمٌّ ناصبٌ"(ابن منظور،9 / 247).

وجمع العاصِف عَواصِفُ والمُعْصِفاتُ الرِّياحُ التي تُثير السَّحاب والوَرَق وعَصْفَ الزَّرعِ والعَصْفُ والتعصُّف السُّرعة على التشبيه بذلك وأَعْصَفَتِ الناقةُ في السير أَسْرَعتْ فهي مُعْصِفة وأَنشد:

ومن كلِّ مِسْحاجٍ إذا ابْتَلَّ لِيتُها تَخَلَّبَ منها ثائبٌ مُتَعَصِّفُ

وأَعْصَفَ الفَرِسُ إذا مرَّ مرّاً سَريعاً، وحكى أَبو عبيدة أَعْصَف الرجل، أَي: هَلَك والعَصيفةُ الوَرقُ المجتمع الذي يكون فيه السُّنْبُل والعَصُوف السريعة من الإبل قال شمر: ناقة عاصف وعَصُوفٌ سريعة، قال الشمَّاخ :

فأَضْحَت بصَحْراء البَسِيطةِ عاصفاً تُوالي الحَصى سُمْرَ العُجاياتِ مُجْمِرَا

و أضحتْ على ماءِ العذيبِ وعينها كوقبِ الصفا جلسيها قدْ تغورا (الشماخ ،1 / 22).

والإعصاف الإهْلاك، وأَعْصَف الرجلُ هلَك والحَرب تَعْصِف بالقوم تَذهَب بهم وتُهْلِكُهم قال الأَعشى:

في فَيْلَقٍ جَأْواء مَلْمُومةٍ تَعْصِف بالدَّارِعِ والحاسِرِ

أَي تُهْلِكهما وأَعصَف الرجلُ جار عن الطريق. (ابن منظور، 9، 247).

وردة هذه اللفظة في قوله تعالى : [هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ] يونس الآية:22] ،وفي قوله تعالى:[مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ] [إبراهيم : آية 21] ،وفي قوله تعالى: [وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ] [الأنبياء : الآية:80]. يقول ابن فارس:"العين والصاد والفاء أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على خِفّةٍ وسرعة. فالأوَّل من ذلك العَصْف: ما على الحبِّ من قُشور التّبن. والعَصْف: ما على ساق الزَّرع من الوَرَق الذي يَبس فتفتَّت، كل ذلك من العَصْف. قال الله سبحانه:[فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] [الفيل، آية: 5]..... ويقال: عَصَفْتُ الزَّرْعَ، إذا جَزَزْتَ أطرافَه وأكلتَه، كالبقل. ويقال: مكانٌ مُعْصِف، أي: كثير العَصْف. قال الشاعر:

إذا جُمادَى مَنَعَتْ قَطْرَها *** زانَ جَنابِي عَطَنٌ مُعْصِفُ

ويقال للعَصْف: العَصِيفة والعُصافة. قال الفرّاء: إذا أخذْتَ العصيفةَ عن الزَّرع فقد اعتُصِف. والريح العاصف: الشَّديدة. (ابن فارس،4 / 328) لقد وردت صيغتا (عاصف) و (عاصفة) في القرآن الكريم وصفا للريح كما مر بنا، ففي الأولى جاء اللفظ مذكر وصفاً للمؤنث: قال الفراء :"والعرب تقول عاصف وعاصفة وعلق الطبري بقوله :""تقول العرب :ريح عاصف ،وعاصفة وقد أعصفت الريح وعصفت"، وهو ما رآه الزجاج كما نقل ذلك الرازي .وتأويلها إن (عاصف)مراعاة اللفظ و(عاصفة)مراعاة للمعنى.

وهذا موافق لقول العرب، حيث تقول :عاصِف وعاصِفة في لغة بني أسد ،وهي مُعْصِف ومُعْصِفَة، قال الشاعر:

حتى إذا أعصفت ريح مزعزعة.... فيها قطار ورعد صوته زجل (ابن منظور ،9 / 247)

قال أَبو عبيدة:" العصف الذي يُعصف من الزرع فيؤكل، وهو العصيفة ". وأَنشد لعَلْقَمة بن عَبْدَة :

تَسقِي مذانِبَ قد مالَتْ عَصِيفَتُها (السابق نفسه 9 / 247)

وردت اللفظة في القرآن الكريم سبع مرات متغيرة الصيغ. وفسر قوله تعالى:[جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ] إنها ريح ذات عصف، أي: ذات هبوب شديد على معنى عاصفة نعت مبني على فعلت، أي: عصفت، وهي كقولك: لابن وتامر، أي ذو لبن وتمر. قال ابن فارس :"المعنى أنها تستخف الأشياء فتذهب تعصف بها " (ابن فارس(عصف)،328/4).

4-الرياح المُؤْتَفِكَات:

المؤْتفكات جمع مُؤْتَفِكة من قولك: ائْتَفَكَتْ بهم الأَرض، أَي: انقلبت يقال: إِنهم جمع من أَهلك كما يقال للهالك قد انقلبت عليه الدنيا، يقال ائْتَفَكَت البلدة بأَهلها، أَي: انقلبت فهي مُؤتَفِكة، وفي حديث بشير بن الخصَّاصية قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- ممن أَنت ؟ قال من ربيعة قال ((أَنتم تزعمون لولا ربيعةُ لائْتَفَكت الأَرضُ بمن عليها)) (ابن الأثير(ت 506هـ) د.ت)،136/1)،. أَي: انقلبت

والمُؤْتَفِكاتُ الرِّياح تختلف مَهابّها والمُؤْتَفِكات الرياح التي تقلب الأَرض، تقول العرب: إِذا كثرت المؤْتفكات زَكَتِ الأَرضُ، أَي : زكا زرعها قال رؤبة:

وجَوْن خَرِقٍ بالرياح مُؤتَفك (ابن منظور (10 / 390)

أَي: اختلفت عليه الرياح من كل وجه، وأَرض مَأْفوكة وهي التي لم يصبها المطر فأَمحلت يقول ابن الأَعرابي: ائْتَفَكت تلك الأَرضُ ،أَي: احترَقتْ من الجدب، وأَنشد ابن الأَعرابي:

كأَنها وهي تَهاوَى تَهْتَلِك شَمْسٌ بِظلّ ذا بهذا يأْتَفِك

قال يصف قَطاةً باطِن جناحيها أَسود وظاهره أَبيض فشبه السواد بالظلمة وشبه البياض بالشمس يأْتَفِك ينقلب

وهي الرياح تختلف مَهَابُهَا وهي الريح التي تَقْلُب الأرض ، ويقال إذا كثرت المؤتفكات زَكَت ،أي: زكا زرعها والأرض مأفوكة أي: لم يُصِبها المطر فأمحلت وأَئْتُفِكَتِ الأرض احترقت من الجذب (ينظر: ابن منظور والفيروز آبادي، (أفك)،والفيومي:21/1)

والمؤتفكات المذكورة في القرآن الكريم هي مدائن قوم لوط(ابن كثير،341/4، الواحدي،471/1).- عليه السلام- قال تعالى:[أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْراهِيمَ وَأَصْحابِ مَدْيَنَ

وَالْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [التوبة: الآيات 70-71] وقيل إنها قربات قوم لوط ائتفكت وهم عليها وائتفاكها انقلاب أحوالها من الخير إلى الشر . وترى تقارب المعنى بين دلالة (إفك) وهو الكذب الذي يعني الكلام من الصواب إلى ضده. كانتقال الخير إلى الشر. يقول الامام الشنقيطي: "قيل لقوم لوط(المؤتفكات)؛ لأن الله أفكها،أي :قلبها"(الشنقيطي،74/21).

يقول الشيخ ابن عاشور: "المؤتفكات جمع مؤتفكة اسم فاعل ائتفك مطاوع أفَكَه، إذا قلبه، فهي المنقلبات، أي: قلبها قالب، أي: خسف بها". (ابن عاشور ،121/29).

5- الريح الحاصب:

جاء في المقاييس: "الحاء والصاد والباء أصلٌ واحد، وهو جنسٌ من أجزاء الأرض، ثم يشتقّ منه، وهو الحصباء، وذلك جنسٌ من الحَصَى. ويقال حَصَبْتُ الرّجلَ بالحَصبَاء. وريحٌ حاصب، إذا أتَتْ بالغُبار. فأمّا الحَصْبَةُ فَبَثْرَةٌ تخرج بالجَسَدِ، وهو مشبَّه بالحَصْباء. فأمَّا المُحَصَّب بمِنىً فهو موضع الجِمار. قال ذو الرمة:

أرى ناقتي عند المحصَّب شاقَها *** رَواحُ اليَمانِي والهديلُ المُرَجَّعُ (ابن فارس 2 / 70).

ورد لفظ الحصب في قوله تعالى: [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ] [القمر : الآيات 33- 34] وجاء في تأويلها أقوال:

أولها- أن الحاصب يعني الحصى الصغار .وهو ماذهب إليه ابن قتيبة :"الحاصب الريح سميت بذلك؛ لأنها تحصب ،أي: ترمي بالحصباء ،وهي الحصى الصغار "وتبعه أصحاب الغريب.

والثاني- أنها تعني الحجارة تقذف من السماء.

والتأويل الآخر: أن معنى الحاصب هو التراب وأظنها دلالات متقاربة وأقربها إلى المعني اللغوي هي الحجارة، وذهب إلى ذلك الطبري والزمخشري. جاء في أضواء البيان :" وقوله: «في قوم لوط»: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ}، وقوله: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ}، إلى غير ذلك من الآيات. والحاصب في هذه الآية قد قدمنا أنه قيل: إنها السحابة أو الريح، وكلا القولين صحيح؛ لأن كل ريح شديدة ترمي بالحصباء تسمى حاصباً وحصبة. وكل سحابة ترمي بالبرد تسمى حاصباً أيضاً (الشنقيطي ،18 / 325). ومنه قول الفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشامِ تَضْرِب بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ
على عَمائِمنا تُلْقى وأَرحُلُنا على زَواحِفَ نُزْجِيها مَحاسِيرِ (البيت

نسبه الجوهري للفرزدق ،ولكنه غير موجود بديوانه ،ينظر: ابن منظور، والزبيدي (حصب).

وقول لبيد:

جرّتْ عليها ، أنْ خوتْ من أهلِها ، ** أذيالَها كلُّ عصوفٍ حصبهْ(لبيد ،د.ت. ،1 / 15)

وقيل: أَي: يَرْمِيهم بحجارة مِن سِجِّيل، وقيل حاصِباً ،أَي: ريحاً تَقْلَعُ الحَصْباء ،لقوّتها وهي صغارها وكِبارها ،وفي حديث علي رضي الله عنه قال للخَوارج:((أَصابَكم حاصِبٌ))، أَي: عَذابٌ من الله وأَصله رُميتم بالحَصْباءِ من السماءِ، ويقال للرِّيح التي تَحْمِل التراب والحَصى: حاصِبٌ وللسَّحابِ يَرْمِي بالبَرَد والثَّلْج حاصِبٌ ،لأَنه يَرْمِي بهما رَمْياً قال الأَعشى :

لنا حاصِبٌ مِثْلُ رِجْلِ الدَّبَى ... وجَأْواءُ تُبْرِقُ عنها الهُيُوبا (ابن منظور ،1 / 318).

أَراد بالحاصِب الرُّماةَ ،وقال الأَزهري: الحاصِبُ العَدَدُ الكَثِيرُ من الرَّجَّالةِ، وهو معنى قوله لنا حاصِبٌ.....والحاصِبُ مِن التّراب ما كان فيه الحَصْباء وقال ابن شميل الحاصِبُ الحَصْباء في الرِّيح كان يَوْمُنا ذا حاصِبٍ وريحٌ حاصِبٌ وقد حصَبَتْنا تَحْصِبُنا وريحٌ حَصِبةٌ فيها حَصباء قال ذو الرمة :

حَفِيفُ نافِجةٍ عُثْنُونُها حَصِب

والحَصَبُ كُلُّ ما أَلْقَيْتَه في النَّار من حَطَب وغيره وفي التنزيل: إِنَّكم وما تَعْبُدُون مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ] [الأنبيا : الآية:97] ،قال الفرَّاءُ :"ذكر أَن الحَصَبَ في لغة أَهل اليمن الحَطَبُ"(الفراء(ت207هـ)،1980م. ،166/3).

ورُوِي عن علي كرّم الله وجهه أَنه قرأَ:[حَطَبُ جَهَنَّمَ] وكلُّ ما أَلْقَيْتَه في النار فقد حَصَبْتَها به ،ولا يكون الحَصَبُ حَصَباً حتى يُسْجَر به ،وقيل: الحَصَبُ الحَطَبُ عامّةً وحَصَبَ النارَ بالحَصَبِ يَحْصُبها حَصْباً أَضْرَمَها، ..... وحَصَبْتُه أَحْصِبُه رمَيْته بالحَصْباءِ والحَجَرُ المَرْمِيُّ به حَصَبٌ كما يقال نَفَضْتُ الشيءَ نَفْضاً والمنفوضُ نَفَضٌ، فمعنى قوله: حَصَبُ جهنم، أَي :يُلْقَوْن فيها كما يُلْقَى الحَطَبُ في النارِ ،وقال الفرَّاءُ: الحَصَبُ في لغة أَهل نجد ما رَمَيْتَ به في النار وقال عكرمة :[حَصَبُ جهنم] هو حَطَبُ جهنم بالحَبَشية(ابن منظور ،1 / 318.)

6-ريـــــح الإعصار:

الإِعْصَارُ : الرِّيح تُثِيرُ السَّحَابَ ، أَو هي الَّتِي فيها نارٌ ، مذكَّر . وفي التَّنْزِيل: [فأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فيه نَارٌ فاحْتَرَقَتْ] ،وقيل : الإِعْصَارُ رِيحٌ تُثِير سَحاباً ذاتُ رَعْد وبَرْقٍ أَو الإِعْصارُ : الرِّياحُ التي تَهُبُّ من الأَرْضِ وتُثِيرُ الغُبَارَ، وتَرْتَفِعُ كالعَمُودِ إِلَى نَحْوِ السَّماءِ، وهي التي تُسَمِّيهَا الناسُ الزَّوْبَعَة ، وهي رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، لا يُقَال لها : إِعْصَارٌ حَتَّى تَهُبَّ كذلك بِشِدَّة ، قاله الزَّجّاجُ ، أَو الإِعْصَارُ : الرِّيحُ الَّتِي فيها العِصَارُ ، كَكِتَّاب ، وهو الغُبَارُ الشَّدِيدُ ، قال الشَّمّاخ :

إِذَا ما جَدَّ واسْتَذْكَى عَلَيْهَا أَثَرْنَ عَلَيْه من رَهَجٍ عِصَارا

وقال أَبُو زَيْدٍ : الإِعْصَارُ الرِّيحُ التي تَسْطَعُ في السَّماءِ . وجَمْعُ الإِعْصَارِ أَعَاصِيرُ ، وأَنشد الأَصْمَعيّ :

وبَيْنَما المَرْءُ في الأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الأَعَاصِيرُ.

يَبْكِي عليه غَرِيبٌ ليس يَعْرِفُهُ وذُو قَرَابَتِهِ في الحَيِّ مَسْرُورُ (ينظر: ،ابن فارس،4/341،340،وابن منظور (عصر)،والزبيدي ،11 / 349).

ووردت بصيغة الجمع أعاصير على وزن أفاعيل في شعر الهدليين:

وَيْلُمِّها لِقْحةً اذا تأوَّبَهُمْ مِسْعٌ شاميةٌ فيها الأعاصيرُ(الهدليين،2/607).

ووردت بصيغة الجمع أعاصر في شعر كثير عزة ؛حيث يقول:

غشيتُ لليلى بالبَرودِ مساكناً ** تَقَادَمْنَ فاستَنَّتْ عليها الأَعَاصِرُ (كثير ، ،1391هـ - 1970م،1 / 76).

وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:[أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ] [البقرة : آية 265] ولم يختلف المفسرون على اللغويين في دلالة اللفظة ،فهي الريح الشديدة العاصفة تهب من الأرض فترفع عمداً مستديراً من الغبار نحو السماء كأنه عمودا فيه نار.

جاء في تفسير البحر المحيط:" [فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ] قال فيه، فأتى بالضمير مذكراً؛ لأن الإعصار مذكر من سائر أسماء الرياح ، وارتفاع : نار، على الفاعلية بالجار قبله، أو : كائن فيه نار، وفي العطف بالفاء في قوله : فأصابها إعصار، دليل على أنها حين أزهت وحسنت للانتفاع بها أعقبها الإعصار.

فَاحْتَرَقَتْ هذا فعل مطاوع لأحرق، كأنه قيل : فيه نار أحرقتها فاحترقت، كقوله : أنصفته فانتصف، وأوقدته فاتقد. وهذه المطاوعة هي انفعال في المفعول يكون له قابلية للواقع به، فيتأثر له والنار التي في الإعصار هي السموم التي تكون فيها"(أبو حيان ،1405هـ -1985م. ،2/ 327).

جاء في تفسير السعدي "أصاب تلك الجنة إعصار، وهو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو، وفي ذلك الإعصار نار فاحترقت تلك الجنة، فلا تسأل عما لقي ذلك الذي أصابه الكبر من الهم والغم والحزن، فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن، كذلك من عمل عملا لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع والثمار، ولا يزال كذلك حتى يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن والبهاء، وتلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات وكان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباء منثورا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه. (السعدي،1/ 114).

وقيل في الإعصار الناري الوارد في القرآن الكريم [فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فيه نَارٌ فاحْتَرَقَتْ]: بأنه ظاهرة جغرافية تنشأ من انخفاض الضغط في منطقة صغيرة مع ارتفاعه في المناطق المحيطة بها فيكون دوران

الرياح حول المنطقة ذات الضغط المنخفض. وكلما كان الفرق كبيراً بين الضغطين زادت حدة الإعصار، مما نشأ عنه طاقة حرارية عالية قد تكون سبباً في الاشتعال (،اسطوانة حاسوبية ،د ت صـ89.)

7- **الريح العقيم:**

العَقْمُ والعُقْمُ بالفتح والضم هَزْمةٌ تقعُ في الرَّحم فلا تَقْبَلُ الولدَ عَقِمَتِ الرَّحِمُ عَقْماً وعُقِمَتْ عُقْماً وعَقْماً وعَقَماً وعَقَمَها اللهُ يَعْقِمُها عَقْماً ورَحِمٌ عَقِيمٌ وعَقِيمةٌ مَعْقومةٌ والجمعُ عَقائمُ وعُقُمٌ وما كانت عَقِيماً ولقد عُقِمَت فهي مَعْقومةٌ وعَقُمَت إذا لم تَحْمِلْ فهي عَقِيمٌ وعَقُمَتْ بفتح العين وضَمِّ القاف وحكى ابن الأعرابي امرأَةٌ عقيمٌ بغير هاءٍ لا تَلِدُ من نِسْوةٍ عَقائم وزاد اللحياني من نسوةٍ عُقْمٍ قال أبو دَهْبلٍ يمدح عبدَ الله بنَ الأَزْرق المخزوميّ :

نَزْرُ الكَلامِ من الحياءِ تَخالُه ضَمِناً ولَيْسَ بِجِسْمِه سُقْمُ
مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ بِلا مُتَباعِـــدٌ سِيَّانِ منه الوَفْـــرُ والعُدْمُ
عُقِمَ النِّساءُ فَلَنْ يَلِدْنَ شَبيهَهُ إنَّ النِّساءَ بِمِثْلِـهِ عُقْـــمُ

ويقال للمرأة العَقِيم من سُوءِ الخُلُق عَقُمَتْ والدنيا عَقِيمٌ أي: لا تَرُدُّ على صاحبها خيراً ويومُ القيامة يومٌ عقيم، لأنه لا يوم بعده فأما قول الإمام علي بن ابي طالب: "العقلُ عَقْلان فأَما عقل صاحب الدنيا فعَقِيمٌ وأما عقلُ صاحب الآخرة فمُثْمِرٌ"(الفراهيدي،185/1، وابن سيده،360/1، وينظر:الرازي،722/1). فالعقيمُ ههنا الذي لا يَنفعُ ولا يَرُدُّ خيراً على المثَل، والريحُ العقيمُ في كتاب الله هي الدَّبورُ قال الله تعالى : [وفي عادٍ إذ أَرسلنا عليهم الريحَ العقيم][الذاريات : الآيات 41 -42] ، قال أبو إسحق: الريحُ العقيمُ التي لا يكون معها لَقَحٌ، أي: لا تأْتي بمطر إنما هي ريحُ الإهلاك ،وقيل: هي لا تُلقِحُ الشجر ولا تُنشِئُ سَحاباً ولا تَحْمِل مَطراً عادَلوا بها ضدَّها وهو قولهم رِيحٌ لاقِحٌ ،أي :أنها تُلْقح الشجرَ وتُنشِئُ السَّحاب وجاؤوا بها على حذف الزائد وله نظائر كثيرة ،ويقال: المُلْكُ عَقِيمٌ لا ينفع فيه نَسَبٌ؛ لأَن الأَبَ يقتُلُ ابنَه على المُلْك ..... والعَقْمُ القَطْعُ ومنه قيل: المُلك عَقِيمٌ؛ لأنـــــــــــه تُقطعُ فيه الأَرحام بالقتل والعُقوق وفي الحديث :"اليمينُ الفاجرة التي يُقْتَطَعُ بها مالُ المُسلِم تَعْقِمُ الرَّحِم" (السيوطي،6875/1.)يريد أنها تَقْطع الصِّلة والمعروفَ بين الناس ..... والعُقْمِيُّ كلام عَقِيم لا يُشتقُّ منه فِعْل، ويقال: إنه لَعالِمٌ بعُقْمِيِّ الكلام وعُقْبِيِّ الكلام وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه الناس، وهو مثل النوادر وقال أَبو عمرو :سأَلت رجلاً من هُذَيل عن حرف غريب فقال :هذا كلام عُقْمِيٌّ يعني أنه من كلام الجاهليّة لا يُعرَفُ اليومَ ،وقيل: عُقْمِيُّ الكلام، أي: قديمُ الكلام وكلامٌ عُقْمِيٌّ وعِقْمِيٌّ ،أَي: غامضٌ ، والعُقْمِيُّ الرجلُ القديمُ (ابن منظور:12 / 412)،و الزبيدي ،33 / 116) ،وقد ورد في قوله تعالى:[وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ] [الذاريات :

الآيات 41 -42]، وقيل: هي التي تحمل سحابة سوداء تذرو الرمل وترمي بالحجارة على كيفية لا تطاق مهلكة هلاك الاستئصال. (السابق نفسه). جاء في المفردات في غريب القرآن:" وريح عقيم يصح أن يكون بمعنى الفاعل، وهي، التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، ويصح أن يكون بمعنى المفعول كالعجوز العقيم وهي التي لا تقبل أثر الخير، وإذا لم تقبل ولم تتأثر لم تعط ولم تؤثر، قال تعالى: [إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم]ويوم عقيم لا فرح فيه (الراغب -1 / 342.)

وجاء في تفسير ابن كثير :"وقد ذكر الله، سبحانه، صفة إهلاكهم في أماكن أخرى من القرآن، بأنه أرسل عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم"(ابن كثير ،3 / 435).. وجاء في البحر المديد :"{وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريحَ العقيمَ} وُصفت بالعقيم؛ لأنها أهلكتهم ، وقطعت دابرهم ، أو : لأنها لم تتضمن خيراً مّا ، من إنشاء مطرٍ ، أو إلقاح شجرٍ ، وهي الدّبور ، على المشهور ، لقوله -عليه السلام- : " نُصرتُ بالصّبَا ، وأُهلكت عادٌ بالدّبور " ، {وما تذرُ من شيءٍ أتتْ عليه} ،أي : مرت عليه {إلا جعلته كالرميم} وهو كل ما رمّ ؛ أي : بلي وتفتت ، من عظم ، أو نبات ، أو غيره ، والمعنى: ما تركت شيئاً هبتَ عليه من أنفسهم وأموالهم إلا أهلكته"(ابن عجيبة الحسني1423هـ،2002م،7/ 308.) قال ابن الجوزي: "وهي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً، وإنما هي للإهلاك"(ابن الجوزي ،1385هـ -1965م. 39/8.).

8-الريح القاصفة:

قَصَفَهُ يَقْصِفُه قَصْفاً: كسره، ومنه قَصَفَ القناةَ والعُودَ والظَّهْرَ، يقال: عَصَفَتِ الريحُ فَقَصَفَتِ السفينة (الراغب:405، و الفيروزآبادي:274/4، مجموعة مؤلفين:746/2)..، و(قَاصِفاً) من الريح هي التي تُكْسِرُ سُفُنَهُم ،والقاصف الريح الشديدة لا تمرُّ بشيء إلا كَسَرَتْهُ وجاءت اللفظة في الشعر العربي:

تميمٌ تمنَّى الحربَ مَالَم أُلاَقِها..... وهُم قُصفُ العِيدَان في الحَرْبِ خُورها (الطرماح:255).

يقول ابن فارس:":" (قصف) القاف والصاد والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على كسرٍ لشيء. ولا يُخْلِف هذا القياسُ. يقال: قصَفت الرِّيحُ السفينةَ في البحر. وريحٌ قاصف. والقَصِف: السَّريع الانكسار. والقَصِيف: هشيم الشَّجر. ومنه قولُهم: انقصفوا"(ابن فارس ،5 / 92).وقد ذكرت في القرآن الكريم في موضع واحد ،قال تعالى:[أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً][الإسراء : الآيات 68 إلى 69] جاء في تفسير الفخر الرازي: "وقوله : {فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا} من الريح القاصف الكاسر يقال : قصف الشيء يقصفه قصفاً إذا كسره بشدة ، والقاصف من الريح التي تكسر الشجر ، وأراد ههنا ريحاً شديدة تقصف الفلك وتغرقهم وقوله : {فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ }، أي: بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً. قال الزجاج : أي: لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم بأن يصرفه عنكم ، وتبيع بمعنى تابع". (الفخر الرازي، (ت606هـ) 1357-هـ -

1938م،1 / 2831.). جاء في تفسير البحر المحيط:" والنار التي في الإعصار هي السموم التي تكون فيها. وقال ابن مسعود: السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءا من النار، يعني، نار الآخرة، وقد فسر أنها هلكت بالصاعقة. وقال الحسن والضحاك: إعصار فيه نار، أي: ريح فيها صر برد (أبو حيان ،2 / 327). جاء في أضواء البيان :" والقاصف: ريح البحار الشديدة التي تكسر المراكب وغيرها. ومنه قول أبي تمام:

إنَّ الرياحَ إذا ما أعصفتْ قصفتْ ** عَيدانَ نَجْدٍ ولم يَعْبأْنَ بالرَّتَمِ (أبو تمام:314/1)

يعني: إذا ما هبت بشدة كسرت عيدان شجر نجد رتماً كان أو غيره". (الشنقيطي: 18 / 324)

جاء في البحر المديد في تفسير قوله تعالى: "[فيُرسلَ عليكم قاصِفًا من الريح]، أي : ريحًا شديدة ، لا تمر بشيء إلا قصفته ،أي : كسرته ، [فيُغرقكم] ، وعن يعقوب : " فتغرقكم "، على إسناده إلى ضمير الريح. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: بنون التكلم في الخمسة. يفعل ذلك بكم [بما كفرتم]، بكفركم، أي: بسبب إشراككم، أو كفرانكم نعمة الإنجاء، {ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا}، مطالبًا يتبعنا بثأركم، كقوله: [وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا] [الشمس: 15]، أو : لا تجدوا نصيرًا ينصركم منه. والله تعالى أعلم"(ابن عجيبة الحسني،4 / 151). وجاء في المفردات في غريب القرآن:" وهي التي تقصف ما مرت عليه من الشجر والبناء، ورعد قاصف في صوته تكسر، ومنه قيل لصوت المعازف قصف، ويتجوز به في كل لهو"(الراغب الأصفهاني (1 / 405)، وجاء في روح المعاني :"فيرسل عليكم وأنتم في البحر قاصفاً من الريح وهي الريح الشديدة التي تقصف ما تمر به من الشجر ونحوه أو التي لها قصيف، وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي: تتكسر ،وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : القاصف من الريح الريح التي تغرق ،وقيل : الريح المهلكة في البر حاصب والريح المهلكة في البحر قاصف والعاصف كالقاصف كما روي عن عبد الله بن عمرو وفي رواية عن ابن عباس تفسير القاصف بالعاصف وقرأ أبو جعفر من الرياح بالجمع فيغرقكم الله سبحانه بواسطة ما ينال فلككم من القاصف"(الالوسي، 15 / 117). وجاء في تفسير الشعراوي:" القاصف: هو الذي يقصف بعنف وشدة، ولا يكون إلا في اليابس"(الشعراوي ،1991م،1 / 5271)

ثانياً- رياح الرحمة والخير:

1-الرياح الناشرات:

يقول ابن فارس: "النون والشين والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على فَتْحِ شيء وتشعُّبِه. ونَشَرت الخشبةَ بالمنشار نَشْراً. والنَّشْر: الرِّيح الطيِّبة"(ابن فارس ، 5 / 430)،قال مُرَقِّش:

النَّشْر مِسْك والوُجُوه دَنا نِيرٌ وأَطرافُ الأَكفِّ عَنَمْ (ابن منظور ،5 / 206)

أَراد النَّشْرُ مثلُ ريح المسك .....والنَّشْر بالسكون الريح الطيبة أَراد سُطوعَ ريح المسك منه ،ونَشَر الله الميت يَنْشُره نَشْراً ونُشُوراً وأَنْشره فَنَشَر الميتُ لا غير أَحياه، قال الأَعشى:

حتى يقولَ الناسُ مما رَأَوْا يا عَجَباً للميّت النَّاشِرِ (الأعشى،1/26.)

وفي التنزيل العزيز قال تعالى: [وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً][البقرة : آية 259]

قال الفراء: "من قرأَ كيف نُنشِرها بضم النون فإِنْشارُها إِحياؤها"(الفراء،1/158)

وقد وردت في قوله تعالى:[وَالنَّاشِراتِ نَشْراً] [المرسلات: 3] ويقصد بها الرياح المسؤولة عن حمل كل نوع من السحب في مكانه بطبقات الجو، والنَّشْر الحياة: وأنشر الله الريحَ أحياها بعد موت ،وأرسلها نَشْراً ونَشَراً ،قال الراغب: "النشر :نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث" بسطها(الراغب الاصفهاني ،1 / 492).،قال الفراء : "والنَشْر من الرياح: الطيبة اللينة التي تنشىء السحاب (الفراء ،2 / 52.). جاء في تفسير ابن كثير: "الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل"(ابن كثير ،8 / 297).

وجاء في تفسير السعدي:" [وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا]يحتمل أنها الملائكة ، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها(السعدي ،1 / 903.)

2-الرياح اللواقح:

من لقح : واللِّقاح اسم ماء الفحل من الإبل والخيل ،ويقال :أَلْقَحَ الفَحْلُ النَّاقةَ إِلْقاحاً ولَقاحاً، فالإلقاح مصدر واللِّقاح اسمه قائم مقامه ، ثم استعير في النساء ،فيقال :لَقِحَتْ إذا حَمَلَتْ ولَقِحَتْ الناقة لَقاحاً ولَقْحاً ولَقَحاً قبلت اللِّقاح فهي لاقِح من الإبل اللَّوَاقِح ولُقّح (ابن منظور(لقح)2/579، والزبيدي(لقح))، ولَقُوح من إبل لُقُح . وهي الأبنية الخاصة بالمؤنث بناء (فاعل)العاري من العلامة (السابق نفسه.). وقد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى :[وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ][الحجر : الآيات 22]واحتمل (لواقح)وجهين عن أهل اللغة والمفسرين.

الأول-أن قياسه (مَلاَقِح)؛ لأنه من أَلْقَحَت الريحُ الشجرَ فهي مُلقح وجمعها ملاقِح ومجيئها في القرآن بصورتها جاء على حذف الزائد ،وقد أورد صاحب اللسان لابن جني قولاً هو: "قياسُهُ مَلاقِح ،لأن الريح تُلَقِحُ السحابَ وقد يجوز أن يكون على لَقِحَت فهي لاَقِح .فإذا لقحت فزكت أَلْقَحَتِ السحاب .فيكون هذا مما اكتفى فيه بالسبب عن المسبب (السابق نفسه).

الوجه الثاني- فهو عن حكم اللفظ الظاهر أنها جمع لاَقِحَة؛ أي: حوامل بالسحاب؛ لأنها تسوقه (السابق نفسه). قال الفراء :"الريح هي التي تُلْقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللُّقاح :فيقال : (ريحٌ لاَقِحٌ) (الفراء ،2/88.،وينظر: الأزهري، ت370هـ)، والترجمة (د.ت) (لقح)،وأبي حيان،5/451).

هذا أحد توجيهاته للفظة ،وأما الآخر عنده هو أن يكون وصفاً باللقاح وإن كانت تلقح .

ونقل عن ابن الهيثم : ريحٌ لاقحٌ ،أي: ذات لُقاح ،كما يقال: درهم وازن أي ذو وزن أو كما مربنا (لابن- تامر)ورده ابن منظور بكونها تحمل السحاب في الماء فهي لاقح (ابن منظور،،(لقح)579/2.)واستشهد بقوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ][الأعراف : آية 57] فبقوله: أقلت، أي :حملت، وعلى هذا الجوهري ،وقال ابن سيده :ريح لاقح على النسب تلقيح الشجر عنها كما قالوا في ضده عقيم. (ابن منظور(لقح)579/2، وينظر الراغب، "لقح")

أما المفسرون (ينظر، الزمخشري (ت528)،1354ه،312/2) فقد فسروا اللواقح أنها جمع لاقحة، أي: أرسلنا الرياح حاملة بالسحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة إذا حملت وكله من المجاز، وضدهم العقيم. وقال بعض العلماء، اللواقح: بمعنى الملاقح، أي: التي تلقح غيرها من السحاب والشجر وعلى هذا ففيه وجهان:

أحدهما-أن المراد النسبة، فقوله: لواقح ، أي: ذوات لقاح، كما يقال سائف ورامح، أي: ذو سيف ورمح ومن هذا قول الشاعر:

وغررتني وزعمت أنك لابن في الحي تامر

أي: ذو لبن وتمر، وعلى هذا فمعنى لواقح، أي: ذوات لقاح، لأنها تلقح السحاب والشجر.

الوجه الثاني- أن لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة، وملقح اسم فاعل، ألقحت السحاب والشجر كما يلقح الفحل الأنثى، وغاية ما في هذا القول إطلاق لواقح وإرادة ملاقح(الشنقيطي 16 / 31).

3-ريـاح الـرخاء:

من الرِّخْوُ والرَّخْوُ والرُّخْو الهَشُّ من كلّ شيءٍ غيره وهو الشيء الذي فيه رَخاوة، قال أَبو منصور كلامُ العرب الجيّدُ الرِّخْو بكسر الراء قاله الأَصمعي والفراء قالا: والرَّخْوُ بفتح الراء مُوَلَّد والأُنثى بالهاء رَخُوَ رَخَاءً ورَخاوَةً ورِخْوةً الأَخيرة نادِرَة ورَخِيَ واسْتَرْخى ..... ورَخِي الشيءُ يَرْخى ورَخُوَ أَيضاً إِذا صار رِخْواً وأَرْخى الرِّباط وراخاه جَعَلَه رِخْواً وفيه رُخْوة ورِخْوة، أَي: اسْترخاءٌ، وفرسٌ رِخْوة، أَي: سَهْلَةٌ مُسْتَرْسِلَة(ابن منظور ،14 / 314)قال أَبو ذؤيب:

تَغْدُو بِهِ خَوْصاءُ تَقْطَعُ جَرْيَها حَلَقَ الرِّحالَةِ فَهْيَ رِخْوٌ تَمْزَعُ (السابق نفسه)

أَراد فهي شيءٌ رُخْوٌ، فلهذا لم يقل رِخْوة وأَرْخَيْت الشيءَ وغيرَه إِذا أَرْسَلْته، وهذه أُرْخِيَّةٌ لما أَرْخَيْتَ من شيءٍ قال ابن بري:" والأَراخِيّ جمع أَرخِيَّة لما اسْتَرْخى من شَعَرٍ وغيره، قال مُلَيْح ابنُ الحَكَم الهذلي:

إِذا أَطْرَدَت بين الوِشاحَيْن حَرَّكَتْ أَراخِيّ مُصْطَكٍ من الحَلْيِ حافِل

وقد اسْتَرخى الشيءُ ومن أَمثال العرب أَرْخِ يدَيْكَ واسترْخِ إِنَّ الزِّنادَ من مَرْخٍ يُضْرَب لمن طلبَ حاجةً إلى كريم يكفيك عنده اليسيرُ من الكلام، والمُراخاةُ أَن يُراخِيَ رباطاً ورِباقاً والرَّخاءُ سَعَة العَيْش. (السابق نفسه)

ومنه الحديث :"ليس كلُّ الناسِ مُرْخًى عليه" (ينظر:المتقي الهندي،248/4،وابن الجوزي:387/1،، وابن الاثير:509/2).أي: مُوسَّعاً عليه في رِزْقِه ومَعيشَته، قال :" الليث الرُّخاءُ من الرِّياح اللَّيِّنة السريعة لا تُزَعْزِعُ شيئاً ،والرُّخاءُ بالضم الريحُ اللَّيِّنَة ،وفي التنزيل العزيز [تَجري بأَمرِه رُخاءً حيثُ أَصابَ] [ص : الآيات 36 إلى 40]أَي :حيث قَصَد ،وقال الأَخفش"، أَي: جعلناها رُخاءً ،واسترخى به الأَمرُ وقع في رَخاءٍ بعدَ شِدَّةٍ "(ابن منظور- (14 / 314)جاء في أصل هذه اللفظة أنها تدل على لين وسخافة عقل، ومنه شيء رخو بكسر الراء وضمها ،ويقال :أرخت الناقة ،وفرس رخو، ومنه الرخاء وهي الريح اللينة، قال الراغب: "الرخاء الريح اللينة السريعة التي لا تزعزع شيئاً"(الراغب:192/1،.). وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: [فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ][ص : الآيات 36 إلى 40] ،وجاء في تفسيرها ما جاء عند اللغويين :أنها الريح اللينة التي لا تزعزع شيئاً (ينظر: البيضاوي،(772هـ) (د.ت)، 313/2،.)

4-الرياح المبشرات:

والبِشْرُ الطَّلاقَةُ وقد بَشَرَه بالأَمر يَبْشُرُه بالضم بَشْراً، وبُشُوراً وبِشْراً وبَشَرَهُ به بَشْراً كله، وبَشَّرَهُ وأَبْشَرَهُ فَبَشِرَ به، وبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْراً وبُشُوراً ،يقال: بَشَرْتُه فَأَبْشَرَ واسْتَبْشَر وتَبَشَّرَ وبَشِرَ كلها بمعنى الفَرِحَ (ابن منظور- 4 / 59)

وفي التنزيل العزيز قال تعالى: [فاسْتَبْشِروا بِبَيْعِكُمُ الذي بايَعْتُمْ به] [التوبة: آية 111] وفيه -أَيضاً- قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] [فصلت : الآيات 30 إلى 32] واسْتَبْشَرَه كَبَشَّرَه، قال ساعدة بن جؤية:

فَبَيْنَا تَنُوحُ اسْتَبْشَرُوها بِحِبِّها ... عَلى حِينِ أَن كُلَّ المَرامِ تَرومُ

والبِشارَةُ المُطْلَقَةُ لا تكون إِلاَّ بالخير وإِنما تكون بالشر إِذا كانت مقيدة كقوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ][آل عمران : آية 21] والاسم البُشْرى، قال تعالى :[لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ] [يونس : الآيات 62 إلى 64]

وفيه ثلاثة أَقوال: أَحدها- أَن بُشْراهم في الدنيا ما بُشِّرُوا به من الثواب ،قال الله تعالى: [ويُبَشِّرَ المؤمنين] وبُشْراهُمْ في الآخرة الجنة ،وقيل: بُشْراهم في الدنيا الرؤْيا الصالحة يَراها المؤْمن في منامه أَو تُرَى له، وقيل: معناه بُشْراهم في الدنيا أَن الرجل منهم لا تخرج روحه من جسده حتى يرى موضعه من الجنة،

قال الله تعالى:[إِنَّ الذين قالوا رَبُّنا اللهُ ثم استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكةُ أَن لا تخافوا ولا تحزنوا وأَبْشِرُوا بالجنةِ التي كنتم توعدون] [فصلت: آية 29]

والمبَشّراتُ الرياح التي تَهُبُّ بالسحاب وتُبَشّرُ بالغيث وفي التنزيل العزيز: [وَمِنْ آياته أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]تعالى: [الروم : آية 46]وقال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ][الأعراف: آية 57]

فالمبشرات إذن هي الرياح التي تسبق المطر وتبشر بقدوم الخير، وقد وردت في عدة مواضع من كتاب الله تعالى، منها قوله جل شأنه: [وَمِنْ آياته أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]تعالى: [الروم : آية 46] وبعض اللغويين عمم البشارة للخير والشر. جاء في القرآن الكريم (مبشرات) في قوله تعالى : [وَمِنْ آياته أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ][الروم : آية 46] ،وهو تأويلها عند المفسرين هي الشمال والصبا والجنوب، وهي التي قيل عليها رياح الرحمة وقد ذكرت في شعر كثير عزة :

يجيءُ بريّاها الصّبا كلَّ ليلةٍ ** وتجمعُنا الأحلامُ في كلِّ مرقدِ(كثير عزة ،1 / 67)

في حين الدبور عرفت بريح العذاب وقد جاءت بصيغة المصدر[بشراً] في قوله تعالى:[وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ][الأعراف: آية 57].

5-الرياح المقلة:

يقال: أَقَلَّ الشيءَ يُقِلُّه واستقلَّه يستقلُّه إذا رفعه وحمله، وأَقَلَّ الجَرَّة أَطاق حملها، وأَقَلَّ الشيء واستقبلَّه حمله ورفعه، وقُلَّة كل شيء رأْسه ،والقُلَّة أَعلى الجبل، وقُلَّة كل شيء أَعلاه، واستقلَّ الطائر في طيرانه نَهض للطيران وارتفع في الهواء، واستقلَّ النبات أَناف ،واستقلَّ القوم ذهبوا واحتملوا سارين وارتحلوا، قال الله عز وجل: [حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً] ،أَي: حَمَلت، واستقلَّت السماء ارتفعت، وفي الحديث ((حتى تَقالَّت الشمس)) (ابن الأثر،160/4). أَي: استقلَّت في السماء وارتفعت وتعالَتْ، وفي حديث عمرو بن عَنْبسة قال له ((إذا ارتفعت الشمس فالصلاة مَحْظُورة حتى يستقلَّ الرُّمْحُ بالظِّل)) (السابق نفسه.)، أَي: حتى يبلُغ ظل الرمح المغروس في الأَرض أَدنى غاية القِلَّة والنقص ،لأَن ظل كل شخص في أَوَّل النهار يكون طويلاً ثم لا يزال ينقص حتى يبلُغ أَقصره، وذلك عند انتصاف النهار، فإِذا زالت الشمس عاد الظل يزيد ،وحينئذ يدخُل وقت الظهر ،وتجوز الصلاة ويذهب وقت الكراهة (ابن منظور ،11 / 563).

لقد نسب الفعل (أقل) إلى الرياح وهو فريد الصيغة في القرآن الكريم، قال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ][الأعراف : آية 57] ،والفعل من دلالات الرفع والحمل ،فالمعنى حملت الرياح السحاب نحو الأعلى وهي ملاءة بالماء فاحتملته مما يدل على قوتها بحيث تحمل السحاب الثقال. جاء في تفسير ابن كثير:"؛ أي: حملت الرياح سحابًا ثقالاً؛ أي: من كثرة ما فيها من الماء، تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة" (ابن كثير:430/3)،. يقول زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمتُ وجْهِي لمنْ أسْلَمَتْ ... لَـــــــــهُ المُزْنُ تَحْمل عَذْبـــــــا زُلالا

وأسلَمْتُ وَجْهي لمن أسلَمَتْ ... له الأرض تحملُ صَخرًا ثقالا" (السابق نفسه.).

يقول النحاس: "حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً؛ أي: حتى إذا حملت الريح سحاباً ثقالاً بالماء سقناه يعني السحاب لبلد ميت فأنزلنا به الماء" (النحاس، 1409ه- 3 / 45.)

6- الرياح الذاريات:

من ذرأ تقول: ذررت الريح التراب وغيره تذروه ذرواً وذرياً، وأذرته وذرته أطارته ونسقته وأذهبته، وقيل: حملته فأثرته. والذاريات الرياح التي تذروا التراب، أي: تفرقه، وفي قوله تعالى: [فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ] [الكهف : آية 45] بمعنى تفرقه وتنسفه، جاء في تفسير ابن كثير :" [تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ]، أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال" (ابن كثير ، 5 / 161).كما جاء في تفسير الغريب لقوله تعالى: [وَالذَّارِياتِ ذَرْواً فَالْحامِلاتِ وِقْراً فَالْجارِياتِ يُسْراً] [الذاريات : الآيات 1 إلى 3]" أنه جل في علاه أقسم بالرياح تذرو التراب فالحاملات وقراً السحاب الذي تسوقه الرياح وثقله فتقسم المطر. والفاء هنا أفادت معنى الترتيب والتعقيب" ينظر: المصري ،1992م. :390/1). وجاء في تفسير السعدي : "والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذروا، في هبوبها { ذَرْوًا } بلينها، ولطفها، وقوتها، وإزعاجها". (السعدي ،1 / 808.). وقد وردت في شعر كثير عزة:

كأنَّ الرِّيَاحَ الذّارياتِ عشيّةً ** بأطْلالها يَنْسِجنَ رَيْطاً مُسهَّما (كثير عزة ،1 / 193).

يقول ابن منظور في معنى لفظة الذاريات :" يعني الرِّيَاحَ ،وقال في موضع آخر: تَذْرُوه الرِّيَاحُ وريحٌ ذارِيَةٌ تَذْرُو التُّراب، ومن هذا تَذْرِية الناس الحنطةَ، وأَذْرَيْتُ الشيءَ إِذا أَلْقَيْتَه مثلَ إِلْقائِكَ الحَبَّ للزَّرْع، ويقال للذي تُحْمَلُ به الحنطة لتُذَرَّى: المِذْرى، وذَرى الشيءُ، أَي: سَقَط، وتَذْرِيَة الأَكْداسِ مَعْرُوفة ذَرَوْت الحِنْطة والحبَّ ونَحْوَه أَذْرُوها وذَرَّيْتُها تَذْرِيَة وذَرْواً منه نَقَّيْتها في الريح، وقال ابن سيده في موضع آخر ذَرَيْتُ الحَبَّ ونحوه وذَرَّيْته أَطَرْته وأَذْهَبْته، قال: والواو لغة، وهي أَعْلى، وتَذَرَّت هي

تَنَقَّت ،والذُّراوَةُ ما ذُرِيَ من الشيء ،والذُّراوَةُ ما سَقَطَ من الطَّعام عند التَّذَرِّي، وخص اللحياني به الحِنْطة، قال حُمَيْد بن ثَوْر:

وعادَ خُبَّازٌ يُسَقِّيه النَّدى ذُراوَةً تَنْسجُهُ الْهُوجِ الدُّرُجْ والمِذْراة

والمِذْرى خَشَبَةٌ ذات أَطْراف وهي الخشبة التي يُذَرَّى بها الطَّعامُ وتُنَقَّى بها الأَكْداس ومنه ذرَّيْتُ تراب المعدن إِذا طَلَبْت منه الذَّهَب، والذَّرى اسمُ ما ذَرَّيْته مثل النَّفَضِ اسم لما تَنْفُضُه قال رؤبة:

كالطِّحْن أو أَذْرَتْ ذَراً لم يُطحن

يعني ذَرْوَ الريح دُقاقَ التُّراب وذَرَّى نَفَسَه سَرَّحه كما يُذَرَّى الشيءُ في الريح"(الفراهيدي ،7 / 202، وابن منظور ،14 / 282.)

7- الرياح الطيبة:

طِيّب في اللغة على بناء فيعل، وهو خلاف خبيث، والطيبة نعت. وإذا قيل: أرض طيبة؛ أي: تصلح للزرع والإنبات، وريح طيبة إذا كانت لينة ليست بشديدة، وطعمة طيبة إذا كانت حلالاً .وامرأة طيبة إذا كانت عفيفة حصينة ،وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيبة إذا كانت آمنة كثيرة الخير(ابن منظور (طيب):والسمين الحلبي(ت756هـ)،1995م. :157/3،و الفيروزآبادي، (ت817هـ)، ؛1964م. :113/4.) وكل ما طابت له النفس وانشرحت له فهو طيب وطاب، وجاءت الريح في الآية مفردة ولكنها موصوفة بكونها طيبة، حيث طابت بها نفوس من كانوا في الفلك. قال تعالى:[هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ][يونس: الآيات 22 - 23].

ثالثاً -رياح بين الرحمة والعذاب:

1-الريح المصرفة:

الصَّرْفُ رَدُّ الشيء عن وجهه، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ، وصارَفَ نفْسَه عن الشيء صَرفَها عنه وقوله تعالى: [وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا][التوبة : آية 127]

أَي: رَجَعوا عن المكان الذي استمعُوا فيه وقيل انْصَرَفُوا عن العمل بشيء مما سمعوا، وقال تعالى:[صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ] [التوبة: آية 127]؛ أي: أَضلَّهُم الله مُجازاةً على فعلهم، وصَرفْتُ الرجل عني فانْصَرَفَ، والمُنْصَرَفُ قد يكون مكاناً وقد يكون مصدراً وقوله عز وجل: [سأَصرِفُ عن آياتي] [الأعراف: آية 146] أَي : أَجْعَلُ جَزاءهم الإِضْلالَ عن هداية آياتي، وقوله عز وجل:[فما يَسْتَطِيعُون صَرْفاً ولا نَصْراً]

[الفرقان: آية 19]أَي: ما يستطيعون أَن يَصْرِفُوا عن أَنفسهم العَذابَ ولا أَن يَنْصُروا أَنفسَهم.....وصَرْفُ الكلمة إِجْراؤها بالتنوين [وصَرَّفْنا الآياتِ][الأحقاف : الآية:27] أَي: بيَّنّاها وتَصْريفُ الآيات تَبْيينُها والصَّرْفُ أَن تَصْرِفَ إِنساناً عن وجْهٍ يريده إِلى مَصْرِفٍ غير ذلك وصَرَّفَ الشيءَ أَعْمله في غير وجه كأَنه يَصرِفُه عن وجه إِلى وجه، وتَصَرَّفَ هو وتَصارِيفُ الأُمورِ تَخالِيفُها، ومنه (تَصارِيفُ الرِّياح والسَّحابِ)، قال الليث: تَصْريفُ الرِّياحِ صَرْفُها من جهة إِلى جهة، وكذلك تصريفُ السُّيُولِ والخُيولِ والأُمور والآيات وتَصْريفُ الرياح جعلُها جَنُوباً وشَمالاً وصَباً ودَبُوراً فجعلها ضُروباً في أَجْناسِها وصَرْفُ الدَّهْرِ حِدْثانُه ونَوائبُه. (ابن منظور9 / 189.). فتصريف الرياح كما قال المفسرون: هو تقلب أحوالها، واختلاف أنواعها، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، تارة مبشرة بين يدى السحاب، وتارة تسوقه ،وتارة تجمعه، وتارة تكون صَبَاً، وتارة تكون دبور.(ابن كثير ،201/1).

الخاتمـــة، ونتـــــــائج البـــــــحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

لله الحمد والمنة كل صباح ومساء الذي يسر حياتنا وانعم علينا بفضله ورفق بنا بحلمه والصلاة والسلام على حبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب ودوائها وعافية الابدان وشفائها الرحمة المهداة والسراج المنير.

وبعد ،،،

قمنا بعد رعاية الله وتسهيله بالتبحر والغوص والتنعم والتزهر بكلام الله المعجز الذي تكثر دره ولا تنتهي نسائمه الخيرة الطاهرة وكان مبتغانا في هذا البحث دراسة ألفاظ الرياح بين الرحمة والعذاب للوقوف على ما أقدرنا عليه الله من كشف بعض أسرارها وأسرار ما خلقت له لنزداد إيماناً بعظمة الخالق الذي يدبر أمر هذا الكائن والمخلوق العظيم -الذي نحسه ولا نرى سوى أثره- لتنفيذ أوامره ،و تسخيره وإخضاعه لقدرة إنسان بسيط لا يساوي قدرة الريح وهيمنتها العاتية القوية التي لا يصدها صد ولا يقف أمامها حد عندما أخضعها لأمر سيدنا سليمان -عليه السلام-.

فالرياح آية عظيمة من آيات الله يسخرها كيف يشاء، ينعم بها على من يشاء ويجعلها أداة عذاب ونقمة على من يشاء. وبما أن أمرها بيد الله فلا يمكن لمخلوق أن يقف أمامها أو يمنعها أو يكونها أو يحركها من مكان إلى مكان إلا بإذنه سبحانه.

- لقد خلق الله هذا الكون الفسيح وأبدع فيه، فجعل فيه آيات كثيرة منظورة وغير منظورة ندركها بالحواس تبهر العقول، وتكشف لنا عن قدرة الله وهيمنته على ملكوته جل في علاه ، ومن إبداعاته وقدراته خلقه للرياح بجميع أصنافها وتنوعاتها ؛حيث مكن هذا المخلوق من القدرة الهائلة على حمل

مليارات الأطنان من ذرات المياه على هيئة بخار ماء لتنقله إلى الأرض الجرز لتتحول من أرض جرداء لا حياة فيها إلى أرض خصبة مخضرة مليئة بالنباتات والأشجار وتنعم بالازدهار والنماء.

-كما خلق جل جلاله الرياح العاتية القوية التي تفجع القلوب وترعش الأبدان وتشتت الجمع كالتي مزقت قوم عاد، وثمود وغيرهم من الأمم السابقة واللاحقة كما حدث في بضع السنين التي مضت (ما يعرف بالتسنامي).

-ومن عظمة الله وقدرته تمليك الريح لسيدنا سليمان يسخرها بأمره كيف يشاء لقضاء حوائجه والاستعانة بها في شؤونه، فالسؤال هنا يكمن في كيف لإنسان ضعيف مقابل تلك القوة العظمي التي تهلك وتدمر ومحط خوف وهلع ويصعب السيطرة عليها وتوجيها لولا إخضاعها من قبل الله جل في علاه له، فشتان بين المخلوقين لولا قدرة الله لما كان لسيدنا سليمان القدرة عليها وتسخيرها كيفما يشاء...

-الرياح من الظواهر الطبيعية التي تعبر عن نفسها تعبيراً واضحاً في البيئة الصحراوية والجبلية وترتبط بحياة أهلها ارتباطاً وثيقاً بما تحمل من خير أو خطر وبما لها من أثر في السحاب والمطر الذي تتوقف عليه حياتهم إلى حد بعيد، ومن هنا كان اهتمام العربي بها، فعرفوا جهات هبوبها وأوقاتها ودرجات مرورها وآثارها وأطلقوا عليها الألفاظ التي تعبر عن مظاهر اختلافها وتنوعاتها.

- لقد تبين لنا من خلال البحث بأن الله جل جلاله جعل الرياح رسالة سماوية جعل منها ذات الرحمة تقوم بتلقيح الأرض وما عليها؛ لتكون النباتات والأشجار كي تخضر الأرض وتثمر وتزهو بمناظرها الخلابة وروائحها العطرة؛ لكي يعيش الإنسان سعيدا مرتاح البال، وأخرى ذات عذاب بها قوة وعظمة ترهب الإنسان وتجعله يحسب لها ألف حساب عند هبوبها حتى أن رسولنا الكريم طلب منا التعوذ بالله من شرها والاغتنام من رحماتها وبركاتها ورخائها إذا كانت رياح رحمة وتبشير والاغتنام من بركتها إذا أرسلت للخير.

-الرياح أداة لنقل المسافرين والبضائع بملايين الأطنان عبر دفعها للمراكب والسفن على ظهر البحار والمحيطات والأنهار، قال تعالى:[وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍأَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ][الشورى : الآيات 32 إلى 35]

-الرياح الباردة تبشر بحضور الماء القراح الذي يغذي الآبار والعيون والينابيع والأنهار، ولولا قدرة الله على تسخير تلك الرياح لجلب السحب بالماء والبرد لما استطاع لا حيوان ولا إنسان من العيش على هذه البسيطة.

- أسماء الرياح المتعلقة بالقلاع والزلازل والدمار والعصف والإحراق دلالة ألفاظها قوية بها شدة وعنف، العاصف، الذارية، والصر، والعقيم، والصرصر...الخ . وأسماء الرياح المتعلقة بالأمطار والسحب

والمياه جاءت كلها لتدل ألفاظها على اللين والرحمة والسهولة والرخاء، النشر، والمبشرات، والمرسلات...إلخ.

- تسخر أحيانا لقتل الجراثيم والفيروسات والأوبئة العالقة في الجو، وهذا ما لاحظناه بأم أعيننا.

وفي نهاية القول: إن الله جل جلاله لم يكن منه إلا الخير ومازال فما خلقه لهذا المخلوق العظيم الذي يرهب ويقلع ويدمر إلا لحكمة منها تكسير عظام وإذلال الجبابرة قساة القلوب عندما تجبروا وتعالوا ووصل بهم الجحود إلى نكران الذات الإلهية وتأليه أنفسهم، ونصرة لعباده الضعفاء الذين تعرضوا لشتى أنواع العذاب من الذين يظنون أنهم بلغوا الجبال والأرض طولاً، ففي لحظة أصبحوا هشيماً تذروهم الرياح لا أثر لهم سوى بعض حاجياتهم ومساكنهم. فبعد فسادهم وإكثارهم الفساد بقتلهم وظلمهم للرعية هنا تدخل الخالق المهيمن بنصر ضعفائه وذلك بتسخير هذه القوة العظمي لإذلالهم وإركاعهم ودثرهم من على الوجود، فأرسل عليهم العقيم والصرصر والصواعق والصر والأعاصير ذات النيران المحرقة جزاء لهم وتحجيماً لهذا المخلوق الجاحد الضعيف.

-وعلى الرغم مما يصدر من بني آدم من أخطاء ومعاصي وجحود إلا أن الله لم يتركه بل سخر له الرياح وذللها لتجلب له الرزق حتى لا يموت فيها ولا يعيا فأرسلها لتلقيح الأشجار وإنبات النباتات وبالأرض تخزنت المياه العذبة النقية وتبخر ما لا ينفع الناس .قال تعالى:[أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ][الرعد : آية 17]

-للرياح تأثير على الإنسان في جسده ونفسيته، فقد تكون الريح لينة باردة رطبة، وهذه تزيد من نظارة البَشَرة وتريح النفس وتطمنها، وقد تكون ريحا جافة بالتالي تؤثر على البشرة فتشققها من شدة حرارتها وجفافها وقوة هبوبها، مما يؤدي إلى توتر النفس وانجعازها.

- الرياح تحمل الغبار، وتنقل الأتربة وتقلب الأرض وتزيل منها الرطوبة، وتزيد من صلاحها، قالت العرب :((إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرضون))

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم كتاب الله العزيز برواية قالون عن نافع.
-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط4، مصطفى البابي الحلبي 1398هـ
-الأزمنة والأمكنة، لأبي علي المرزوقي، (ت421هـ)، طبعة حيدر آباد، الهند،329/5.

-:أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت538هـ)دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ،1385هـ،1965م.
-إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، المعروف بابن السكيت، (ت244هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر،1963م.
-إصلاح الوجوه والنظائر، الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتب له واعلمه وأصلحه، عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف ب(تفسير البيضاوي)ت(772هـ)،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،(772هـ)،دار الجيل (د.ت).
- البحر المحيط، أثير الدين أبو عبد الرحمن يوسف علي بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الرحيم أحمد الزقة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1 ،1405هـ -1985م.
- البحر المديد، لأحمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2-1423هـ،2002م.
-البرهان في علوم القرآن، للزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،(ت794ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،مصر ،ط1 ،1377هـ -1957م.
-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ؛1964م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الزبيدي محب الدين مرتضى الحسيني، 1205هـ، تحقيق: كل جزء لمحقق من الأساتذة، طبعة الكويت، ولكل جزء تاريخ طبع.
- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري(400هـ)
-التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق الدكتور فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ط1992،1م.
-تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، اشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع.- (44 / 24)
-تفسير الشعراوي، الشعراوي محمد متولي، (خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن، راجعه، أحمد عمر هاشم، مصر دار أخبار اليوم ،1991م.
-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت774ه)، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة.

-التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، (ت606هـ) بإشراف عبد الرحمن محمد، مطبعة المصرية، ط1-1357ه-1938م.
-تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، (ت104هـ) تحقيق: طاهر بن محمد السورتي، المنشورات، بيروت، (د.ت)
- تهديب اللغة، للأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت370هـ)، تحقيق: أحمد محمد عبد العليم الردواني والأستاذ عي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).
-التيسير في القراءات السبع، الطبعة الثانية،1404ه
-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 ،1420هـ،2000م.
-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، (ت321هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة بحيدر آباد، مكتبة المثنى، بغداد، ط1-1345هـ
-ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب بالجمازية، المطبعة النموذجية، (د.ت)
-ديوان جرير، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر،1964م.
-ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،1391هـ -1970م.
-ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، ط3، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، (ت1270هـ) (د.ط)، و(د.ت)
الرياح نعمة ونقمة، منصور محمد حسين عبد النبي، دار الفكر العربي،1 يناير،2010،
-الريح والرياح في القرآن الكريم وكلام العرب، بحث مقدم للدكتور، على محمد العماري، ألقاه في جامعة أم القرى في شهر صفر،1409هـ
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجعفري القرشي البغدادي، (ت597هـ) المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ط1-1385هـ-1965م.
-السبعة في القراءات لابن مجاهد، أبوبكر أحمد بن موسى، (ت324هـ) تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،(د.ت)
- سنن ابن ماجه ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني،(ت275هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت لبنان، وطبعة أخرى غير محققه ،مطبعة دار الكتاب اللبناني القاهرة(د.ت)

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني الأزدي، (ت375هـ)، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، تعليق: كمال يوسف الحوت.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأررنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ،1414هـ-1993م.
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهر بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، -1422هـ.
-صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، ط2-1392هـ1972م.
طاقة الرياح وتطبيقاتها المختلفة، للسيد مصور ،11فبراير،2018م
-عمدة الحافظ في تفسير أشرف الألفاظ: للسمين الحلبي(ت756هـ)، تحقيق: عبد السلام التنوجي، الطبعة الأولى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،1995م.
-غريب الحديث للخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1402هـ.
-غريب القرآن، لليزيدي.
-الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان ط2(د.ت)
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت175هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي.
- الكشاف في غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، محمود جار الله بن عمر (ت528)، مطبعة مصطفي محمد، مصر، 1354هـ.
- لسان العرب ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت711هـ)، دار صادر بيروت،1599م
-المخصص ـ لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت458هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د.ت)
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت241هـ) المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت(د.ت).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، (ت 770هـ)(د.ط) ، و(د.ت).
- معاني القرآن: للفراء، أبو زكريا يحي بن زياد، (ت207هـ) ط2 عالم الكتب، بيروت،1980م.

-معاني القرآن - النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،ط1،-1904م
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)
- المفردات في غريب القرآن، أبو القسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت425هـ) تحقيق: محمد سيد كلاني، دار المعرفة، بيروت،(د.ت)
-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، وابنته (لاط)، و(لا. ت)
-النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير باب الجزري،(ت833هـ)تحقيق: على محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد ،مصر،(د.ت).
-نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،1424هـ2004م
-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعدات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير (ت 506هـ) تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العالمية، بيروت، لبنان، (د.ت)،136/1.
-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى القائي، (ت170هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والأعلام دائرة الآثار والتراث، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1409هـ - 1989م.

حجاجية التأويل في الخطاب الأصولي المعتزلي-كتاب "الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار" عيّنةً-

The Argumentative Interpretation of the Mystical fundamentalist discourse

"the five origins of Judge Abd Al-Jabbar" model

د. بسمة زحاف أستاذة متعاقدة بجامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي- الجزائر-
البريد الإلكتروني: www.zbesma91@gmail.com

الملخص:

تستهدف هذه الدراسة الكشف عن المظاهر الحجاجية للتأويل في الخطاب الأصولي المعتزلي ممثلاً في كتاب "الأصول الخمسة في علم الكلام" للقاضي عبد الجبار (ت415ه) هذا السفر الجليل ضمَّ قواعد مذهب المعتزلة وطرائق تأويلهم لنصوص النقول الشريفة قرآنًا وسُنَّةً، وأنماط اِستدلالهم لحجّية آرائهم العقدية. خاصةً في ظل الصراع الفكري المذهبي العقدي الذي نشأ واِحتدم بين الفرق الإسلامية وغيرها منذ بداية القرن الثاني للهجرة، فأفرز -بحقّ- مقاربات تأويليةً حجاجية تعكس وعيًا بمركزية الفهم والتأويل والاِستدلال المؤسِّس في الفكر العربي الإسلامي. ولتوضيح آليات اِشتغال الحجاج في المدونة قاربنا الموضوع مراوحين بين المنهجين الوصفي و التداولي، فقسّمنا العمل إلى قسمين :

أوّلاً: مدخل مفاهيمي؛ يجمع حدودًا لمصطلحات الحجاج والتأويل وعلم الكلام، ويُبيّن التواشج بينها...

ثانيًا: اِشتغال تطبيقي على المدونة بدءًا بـ : تقديم السياق العام لتأليفها من حيث التعريف بمنتج الخطاب، فوصف المدونة وتحديد مقاصد المؤلِّف فبيان حجاجية عنوان المُؤلَّف، ثمَّ إبراز بعض الآليات الحجاجية التي تبناها "القاضي عبد الجبَّار" في التمكين لمذهبه وإقرار مقولاته.

الكلمات المفتاحية:. التأويل، الحجاج، علم الكلام، القاضي عبد الجبَّار، الأصول الخمسة في علم الكلام.

الملخص باللغة الإنجليزية:

This study aims at revealing the arguments of interpretation in the fundamentalist discourse, represented by the Mayor of the works of the people of Azal, the book of the five origins in the Speech Science of Judge Abd Al-Jabbar (T415E), which includes the rules on which the Muatzala doctrine was based and the methods of their interpretation of the texts of the Holy Qur'an and Sunna, and the patterns of reasoning of authority of their nodal opinions.

Especially since the beginning of the second century of immigration, the confessional intellectual conflict that has developed between Islamic and other groups has given rise to pejorative Taoist approaches that reflect an awareness of the centrality of understanding, interpretation and underlying reasoning of Arab-Islamic thought.

To illustrate the working mechanisms of pilgrims in the blog, we approached the topic in the two stages of descriptive and deliberative approaches, dividing the work into two sections:

First: A conceptual entry; He collects definitions of terms of Argumentation, Interpretation, The Speech Science, and shows the correlation between them...

Second it is to applied to the blog, starting with: Providing the general context for its authorship in terms of the product of the speech, describing the blog, defining the author's intent and an authoritative statement of the author's title, and then highlighting some of the authoritative mechanisms adopted by Judge Abdul Jabbar, in order to enable his doctrine and practice.

الكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية:

Interpretation , Argumentation , The Speech Science, Judge Abdul Jabbar , The five origins in the Speech Science .

أولاً: مدخل مفاهيمي

1. مفهوم الحجاج:

بدايةً وقبل أن مقاربة "الحجاج" كمصطلح له مفهومه الخاص، الذي يختلف من عالِم إلى آخر، من حيث منطلقاته التأسيسية وتطبيقاتُه الإجرائية، يتعيَّن الوقوف على ماهيته عند اللغويين العرب القدامى، لأجل استكناه جملة السمات المميِّزَة والعلاقات المنعقدة بين دلالاته اللغوية ومفهومه الاصطلاحي.

1.1. الحجاج في اللغة:

يعود مصطلح الحجاج إلى مادة "حجج"، وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد "ابن سيده"(ت458هـ) يقول:« حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجًا مُحَاجَّةً من حَجَجْتُهُ بالحُجَجِ التِي أَدْلَيْتُ بِهَا، والحُجَّةُ: البُرهان، وَقِيلَ: الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الخَصْم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. » (ابن سيّده، مادة حجج) فالحُجَّة هي البرهان أو مجموع الحجج التي يستدل بها المتكلم ليُفحم بها المتلقي.

ويَحُدُّه "الرازي"(ت666هـ) قائلاً :« الحجُّ في الأصل: القصد، والحُجّة: البرهان... والمَحَجّةُ بفتحتين: جادةُ الطريق » (الرازي، 1981، مادة حجج) فيُركِّز بذلك على التسوية الدلالية بين البرهان والحُجَّة التي هي القصد أو المسلك لبلوغ الغاية في المحاجَّة، وهو إقناع المعارِض بصحة الدعوى.

يتضح أنَّ "صاحب اللسان" (ت711هـ) حذا حذو "ابن سيده" في مفهومه عن "الحجاج"، والتسوية بين الحجة و البرهان. ويقرر أنَّ "الحجاج" يكون لخصومة وهذا ما دلت عليه كلمة "غلبة"، وتكون الغلبة في الخطاب للذي يُقيم الحجة و البرهان على صحة دعواه، ومادام هناك خصومة، فالجدال هو المظهر الذي يُجسِّد صورة الخطاب الحجاجي. (ابن منظور 1997، مادة حجج)

وأضاف "الجرجاني" (ت816هـ) مرادفاً ثالثاً لهما، وهو الدليل الذي يعضُد القضية التي يدَّعي المتكلم صدقيتها (الجرجاني، 2004، باب الحاء)

يتكشف لنا من خلال ما سبق من تحديدات لغوية، أنَّ الحِجَاج يدور في فلك المغالبة، كما يظهر وجود تقارب لغوي لأصل الحجاج، الذي يشمل القصد والمقصود والتحاجّ الذي يفترض طرفي المنازعة والمقارعة بالحجة، أي الدليل الذي به تحصل الغلبة على الخصم بعد استمالة المخاطَب والتأثير فيه بطريقة نظم ورصف الحجج نفسها و لهذا تختلف درجة التأثير والاقتناع وفق طرائق التحاجّ...

ويقابل لفظ "الحجاج" في المعاجم اللغوية الفرنسية "L'argumentation" والتي تحيل إلى دلالات متقاربة حسب معجم "Le Grand Robert" و تضارع ما هو متقرر في المعاجم العربية وهي:

- القيام بتوظيف الحجج.
- مجموعةٌ من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة (المؤلفون، 1990، ص65).

أمّا في اللغة الانجليزية، فيشير لفظ "Argue" إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل "Reasons" التي تكون مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما (المؤلفون، 1989، ص34) فالحجَّة مرادف للدليل؛ التي يقدمها المخاطِب للتدليل على صحة اختياراته الفكرية والسلوكية، ودفع خصمه إلى الاقتناع بجدواها.

2. المفهوم الاصطلاحي للحجاج

يُعَدُّ "الحِجَاج" من أهمّ مباحث اللسانيات التداولية؛ بوصفه ناتجاً عن تلاقح تياريْن نابعيْن من أصليْن متباينين ومتداخليْن في الآن نفسه (الشريف، 2002، 211) الأول ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، جُمِعَ صِنوُها تحت عنوان" الفلسفة اللغوية" لتشمل نظرياتٍ مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة. أمَّا التيار الثاني؛ فينبع من اهتمام اللغويين بالفعل الخطابي التواصلي وخواص المتخاطبين وسمات الخطاب... ويُشكِّل التياران نقطة التلاقي وهمزة الوصل بين اللسانيين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس، التي تجتمع لِتصبَّ في مجرىً واحدٍ؛ وهو "الأطروحات البراغماتية". ولهذا تعددت زوايا النظر إلى "الحجاج" تبعاً لاختلاف زاوية نظر الدارسين؛ بوصفه مُكَوِّناً « من مكوِّنات الخطاب، ويتشكَّل بتشكُّله وتتغير وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيُّره» (طروس، 2005 ص14) على أنَّ كل حجاج يكتسب معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية محددة ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتَنِفُه الخطاب، ونتج عن ذلك تبلور عدّة نظريات؛ قدمت صياغات مختلفة لمفهوم "الحجاج" منها نستحضر:

1.2. مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه:

تأثر الفيلسوف و رجل القانون التشيكي" شايم بيرلمانChaïm Perelman" بالمنطق الصوري والفلسفة التحليلية، وقد قادته دراساته المبكرة للبلاغة والفلسفة اليونانية، رفقة اللسانية البلجيكية" لوسي ألبريخت تيتيكاه"Lucie Olbrechts- Tyteka إلى تأليف كتابهما "مصنف في الحجاج" "nouvelle rhétorique La " الصادر في عام 1958. وهو « المعجم الحقيقي المجمل لكل أشكال الحجج و تأثيرها» (Vignaux, 1999, p7) لأنهما تمكّنا من استنباط حدّ جديد للحجاج و جعلاه سليلاً للخطابة والجدل، ومتميّزًا عنهما في الآن ذاته؛ فهو مرتبط بالبلاغة كما أصّل لها "أرسطو"؛ ذلك أنّه يحصرها في الإقناع، ويَعدُّها خطاباً حجاجياً بامتياز. وهو مختلف عن التصورات السابقة "للحجاج"؛ لأنَّهما حرراه من مقولات "الفلسفة" التي كبّلت "البلاغة" طيلة قرون عديدة بقيود المنطق الصوري وبالمثالية المطلقة كما عند "أفلاطون" وبالمنهج المغالطي والسفسطة والجدل القائم على المناورة الواهمة لتحصيل السلطة والامتيازات الاجتماعية كما رسّخ له "السفسطائيون" في العصر الإغريقي والروماني، ومن التصلُّب البرهاني الذي يستند إلى الرياضيات العقلانية الديكارتية زمن العصر الحديث؛ حينما نزع "ديكارت" وغيره إلى عقلنة

الخطاب وضبطه علمياً (الدهري، 2001، ص4-6) فظهرت "البلاغة الجديدة" كردِّ فعل على النزعة العقلية في مقاربة الخطابات، والتي كانت تقدح في الحجاج الملتبس بتقنيات اللغة و توظيف طرائقها التعبيرية.

وتُقرِّبُ النظرية بين "الخطابة" و"الحجاج" ويلُّح على أنَّه لا حجاج دون جمهورٍ يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلِّمُ ويُصادِق على ما يعرض عليه (Perelman, 1992, p7) ممَّا يجعل الحجاج" فعاليةً جدليةً تداوليةً، تستلزم حضور وتفاعل الذوات المتخاطبة ممثلةً في المخاطِب والمخاطَب بواسطة خطاب وسيلته اللغة، والعبرة فيه بالتقويم الصادر عن الفعل الحجاجي.

وعن موضوع الحجاج يقول الباحثان: « دراسة التقنيات الخطابية التي تمكِّن من إثارة وتعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدَّمَة » (Perelman, 1992, p5) فالمتكلم في سبيل إقناعه المخاطَب يمهِّد لأطروحاته بفروض ومواقف من شأنها أن تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يُعرَض عليها من أفكارٍ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم. ممَّا يجعل الخطاب الحجاجي خطاباً جدلياً واعياً يرتكز أساساً على منتج الخطاب الذي يهدف إلى إحداث التغيير العملي في سلوك المخاطَب باتِّباع إستراتيجيات بلاغية وتداولية؛ يُجنِّد من خلالها الباثُّ الحججَ المنطقيةَ العقلانيةَ وينظِّم بناءها وطرائق عرضها، بما يكفل له التأثير في المخاطَب ذهنياً ووجدانياً ومن ثمَّ عملياً.

2.2. مفهوم "الحجاج" عند "ديكرو" و "أنسكومبر":

تمكَّن أنسكومبر j-c. Anscombre و "ديكرو" O.Ducrot من صياغة نظرية جديدة أسمياها "نظرية الحجاج اللغوي" "Argumentation dans la langue" تنطلق ابستمولوجيًا من نظرية الأفعال اللغوية عند أوستن Austin و سيرل Searle ومن أبحاث إميل بنفيست Benveniste حول التلفظ وحوارية باختين Bakhtin . فقدّم "أنسكومبر" و "ديكرو" مقاربةً تداوليةً لمفهوم "الحجاج" تختلف عن مشروع البلاغة الجديدة لـــ"بيرلمان"، التي اشتغلت على "الحجاج" برؤية بلاغية (عادل، 2013، ص 95) في حين ترتكز" نظرية الحجاج اللغوي" على محورية اللغة في النظر إلى "الحجاج"؛ لذلك صُنِّفَت نظرية "أنسكومبر" و "ديكرو" كنظرية لسانية تداولية ترصد « الوسائل والإمكانات اللغوية التي تمدنا بها اللغات الطبيعية لتحقيق بعض الأهداف و الغايات الحجاجية» (العزاوي، 1994، ص124) فاللغة تحمل في طياتها بصفة جوهرية وذاتية وظيفةً حجاجيةً، تتمظهر في بنية اللغة ذاتها، صوتيًا وصرفيًا وتركيبيًا ودلاليًا. وهذا ما يؤكد أنَّ " نظرية الحجاج اللغوي" من النظريات الدلالية الحديثة التي صاغت تصورات جديدة للمعنى، ذلك أنَّ "ديكرو" ينسب معنى أيّ ملفوظ، وحتى في الحالة التي تقدم فيها للكلمة مفهومها الأكثر ضيقاً- أي الأكثر نحوية- لا يمكن أن يوصف دون استحضار مقصديات معينة لتلفظه (Ducrot, 1980, P8) إذ لكثير من الأفعال القولية « وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل وتحمل بنية الجمل

مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى الإخباري » (طروس 2005، ص106) فيكون الحجاج في اللغة إنتاجاً لمتتاليات قولية، هي في أصلها حجج أو نتائج لفعل حجاجي توجّه البنية اللغوية للقول إلى مقاصد يريدها المتكلم وهذا ما يُعرَف بـــ مفهوم الاتّجاه أو التوجيه الحجاجيL'orientation argumentative والمقصود به أنَّ « حجة موجهة هي دليل يأخذ الفعالية الحجاجية في تعلقها بالمتكلم والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تعدُّ فعلا قصدياً متميزاً، ويظهر تميُّز القصدية الجهة الموجهة في أمرين هما: عدم انفكاك القصدية عن اللغة وتراتب القصدية » (عبد الرحمن،2000، ص259) كل قول لغوي يمكنه إحداث فعل حجاجي وهذا الفعل مرتبط رأساً بمنشئه، وهو المتكلم الواعي الذي تحركه أيديولوجيته و مصالحه الخاصة، فينخرط في عملية التخاطب لتحصيل تلك المصالح.

ولا يمكن تحديد القيمة الحجاجية للقول بمعزل عن اتّجاهه الحجاجي ويتجلى هذا الأخير في جملة الروابط الحجاجية Les connecteurs والعوامل الحجاجية Les Opérateurs التي تكون مُتضمنةً لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب. غير أنَّ القول قد لا يتضمن هذه الروابط والعوامل الحجاجية، في هذه الحالة فإنَّ التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تُستنتَج إذّاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام (العزاوي، 2008 ص25) وهذا ما دفع "ديكرو" إلى الحديث عن التداوليـــــــات المدمجة La pragmatique intégrée التي تقرن الحجة بالنتيجة بواسطة الروابط الحجاجية في إطار مشروع يطمح إلى بناء مقاربة حجاجية لسانية تستهدف وصف البنية اللغوية في سياقها التداولي.

3.2. مفهوم الحجاج عند " ميشال مايير":

آمن " ميشال مايير" Michel Meyer بتواشج الفلسفة والبلاغة، بل بكلِّ حقول المعرفة الإنسانية، ولأنَّه مهتم بفعل التفلسف أولاً، فقد استقرأ عجز النظريات العقلانية في تقديم مقاربة سليمة للخطابات بوصفها ظلت لقرون متمركزة حول الذات، وتحاول أن تثبت لها التفكير أحياناً، وتنسب لها الاكتمال والانسجام والإطلاقية في أحيانٍ أخرى، ممَّا جعلها تتخبط في أزمات الجنون والسجن والجنسانية كما أفصح وفضح مفكرو هذا النسق ذاته من أمثال: جاك دريدا، وميشال فوكو... وغيرهم من البنيويين الذين قزَّموا الذات المفكرة المتسامية، وجعلوها عنصرا من عناصر كثيرة لابد من استحضارها مجتمعة من أجل تحليل نسقي لظاهرة مخصوصة ووعياً منه بهذه الأزمة الفكرية الأوروبية، انتدب "مايير" مشروعه الفلسفي لتجاوزها باقتراح بديل نظري، له أساس ابستمولوجي قائم على إعادة الفلسفة إلى وظيفتها الأولى (المساءلة). ففي سنة 1986 "ميشال مايير" في كتابه De la problématologie أصَّل للتفكير الذي يعني به طرح الأسئلة والقدرة على الاستشكال. (عادل،

2013، ص103-105) إنَّ الإقرار بالمساءلة كأساس يعني الإقرار ونهائياً بأنَّ الأسئلة وحدها هي الأصل، ممّا يعني انفتاحاً متعدداً على الأجوبة ومعلوم أنَّ السؤال يعكس وعي الذات المفكرة بالقضايا والمسائل على اختلافها، والقدرة على صياغة الأسئلة وطرحها درجة متقدمة جدا من التفكير الإنساني بل من فعل التفلسف. هذه الأسئلة تفتح الأبواب للقضايا كي تجد إجاباتها، فيكون السؤال مفتاحاً للبحث ومغذياً له في الآن ذاته ممّا يوسع دائرة التأويل وكلما توسَّع التأويل قوي الحجاج في عملية التخاطب، لأنَّ تفسير الجواب يرتبط بإيراد الحجج المؤيدة له. ولذلك يعمل "مايير" على إيجاد وحدة للجواب، وإرضاء المتلقي بحال من الأحوال، وإقناع السامع بجواب منطقي شافٍ، خاصةً حين تتعدد الأسئلة، وتختلف وجهات النظر. فهنا لابد من اختيار مقنع يرتضي به السامع (Meyer, 2005, P15) واقتناع السامع بجوابٍ ما هو بالضرورة نتاج حجَّة سليمة منطقياً وتداولياً. أمّا سلامتها المنطقية فمن حيث تساوقها مع السؤال وإجابتها عنه، وأمَّا سلامتها التداولية فانسجامها وَ معطيات السياق التخاطبي بكل أبعاده، ممّا يتيح للمخاطَب أو المتلقي الاقتناع بفحوى الحجج والتسليم بصدقيتها. ممّا يبرر ربط "مايير" الحجاج بالإقناع في كثير من المواضع؛ إذ يُعرِّف "الحجاج" بالجهد الإقناعي الإلحامي، مع إيلاء مكانة جوهرية للبعد الحجاجي في اللغة؛ لأنَّ كل خطاب ـــ في تصوره ـــ يسعى إلى إقناع من يُتوجَّه إليه (حاكم، 2014، ص141)

4.2. مفهوم الحجاج عند "جاك موشلر":

إذا كان "مايير" قد جعل نظرية الحجاج الخطابي تتمحور حول السؤال، فإنَّ "جاك موشلر" " Jacques Moeschler" قرنها بالمحاورة، في مؤلَفِه "الحجاج والمحاورة" Argumentation et Conversation، الذي استقى أطروحاته (عادل، 2013، ص109) من :

- أعمال مدرسة جنيف، التي تمركزت حول المحاورة.
- أعمال فلاسفة اللغة أوستن Austin و سيرلSearle وغرايس Grice .
- أعمال أنسكومبر j-c. Anscombre و "ديكرو" O.Ducrot

فعلى شاكلة "مدرسة جنيف"، قاربَ المؤلِّف "الحجاج في اللغة" بالتركيز على الخطابات الشفوية فانبرى "موشلر" لتحليل الخطاب الحيّ الملفوظ، وقد أثبت بأنَّ الحوار الشفوي ليس أقل انتظاماً من الخطابات المكتوبة، التي كانت محور معظم الجهود اللسانية الكلاسيكية. حتى إنَّ "موشلر" يوجز تعريف الخطاب في أنَّه التفاعل اللفظي أو الحوار، الذي يتجادل من خلاله المتكلمون ويتفاعلون ويتصعَّد النقاش بينهم ليسجّلوا نقاطًا على بعضهم البعض، ويتفاوضوا للوصول أو عدم الوصول إلى حلول Moeschler, (1985 ,p187) فالمتواليات الحوارية بين المتخاطبين مجالٌ خصبٌ لبروز الفعل الحجاجي، كما أنَّ الحوار

ممارسة خطابية وفعاليةٌ جدليةٌ، فالمتكلِّمُ يقصِدُ بحواره التفاعلي مع المخاطَب الوصول إلى غايات تواصلية، لذلك يتوسل تقنيات الحجاج المختلفة لبلوغ تلك الغايات.

بالعودة إلى النسق الحضاري العربي في عصرنا الحاضر، أسهم عديد الباحثين الأفذاذ في مفهمة "الحجاج". يكاد أغلب الدارسين يجمع أنَّ أوضح تعريف اصطلاحي للحجاج هو ما قدّمه الدكتور "طه عبد الرحمن" في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام".

5.2. مفهوم الحجاج عند " طه عبد الرحمان":

يقول "طه عبد الرحمن":« وحدُّ الحجاج أنَّه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي، لأنَّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجَّهًا بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي، لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات الهرمية الضيقة... وأن يُفهِم المتكلم المخاطَب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلاً على قدرة المخاطب على استحضاره » (عبد الرحمن، 2000، ص65) فالحجاج بهذا التوصيف ممارسة تفاعلية ضمن سياقات مختلفة يضبط فيها المتكلم بناء استدلالاته وفق صور مخصوصة خدمةً لإستراتيجيات تخاطبية تأخذ في الحسبان ظروف المقام ومقتضياته، فتؤدي مُجتمعة إلى إقناع المُخَاطَب بنقيض رأيه.

3. مفهوم" التأويل":

مصطلح "التأويل" ليس أبعد حالا من مصطلح "الحجاج" فقد نال هو الآخر اهتمامًا كبيرًا من الدارسين لارتباطه بمرجعيات مختلفة فكانت له تعاريف متنوعة في الثقافتين العربية الإسلامية وكذا الغربية، ومجمل هذه التحديدات تشير إلى أنّ« الكلمات يمكن أن تفعل أمورًا متعددة من خلال الوسيلة التي يتم تأويلها بها، فالتأويل سبيل لحل رموز النصّ كعالَم والعالَم كنصّ» (إيكو، 2009 ، ص 197) ذلك أنَّ «مهمة الهرمنيوطيقا هي فهم النصّ ... وهذا الفهم للنصّ في كليته لابد من أنْ ينبع من فهم العناصر الجزئية المكونة له... ومعنى ذلك أنَّ عملية تفسير النصّ على المستويين تدور في دائرة ولابد أن تستند إلى معرفة كاملة باللغة من جانب وبخصائص النصّ من جانب آخر» (أبوزيد، 1999 ص22) والمقصود أنّ "التأويل" تتردد دلالاته بين شرح النصوص لإعطائها معانٍ واضحةً، والتفسير الذي هو تعليق على تلك النصوص وعملية استكناه لجزئياته الناظمة له في سبيل تحقيق فهم أشمل لمضامينه.

4. مفهوم "علم الكلام"

لعلّ من أشمل التعريفات التي حظي بها "علم الكلام" ما قاله "إبن خلدون" في مقدمته حينما حصر تعريفه -أي علم الكلام- في الذبِّ عن العقائد الإسلامية على مذهب السلف وأهل السنة، وهذا نصُّ

حدِّه « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسرُّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد» (ابن خلدون، 2004، ص205) فـ "علم الكلام" من منظوره علم وسيلة؛ فهو آلة مُعينة لإدراك علوم نقلية أخرى مقصودة لذاتها، أُستُحدِثَ للمنافحة عن عقيدة (التوحيد) عقيدة أهل السنة بفهم سلف الأمة خالصة من البدع والمحدَثات قادرة على إثبات مسائلها سواءً بين أصحاب الملة الواحدة (الفرق الإسلامية) أو بين أصحاب الملل الأخرى، فيتخذ من خلاله المتكلّمون أساليب المحاجة مطيةً لخدمة هذا المقصد الجليل الذي من أجله نشأ "علم الكلام" .

5. مفهوم التأويل عند "علماء الكلام":

ذهب معظم علماء الكلام إلى تعريف واحد للتأويل مداره القول بأنّ« التأويل عبارة عن اِحتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر . ويشبه أن يكون كل تأويل صرفًا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز » (الغزالي، ص88) فهو اختيار لأقرب احتمال ظني قربًا من المعنى الظاهر. غير أنَّ "الجرجاني" قيَّده بشرط موافقة القرآن الكريم والسنة الشريفة لما عرَّفَه بقوله: « صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنّة» (الجرجاني، 2004، باب التاء) وفي هذا زيادة ضبط وتحديد للتأويل الصحيح المستقيم من التأويل الفاسد الذي يخالف ظاهر النصوص الشرعية.

6. صلة المحاج بالتأويل:

تهدف المقاربة المحاجية إلى تحليل النصوص أو الخطابات التي تتضمن أبعاداً محاجيةً مباشرةً أو غير مباشرة. لذا على الباحث أن يحلل النصَّ بنيةً ودلالةً ووظيفةً ويستخرج المقاييس المحاجية وخطاطاتها المبنية ذهنياً من قبل المتكلم والمخاطب على حدٍّ سواء، وتجريد التمثلات المشتركة بين الأطراف المتحاورة، وتصنيف المقاييس والمقولات المحاجية، ووصفها وتفسيرها لغويا وبلاغيا وتداوليا وجدليا وخطابيا (حملاوي، ص59) وهذا عمل تأويلي بامتياز ؛ تعنى من خلاله المقاربة المحاجية بما يتضمنه المكتوب نقدًا وإبداعًا من حوار ونقاش ضمنيْن مُؤسّسيْن أولاً وقبل كل شيء على التأويل والفهم والتفسير من جهة، والتعدد الدلالي من جهة ثانية؛ لأنَّ المكتوب حتمًا مؤسسٌ على خطة حجاجية Plan Argumentatif تهدف إمّا إلى الإقناع بطرح معين أو جذب المتلقين الأكْفاء لإثراء النصّ ومحاورته لتبقى النصوص مفتوحة ولانهائية الدلالة؛ ذلك أنَّ النتائج الجديدة معرضة لأنْ تُعاد محاورتها لاحقًا عندما تتوفر ظروف زمكانية وفكرية مغايرة لصياغة البناء النصّي في شكل جديد؛ وبالتالي فالقراءة والفهم والتأويل والمحاجة عمليات متلازمة مستمرة استمرار الوجود (ولد الأمين، 2004 ص23-32) تتعدَّدُ وتتجدَّدُ بوجود الذوات القارئة المفسّرة للنصّ.

ثانيًا: الاِشتغال التطبيقي على المدونة

1. التعريف بمنتج الخطاب (القاضي عبد الجبّار): (ابن المرتضى، 1988، ص112-113)

1.1. اِسمه ونسبه:

أبو الحسن قاضي القضاة عبد الجبّار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، لم تحدّد كتب الطبقات والتراجم تاريخ مولده، غير أنّها قالت أنّه عمَّر طويلا حتى بلغ تسعين عامًا. هو قاضٍ شافعي ومتكلّم، يذهب في الأصول مذهب الأشعرية، وفي الفروع مذهب الشافعي. وبقي على هذه الحال حتى سن الرابعة والعشرين حين لقي "أبا إسحاق إبراهيم بن عيّاش البصري" فتحول إلى الاعتزال... إليه انتهت الرياسة في المعتزلة بعد أن ملأ الأرض علمًا، عاصر دولة "بني بويه" في العراق وفارس وخراسان، وأثار إعجاب الوزير "الصاحب بن عباد" فاستدعاه إلى "الريّ"، و ولاّه على قُضَاتها سنة 367ه. فبقي فيها مواظبًا على التدريس إلى أن توفي –رحمه الله تعالى- سنة 415ه وقيل سنة 416ه

2.1.مؤلفاته:

من المتعذر حصر مؤلفات "القاضي عبد الجبّار" إذ ينسب إليه أربعمائة ورقة نذكر منها:

أ- في علوم القرآن: الأدلة في علوم القرآن، بيان المتشابه في علوم القرآن، بيان المتشابه في القرآن، التفسير الكبير، التفسير المحيط...

ب- في الحديث: الأمالي في الحديث، ترتيب دلائل نبوة سيدنا محمد ...

ت- في أصول الفقه: العمد، شرح العمد، النهاية، الاختلاف في أصول الفقه...

ث- في علم الكلام: الدواعي والصوارف، الخلاف والوفاق، الخاطر، الاعتماد ، المنع والتمانع المغني في أصول الدين، المبسوط، المحيط، الفعل والفاعل، شرح الأصول الخمسة...

ج-في الطبقات: طبقات المعتزلة.

وله كتب أخرى ورسائل في موضوعات شتى...

2. وصف المدونة: "الأصول الخمسة في علم الكلام"

كتاب "الأصول الخمسة في علم الكلام" يُصدِّره المؤلِّف بمقدمة عن النظر ووجوبه على المكلَّف، لأنَّ معرفة الله لا تكون إلا بالاستدلال، ومن هنا كان النظر من الطرق المؤدية إلى معرفته تعالى واجبًا من طريق معرفة الأجسام والأعراض التي تحتاج إلى مُحدِث، وهو خالق الكائنات كلِّها سبحانه وتعالى.

اعتمد "القاضي" لإثبات حدوث الأجسام على دعاوى أهل الاعتزال خاصةً وعلماء الكلام عامةً ونجملها فيمايلي:

*في الأجسام معاني لا ينفك عنها، كالاجتماع، الافتراق، الحركة، السكون...

*هذه المعاني مُحدَثَة.

* الجسم لا ينفك عنها ولا يتقدمها.
*ولذلك وجب حدوث الجسم أيضًا
*المُحدِثُ لهذه الأجسام ليس العقل، أو النفس، أو الطبيعة، أو الصدفة بل هو الله تعالى.

يفصِّل "القاضي" فيما يجب على المكلَّف معرفته من أصول الدين بقدر حاله، لينتقل "القاضي" لتقديم عرض للأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مع بيان لموقف أهل المذهب من أهم القضايا العقدية المتعلقة بالذات الإلهية والنبوات والإمامة...

3. حجاجية العنوان "الأصول الخمسة في علم الكلام":

تحمل العناوين عادةً قوةً تفسيريةً وتوجيهيةً، وتحمل كذلك دلالات رمزية كثيفة تساعد على دراسة النصّ و تفكيكه، فهو العتبة الرئيسية التي تفتح شهية القراءة، وهو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه (أمغار، 2016، ص530)ولنا في عنوان المدونة أحسن مثال، إذ اعتمد "القاضي عبد الجبار" على مصطلح مفتاحي بنى عليه العنوان، وهو "الأصول" التي تحمل دلالات مكثفة، ف « الأصل: ما يُبتنى عليه غيرُه. الأصول: ج. أصل وهو في اللغة عبارة عمّا يُفتقَرُ إليه، ولا يَفتقِرُ هو إلى غيرِه. وفي الشرع: عبارة عمّا يُبنى عليه غيرُه، ولا يُبنى هو على غيره. والأصلُ: ما يُثبتُ حُكمَه بنفسه. ويُبنى عليه غيره » (الجرجاني، 2004، باء الألف) فلسان حال "القاضي" يودّ القول أنّ كتابه لا يُستغنى عنه فهو عمدة لغيره، أمّا ما سواه من كتب "علم الكلام" فهي دونه قيمةً وأهميةً ... ويحسن أن نمثّل هذا وفق نموذج تولمين كما يلي:

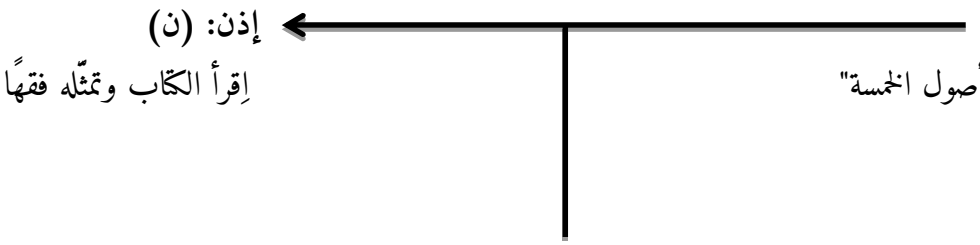

المعطى (م): هذا كتاب"الأصول الخمسة في علم الكلام".
النتيجة (ن): اِلزمه وخذ ما جاء فيه (ضمنية).
الضامن (ض): أنّه حاصل نظر أولي الفضل وأهل العلم من المعتزلة.

إنّ هذه الأصول ليست من وضع المعتزلة وإنّما هي منهجها في التعامل مع العقيدة الإسلامية وفهمها الخاص لتفاصيلها وقضاياها... وقد أجملها "القاضي" في خمسة أصول وهي: أصل التوحيد أصل العدل، أصل الوعد والوعيد، أصل المنزلة بين المنزلتين، أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الأصول عليها مدار الدين، ومن خالف فيها فهو عظيم الخطأ قد يكون حكمه الفسق أو الكفر (أبادي، 1998، ص66). على أنّه يوجد خلافٌ قديم بين المعتزلة أنفسهم حول هذه الأصول عددها وتسميتها وليس المجال موضع بحثه ولا مناقشته؛ إذ المعتبر في البحث تتبع مواضع التأويل والكشف عن حجاجيتها.

4. الخاصية الحوارية Dialogisme في" الأصول الخمسة"

وتدل على العلاقة التخاطبية بين متحاورين يتقاسمان ملكية الكلام فلا تكون الأنا وحدها مصدر القول ومنبعه (أرمينكو،1987، ص111) وهي من مسلَّمات الاستدلال القياسي في الخطاب الطبيعي ومقتضى هذه المسلَّمة؛ أنّه « لا كلام مفيد إلا بين اثنين، لكلاً منهما مقامان هما: مقام المتكلم ومقام المستمع، ولكلّ مقام وظيفتان هما: وظيفة المعتقِد ووظيفة المنتقِد، بحيث إذا كان المتكلم معتقِداً كان المستمع منتقِداً، وإذا كان المستمع معتقِداً كان المتكلم منتقِداً » (عبد الرحمن، 2000 ص99) فالحوارية تقتضي وجود متخاطبين أو أكثر يستثمر كلٌ منهما إمكانات اللغة ليعرض دعوىً مخصوصةً غير ملزمة للطرف الثاني إذ يحق للمخاطَب قبولها أو الاعتراض والممانعة عليها. فيحصل تبادلٌ للخطاب وتداولٌ على الكلمة ويحدث أن يتحول المتكلم إلى مستمع والمدعي إلى معترض. فـــ« كلُّ ملفوظٍ إنَّما يمدد الملفوظات التي سبقته، ويستثير سجالاً معها ويتوقع ردّات فعل نشطة للفهم و تستشرفها » (مانغونو، 2008 ص37) ومثال ذلك في المقتطف التالي:« فإن قيل: أخبرني عن المنزلة بين المنزلتين ماهي؟ قيل له: هو العلم أن مَنْ قتل أو زنى أو ارتكب كبيرة فهو فاسق ليس مؤمناً، ولا حكمه حكم المؤمن في التعظيم والمدح، لأنَّه يلعن ويتبرأ منه. وليس بكافر ولا حكمه حكم الكافر في أنّه لا يدفن في مقابر المسلمين. ولا يتزوج ولا يُزوَّجُ منه فله منزلة بين المنزلتين، خلاف من إنه كافر من الخوارج، وقول من قال إنَه مؤمن من المرجئة» (أبادي، 1998، ص71) فالقاضي يسحب الطرف الآخر المخالِف له مذهبيًا إلى الممانعة والاعتراض على آراء مذهبه ليحمله على الانخراط معه في محاورة حجاجية ذات صبغة افتراضية؛ لأنّ المحاور يطالب مُخاطَبَه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه في إطار نسق حضاري وثقافي ومعرفي وتداولي؛ الأمر الذي يضفي على الحوارية بعدها الاجتماعي (عبد الرحمن، 2000، ص37) وصبغتها التفاعلية الحية حتى يُذعن المخالِف ويُسلِمَ بوجود المنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة ... هنا تتشابك خاصية الحوارية مع خاصية أخرى وهي السؤال أو التساؤل التي اعتمد عليهما مصنّف "الأصول الخمسة" -أي القاضي عبد الجبار- بشكل كبير حتى إنَّه بنى الكتاب على ثنائية السؤال والجواب.

5. مركزية السؤال في "الأصول الخمسة":

تتضح مركزية السؤال في الحوار الحي بين شخصين افتراضيين يحاول كل منهما أن يفهم الآخر متصورًا أن التعبير موجّه له، وبالتالي يكون هذا الحوار مؤسسًا على التساؤلات المتبادلة (سيد أحمد 1993، ص55-56) تلك الأسئلة تتوالد وتتابع على نحوٍ منطقي لتستدعي بالضرورة مقابلاتها من الأجوبة و غير خافٍ أنّ عملية الحجاج والإقناع لا تبدأ إلا حينما تبرز الأسئلة، فالقضايا محل السؤال هي القضايا محل الخلاف وبالتالي تستوجب بناء الاستدلالات وحشد الحجج لبلورة المواقف (عادل 2013، ص209) ولعلّ المقطع الآتي يؤكّدُ ذلك:

« فإن قيل: فما الدليل على أن نفسك وسائر الأجسام محدثةٌ؟ قيل له: لأنَّها لا تخلو من الحركة والسكون، والمفارقة والمجاورة، وهذه كلها حوادث، فما لم يخل منها فيجب أن يكون محدثًا.

فإن قيل: فما الدليل على أنَّ لها محدِثًا؟ قيل له: لأنَّ الكتابة والبناء والصناعة تحتاج إلى فاعل من حيث كانت حادثة. فيجب أن يكون كل محدَث يحتاج إلى محدث وفاعل. فإن قيل: فما الدليل على أنّه قادرٌ؟ قيل له: لأنّ الفعل في الشاهد لا يصح إلا من قادر، وقد صحَّ من الله عزّ وجلّ الفعل، فيجب أن يقال: إنّه قادر. فإن قيل: فما الدليل على أنّه تعالى عالم؟ قيل له: لأن الأفعال المحكمة كالكتابة والصناعة لا تصح إلا من عالم، وقد صح من الله تعالى ما يزيد عليها من الإحكام نخلقه الإنسان على عجائب ما فيه من الصنعة، فيجب أن يكون عالِمًا...» (أبادي، 1998، ص75)

في هذا الفصل من المدونة يعرض "القاضي عبد الجبار" لأدلة مذهبه المثبتة لصفات الله تعالى بدءًا بخلق المحدَثات والأجسام، فالقدرة، فالعلم. وقد اتَّخذ "سؤال الدليل" محورًا في تيمة الاستدلال بوصفه استخبارًا عن العلة والإخبار بها تعليل وتدليل. والغرض من هذه الأسئلة «الإلزام بإثبات مدعاه بدليله» (التفتازاني، 1983، ص257) بمعنى تعضيد "القاضي" لرأيه العقدي بحجته. فـــ «يتحقق إنجاز المستدعَى، وهو تعيين الحكم ودليله ووجه دلالته، بقيام المستعلِم المسؤول في مقام جديد متميز عن مقام السؤال إنَّه مقام الجواب» (النقاري، 2010، ص345) ممّا يغذي البحث ويولّد الأفكار ويوسّع دائرة التأويل، وكلما اتّسع مدار التأويل قوي الحجاج في عملية التخاطب، لأنَّ التفسير في الجواب يرتبط بإيراد الحجج المؤيدة له.

6. المقصدية:

وهي ما يسمّيه "طه عبد الرحمن" بـــ "الإقناعية" التي هي شرط من شروط التداول اللغوي: « فعندما يُطالِبُ المحاوِرُ غيره بمشاركته اعتقاداته، فإنَّ مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تَدرُجُ على منهج القمع، وإنَّما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلاليةً متنوعةً تجرُّ الغير جرًّا إلى الاقتناع برأي المحاوِر» (عبد الرحمن، 2000، ص38) ولعلَّ أوضح تجلّيات "الإقناعية" أو "القصدية" تكمن في تحديد العلاقة الحجاجية حين نعتبر العبارة (س) مُوجّهةً لخدمة (ج) تتحقق السمة القصدية(طروس، 2005

ص110) هذه العلاقة هي ما يجعل الخطاب حجاجياً. وتفترض العملية التواصلية القصدية « طرفين إنسانيين: مرسِلاً ومتلقيًا، بيد أنَّ المقاصد أنواع: أَوَلي يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم. وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم. وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائمًا» (أبو زيد،1999، ص21) وهذا التفصيل زيادة بيان لحجاجية التأويل؛ ذلك أنّ معرفة القصد هو جوهر التأويل، وغاية التأويل إدراك ملابسات القصد وحيثياته ولابد لبلوغ ذلك من التمسك بالأدلة التي تشي بها العناصر اللسانية للنصّ (الزبيدي، ص399)و من أجل بلوغها لابد من توسل آلية الاستدلال.

7. الاِستدلال "Inférence" آلية للحجاج في "الأصول الخمسة":

إنَّ كلمة "الاِستدلال" من الناحية اللغوية مشتقةٌ «من اِستدَّل أي طلب الدليل والطريق المرشد إلى المطلوب. والاِستدلال وفق التحديد الأصولي هو دليل من الأدلة العقلية الاِجتهادية. وقد يُراد به طلب الدليل وحينما يتعلق الأمر بطلب الدليل، فإنَّ الطلب يقع على فعل السائل وهو مطالبته المسؤول بإقامة الدليل» (كروم، 2000، ص49-50) فالاستدلال في جوهره « بنية تربط بين الصور المنطقية لعدد معين من جمل النصّ »(عبد الرحمن، 2000، ص 36) فيكون بذلك الخطاب الحجاجي نظامًا صوريًا خاضعًا في سيرورته وتطوره لمبادئ منطقية عقلية، تستثمرها اللغة ليحقق بها المتكلم الإقناع في إطار نسق تفاعلي تداولي. وبناءً على عدد مقدمات الاستدلال ينقسم هذا الأخير -أي الاستدلال- إلى صنفين: الاستدلال المباشر، هو الاِستدلال الذي لا يحتاج المستدل لأكثر مِنْ قضية واحدةٍ للوصول إلى النتيجة المطلوبة (الميداني، 1993، ص150) أمَّا صورة الاستدلال غير المباشر فقد « يحتاج المستدِلُ إلى مقدمتيْن وقد يحتاج إلى ثلاث مقدمات وأربع وخمس وأكثر، ليس لذلك حدّ مقدر يتساوى فيه جميع الناس في جميع المطالب، بل ذلك بحسب علم المستدل الطالب بأحوال المطلوب ولوازم ذلك وملزوماته» (ابن تيمية، 1976، ص250)و يمكن التمثيل بمطلع نصّ المدونة؛ إذ قال" القاضي عبد الجبار": « وإن قيل: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفته، لأنَّ المعرفة التي من معرفة الله تعالى لا تعرف ضرورة ولا بالمشاهدة. فيجب أن تعرفه بالفكر والنظر. فإن قيل: ولم قلتم إن ذلك واجب؟ قيل له: لأنا نخشى إن لم نعرفه أن نعصيه فنهلك. فيجب أن نعرفه لنتجنب المعاصي ونفعل الطاعات. فإن قيل: لم صار النظر أول الواجبات؟ قيل له: لأن سائر الشرائع من قول وفعل لا تحسن إلا بعد معرفة الله عزّ وجلّ. ألا ترى أن نصلي ولا نعرف من نصلي له. فإن قيل: ما أول نعم الله عليك؟ فقل: خلقه إياي حيًّا لينفعني. فإن قيل: فما كمال نِعَم الله عليك؟ فقل له: ذلك مما لا أحصيه... فإن قيل: فإذا لزمك النظر في معرفة الله، ففي ماذا تنظر؟ قيل له: في الأدلة. فإن قيل: ما الأدلة؟ قيل له: الأربعة: حجة العقل، والسنّة، والكتاب، والإجماع ومعرفة الله لا تنال إلا بالنظر في حجة العقل. لأنَّ متى لم نعرفه وأنّه

صادقٌ، لم نعلم صحة الكتاب، والسنّة، والإجماع.» (أبادي، 1998 ص65-66) قرر المعتزلة -كما يتضح من النصّ أعلاه- أنّ معرفة الله واجبة عقلاً، تمكن من فهم دلالات النصّ القرآني، ومن ثمّ إدراك مقاصد الله تعالى، فالإنسان مُطالَبٌ بالاستدلال والتماس الدليل وهذه مسألة جوهرية في المذهب المعتزلي؛ إذ خطاب التكليف يستوجب النظر والفهم وفي الجهة المقابلة فإنَّ المعتزلة قرروا أنَّ الإيمان القائم على المعرفة الاضطرارية الناشئ بفعل التقليد إيمانٌ ليس راسخًا (العوا، ص79) وكلّ ما ورد في المقتطف السابق يندرج ضمن الاستدلال المباشر الذي بُنِيَ على مقدمة واحدة، ولعلنا نجمل ذلك في الجدول الآتي:

المقدمة	الحجّة	النتيجة
أول واجبات المؤمن في حقّ الله تعالى	المعرفة بالفكر والنظر.	النظر المؤدي إلى معرفته تعالى
علة وجوب النظر	خشية معصيته ومخافة الهلكة	فعل الطاعات وتجنب المعاصي
النظر أول الواجبات على المؤمن	الطاعات لا تصح ولا تُقبَلُ إلا بعد معرفة الله عزّ وجلّ	عبادة الله تعالى عن علْم
أول نعم الله على عبده	لإجراء المنفعة على عبده	خَلْقُهُ عبدَه حيًّا
الأدلة أربعة: حجة العقل، والسنّة، والكتاب، والإجماع	معرفة الله لا تنال إلا بالنظر في حجة العقل	حجّة العقل أسبق -عند المعتزلة- من الكتاب والسنة والإجماع

وإن عدنا شيئًا ما إلى النصّ السابق، ألفينا صورًا أخرى من الاستدلال غير المباشر في قول القاضي: «فإن قيل لم صار النظر أول الواجبات؟ قيل له: لأن سائر الشرائع من قول وفعل لا تحسن إلا بعد معرفة الله عزّ وجلّ. ألا ترى أن نصلي ولا نعرف من نصلي له.» (أبادي، 1998، ص65-66)
ومن أمثلة الاستدلال غير المباشر في النصّ أعلاه، القياس لَمَّا حَمَلَ "القاضي" الصلاة على سائر الشرائع التي لا تصح ولا تقبَلُ من العبد ما لم يعرف ربّه بالنظر والفكر، ويمكن أن نمثّل هذا القياس الخطابي بنموذج المقطع البرهاني لتولمين كمايلي:

المعطيات والضمانات: ويرمز لها بـــ (م) و (ض) على الترتيب.

السند ويرمز له بـــ (س).

الاِعتراض: ويرمز له بـــ (ع) (بلخير،2011 ، ص20-22)

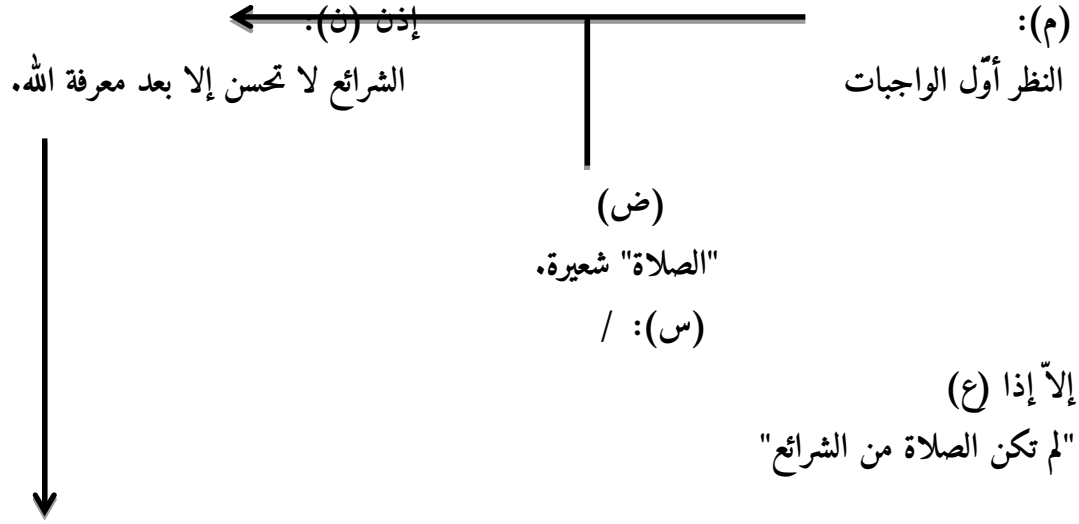

ومن ضروب **الاستدلال غير المباشر أيضًا** "**الاستقراء**" وهو في اللغة التتبُّع، لأنّه مشتق من الفعل "اِستقريْتُ" الشيء إذا تَتَبَعْتُه، أمّا عند عموم المنطقيين و المتكلّمين فهو تتبع حكم مجموعة من العناصر الجزئية للوصول إلى حكم وتعميمه على العناصر الأخرى (التهانوي، ص 576)

ولنا في النصّ الموالي أحسن مثال:« فإن قيل: فما كمال نعم الله عليك؟ فقل له: ذلك مما لا أحصيه، وفي الجملة إنَّه خلقني حيًّا، وأعطاني القدرة والآلات وأكمل خلقي وأعطاني الشهوة، ومكنّني من أنواع اللذات، ثمّ أمرني ونهاني لأصل إلى درجة الثواب، وأدخل الجنات. فعند ذلك يلزمني معرفته لأعبده وأشكره وأبتغي مرضاته وأجتنب معاصيه» (أبادي، 1998، ص65-66)

في الشاهد **استقراء ناقص** لبعض نعم الله تعالى على عبده من قبيل: خلق الله لعبده حيًّا ومنحُهُ إيّاه القدرة والآلات والتلذذ بالشهوات وأمره ونهيه إياه لتمكينه من دخول الجنة. والنتيجة التي يطمح "القاضي" إلى بلوغها تيقن المؤمن بوجوب معرفة الله تعالى لعبادته على الوجه الصحيح.

الخاتمة:

بعد هذا العرض المقتضب لأهم المظاهر الحجاجية للتأويل في أحد أهم كتب فرقة المعتزلة الكلامية، يحسن إجمال مخرجات البحث فيمايلي:

- ✓ "الحجاج" و"التأويل" مصطلحان لهما عدّة مفاهيم تختلف باختلاف مرجعيات أصحابها، والنسق الحضاري الذي ينتمون إليه.

- ✓ بين "الحجاج" و "التأويل" تواشج وصلات يؤكّدها واقع الممارسة التأويلية؛ إذ قلما نصادف خطاباً غير حجاجي والتأويل عمل متجدد مستمر لاستنطاق النصّ وتصيّد المعنى الحجاجي وغير الحجاجي.
- ✓ علم الكلام يستثمر الحجاج كآلية يوظفها لرسم مواقف المتكلمين من مسائل العقيدة الإسلامية وتجنيد كل طرف لحجج الداعمة لموقفه.
- ✓ من المتكلّمين؛ المعتزلة وهي فرقة تتصدى لبحث مسائل العقيدة الإسلامية على نحوٍ يُصدِّرُ العقل ويقدّمه على النقل؛ بوصف العقل الأداة الوحيدة التي تكفل للمؤمن الناظر التحقق من صحة النصوص النقلية وصوابيتها. ويتيح له عبادة الله على بيّنة.
- ✓ "القاضي عبد الجبار" أحد علماء المعتزلة المتقدمين، ومؤلّفُه "الأصول الخمسة في علم الكلام" من المصنّفات القيّمة التي تؤصّل للمذهب وتروّج لمقولاته.
- ✓ تظهر مقصدية المؤلِّف في الاحتجاج لمذهب المعتزلة من عنوان المؤلّف –الأصول-وتتجلى أكثر بنائه أطروحات أهل الاعتزال على ثنائية السؤال والجواب استثمارًا منه لخاصية الحوارية بين المعتزلة ومن يخالفهم من أرباب الفرق الكلامية الأخرى.
- ✓ اتخذ الاستدلال عند "القاضي عبد الجبار" منحى تصعيديًا؛ إذ بدأ بالمسلمات من القضايا كوجوب النظر والفكر كسبيل لتحصيل المعرفة، وارتقى شيئا فشيئا لمناقشة مسائل الخلاف؛ مستعيناً بصور شتى من الاستدلال المباشر وغير المباشر حسب ما تستدعيه القضية في كلّ مرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1.إبراهيم أمغار، المظاهر الحجاجية في نصّ قصصي" العصفور على الشجرة ولا شيء في اليد" لأحمد بوزفور، ضمن بحوث محكمة "التحليل الحجاجي للخطاب"، إشراف وتقديم: أحمد قادم، وسعيد العوادي، كنوز المعرفة، ط1، عمان، الأردن. 2016.

2. ابن تيمية، الرد على المنطقيين، مجلد1، دار ترجمان السنة، باكستان،1976.

3. ابن خلدون، المقدمة، ج2، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار البلخي، مكتبة الهداية، ط1، دمشق، 2004.

4.ابن سيده، المحكم والمحكم الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان.

5.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط6، بيروت1997.

6.أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، ط1، الدار البيضاء، 2008.

7.أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج3، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة.

8.أحمد بن يحي بن المرتضى، طبقات المعتزلة، دار المنتظر، ط2، بيروت لبنان، 1988.

9.أحمد كروم، الاستدلال في معاني الحروف دراسة في اللغة والأصول، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، 2000.

10.أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة العربية شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء المغرب2001.

11.الجرجاني، التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.

12.حملاوي جميل، نظريات الحجاج، إصدار شبكة الألوكة، www.aluka.net .

13.حمو النقاري، منطق الكلام "من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي"، ط1 منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان.2010

14.الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 1981.

15.سعد الدين التفتازاني، حاشية على شرح عضد الملة لمختصر المنتهى لابن حاجب ج2، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت،1983.

16.عبد الجبار أبادي:

- الأصول الخمسة، تحقيق وتقديم: فيصل بدير عون، لجنة التأليف والتعريب والنشر، ط1، جامعة الكويت. 1998.
- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، 1965.

17.طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2 المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء، 2000.

18.عادل العوا، المعتزلة والفكر الحر، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا.

19.عبد الرحمن حبنكة الميداني، 1993، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي) ط4، دار القلم، دمشق، 1993.

20.عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013.

21.علي التهانوي، موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، تقديم وإشراف: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون 22.عمارية حاكم، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي" دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجَّاج بن يوسف الثقفي، دار العصماء، ط1، دمشق.

23.عمر بلخير، مقدمات في الحجاج والنصّ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، 2011.

24.محمد سالم ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، كتاب فضاءات، العدد الثامن مجلة الفكر والنقد والثقافة، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر طريق الفتح، ط1، طرابلس الجماهرية العظمى 2004.

25.محمد صلاح الدين الشريف، الشرط والإنشاء النحوي للكون، ج1، كلية الآداب منوبة، تونس، 2002.

26.محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، ط1، المغرب 2005.

27.محمود سيد أحمد، الهرمنيوطيقا عند غادامير، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1993.

28.المرتضى الزبيدي، الأمالي "غرر الفوائد ودرر القلائد"، ج2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الدكتور مروان العطية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

29.نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط5، المغرب، 1999.

الكتب المترجمة:

1.أمبرتو إيكو، التأويل والتأويل المفرط، ترجمة: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، سورية 2009.

2.دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008.

3.فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء.

المقالات:

1.أبو بكر العزاوي، البنية الحجاجية للخطاب القرآني "سورة الأعلى نموذجا"(مجلة المشكاة) العدد19، وجدة 1994.

الكتب الأجنبية:

1. Chaïm Perlman et L. Olbrechts Tyteca, Ia nouvelle rhétorique, Traité de L'argumentation –Préface De Michal Mayer -5eme, Edition De L'universite De Bruxelles, 1992.

2. Georges Vignaux, L'argumentation du discours ă la pensée, paris, Hatier, 1999.

3. Jacques Moeschler, Argumentation et Conversation : Eléments pour une analyse pragmatique du discours, Hatier-Credif, Paris, Août, 1985.

4. Le Grand Robert, dictionaire de la langue française, 1édition, 1990.

5. Longman, Dictionary of Contemporary English, 1989.

6. Meyer Michel, Qu'est-ce que l'argumentation ? Paris, Vrin, 2005.

7.Oswald Ducrot, les échelles argumentatives, Paris, les éditions de minuit, 1980

التأويل اللّساني الكمي للوظيفة النّحويّة
- قراءة في آليّة الجزم أنموذجاً-

Quantitative linguistic interpretation of syntactic function

-a reading in the mechanism of Eljazm as a Model-

الأستاذ: محمّد نجيب مغني صنديد أستاذ محاضر- أ- جامعة عين تموشنت- الجزائر
البريد الإلكتروني:*marni.sandid79@gmail.com*

الملخّص:

لعلّ ما يمتاز في هذا البحث المتواضع جملة من الملاحظات الأكاديميّة العلميّة الّتي تضع الباحث اللّساني على إمكانيّة إعادة تشكيل الدّرس النّحوي العربي الكلاسيكي، وفق مخرجات الدّرس اللّساني الحديث،الّذي وجد في الميادين العلميّة الدّقيقة منفذاً، يتيح له تفسير المستغلقات اللّغويّة الّتي استعصى تفسيرها في الميادين الأنثروبولوجيّة، ولا تعارض- من جانب آخر-والتّناول اللّغوي العربي القديم في بعض محطّاته التّعاقبية.

ولمّا انتهى الدّرس الفيزيائي إلى فلسفة الكمّ،ونظراً لإفادته للعلوم الإنسانيّة،فإنّ إفادته لحقل اللّسانيات أجلّ من نظيراتها حالاً،لقربها من العلوم الدّقيقة وتواشجها والدّرس الرّياضي،ممّا يعزّز كفاءتها في توظيف المقاربة الكمّية في تفسير المباحث اللّسانيّة،ومنها مباحث الدّرس العربي الحديث،ومن ذاك آلية الجزم في العربيّة.

الكلمات المفتاحية:لسانيات، فيزياء الكمّ، الوظيفة النحويّة، الجزم، التّفسير الفونولوجي.

***Abstract*:**

Perhaps what distinguishes this modest research is a set of academic and scientific observations which give the linguist the opportunity to reconfigure the lesson of classical Arabic grammar, given the results of the lesson of modern linguistics, which found an outlet in the fields of exact sciences, allowing the interpretation of linguistic questions difficult to explain in anthropological fields, and not opposing the ancient Arabic linguistic approach in some of its historical stations on the other hand.

And when the physics course ended with quantum philosophy, and the humanities benefited from it, the field of linguistics immediately benefited, because of its proximity to the exact sciences and its compatibility with the mathematics lesson. , which enhances its effectiveness in employing the quantitative approach in the interpretation of linguistic studies, including surveys of modern Arabic courses, such as the eljazm mechanism in Arabic.

Keywords: linguistics; quantum physics; syntactic function; eljazm; phonological interpretation

مقدمة:

أولى الدّرس اللّساني الكلاسيكي العناية بالمورفيم النّحوي بشقّيه: الحرّ من الأسماء والأفعال، والمقيّد من حروف المعاني، فطغت عليها الوظيفيّة، الّتي تناولت المراتب النّحويّة والمواقع الإعرابيّة، وقد خصّت المورفيمات الاسميّة والفعليّة، ومعاني المورفيمات الحرفيّة العاملة، إلاّ أنّه لم يتجاوزها إلى العناصر الفونولوجيّة الدّنيا، الّتي تقلّ عن نظيرتها. وعلى الرغم من تقادم الدّرس في التّيار اللّساني الخليلي، إلاّ أنّه لم يكن مفسّراً للظّواهر اللّغويّة وللمستعصيات النّحويّة، تفسيراً تفاعليّاً بين عناصر المستويات اللّسانيّة، فاقتصرت مضانه البحثيّة في الدّرس الصّوتي على الجانب الفونيتيكي والدّلالة الفونيميّة بتصورهما الكلاسيكي، ومنها نظريّة المحاكاة الطّبيعيّة ولم يدمجه في تفسير البنيات اللّسانيّة التي تزيد عنه كمّاً، وكانت هذه حاله إلى أن جاء ابن جني(392هـ)رائد النّظريّة الفونولوجيّة العربيّة، الّذي طعّم الدّرس اللّساني ومنه النّحوي بفلسفة الكمّ، بما هي عليه من التّصوّر الفيزيائي المعاصر، إذ بنى نظريّته الجديدة على رؤية علميّة أكثر عمقاً وأقوى حجّةً في التّفسير اللّساني-لاسيما الفونولوجي-في قراءه مغايرة للظّواهر اللّغويّة العربيّة، وقد تبيّن من فلسفته هاته تعويله على العناصر اللّسانيّة ومنها الفونولوجيّة، في معالجة المباحث النّحويّة واللّغويّة.

ولعلّ في هذا الارتباط الأنثروبولوجي الحضاري محاولة لإعادة ترتيب الدّرس النّحوي، وفق المقاربة الفيزيائيّة الكمّيّة، ومن منظور تلاقح العلوم بعضها ببعض، لاسيما وأنّ الظّاهر على اللّسانيات قربها من العلوم الدّقيقة أكثر منها إلى العلوم الإنسانيّة، ممّا يفتح آفاقاً للدّرس اللّساني، لتجد متّسعاً علميّاً تحاول فيه تطويع المقاربات العلميّة الدّقيقة، لتكون أدوات تفسيريّةً للمستغلقات البحثيّة من الدّرس الكلاسيكي؛ وقد تبدو هذه المحاولة جريئةً، ويحفّها الخطر من كل جانب، إلاّ أنّها تمثّل تواصلاً حضاريّاً لما قدّمه ابن جنّي بنظريّته اللّسانيّة في تفسير الظّواهر اللّغويّة حينذلك؛ مما يهوّن على الباحث اللّساني في هذا الشأن انتهاج هذه الفلسفة اللّسانيّة، شريطة تطوير المقاربة الإجرائيّة، وتحيينها وفق متطلّبات العلم الرّاهنة.

هذا، وقد يكون المعوّل من هذه المقاربة الكمّيّة البحث في المسائل النّحويّة التّراثيّة، بما يعطي لها تفسيراً أكثر دقّةً وعمقاً، وأقوى حجّةً ومنطقاً. ويخصّ ذلك العناصر اللّسانيّة المتناهيّة كمّاً، وتستنطق مواطن الدّلالة فيها، وتفسّر الوظائف النّحويّة على غير ما كان تأويلها وتناولها في الدّراسات الكلاسيكيّة، وتفتح آفاقاً بحثيّةً لسانيّةً، وتجيب على إشكالات نحويّة عالقة، وتصحّح تصوّرات لغويّة ظنيّة، وتنأى عن الأحكام الفيلولوجيّة الّتي جعلت الدّرس اللّساني العربي القديم في العلوم الإنسانيّة المرافقة له، وتنسف المسوّغات المعياريّة الّتي خرجت بالدّرس اللّساني من الأكاديميّة العلميّة إلى الضّوابط المعياريّة، وذلك في الفترة الّتي سلك فيها فنّ النّحو مساره التّعليمي.

ولعلّ من جمهرة المباحث النّحويّة القديمة باب حروف المعاني، الّذي تُوِّل من جانبين: الوظيفة ومعاني الحروف، وقد عنيت بهذا مصنّفات نحويّة عتيقة، لعلّ أهمّها "المغني اللّبيب "لابن هشام الأنصاري، الموصوف مؤلّفه بالدّقة والشّمول؛ ممّا يعزّز العمل الأكاديمي في أن يكون مدوّنةً بحثيّة في هذا الباب، ويتّخذ منهجه عمدةً، اعتباراً من تأليفه للمادّة النّحويّة، ليُتبع بالتّأويل الفونولوجي الكمّي، بما تحمل حروف المعاني من الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة الّتي تخصّ النّفس(الهواء)،والخصائص الحركيّة الميكانيكيّة الّتي تخصّ مخرج الفونيم وحركة اللّسان، وأجزاء جهاز التّصويت البشري المسؤولة عن النّطق، وذلك في تركيبها الفونيمي والمقطعي السّولابي وفوق المقطعي من الأداءات النّبريّة، والمفصليّة الصّوتيّة، والطّونيميّة التّنغيميّة ونغمات الموجة الكلاميّة، وقد تبيّن أنّها مواضع الدّلالة، والبؤر الّتي تشع بها، المحدثة للوظيفة النّحويّة، والمشاكلة للاتّساق التّلفّظي للبنية اللّسانيّة التّركيبيّة أفقاً، والمنتجة للدّوائر الدّلاليّة المنسجمة شاقولاً...

الإشكاليّة:

لا ريب في أن يجد الواقف على البحث غرابةً في عقد الارتباط، بين حقل اللّسانيات الذّي عدّ من جملة الإنسانيّة، وبين فيزياء الكمّ، لتكون خصائصه العلميّة الدّقيقة الصّارمة منهجاً إجرائيّة، في تناول الدّرس النّحوي العربي؛ ممّا يحيل على السّؤال عن صحّة إسقاط المناهج العلميّة الدّقيقة على العلوم الإنسانيّة ومن جهة، وعن درجة القرابة العلميّة بين اللّسانيات، وعلم الفيزياء عموما، وفيزياء الكمّ خصوصاً،من جهة أخرى.

ولمّا كان شأن فيزياء الكمّ أن تلغي فيزياء نيوتن، من حيث الفلسفة والمنهج، ومن حيث والتّناول والنّتائج؛ فهل يكون هذه حال الدّرس اللّساني الكمّي، في أن يغاير من فلسفته ومنهجه وتناوله؟، وأن تلغي النّتائج اللّسانيّة العربيّة الكلاسيكيّة، وتعوّضها بنتائج جديدة تكون من مخرجات لسانيات الكمّ؟.

هذا، وقد يبدو لمريدي الدّرس اللّساني-بتصوّره الأنثروبولوجي-تعارض بعض مضانه وخصوصيّة مباحث اللّغويّة العربيّة؛ ممّا يزيد الإشكال العلمي في تلك الإسقاطات اللّسانيّة الكمّية على المادّة النّحويّة العربيّة، ذات الخصوصيّة الحرجة في عمومها، لاسيما لمّا تقترن بالمدوّنة النّحويّة القرآنيّة.

وإن صحّت الفرضيّة في إن تراعي اللّسانيات عامّةً ولسانيات الكمّ الخصوصيّة اللّسانيّة العربيّة، فإنّ السؤال بعد ذلك عن درجة الكفاية العلميّة الّتي تقدّمها المقاربة الكمّية، من تحكّمها في المنهج اللّساني المتّبع في معالجة المادّة النّحويّة، من طيب النّتائج العلميّة القويمة الّتي تخرج بها، وعن سعة المباحث النّحويّة الّتي تستجيب لهاته المقاربة.

تفسير آلية الجزم في اللّسانيات العربيّة الكمّيّة:

لا يبرح الجزم في التّصوّر النّحوي معناه في المعجم اللّغوي إذ هو من دوال القطع والاقتطاع(**ابن فارس: المقاييس:1979، 217/3**)،ممّا يحيل على العمل النّحوي من جزم المعنى، في عدم حدوث الأمر من صاحبه، فيوافق بذلك النّفي دلالةً(**ابن مالك: 1998، 428/3**)،إلاّ أنّ النّفي متعلّق بحرف النّفي دون أثر نحوي في ذلك، من تغاير حركة الإعراب بآخر المضارع، بينما يتعلّق الجزم بالأثر الإعرابي الّذي يترتّب بدخول الجازم على المضارع فيجزمه، ويغاير حركة إعرابه، من علامات الرّفع إلى علامات الجزم، ويحيل أيضاً على الدّلالة النّحويّة التي تلحق المضارع حين جزمه(**ابن هشام: 1966، 28/1**)؛ وذلك أنّ العربيّة ترفع المضارع حين خلوّه من ناصب أو جازم(**ابن هشام: 1988، 202**) فتمكّن له لشبهيّته بالاسم في الإعراب، وقد أُعطِي رتبة الرّفع لمّا قوي بهاته الشّبهيّة(**ابن السّراج: 1999، 39/1**)، فارتفع لخلوّه من العامل النّاصب أو الجازم، كارتفاع المتبدأ بالابتداء. ويكون عمل الجزم الذّي تخلّفه من أثر نحوي في فونيم الإعراب دليلاً فونولوجيّاً على معناه النّحوي، الّذي يطابق معناه اللّغوي، من اقتطاع جزء من كمّ فونيم الإعراب. ينضاف إليه اقتطاع في عدد المقاطع الصّوتيّة المشاكلة لصيغة المضارع بمختلف صيغه، واختزالها بدمج لبعض المقاطع المتجاورة، لاسيما المقطعان الأخيران الثّاني والثّالث في صيغة الثلاثي-بعدّه الأكثر دورانا في العربيّة-وهي في كلّها مفسّرة بآلية فونولوجيّة كمّيّة، تتجاوز التّفسير الصّرفي الكلاسيكي، الّذي يقف عند ميزان الصّيغة الصّرفيّة للمضارع، يصبّ اهتمامه على المورفيم الإعرابي الأخير من سكون أو حذف العلّة أو نون الأمثلة الخمسة، الدّالّ على المورفيمات الصّرفيّة المقتطعة في الميزان الصّرفي، ولا يتجاوز هذا الحدّ اللّغوي المعرفي، في حين أنّ التّفسير للّساني الكمّي لجزم يسجّل لذلك التّغاير في البنية المورفيميّة لصيغ المضارع كلّها، عجزها وحشوها وصدرها، بحسب ما يخلّفه الجزم من أثر فونولوجي، باقتطاع فونيم الإعراب، واقتطاع للمقاطع الصّوتيّة واختزال لها، فيتغاير الكمّ الكلّي للصّيغة بتغاير الكمّ الأصغر من صائت الإعراب، إلى المقطع الصّوتي الضّامّ له(**شاهين: 1982، 82**).وقد يمثّل لهذا المرام تبيانه بصيغ المضارع المحتملة، والمسندة إلى الضّمير المفرد الغائب(**الأشموني: 1965، 110/1**)؛ وهي على النّحو الآتي:

1- الصّحيح [الصّحيح:Ø(ع)] ؛نحو:

يَخْرُ(جُ)"**cvc-cv-cv**"(3-1-3) ⟵لم يَخْرُ(جْ) "**cvc-cvc**"(3-3).

2- المعتلّ [المعتلّ:ع(فVعVل)] **(الحملاوي: 2001، 25):**

2-1/ [المثال:ع(ف)] ؛نحو(**العيني: 2014، 336**):

يَقِ(فُ) "**cv-cv-cv**"(1-1-1) ⟵ لم يَقِ(فْ) "**cv-cvc**"(1-3).

2-2/ [الأجوف:ع(ع)] ؛نحو(**العيني: 2014، 344**):

يَكونُ"cv-cvv-cv"(1-2-1) لم يَكونْ"cv-cvv-c"(1-1) لم يَكُنْ "cv-cvc"(1-3)

2-3/ [النّاقص:ع(ل)] ،نحو(العيني: 2014، 375):

يَبْ(قِ)"cvc-cvv"(2-3) ← لم يَبْ(قَ)"cvc-cv"(1-3).

2-4/ [اللّفيف المقرون:ع(ع٨ل)] (العيني: 2014، 401):

يَرْ(وي)"cvc-cvv" (2-3) ← لم يَرْ(وِ)"cvc-cv"(1-3).

2-5/ [اللّفيف المفروق:ع(ف٨ل)] ،نحو(الحملاوي: 2001، 25):

يَ(قِي)"cv-cvv"(2-1) لم يَ(قِ)"cv-cv"(1-1).

ويتبيّن من هذا الجرد أنّ صيغة المضارع الثّلاثي المجزوم بصيغه المتباينة الّتي لا يخرج نسيجها المقطعي عمّا يلي:

- العلّة:ع[وV (ا،ى) V ي].
- مواضع العلّة:ع[ع(ف) V ع(ع) V ع(ل)].

ولمّا كان الفعل الثّلاثي أكثر الأفعال العربيّة دوراناً، فإنّه يفسّر آلية المضارع المجزوم الفونولوجيّة الكمّيّة، وهي كما يلي(الحملاوي: 2001، 19):

1/ الصّحيح ما خلا من صائت العلّة،فلزم النّسيج المقطعي(3-3):

[الصّحيح:ØØ(ع)] ≡ ["cvc-cvc"(3-3)](الإستراباذي:2005، 82/1).

2/ المثال ما حوى صائتي العلّة فاءً:ع[ف(و،ي)]فلزم النّسيج المقطعي(1-3):

[المثال:ع(ف)] ≡ ["cv-cvc"(1-3)](العيني: 2014، 336).

3/ الأجوف ما حوى(ا)المنقلبة عن صائتي العلّة(وVي)/ع[ع(و،ي)](ابن جني:1966، 307/2)عيناً،فلزم النّسيج المقطعي(1-3):

[الأجوف:ع(ع)] ≡ ["cv-cvc"(1-3)](العيني: 2014، 344).

4/النّاقص ما حوى(اVى)المنقلبة عن صائتي العلّة لاماً(وVي)/ع[ع(و،ي)]،فلزم النّسيج المقطعي(1-3)

[النّاقص:ع(ل)] ≡ ["cvc-cv"(1-3)] (العيني: 2014، 375).

5/ المقرون ما حوى صوائت العلّة عيناً ولاماً معاً/ع[ع(و،ي)ع٨(ى،ي)]،فلزم النّسيج المقطعي(3-1) :

[اللّفيف المقرون:ع(ع٨ل)] ≡ ["cvc-cv"(1-3)] (العيني: 2014، 401).

6/ المفروق ما حوى صوائت العلّة فاءً ولاماً/ع[ف(و،ي)ʌ ل(ى،ي)]،فلزم النّسيج المقطعي(1-1) :

[اللّفيف المفروق:ع(فʌل)] ≡ ["cv-cv"(1-1)] (الحملاوي: 2001، 25).

ولعلّ الظّاهر على وظيفة الجزم المورفولوجيّة أن تسقط مورفيم الإعراب بعدّه مورفيماً يؤدّي وظيفة إعرابيّة، إلاّ أنّ وظيفته الفونولوجيّة تباين نظيرتها المورفولوجيّة، وذلك بما يسجّل على المضارع المجزوم في بنيته الفونولوجيّة الفونيميّة ومنها إلى المقطعيّة، إذ تبيّن مقابلة الاختزال المقطعي للجزم لذلك الّذي يقع في أصل وضع المضارع قبل الجزم، وهو المبيّن فيما يلي:

1- **الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في الصّحيح المجزوم:**

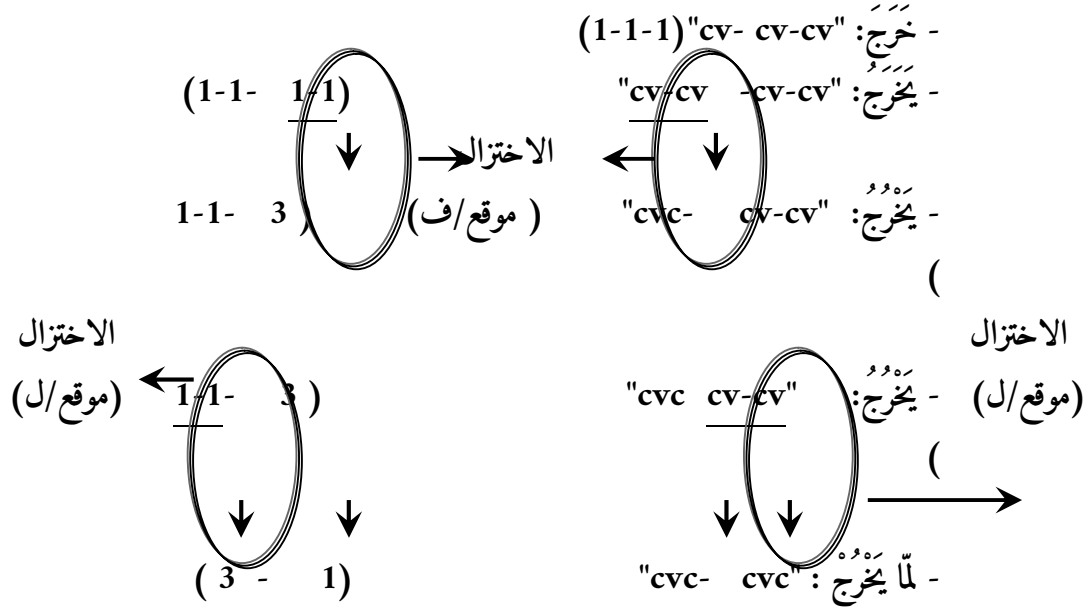

ولعلّ المفسّر لهاته الآلية الفونولوجيّة الكمّيّة في الاختزال الفونيمي والمقطعي، الّذي يلحق صيغة الماضي بعد دخول فونيمات المضارعة، أنّه لا تتوالى في العربيّة04مقاطع من نوع واحد، لاسيما(1)"cv"،إذ تلجأ إلى اختزال المقطعين الأوّلين في مقطع واحد، بحذف صائت المقطع الثّاني، ولا يحذف من المقطع الأوّل، فيستحيل النّطق بالسّاكن دون متحرّكه في صدر المفردة(**الإستراباذي:2005، 366/2**)،وله ما يفسّره فونولوجيّاً إذ يكون الاختزال في العربية عند طرفي المضارع (م1:ف)+(م2:ل)،فهو متحقّق بالتّصريف في صدره وهو موضع فاء الفعل، وبدخول مورفيم الإعراب عليه في عجزه وهو موضع لامه، في حين أنّه يسلم مقطع الحشو من الاختزال، وهو الملاحظ ظهارة في اللّفيف المجزوم بنوعيه، أو في المسند إلى صيغة الأمر.

2- الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في المثال المجزوم(ابن محمود:2005، 111):

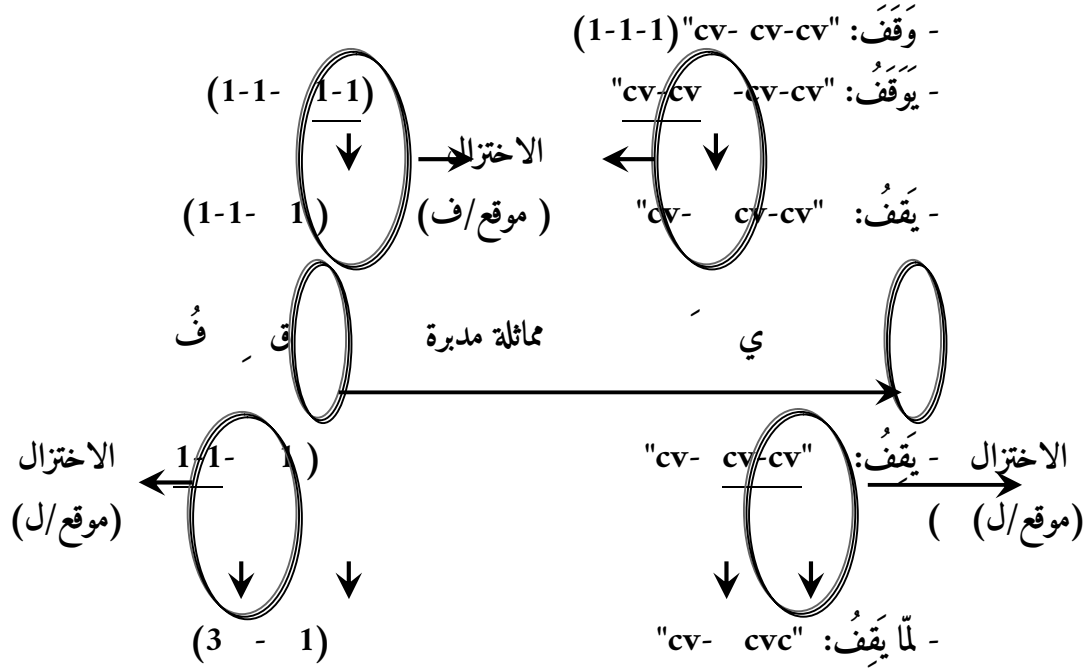

يقتطع الجزم صائت الإعراب القصير من المقطع الأخير(الأشموني:1965، 141/1)للمثال في اختزال فونيمي كمّي ومقطعي، زيادة على الاختزال المقطعي بحذف المقطع الثاني، وهو موقع الفاء من المثال، ويفسّر هذا الاختزال الأخير بالمباينة الفونولوجيّة الضّدّيّة، بين فونيم الياء ذي الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة الأخفّ والأضعف، والخصائص الميكانيكيّة الحركيّة المتقدّمة باعتبار مستوى عضو اللّسان، وبين فونيم الواو ذي الخصائص الفيزيائيّة الكميّة الأثقل والأقوى والخصائص الحركيّة المتأخّرة في مستوى اللسان، ويخصّ هذا المثال الواوي، إذ لا يقع الاختزال المقطعي في المثال اليائي. وبعد الاختزال المقطعي في موضع الفاء، تجتذب الياء الصّامتة حركة العين إليها في مماثلة مدبرة: " assimilation régressive"، وهي التي ما تزال تحافظ على بعض الخصائص الفيزيائيّة الكميّة والميكانيكيّة الحركيّة لنظيرتها الياء الصّائتة، فتحوّلها من الفتح إلى الكسر، بتغاير فيزيائي كمّي باعتبار النّفس المتدفق، وميكانيكي حركي يخصّ عضو اللّسان.

3- الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في الأجوف المجزوم:

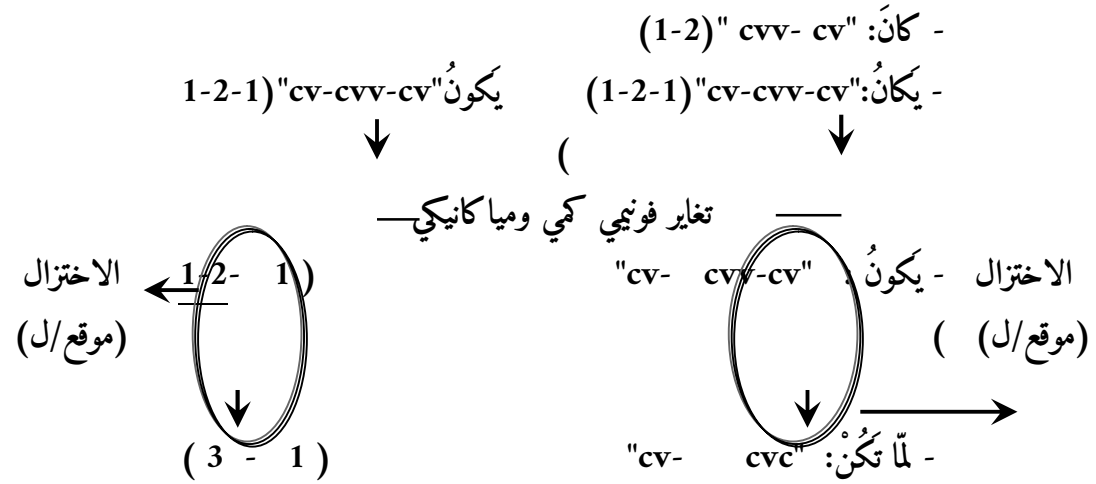

يقتطع الجزم صائت الإعراب القصير من المقطع الأخير(الشّاطبي: 2012، 319/1)، ويختزل الكمّ الفونيمي الطّويل من الواو الصّائتة في الضّمّ القصير، ويكون ذلك في المقطعين الثّاني والثّالث من الأجوف، في حين أنّه لا يقع الاختزال الفونيمي الكمّي ولا المقطعي في صدر الأجوف، وإنّما يكون تغاير في الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة المخرجيّة من الفتح الطّويل إلى الضّمّ الطّويل، ويبقى المقطع الأوّل على حاله حين دخول فونيم المضارعة الواو عليها.

4- الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في النّاقص المجزوم:

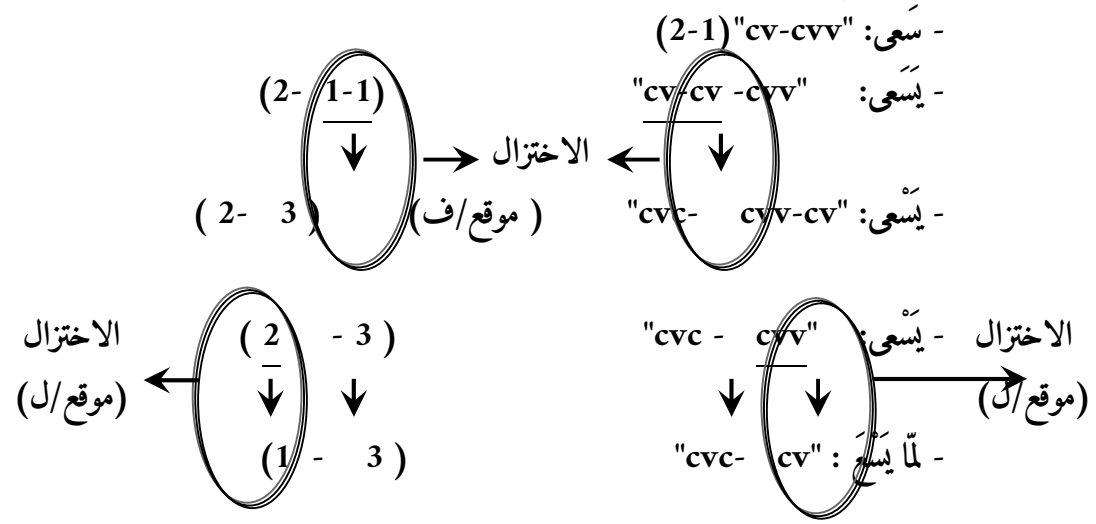

يقتطع الجزم من صائت الإعراب الطّويل من المقطع الأخير من الفعل النّاقص(الشّاطبي: 2012، 319/1)، ليصيّره إلى نظيره القصير وهو بعضه، سواء أكان النّاقص واويا أو يائيّاً، وهذا زيادةً على الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في المقطعين الأوّلين ليكونا مقطعا واحداً من النوع الثّالث:"cvc"وذلك بحذف صائت المقطع الثّاني.

5- الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في اللّفيف المقرون المجزوم(الفاخري: 1999، 140/1):

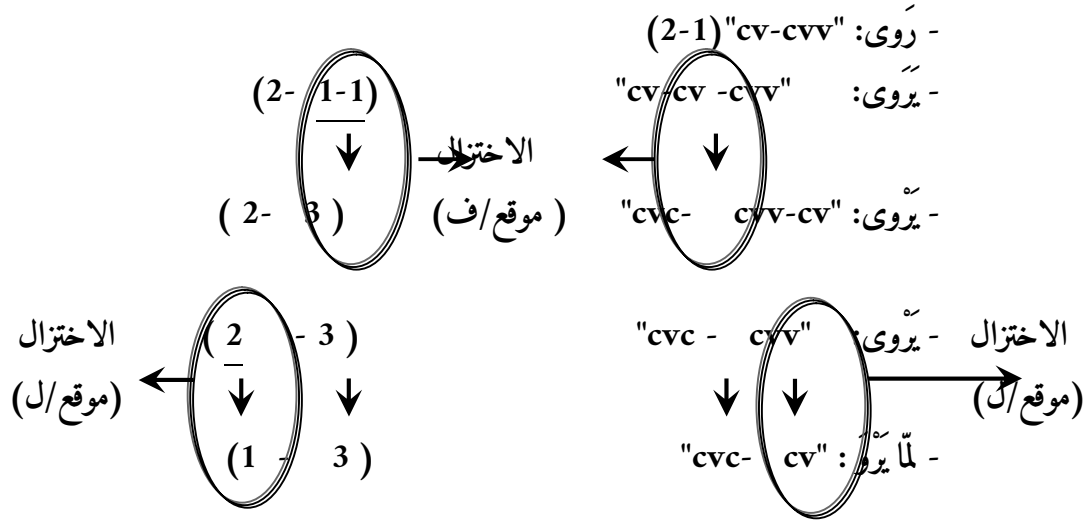

وغير بعيد عن هذا تفسير تأويل النّاقص للشّبيّة المقطعيّة بينهما في صيغتي الماضي والمضارع، ممّا يجعل اقتطاع الجزم في صائت الإعراب الطّويل من المقطع الأخير من الفعل اللّفيف المقرون، ويختزل في بعضه القصير، ينضاف إلى الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في صدر القرون من المقطعين الأوّلين،ليكونا مقطعا واحداً من النوع الثّالث(3):"cvc"وذلك بحذف صائت مقطعه الثّاني.

6- **الاختزال الفونيمي الكمّي والمقطعي في اللّفيف المفروق المجزوم(الفاخري: 1999، 140/1):**

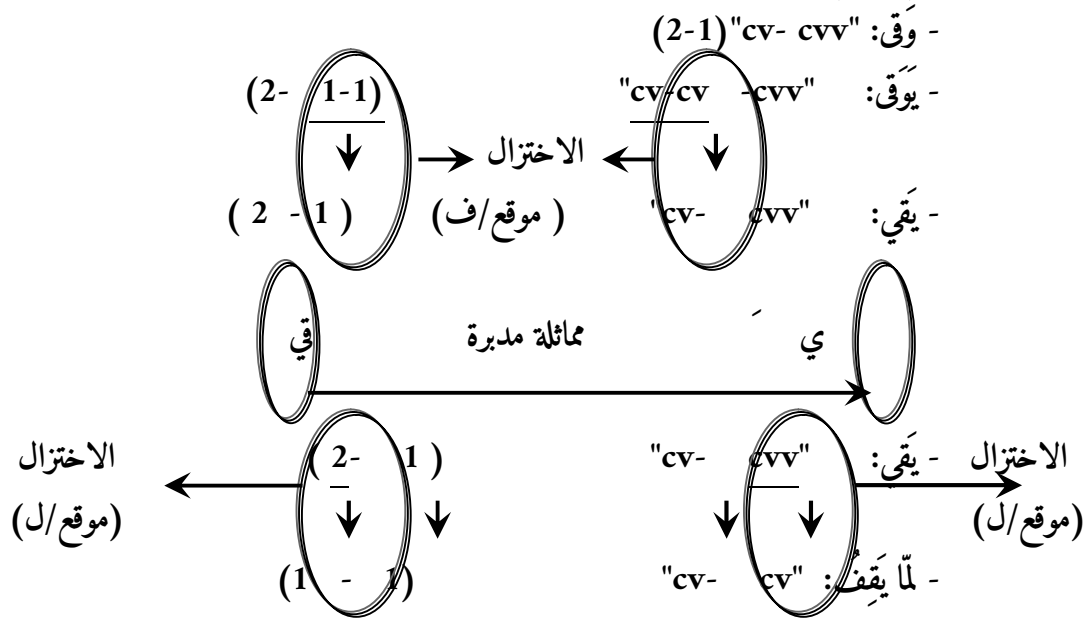

لمّا تشبّه اللّفيف المفروق بالمثال في صدره: ع(ف)، وبالنّاقص في عجزه:ع(ل)، فإن من جماع تقسيمهما المقطعي السّولابي ما يحدّد تفسير الجزم فيه، فيكون ما ضامّاً لتفسير المثال والناقص معاً؛ إذ يقتطع الجزم صائت الإعراب القصير منه مقطعه الأخير في اختزال فونيمي كمّي ومقطعي، ويزيد ذلك على الاختزال المقطعي بحذف المقطع الثاني وهو موقع الفاء منه، للمباينة الفونولوجيّة الضّدّيّة، بين ياء المضارعة

بخصائصها الفيزيائيّة الكمّيّة الأخفّ والأضعف، والخصائص الميكانيكيّة الحركيّة المتقدّمة باعتبار مستوى عضو اللّسان، وبين واو اللّفيف المفروق بخصائصه الفيزيائيّة الكمّيّة الأثقل والأقوى، والخصائص الحركيّة المتأخّرة في مستوى اللسان، وذلك في موضع الفاء، وبعد هذا الاختزال المقطعي تجتذب ياء المضارعة الصّامتة حركة العين إليها، في مماثلة مدبرة: "assimilation régressive"، لاسيما وهي ما تزال تحافظ على بعض الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة الحركيّة لنظيرتها الياء الصّائتة، فتحوّلها من الفتح إلى الكسر، بتغاير فيزيائي كمّي باعتبار النّفس المتدفق، وميكانيكي حركي يخصّ اللّسان، تقوّى الكسر القصير بالألف الممالة في موضع اللاّم فيكون كسرا طويلاً (ياءً)

وقد يعدّ الصّحيح المجزوم مرجعيّا في بابه لتفسير آليّة الاختزال الفونيمي الكمّي والاقتطاع السّولابي، بالنّظر إلى التقسيم المقطعي للصحيح والمثال والأجوف والنّاقص واللّفيفين؛ وهو فيما يلي **(ابن جني:1999، 222)**:

1/ يقع الاختزال الفونيمي الكمّي والاقتطاع السّولابي،في موضع العلّة من فاء المثال ع(ف)وحدها **(ابن عقيل:1999، 1/85،84)**:

["cvc-cvc"(3-3)] ⟵ ["cvc-cv"(3-1)].

2/ يقع الاختزال الفونيمي الكمّي والاقتطاع السّولابي، في موضع العلّة من عين الأجوف: ع(ع)ويؤثّر ذلك في فاء الفعل، فتكون معنيّة بالاختزال والاقتطاع:

["cvc-cvc"(3-3)] ⟵ ["cvc-cv"(3-1)].

3/ يقع الاختزال الفونيمي الكمّي والاقتطاع السّولابي،في موضع العلّة من لام النّاقص ع(ل)ويؤثّر ذلك في عين الفعل،فتكون معنيّة بالاختزال والاقتطاع:

["cvc-cvc"(3-3)] ⟵ ["cvc-cv"(1-3)].

4/ يقع الاختزال الفونيمي الكمّي والاقتطاع السّولابي،في موضع العلّة من عين المقرون ولامه ع(ع،ل)، فتكونا معنيّتين بالاختزال والاقتطاع:

["cvc-cvc"(3-3)] ⟵ ["cvc-cv"(1-3)].

5/ يقع الاختزال الفونيمي الكمّي والاقتطاع السّولابي،في موضع العلّة من فاء المفروق ولامه ع(ف،ل)، فيجمع بحالي المثال والنّاقص في الاختزال والاقتطاع:

["cvc-cvc"(3-3)] ⟵ ["cvc-cv"(1-1)].

فإن كان المضارع مرفوعاً، وحلية رفعه الضّمّ القصير الظّاهر، قابله الجزم باقتطاع الحركة القصيرة فتكون سكوناً لقلّة الكمّ النّفسي فيها، أو تكون حلية الإعراب الضّمّ المقدّر على حرف العلّة- وهي فونيم طويل-ويخصّ هذا الفعل النّاقص أو اللّفيف، فيقتطع منه الجزم كمّاً نفسيّاً معتبراً من فونيمه الطّويل،

فيصيّره إلى نظيره القصير، ليكون دالاً على الطّويل، أو أن تكون حلية الرّفع نوناً ثابتةً في الأمثلة الخمسة، وقد امتازت النّون بالخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة، تتعلّق بصفات فونيم النّون الفونيتيكيّة، من حيث الغنّة والميوعة والذّلاقة، وهي صفات قوّة صوتيّة، وخواصّ نصاعة فونيميّة، والخصائص الحركيّة الميكانيكيّة، من حيث المخرج الصّوتي للنّون، وهي في مجموعها صفات ترشّح النّون أن تضاهي الصّوائت في نصاعتها، حتّى كانت أشباه الصّوائت"les semi-voyelles"في الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة(**ابن جني:2007، 109/1**)،إذ تعتلي قمم المطياف الصّوتي(**أنيس: 1971،161**).

فلمّا قويت بمثل ما قويت به الصّوائت من خصائص فونولوجيّة، كانت حليةً للإعراب في الأمثلة الخمسة، كما كانت الصّوائت القصيرة حليةً ظاهرةً في المضارع المرفوع والمنصوب، وكذا الصّوائت القصيرة المقدّرة على حرف العلّة الأخير في حال المضارع النّاقص أو اللّفيف (**ابن عقيل:1999، 43/1**).وكذا كانت الصّوائت الطّويلة حروفا للإعراب في الأسماء السّتّة(**الأنباري:1998، 24/1**).

ولعل ممّا يعوّل عليه في باب الجزم، هو أن يصحّح مفهوماً نحويّاً سائداً كلاسيكيّاً تواتره الدّارسون عن النّحاة، إلاّ أنّه قد تقادم به الزّمن، ولم يعد سيستجيب للمعايير العلميّة الفيزيائيّة الكمّيّة، ونظيراتها اللّسانيّة الفونولوجيّة؛ من ذاك: استحالة تقدير الضّمّ القصير (الضّمّة المقدّرة)على الضّمّ الطّويل(الواو المدّيّة)في النّاقص الواوي، إذ تبيّن من الكمّ الفونولوجي للواو المدّيّة أنّها تحوي الضّمّ القصير، إذ يعدّ بعضها. ويؤكّد هذا التّقسيم المقطعي السّولابي"la division syllabique":

يد/عو:(2-3)"cvc-cvv" ~~"cvc-cvv"~~ **لمْ يد/عُ:(1-3)"cvc-cv"**

وكذلك الأمر في استحالة تقدير الضّمّ على النّاقص أو اللّفيف اليائيين، للفروق الخلافيّة الكبيرة بين الضّمّ والكسر بنوعيه القصير والطّويل؛ وهي فروق فيزيائيّة كمّيّة تبيّن قوّة الضّمّ وثقله، وضعف الكسر وخفّته، وفروق حركيّة ميكانيكيّة، تبيّن حركة عضو اللّسان في حال الضّمّ المتأخّر والمستعلي، وفي حال الكسر المتقدّم والمستفل. ولمّا تباينت الفروق تبايناً واسعاً استحال الجمع بينهما في أصل الوضع؛ وأمّا ما كان من تقدير الضّمّ على الياء المدّيّة في المضارع النّاقص واللّفيف، فقد يقرأ على تقدير المورفيم الإعرابي لا الفونيم، لاستحالة الجمع بين النّقيضين الفونولوجيين، لاسيما إن تقدّم الكسر على الضّمّ وإن قدّره النّحاة على الثّقل[**يرْمِيُ"cvc-cv-cv" (3-1-1)**]إلاّ أنّه يخالف نظائره من صيغ المضارع النّاقص واللّفيف في تقسيمه السولابي(**2-3**)**"cvc-cvv"** على أن تكون الياء المدّيّة الصّائتة الطّويلة فلا يقبل الضّمّ، دون غيرها من الصّامتة الّتي تقبل الضّمّ، وعند ذاك يقع الخلط بين الياءين، فيُتوهّم تقدير الضّمّ على الياء المدّيّة.

نتائج عامّة :

لقد خلصت نتائج هذا البحث المتواضع إلى تخريجات فونولوجيّة لمباحث الجزم في العربيّة، وفق التّصوّر الفيزيائي الكمّي، فكانت على غير التّناول النّحوي الكلاسيكي، الّذي لا يعالج إلاّ المادّة المورفيميّة النّحويّة، في حين أنّ المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة تعني بما يقلّ عن المورفيمات النّحويّة كمّاً، وتجاوزها إلى المادّة الفونولوجيّة، بما تحوي من عناصر فونيميّة، ومقطعيّة سولابيّة، ومن أداءات مفصليّة صوتيّة، وطونيمية تنغيميّة، والموجة الكلاميّة، وهي في كلّها تحمل خصائص فيزيائيّة كمّيّة وميكانيكيّة مخرجيّة، تشير إلى مواطن السّرّ في بنيّة حرف المعنى، وتحيل على مواقع الدّلالة الفونولوجيّة، وتفسّر وظيفته الفونولوجيّة الخفيّة الّتي تسوّغ نظيرتها النّحويّة الظّاهرة.

هذا، وإنّ المأمول من تناول المباحث النّحويّة العربيّة بالمنهج اللّساني الكمّي، أن يضع الباحث على تصوّر لساني جديد، يعالج المادّة اللّغويّة العربية القديمة، بغير التّصوّر الكلاسيكي النّمطي الذي عجز عن تفسير المستغلقات النّحويّة تفسيرا علمي دقيق، يستجيب لضوابط المنطق العلمي القويم في أحايين كثيرة، ممّا يؤّهل المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة أن تفتح أفاق النّظريّة اللّسانيّة المعاصرة، الّتي تحاول أن تحيّن ذلك الرّكام اللّساني التّراثي الثّر. وقد تينع ثمار نتائجها كأن يكون من ضمنها ما يلي:

1/ لقد فرضت النّظريّة اللّسانية الحديثة منطقها، في أن تجد فضاءات علميّة تعينها على تفسير الظّواهر اللّغويّة العالقة والمستغلقة، أو أن تعيد ترتيب الدّرس اللّساني وفق مقاربات علميّة جديدة، قد لا تكون من الحقل الأنثروبولوجي ذاته، فتجاوزه إلى حقل آخر من العلوم الدّقيقة، ومنها المقاربة الفيزيائيّة الكمّيّة.

2/ قد يجد الباحث اللّساني في المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة، ما يفتح باب القراءات اللّسانيّة الجديدة للدّرس النّحوي الكلاسيكي، فهو من كثرة المصنفات النّحويّة القديمة، إلاّ أنّه لا يبرح تياره التفسيري بنمطيّة منهجيّة تقادم بها الزمن وتجاوزها المنهج العلمي القويم.

3/ لعلّ ما يميّز المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة في تناول الدّرس النّحوي القديم، توظيف المنهج العلمي الصّارم، الّذي تسير في مساقه العلوم الدّقيقة.

4/ إنّ ممّا يعوّل عليه في سلوك المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة منهجا علميّا دقيقاً، أنّها تفسّر المستغلقات النّحويّة القديمة، وتقف على دقائق المباحث اللّغويّة الكلاسيكيّة، وتحاول الإجابة على الإشكالات اللّسانيّة العالقة.

5/ قد يفتح المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة للدّرس النّحوي مجالاً رحبا، في محاولة بناء تصوّرات تنظيريّة لسانيّة عربيّة أصيلة فتكون تواصلا حضاريا للتّراث اللّساني العربي، وقراءات جديدة في المادّة النّحويّة، لاسيما وأنّها تحوي المدوّنة القرآنيّة المثاليّة.

6/ قد لا يجد المنشغل باللّسانيات ذلك التّناطح العلمي الأنثروبولوجي، بين المقاربة الكمّيّة بعدّها مقاربة إجرائيّة، وقراءة جديدة في إعادة ترتيب الدّرس النّحوي، وفق مخرجات اللّسانيات الحديثة، وبين النّظريّة اللّسانيّة الّتي دعا إليها ابن جني، في تفسير مباحث النّحو العربي بالأدوات الفونولوجيّة.

7/ قد يقف الباحث اللّساني على تمكين المقاربة اللّسانيّة الكميّة من جعل الدّرس اللّساني العربي الحديث منفتحا على آفاق علميّة، على غير التّناول اللّساني البيني المعهود، من استعانة اللّسانيات بأدوات العلوم الأخرى، في تفسير الظّواهر اللّغويّة، وإنّما يكون بتطويع فلسفة العلوم الدّقيقة ومناهجها في التّناول والدّراسة.

8/ لا تتعارض مباحث الدّرس اللّغوي الكلاسيكي، وما تقدّم المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة من قراءات تفسيريّة علميّة للمادّة النّحويّة ذاتها، إلاّ أنّ تناولها البحثي لم يكن كما كان عليه من قبل، لما فيه من صبغة الدّقّة العلميّة التي تفرضّ منهجها الأكاديمي الصّارم.

الرّموز المفاتيح:

- Øعلامة الخلو.
- أنواع المقاطع الصّوتيّة المرصودة:*(1)(صح):"cv"*(2)(ص ح ح):"cvv (3)*(ص ح ص):"cvc".
- (ع)العلة.
- ٧:أو للفصل المنطقيّة.
- ٨:و للوصل المنطقيّة.
- ع():موضع العلّة.
- (ف ع ل)أحرف المضارع الثلاثي.

مكتبة البحث :

- ابن جنيّ أبو الفتح عثمان(392هـ):"الخصائص "تحقيق: محمّد علي النّجّار- المكتبة العلمية-(د/ط)-1966م.
- "سرّ صناعة الإعراب" تحقيق: محمّد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط2- 1428هـ/2007م.
- :"المنصف لكتاب التّصريف" تحقيق: محمّد عبد القادر أحمد عطا- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية-1419هـ/1999م.
- ابن السراج أبو بكر محمد بن السري بن سهل(316هـ):"الأصول في النّحو" تحقيق: عبد الحسين الفتلي- لبنان- بيروت- مؤسسة الرسالة- ط4- 1420ه/1999م.

- ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله(769هـ):"شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد- مصر- القاهرة- مكتبة دار التراث- ط2-1420هـ/1999م.
- ابن فارس أبو الحسين أحمد أبو الحسين زكريا(395هـ):"مقاييس اللّغة" تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون - بيروت- دار الفكر- (د/ط)-1399هـ/1979م.
- ابن مالك جمال الدّين محمّد بن عبد الله(672هـ):"شرح التّسهيل- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد "تحقيق: أحمد السّيّد سيّد أحمد علي- مصر- القاهرة- المكتبة التوفيقيّة- (د/ط)-(د/ت).
- ابن محمود محمّد بن عبد الله(819هـ):"الكفاية في النّحو" تحقيق: محمّد يحي جاد الله الجعبري- لبنان- بيروت-ط1-1425هـ/2005م.
- ابن هشام الأنصاري(671هـ):"أوضع المسالك "تحقيق: محمّد محيّ الدّين عبد الحميد- لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي- ط5-1966م.
- :"شرح شذور الذّهب" تحقيق: محيي الدّين عبد الحميد- لبنان- بيروت- صيدا- المكتبة العصريّة- (د/ط)-1988م.
- إبراهيم أنيس(1977م):"الأصوات اللّغوية" مصر- القاهرة- المكتبة الأنجلو مصريّة- ط4-1971م.
- الإستراباذي رضي الدّين محمّد بن الحسن(686هـ):"شرح شافية ابن حاجب" مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي- تحقيق: محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محيي الدين عبد الحميد- لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي- ط1-1426هـ/2005م.
- الأشمّوني أبو الحسن علي نور الدّين بن محمّد بن عيسى(929هـ)"شرح الأشمّوني لألفية ابن مالك" تحقيق: محمّد محيّ الدّين عبد الحميد- مصر- القاهرة- المكتبة الأزهرية للتراث- (د/ط)- (د/ت).
- الأنباري كمال الدّين أبو البركات(577هـ):"الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" تحقيق: إميل بديع يعقوب- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط1-1418هـ/1998م.
- الحملاوي أحمد: "شذا العرف في فنّ الصّرف" تحقيق: مصطفى أحمد عبد العليم- المملكة العربية السّعودية- الرّياض- مكتبة المعارف- ط1-1322هـ/2001م.
- الشّاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى(790هـ):"المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية" تحقيق: محمّد السّيّد عثمان-لبنان-بيروت-دار الكتب العلميّة-ط1-2012م.
- شاهين عبد الصّبور(2010):"المنهج الصّوتي في البنية العربية" لبنان-بيروت- مؤسّسة الرّسالة- ط1-1980م.
- العيني بدر الدّين محمود بن أحمد(855هـ):"ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح" تحقيق: محمّد السّيّد عثمان- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة-ط1-2014م.

- الفاخري صالح سليم: "علم التّصريف العربي" مالطا- فاليتا- شركةELGA- ط1- 1999م.

النظرية التكاملية لابن خلدون في اكتساب اللغة
وتأثيرها في الفكر الغربي

The integrative theory of Ibn Khaldoun
in language acquisition
and its impact on occidental ideology

د. يونس البودامي جامعة محمد الخامس بالرباط – المملكة المغربية
البريد الإلكتـــــروني: elboudami.youness@gmail.com

الملخص:

اعتبر ابن خلدون الإنسان في بناء تصوراته النظرية في مجال اكتساب اللغة كائنا لغويا بالفطرة، وهو ما يؤهله لاكتساب لغة المحيط اللغوي الذي ينشأ فيه. وعدّ الاكتساب اللغوي مهارة كباقي المهارات تكتسب بالاعتماد على الحفظ والتكرار والمحاكاة. ويشكل استعمال اللغة في المواقف التواصلية التي يتعرض لها مرتكزا أساسيا يزيد من درجة إتقانها. هذه الأسس والمبادئ التي أقام عليها ابن خلدون نظريته في اكتساب اللغة نجد لها امتدادات في النظريات الغربية (النظرية السلوكية، النظرية التحويلية التوليدية والنظرية الوظيفية)، مما يجعل نظريته تتسم بالتكامل والشمول، وتعتبر منطلقا للدراسات اللغوية التي أعقبتها سواء منها العربية أو الغربية.

الكلمات المفاتيح: اكتساب اللغة- الفطرة- المحيط اللغوي- مهارة- المواقف التواصلية- النظرية السلوكية- النظرية التحويلية التوليدية- النظرية الوظيفية.

Abstract:

In the construction of his theoretical perceptions on language acquisition IBN KHALDOUN considers Man as a natural linguistic being. This enables him to acquire language in the linguistic environment where he grows up.

IBN KHALDOUN assumes also that language acquisition is like any other one that may be acquired through memorization, repetition and imitation. Besides, he sees that the use of language by the child in different communicative situations is fundamental for its perfection.

The above mentioned foundations and principles about language acquisition in IBN KHALDOUN is theory have influenced later western theories such as: the Behavioral theory, the transformational generative theory and functional theory. It is then integral and comprehensive, it has been a starting point for the subsequent linguistic studies both Arabic and western.

Keywords: language acquisition – natural - linguistic environment - skill- communicative situation- Behavioral theory- transformational generative theory- Functional theory.

مقدمة:

اللغة هي كينونة الإنسان وماهيته، إذ تشكل رابطا حيويا وبيولوجيا ونفسيا يربط الفرد بمحيطه الاجتماعي، ويمنحه الاطمئنان النفسي في علاقاته الخاصة والعامة مع الآخرين، والتعبير عن الإرادة الطبيعية في حق الوجود. ويعد السلوك اللغوي في شموليته خاصية يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية. ولمعرفة الآليات التي تتحكم في نموه وتطوره لدى الطفل منذ صيحة ميلاده، أصبح الاكتساب اللغوي مجالا خصبا للعديد من الأبحاث العلمية والميدانية في إطار علم النفس اللساني، الذي يعتبر مرجعا في دراسته وتحديد مظاهره ومبادئه الأساسية. وقد كانت لعلماء العرب القدامى دراسات سباقة في هذا المجال شكلت منطلقا للدراسات التي أعقبتها، وإن لم يتم التطرق إليها بشكل مفصل في مصنف واحد، بل تناولها كل عالم حسب اختصاصاته واهتماماته ضمن مجالات أخرى في عدة مصنفات. وتعتبر آراء ابن خلدون في مجال اكتساب اللغة نموذجا من نماذج الفكر اللغوي العربي التي ساهمت في بناء التصورات النظرية للدراسات اللغوية المعاصرة.

فرضية البحث:

إذا كانت النظريات الغربية قد تعمقت في دراسة الاكتساب اللغوي، وساهمت بشكل فعال في فهمه وحل رموزه، فلا ينبغي أن نبخس دور العلماء العرب القدامى وإسهاماتهم في هذه الدراسة. وانطلاقا من مقارنتنا لآراء ابن خلدون ونظريته في اكتساب اللغة كنموذج للدراسات العربية مع النظريات السلوكية والتوليدية التحويلية والوظيفية كنموذج للدراسات الغربية سنتحقق من مدى وجود امتدادات للتأصيل العربي لهذه الظاهرة اللغوية في الدراسات الغربية التي أعقبتها.

إشكالات البحث:

يمكن تلخيص إشكالات البحث في إشكالين اثنين هما:

- ما التصورات التي أقام عليها ابن خلدون نظريته في اكتساب اللغة؟
- ما الروابط التي تجمع بين نظرية ابن خلدون في اكتساب اللغة ونظيراتها في العصر الحديث؟

1) نظرية ابن خلدون في اكتساب اللغة:

إذا نظرنا إلى الأسس التي بنى عليها ابن خلدون تصوره في فلسفة اللغة نجدها تقوم على ما يُعرف في الفكر العربي الإسلامي ب"الموجود بالقوة والموجود بالفعل"، فالقابلية الإنسانية للظاهرة اللغوية موجودة بالقوة، وعندما تظهر وتتحقق في أي بيئة بشرية تصبح موجودة بالفعل(**عمايرة، 2001، ص:195**)؛ بمعنى أن ابن خلدون يربط الوجود اللغوي بالقوة بمفهوم الفطرة والاستعدادات التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات. إلا أن هذا الوجود اللغوي لا يتحقق إلا عن طريق الاحتكاك بالبيئة اللغوية التي تسمح له بالظهور، وذلك انطلاقا من قوله:"فلو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ في جيلهم وربي

بين أحيائهم، فإنه يتعلم لغتهم، ويُحكِمُ شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه، وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل" (**ابن خلدون، 2004، ص: 388**)؛ بينما يعدّ اللغة في بعدها الفعلي ملكة كباقي الملكات نُتعلّم، وليست جبلة وطبعا، فالطفل لا يولد ناطقا باللغة، وإنما يكتسبها كباقي الملكات الأخرى دون وعي، حيث إنّ "اللغات لما كانت ملكات، كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات"(**ابن خلدون، 2004، ص: 378**)، فإذا "استقرت ورسخت في مجالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل"(**ابن خلدون، 2004، ص: 387**)؛ أي أن هذه المقدرة تبدو بعد اكتسابها وكأنها طبيعة وفطرة، لذلك نجده ينعت من يرى بخلاف ذلك بالمغفل في قوله:"ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي، ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع"(**ابن خلدون، 2004، ص: 387**).

إن اللغة حسب ابن خلدون ملكة مكتسبة، يتم ترسيخها فتصبح لاشعورية، وليست طبعا جاهزا دون تعلم، بل تكتسب بشكل متدرج غير مقصود، فتبدو وكأنها جبلة. وقد ميّز بين الملكة والطبع؛ إذ تصبح الملكة لاشعورية بعد اكتسابها، في حين يكون الطبع غير شعوري منذ البداية. ويرى أن بناء الملكة لا يتم إلا بتكرار الأفعال، "لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"(**ابن خلدون، 2004، ص: 387**). ويصنف الأفعال المكررة إلى ثلاثة أصناف على الشكل التالي:

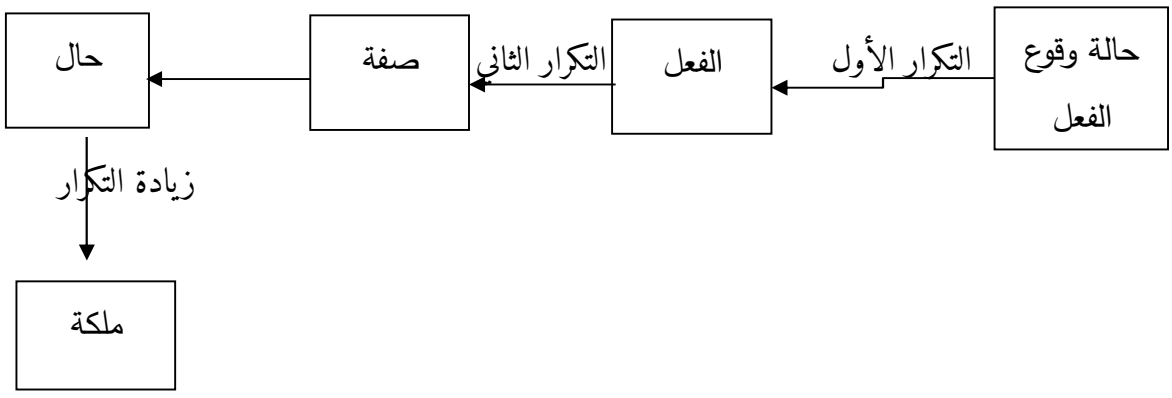

إن الفعل يتحول بعد وقوعه إلى صفة بفعل التكرار الأول، ثم تنتقل الصفة لتصبح حالا بعد التكرار الثاني، وبزيادة التكرار يتحول الحال إلى ملكة راسخة. فابن خلدون يرى أن عملية اكتساب اللغة تتم عن طريق احتكاك الطفل بمحيطه اللغوي، "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية

موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم"(**ابن خلدون ، 2004، ص: 378**). وأكّد على أن الملكة اللغوية موجودة ضمنيا في العقل البشري، وفرّق بينها وبين صناعة اللغة؛ فاللغة في نظره تكتسب بطريقة عفوية، دون الحاجة إلى معرفة قوانينها وضوابطها، أما صناعة اللغة فيتم تعلمها بشكل مقصود، ويكون لها دور في إتقان الملكة اللغوية وتقويتها لا في اكتسابها ف"العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس العمل" لذلك" نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيه عن الصواب وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنّين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية"(**ابن خلدون، 2004، ص: 385**).

وتعدّ اللغة في تصور ابن خلدون ملكة للتعبير عن المعاني التي لا يتم بلوغها وإيصالها للمتلقي بالمفردات، وإنما بالجمل والتراكيب، فاللغات كلها "ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع"(**ابن خلدون ، 2004، ص: 378**).

ولم يقم تصوره على هذه المبادئ فقط، بل ألحّ على استعمال اللغة لاكتسابها والتمكن منها، فتوظيف الملكة اللسانية في البيئة اللغوية يزيد من درجة إتقانها عن طريق تصحيح عبارات الطفل وتجديد أساليبه، لـ" يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة"(**ابن خلدون ، 2004، ص: 384**). كما أشار ولو بشكل ضمني إلى خاصية الإبداعية التي يتميز بها الإنسان في سيرورة اكتسابه للغته الأم، حيث لا يكتفي فقط بتكرار ما سمعه وحفظه، وإنما يبدع تراكيب توازي لغة الكبار عندما تنضج ملكته اللغوية قائلا:" ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم"(**ابن خلدون ، 2004، ص: 378**).

وإجمالا يمكن أن نلخص طرائق اكتساب اللغة عند ابن خلدون في ما يلي:

- **السماع**: ويعتبره بأبي الملكات، وتظهر أهميته في اكتساب الطفل للغته الأم عن طريق التقاط عبارات لغة محيطه وأساليبهم في الكلام، وحفظها في ذاكرته لاستعمالها في مواقف تواصلية معينة، ويتم ذلك وفق مراحل متداخلة ومتتابعة تبدأ باكتساب المفردات أولا ثم إدراك معانيها، وتنتهي باكتساب التراكيب والجمل.

- **الممارسة والتكرار**: وتقومان بدور هام في اكتساب اللغة، ويرجع ربط الممارسة بالتكرار لتبيان أهمية استعمال الألفاظ والعبارات في البيئة اللغوية وعدم الاكتفاء بتكرارها، فالطفل يسمع العبارة ويحاكيها، وعندما ترسخ في ذهنه بالترداد يستعملها في المواقف التواصلية التي يتعرض لها.

وينبغي الإشارة إلى أن ابن خلدون قد فرَّق بين اكتساب اللغة وتعلّمِها، واعتبر أن تعلم اللغة الثانية لا يمكن أن يصل إلى درجة كمال اللغة الأم المكتسبة مهما بلغ متعلمها من الإتقان ما بلغ، فالملكة إذا "سبقتها ملكة أخرى في المحل، فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة"(**ابن خلدون ، 2004، ص: 389**). إن العقل البشري لا يستوعب حسب رأيه اكتساب أكثر من ملكة لغوية بشكل تام، وإنما يمكن تعلم لغة ثانية أو أكثر، إلا أن هذا التعلم يعتريه نقص وخدش، أما اللغة المكتسبة فتكون كاملة وتامة لاشية فيها.

2) التأصيل الغربي لنظرية اكتساب اللغة:

1.2) اكتساب اللغة في نظر المدرسة السلوكية:

ظهرت النظرية السلوكية في نهاية القرن التاسع عشر على يد العالم الروسي **بافلوف Pavlov (1849-1936)**، حين قام بدراسة السلوك الحيواني عن طريق إجراء مجموعة من الدراسات المختبرية، استنتج منها أن سلوكه خاضع لقانون المثير والاستجابة، وبناء على ذلك يمكن التحكم فيه وتعديله. وقد شكل هذا التصور منطلقا للدراسات اللاحقة في مجال اكتساب اللغة وتعلمها لدى الكائن البشري، وتبناه مجموعة من علماء النفس الأمريكيين. ومن أبرزهم نجد **واطسن JOHN B. WATSON (1878- 1958)** **وإدوارد ثورندايك EDWARD L. THORNDIKE (1874-1949)** **وباروس سكينرBURRHUS SKINNER (1904-1992)**.

اعتبر السلوكيون اللغة جزءا جوهريا من السلوك الإنساني الكلي، تُكتسب وتُتعلم كباقي السلوكات الأخرى، لذا فهم يركزون على الجوانب المباشرة للسلوك اللغوي، أي الاستجابات التي تخضع للملاحظة، فاللغة حسب تصورهم "عبارة عن استجابات يصدرها الكائن ردا على منبهات تأخذ شكل السلوك الخاضع للملاحظة المباشرة"(**بدران، 2008، ص:11**). كما يهتمون بالعلاقة القائمة بين الاستجابات اللغوية والأحداث المحيطة، ويرون أن السلوك اللغوي الفعال هو الذي ينتج عن استجابة صحيحة لمثير

ما، فالكائن البشري يكتسب لغته الأم بتأثير من أفراد محيطه عن طريق تكوين عادات سلوكية تُرسَّخ بواسطة التعزيز الإيجابي، وتُستبعَد عن طريق التعزيز السلبي، وبعد اكتسابها تصبح مظهرا من مظاهر السلوك البشري يلازمه طيلة حياته.

وقد مرت هذه النظرية بمراحل مختلفة في مسار تطورها، نتجت عنها توجهات متباينة، لكنها تبقى جميعها وفيَّة للقانون العام الذي يؤطرها - قانون المثير والاستجابة-. ولعل أشهر نموذج سلوكي هو الذي قدمه "**سكينر**" « **B.F. Skinner** »، حيث لم يهتم في دراساته لسلوك الكائن الحي على السلوك القابل للملاحظة فقط، بل اهتم كذلك بالأحداث العقلية، ورأى أنه ينبغي أن تُدرس أيضا السلوكات الإجرائية الناتجة عن مثيرات يصعب تحديدها في العالم الخارجي، فالإنسان حسب تصوره ليس مجرد حركات عضلية، وإنما تصدر عنه استجابات تؤثر في بيئته المحيطة دون أن يكون لها مسببات يمكن رصدها والتحكم فيها. ويقصد "**سكينر**" بالإشراط الإجرائي التعلم الذي يتم فيه تعزيز الاستجابة وليس المثير كما عند **بافلوف وثورندايك وواطسن**، وذلك لصعوبة معاينته وتحديده في حياتنا الاجتماعية، فالاستجابة عنده لا ترتبط بمثير محدد بالذات في البيئة المحيطة بالفرد المتعلم، وإنما يمكن أن يُستدَلَّ عليه بالنظر إلى آثاره في المجال الذي يتفاعل داخله. واعتبر **سكينر** "التدعيم" أحد المفاهيم الأساسية في نظريته، مميزا بين التدعيم الإيجابي الذي يُمكِّن من استعادة الاستجابة وتكرارها، والتدعيم السلبي الذي يؤدي إلى توقفها وانطفائها؛ أي أن عملية الاكتساب اللغوي عند الطفل تنمو بفعل تدخل المحيطين به عن طريق تعزيزاتهم الإيجابية لسلوكاته اللغوية السليمة مما يؤدي إلى تكرارها، والتعزيز السلبي الذي يهدف إلى الابتعاد عن السلوكات اللغوية الخاطئة وانطفائها؛ حيث يرى من الواجب "أن نأخذ بعين الاعتبار ثلاثة أحداث مهمة في كل سلوك لغوي خاضع لمثير ما، وهي: المثير، والاستجابة، والتعزيز." **(Skinner ,B.F., 1957, P: 115).**

لقد شكل هذا التصور تطورا مهما في تاريخ النظرية السلوكية، وخفف من شدة الغلو الذي عُرفت به، انطلاقا من تركيزها على السلوك الظاهر القابل للملاحظة، وإقصائها لكل النشاطات الداخلية التي تُستعصى معاينتها بصورة مباشرة.

وإجمالا يمكن القول، إن السلوكيين اهتموا فقط بالبيئة اللغوية المحيطة بالطفل، معتقدين أن عقله صفحة بيضاء، لا يحمل أي شيء عن العالم ولا عن اللغة، ومن ثم فإن البيئة هي التي تشكله وتصوغه بوسائل متنوعة من التعزيز، "فالأهل هم مصدر المعطيات اللغوية التي يتعرض لها الطفل، وعملية التعزيز هي العملية اللازمة لتوفير العادات الكلامية، فالطفل كناية عن صفحة بيضاء تتلقى مثيرات البيئة، وتتقدم عملية اكتسابه اللغة بالقدر الذي تتوافر فيه الاستجابات الصحيحة وتتعزز"**(كريدية، 2008، ص:150).** وهم بذلك يقصون كل قدراته العقلية التي تميزه عن باقي المخلوقات. ولا ينبغي أن يُفهم مما

سبق أن السلوكيين لا يعتقدون بوجود هذه القدرات العقلية، بل يرون باستحالة قياسها وتحليلها. لذا فإن اكتساب اللغة وتعلمها من منظور المدرسة السلوكية قائم على تعلم جمل جاهزة كاستجابة لمثيرات المحيط الخارجي في مواقف معينة، وتتم عملية التعلم عبر وضع المتعلم في مواقف شبيهة بالمواقف الطبيعية، وتدعم بواسطة مبدا التكرار.

ويمكن تلخيص أهم مرتكزات المدرسة السلوكية فيما يلي:

- اللغة عملية اجتماعية يعتمد في اكتسابها كليا على بيئة الطفل.
- اللغة مجموعة من العادات يتعلمها الطفل بالتقليد والتكرار.
- اللغة نظام منطوق قبل أن يكون مكتوبا.
- اللغة سلوك لغوي يتولد عن منبهات خارجية ويتعزز بالتدعيم الإيجابي، وينطفئ بالتدعيم السلبي على الشكل التالي:

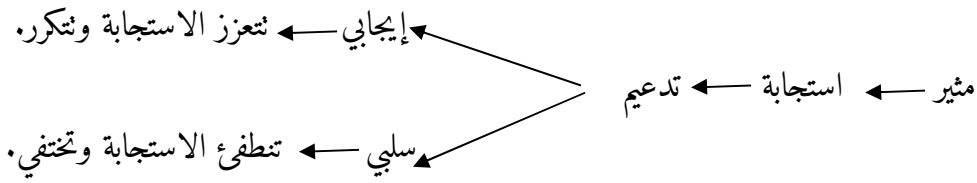

- يتم اكتساب اللغة بطرق مشابهة لطرق تعلم الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكاة، والترابط، والاشتراك، والتكرار، والتدعيم.
- أن اللغة سلوك، والسلوك يمكن تعلمه باستثارة الأطفال لهذا السلوك.
- تساهم البيئة بشكل فعال في النمو اللغوي عند الطفل.

إلا أن هذا الاتجاه وجهت له انتقادات عدة، ويعتبر **تشومسكي** من أبرز منتقديه، حيث أشار إلى أن المصطلحات العلمية الفخمة والإحصاءات المؤثرة التي يكسو بها السلوكيون دراساتهم، ما هي إلا لون من ألوان الخداع والتمويه، يخفون به عجزهم عن تفسير الحقيقة البسيطة التي تقول:"إن اللغة ليست نمطا من العادات، وأنها تختلف جوهريا عن طرق الاتصال عند الحيوان"**(ليونز، 1985، ص:36 و37)**، مقرا بأن كثيرا من الملاحظات السطحية تؤكد الاختلاف الكيفي بين الإنسان والأنواع المعقدة الأخرى، وأن الكائنات البشرية فريدة في كثير من الاعتبارات، وأن اكتساب النظام اللغوي الثري والمتنوع واحد من هذه التكوينات. فالإنسان يمتلك جهازا فطريا يسمى الكفاءة اللغوية أو الكفاءة الكامنة في العقل، الذي سبق ذكره عند دي سوسير في مصطلحيه "اللغة" بالمعنى العام (langue) و"اللغة المعينة" (Language).**(تشومسكي ، 2005، ص:16)**.

2.2) اكتساب اللغة في نظر المدرسة التوليدية التحويلية:

تعد النظرية التوليدية التحويلية لـ**تشومسكي** (**Noam chomsky**) تطويرا لبعض المفاهيم التي تم تحديدها في الدراسات اللغوية السابقة، ونقدا لأسس النظرية السلوكية ونظرتها القاصرة للغة باعتبارها سلوكا كغيره من السلوكات يخضع لقانون المثير والاستجابة، وإهمالها لكل ما يرتبط بالنشاطات العقلية. إن النظرية حسب تشومسكي" ينبغي أن تهتم بدراسة الجانب العقلي من الإنسان والكشف عن قدراته اللغوية وكيفية اكتسابه اللغة، بدلا من الاقتصار على وصف الأشكال السطحية لها"(**العصيلي، 1423ه، ص:56).** وعلى هذا الأساس وجه تشومسكي مجموعة من الانتقادات اللاذعة للنظرية السلوكية، نبرز أهمها في:

- تغيب النظرية السلوكية القدرات العقلية للكائن البشري في عملية اكتسابه للغته الأم، وتركز على الجوانب القابلة للملاحظة والمعاينة. فاللغة حسب تشومسكي ظاهرة معقدة لا يمكن أن تُختزل في استجابات سلوكية ظاهرة، تحدث بفعل مثيرات خارجية وداخلية، بل يتمتع الكائن البشري بكفاية عقلية تؤهله لاكتسابها انطلاقا من احتكاكه اليومي بمحيطه الخارجي.
- تستخدم مبادئ التعلم التي تم التوصل إليها نتيجة إجراء تجارب مختبرية على الحيوان، وتحاول تطبيقها على الإنسان متجاهلة أن هناك فروقا بينهما، فالإنسان مبدع وله قدرات فطرية تميزه عن باقي الكائنات الأخرى، ومن ثمة لا يمكن أن تُحصر عملية اكتساب اللغة دائما في ثنائية المثير والاستجابة. وقد أقر تشومسكي أنه" لا توجد مبررات اليوم لاتخاذ موقف يعزو تحقيق الإنجاز البشري المعقد- اكتساب اللغة- بالكامل لأشهر أو سنوات من الخبرة بدلا من ملايين السنين من التطور أو إلى المبادئ التنظيمية العصبية التي قد تكون أكثر ترسيخا في القانون الفيزيائي؛ إذ تشير إلى أن الإنسان فريد من نوعه في كيفية اكتسابه للمعرفة"**(Chomsky , 1965. P:59).**
- لا يتم اكتساب اللغة عن طريق الاستماع والمحاكاة والتكرار والتعزيز فقط، فالطفل ينطق بجمل لم يسمعها من قبل، وفي هذا الصدد يقول **تشومسكي**:" يجدر بنا أن نفهم الخصائص التي أثارت بحدة ديكارت وأتباعه- مناقشة ما أسميته (المظهر الخلاق لاستعمال اللغة) - تدور حول ثلاث ملاحظات هامة هي:
  - أن استعمال اللغة العادي تجديد، بمعنى أن جزءا كبيرا مما نقوله عند استعمالنا العادي للغة يكون جديدا برمته.
  - أن ما نقوله ليس مجرد تكرار لما سبق أن سمعناه.
  - أن ما نقوله ليس استنساخا لبنية من الجمل أو الخطابات التي سمعناها في الماضي كيفما كانت المعاني التي تعطيها لهذا الاستنساخ ولهذه البنية.

إنها ثلاثية مهمة غالبا ما يتم تناسيها، وفي كثير من الأحيان نكرانها خصوصا خلال المرحلة السلوكية في اللسانيات" (**تشومسكي، 1993، ص:15-16).**

- نظرية المثير والاستجابة نظرية قاصرة لأنها تجعلنا في دائرة مغلقة، ولا تفسر اللغة بشكل صحيـــح.

(Chomsky, 1969,p :108)

وقد انطلق تشومسكي في انتقاده للسلوكيين وبناء نظريته في الاكتساب اللغوي من الملاحظات التالية:

- يكتسب كل طفل سوي اللغة من دون أن يقوم بأي مجهود يذكر، وعن طريق تعرض شفاف للغة محيطه، دون حاجة إلى من يمده بصورة منظمة بالمادة اللغوية، فعمل الطفل عمل ذاتي خلاق ينبغي دراسته من حيث هو خاصية إنسانية مميزة.
- إن كلام المحيط الذي يسمعه الطفل من حوله لا يتشكل من جمل أصولية كاملة، فهو يضم جملا منحرفة، كما أنه يشتمل على عدد متناه من الجمل، إلا أن الطفل حين يكتسب لغته، فهو يكتسب معرفة ضمنية بقواعدها، مما يجعله قادرا على إنتاج عدد غير متناه من الجمل، وتفهمها والحكم على أصوليتها.
- لا يكتسب الطفل اللغة واستعمالها فقط، بل إنه يكتشف في الوقت ذاته محتوى الكلام كحقيقة قائمة بحد ذاتها، ويمتلك تقنية التواصل اللغوي.
- يجب ألا تتعدى خصائص اللغة الإنسانية قدرات الطفل الطبيعية على استيعابها، وإلا تعذر عليه اكتسابها، هذا مع العلم أن اللغة المكتسبة تنظيم لغوي غني ومعقد، ولا يمكن تحديده عبر المظاهر اللغوية المجزأة. **(زكريا، 1993، ص:93-94).**

إن تشومسكي وبناء على انتقاداته للنظرية السلوكية وتحليله للاكتساب اللغوي عند الطفل، قد أقام نظريته على فكرة محورية ترتكز على"القدرة الفطرية للكائن البشري التي تؤهله لاكتساب اللغة، ولم يخف أهمية تعرضه للجماعة اللغوية من أجل تفعيل الإمكانيات الفطرية التي يتوفر عليها. لكنه في الوقت ذاته يرى أن هذا الوسط لا يقوم سوى بدور الحافز أو المثير للآلة العقلية التي يمتلكها لاستيعاب قواعد اللغة"(**Moreau, Richelle, 1997, p :17**)، وأن هذه القدرة أو الخاصية الفطرية كلية في جميع البشر، أطلق عليها «جهاز اكتساب اللغة»(**L.A.D**) **(Linguistique Acquisition Device)**. هذا الجهاز حسب تشومسكي "يُمكّن الطفل من اكتساب لغته الأم من المحيط والإبداع فيها بناء على قواعد يتلقاها من الناطق المثالي، تمكنه من فهم جمل لغته والتمييز بين الممكن وغير الممكن فيها أو بين المقبول والمرفوض منها"(**بلعيد، 2002، ص:**77).

إن الطفل مزود بملكة لغوية فطرية يحددها استعداده الإحيائي لا التجربة، وتسمى هذه المعرفة بالحالة الذهنية الأولى، وتتكون هذه الحالة التي يمثلها النحو الكلي من مجموعة من المبادئ العامة التي تحكم جميع اللغات الطبيعية وائتلافها. ويرجع الاختلاف اللغوي إلى مجموعة محدودة من الوسائط

العامة ذات قيم غير موسومة، تقوم اللغات بوسم سمة من سماتها وتثبيتها وفقا لمعطياتها (تجربتها) اللغوية الخاصة بها. والوسم الخاص للقيم الوسيطية يمثله النحو الخاص كما يلي:

تجربة لغوية ⟵ النحو الكلي (المبادئ والوسائط) ⟵ لغة/نحو خاص.

وانطلاقا من هذا التمثيل يمكن النظر إلى عملية اكتساب اللغة كجهاز له دخل تمثله تجربة لغوية معينة، وله خرج تمثله لغة خاصة أو نحو خاص. وعليه، فالنحو الكلي هو من يحدد عملية اكتساب اللغة، أما التجربة فمساهمتها فقيرة في هذه العملية، وينحصر دورها في المساعدة على تثبيت القيم الوسيطية. "إن هذا التفسير المقدم في إطار مقاربة المبادئ والوسائط لاكتساب اللغة يعد محاولة جيدة لدعم الموقف الفلسفي الداعي إلى فقر المنبه، بمعنى أن مساهمة المعطيات التجريبية فقيرة في عملية اكتساب المعرفة اللغوية" (**تشومسكي، 2013، ص:15-16**).

وإجمالا يمكن القول إن تشومسكي قد ركز في بناء نظريته في اكتساب اللغة على مفهومين أساسيين هما:

- **الملكة اللغوية**: ويقصد بها النماذج الذهنية التي تكون الكليات اللغوية الموجودة عند كل البشر، والتي يستنبط الطفل منها نظام اللغة التي يسمعها في محيطه، وتمكنه من صياغة قواعد تركيبية ضمنية تسمح له بإنتاج جمل جديدة وغير متناهية العدد.

- **الأداء اللغوي**: وهو ما يقوله الفرد بالفعل، ويقصد به الاستعمال الآلي للغة ضمن سياق محدد، ويتسم بالتماسك والتحرر، فلا يخضع لمثير خارجي، ولا يمكن رصده آليا وتحليله، وقد يتسم ببعض الصعوبات والمعيقات بسبب بعض الأمراض الكلامية أو عدم معرفة بالموضوع.

- **الإبداعية**: وهي القدرة على صياغة وفهم وإدراك عدد لا متناه من الجمل لم يسبق أن سمعها الطفل من قبل. هذه السمة تجعل عملية الاكتساب اللغوي لا تنحصر في ترديد وتكرار ما قيل وسمع من أفراد البيئة المحيطة بالطفل، حيث يقول تشومسكي: "لقد أهملت النظريات المتعلقة بإدراك اللغة واكتسابها إهمالا تاما المظهر الإبداعي في استعمال اللغة؛ أي هذا الاستعداد العجيب على تكوين جمل أو فهمها دون أن تسمع من قبل" (**تشومسكي، 1993، ص:21**).

وبذلك تكون النظرية التوليدية التحويلية قد عالجت قضية الاكتساب اللغوي من منظور يعتبر اللغة مكونا من مكونات الكائن البشري تميزه عن باقي الكائنات الأخرى، وتربط عملية اكتسابه للغته الأم بالكفاية اللغوية التي تعينه على اكتشاف قواعد لغته. فكل إنسان يتكلم لغة معينة قادر حسب هذه النظرية في كل آن وبصورة عفوية على صياغة وتفهم وإدراك عدد لا متناه من جمل هذه اللغة، لم يسبق له أبدا لفظ أكثرها أو سمعها من قبل، بل والتمييز بين الممكن وغير الممكن منها.

إن اللغة البشرية حسب تشومسكي تقوم على خاصية اللامحدودية المتفردة، وهي تلك الحقيقة العقلية الفطرية الكامنة وراء الأداء الكلامي الذي ينبغي أن يكون انعكاسا لها، إلا إذا انحرف عنها لأسباب عارضة كالمرض والتعب والزلل اللساني، وبناؤها هو عملية اكتساب اللغة. هذه الخاصية هي ما سماها تشومسكي الكفاية اللغوية، فكل طفل ينشأ في بيئة لغوية معينة يكتسب لغتها بالفطرة من غير الحاجة إلى تعلم قواعدها بصورة نظرية مباشرة، حيث يمتلك قواعد كلية تتوفر في جميع اللغات الإنسانية، فما إن تعرض عليه لغة بيئته حتى تتحقق الملائمة بينها وبين تلك القواعد، لكن بشيء من التدرج وبعد فترة من الدربة.(**زكريا، 1984، ص:47-48**).

وقد أثبتت بعض البحوث الحديثة أن الطفل يستعمل فرضيات في سيرورة اكتسابه للغة محيطه (**ريشل، 1984، ص: 20و21**)، فإذا سمع اسما يعرفه مثل: «ماما » أو « بابا» فإنه يفترض أن الكلمة التي تليه اسما أو صفة لاسم، وهو يهتدي إلى الفرضية الصحيحة بعد أن يتبين له أن فرضيته الأولى خاطئة. وهكذا فإنه يستعمل قواعد خاصة به، يجري تعديلها باستمرار إلى أن توافق القواعد التي تحكم لغة الكبار، أي أنه يقوم بتفحص البنى اللغوية التي يستخدمها انطلاقا من مقارنتها بتلك التي يسمعها في محيطه اللغوي، وعند التعارض يقوم بتعديل نظامه اللغوي إلى أن يصير مشابها للغة الكبار(**بدران، 2008، ص:13**).

إن النظرية التوليدية التحويلية قد حررت نظرية اكتساب اللغة من الغلو في توظيف المنهج العلمي الخاضع للتجريب والملاحظة، واعتبرت عملية الاكتساب اللغوي تتم وفق نظام متكامل غير قابل للتجزيء، وتحكمها قواعد مطردة. إلا أنها لم تسلم كذلك من مجموعة من الانتقادات، ونذكر من أهمها:

- التركيز على الجانب العقلي في تفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي وإهمال الجانب الاجتماعي والوظيفي للغة.
- المبالغة في التجريد.
- تعالج أشكال اللغة وليس مستواها الأعمق.
- أن الملكة الإبداعية التي يتميز بها الكائن البشري في اكتساب لغته الأم عن طريق إنتاج جمل لم يسمعها من قبل لا تخص اللغة فقط، بل هي صفة من صفات التكوين البيولوجي للكائن الحي تمكنه من أن يقوم بحركات لم يقم بها من قبل.
- أن الملكة الفطرية لا تمكن من اكتساب اللغة الأم في معزل عن المحيط الاجتماعي، فاللغة وضعت لتتواصل بها الجماعة اللغوية، وهو ما يفرض معالجة الظاهرة اللغوية بشكل أعمق في علاقتها بالاستعمال، إلا أن مفهوم الملكة اللغوية يجعلنا نعطي اللغة ميزة مونولوجية، حيث تقصي الملكة اللغوية الخاصة بالمخاطب، والتي تكون في غالب الأحيان مختلفة عن تلك التي يمتلكها المتكلم في وضعية لغوية معينة.

3.2) اكتساب اللغة في نظر المدرسة الوظيفية.

قامت المدرسة الوظيفية في أواخر الستينات، وبنت أسسها على مجموعة من الانتقادات الموجهة للاتجاه التوليدي الذي نظر إلى اللغة على أنها مجموعة من القواعد الصورية المجردة، واصفة إياه بالغلو في التجريد، وبالمعالجة الشكلية للغة دون التطرق إلى مستواها الأعمق، ومهملا دراسة جانبها المراوغ وهو المعنى. إن الدراسة اللغوية يجب أن تتم حسب أصحاب هذا الاتجاه بشكل يأخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب المعرفية والوجدانية. ومن أبرز ممثلي هذه المدرسة نجد **لواس بلوم** (**Lois Bloom**) و**دان سلوبان** (**Dan Slobin**) و**ماتيلدا هولزمـان** (**Matilda Holzman**) .

إن ربط عملية الاكتساب اللغوي بمفهوم القدرة اللغوية في نظر أصحاب الاتجاه الوظيفي يعتبر تفسيرا ضيقا، ويحثون على الانفتاح على مفهوم أوسع وأشمل، فالطفل لا يقتصر على اكتساب بنى لغته الأم بمختلف جوانبها التركيبية والصرفية والنحوية فقط، بل يكتسب أيضا القدرة على توظيفها واستعمالها في مواقف تواصلية مختلفة، وهو ما تزكيه قدرته على التواصل مع أفراد محيطه بشكل سلس. وقد تمخض عن هذا التحول في دراسة اكتساب الطفل للغته الأم اتجاهين أساسيين :"الأول يرى أن سيرة النمو اللغوي تتوقف على طبيعة النظام اللغوي، وتتوقف أهم من ذلك على تلك الجوانب الكلية التي تتحقق في جهاز فطري موجود في الإنسان لتعلم اللغة، وأما الثاني فيؤكد على التفاعل بين نمو الطفل الإدراكي والمعرفي مع بيئته اللغوية وغير اللغوية"(**براون، 1994، ص:42**).

إن الكلام الصادر عن الطفل يتحقق معناه انطلاقا من الوظيفة التي يؤديها في موقف تواصلي معين، فالطفل يتكلم الأبنية العميقة التي تمثل المعاني والوظائف، وليس الأبنية السطحية للمفردات والتراكيب. وتعتبر القدرة الفطرية التي يمتلكها الطفل قدرة تواصلية تشمل الملكة اللغوية والملكة المعرفية والملكة الاجتماعية والملكة المنطقية والملكة الإدراكية، وهو ما يجعل أصحاب هذا الاتجاه يتحدثون عن الكفاية التواصلية لاهتمامها بأصول الكلام، أي أنها بالإضافة إلى اهتمامها بقواعد اللغة، فهي تهتم باستعمالها في المحيط الاجتماعي وحسب الموقف التواصلي، فيعرف الطفل ما ينبغي أن يقال في هذا الموقف وما لا ينبغي أن يقال. "فبينما يمكن النظر إلى الكفاءة اللغوية على أنها المعرفة المتطلبة لتركيب الجمل اللغوية الصحيحة الصياغة أو فهمها، فإن الكفاءة التخاطبية أو التواصلية قد ينظر إليها على أنها المعرفة المتطلبة لتحديد ما تعنيه مثل هذه الجمل عندما يتكلم بها بطريقة ما في سياق معين"(**يونس علي، 2007، ص:148-149**).

إن النظرية الوظيفية قد ركزت اهتمامها على الخطاب كنواة للتحليل والتفسير اللغوي بدل الجملة. فالوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وبذلك فالوظيفيون يربطون بين النظام اللغوي وكيفية استعماله، ويمكن أن نحدد أهم مبادئ هذه النظرية في العناصر التالية:

- تعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي؛ أي نسقا رمزيا يؤدي إلى مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.
- تعتمد فرضية أن بنية اللغات الطبيعية لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا تم ربط هذه البنية بوظيفة التواصل.
- قدرة المتكلم-السامع في رأي الوظيفيين هي معرفة المتكلم للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة، فالقدرة إذن قدرة تواصلية تشمل القواعد الصوتية والتركيبية والدلالية والتداولية.
- يتعلم الطفل حسب الوظيفيين النسق الثاوي خلف اللغة واستعمالها، أي العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق بواسطتها.
- الكفايات اللغوية مجموعة من المبادئ تربط بين الخصائص الصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل (كليات صورية - منطقية).
- يفرد الوظيفيون في النموذج الموصوف لوصف اللغات مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص التداولية. (**المتوكل، 1989، ص 13**).

ونخلاصة لما سبق، فالوظيفيون يرون أن جهاز اكتساب اللغة نسق من المبادئ العامة التي تمكن الطفل من تعلم اللغة، وهي مبادئ تتعلق بالوظيفة والبنية. إن المدرسة الوظيفية "تقارب عملية الاكتساب اللغوي على أساس أن هذا الاكتساب مسلسل تدريجي قائم على تفاعل الطفل مع محيطه اللغوي. إلا أنه لا يصح أن نستنتج من هذه المقاربة أن النظريات الوظيفية ترفض العامل الفطري رفضا تاما، بل إن كل ما يسوغ استنتاجه هو أن هذه النظريات تغلب عامل المحيط اللغوي وتعلم الطفل اللغة عن طريق تفاعله مع هذا المحيط على العامل الفطري الذي ترجئه- كما يقول (**ديك 1997**)- لتفسير ما تعجز العوامل الأخرى عن تفسيره" (**المتوكل، 2003، ص:63**). إن ما يكتسبه الطفل أثناء تعلمه للغة ليس معرفة لغوية فحسب، بل كذلك معرفة القوانين والأعراف المتحكمة في الاستعمال الملائم للغة في مواقف اجتماعية معينة، وبهذا تكون المرحلة المعرفية النهائية التي يصل إليها الطفل بعد استكمال تعلمه للغة هي «قدرة لغوية تواصلية » لا تؤهله لإنتاج جمل نحوية فقط، بل كذلك لإنتاج هذه الجمل فيما يلائمها من سياقات الاستعمال، وتمكنه من فهم الأقوال التي يسمعها والتعبير عن المعنى الذي يريده. وبذلك تكون عملية الاكتساب اللغوي عند الطفل تتم وفق تفاعل عاملين أساسيين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وهما عاملا البيئة اللغوية والفطرة.

استنتاجات:

انطلق ابن خلدون في بناء نظريته التكاملية في اكتساب اللغة من ثلاثة محاور أساسية، يمكن تلخيصها في ما يلي:

- أن الإنسان كائن لغوي بالفطرة، أي أنه مؤهل لاكتساب اللغة عن طريق احتكاكه بمحيطه اللغوي الذي ينشأ ويترعرع فيه.
- أنه يكتسب اللغة كأي صناعة أو مهارة أخرى معتمدا على الحفظ والتكرار والمحاكاة.
- أن استعمال اللغة في المواقف التواصلية التي يتعرض لها الطفل يزيد من درجة إتقانها، وبذلك لا يقتصر اكتسابها على المران والتكرار والسماع، بل ينبغي كذلك توظيفها في الحياة اليومية للتعبير عن حاجاته ومتطلباته.

وهو بذلك – وانطلاقا من المحور الأول- يكون سبّاقا لما جاءت به النظرية التوليدية التحويلية على أن الإنسان مزود ببعد بيولوجي(**L.A.D**) يؤهله لاكتساب اللغة، أما طريقة استثمار هذا البعد فلا يتردد ابن خلدون في وضع برنامج تعليمي قائم على الاستماع والحفظ والتقليد وتكوين العادات اللغوية، إلى أن يتمكن الطفل من ملكته اللغوية، دون إغفال للمظهر الإبداعي التي يتميز به الكائن البشري. كما يلتقي في المحور الثاني مع النظرية السلوكية التي تنظر إلى اللغة على أنها عادات تنشأ من حاجة الإنسان للتواصل مع الآخرين، حيث يستمع ثم يحفظ ويقلد، وبعدها ينطق معبرا عن متطلبات حياته دون الحاجة إلى المعرفة الضمنية بقواعد اللغة النظرية. كما يميز بين نوعين من عمليات اكتساب اللغة، نوع يتم فيه اكتساب اللغة عن طريق الاحتكاك بالمحيط وسماع لغته، فيحاول الطفل إتقانها موظفا قدراته الذاتية والذهنية إلى أن تصير ملكة راسخة فيه، أما النوع الثاني فيقوم فيه اكتساب اللغة على الحفظ و المران بدل السماع، ويتطلب وجود محيط لغوي يحتضن اللغة المراد تعلمها، فاكتساب الطفل للغته كأحد متحدثيها يتطلب حفظ كلامهم وكثرة استعماله إلى أن يجري على اللسان بصورة طبيعية. أما المحور الثالث فتتماثل فيه نظرته مع مبادئ النظرية الوظيفية، ويتظهر ذلك في دعوته إلى استعمال اللغة في البيئة اللغوية التي يحيا فيها الطفل، وعدم الاقتصار على الاستماع والتقليد والمحاكاة. إذ أن إتقان الملكة اللغوية مرتبط ارتباطا وثيقا بالتواصل بها في الحياة اليومية وفي مواقف تواصلية متجددة.

إن هذه المبادئ الأساسية التي قامت عليها نظرية اكتساب اللغة عند ابن خلدون جعلت نظريته تتصف بالشمول والتكامل، وتضم أهم أسس النظريات السلوكية والتوليدية التحويلية والوظيفية، وهو ما دفعنا بأن نطلق عليها "**النظرية التكاملية لابن خلدون في اكتساب اللغة** ".

لائحة المصادر والمراجع:

✓ ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمان بن محمد (732- 808ه)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش،ج2، دار البلغي، حلبوني، مكتبة الهداية، دمشق ، 2004.

✓ بدران عبد المنعم أحمد، التحصيل اللغوي وطرق تنميته، 2008، ص:11 و19.
✓ برراون دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة: عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994.
✓ بلعيد صالح، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2002.
✓ تشومسكي نعوم، اللسانيات التوليدية: من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة وتقديم:محمد الرحالي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2013.
✓ تشومسكي نعوم، اللغة والفكر، ترجمة إبراهيم مشروح ومصطفى خلال، جار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1993.
✓ تشومسكي نعوم، اللغة والمسؤولية، ترجمة وتمهيد وتعليق: د.حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، القاهرة، 2005.
✓ ريشل ماركل، اكتساب اللغة، ترجمة كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984.
✓ زكريا ميشال، قضايا ألسنية تطبيقية: دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.
✓ زكريا ميشال، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984.
✓ العصيلي عبد العزيز بن إبراهيم، أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، الرياض، 1423ه.
✓ عمايرة محمد أحمد، بحوث في اللغة والتربية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2001.
✓ كريدية هيام، أضواء على الألسنية، بيروت، لبنان، 2008.
✓ ليونز جون، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: د.حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.
✓ المتوكل أحمد، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، 1989.
✓ المتوكل أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003.
✓ يونس علي محمد محمد، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007.

✓Chomsky Noam. Aspects of the theory of syntax. M.I.T Press. Cambridge, Massachusetts,1965.

✓Chomsky Noam. Le langage et la pensée, traduit par Jean Calvet, Payot, France,1969.

✓Marie-Louise Moreau et Marc Richelle. L'acquisition du langage, Mardaga, cinquième édition, 1997.

✓Skinner, B.F. Verbal Behavior, Foundation Reprint Series, Cambridge, Massachusetts,1957.

الخطاب بين الدلالة والخلفية الفكرية والمذهبية

Discourse between significance and the intellectual and doctrinal background

د. العبادي عبد الحق. جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر.
البريد الالكتروني: *labadiabdelhak1981@gmail.com*

الملخص:

يشكل الفهم بمحتوى النظام اللغوي والبنائي للأفكار النقطة الجوهرية لإدراك القصد اللغوي المطلوب منها على سبيل اليقين التام، وليس الاحتمال الظني، أو التقريبي لها، فالفكر اللغوي الإنساني المنظم والمبني على قواعد معرفية، وبحيثيات محددة له تعطيه صورة تشخيصية محددة الملامح والخطوط، وينتظر من مكونات هذا الفكر اللغوي أن يكون متسقا بعضه مع بعض على أساسية "وحدوية الفكر"، وتكامل منهجيته الممهدة لأن يكون متجها صوب غائية معينة يستهدفها، ويسعى لأجل إيجاد هذه الغائية، وبالصورة التي يبنيها نظريا، ويحدد لها الوسائل الكفيلة بالتحقيق، والتحقق من صوابيتها، هذا في مجال الفكر اللغوي الإنساني الذي يستند في تكوينه على رؤى، وحاجات، ونظم وضعية بعيدة تمام البعد عن الكمالية، ولذلك نرى أن التاريخ اللغوي يكشف عن توالي النظريات الفكرية، والدينية، والعقدية، والأفكار المجردة التي تتداعى، ويقوم بعضها على أنقاض البعض؛ إذ يشكل الأثر الديني، والعقدي، والفكري أثرا على دلالة الخطاب، ولعل هذا الأثر يجعل من هذه الخطابات قضية لغوية جديرة بالدراسة، لاسيما وأن الظروف اللغوية الراهنة تقضي بالبحث عما يثري اللغة، ويبعث على التمكن منها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الخطاب، المتلقي، الممارسة القرائية، القصدية.

***Summary*:**

Understanding the content of the linguistic and structural system of ideas constitutes the core point for realizing the linguistic intent required of it with complete certainty, and not the presumptive or approximate possibility of it. The linguist reveals the succession of intellectual, religious, and dogmatic theories, and abstract ideas that fall apart, some of which are based on the ruins of others; The religious, doctrinal, and intellectual impact constitutes an impact on the significance of the discourse, and perhaps this effect makes these discourses a linguistic issue worthy of study, especially since the current linguistic conditions require the search for what enriches the language and encourages mastery of it.

***Keywords*:** *Language, discourse, recipient, reading practice, intentionality.*

مقدمة:

إن الحديث عن ماهية اللغة، يقودنا إلى تلك العلاقة بين الإنسان والظاهرة اللغوية فحقيقة الوجود الإنساني ترتكز بالأساس على الحدث اللساني، فالتركيبة الطبيعية لهذا المخلوق تقتضي البعد اللغوي المنحصر في جوهر وجوده بالكلام، فالإنسان تفاعل مع الظاهرة اللغوية منذ النشوء البشري، ذلك من عدة جوانب كونه ناطقا بها، ودارسا لها في نفس الوقت، فاللغة كيان في الإنسان موجود في ذاته، مجسد في الحدث الفعلي للكلام.

ولعل العرب كغيرهم من الأمم كانت لهم لغة، والتي بدورها تملك مرجعية قائمة على كتاب سماوي ناطق بهذا اللسان، فالتراث العربي في جميع مجالاته، وأشكاله منطوقا، ومكتوبا، ومخطوطا حفل بنتاج كبير، ودراسات علمية دقيقة لهذه اللغة الخاصة بالعرب.

فاللغوي العربي فكر باللغة وفي اللغة في نفس الوقت؛ بل وبمنهج، ومنهجية واضحتي المعالم، والأبعاد؛ هذه الدراسة المنهجية للغة تقتضي الوجود اللساني، واللغوي في الذاكرة العربية.

يعرف "ابن جني" اللغة على أنها: « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (ابن جني، 1952، ج 1، ص 33)، وأما "ابن خلدون" فيعتبر اللغة: «ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكة، أو نقصانها» (ابن خلدون، 2001، ج 1، ص 764)، وهذا هو الهدف الأساسي للغة، أي: التواصل الذي يعطي اجتماعية خالصة للغة، ومغزى التواصل هو تحقيق الحاجات، هذا يعني أن اللغة ظاهرة اجتماعية.

إلا أن هذه الأصوات وكما عبر عنها "ابن جني" قد تكون واحدة في اللهجات العربية القديمة، ولكن ما ترمز إليه قد يكون مختلفا، وهذا من غير شك من مظاهر اختلاف اللهجات لذا عدت المعرفة اللغوية من أهم الأدوات التي أستعين بها في فهم الخطابات اللغوية، فالبدايات الأولى للغة العربية بتوحيد القرآن للهجات التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية، وما حولها من قبائل، ووحدها في "لغة قريش"، فنتج عن ذلك انصهار تلك اللهجات في لغة واحدة التي حملها النص القرآني، أي أن البداية العلمية كانت دينية.

فالأصل العام للغة وضع لفظ معين لمعنى معين، لكن تصادفنا في بعض الأحيان وفي اللغة العربية بالخصوص تقابل لفظين فأكثر لمعنى واحد، وأن يأتي معنى فأكثر للفظ الواحد؛ يقول "سيبويه": «واعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظيين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين» (سيبويه: 1988، ج 1، ص 24)، و"ابن

جني" في "الخصائص" قد أفرد أبواب عدة حول هذا الموضوع "[1]"، أما "قطرب" فيعلق على كلام "سيبويه" فيقول: «الكلام في ألفاظه بلغة العرب على ثلاثة أوجه، فوجه منها وهو الأعم الأكثر اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى واحد، والوجه الثالث أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا» (قطرب، 1984، ص 69، 70)، ويقول "الغزالي": «إن الألفاظ المتعددة بالإضافة إلى المسميات المتعددة على أربعة منازل، ولنخترع لها أربعة ألفاظ وهي: المترادفة، والمتباينة، والمتواطئة، والمشتركة» (الغزالي، 1993، ج 1، ص 95)؛ ولعل هذه ميزة في العربية.

هذه الميزة التي تربط الألفاظ بمعانيها تشترك مع كون اللغة العربية في طبيعتها لغة دينية؛ فهذه اللغة التي وحدها القرآن أقرها جمع من اللغويين، والفلاسفة، وأهل الكلام بإعطائها شكلا ثابتا مستقرا أكسبها قوة صلدة، وثابتة غدا من الصعب تغييرها، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الخطاب، أو النص الديني كان - ولا زال – المحرك الأساس لدواليب الحضارة عند المسلمين، فقد كانت الحضارة العربية الإسلامية حضارة نصية بالدرجة الأولى، تعنى بالبيان، وكيفية تبليغه، بل تأثرت، وأثرت كثيرا من خلال الخطاب الديني في الآخرين، فتتغير حالهم من وضعية إلى أخرى.

إن الضرورة البشرية من مذهبية، وجنس، ودين، وعقائد، وما شابهها من ضرورات الحياة تؤثر على الإنسان، وعلى اللغة على حد سواء، وعلى الإنسان أن يتفاعل معها، مما يجعل سلوكه اللغوي يخدم هذه الحتميات على حساب بعضها البعض، ومنها ضرورة المذهبية، والاختلاف، «فسلمة الاختلاف تجر بشكل سهل إلى الشعور بالتفوق، بينما تجر مسلمة المساواة إلى الشعور باللامبالاة، ومن الصعب دائما مقاومة هذه الحركة المزدوجة» (تودوروف، 1992، ص 70)، فكثر الاختلاف على سبيل المثال في الفقه الإسلامي بين المجتهدين ذلك «باختلاف مداركهم، وأنظارهم خلافا لا بد من وقوعه، واتسع ذلك في الملة اتساعا عظيما» (ابن خلدون، 2001، ج 1، ص 577)؛ فالطبيعة البشرية ليست أفكارا مجردة؛ بل هي أفكار حية تعبر فيما بينها عن تشابهات، واختلافات في آن واحد.

---

[1]- منها "باب اللفظيين على المعنى الواحد"، ج 1، ص: 200 - 208، و"باب التقديرين المختلفين لمعنيين مختلفين"، ج 1، ص: 341 -347، و" باب اتفاق اللفظيين واختلاف المعنيين"، ج 2، ص: 93 - 103، و"باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"، ج 2، ص: 113 - 133، و" باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، ج 2، ص: 152 - 168، و "باب إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد"، ج 2، ص: 466 - 469، و"باب توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين"، ج 3، ص: 164 -173، وغيرها من الأبواب التي جاءت في الخصائص.

ولعل من أهم ما تعرضه الحياة حقيقة المعاش والممات، التي يتعرض لها الإنسان، وكذا اللغة؛ «فاللغة كائن حي يولد ويموت، تبعا لمقتضيات الحضارة، وحاجات العصر، وهي ذات مزاج، وطبيعة عضوية، ويخطئ كثيرا من يأخذها غير هذا المأخذ» (شوقي حمادة، 2000، ص 23)، فمن اللغويين الذين درسوا اللغة تأثروا بجانب العقائد المنتشرة في عصورهم التي عاشوا فيها، والفكر الذي راج في أزمنتهم كالفكر السني"[1]"، والمعتزلي"[2]"، والشيعي"[3]"، والصوفي"[4]"، والأشعري"[5]"، والخارجي"[6]"، وغيرها من التيارات الفكرية والمذهبية.

فمن خلال هذا الكلام هل للخلفية الفكرية أو الدينية أثر على دلالة الخطاب ؟.

أولا: أثر الدراسات الغربية القديمة في الفكر اللغوي العربي القديم

شكلت الدراسات اللغوية حقلا فكريا واسعا من حقول المعرفة الإنسانية، وحظي البحث في كنه اللغة وجوهرها، والكشف عن ظواهرها، وأبعادها، واستقراء أصولها، وفروعها، وبيان وظيفتها التي تقوم بها منذ القدم باهتمام بارز من قبل الدارسين، والباحثين عبر مختلف العصور، وفي مختلف الأمصار، بدءا بالهنود، واليونان، والرومان، ثم العرب.

فإبراز معالم الفكر اللغوي العربي من الصعوبة بما كان؛ بحيث لا يمكن فهمه حق الفهم إلا بالرجوع إلى هذه الدراسات السابقة، التي دمجها علماء اليونان ضمن الفلسفة؛ وبخاصة

---

[1] - من اللغويين الذين تأثروا بهذا الفكر أبو عمر بن العلاء "ت 154 هج"، وحماد بن سلمة "ت 164 هج"، والخليل بن أحمد الفراهيدي "ت 175 هج"، ويونس بن حبيب "ت 187 هج"، والنضر بن شميل "ت 203 هج"، والأصمعي "ت 213 هج"، وأبو عبيد بن القاسم بن سلام "ت 224 هج"، وابن الأعرابي "ت 232 هج"، وابن قتيبة "ت 276 هج"، وإبراهيم الحربي "ت 285 هج"، وثعلب "ت 291 هج" وغيرهم.

[2] - من هؤلاء اللغويين قطرب "ت 206 هج"، والأخفش الأوسط "ت 215 هج"، والجاحظ "ت 255 هج"، وأبو علي الفارسي "ت 377 هج"، وتلميذه أبو الفتح بن جني "ت 392 هج"، والرماني "ت 384 هج"، والزمخشري "ت 538 هج" وغيرهم من اللغويين.

[3] - ومنهم يحي بن يعمر العدواني "ت 169 هج"، ومعاذ بن مسلم الهراء "ت 187 هج"، وابن السكيت "ت 246 هج"، والصاحب بن عباد "ت 385 هج"، والأخوين الشريف الرضي "ت 406 هج"، والشريف المرتضى "ت 436 هج" وغيرهم.

[4] - من أبرز علماء اللغة من الصوفية أبو العباس الدينوري "ت 340 هج"، وأبو القاسم القشيري "ت 465 هج"، ومحي الدين بن عربي "ت 638 هج"، وأبو حيان الأندلسي "ت 745 هج"، وغيرهم.

[5] - من هؤلاء اللغويين الفراء "ت 207 هج"، والمبرد "ت 285 هج"، والزجاج "ت 311 هج"، والزجاجي "ت 340 هج"، وابن خالويه "ت 370 هج"، والخطابي "ت 388 هج"، والهروي "ت 401 هج"، وغيرهم.

[6] - قل اللغويين من هذا التيار وكثر عندهم الشعراء، ولعل من لغويهم عبد العزيز القارئ المدني "ت 130 هج"، وأبو عبيدة معمر بن المثنى "ت 210 هج ".

«"فلسفة أرسطو" واضع التعاليم المنطقية، ومخرجها من القوة إلى الفعل، وحكمه في ذلك كحكم واضع النحو، والعروض، فنسب المنطق إلى المعاني التي في الذهن، نسبة النحو إلى الكلام، والعروض إلى الشعر، فقوم المعاني بالمنطق» (تمام حسان، 2000، ص 46)؛ لأن «هذه الدراسات كانت جزءا لا يتجزأ من التفكير الفلسفي القديم، وسوف يرى قارئ الفلسفة اليونانية أن هذه الفلسفة مقياس للغات العالم، وهذه الدراسات اللغوية القديمة تختلط إلى حد كبير جدا بالنظريات المنطقية، والميتافيزيقية» (تمام حسان، 1974، ص 14)، ثم انتقلت الدراسات إلى العرب عن طريق الترجمة، وتناولها الفلاسفة، والمتكلمون، واللغويون العرب بالتلخيص، مازجين التلخيص بالتفسير في معظم الأحيان، وبخاصة عند "الفرابي"، و"ابن سينا"، و"متى بن يونس"، و"قدامة بن جعفر"، و"نصير الدين الطوسي" وغيرهم، فأصبحت جزءا من نسيج الثقافة العربية لا يمكن فصلها عن سائر الأجزاء، «ولعل العرب لم يترجموا عن أمة كما ترجموا عن اليونانية، إما مباشرة، أو عن طريق السريانية، ومن المعلوم أن "أرسطو" كان له نصيب الأسد في الكتب المترجمة إلى العربية، وأن منطقه أصبح شهيرا في البلاد الإسلامية في العصر العباسي» (تمام حسان، 1974، ص 16)، كيف لا وهو من أكبر الفلاسفة اليونان.

وتظهر سمات تأثير الفلسفة اليونانية بخاصة في الدراسات اللغوية العربية باعتبار المنطق منهج ملتزم في غالبية الأبواب، وهذا حظ مشترك بينها وبين سائر العلوم في ذلك العصر، ما دام المنطق الصوري الأرسطي هو الأداة الوحيدة المعروفة لضبط مسائل العلم فالحدود والتعريفات، وكذا القسمة المنطقية، جلية وواضحة في هذه الدراسات، « فكان لابد أن تنتقل عدوى التفكير "الأرسطو طاليسي" الذي يخلط بين الدراسات اللغوية، والدراسات المنطقية، والميتافيزيقية إلى اللغة العربية، ودراستها؛ وبالأخص دراسة أصل اللغة، والدراسات اللغوية» (تمام حسان، 1974، ص 17)، والأمر لا يقتصر على التزام المنطق منهجا، بل إن الدراسات اللغوية استعارت الكثير من مباحثه؛ وبخاصة في الأصوات عند "أبي نصر الفرابي"، والشعر عند "قدامة ابن جعفر"، وفي اللغة، والصوتيات عند "ابن سينا"، ويعتبر "ابن خلدون" المنطق عبارة عن مجموعة من «القوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات؛ وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس» (ابن خلدون، 2001، ج 1، ص 644)، فلم يكن أمام الدراسات اللغوية العربية غير المنطق الأرسطي "الصوري"؛ وهذا ليس عيبا ما دام المنطق الصوري الأرسطي في أصل بناءه مستمد من اللغة.

وإذا تكلمنا عن الدرس الدلالي العربي نجده «أخذ بحذافيره من كتب المنطق، وعليه أقيم علم المعاني على مبحث القضايا، وأقيم علم البيان على مبحث دلالة المفردات» (شكري عياد، 1980،

ص 04)، وهذا لا يعني أن الفكر اللغوي العربي غير أصيل، بل على العكس تماما، وإنما كان هذا التأثر أول العهد فحسب من الدراسات اللغوية، والدلالية.

إن الفكر اليوناني في ذاته «فذ أصيل، وهذه حقيقة واقعة لا ينكرها إلا جاهل مأفون» (محمد عبد الرحمان مرحبا، 1983، ص 242)، وفي الطرف الآخر تتجلى لنا أصالة الفكر اللغوي العربي في رغبة اللغويين العرب الملحة في اكتشاف كنه لغتهم، وعكوفهم على ذلك، ودأبهم على البحث، والنظر، والتفكير، وحرصهم على حفظ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فخاضوا في النحو، والصرف، والتجويد، والبلاغة، والأصوات وغيرها، فجعل منهم رجالا عظماء، وقوة ديناميكية جبارة محركة للتاريخ من خلال الدراسات اللغوية، واللسانية، والدلالية فنالت منهم اللغة العربية من الاهتمام، والرعاية، والدراسة ما لم تنله لغة أخرى على مر التاريخ آخذين بوصية الرسول "صلى الله عليه وسلم" وهو يوصي بكتاب الله، فكان حصرهم الأول في كتبهم، وكتاباتهم حول وصية الرسول "صلى الله عليه وسلم".

ثانيا: الخلفية العقدية والمذهبية في الدراسات اللغوية والبلاغية القديمة:

حظي البحث اللغوي باهتمام كبير من الباحثين، والفلاسفة، واللغويين، باعتبار اللغة مرتبطة بالأساس بالإنسان المدرك بالعقل، والناطق باللسان، المتواصل مع غيره بنظام من العلامات، والدلالات مجسدة في لغة منطوقة باللسان مفادها التعبير، والإبانة عما يختلج الإنسان من أفكار، فهي على هذا الأساس أداة للتواصل البشري، ومظهر من مظاهر الحياة الإنسانية، إن لم تكن هي الإنسانية ذاتها في معالمها الاجتماعية، والفكرية المرتبطة بالإنسان الناطق بهذه اللغة.

هذا الإنسان المدرك بالعقل الناطق باللسان، يختلج فكره مجموع من عقائد، وتصورات عقدية، ومذهبية، فمنهم من يقرر عقائده بمسلمات يقينية مادية، أو منطقية، ومنهم من يقررها من خلال ما جاءت به الرسالات السماوية، ومنه يولد الاختلاف؛ هذا الاختلاف غير مقتصر على الدراسات اللغوية العربية، بل تشترك فيه مع سائر اللغات والملل لكن «الاختلاف الذي وقع في الملة الإسلامية بنيته الأصلية مستمدة من خصوصية النص القرآني، والحدث البياني، ونعني بالخصوصية هنا ما منح النص القرآني إعجازه، وما امتاز به على سائر النصوص» (علي حرب، 1993، ص 34)، ذلك أن الخطاب القرآني خطاب متسع الدلالات، والمعاني، ومن ذلك اختلفت الطرق، والمذاهب، وتعددت الفرق، والطوائف.

فالمتأمل في الأمور اللغوية المتعلقة بالدين، ينظر إليها من منظورين، الأول متعلق بالآيات، والأحاديث المتسمة بالبقاء، والثبوت، والاستقرار، والآخر من خلال ما يدركه المرء بالعقل،

والتصور، والتخيل المتسم بالاختلاف، والتغير من مجتمع لآخر، ومن زمن إلى زمن، ومن مذهب لآخر.

فالمنظور الأول ثابت، وأما الآخر فمتحرك، ولعلهما متكاملين؛ فالتصديق بالقلب يقابله إدراك بالعقل، زد على ذلك أن فطرة الإنسان أحيانا تدعوه إلى التساؤل لإشباع عقائده فيغدو ذا رؤية واضحة، وبصيرة نافذة.

فالاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أصولها، واشتقاقها، ومعانيها، وأساليبها، وأصواتها تعد من ميادين علم اللغة، الذي يعد بحق من العلوم الإنسانية الجليلة التي ساهمت وبشكل من الأشكال في بناء صرح الحضارة الإسلامية، من حيث الوعي المنهجي الذي قدمه علماء اللغة لفهم القرآن وسنة الرسول "صلى الله عليه وسلم".

فمن أخطر القضايا تلك العلاقة القائمة ما بين العقل والتفكير من جهة، والعقيدة الدينية من جهة أخرى، يقول "جون ستروك" "*John Sturrock*": «نحن نفضل أن نساوي اللغة بالفكر، وبدلا من أن ننظر إلى الواقع من خلالها فإننا ننظر إليها في محاولة منا لفهم كيفية اكتسابنا لها أولا ثم كيفية استعمالها» (جون ستروك، 1996، ص 22)، فلم يعد اليوم مثلا من يدافع على علم المعاني والدلالة، ويبرز الاهتمام به، فقد تخطى هذه المرحلة منذ زمن، وصار يلقى أهمية العلوم الأخرى اللغوية منها واللسانية، لكن ما نود أن نتساءل عنه هو: هل للخلفية الدينية للخطاب أثر على المعنى ؟.

إن الخطاب بناء تتخلله جملة من الأنسجة، والوحدات الدالة، والمفاهيم القائمة يقول "تودوروف" "*Tzvetan Todorov* ": «النص لا يقع على المستوى نفسه الذي تقع فيه الجملة كما أنه لا يقع موقعها من حيث المفهوم» (تودوروف، 1996، ص 117)، ولعل نص "تودوروف" هذا هو نصف الإجابة عن التساؤل الذي أبديناه؛ فالخلفية الفكرية، والدينية للفرق العربية مثلا كالمعتزلة، والأشاعرة وغيرها من فرق الكلام لعبت دورا رئيسا، ومهمًّا في رحلة التطور الفكري، واللغوي الإسلامي على مر التاريخ؛ فعلم الكلام عند هذه الفرق إبداع ليس له حد، يمتاز بتنوعه، واللغة عندهم هي الحياة نفسها أثناء الفعل، وهو «نقطة تقاطع الثقافة الإسلامية عقيدة، وتشريعا، ومنطلقا» (عبد السلام مسدي، 1986، ص 36).

ثالثا: الفرق الكلامية ودراسة اللغة في العصر الحديث:

ظهر في العصر المعاصر ما يسمى بالتحديث، أو التجديد في اللغة، ومناهجها، وطوعت اللغة لقابليتها على التطور، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، منطلقين في ذلك من مبادئ النهضة، والتقدم، والتحديث، فبعد تلك الثورة على «الكنيسة بتأليهها للعقل، ثم انتهى عصر التنوير بضربة قاسمة للعقل والإنسان، إذ جاءت الفلسفة الوضعية تعلن أن المادة هي الإله، ثم جاء "تشارلز داروين" " *Charles*

Darwin" بحيوانية الإنسان، ثم تمت الضربة القاضية على يد "فرويد" "*Sigmund Freud*" من جانب، و"كارل ماركس" "*Karl Marx*" من الجانب الآخر الأول برد دوافع الإنسان كلها إلى الميول الجنسية، والآخر برد تطورات التاريخ كلها إلى الاقتصاد» (نصر حامد أبو زيد، 1995، ص 53، 54)، ظهر في العالم العربي ثورة علمية في مجال الدراسات اللغوية.

هذه الثورة كانت امتدادا لما جاء به الأسلاف في مجال البحوث اللغوية؛ وبخاصة الفرق الكلامية كالمعتزلة، والأشاعرة، والمتصوفة وغيرها، وممن أخذ على عاتقه مناصرة المعتزلة، ومؤازرتهم في عقلانيتهم "محمد عمارة"، و"عبد الستار الراوي"؛ إذ سعى "محمد عمارة" إلى إحياء تراث المعتزلة الفكري، وبعث مذهبهم من جديد، وإلى إظهاره بمظهر الإبداع الحضاري، ومدحهم في كتبه "[1]"، وأطرى على منهجهم العقلاني، ورآه أفضل المناهج، وأقومها لتمثيل اللغة، ورأى الفكر الاعتزالي الأكثر أصالة، وتعبيرا عن قضايا المجتمع الذي عاشوا فيه، وأن لهم الفضل في تأسيس علم الكلام الذي استخدموه في الدفاع عن اللغة، والإسلام، ولهذا كله نجده يسميهم : «فرسان العقلانية العربية الإسلامية» (محمد عمارة، 1982، ص 86)، وقد امتدح "محمد عمارة" المعتزلة على أنهم الممثلون للتيار الثوري التقدمي المناصر للعقل، والحرية.

أما "عبد الستار الراوي" فأثنى هو الآخر على فكر المعتزلة، ومجدهم، ومدح منهجهم، بل وانتقد في المقابل التيارات اللغوية، والفكرية الأخرى؛ إذ نجده يقول: «تنبسط الاعتزالية حركة ثقافية تتخطى المذهبيات المغلقة، تنتعش في جدليتها الكلامية "الحرية" وتنهض من قلب المجتمع العربي الإسلامي قوانين فكرها الأصولي، وتقيم الأدلة المنطقية على عقم الاتجاهات السلفية، ومواقفها الوثوقية» (عبد الستار الراوي، 1986، ص 05)، ويقول أيضا: « لم تكن الأمة العربية قد عرفت من قبل الصعود المفعم بالنضارة مثلما عرفته في فكر المعتزلة الذي كان يواصل جهده الموسوعي في تغذية شروط النهضة، واستمرار ارتقائها» (عبد الستار الراوي، 1986، ص 07)، وهذا بالطبع بتحكيم سلطان العقل على غيره من الآليات التحليلية الأخرى.

إن هذين النموذجين قد دافعا عن أفكار المعتزلة منطلقين في اعتمادها «على العقل، وتوثيقها بحكمه في التحسين، والتقبيح، دونما حاجة إلى النصوص، والمأثورات، بل وأوجبوا عرض هذه النصوص، والمأثورات على العقل، فهو الحكم الذي يميز صحيحها من منحولها، ولا عبرة بالرواة، ورجالات السند مهما كانت هالات القداسة التي أحاطها بهم المحدثون، إنما العبرة بحكم

[1] - ينظر: محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي، بيروت، لبنان، 1983 م ص: 129، 130، 137، وتحديات لها تاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1982 م، ص: 86، 96-97، ونظرة جديدة إلى التراث، دار بن قتيبة، ط 02، 1988 م، ص: 116 ،147.

العقل في هذا المقام» (محمد عمارة، 1989، 181)، غير أننا نجد في العصر الحديث من انتهج نهج المعتزلة، ولكن بأسلوب معاصر، ولعل من أهم هؤلاء "نصر حامد أبو زيد"، و"علي حرب".

إذ يعتبر "نصر حامد أبو زيد" التأويل جهدا عقليا ذاتيا، يخضع النص إلى تصورات المؤول، ومفاهيمه، وأفكاره، ما يولد لديه تصورا وجوديا للنص، «فهو الوجود المتجلي من خلال اللغة، وهو يتكون من ظاهر، وباطن، وحد، ومطلع، وهي مراتب، ومستويات تتماثل مع مراتب الوجود، ومستوياته، ولا ينفصل تأويل الوجود عن تأويل النص، والنفاذ إلى مستوياته المتعددة التي لا يفهمها إلا الإنسان الكامل الذي تحقق بباطن الوجود، وتجاوز ظاهره» (نصر حامد أبو زيد، 1983، ص 06)، واعتبر "نصر حامد أبو زيد" أن تطابق نمط الخطاب من حيث المنطلقات الفكرية، يؤدي إلى تطابق الآليات التي يعتمد عليها في طرح المفاهيم، وفي إقناع الآخرين، واكتساب الأنصار، والأعوان، وحدد "نصر حامد أبو زيد" بعض الآليات لتحليل الخطاب المكتوب، ما اعتبره أهم الآليات التي بها يكشف عن المستوى الأيديولوجي لهذا الخطاب؛ ويمكن إجمال هذه الآليات فيما يلي (نصر حامد أبو زيد، 1994، ص 67، 68):

1. التوحيد بين الفكر والدين، وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع.
2. تفسير الظواهر كلها بردها جميعا إلى مبدأ، أو علة، تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية، والطبيعية.
3. الاعتماد على سلطة السلف، أو التراث، وذلك بتحويل النصوص التراثية، وهي نصوص ثانوية إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل في كثير من الأحوال عن النصوص الأصلية.
4. اليقين الذهني، والحسم الفكري القطعي، ورفض أي خلاف فكري إلا إذا كان في الفروع، والتفاصيل دون الأسس، والأصول.
5. إهدار البعد التاريخي، وتجاهله، ويتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل يستوي في ذلك العصر الذهبي للخلافة الرشيدة، وعصر الخلافة التركية العثمانية.

من خلال هذه الآليات نجد "نصر حامد أبو زيد" يحاول أن يقف موقفا وسطا يجمع من خلاله ما بين الاعتدال، والتطرف، وما بين اللغويين، والفقهاء، والوعاظ، ولعل هذه الآليات ليست ثابتة فهي تتعدد، وتتنوع على حسب تعدد وسائل طرح هذا الخطاب، وأدواته.

أما "أحمد كمال أبو المجد" فانطلق من القاعدة التي تقول: «إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» (أحمد كمال أبو المجد، 1988، ص 37)، التي قررها في فهم اللغة، والعمل بها في ذلك، وأيده في ذلك "فهمي هويدي" الذي دعا هو الآخر إلى تحكيم العقل في التعامل مع النصوص معتبرا ذلك بأنه «ثابت عند أغلب اللغويين القدماء، ووصف احترام النصوص، ومنها

الشرعية أيضا بأنها عبادة للنص» (فهمي هويدي، 1972، ص 35)، ورمى القائمين بذلك بالجمود، والوثنية.

أما عن الأشاعرة فلعل أكثر من مال إلى رأيهم في العصر المعاصر "محمد سعيد رمضان البوطي"، و"يوسف الدجوي"، و"محمد أبو زهرة"، و"ابن خليفة عليوي"، وقد عول هؤلاء كأسلافهم من الأشاعرة على تقديم العقل على النقل، فالقاعدة عندهم أن الدلائل النقلية ظنية ولا تفيد اليقين، وأن الدلائل العقلية قطعية، والظن يعارض في هذا اليقين.

"فالبوطي" انتقد منهج المعتزلة، والظاهرية، وكذا السلفية، ودافع عن منهج الأشاعرة اللغوي، والتفسيري، وقال إنه يجب على الباحث التأكد من صحة النصوص الشرعية المنقولة عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" قرآنا كانت، أو سنة، كما يجب عليه عرض حصيلة معاني اللغوية للنصوص الصحيحة التي وقف عليها، والتأكد منها على موازين المنطق، والعقل (البوطي، 1990، ص 63)، ذلك لتمحيصها، ومعرفة موقف العقل منها.

أما "محمد أبو زهرة" فيرى ضرورة إتباع منهج الأشاعرة في تأويل نصوص الصفات؛ ويراد بالصفات هنا الصفات السبع التي أثبتتها الأشاعرة وهي: "العلم، والقدرة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر"، وذلك بصرفها عن ظاهرها، فيرى مثلا تأويل اليد بالقوة أو النعمة، والوجه بالذات ونزول الله إلى سماء الدنيا بقرب حسابه، أو قربه من العباد (محمد أبو زهرة، 1996، ص 325)، وهذا ما يراه الأشاعرة.

وبالنسبة "لابن خليفة عليوي" فاجتهد هو الآخر للدفاع عن الأشاعرة، ومذهبهم؛ وبخاصة في المسائل اللغوية المتعلقة بالاعتقاد، ولاسيما في مسائل الصفات، فأكد مرار أن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، وأنهم الممثلون للفرقة الناجية المذكورة في حديث افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وأن منهجهم هو المنهج الحق الذي دعا إليه الكتاب والسنة، وسار عليه الصحابة، والتابعون (ابن خليفة عليوي، 1977، ص 111/ 114).

رابعا: المتلقي والممارسة القرائية:

إن اشتغال القراءة على فعل التشفير لا يتم إلا من خلال القراءة خارج جاهز الوعي قراءة تستدعي مفهومات تراثية، وثقافية، وفكرية لغوية، وهي تسعى إلى إسقاطها على الخطاب الحاضر، ناظرة إليه من خلال مكوناتها الأصلية الراسخة في الذات القارئة في تناظر شديد الانغلاق، ضمن دائرة زخمها اللغوي والتراثي المعرفي، وهي قراءة ماضي التجربة من خلال الحاضر «بما يشبه النشاط المشترك بين القارئ، والنص يؤثر أحدهما في الآخر» (روبرت هولب، 1994، ص 254)، وكذلك النص بحسب نظرية التلقي التي تعول على المتلقي النموذجي لإعادة إنتاج الخطاب من خلال قراءته

النموذجية، فالقراءة الواعية للمتلقي النموذجي هي آلية تفكيك الشفرة اللغوية المتمثلة في تداخل شبكة العلامات، والرموز، والإشارات اللغوية ضمن سياق محدد بما يكفل الوقوف على بنية الخطاب الأساسية، فجمالية التلقي ليست نظرية مستقلة قائمة على بديهيات تسمح لها بأن تحل بمفردها المشكلات التي تواجهها، وإنما هي مشروع منهجي جزئي يحتمل أن يقترن بمشاريع أخرى، وأن تكتمل حصائله بوساطة هذه المشاريع.

إن اللغة مجموعة من العناصر اللغوية التي يعتمدها المتكلم، أو الكاتب في صياغته نصوصه بينما في مجال الخطاب يعتمد موروثه اللغوي المكتسب أداة لإنجاز رسالة خاصة وفق ملابسات، وظروف معينة، يرى "أمبرتو إيكو" "*Umberto Eco*" «أن النص آلة كسولة تتطلب من القارئ عملا تعاونيا حثيثا لملء الفضاءات التي لم يصرح بها، أو التي صرح من قبل أنها بقيت فارغة» (*Umberto Eco, 1985, p 29*)، فالمجتمع ينتج نصوصا خطابية، وعلى اللغوي أن يكتفي بعرض جملة من المفاهيم، والحدود الكفيلة بإيضاح خصائص أسلوبية على نحو تحديده مواقع النعوت ذلك أن «اللغة هي منظومة من الرموز المنطوقة في الأصل، يتجلى فيها قدرة الإنسان على صنع الكلمات، وصياغة الرموز التي تمثل ظواهر عالمه الداخلي، والخارجي، وبهذه الكلمات يتمكن الإنسان من التعبير عن أفكاره، ومفاهيمه، وتصوراته» (حسام الخطيب، 1984، ص 15)، يضاف إلى ذلك أن الخطاب التأويلي لا يزال حقلا معرفيا لا يمكن حصره على وجه من الوجوه، كما أنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نضع النص الأدبي الشعري، والنصوص العلمية، والدينية على قدر من المساواة في المعالجة والمعاملة؛ ذلك أن الخطاب الشعري مثلا ليس مدونة لأحكام سماوية شرعية مقدسة خلافا للخطاب الديني الشرعي الذي يعد حجة، فالخطاب الشعري متصور على أنه بنية تقتضي أن ينمو فيها، وجمالية التلقي تحدد لنفسها غاية الكشف عن الكيفية التي يتم بها تشكل المعنى.

ففي جمالية التلقي دعوة إلى تأويل جديد للخطاب اللغوي يتميز بسمات التفرد، والإبداع الموجودة فيه، ذلك باستنطاق العمق الفكري في داخله، ووصف صيرورة تشكله الخارجي، ويرقى إلى تحديد طبيعة وقعه، وشدة أثره في المتلقي، وردود فعله، فهي إذن نقد للخطاب بنقد تلقيه، فمستوى الفهم يقوم على قراءة واعية متأنية تلتمس معاني التراكيب، والألفاظ، والعبارات، والعلاقات النحوية، والفنية، وإدارة الحركة الجزئية في الخطاب، والحركة الكلية التي توجد جوانبه بوساطة التحليل، والتركيب.

أما مستوى التذوق فهو تلك القراءة المتتالية المتأنية، والتي تحلل البنى السطحية والعميقة الأصلية والفرعية، ورصد المعاني الإنمائية الدقيقة لتعزيز الفكرة الأساسية، وتتبع المقويات

الدلالية، والمعجمية، والمجازية، والفنية الخاصة، وتحيط بامتداد الخطاب، وتبرز عمقه، وتكتشف أبعاد التفكير، والتعبير والتصويرية، وترابط أجزائه بالبيئة اللغوية، والاجتماعية، والفكرية، والبنية الفنية، وبذلك تمثل البنى الداخلية للخطاب، والأفكار، والانفعالات، والآثار النفسية الجمالية، فينفعل بما يوحي به من عواطف وصور الجمال.

فالعمل القرائي هو عملية نفسية حركية تختص بإعادة الأثر اللغوي، والأدبي، أو الخطاب إلى مدركات أولية عبر إعادة تفكيك الإشارات اللغوية، وموازنة العلاقة بين مجموعة الدوال مع المدلولات في الجملة الواحدة، ومن ثم في الخطاب كله، «فالكتابة وليدة الرسم، وهذه الصور تؤدي أحيانا دور الرسائل، والمفكرات على جانب استعمالات أخرى لها» (تمام حسان، 2000، ص 126)، فمن خلال عملية القراءة والتلقي تبرز لنا عملية التواصل اللغوي ما بين باعث الخطاب، والمتلقي «فعملية التوصيل اللغوي تقوم على مخاطب هو مرسل يرسل رسالة إلى المخاطب المستقبل للرسالة، وتستخدم الرسالة شفرة هي عادة ما يعرفها كل من المخاطب والمستقبل، وللرسالة سياق، أو مشار إليه كما أنها تنتقل عبر اتصال، أو وسيط كالكلام الحي، أو التليفون، أو الكتابة، ويمكن لنا أن نحذف عنصر الاتصال عند مناقشة الأدب، لأن هذا العنصر ليست له أهمية خاصة عند منظري الأدب، فهو يحدث عادة بواسطة الكلمة المطبوعة.

وهنا نرى أن القراءة فعل تأويلي؛ لأنها قادرة على إضاءة الخطاب، وعلى نحو يتيح للمتلقي اكتشاف البنية الداخلية للرسالة اللغوية؛ فالقراءة التي تستهدف التأويل لابد لها من طرح الأسئلة قصد الوصول إلى إجابات ممكنة «فطبيعة الأسئلة تحدد للقراءة آلياتها» (نصر حامد أبو زيد، 1996، ص 15)، فجمالية التلقي إذن؛ دعوة إلى تأويل جديد للخطاب اللغوي يسعى للكشف عن سمات التفرد، وإبداع في الخطاب، وذلك ليس باستنطاق العمق الفكري في حد ذاته، أو وصف صيرورة تشكله الخارجي كما هي في ذاتها، وإنما بتحديد طبيعة وقعه، وشدة أثره أثناء القراءة؛ فالقراءة آلية لتفكيك الشفرة اللغوية المتمثلة في تداخل شبكة العلامات، والإشارات اللغوية ضمن سياق محدد تعد الجملة وحدته الأولى، وبما يكفل للمتلقي الوقوف على بنية الخطاب الأساسية السطحية، والعميقة فالقارئ، أو المتلقي يشارك في كتابة الخطاب.

خامسا: القصدية وتحديد دلالة الخطاب:

يعد القصد اللغوي من القرائن المهمة في ذات الفائدة الكبرى في تحديد كنه المعنى، ذلك أن «الكلمات ليس لها معان؛ وإنما لها استعمالات، وإنما هذه الاستعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك» (كريم زكي حسام الدين، 1985، ص 384)، يقول "ابن خلدون": «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل

لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم» (ابن خلدون، 2001، ج 1، ص 753)، ولقد كان "علي" "رضي الله عنه" فاهما لمعاني القصد «حين رد على هتاف الخوارج "لا حكم إلا لله"، بقوله: "كلمة حق أريد بها باطل"، وكان يعني أن الناس ربما قنعوا بالمعنى الحرفي لهذا الهتاف، أي: معنى "ظاهر النص"، فصدقوا أن الخوارج أصحاب قضية تستحق أن يدافع الناس عنها، وربما غفل الناس عن المقام الحقيقي الذي ينبغي لهذه الجملة أن تفهم على ضوئه، وهو محاولة إلزام الحجة سياسيا بهتاف ديني» (تمام حسان، 1994، ص 338)، فمن خلال هذا المثال يتضح لنا أهمية القصدية في إيضاح المعنى.

إن خطاب الخوارج هذا له بنيتان الأولى سطحية دينية، والثانية عميقة سياسية، فلفهم ومعرفة كنه هتاف الخوارج كان علينا أن نرجع إلى السياق الذي قيل فيه، أو بالأحرى مناسبة هذا الخطاب فمن اقتنع بهتاف الخوارج إنما جهل سياق ومقام الخطاب، فلا يمكننا فهم هذا الخطاب إلا بالرجوع إلى سياقه، وزمنه، ومكانه، واستعماله، وصاحبه، وفي ذلك يقول الفيلسوف الإنجليزي "لودينج فتجنستين" "*Josef Ludwig Witgenstein*": «لا تبحث عن الكلمة، بل ابحث عن استعمالها» (كريم زكي حسام الدين، 1985، ص 284)، ضف إلى ذلك معرفة حيثيات الخطاب، ومعرفة القرائن الحالية للخطاب، فخطاب "الخوارج" عامة له سمات واضحة في تعامله مع العربية؛ وأغلب هذه السمات المسيطرة على الخطاب الخارجي المغالاة في فهم ظاهر ألفاظ الكتاب والسنة، ولا يلتفتون في غالب الأحيان إلى الأدلة الأخرى الواردة في المعنى نفسه.

فتجلي القصد اللغوي إنما يظهر من خلال البناء الداخلي للخطاب، وإدراك ماهيته ذو أهمية عظيمة؛ إذ يساعد على التعرف على دلالات كثيرة قد تهمل، أو تضيع، أو حتى تغيب عن متلقي الخطاب، ولفهم هذه الدلالات كان علينا كذلك أن نعي العلاقة القائمة ما بين الخطاب، واللغة، والمتلقي، هذه العلاقة «هي أشبه بعلاقة الصائغ بمادته الخام "اللغة"؛ إنه لا يصنع المادة، ولكن يعيد تشكيلها فكذلك الشاعر ليس هو الذي يبدأ المواضعة على الألفاظ، ويحدد دلالتها، ولكنه يعيد تشكيلها في علاقات جديدة لتنتج شكلا يؤثر بدوره على دلالتها، ومن ثم يمنحها فصاحتها، وبلاغتها» (نصر حامد أبو زيد، 1996، ص 243)، إن إدراك نوعية هذه العلاقة تسوقنا إلى فهم حقائق آليات النصوص، والكشف عن كنه الخواص الدلالية، والأسلوبية.

فبفهم آليات النصوص يساعدنا «على إخراج هذه الدلالات على غير مخرج العادة» (ابن رشد، 1971، ص 243)، هذه الآليات التي ينبثق منها هذا الخطاب هي هيئات نفسية اجتماعية فكرية عقدية تحتم علينا التعامل مع هذا النسيج اللغوي الخاص بمراعاة مقتضى الحال، ومستوى التغير

اللغوي عبر العصور، وكذا أولية قصدية اللغة لفهم قصد باعث الخطاب، وبما أن «المتلقي كان حجر الزاوية في كل ما يصدر عن الفكر النقدي العربي من آراء» (محمد المبارك، 1999، 209)، قد يعدل أحيانا إلى البحث عن تأويل للمدونة الخطابية.

وقبل البحث عن تأويل للمدونة الخطابية، يجب على متلقي الخطاب أن يولي أهمية خاصة إلى معرفة قصد باعث الخطاب، وضبط ما يرمي إليه من خلال البناء التركيبي للخطاب، المنبثق عن نفسية معينة، وسياق محدد، ذلك لما فيه من الأهمية حتى لا تتعارض القراءات، أو تتعارض مع القرائن الحالية للخطاب؛ ورأى "التهانوي" «أن أهل العربية يشترطون القصد في الدلالة» (التهاوني، 1996، ج 2، ص 291)، فممارسة القراءة، والتعمق في ثنايا الخطاب، تعطيك كل مرة معان جديدة، تتكشف لك هذه المعاني بالكشف عن الخاصيات الأسلوبية، والبنائية، التي يتميز بها الخطاب من خواص تركيبية، ودلالية، وعلائقية تترابط فيها أحوال الإسناد التي تمس الكلام، وبذلك يتم التواصل، والتفاعل، والفهم.

إن هذه المعرفة لقصدية الخطاب ذات توجيه بارز لمعرفة الدلالة، وتحديد المراد من وراء الخطاب يقول "أحمد حسن الزيات": «خصوصية اللفظ ودلالته التامة على المعنى المراد، ووقوعه الموفق في الموقع المناسب، وآلية مطابقته لمعناه ومبناه، أنك لا تستطيع أن تبدله، ولا أن تنقله، والخصوصية في اللفظ أصل في الدقة في التعبير، والوضوح في المعنى والصدق في الدلالة؛ لأن الكلمة إذا تمكنت في موضعها الأصيل دلت على المعنى كله» (أحمد حسن الزيات، 1967، ص 96)، ذلك بإدراك الخصائص التمييزية من بناء تركيبي، وإفرادي، وأسلوبي، ومعرفة القصدية من الخطاب.

فالحديث عن القصد اللغوي، ودوره في تحديد دلالة الخطاب يقودنا إلى تلك العلاقة التي تربطه بالأسلوب والصلة بينه وبين دلالته، وبين ناحيته الجمالية في التعبير، فإفهام المتلقي، وإيصال المعنى له يدعو إلى الاهتمام بالمفهوم الدلالي للخطاب، ودراسة تنوع مستويات المفردة الوحدة، ثم الانتقال بعد ذلك إلى المفهوم الدلالي للجملة، وطرق صياغتها.

فالأسلوب تركيب خاص على مستوى الجمل، هذا البناء يحمل ميزة الترابط بين التراكيب التي تتوزع داخل الخطاب، وبهذا الترابط يحدث التأثير على نفسية المتلقي الذي يعد مدار، ومقصد عملية التواصل، على أن المستوى الأسلوبي يهتم بعناصر الحلقة التواصلية كلها من مرسل، ومستقبل، ورسالة، ومرجعية خارجية، وثقافية، ودينية، ذلك من أجل الوصول إلى ذوق لغوي مميز، وكذا تحديد جمالياته في نطاق شامل.

خاتمة:

إن قضية الابعاد الدلالية للخطاب من القضايا التي أصبحت ذات سلطة في الفكر اللغوي العربي، نظرا لما عرفه من نقاش، وجدال ظل يدور في الغالب على أهمية القضية خاصة إذا تعلق الأمر بالتراث باعتباره نسقا معرفيا عاما تأسس في مرحلة تاريخية كان فيها العلماء يبدعون، ويسهمون في إنتاج المعرفة، فالتراث كل متكامل، يشكل في مجموعه خطابا منسجما يتغذى بالاختلاف الذي أثرى به العلماء تصوراتهم، وآرائهم، ولا يمكن أن ننفي التأثير الذي تركه الماضي علينا، لأننا لسنا سوى جزء منه، فهو حاضر فينا، سواء عن وعي، أو غير وعي.

إن سلطة الخطاب تجلي لنا تلك الخلفية العقدية، والمذهبية، والفكرية فاستدعاء الخطاب يعني استدعاء الخلفية الدينية، والعقدية، والفكرية في جانب من جوانب الدراسة، والبحث، والتحليل فيهما في الآن نفسه سيكون محورا للحديث عن الخطاب باعتباره "مقروءا"، من جهة و"خطابا للقراءة" من جهة أخرى، وباعتباره سلطة فاعلة في الخطابات المعاصرة.

فالخطاب بما يكتنزه من خلفيات لا يكتب بدافع ترف معرفي، أو فكري، بقدر ما يحمل هما معرفيا، وفكريا للمتلقين، ومن هنا تأتي ضرورة دراسته، لأنه يكون الدافع نحو تطوير، أو تصحيح بعض التصورات، والنظريات لدى المتلقي، كما تكون من وراء الجدال الذي تتولد عنه معرفة أصيلة، وتفوق دلالته بكثير حدود الخطاب كبناء لغوي خطابي؛ لأن هذا الخطاب عالم من الدلالات التي تزداد توالدا، واتساعا كلما ازداد المتلقي اقترابا منه، على أن كل إعادة إنتاج هي تأويل؛ ومن ثم تصير إعادة الإنتاج هذه فهما، والتأويل لا يتحقق إلا بالفهم العميق لدلالة الخطاب، فهو لا يقرأ، ولا يؤول إلا من حيث هو خطابات دينية، أو عقدية، أو فكرية تتضمن شحن لغوية دينية سامية، تتجدد بفعل انفتاحها، ولا يتم الاهتمام بهذا الخطاب، والبحث في خطاباته، وتأويله لمجرد أنه خطاب ديني مجرد.

فأهمية الخطاب عامة تكمن في السعي نحو فهمه، ووعيه؛ ويأتي ذلك من ثلاث زوايا فالأولى تكمن في كون المعرفة اللغوية، والفكرية، والدينية نفسها تستند على المعرفة، والوعي العقلي لا على التكرار، والنقل فقط، لقد كانت تعمل على فهم، وتفكيك القضايا التي كانت معروضة لذا فهي تقدم بعض الحقيقة التي تستدعي البحث، أما الثانية فإن الخطاب الديني الإسلامي يعني أنه يمثل ديننا، وماضينا، وحاضرنا؛ وبذلك فهو يشكل تجربتنا، وتصورنا الخاص في مرحلة لم تنته، وتظل قيد التشكل، والتأويل، ويضاف إلى ذلك كله أنه يشكل سلطة على الخطاب المعرفي المعاصر.

وتأتي أهمية المفهوم، من الإمكانات التي تضعها أمام المتلقي للخطاب، علما بأن الخطاب الديني التراثي على الخصوص، ليس سوى مجموع النصوص التي وصلتنا، فالتأويل يفترض في أساسه الخطاب، والخطاب عالم مجهول من العلاقات المتشابكة، يلتقي فيه الزمن بكل أبعاده؛ إذ

يتأسس في رحم الماضي، ويؤهل نفسه كإمكانية مستقبلية للتداخل مع خطابات معاصرة، فإذا نحن سلمنا بأهم الركائز، والمنطلقات التي تنبني عليها القراءة بوجه عام، فإنه ينبغي إعادة النظر في جل الأنماط القرائية التي تهيمن على الدراسات المهتمة بالخطاب اللغوي، أو البلاغي، أو حتى الديني.

مصادر ومراجع البحث:

1. أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 02، 1967 م.
2. أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 02، 1988 م.
3. البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا منهج إسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريَّة، ط 02، 1990 م.
4. تزيفتان تودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريَّة، 1996 م.
5. تزيفتان تودوروف، مسألة الآخر، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، مصر، 1992 م.
6. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1974 م.
7. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994 م.
8. الأصول، دار الكتب، القاهرة، مصر، 2000 م.
9. اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م.
10. التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج بمراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1996 م.
11. ابن جني، الخصائص، تح، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1952م.
12. جون ستروك، البنيوية وما بعدها " من ليفي شترواس إلى ديريدا"، ترجمة جابر عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996 م.
13. أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح، حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، 1993 م.
14. حسام الخطيب، "لغة الثقافة ولغة الإعلام"، مجلة الآداب، بيروت، لبنان، كانون الثاني، أذار، العدد 01 – 03، 1984 م.
15. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون " المقدمة "، تح سهيل زكار، وخليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001 م.
16. ابن خليفة عليوي، هذه عقيدة الخلف والسلف، زيد بن ثابت، دمشق، سوريَّة، 1977 م.
17. ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تح، محمد سليم سالم، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، 1971 م.

18.روبرت هولب، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، مط، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، 1994 م.
19.سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 03، 1988 م.
20.شكري عياد، "المؤشرات الفلسفية والكلامية في النقد العربي والبلاغة العربية"، مجلة الأقلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، العدد، 11، فبراير، 1980 م.
21.شوقي حمادة، معجم غرائب اللغة، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000 م.
22.عبد الستار الراوي، فلسفة العقل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 02، 1986م.
23.عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، الجمهورية التونسية، وطرابلس، ليبيا، ط 02، 1986 م.
24.علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993 م.
25.فهمي هويدي، "وثنيون هم عبدة النصوص"، مجلة العربي، العدد: 235، رجب 1398 هج، جوان 1978م.
26.قطرب، كتاب الأضداد، تح، حنا حداد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1984 م.
27.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
28.محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996 م.
29.محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1999 م، ص: 209.
30.محمد عبد الرحمان مرحبا، أصالة الفكر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
31.محمد عمارة، تحديات لها تاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1982 م.
32.تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي، بيروت، لبنان، 1983م.
33.نظرة جديدة إلى التراث، دار بن قتيبة، ط 02، 1988 م.
34.الإسلام وفلسفة الحكم، دار الشروق، القاهرة، مصر، وبيروت، لبنان، 1989 م.
35.نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل "دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي"، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983 م.

36.نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط 02، 1994م.
37.نصر حامد أبو زيد، التفكير في زمن التكفير "ضد الجهل والزيف والخرافة"، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط 02، 1995 م.
38.نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 04، 1996 م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Umberto Eco,in Fabula ou la coopérative dans les textesnarratifs, éd. Grasset, Paris, 1985.*

آليات الكشف المنهجي عن محاسن مقصورة حازم القرطاجني الشعرية

What about rhetoric and beauty in the poem of Hazem Al-Qartajani's Al-Maqsurah?

إبراهيم نادن الحدوشي الكلية المتعددة التخصصات- جامعة القاضي عياض-أسفي-المغرب

البريد الإلكتروني:nadinebrahim@hotmail.fr

ملخص:

تتبعت في هذه الدراسة مراحل قراءة الشريف السبتي لمقصورة حازم القرطاجني مستعينا بآليات منهجية انطلقت من النظر في بنية المقصورة التي جعلته يوجه عملية الشرح في البداية نحو المقدمة البديعية التي دبج بها حازم القرطاجني مقصورته. وكانت هذه مرحلة أبانت عن قيمها البيانية والمعرفية، كما أتاحت الوقوف على دور المصطلحات البيانية في قراءة النصوص وكشف مضامينها وإدراك أسرار جمالها وبلاغتها، وقد مكن ذلك من الغوص في معارف الشريف السبتي ومؤهلاته البيانية والنقدية في تذو ق الأسلوب العربي، وتحليله وتقييمه في شرح أبيات المقصورة. ومن أجل ذلك كان الحرص على عرض الآليات المنهجية التي وظفها السبتي في قراءته النقدية لنص المقصورة، والتي هي في نهاية المطاف تنهل مواصفاتها من مكونات الثقافة العربية الإسلامية وعلومها الأدبية واللسانية مما يبرز دور هذه الثقافة في كشف مكونات النصوص التراثية وقراءة مضامينها، والاستمتاع بجمالها البياني، وفي التدليل على أسرار خلود النص الإبداعي العربي .

الكلمات المفتاحية: المقصورة -حازم القرطاجني –الشريف السبتي- قراءة أدبية - اللحظة الجمالية- الثقافة الإسلامية.

Abstract:

In this research, I have traced the stages of Sherif Sabti's reciting of Hazem Al-Qartajani's Al-Maqsurah. Using methodological mechanisms, I set out to consider the structure of Al-Maqsurah, which made him direct the explanation process at the beginning towards the introduction by which Hazem Al-Qartajni adorned his Maqsurah. This was a stage that showed its rhetoric and cognitive values, and also enabled the examination of the role of oratory terms in reading texts, revealing their contents, and realizing the secrets of their beauty and rhetoric. This has enabled diving into Sharif Al-Sabti's knowledge and his metaphorical and critical qualifications in coming into contact with the Arabic style, and analyzing as well as evaluating it through his explanation of Al-Maqsurah's verses. For this reason, I have been committed to present the methodological means employed by Al-Sabti in his critical reading of the text of Al-Maqsurah. The specifications of the latter are eventually available from the components of Islamic Arab culture, its literature and linguistics. These specificities highlight the role of this civilization in the detection of the cultural components of texts and reveal their contents, in addition to taking pleasure in the beauty of the rhetoric in demonstrating the survival of creative Arab text.

Keywords:. Arab- Islamic –culture- creative- rhetoric- beauty

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد، فإن دراسة النصوص الأدبية التراثية تمثل عمادا من أعمدة الدرس الأدبي العربي، وليس ذلك إلا لأنها بمثابة الذاكرة الحية التي تحكم تواصلنا الوجداني مع الإبداع الفكري والخيالي الذي خلده أدباء اللغة العربية التحاما وإجابة عن الأسئلة التي شغلتهم كما شغلت الجمهور الأدبي في كل زمان ومكان، وحركت لذته الجمالية التي جعلت الناقد وعالم البلاغة يجر في هذه النصوص لاستكناهها وتفسير لحظات الجمال فيها لاستخراج دلائل الجمال، وأسرار البلاغة فيها.

❖ **أهمية البحث:**

يبدو أن أهمية هذا البحث نابعة من الرغبة في قراءة أساليب النقاد العرب في التراث اللغوي العربي، وتبين مختلف الآليات المعرفية التي وظفوها في قراءة النصوص، وفي استخراج أسرارها، والتدليل على مواطن الجمال فيها، وكل ذلك من أجل التنبيه المستمر على أهمية النص الأدبي في صنع الوجدان العربي المتواصل مع تراثه الغني بالمكونات الثقافية والعلمية التي هي تاريخ اللغة العربية، بل هي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية مجسدة فيما ينتجه أبناؤها من النصوص في مختلف الحقول المعرفية والثقافية والأدبية.

❖ **إشكالية البحث:**

إن موضوع هذا البحث هو آليات الكشف المنهجي عن محاسن المقصورة في كتاب"رفع الحجب المستورة الذي شرح فيه الشريف السبتي مقصورة حازم القرطاجني، ومن ثمة كانت إشكاليته تنطلق من الكلمات المفتاحية التي يتكون منها هذا العنوان، و تفرع عنها أسئلة جزئية أخرى عملت على الإجابة عنها بعد ذلك، وهي كالتالي: ما هي المحفزات التي وجهت الشريف السبتي لتحليل هذه المقصورة؟ وبناء على ذلك ماذا يقصد الشريف السبتي بالحجب المستورة؟ وما هي المحاسن التي تشتمل عليها مقصورة حازم؟ وباعتبار الشريف السبتي ناقدا ينتمي لحركة نقدية في عصره، ماذا كان يقصد بعملية الرفع للحجب المستورة، وما هي آلياته المنهجية في ذلك العمل؟ وبالتالي ما هي المواصفات المنهجية في إماطة اللثام عن محاسن المقصورة وعناصر جمالها؟

❖ **هدف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية القراءة في دراسة النص الأدبي العربي التراثي، إذ أن هذه القراءة تطلع على كثير من الحقائق العلمية بخصوص اللحظة الجمالية وكيفية تفسيرها، واستخراج وبيان عناصرها للجمهور الأدبي، ولعل ذلك مما يعمل باستمرار على إطلاعنا على عناصر الجمال في الأسلوب العربي، ذلك الجمال الذي لا يتمثل في عنصر دون آخر بل بالانتظام الذي يصب فيه الأديب تجاربه الفكرية والخيالية

محدثا الإنبهار والسحر الحلال في نفوس المتلقين، ولولا الناقد لظلت لحظات جمال مكتومة مستعصية على الكشف والبيان.

❖ **منهج البحث:**

إن المنهج الذي سلكت في هذا البحث فرضته طبيعة الموضوع الذي جعلني أستعين بالتاريخ لإضاءة جوانب من شخصيتي الرجلين: الأديب حازم القرطاجني، و الناقد الذي شرح مقصورته الشريف السبتي الغرناطي، كما جعلتني أستعين بالوصف والتحليل حيث اعتمدت على نص الكتاب من أجل تتبع مواصفات طريقة الشريف السبتي في شرح المقصورة، وتطلب ذلك الاستعانة بالنصوص وتحليلها للتمثيل لهذه المواصفات والخطوات المنهجية، كل ذلك من أجل استنتاج القالب المنهجي في الشرح وبيان الأسرار في كتاب"رفع الحجب المستورة"، وقد تبين أن الاستقراء القائم على التتبع الدقيق والتمثيل لكل خطوة من الخطوات المنهجية التي سلكها الشريف السبتي خير وسيلة لتجريد ذلك القالب المنهجي في الكتاب.

❖ **هيكلية البحث:**

قسمت هذا البحث إلى خمس قضايا وخاتمة. حملت القضية الأولى عنوان: شرح المقصورة حلقة وصل في إدراك لحظتي جمال الشريف السبتي الناقد، وحازم القرطاجني الشاعر، حيث عملت في هذا الصدد على التعريف بمصطلح "اللحظة الجمالية"، وعن معنى حضورها في التجربة الإبداعية، والممارسة النقدية عند الرجلين. وتضمنت القضية الثانية إضاءة عن شخصيتي حازم القرطاجني والشريف السبتي حيث تبين أن هذه الخطوة تمثل عتبة قرائية لتحقيق قراءة علمية لكتاب "رفع الحجب المستورة"، وتناولت القضية الثالثة عنوان الكتاب باعتباره عتبة قرائية لعمل الشريف السبتي، بينما خصصت القضية الرابعة لدراسة مقدمة الكتاب من أجل استشراف خطة الشريف السبتي التي نهجها في شرحه لمقصورة حازم، ولاستبيان مقاصد وأهداف تأليف الكتاب. وفي القضية الخامسة تتبعت المحاور الأساسية للكتاب باعتبارها دليلا على المواصفات المنهجية لشرح المقصورة، وختمت البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج المتوصل إليها، ثم تلا ذلك فهرس المصادر والمراجع. وفي ختام هذه المقدمة أرجو أن يكون هذا البحث مما يدعو الطلبة والقراء إلى تمتين علاقتهم بالنص الأدبي العربي التراثي لأنه خزان لأسرار الجمال، ومستودع لأساليب العربية التي هي مظهر الشخصية العربية، والناطق باللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم على أشرف المرسلين.

1 – شرح المقصورة حلقة وصل في إدراك "لحظتي جمال" الشريف السبتي الناقد وحازم الكاتب:

يعد كتاب رفع الحجب -كما يبين عنوانه- شرحا لمقصورة حازم، التي أثنى الشريف السبتي عليها وعلى مؤلفها في مستهل الكتاب في قوله: "فإني لما تأملت مقصورة الإمام الأوحد أبي الحسن حازم بن محمد بن

حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني ألفيتها تجمع ضروبا من الإحسان، وتشتمل على أفانين من البيان، وتتضمن فوائد جمة من علم اللسان، وتشهد لمنشئها بما انتظمته من غرائب الأنواع، واتسمت به من عجائب الإبداع، فإنه سابق الميدان، وحائز خصل الرهان، لا جرم أنها-بما أورد من الفوائد، وقيد من الأوابد، ووصف من المعاهد، وضرب من المثل الشارد، وأومأ إليه من الوقائع والمشاهد، و انتحاه من المنازع البيانية والمقاصد-ديوان من دواوين العرب، أودعه كثيرا من تواريخها، وجمع فيه من المعارف ما يعترف لقدمه برسوخها"(السبتي 1997، ص:113-114)، الشيء الذي يفسر تلك العلاقة بين الناقد والكاتب وخطابه الأدبي، ووظائف ذلك الخطاب، وما لكل ذلك من وشائج وصلات بالقارئ في المجتمع والثقافة العربية الإسلامية في ذلك الزمن، وتداعياته في العصور الموالية، ومعنى ذلك أن النص العربي في القديم كان بدوره شبكة من العلاقات أنتجها الواقع الاجتماعي والحضاري للأمة الإسلامية من أجل تأدية وظائفه الشيء الذي يبين أن دراسة اللغة ونصوصها في تصور النقاد كانت لغرض بناء الحضارة العربية الإسلامية التي كانت تمثل كلية واحدة متناغمة العناصر مترابطة المكونات، و هذا التوضيح بقدر ما يفسر لنا وظيفة النص الأدبي في التراث اللغوي العربي، ومكوناته ومتطلبات قراءته، فهو يتيح لنا أيضا استكشاف اللحظة الجمالية، التي تملكت الشريف السبتي، لما تأمل المقصورة، مدركا قيمتها، بما يمتلكه من المعارف، والمقاييس، والمهارات ،والكفايات العلمية، إذ كانت هذه اللحظة الجمالية، التي تملكته هي الخطوة الأولى للقراءة المنهجية لنص المقصورة، وجعلته يعقلن بعد ذلك هذه اللحظة، ويفسرها، بما يتوفر عليه من حس جمالي، وأدوات في القراءة، والتحليل والتفسير ، يقول د.جمال مقابلة عن هذه اللحظة، وعن أهميتها في العمل النقدي: "اللحظة الجمالية، هي الإحساس أو الشعور، الذي يعتري المرء بقيمة العمل الفني، فهي خبرة مشتركة بين الفنان والمتلقي، وهي بذلك تقع في صميم الرسالة الفنية بينهما، أي أنها مناط عملية الإبداع، وعملية التذوق كلتيهما، ولا يمكن لتلك اللحظة –أو ذلك الشعور- أن يتحقق إلا بتجسد العمل الفني ماثلا-بوصفه وسيطا-بين المبدع والمتلقي على حد سواء، ومن ثم فاللحظة الجمالية، هي الصفة الجوهرية في عملية التذوق، وهي كذلك الأصل الذي تنبثق منه عملية التفسير، وتعود إليه"(مقابلة2007،ص:183)، هذه العملية التي سيحققها الإبحار في دواخل الكتاب الذي أعلن الشريف السبتي، في مقدمته عن المنهجية التي سينهجها في رفع الحجب الساترة لمحاسنها تحقيقا لغاية القراءة التي ترمي إلى فهم دلالات الخطاب ومضامينه من أجل الوعي بوظيفته في النسيج الثقافي للمجتمع ومتطلباته المعرفية، والذهنية وقيمه الوجدانية. يقول د.محمد الأخضر الصبيحي: "إن للقراءة مظهرين مختلفين، وأنه لا يمكن الاقتراب من تعريفها تعريفا مقبولا، ما لم نتطرق إلى كل مظهر على حدة: المظهر الأول ذو طبيعة ميكانيزمية، ويتمثل حسب المعجم الفرنسي المعاصر...في التعرف على الحروف وتركيبها لفهم العلاقة الرابطة بين المكتوب والمقول"...وأما المظهر الثاني

للقراءة...فهو المظهر الذي تنشط وتتفاعل عناصره خلف العين أي في دماغ الإنسان القارئ، هو مظهر شديد التعقيد تسهم في تشكيله عمليات عقلية كثيرة ومعقدة، وهو منظور سيكولساني ذهني، ويتجلى في مهارة القراءة التأملية المتفحصة، وهي عملية سيكولسانية ذهنية معقدة، تعتمد كمنطلق العمليات الإدراكية السيكولوجية، كما تعتمد على ميكانزمات التذكر والتعرف والإدراك، قصد التركيز على فهم دلالات الخطاب اللغوي ومضامينه. وترى سيزا قاسم أن هذا النوع من القراءة هو عملية واعية، وهي تختلف عن الإدراك العفوي العارض لمحتوى مقروء ما، وأما عن العمليات الذهنية التي تمر بها، فهي حسب هذه الباحثة، الإدراك، والتعرف، والفهم ثم التفسير، وهذا ما يجعل فعل القراءة ظاهرة مركبة، ذات مستويات عديدة، يسلمنا كل مستوى إلى المستوى الذي يليه حتى تتم عملية الفهم، لأن الهدف من القراءة، في نهاية المطاف، هو فهم المقروء"(الصبيحي،2008،ص:25-26)، ،كل ذلك يقربنا من الأسس النظرية التي كانت تتحكم في عملية اختيار نص المقصورة لقراءته ومقاربته وتقريبه للجمهور الأدبي، ويقربنا من الخطوات المنهجية والتطبيقية التي أطرت عمل الشريف السبتي النقدي، وقادته للوصول إلى إضاءة هذا النص الأدبي الذي أفرغ فيه حازم القرطاجني جهدا علميا وفنيا حقق به خلودا، لعناصر وقيم من الحضارة العربية الإسلامية، بلغة الإبداع والفن.

2 - إضاءة عن شخصيتي حازم القرطاجني المبدع والشريف السبتي الناقد عتبة قرائية لشرح المقصورة:

يبدو أن فهم نص المقصورة، يأتي أيضا من خلال إثارة قضايا، تتعلق بكاتب النص "حازم القرطاجني"، من خلال الحديث عن علاقته بالمقصورة من حيث تعبيرها عن العلاقات الحضارية في عصره،وعن مقاصده في تأليفها، وعن مدى نجاحه في تحقيق بلاغتها وجمالها، والتي انتصب الشريف السبتي ناقدا مسؤولا في عصره ليؤكد إدراكه لتلك الأسرار، وعن عزمه على تحليلها، وبيانها للقارئ، من أجل تفسير اللحظة الجمالية، التي تأخذه فيحتاج إلى من يدله على العناصر الموضوعية لهذا الجمال ولهذه المحاسن، ومن هنا كان التساؤل عن علاقة الشريف السبتي بحازم ومقصورته من جهة، وعن مكانة حازم العلمية والأدبية في عصره من جهة أخرى، والواضح أن ذلك سيعمق معرفتنا بتكافؤ الفعاليتين الإبداعية والنقدية في إدراك اللحظة الجمالية للتجربة الشعرية، والتي عبرت عنها اللغة الأولى في نص المقصورة، وكشفت عنها اللغة الثانية متجلية في كتاب "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، ولعل عرض النص التالي يقوي إدراكنا لقيمة تلك الأسئلة السابقة، يقول نصر حامد أبو زيد: "ما هي العلاقة بين المؤلف والنص؟ وهل يعد النص الأدبي مساويا حقيقيا لقصد المؤلف العقلي؟ وإذا كان ذلك صحيحا، فهل من الممكن أن يتمكن الناقد أو المفسر من النفاذ إلى العالم العقلي للمؤلف من خلال تحليل النص المبدع؟ وإذا أنكرنا التطابق بين قصد المؤلف والنص، فهل هما أمران متمايزان منفصلان تماما؟ أو أن ثمة علاقة ما؟ وما هي طبيعة هذه العلاقة؟ و كيف نقيسها؟ وبالتالي ما هو نوع العلاقة بين

النص والناقد أو المفسر؟ وما هي إمكانية الفهم الموضوعي لمعنى النص الأدبي؟ ونقصد "بالفهم الموضوعي" الفهم العلمي الذي لا يختلف عليه، أي فهم النص كما يفهمه مبدعه، أو كما يريد أن يفهم، وتتزايد المعضلة تعقيدا إذا تساءلنا عن علاقة ثلاثية (المؤلف/النص/الناقد) بالواقع الذي تتم فيه عمليتا الإبداع والتفسير، تزداد حدة التعقيد إذا كان النص ينتمي إلى زمن مغاير، وواقع مختلف لزمن التفسير وواقعه، أي إذا كان المؤلف والناقد ينتميان إلى عصرين مختلفين وواقعين متمايزين"(أبو زيد ، 1996،ص:17)، والملاحظ أن هذه المعضلات المذكورة مما لا يعثر عليه القارئ في العلاقة الثلاثية(حازم القرطاجني/المقصورة/الشريف السبتي)، غير أن ذلك البحث يفسح لنا المجال لنرى في هذه القضايا أكثر من دلالة للبحث في بعض ملامح شخصيتي الرجلين: شخصية حازم العلمية والثقافية في بلده، وفي تاريخ الأدب بالغرب الإسلامي والأدب العربي عامة، وهي ملامح تتصل بمجد أسرة رسخ قدمها بقرطاجنة، وفي مقدمة تحقيق كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء ترجمة وافية وتعريف بهذه المكانة العلمية التي حازها أبو الحسن حازم القرطاجني، يقول محمد الحبيب بن الخوجة: "وقد نشأ أبو الحسن حازم في وسط ممتاز ذي يسار، وقضى طفولته وشبابه في عيش رغد، متنقلا بين قرطاجنة ومرسية كما تدل على ذلك مقاطع كثيرة من مقصورته، ولم يكن دائما منقطعا إلى لذاذة الحياة، ومتعها موليا وجهه قبلها، بل كان إلى ذلك مقبلا إلى التعلم جادا في الدرس، وقد بدأ ككل الأطفال في عصره بحفظ القرآن، وتخرج في قراءته على شيوخ جلة من قراء بلده، ووجد من والده خير ملقن، وموجه لمعرفة العربية، وتعلم قواعدها، والإلمام بطائفة من قضايا الفقه والعلوم الحديثية، ولما يفع أقبل مثل معاصريه ابن الأبار والمخزومي على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، وكان ذلك يدعوه إلى التردد باستمرار على مدينة مرسية القريبة منه للأخذ عن أشياخها أمثال الطرسوني والعروضي، وهناك درس كثيرا من أمهات الكتب حتى فاق نظراءه، واكتملت عناصر ثقافته، فكان فقيها مالكي المذهب كوالده، نحويا بصريا كعامة علماء الأندلس، حافظا للحديث، راوية للأخبار والأدب، شاعرا، ولم تقف به همة البحث والدرس عند هذا الحد، بل كان طموحه يدفع به إلى الاستزادة من ذلك، والأخذ عن الأعلام المقيمين بجنوبي الجزيرة، ودفعه توقه الشديد للمعارف إلى الذهاب إلى غرناطة وإشبيلية، فجمع من الأسانيد والإجازات ما جمع، واتصل آخر الأمر بشيخه الجليل عمدة الحديث والعربية الذي عرف بالانتساب إليه أبي علي الشلوبين" (القرطاجني، 1986،ص:53)، كما أن مما تحتفظ به الذاكرة الأدبية عن حازم القرطاجني أيضا ما أفصح عليه الشريف السبتي في مقدمة كتابه قائلا: "سمعت الإمام أبا القاسم بن عبد الله بن الشاط (الأنصاري) حفظه الله، يقول غير ما مرة: وصل إلى بلدنا جزء من كلام أبي الحسن حازم، يحتوي على مقصورته الألفية، وجملة من قصائده، فدعاني الإعجاب بكلامه أن وقفت عليه شيخ الجماعة أبا الحكم مالك بن المرحل رحمه الله، فتأمل ذلك ثم قال: "لا أقول: إن هذا شعر،

ولكني أقول :هو ديوان علم"، وحدثني بعض الشيوخ عن الشيخ أبي عبد الله بن خميس التلمساني-رحمه الله- وهو ما هو في البلاغة والعلم بالشعر، أنه كان كثيرا ما يفتخر بلقاء أبي الحسن حازم، فيقول: "لقيت حازما وما أدراك ما حازم" يردد ذلك في أكثر أوقاته"(السبتي،1997،ص:114-115)، وقال د.علال الغازي معلقا على هذا الكلام عندما وقف على هذا الجزء من المقدمة التي تقدم إشارات مفيدة في دراسة المقصورة :"فإذا كانت المقدمة-في هذا الجزء التمهيدي منها-قد قدمت لنا هذه النقط المحددة الهادفة والدالة المشوقة، فإنها كذلك، ولإضاءة صورة المنهاج وتعميقه، تقدم لنا ثلاث إشارات هامة جدا في هذا السياق: تتعلق الإشارة الأولى برأي علماء العصر وأدبائه وشعرائه في حازم وفي مقصورته، و ينوب عنهم ثلاثة من أقطاب المغرب: ابن الشاط، وابن المرحل، وابن خميس...فهذا الإحساس النفسي بشعر رجل هذه شهرته على لسان كبار الفكر واللغة والأدب والشعر في العصر، هو الذي قاد السبتي إلى أن يركب المركب الصعب واثقا من نفسه ومن ثقافته ومنهاجه، وكذلك من ذوقه المرهف ومن أدواته النقدية التي تجمعت في بنائه المنهجي بنجاح، كيف لا و هو الذي" احتوى على جمل من الآداب رائقة، وطرائق في الإنشاء فائقة، وشعره يشبه بالنجوم لو نظمت سلكا، ويجري مع النفوس فيملكها ملكا، وحصل من علم البيان مفيده وعجيبه، ومعرفة باللغات الغريبة، وقوة نفس في استخراج المعمي، ولو أنفذ فيه الملغز مرمى، وتفنن في جميع العلوم، والمعرفة منها بالمجهول والمعلوم."(الغازي،1999،ص:319-320)' حيث يبدو أن هذه الوثائق وغيرها من الحقائق عن سيرة حازم مما يتضافر لرسم ملامح شخصيته الأدبية والعلمية، ويبين مدى انسجامها مع ما خلفه من تراث كان نص المقصورة من تجلياته الدالة على طول باعه البياني، وجعل ناقدا من عيار الشريف السبتي الغرناطي 697هـ- أو 699هـ -760 أو 761 هـ بملامح شخصيته العلمية والفكرية والنقدية يركب المركب الصعب لقراءتها. فمن هو الشريف السبتي؟ يبدو مما سبق أن المؤرخين اختلفوا في ميلاد ووفاة أبي القاسم القاضي محمد بن أحمد الشريف السبتي، لكنهم اتفقوا مع صاحب الإحاطة في أن "هذا الفاضل جملة من حمل الكلام غريب الوقار والحصافة، وبلوغ المدى، استولى على الأمم حلما وبعدا عن الريب، وتمسكا بعرى النزاهة، مع الإرسال، وانقباضا مع المداخلة، معتدل الطريقة، حسن المداراة، مالكا أزمة الهوى، شديد الشفقة...قوي النفس، ثابت الجأش...متوقد الذهن، أصيل الإدراك...رحلة الوقت في التبريز لعلوم اللسان"(ابن الخطيب،1973 ،ص:18)، ورجل هذه شخصيته وثقافته لابد أن تصلنا عنه جملة مؤلفات ،لعل أهمها ما يلي:

1- ديوان شعر سماه ديوان "جهد المقل".
2- شرح الخزرجية في العروض.
3- قيد على كتاب التسهيل.

4- تقييد على كتاب درر السمط في خبر السبط.

5- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، هذا الكتاب الذي كان أول طبعة له في مجلد واحد يضم جزأين عن مطبعة السعادة سنة 1344 هـ، وقد طبعت على نفقة التهامي مزوار باشا مراكش(السبتي 1997،ص:71-75)، وهي طبعة استدعت إعادة تحقيقها تحقيقا علميا، فتم ذلك على يد الأستاذ محمد الحجوي، وطبع بأمر من الملك الحسن الثاني رحمه الله بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية في أربعة أجزاء في سنة 1418-1997.

3- عنوان الكتاب عتبة قرائية رئيسة في عمل الشريف السبتي الناقد:

بدا مما سبق عرضه أن الشريف السبتي اختار لكتابه عنوان " رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، و كما هو معلوم فإن العنوان يعتبر من أهم عناصر النص الموازي، ومدخلا مهما في توجيه قراء النص، و" في الثقافة العربية نظر إلى العنوان على أنه العنصر الذي يحدد هوية نص من النصوص، ويميزها عن هويات أخرى، كما أنه اختزال وتجميع وإظهار لما هو مطوي وخاف من المقاصد، وهو إيحاء بشيء، ووعد به، وبما أنه كذلك فإنه يغري المتلقين، ويثيرهم للاطلاع على محتويات الرسالة، وهذه الوظائف نفسها هي التي أشارت إليها نظريات العنوان الحديثة"(بازي، 2012،ص:14)، إذ يستخلص من ذلك أن العنوان يثير في القراء غرائز البحث عن المستتر في المؤلفات حيث يكاد العنوان أن يكون البؤرة التي تجمعت فيها كل الأفكار والمعاني والأطاريح الفكرية والرسائل التي يعمل الكاتب على تبليغها في نتاجه الفكري، وتلك وظيفة العنوان قديما وحديثا التي تميز الكتب بعضها عن البعض، وهكذا وانطلاقا مما نسعى إلى تحقيقه، من وصف لعمليات الكشف عن أسرار مقصورة حازم، وتجريد الآليات المنهجية والأسس المعرفية التي وجهت الناقد في قراءتها، فإننا سننطلق من وقفة عند عنوان الكتاب "رفع الحجب المستورة"، وفيه هذا التناص مع الآية القرآنية: "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا"(الإسراء:45)، وفي اللغة: حجب الشيء يحجبه حجبا وحجابا وحجبه بمعنى ستره، وكل شئ منع شيئا فقد حجبه، وجاء في كتب التفسير أن المقصود حجابا ساترا على سنن العرب في كلامها فقد يعبرون باسم الفاعل عن اسم المفعول أو العكس، فماذا يقصد الشريف بذلك؟ جاء في رسالة الفرق بين المترسل والشاعر لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ قولة نستأنس بها في ديباجة هذا التحليل، والتي تبرز لنا أن الغموض مما يحمد في الشعر عكس الكتابة النثرية، الشيء الذي يبرز أن رفع الحجب يحيل على قوة بيانية وقدرة معرفية على تقريب مقصورة حازم، وإيضاحها للقارئ المعني بالإطلاع على خفاياها، والتلذذ بمحاسنها ،ومما جاء في هذه القولة: "كنت سألتني أدام الله عزك، عن السبب في أن أكثر المترسلين البلغاء لا يفلقون في الشعر، وأن أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في التراسل، فأجبتك بقول مجمل، ووعدتك بشرح له مفصل، و أنا فاعل بإذن الله، فأقول: "إن طريق

الإحسان في منثور الكلام، يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن أفخر الترسل هو ما وضح معناه فأعطاك غرضه في أول وهلة سماعه، وأفخر الشعر ما غمض، فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه، وغوص منك عليه، فلما صارت الإصابتان في الأمرين مترامتين عن طرفين متباينتين بعد على القرائح أن تجمعهما، فشرقت إلى هذه فرقة، وغربت إلى ذلك أخرى، ومال كل من الجميع إلى الجانب الموافق لطبعه"(الصابي ،ص:591)، ولعل هذا الغموض هو ما رآه الشريف السبتي في مقصورة حازم القرطاجني- يشار إلى أن المقصورة هي كل قصيدة يكون رويها ألفا لينة، وتنظم غالبا على بحر الرجز، وفي موضوع واحد هو المدح- التي مدح بها أبا عبد الله المستنصر صاحب إفريقية، و التي مطلعها:

لله ما قد هجت يا يوم النوى على فؤادي من تباريح الجوى

مضيفا أن هذه المقصورة تتوفر على عناصر الجمال والجودة التي هي من معايير النقد الأدبي في الاحتفاظ بالنصوص الأدبية وتخليدها للأجيال الأدبية، وأن عمله قائم على مواجهتها مواجهة نقدية من أجل إظهار الجمال الفني فيها، وبيان عناصر الخلود الإبداعي فيها، ومن هنا يتبين أن اختيار هذا العنوان في كلماته وفي التجنيس الذي أوقعه بينها جمعا بين الإيقاع والمعنى كان عملا إراديا مقصودا تتحكم فيه، وتوجهه الأطر الثقافية التي تحكم الناقد(المثقف) في الرؤية الثقافية العربية الإسلامية حيث استعان الشريف السبتي في هذا العنوان بالتناص القرآني وبالجناس لإثارة اهتمام وانتباه القارئ واستثارة مكامن اللذة والمتعة في نفسه، وبناء على ما سبق يتضح أن العنوان في هذا المصدر من مصادر النقد التطبيقي في الغرب الإسلامي يؤدي دورا كبيرا في عملية تلقيه وفهمه خاصة مع ما تتضمنه كلمة الرفع من القوة والمعرفة مما يجعل القارئ يستشعر تلك القوة المعرفية والمنهجية في فهم النص وإفهامه، وتبيين الجمال فيه وتبينه الشيء الذي يجعلنا نتساءل :إلى أي مدى عكس هذا العنوان هذه القدرة المنهجية في قراءة مقصورة حازم، ومقاربتها للجمهور الأدبي الذي من خلال ذلك العنوان يستشعر أن الشريف يصرح أنه ناقد وظيفته مواجهة النصوص الأدبية، وأنه بحكم تلك الوظيفة فإنه ينتظر تتبع عمله والحكم عليه، إذ "أن محصل العمليات التأويلية المنجزة للعنوان، من حيث هو بنية عتبة معتمدة في قراءة النصوص، هو ما يتبقى لدى المتلقين افتراضات وتصورات، وتخمينات حول ما يمكن أن يتضمنه النص، لأن القارئ في كل الأحوال لا يقترب من موضوعه القرائي فارغ الذهن، وإنما مزودا بمعارف خلفية وأنساق تصورية، تعمل لإنجاز سيناريوهات قرائية مبنية على ما يقدمه العنوان من مؤشرات دلالية، وكذا اسم المؤلف وجنس النص ،وغيرها..."(بازي،2012،ص:25)' يبدو إذن أنه من خلال السؤال السابق سيكون إبحارنا في دواخل الكتاب لوصف منهج الشريف السبتي في كشف أسرار المقصورة محاولين من خلال ذلك الغوص في الأطر الثقافية التي كانت تحكم رؤيته الثقافية والجمالية في فهم الخطاب العربي ووظيفته في المجتمع، وسيكون عرضنا لتلك المواصفات من خلال تتبع محاور الكتاب الأساسية.

4- المقدمة ودورها في الكشف عن خطة الشريف السبتي ومقاصده في شرح المقصورة:

أكيد أنه إذا تابعنا المقدمة التي وضعها الشريف السبتي لشرح نص مقصورة حازم أمكننا أن نقف على مشهد آخر من مشاهد هذه العتبات القرائية، والتي ستنقلنا إلى الخطة المنهجية التي أعلنها الشريف السبتي، والتي سيلتزم بها في رفع الحجب عن محاسن المقصورة، والتي تعهد فيها بأن عمله في ذلك الكشف متنوع المعارف والفنون، ومتضمن وصفا لطرائقها البديعة في النظم، مثيرا بذلك لذة القراءة لدى القارئ بما يخدم فكره وثقافته ووجدانه ،فقال قبل أن يلج إلى رفع الحجب "وقد رأيت أن أضع عليها كتابا أضمنه شرح غريبها، والكلام على بدائع أسلوبها، منبها على ما اخترع من أنواع الأغراض وضروبها-ثم أمد عنان القول فيما أشار إليه من أيام الأوائل وحروبها، فيكون جامعا لكثير من الفنون، محتويا على الأبكار من غرائب الكلم والعون مطلعا على أخبار الأمم الخالية والقرون، فألفته مع مزاحمة الشواغل، وأبديته كالروض مطلول الخمائل، ولم آل جهدا في أن توخيت الصواب، وأوضحت من أسرار ما شرحت كل ما يبهر الألباب، فابتدأت بالكلام على بعض من ألفاظ الخطبة التي بها صدر الناظم الكتاب، ثم لم أدع بيتا من بيوت هذه المقصورة إلا رفعت عنه الحجاب"(السبتي، 1997،ص: 115)، ومعنى ما سبق أن العمل النقدي يتضمن سلطة معرفية ومسؤولية ثقافية تؤطران فعل القراءة المنهجية للنص باعتباره نتاج تجربة شعرية لها جذورها في المجتمع، وذلك ما ركز عليه الشريف السبتي في قوله:" فألفته مع مزاحمة الشواغل، وأبديته كالروض مطلول الخمائل، ولم آل جهدا في أن توخيت الصواب، وأوضحت من أسرار ما شرحت كل ما يبهر الألباب، فابتدأت بالكلام على بعض من ألفاظ الخطبة التي بها صدر الناظم الكتاب، ثم لم أدع بيتا من بيوت هذه المقصورة إلا رفعت عنه الحجاب"(السبتي،1997،ص:115)، وقد نبهنا على مسؤولية الناقد سابقا من خلال حديثنا عن علاقة الناقد بالقارئ في التدليل على مواطن الجمال وأسرار البلاغة في النص من حيث أن اللحظة الجمالية تقع خارج النقد فتحتاج لدى القارئ إلى من يخرجها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل هذا الإخراج الذي يحتاج إلى ثقافة نقدية تتيح القراءة النقدية الجمالية للنص بما هو فعل بلاغي بامتياز، يقول د. جمال مقابلة:" إذا كان الإحساس بالجمال أفضل من معرفة الطريقة التي نحسه بها، وإذا كان هناك فارق هائل بين ممارسة التجربة والتفكير فيها، وإذا كانت التجربة أو "اللحظة الجمالية" تقع خارج النقد، ولا يمكن لمصطلحاته أن تستعيدها، فما ذلك إلا لأن الإحساس بالجمال ينبع من مقدرة طبيعية، أو كفاءة فطرية أصيلة، في وجدان الإنسان وغريزته، تجعله يعيش أو يحيا ذلك بتلقائية، أما إذا حاول عقلنة التجربة أو "اللحظة الجمالية"، فلا بد له من زاد نظري، ونظر عقلي، وفلسفة راسخة، يتم بموجبها وعي هذه اللحظة على ما فيها من تعقيد وتشابك، فكل واحد منا يعيش الحب، لكنهم قلائل أولئك الذين يقدرون من بيننا على وعيه فلسفيا، وإدراك حقيقته من الوجهة المعرفية لا الذوقية، وربما كان الناقد على وجه

الخصوص، هو المضطر دوما إلى ذلك، فهو يعيش "اللحظة الجمالية" متلقيا للعمل الفني، ثم لابد له من أن يخرج من حالة التلقي إلى حالة من الوصف أو التعليل أو التحليل لمشاعره على حين أن المبدع لا يضطر إلى ذلك، لأنه حالما يعيش الحالة الإبداعية يكون مستغرقا في "اللحظة الجمالية"، فينتج العمل الفني حسب، وهو بدوره هذا يكون قادرا على إيصال الشعور بالجمال، أو العيش في ظل اللحظة الجمالية" من خلال العمل ذاته، دونما حاجة منه إلى تعليل شعوره، أو تحليله، وهكذا يبقى العمل الفني أو الأدبي دوما هو اللغز المحير، لأنه موطن تفجر الدلالة، وموطن القيمة، لأنه موطن "اللحظة الجمالية" بامتياز"(مقابلة،2007،ص:198-199)، وذلك ما سيجعلنا ننتقل إلى عمل الشريف السبتي في قراءته النقدية لمقصورة حازم القرطاجني من أجل رصد المواصفات المنهجية، والتعرف على دلائل المحاسن، ومن أجل فهم الدلالات، و معرفة مقاصد الكاتب، وبالتالي الوعي باللحظة الجمالية والوعي بالقيمة النقدية والجمالية لنص المقصورة في النسيج الاجتماعي والثقافي العربي. يقول د.علال الغازي، وهو يشير إلى بعض من ذلك :"تلك هي المقاصد العامة، التي حددت أولا موضوع المقصورة، ومضامينها، وبالتالي صناعة منهاج صاحبها فيها، ثم المنهاج الذي قرر الناقد التوسل به، والسير على هديه في عمله النقدي التفسيري، تحقيقا لتصوره المنهجي، ومضمونه العام للكتاب"(الغازي، 1999،ص:319)، مما يشير إلى وعي الشريف السبتي بعمله النقدي، الذي يهتدي بخطوات منهجية، تؤطر قراءته، وتفسيره، من مقدمة الكتاب إلى خاتمته، ويتيح لنقد النقد، محاكمة رؤيته النقدية، في القراءة ،والتفسير، وكشف الدلالات، لنص المقصورة، وتلك" إشارات تكون.. جزئيات غير مباشرة تتم الصورة العامة لمنهاج الرجل الذي يعد له النفوس والعقول والأدوات ودوائر التصور المرحلي اللاحق، حتى إذا تتبعنا معاناته ومعاينته للنص/المقصورة وجدناه في مستوى التحدي العلمي والأدبي المطلوب، وذلك في ضوء ما قرره ومارسه وارتضاه طريقة للتأليف، فإذا تجاوزنا عطاء المقدمة المنهجي، إلى حلقات عامة أخرى كان أول ما يواجهنا منها هو تقسيم العمل إلى: شرح مقدمة المقصورة أو خطبتها، ولهذا الحيز صورته الخاصة ومستوياته...ثم شرح المقصورة بالطريقة التي حدد لنا منطلقاتها...(نفسه،ص:321)، الشيء الذي يسجل المتتبع من خلاله الأهمية التي كان يستشعرها الشريف السبتي في عمله النقدي المتجلي في رغبته في إبراز قدرته على التدليل على مواطن الجمال والإبداع البياني في نص مقصورة حازم.

5- المحاور الأساسية للكتاب دليل على المواصفات المنهجية لشرح المقصورة:

نشير قبل أن نحدد باختصار هذه المحاور باعتبارها الدوال على المواصفات المنهجية لعمل الشريف السبتي على المقصورة إلى أن للشريف طريقة في الشرح ومقاربة النص، وتتمثل في تقسيمه إلى وحدات، فهذه الطريقة هي التي رآها أقرب للتحكم في بنائه العام والقائم على العدد الكبير للأبيات المتنوعة الأغراض والمقاصد، هذا فضلا عن تضمنها لمقدمة بديعية يقول د.علال الغازي: "ولمواجهة

النص التزم الناقد نظام الوحدات والمقاطع لا لأسباب معينة، وإنما للتحكم في شرح النص ونقده وتفسير معطياته المتنوعة، دون أن يطيل أو يقصر في الشرح تبعا لطول أو قصر المقطع...إذ هم الناقد كان الارتباط ببنية النص اللغوية والبلاغية والمعرفية مع ما يقود إليه النقد التفسيري في شبكة شرحه من تحديد لغاية التفسير وعلاقته بالتقويم، ومدى اقتراب الظاهرة أو المصطلح المشروح من الشواهد المستدل بها على هامش هذا التفسير النقدي، وكذلك ما يحمله النص من دلالات تاريخية اصطلاحية وجمالية ولغوية في المعجم والتركيب"(نفسه،ص:321).

ويمكن رصد هذه المحاور في تجلياتها في الكتاب باختصار كالتالي:

أ- التحليل اللغوي والأدبي والنحوي والبديعي للمقدمة أو الخطبة التي وضعها حازم نفسه للمقصورة:

وهذه الخطبة قدم بها حازم بين يدي ممدوحه أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا المستنصر صاحب إفريقية(تونس)، ونمثل لذلك بقوله: "قال الإمام أبو الحسن، رحمه الله: "الحمد لله الذي أنطقنا بأفصح الألسن، ووفقنا إلى التمييز بين ما يقبح من الكلام وما يحسن، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله، أفضل من سمعت به الآذان (ونظرت إليه الأعين)، ما تعاقبت الدهور وتتابعت الأزمن". اللسان :يذكر ويؤنث، فمن ذكره جمعه على ألسنة، ونظيره خوان وأخونة، ومن أنثه جمعه على ألسن، ونظيره ذراع وأذرع، ثم قال: "وحيا الله بنفحات رضوانه الطيبة، وسقيا رحمته الصيبة، جميع صحابته وأسرته وعصابته الكريمة وعترته"، النفحات: المواهب، يقال: نفحه أي أعطاه، ومنه قولهم: لا تزال لفلان نفحات من المعروف، وقد تكون النفحات هنا من قولهم: نفح الطيب أي فاح، وله نفحة طيبة، والأسرة: الرهط سموا بذلك لأن الرجل يتقوى بأسرته، يقال: أسره أي شده، ومنه قوله تعالى: "وشددنا أسرهم" سورة الإنسان،الآية:28)، والعترة: الرهط والنسل، ثم قال: "واختص بأعبق تلك الريا، وأغدق تلك السقيا، طائفة اختصاصه، وفئة استخلاصه، نجوم الإمامة الوقادة، وبدور الخلافة المتنقلة في بروج السعادة"، الغدق :الماء الكثير، وقد غدقت عين الماء، قال تعالى: "وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا"(سورة الجن،الآية:16) ،والفئة: الطائفة. قيل :هي من المحذوف اللام، وهو الصحيح، واشتقاقه من فأوت الشيء، أو من فأيته أي فرقته لأنهم يقولون في معناه الفرقة، و هو من فرقت، وقد قيل: الهاء عوض من عين الكلمة وأنه من "فاء"، ولا ينبغي أن ندعي حذف العين مع إمكان حذف اللام، لأن حذف اللام أكثر، وإنما ادعى النحاة حذف العين حيث لم يجدوا عن ادعاء حذف اللام مندوحة، واستخلصت فلانا لنفسي أي اختصصته، وفي التنزيل: "أستخلصه لنفسي" (سورة يوسف،الآية:54)، ثم قال: "وآثر الله بالكمال الدائم ، والسعد الملازم، قمرها الأزهر، وسراجها الأنور، (إمام الهدى، وغمام الندى، وحسام الله المسلول على العدا) سيدنا الخليفة المستنصر بالله، المنصور بفضل الله، أمير المؤمنين أبا عبد الله ابن الأمراء الراشدين، أعلى الله كلمته، وجعل الملائكة أنصاره،

والملوك خدمته، فهو الذي نصر الله به الكتاب والسنة، وجعل عزمه للدين والدنيا أمضى حسام، وأوقى جنة"، هو صاحب أفريقية أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر، والأزهر :النير، ومنه قيل للنجوم: زهر، ثم قال: "ملك جمع له العلم والعمل، وطلع على الدنيا طلوع الشمس في الحمل، فقام به وزن الزمان واعتدل"، الحمل :أحد بروج السماء، وعند حلول الشمس به يكون اعتدال الليل والنهار، وذلك أفضل فصول السنة، قال أبو نواس(من المنسرح):

أما ترى الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان واعتدلا

يريد أن ليل الزمان استوى هو ونهاره، فاعتدل فصله وظهر فضله، ومنه قولهم: قام وزن النهار، إذا انتصف، أي أن ما ذهب منه مساو لما بقي، ومراد أبي الحسن أن الزمان قد حسنه عدل هذا الممدوح وسيرته حتى ذهب ما كان ينسب إلى الأيام من الجور والميل، فاعتدل بذلك وقام وزنه وذهب جنفه"(السبتي،1997 ،ص:116-119).

ب- إفراده لفصل حصر فيه بديعيات حازم في المقصورة:

وهذه البديعيات جاءت على الترتيب والنظام الذي اعتمده حازم و طرز به مقصورته، و قد رصد هذه الأنواع البديعية بتفصيل، ومثل لها بالشواهد المتنوعة، ويبدو ذلك من خلال قوله في ديباجة هذا الفصل: "فصل أذكر فيه تفسير ما وعدت بتفسيره من الألقاب التي سماها الناظم قبل من الفن المسمى بالبديع على الترتيب الذي اعتمد فأما التجنيس فهو اتفاق كلمتين أو كلمات في جميع الحروف أو أكثرها مع اختلاف المعنى، وقد جمع الناس منه ضروبا سموا كل ضرب منها بلقب أفردوه له، وإنما أذكر هنا ما كان مختارا مرضيا، فمن أنواعه التماثل، وسماه قوم المستوفى وذلك نحو قول زياد الأعجم(من الكامل):

فانع المغيرة للمغيرة إذ غدت شعـــواء مشعلـــة لنبح النابـح

ومن مستحسنه قول عبد الله بن طاهر(من الطويل):

وإني للثغر المخوف لكالئ وللثغـــر يجري ظلمه لرشـــوف

فأتى به سهلا عاريا عن التكلف، وجمع بين الغزل والحماسة كما ترى، و كان بعض شيوخنا من أهل العدوة يعد منه قوله الله تعالى: "تبت يدا أبي لهب وتب"(سورة المسد،الآية:1)،مع قوله: "سيصلى نارا ذات لهب"(سورة المسد،الآية:3)، وهذا النوع هو أكمل أنواع التجنيس، وإنما تجنبه الفحول لأنه قلما يفارقه التكلف في الغالب، فتحاموه لأجل ذلك، وإنما يستحسن منه ما كان سهلا كالآية أو كبيت ابن طاهر، وشبه ذلك"(السبتي،1997، 154-155)، وليس هذا النص إلا جزءا ضئيلا من فيض غزير من المصطلحات البلاغية والبيانية التي دلت على التقاء ثقافتي الكاتب والناقد في خدمة نص المقصورة ، يقول د.علال الغازي: "إن الناقد استطاع في شرح خطبة المقصورة أن يقدم لنا أصولا نقدية مهمة دلت

على دقة تصوره للظاهرة النقدية سواء في مجالها الإبداعي(نظريا)، أو عبر أدوات المصطلحات والقضايا النقدية الجزئية التي عرضنا لبعضها فيما سبق، ولقد وجد السبتي في طبيعة هذه الخطبة من النقد ما شجعه على تسجيل ما رصده من ضوابط نقدية نظرية دعمها بما واكبها في المقاطع التي عرض لها بالشرح من تحليل للنصوص، واستنتاج لمقاييس النقد بها، لأنها كانت شواهد جيء بها لإثبات قاعدة نقدية أو مصطلح في سياق العملية الإبداعية التي حدد مفهومها في المصطلحات التي قدمها بفضل إشارات حازم ووعده أن يبني مقصورته على أساسها وفي ضوئها"(الغازي،1999،ص:378).

ج- **تعرضه أثناء الشرح لأنواع البديع التي لم تشتملها المقدمة:**

وذلك عن طريق التعريف بالنوع، وذكر آراء النقاد والبلغاء فيه متفقا أو مخالفا، وذلك مثل: تجنيس الترخيم، تجنيس التذييل، التجنيس الناقص، التجنيس المنقوص، تجنيس التداخل، تجنيس التضمين، الترصيع، المماثلة، التسهيم ...ونمثل لذلك بقوله في شرح بيت المقصورة التالي(السبتي ،ص :226):

وفي السروج والحـــــدوج وسطها أســـد تـــداری وظباء تـــــــدری

"...وفي البيت الثاني: وهو قوله: "وفي السروج والحدوج" أنواع من البديع، منها اتفاق السروج والحدوج في الوزن والمقطع، وهو نوع من الترصيع يسميه المتأخرون بالمماثلة، ومنها المجانسة بين تدارى وتدرى، وهو تجنيس الاشتقاق، وقد تقدم الكلام عليه، ومنها المعادلة بين ألفاظ البيت في الترتيب برد الأسد إلى السروج، والظباء إلى الحدوج لفا ونشرا، ومن أمثلتها قول الشاعر(من الكامل):

ومقرطق تغني صفات جماله عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

ومنها التسهيم، قال أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي: سألت علي بن هارون – وما رأيت أعلم بصناعة الشعر منه – عن التسهيم فقال: هذا لقب اخترعناه نحن، فقلت: فما كيفيته؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة صحيحة، إلا أن مفهومه أن صفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع إلى قوافيه، قبل أن ينتهي إليها راويه، حتى لو لم يسمع السامع الشطر الأول استخرج الشطر الأخير من قبل أن يسمعه، قال: وأحسن ما قيل في ذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

فأقسمت يا عمـــرو لو نبهاك إذا نبها منـــك داء عضالا
إذا نبها ليـــث عريســـة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخـــرق تجاوزت مجهولـه بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنـــت النهار بها شمســه وكنت دجى الليل فيه الهـــلالا

وقد نقل ابن وكيع هذا الكلام الذي يسند إلى علي بن هارون ثم قال: "وهذا اللقب غير دال على المعنى لفظه، وأرى الملقب إنما قصد الإغراب"، قلت: وقد شرح بعض المتأخرين معنى هذه التسمية

فقال: "التسهيم أن يكون صدر الفقرة أو البيت مقتضيا لعجزه، ودالا عليه بما يستدعي المجيء به ليكون الكلام في استواء أقسامه، واعتدال أحكامه كالبرد المسهم في استواء خطوطه"، يريد أن خطوط البرد لا تكون ألوانها إلا على ترتيب قد عرف، فإذا نظر المقلب للثوب إلى أول الصنعة عرف ما ينتهي إليه آخرها في كيفية ترتيب الأصبغة، وارتباطها في مجاورة بعضها بعضا إلى طريقة مخصوصة، وهذا الذي سموه بالتسهيم هو الذي يسميه قدامة توشيحا، وإن كان المتأخرون قد فرقوا بين اللقبين، ولبعض الناس في هذا المعنى كلام جامع حسن، قال: "اقتضاء أول الكلام آخره يكون بأن يوازى بين لفظين في الصدر والعجز وبين معنيين، فيكون في وضع أحدهما في طرف العبارة دليل على الواقع في الطرف الآخر، أو تكون هنالك قرينة يحصل معها في أول الكلام العلم بما في آخره" قلت: فمثال القسم الأول قول الشاعر(من الطويل):

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعـــش ثمانين حـولا لا أبا لك يســـأم

ومثال القسم الثاني قول الآخر(من الطويل):

ولو أنني أعطيت من دهـــري المنـى وما كـــل من يعطى المنـى بمســـدد
لقلت لأيـام مضيـن: ألا ارجـعـي وقلت لأيـام أتيـن: ألا ابعـــدي

ومثال القسم الثالث قول الشاعر(من الوافر):

وإن وزن الحصى فوزنت قومـي وجدت حصى ضريبتهـــم رزينـا

لأن الذي يوجد مع الوزن الرزانة والخفة، فدلت قرينة المدح على أنه يريد الرزانة، والتسهيم في بيت الناظم ظاهر، لأنه لما قدم السروج، ورد إليه أسدا تدارى علم أن الذي يرد على الحدوج ظباء تدرى..."(السبتي،1997 ،ص: 233-238).

ح-سرد آراء نحوية ولغوية وحقائق تاريخية:

والدارس لهذه الآراء والحقائق يرى أنها تتناسب في دقتها ومنطق تحليلها مع قيمة المقصورة وثقافة صاحبها ناهيك عن مكانتها الشعرية، كما في قوله عند شرح بيت المقصورة:

وطـــود زغـــوان دعـــوت مـاءه فلم يـــزغ عن طاعـة ولا ونـــى

الطود: الجبل العظيم، وزغوان: جبل قريب من أرض تونس...وطود زغوان يكون نصبا على حد النصب في باب الاشتغال، ويكون رفعا على الابتداء، والنصب هنا أحسن لمكان الجملة الفعلية المتقدمة في قوله: "أجريت من عين" (البيت)"(نفسه:436).

د- ذكر مجموعة من الأعلام اللغويين والنحويين والعروضيين والبلغاء والنقاد والأدباء والشعراء والفقهاء: فمن القدماء ذكر مثلا :الأخفش والمبرد وسيبويه، ومن المعاصرين له ذكر مجموعة من أساتذته

وشيوخه وأصدقائه، وترجم لكثير منهم، وأمتعنا بقصص من حياتهم، والأحداث التاريخية التي عاشوها.

وإذا كان هذا يكفي للتدليل على مضمون الكتاب وقضاياه النقدية والبلاغية فإن حقيقته تبقى كامنة بين سطوره، ويتجلى ذلك في ما نجده من شواهد لغوية ونحوية ولمحات نقدية وبلاغية لا تخلو من دقة وعمق مع جولة عريضة في رحاب العروض والصرف، وتوضيح عميق لأسرار الإعجاز القرآني بما كان يعرض له من شرح لآيات كريمة، وهو القاضي الأديب الشاعر المتمكن حق التمكن من ثقافته الفقهية والإسلامية بعامة وكذا الأدبية واللغوية والبلاغية، ولا عجب فإن الشريف السبتي مثقف جمع بين الرواية والدراية إلى فهم عميق لنص المقصورة ودلالاتها المختلفة تعينه شاعرية متدفقة أثبت لنا بعض خواطره الممتعة ضمن أماكن الاستشهاد، ولعل في الوقوف عند شرح الأبيات الأخيرة من مقصورة حازم التالية ما يدلل عل بعض ما قلنا، ناهيك عن التدليل عن منبهات اللحظة الجمالية عند المؤلف والناقد معا مما يتجاوب والذوق النقدي العربي في خدمة الثقافة العربية لغة وتاريخا وفكرا.

نظمتها فريـــدة فـي حسنها ... منظومـــة نظـم الفريـد المنتقـى
تخـطب بالأنفـس أعـــلاق لها ... نفيســة بكـل عـلق تفتـدى
تـخيـر اللفـظ الفصيح خاطـري ... لها، ولـم يحفـل بحـوشي اللغا
قلـــدها مـــن المعـاني حليـة ... وزفـــها إلـــى المعـالي وهـدى
تخـذت في النقـلة فـي أغراضها ... مذاهبا أعيت على مـن قـد نحا
فاختـلفـت أغراضها وائتـــلفـت ... بالمذهـب المقصود فيها المنتحى
وانتســـب المعنـــى بلطـف حيلـــة ... فيها إلى المعنـى الذي منه انتفـــى

قوله "نظمتها فريدة"، يريد مفردة لا ثانية لها، وقوله: "نظم الفريد"، الفريد: الدر إذا نظم وفصل، يقال: فرائد الدر: كبارها، والمنتقى المختار، وقوله: "ولم يحفل بحوشي اللغا":جمع لغة، والحوشي من الكلام: ما ليس يستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذا، وذلك هو الحوشي الذي مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهيرا بجانبته له، وتنكبه إياه، فقال: "كان لا يتبع حوشي الكلام"، قال بعضهم: "وهذا الباب يجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن، لكن من شعرائهم من كان أعرابيا قد غلبت العجرفية عليه، ولأن من يأتي بالحوشي منهم لم يكن يأتي به على جهة التطلب له والتكلف لما يستعمله منه، لكن لعادته وعلى سجية لفظه"، فأما أصحاب التكلف فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عن السمع، مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العكي،و كان في زمن المهدي، وامتدح كاتبه ابن عبيد الله بقصيدة على الهمزة أولها(من المتقارب):

تذكـرت سلمـــى وأهـــلا لها ... فلم أنس والشـوق ذو مطـروءه

يقول فيها:

لأوحـــى وزيـــر إمـام الهـدى لنـا وهـــو بالإرث ذو محجوءه
يســـوس الأمـــور فتـــأتـي لـــه وما في العزيمـة من مهنـوءه

في أبيات كثيرة من هذا القبيل، وإلى ذلك أشار المعري بقوله يصف شدو الحمامة (من الوافر):

شجتـك بظاهـر كقـريض ليـلى وباطنـه عـويـص أبي حـــزام

أراد "بليلى" ليلى الأخيلية، و"بأبي حزام" غالب بن الحارث هذا(...)،وقوله: "وزفها إلى المعالي وهدى"، هدى هنا من هداء العروس، وقوله: "تخذت في النقلة في أغراضها"، يريد انتقاله فيها من فن إلى فن، ومن غرض إلى غرض نخروجه من النسيب إلى المدح، ومن المدح إلى وصف المعاهد، ومن وصف المعاهد إلى ذكر القنص، وغير ذلك من الأخبار والأمثال، ثم ذكر أنه وإن اختلفت مذاهبها، وتباينت أغراضها فإن فصولها غير متنافرة، والكلام فيها ملتئم الأسلوب قد انتسب بعضه إلى بعض، قلت: وهذا الذي أشار إليه الناظم من اتساق الكلام، وتلاحم أجزائه، والتئام أساليبه، مع اختلاف المذهب، وتباين المقاصد، إذا وقع في نظم أو نثر دل على اقتدار القائل، وتأتيه لرصف الكلم، وحسن الترتيب، ولا يكون ذلك إلا مع وفور مادة الطبع، وقوة عارضة البيان، ألا ترى إلى قول أبي نواس (من الكامل):

وإذا جلست إلى المدام وشربهـا فاجعل حديثك كـلـه في الكـــاس
وإذا نزعت عن الغواية فليكـــــن للـــه ذاك النـــزع لا للنـاس
وإذا أردت مديح قوم لم تمـــــن في مدحهم، فامـدح بنـي العبـاس

فانظر كيف جمع في هذه الأبيات الثلاثة بين ثلاثة مذاهب متباعدة الأغراض، وهي المجون والزهد ومدح الخليفة، حتى صيرها نسق النظام، وحسن العبارة، كأنها فن واحد".

نظمها ابن حـازم، وقـــد نمـى نسيبهـا لابن حـــزام مـن نمـــى
وقـد عـزا الإحسـان فـي أمثالها لابـن الحسيـن أحمد من قد عـــزا
بدأتهـا باسـم الـذي ختمتـهـا بحمده جـل الإلـــه وعـــلا
فالبـدء باسـم الله أولـى مـا بـه عنـــد افتتـاح كـل أمر يعتنـى
والحمـــد للـــه أجـل غايـة يبلـغ بالقـول لهـا وينتـهـى

قوله: "نظمها ابن حازم"، يريد نفسه، وأما ابن حزام فهو عروة بن حزام، وقد تقدم ذكره مستوفى، وأما ابن الحسين فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، قال أبو منصور الثعالبي: "وهو كوفي المولد، شامي المنشأ، وبها تخرج، ومنها خرج نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر، وهو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه، المشهور به إذ هو الذي جذب بطبعه، ورفع من قدره، ونفق من سعر شعره،

وألقى عليه شعاع سعادته، حتى ذكره مسير الشمس والقمر، وشاع ذكره في البدو والحضر، وكادت الليالي تنشده، والأيام تحفظه، كما قال(من الطويل):

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني معردا

وكان مولده بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاث مئة، وخرج به أبوه إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حاضرتها، ومن مدرها إلى وبرها، ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل، و مخايله نواطق بالحسنى عليه...، حتى توفي أبوه، وقد ترعرع وشعر وبرع"، وحكى أبو الفتح بن جني قال: سمعت أبا الطيب المتنبي يقول: إنما لقبت بالمتنبي لقولي:

أنا رب الندى ورب القوافي وسهام العدا وغيظ الحسود
أنا في أمة، تداركها الله ، غريب كصالح في ثمود

وقد قيل في تسميته بالمتنبي غير ذلك، وقد قيل :"إن الشعر بدئ في كندة، وختم في كندة"، أي بدئ بامرئ القيس، وختم بأبي الطيب، وقالوا: إنه أنحل كل شاعر في زمانه إلا أبا فراس الحمداني، ولولا مكانه من السلطان لأنحله، قلت :وقد نزعت منزع الناظم فقلت من قصيدة ختمتها به(من الكامل):

وإليكها حسانة حسنية تزري بدائعها بفحلي طيء
وتميت ذكر ابن الحسين، وأين من كان النبي أباه من متنبيء"

(السبتي،1997،ص:1597-1606).

وهكذا يبدو مما سبق عرضه عن المواصفات والآليات المنهجية في الكشف عن محاسن مقصورة حازم القرطاجني أن الشريف السبتي تناول موضوعه على طريقة النقاد القدماء فهو يتناول فقرة المقصورة، أو مقطعا منها، ثم يشرحها شرحا وافيا محللا ما يجد فيها من شارد نحوي أو صرفي أو لغوي بعد أن يحدد عروض البيت إن اضطر لذلك مستطردا منذ أول بيت في ذكر ما يتضمنه من أحداث وما يشتمل عليه من أعلام و قصص، وباختصار يمكن القول إن شرحه امتاز بالصفات التالية:

- رصد كامل للأنواع البديعية التي التزم بها الشاعر في مقصورته، وحللها وفق الترتيب الذي ارتآه لها حازم، مع استطراد مقبول لذكر بعض البديعيات بعد الانتهاء من شرح خطبة المقصورة، وقبل الشروع في تحليل القصيدة.
- اعتماده عند إيراد الشاهد على معيار مناسبته لموضوع السياق، ولا يهمه عند الاختيار شهرة القائل ولا زمانه أو مكانه، فقد كان يورد أبياتا لبعض المغمورين، بل استشهد بشعره وشعر معاصريه.
- تنوع الشاهد من القرآن والحديث وكلام العرب ومن أقوال الأدباء والبلغاء، ثم من الأشعار التي قدم لنا منها ثروة هائلة أحسن انتقاءها في ضوء وضعها المناسب.

– مناقشته للأعلام فيما يتصل بموضوعه قدماء ومعاصرين واعتماده على آرائهم، واستعانته بالمصطلحات البلاغية لتحليل ما يقود إليه السياق.

– الاستطراد إلى ترجمة أعلام المقصورة وسرد قصص الحرب إذ كان يرى في ذلك ضرورة لمزيد من فهم النص، وهو استطراد ضروري لمحاصرة سياق الدلالات العامة للمقصورة.

– التزامه بالشرح والتحليل اللغوي والإعرابي، وإبراز المعنى الأدبي للبيت، ورصد ما به من بديع وإشارات تاريخية، ويصنع هذا حتى مع الشواهد، وإذا ما واجههه نوع من البديع- والبديع يساوي البلاغة وعلومها- سبق ذكره نبه على ذلك ليبتعد عن التكرار والاستطراد حتى في شرح بعض الكلمات ما وجد لذلك من سبيل.

خاتمة :

نخلص مما سبق أنه، وعلى الرغم من قلة ما أوردنا من النماذج من شرح الشريف السبتي لمقصورة حازم القرطاجني فإن ذلك لم يمنع من استنتاج جملة من النتائج أمدتني بها هذه الدراسة، أذكرها كالآتي:

1- التمكين من الاطلاع على الصورة العامة للمواصفات والآليات المنهجية التي اعتمدها الشريف السبتي في قراءة نص مقصورة حازم وتفسيرها وبيان أسرار جمالها .

2- أن الشريف السبتي وضع في حسبانه ما يناسب متطلبات الجمهور الأدبي، وحاجاته المعرفية لتفسير اللحظة الجمالية التي امتلكته كما امتلكت حازما في معاناته للتجربة الشعرية، ومن أجل ذلك بحث عن أسس اللغة الثانية من أجل أداء وظيفته النقدية، في شرح نص مقصورة حازم القرطاجني، وبيان قيمها الجمالية والدلالية في المجتمع والحضارة العربيين.

3- أن الشريف السبتي أبان عن تمكن عميق من حدود الشعر والعلم به، تذوقا، ومعرفة، وتحليلا، وتوثيقا، ونقدا.

4- أن قدرة الشريف السبتي على سبر أغوار مقصورة حازم القرطاجني تتصل شديد الاتصال بتكوينه الأدبي، وبموهبته الشعرية.

5- أن شرح مقصورة حازم دال على الرؤية البيانية المهيمنة في عصر الشريف السبتي مما يبين مستوى النهم الفني والعلمي الذي أشبع لدى الجمهور الأدبي.

6- أن تجاوب الناقد مع رغبات الجمهور الأدبي العلمية والجمالية يبرز مسؤولية الناقد في النسيج المجتمعي والثقافي للمجتمع، وفي التعريف بمتطلباته الجمالية والثقافية.

7- أن مسؤولية الناقد الحضارية تحيل على وظيفة للنص الأدبي المركزية في خدمة قيم المجتمع الحضارية والدينية واللغوية والتاريخية، وأنه يترتب على ذلك خدمة تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

8- أن المجالات التي عالجها الشريف السبتي في عمله النقدي، والتي تمثل الأدوات التي توسل بها في سبر أغوار النص، ورصد كل مظاهره، تتجلى في:

- المجال المعرفي: وعالج فيه أحداث ظروف البيت، أو المقطع، أوملابساته، كما قاده السياق أيضا إلى التعامل مع علوم إنسانية متنوعة يصعب حصرها خارج سياقها النقدي ...ولكنها لا تخرج عن مكونات النص المعرفية وظروفه وملابساته.

- المجال اللغوي: وقد تحرك في مكونات هذا المجال كعلم النحو والصرف والمعجم تحركا احتل حيزا كبيرا من عمله حتى ليعد الكتاب مصدرا في النقد اللغوي إلى حد كبير.

- المجال البلاغي: وفيه ناقش الناقد كثيرا من المصطلحات...سواء كانت فيما خصصه لها عند شرحه لخطبة المقصورة حيث تتبع ما أشار إليه حازم من تلك الألقاب أم فيما قاده التفسير إليه خلال شرح المقصورة.

- المجال الأدبي: ويتعلق بالشاهد، في اختياره، وتحليله، وتوظيفه في المعاني التي يقود إليها المقطع، أو أحد جزئياته من المقصورة، فنوعية الشاهد، وتنوعه، وكثرته، وتوجيهه، أو توظيفه في علاج ظاهرة، أو مصطلح، احتل مكانا كبيرا في مجال التحليل في إنجاز الشريف السبتي.

- المجال العروضي:سواء في البداية عند حديثه عن بحر، وأوزان وعروض المقصورة، أم خلال بعض الشواهد، التي كانت تفرض مناقشتها، وتعميق القول فيها لعلة معرفية أو منهجية ما.

المراجع:

1- القرآن الكريم برواية ورش.

2- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، "رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر" ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الهدلق، جامعة الملك سعود، الرياض، ضمن المجلد الثاني من قراءة جديدة لتراثنا النقدي، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة، دار أبولو للنشر والتوزيع.

3- جمال مقابلة، "اللحظة الجمالية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى"، دار أزمنة،2007.

4- حازم القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت –لبنان،1986.

5- أبو زيد نصر حامد، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة،1996.

6- عز الدين إسماعيل، "الأدب وفنونه"، دار الفكر العربي،1976.

7-علال الغازي ،"مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن للهجرة"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء،1999.

8-عمر فروخ، "أبو تمام: شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله"، دار لبنان للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1986 .

9-أبو القاسم محمد الشريف السبتي، "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، الرباط،1997.

10- لسان الدين ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة الثانية،القاهرة،1973.

11- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه"، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر،2008.

12- محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل" ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، لبنان، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر،2012.

النظريات اللسانية العرفانية، المبادئ والمفاهيم

Cognitive Linguistic Theories: Principles and Main Concepts

د. علية بيبية (جامعة العربي التبسي. تبسة /الجزائر)
البريد الإلكتروني: oulaya.bibia@univ-tebessa.dz

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية أن نكشف الستار عن بعض النظريات اللسانية العرفانية التي ارتبطت بالقدرات الذهنية وبالإبستمولوجيا المعرفية المتعددة المتعلقة بعمليات الإدراك والتصور والفهم والذهن المتجسد، وعلى هذا الأساس نحاول أن نبين ماهية اللسانيات العرفانية باعتبارها المنطلق الأساس في ظهور هذه النظريات، ثم بعد ذلك نعرج على الأسس والمنطلقات والتوجهات العرفانية الناتجة عن هذه النظريات.

والهدف من خلال هذه الدراسة هو تمكين الطالب الجامعي المتخصص في حقل اللغويات من معرفة خبايا هذه النظريات المعرفية واستثمار أسسها في تحليل النص، أو الخطاب.

الكلمات المفتاحية:

النظريات اللسانية؛ العرفانية؛ الذهن؛ النص؛ الخطاب.

Abstract :

The aim of this paper is to present some cognitive linguistic theories related to cognitive abilities and to the epistemological knowledge about perception, conception, understanding, and embodied mind. Thus, we try to define the cognitive linguistics being the basic background for the emergence of these theories, and then we discuss the principles and the cognitive tendencies that these theories have engendered.

The purpose of this study is to provide specialized students in linguistic studies with sufficient knowledge about cognitive linguistics so they can exploit it in text and discourse analysis.

Keywords:

linguistic theories; cognitive linguistics; mind; text; discourse. .

مقدمة:

تعد اللسانيات العرفانية مبحثا مهما في حقل اللغة، وذلك لما تتميز به من مبادئ تركز على معالجة اللغة وفق التمثيلات الذهنية، وهي بذلك تعد من أهم العلوم العرفانية التي تركز على كل ما له علاقة بالتصورات الذهنية التي يشكل الدماغ المصدر الرئيس لها.

ولما كان الأمر كذلك، ارتأينا أن ننطلق من إشكالية رئيسية تتقصى هذه المفاهيم والأسس التي تعتمد عليها اللسانيات العرفانية، باعتبارها تيارا لسانيا فضل الذهن عن البنية، وكذلك أهم النظريات التي تمخضت عنها اعتمادا على العلوم العرفانية.فما هي إذن هذه النظريات وكيف كانت دراستها للغة ؟

وقد اعتمدت في هذه الورقة البحثية على المنهج الوصفي الذي يعنى بتحليل الظاهرة اللغوية واستقرائها وعرض نتائجها، فاستثمرناه في بيان الأسس التي انبنت عليها اللسانيات العرفانية وما نتج عنها من نظريات واتجاهات تخص كل ما هو متعلق بالذهن وبالقدرات العقلية.

1. مفهوم العرفانية:

1.2 التعريف اللغوي:

تكاد تجمع معاجم اللغة على أن العرفان هو العلم والإدراك، فقد جاء في (تاج العروس) مادة (عرف): « عرفه يعرفه معرفة وعرفانا، وعرفه بالكسر وعرفان بكسرتين مشددة الفاء: علمه والمعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره فهي أخص من العلم ويضاده الإنكار، ويقال فلان يعرف الله ورسوله ولا يقال يلم الله متعديا إلى مفعول واحد، لما كان معرفة البشر لله تعالى هو تدبر آثاره دون إدراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر وأصله من عرفته أي أصبت عرفه ». (الزبيدي، د ت، صفحة 133)

وجاء في المعجم الوسيط « عرف فلان على القوم عرافة، عرف الشيء عرفانا ومعرفة أدركه بحاسة من حواسه فهو عارف وعريف ». (مصطفى، 1972، صفحة 645)

2.2 المفهوم الاصطلاحي للعرفان:

يعرف (توفيق قريرة) العرفان بأنه: «ا لقدرة التي للذهن على معالجة المعلومات والتفكير وتخزين المعلومات في الذاكرة واتخاذ القرارات وتنفيذ الأعمال والتحكم في التصورات وتنظيم المدركات ». (قريرة، 2011، صفحة 14). ويضيف قائلا نقلا عن (مارغرين مثلان) بأن: العرفان أو النشاط الذهني « يضم اكتساب المعارف وتخزينها واستخدامها وتضم عينة واسعة من العمليات الذهنية التي تستغلها في كل مرة يستقبل فيها المعلومة أو تخزن أو تحول أو تستخدم ». (قريرة، 2011، صفحة 15)

من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن العرفان يرتبط ارتباطا وثيقا بالقدرات الذهنية التي يكون مصدرها الدماغ، فهو المسؤول عن تخزين المعلومات وحفظها في الذاكرة من جهة، وهو المسؤول عن اكتساب المعارف والمعلومات وكيفية استخدامها في حياتنا اليومية من جهة أخرى.

أما (الأزهر الزناد) الذي اقترح مصطلح العرفنة بدلا من العرفان، فقد ركز على عملية التجذر في بنية الدماغ. (الزناد، 2010، صفحة 34)، ويصدق هذا التعريف على جميع العلوم العرفانية، وهو بذلك يركز على العمليات الذهنية التي تحدث في الدماغ باعتباره المسيطر والمتحكم في سائر الحياة الإنسانية.

ويعود اختياره لمصطلح عرفنة دون غيره من المصطلحات الأخرى؛ كالعلوم المعرفية والإدراكيات وغيرها إلى أسباب متعددة، منها:

- عامل الاشتراك والتداخل بين المصطلحات، كاشتراك كلمة عرفان في الاستعمال القديم وفي الاستعمال الحديث؛ إذ تدل على معنى الشكر، ولها جريان واسع في مجال التعبد والتصوف وفي مجال البحوث الفلسفية الماورائية ومقابلة كلمة معرفة أو إدراك لمصطلح (cognition) ومصطلح (knowledge).

- ضرورة صياغة مصطلح جامع يضم النشاط الذهني البشري في عمومه، وبمظاهره العديدة (كالتذكر والتعقل وحل المسائل) وغيرها. وليكن هذا المصطلح الجامع هو العرفنة: من فعل (عرفن) ومشتقاته. (محسب، 2017، صفحة 50).

ومن المعلوم أن العرفانية تتمركز ضمن إطار فلسفي عقلي نتقاطع فيه مجموعة من المعلوم المعرفية التي تضع الفكر محط بحث وتنقيب، ويحدث هذا التقاطع نتيجة لوجود ثلاث مستويات بينها (عبد الرحمن طعمة) وهي:

- **المستوى الحيوي أو البيولوجي:** ويتمثل في الدماغ بوصفه شبكة نظامية مكونة من ملايين العصبونات المترابطة التي تشكل خلفية البناء الفكري للذهن الإنساني.

- **المستوى التمثيلي أو الإدراكي:** ويتأسس حول بحث كيفية تمثيل المعرفة الموجودة في العالم وبلورتها بصورة مفاهيم داخل الدماغ، وهو الأمر المعروف بمصطلح التمثيلات الذهنية.

- **مستوى المعالجة المعلوماتية:** وهو الذي ينظر إلى الفكر بوصفه نسقا مجردا لمعالجة المعلومات حيث يكون التركيز على دراسة كيفية اشتغال المعلومات داخل البنية العصبية، بوصفها نسقا وظيفيا من دون الإحالة إلى ما تمثله المعلومة خارج الدماغ (استعارة الذهن الحاسوب)، علما بأن المعالجة المعلوماتية بنمطها الإدراكي والرمزي تضم الجملة وتمثلها العصبي وتخطيطها الذهني، كل هذا يحدث من خلال

منظومة من المقولات والمفاهيم التي تتحكم في تمثيل العالم وتنميطه ونمذجته داخل ذهن الأفراد من بني الإنسان. (طعمة ع.، 2019، صفحة 16).

معنى ذلك أن العرفانية مرتبطة بالتمثيلات الذهنية لكل حركة أو موقف أو رد فعل أو اتخاذ قرار مرهون بالفعل البشري الذي يشير إلى مجموعة من القدرات، وكل هذه البيانات ناتجة عن مجموعة من العمليات العقلية المتجذرة في الدماغ الذي يمثل العنصر المركز المسيطر على جميع هذه العمليات العقلية.

ونضرب مثالا على هذه العمليات من خلال كيفية الرد على الهاتف، فهذه العملية هي نشاط يومي يقوم به الإنسان ويتطلب المراحل الآتية للقيام بهذه العملية:

- **الإدراك:** ويتمثل في سماع جرس الهاتف ويتم الإدراك بإحدى الحواس، والإدراك هو الإحساس بالشيء وفهمه، ويتم الإحساس عادة بإحدى الحواس المتوفرة للإنسان، أما الفهم فيحدث بربط محتوى الإحساس أو موضوعه بما يمتلكه الفرد بدماغه من معلومات سابقة بخصوصه ». (زياد، 1986، صفحة 35).
- **اتخاذ القرار:** ويتمثل في الرد أو عدم الرد على الهاتف.
- **المهارات الحركية:** وتتم بالضغط على الزر المناسب.
- **المهارات اللغوية:** وهي أداء لغوي يتسم بالدقة والكفاءة فضلا عن السرعة والفهم. (الخويسكي، 2008، صفحة 13)، ويتمثل في هذا السياق في التكلم وفهم الكلام الذي يتم عبر الهاتف.
- **المهارات الاجتماعية:** وهي متعلقة بالاستعمال ويتجلى ذلك في تأويل خبرة الصوت والتفاعل الحقيقي مع شخص آخر.

2. اللسانيات العرفانية:

وهي تيار لساني حديث النشأة يقوم على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية والذهن والتجربة، بما فيها الاجتماعي والمادي والبيئي « أي العلاقة بين اللغة والذهن والتجربة الاجتماعية والمادية والبيئة، فإذا كانت النظرية التوليدية تقوم على أساس النحو الكوني الذي ترى أنه مركوز في عضو ذهني من الدماغ مخصوص هو اللغة، فإن التيار العرفاني يذهب إلى تجذر تلك المبادئ الكونية في الملكة العرفانية، فينتفي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللغة، فاللغة مثل سائر الأنشطة الرمزية إنما هي وليدة نشاط عرفاني مركوز في المولدة العرفانية العامة التي تمثل نشاط الدماغ عضوا ماديا ». (عطية، دت، صفحة 55).

يتبين من خلال هذا التعريف أن اللسانيات العرفانية مرهونة بالقدرات الذهنية وعلاقتها باللغة، فاللغة في هذا السياق لا تدرس باعتبارها بنية كلية إلا إذا اقترنت بالذهن والتجارب والخبرات والاستعمال.

وعلى هذا الأساس وجب ذكر أهم أسس اللسانيات العرفانية، وأهمها ما يلي:

- إن الظاهرة اللغوية ظاهرة نفسية ذهنية لا يمكن فهمها إلا في علاقتها بباقي الظواهر الذهنية الأخرى، المرتبطة بطبيعة المقولة البشرية ومختلف الاستراتجيات الإدراكية والمعرفية التي تحدد صلة الإنسان بعالمه.

- إن اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، أو هي تمثيل ذهني، ومن ثمة فإن المعلومات التي تحملها اللغة مصاغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن التجربة، ولا يمكن لهذه المعلومات المتخيلة في التمثلات اللغوية أن تحيل على العالم الواقعي، كما في نظريات أخرى وإنما تسقط على عالم ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم الذهني المذكور.

- معنى ذلك أن البشر لا يتحدثون عن الأشياء إلا بفضل امتلاكهم تمثيلات ذهنية عنها، وهنا تبرز الصورة الذهنية سلطتها «حيث يخضع تكوين الانطباعات الذهنية إلى كيفية استخدام الإنسان عقله وغاياته من ذلك وماهية التشابكات العصبية التي تتكون وترسخ داخله فهناك صورة ذهنية تؤدي إلى اتساع أفق الإنسان واكتشافه للجديد والبحث مع آخرين عن حلول بيد أن هناك انطباعات أخرى تولد الخوف وتجبر الإنسان على الانسحاب والتقوقع بعيدا عن عالمه». (جيرالد، 2014، صفحة 7).

- إن اللغة هي بالدرجة الأولى معنى يجب توصيله؛ أي إن اللغة أداة لتنظيم المعلومة ونقلها ومعالجتها.

- إن المعنى ديناميكي ومرن؛ وذلك لأنه يتغير لارتباطه بالأفكار وتشكيل عالمنا كله، والتغيرات في محيطنا تتطلب أن نكشف الأصناف الدلالية مع التحولات التي تحصل في هذا المحيط مما يترك هامشا أو مكانا لظلال المعاني.

- لا يمكن النظر إلى اللغة بوصفها بنية ثابتة،كما كان الأمر في لسانيات القرن العشرين «بل يجب أن ننظر إلى المعنى بوصفه متأصلا في التجربة مما يعني أن المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى». (طعمة ع.، 2017، صفحة 232).

- إن البحث في العمق الداخلي للغة ينفي تحليل العناصر ضمن نطاقه وتعدي حواجز مستويات التحليل اللساني النمطية ومحاولة تجسيد التكامل بين المنظومتين الداخلية والخارجية الذهنية.

- اللغة ليست قدرة إدراكية مستقلة، وهذا يقودنا إلى القول بعدم استقلال النظام اللغوي «فاللسانيات العرفانية ترى أن لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام ». (طعمة ع.، 2017، صفحة 232) فهي لا تقوم على تصور قالبي للذهن ولا تقول بوجود قالب خاص باللغة، بل ترى أن النسق اللغوي يعكس نفس المبادئ التي تبنى عليها الوظائف المعرفية العامة، مثال ذلك القدرة على

الانتباه وتحويله من مظهر إدراكي معين إلى آخر، وذلك كما يحصل مثلا أثناء تتبعنا لمباراة في كرة المضرب حيث يمكننا أن نحول الانتباه باستمرار إلى مظاهر معينة من الوضع المرمز لغويا.

- كل المعطيات الذهنية بما فيها اللغة تتم على مستوى البنية التصورية «وهي ليست جزءا من اللغة في حد ذاتها إنما هي جزء من الفكر، إنها المحل الذي تتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها بما في ذلك المعرفة الموسوعية، إنها البنية المعرفية التي يبنى عليها التفكير والتخطيط». (عماري، 2019، صفحة 65).

والمقصود بالبنية التصورية، كل المعارف التي تتم صياغتها في الذهن ولها علاقة بتجارب الإنسان في حياته اليومية، وفي هذا الشأن يقول (محمد غاليم): « إن مبادئ البنية التصورية تنسحب على معرفتنا بكل أنواع الدلائل واستعمالها، فهي تتعلق بتجاربنا الفكرية والجمالية والحسية مع اللون والحجم والهيأة والصوت، إنها تضم مختلف أنساقنا المعرفية والإدراكية انطلاقا من تآلفنا مع معنى حركات أجسادنا وأوضاعنا الفضائية والقيم المختلفة إلى تعاملنا مع الأعمال الفنية والنظريات العامة والعلمية ...إلخ». (غاليم، 1987، صفحة 92).

3. المبادئ المؤسسة للسانيات العرفانية:

قبل أن نفصل في هذا العنصر تجدر بنا الإشارة إلى أن تيار اللسانيات العرفانية قديما قد نشأ وترعرع في ظل العلوم العرفانية، التي كان شغلها الشاغل هو الذهن والفكر.

وقد نهضت على بعض تيارات سابقة نقضا منهجيا بالأساس « فكان الخروج عن المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنيوي والتوزيعي وعلى المنهج الشكلي بما في ذلك الأنحاء التركيبية والتحويلية والمقولية الرياضية وعلى المنهج المنطقي القائم على شروط الصدق أو الشروط الضرورية والكافية». (الزناد، 2010، صفحة 27).

معنى ذلك أن هذا التيار قد خرج عن قاعدة النظام والبنية والشكل الذي تبنته المدارس اللسانية البنيوية وكذا القوالب الشكلية التي تبنتها المدرسة التوزيعية وأضحت تيارا يؤسس لنظرية ذهنية تتساوى مع اللغة والتجربة. وعلى هذا الأساس فإن أهم المبادئ المؤسسة التي قامت عليها اللسانيات العرفانية هي:

1.4مبدأ التعميم:

يتمثل الالتزام بالتعميم « في أن يستوعب الدرس اللساني العرفاني جميع المظاهر في النشاط اللغوي وليس لهذا المبدأ صلة مباشرة بالتعميم المعهود من سعي إلى إدراك الخصائص الكلية، فما ترفضه اللسانيات العرفانية تناول اللغة على أنها منظومات مستقل بعضها عن بعض (صوتي، صرفي، تركيبي، دلالي، معجمي) وبدلا من ذلك تسعى إلى دراستها جميعا في تفاعلها وتكاملها واستعمالها معا ببيان انبثاقها من الأرضية العرفانية العامة وتفاعلها معها». (الزناد، 2010، صفحة 33).

والمقصود بهذا المبدأ في هذا السياق أن مستويات التحليل اللساني لا تنفصل عن بعضها البعض فلا تدرس الصوت أو التركيب أو الدلالة على حدة، بل إن كلا من هذه الأنظمة يساهم في تشكيل اللغة، إضافة إلى سياقات استعمالها.

2.4مبدأ الالتزام العرفاني:

ويتمثل « في السعي إلى إضافة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفانية الثابتة في سائر العلوم العرفانية». (الزناد، 2010، صفحة 33) ويتعلق بافتراض مفاده أن مبادئ البنية اللغوية يجب أن تعكس المبادئ التي تقوم عليها المعرفة البشرية المنتقاة من مجالات علمية أخرى، خاصة تلك التي تدخل في اهتمامات العلوم المعرفية كالفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي والعلوم العصبية، فهو بصيغة أخرى التزام بالمبادئ العامة للغة.

4. العلوم العرفانية:

لقد أشرنا في المبدأ العرفاني إلى التزام اللسانيات العرفانية، فلا يستقيم تعميم في شأن اللغة مالم ينطلق من أرضية عرفانية عامة، تلك الأرضية هي العلوم العرفانية التي نشأت في ظلها اللسانيات العرفانية، وهذه العلوم تهدف إلى وصف قدرات الذهن البشري من لغة وإدراك وتفسير وتخطيط، فهي بذلك « علوم متعلقة بوصف وتفسير القدرات والاستعدادات التي يمتلكها الذهن البشري وكيفية تحفيزها ليقوم بتلك العمليات المتصلة بالدماغ وداخلها من تفكير وإدراك وتخطيط ولغة، باعتبارهم عمليات تتم داخل الدماغ ولا ترى بالعين كالحركات الجسدية». (عطية، دت، صفحة 55).

ويعرفها (الأزهر الزناد) بأنها: « جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء ودراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب واللسانيات والإنثروبولوجيا، وتدرس الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعنى كذلك بمقولته وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والإنثروبولوجية». (الزناد، 2010، صفحة 15).

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن العلوم العرفانية تبحث في آليات اشتغال الذهن ومدى استثمار العقل في مختلف الأنشطة اليومية، وكيف توصف القدرات والاستعدادات التي يمتلكها الذهن، وكيف نفكر ونخطط ونرتب ونعالج المعلومة استيعابا وتحليلا؛ لذلك سماها (عبد المجيد جحفة) علوم الذهن؛ حيث تسعى إلى وضع أسس تفسيرية للأنشطة التصورية وفهم الإدراك والتفكير وعمل الذاكرة وفهم اللغة والتعلم، وظواهر ذهنية كملاحظة سلوك الأطفال والنظر في برمجة الحواسب وقيامها بحل مشاكل معقدة مثلما تشمل تحليل طبيعة المعنى. (لايكوف و جونسون، 2016، صفحة 18).

ومن أهم هذه العلوم التي تشتغل على هذا الأساس؛ ألا وهو الذهن:

1.5 علم النفس المعرفي:

هو علم يختص بفهم العمليات العقلية مثل التعلم ومهارات تعلم اللغة والإدراك والانتباه والتخاطب، كما يعرف أيضا بأنه جميع العمليات التي يتم من خلالها نقل المدخلات الحسية وتحويلها واختصارها وتوضيحها وتخزينها واستعادتها واستعمالاتها « ويمثل علم النفس المعرفي قلب العلوم المعرفية ومحركها، ومجال الدراسة فيه يتمثل في عمليات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والانتباه والذاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي وما إلى ذلك من مباحث تهم الانفعال والشخصية وغيرها مما له تفاعل مع سائر الملكات العرفانية ». (الزناد، 2010، صفحة 24).

معنى ذلك أن ركيزته الأساسية هي كيفية تلقي المعلومة والعمليات العقلية التي يتم إدراكها وكيفية حفظها في الذاكرة مما يعطي الفرصة للعديد من التطبيقات المختلفة، مثل كيفية تحسين قدرات الذاكرة وآلية اتخاذ القرار وبناء المناهج التعليمية لتعزيز التعلم.

ويجيب علم النفس المعرفي عن السؤال الآتي: كيف يدرك الناس؟ كيف يمتلكون؟ وكيف يتذكرون؟ وكيف يوظفون المعرفة؟. كما يهتم علم النفس بجميع الطرق والعمليات التي يقوم بها الإنسان لنقل المعلومات والمدخلات الحسية، ومن ثم معالجتها بالتفكير والتحويل والاختصار وآخرها التخزين ليتم استعادتها فيما بعد واستعمالها عند الحاجة إليها.

2.5علوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي:

وهي علوم توظف إمكانيات وقدرات ومكونات ووظائف الحاسوب بما يحتويه من إمكانات رياضية خارقة وسعة تخزينية هائلة في خدمة اللغة، فما يتصف به الحاسوب من قدرة على تمثيل الحقائق والأفكار ومن ثم توظيف هذه المعلومات ووضعها في التمثيلات الملائمة لها، يجعل الحاسوب أكثر كفاءة من أي مخترع يمكن أن يخترع في هذا العالم. وهو مهيأ لمعالجة مختلف العلوم ولاسيما في حقل اللغات الطبيعية لوجود علاقة بين اللغة والحاسوب، وتقوم الحوسبة على مجموعة من الأوامر تنطبق انطباقا ميكانيكيا آليا. (الزناد، 2010، صفحة 18).

أما الذكاء الاصطناعي فهو العلم الذي يسعى إلى جعل الآلة تؤدي ما يؤديه البشر من الأعمال بتمكينها من مهارة ذهنية ذكية لها قدرات الذكاء التي للذهن البشري، فغاية علم الذكاء الاصطناعي صنع الآلات الذكية التي يمكنها أن تتصرف تصرفا ذكيا؛ أي تتفاعل مع محيطها تستثني منه المعلومات وترد الفعل في ضوء مقتضيات ظرفية يكون بها رد الفعل ذاك ملائما متماشيا وناجعا. (الزناد، 2010، صفحة 18).

فالذكاء الاصطناعي إذن هو ما تبديه الآلات والبرامج التي تحاكي القدرات الذهنية البشرية مثل القدرة على التعلم والاستنتاج ورد الفعل على أوضاع لم تبرمج في الآلة.

3.5الإنثروبولوجيا العرفانية:

وهي علم يقوم على البحث في اشتغال الفكر البشري في سياقات ثقافية مختلفة بما في ذلك من بيئات مادية واجتماعية مخصوصة ومدار البحث فيها « هو التمثلات التي يعيشها البشر في الثقافات المختلفة عن محيطه وعن علاقته به حيث تكون الثقافة نظاما عرفانيا جماعيا له، بسائر النظم الثقافية، علاقات بينة وعلاقات تميز واختلاف، أي بمعنى آخر هي بحث في العلاقة بين الثقافة والذهن ». (الزناد، 2010، صفحة 24).

ومن أبرز الحقائق المسطرة فيها وجود اختلافات ثقافية في الإدراك والذاكرة والاستدلال، ومن أبرز المجالات المدروسة فيها مقولة الأشياء وتيمة الألوان وإدراكها عبر الثقافات ومن تلك المبادئ المسطرة كون الفكر أو الذهن مسيرا ثقافيا ». (الزناد، 2010، صفحة 21).

وتشير هذه المفاهيم أن الإنثروبولوجيا العرفانية مصدرها اشتغال الفكر بما يتميز به من خبرة وتجارب والذي تستشفه من بيئات متعددة، فالثقافة تشكل نظاما عرفانيا في ذهن الفرد من حيث اختلاف مشاربها وتعدد خصائصها.

4.5العلوم العصبية:

وهي علوم تقوم بدراسة العلاقة بين الدماغ وما يحدث داخلها من عمليات عقلية تنتج عنها اللغة، واللغة في حقيقتها عملية عقلية يقوم بها الجهاز العصبي فنحن نصل إلى اللغة عبر الفهم والتصور وهي عمليات عقلية تحدث في المخ، لهذا لو سأل سائل ما علاقة اللغة بالبنية العصبية والجهاز العصبي لقلنا له إن الجهاز العصبي هو الآلة التي تصنع اللغة وتحفظ وتفكر، فاللغة تلقيا وإنتاجا واكتسابا فلا وجود للغة دون وجود الجهاز العصبي. (العطية، 2019، صفحة 142).

5. النظريات اللسانية العرفانية:

قبل التطرق إلى هذه النظريات يجدر بنا أن نخصص مبحثا للسانيات التوليدية التحويلية، باعتبارها تمهيدا لظهور اللسانيات العرفانية - حسب رأينا - وذلك لأنها انطلقت من مبدأ الكفاءة اللغوية، التي هي القدرة على إنتاج عدد لامتناه من الجمل، والمنطلق في ذلك هو الذهن ومرد ذلك إلى المرحلة الأدنوية التي اعتمدت على النحو الأدنوي معجما وحوسبة ذهنية.

ويطرح البرنامج الأدنوي مجموعة من الفرضيات أبرزها: ماذا يعرف الشخص عندما يتكلم بلغة مخصوصة؟ كيف اكتسب هذا الشخص تلك المعرفة؟ كيف يجري هذا الشخص تلك المعرفة في الاستعمال؟ وكيف تطورت خصائص الذهن-الدماغ في علاقتها بالملكة اللغوية على مستوى النوع البشري؟ (الزناد، 2010، صفحة 43)

هذه التساؤلات انجرت عنها مجموعة من المبادئ، أهمها:

- اللغة مولدة بأوصاف بنيوية وهي مكونة من جملة الخصائص الصوتية والإعرابية والدلالية، التي تكون عبارة ما وهذا ما يسمى باللغة المضمرة وهذه اللغة تنطلق من المفهوم المتجذر في الذهن.

- مبدأ النحو الكلي، ومفاده أن المبادئ والقيود التي يوظفها النسق الحاسوبي لصياغة التمثلات اللسانية موحدة في كل اللغات البشرية. (غلفان ، 2010، صفحة 365).

- إن الملكة اللغوية غير حشوية وتتميز بسمة الاقتضاء والبساطة والنجاعة الحاسوبية المتمثلة في تقليص التعقيد الحاسوبي، عبر إخضاع عمليات الحوسبة التركيبية لقيود اقتصادية. (غلفان ، 2010، صفحة 365).

- تعد اللغة في تصور (تشومسكي) نسقا ذا تعميم أمثل؛ لأنها تستجيب للشروط التي تضعها الأنساق الخارجية التي تتماس معها الملكة اللغوية على نحو كامل، ولا يشتغل النسق الحاسوبي الذي يعتبر مكونا مركزيا في نظام الملكة اللغوية سوى العمليات الضرورية، ولا يستعمل في مسارات التمثيل والاشتقاق سوى السمات والرموز التي تحظى بمقروئية، والتي يمكن أن تبلغها الأنساق الوجاهية مقصيا الرموز الزائدة في التمثيل التي لا دور لها في الوجاهين، ومقصيا في الآن نفسه العمليات الحوسبية التي لا تستجيب لقيود الاقتصاد الاشتقاقي. (غلفان ، 2010، صفحة 361)

- يبنى النحو الكوني على القدرة على اكتساب اللغة المضمرة أي عدد من الوسائل التي يجهز بها الذهن فطريا أو وراثيا، ويشتغل منذ بداية التعرض للأقوال والعبارات لاستخلاص النحو من الكلام المسموع في المحيط الاجتماعي، ويفترض وجود آلية اكتساب لغوي عند الطفل بها يتمكن من بناء نحو ذهني يستخلصه من الأقوال الخليط؛ بأن يهتدي إلى البنية الكاملة فيها جميعا ويستنبطها ليستوي فيما نسميه اللغة المضمرة. (الزناد، 2010، صفحة 45).

- إن نظم الملكة اللغوية يقسم إلى قسمين: الأول منهما نظام عرفي يحفظ المعلومات ويخزنها، والثاني عدد من نظم الإنجاز. وتعود هذه النظم إلى المعلومات المحفوظة في النظام العرفي وتستعملها بوجوه متنوعة وهي مخصوصة في قسم منها باللغة ولذلك فهي جزء من الملكة اللغوية. (الزناد، 2010، صفحة 45)

- تتكون اللغة في ظل التصور الأدنوي من مكونين معجم ونظام حوسبي، يوفر المعجم الوحدات التي تدخل النظام الحوسبي وهذا الأخير يستعملها لتوليد العبارات، فالعبارة الواحدة إنما هي عملية اشتقاق تتضمن اختيارا لوحدات معجمية وحوسبة تبني أزواجا في مستوى تمثلات التصاقح منها أزواج صوت –معنى مثلا في مستوى تصاقح الشكل المنطقي والشكل الصوتي. (الزناد، 2010، صفحة 57).

والملاحظ في هذه الخصائص أن لسانيات (تشومسكي) انطلقت فعليا من القدرات والملكات الذهنية التي يتصف بها الفرد من كونه ينطلق من مبادئ ذهنية عامة، وأساس النظرية الأدنوية هو

الكشف عن الخصائص العامة للملكة اللغوية وتدقيق آليات اشتغالها والمبادئ المتحكمة في بنائها. (عابي و ضبعي، 2018، صفحة 131).

بينما تنطلق اللسانيات العرفانية من منطلق التعميم والذي ينص على أن اللغة هي إحدى المكونات التي تسهم في عملية الإبداع، إضافة إلى عناصر أخرى كالإدراك والذاكرة والخيال وغيرها، وهذا يطلق عليه في هذا الحقل: (البنية التصورية) التي هي المحل الذي يتم فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها بما في ذلك الاعتبارات الذريعية والمعرفة الموسوعية، فهي بنية معرفية تلتقي فيها كل عمليات التفكير والتخطيط. (عابي و ضبعي، 2018، صفحة 132).

1.6نظرية النحو المعرفي:

تعتبر هذه النظرية من النظريات العرفانية التي ترفض دراسة الشكل والاقتصار على الوصف والتحليل التي تبنته اللسانيات النسقية، وجوهرها هو كون النحو ملكة تصويرية ونظرية دلالية تقوم على التصور.

وتعود البوادر الأولى في بلورة النحو العرفاني عند (لانقاكر) إلى منتصف التسعينات، وقد نشأ في أرضية لسانية متطورة قائمة على منهج علمي دقيق، يقول (الأزهر الزناد) في هذا الشأن: « لقد مثل الربع الأخير من القرن الماضي فترة زاهرة في الأبحاث اللسانية، إذ استوت اللسانيات مبحثا علميا بين المعالم واضح الحدود ضمن شجرة العلوم وانجذب إليها عدد كبير متزايد من الباحثين في مختلف الاختصاصات بحثوا في الظاهرة اللغوية باعتماد مقاربات عديدة وتقنيات متنوعة، فنتج عن ذلك أن عرفت اللسانيات في تلك الفترة شمولا وامتدادا لا سابق لهما من حيث الإلمام الفعلي باللغات البشرية ومن حيث العمق في تحليل الأبنية اللغوية ». (الزناد، 2010، صفحة 97).

ومع هذا التطور اللساني الواضح انتقد النحو العرفاني مجموعة من النظريات اللسانية التي تقوم على فصل مستويات التحليل اللساني عن بعضها البعض، ويمكن ذكر أهم المسلمات التي يرفضها فيما يلي:

- يرفض النحو العرفاني التصور الذي فصل بمقتضاه عدد من اللغويين بين مختلف المستويات التي تسهم في بناء المعنى وتشكيله، هذا التصور الذي جعل عددا من اللغويين يفصلون بين مستوى بنية الكلمة ومستوى بنية الجملة ومستوى المعجم ومستوى الدلالة إلى غير ذلك من المستويات التي تسهم معا، وفي الآن ذاته في تشكيل المعنى. (بن غربية ، 2010، صفحة 28).

- يرفض النحو العرفاني كذلك المبادئ التي ترى أن دراسة معاني الوحدات والأبنية اللغوية لا تكون إلا بربطها بالعالم الخارجي الذي يعيش فيه المتكلم والسامع، ويؤمن أنصاره بأن المعاني اللغوية ينبغي أن تدرس باعتبارها قائمة على مجموعة من العمليات الذهنية التصورية، لا باعتبارها موافقة أو مخالفة لحقيقة أو لمجموعة من الحقائق القائمة في العالم الخارجي. (بن غربية ، 2010، صفحة 28).

- إنه يدافع عن ضرورة الجمع بين التركيب والدلالة وعدم الفصل بينهما في الدراسة اللغوية، في عصر اعتبر فيه أغلب اللغويين أن التركيب مستوى شكلاني مستقل يمكن دراسته على حده دون الاشتغال بالمعنى.

- يطمح إلى تقديم نظرية موحدة شاملة لمختلف جوانب البنية اللغوية في وقت يدعو فيه أغلب الدارسين إلى بناء نظريات مختصة لدراسة ميادين مستقلة منفصل بعضها عن البعض الآخر. (بن غربية، 2010، صفحة 29).

من خلال هذه المبادئ نلاحظ أن النحو العرفاني يلجأ إلى تفسير الظاهرة اللغوية اعتمادا على الذهن لا على البنية والنسق، معنى ذلك أن أي جملة أو نص أو خطاب ينغمس في ظل عمليات ذهنية عرفانية تتجه إلى السامع لتأويلها ومعرفة مجراها.

ويضيف (الأزهر الزناد) خاصية من خصائص النحو العرفاني؛ حيث يقول: « اللغة ليست نظاما مكتفيا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفانية ولا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفانية، فاللغة جزء لا ينفصل عن العرفنة البشرية، ومن المفروض على كل تفسير لساني أن يكون ملائما لما هو معلوم ثابت في المعالجة العرفانية العامة ملتزما به، فالملكة اللغوية مركوزة في المولدة النفسية العامة، وهي تمثل تطورا واستمرارا لأبنية ذهنية عرفانية عامة تحتوي نظاما لغويا مخصوصا أثناء الاكتساب وأثناء توظيفها في التواصل اليومي ». (الزناد، 2010، الصفحات 98-99).

معنى ذلك أن الملكة اللغوية ناتجة عن مستويات ذهنية عدة لا تقبل الانفصال، والشيء نفسه بالنسبة إلى البنى النحوية « فهي لا تكون نظاما شكليا مستقلا بنفسه وإنما هي من بنى رمزية تخدم المضامين المفهومية من حيث تشكلها وترمز إليها، والمعجم والصرف والإعراب يمثل جميعها استرسالا من الوحدات الرمزية، وما الفصل بينها إلا فصل اعتباطي فتحليل الوحدات النحوية دون اعتبار الدلالة هو بمثابة وضع قاموس دون إثبات معاني الكلمات ». (الزناد، 2010، صفحة 99).

2.6نظرية الاستعارة المفهومية:

من المعلوم أن الاستعارة في مفهومها الكلاسيكي هي عملية استبدال معنى حرفي بمعنى مجازي؛ معنى ذلك أنها تقتصر على كونها وظيفة جمالية يتم بواسطتها زخرفة المعاني وتوضيحها في مجال اللغة لا غير.

ومع تطور الفكر اللساني في إطاره العرفاني أصبحت الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، وتمثل نسقا تصوريا ينتقل من مجال مصدر إلى مجال هدف.

وتجسدت هذه النظرية في كتاب: (الاستعارات التي نحيا بها) لـــ: (جورج لا يكوف ومارك جونسون) اللذين أحدثا ثورة كبرى في رؤيتهما للاستعارة، يقول (عبد الله الخراصي) في هذا الشأن: «الذي لم يتوقعه أحد هو أن يقود هذا الكتاب إلى توجه فلسفي يقوم على أساس مفهوم التجسيد أي الدور الأساسي للجسد والمادة عموما في تشكيل كثير من رؤانا في جوانب حياتنا البشرية بل هو الأخطر في تشكيل أنماط التفكير غير المادي كالفكر الفلسفي الذي يمثل خلاصة صفاء التفكير البشري المجرد ». (الخراصي ، 2002، صفحة 11).

وتقوم نظرية الاستعارة المفهومية أو التصورية على عدة مبادئ نحاول أن نستمدها من خلال كتاب الاستعارات التي نحيا بها والفلسفة في الجسد:

- تبنى الاستعارة المفهومية على النسق التصوري والاستعارة كائنة في الفكر البشري ومتجذرة فيه والنسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكا له طبيعة استعارية بالأساس والتصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرف فهي تتحكم أيضا في سلوكاتنا اليومية بكل تفاصيلها وتصوراتنا تبنين ما ندركه وتبنين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، كما تبنين كيفية ارتباطنا بالناس. (لايكوف و جونسون، 2016، صفحة 21).

- الاستعارة المفهومية جزء من النظام العرفي ولذلك سميت بهذا الاسم حيث تمثل أداة مفهمة وتمثيل وتصور يضم كل مظاهر الفكر، بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتصلة بالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والعلاقات والأحداث، وهي بذلك إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي. (الزناد، 2010، صفحة 142).

- الاستعارة المفهومية هي إسقاط لتفكيرنا حيث يسمح الإنتاج الحسي الحركي ببناء التصورات المجردة والتفكير المجرد، كما أنها تتيح لنا أن نقوم بالإسقاط على ما يتجاوز نطاق تجربتنا ذات المستوى القاعدي ونجعل العلم ممكنا وكل أشكال التفكير النظري. (لايكوف و جونسون، 2016، صفحة 721).

- الاستعارة المفهومية تقوم على بنية تصورية تجسيدية معنى ذلك « أن طبيعة تصوراتنا الإنسانية هي نتاج طبيعتنا الجسدية بما فيها تكويننا التشريحي، مثال ذلك أننا نتصور في أذهاننا نمط الأعلى أفضل من الأسفل الذي ينبثق منه صور استعارية مثل يعلو قدره، يعلو الحق، الهمة العالية، فإننا بهذه التصورات نستمدها من تجربتنا الجسدية حيث كنا صغارا ننظر إلى من هم أطول منا، ولأن هؤلاء الأطوال هم بالتأكيد أقدر منا على فعل ما لا نستطيع فعله فقد ترسخت في تصورنا علاقة بين العلو والقدرة ولأن القدرة منيرة فقد دخل الطول في منظومة الظلمة ». (محسب، 2017، صفحة 159).

- الاستعارة تمثيل لمجال على أساس مجال آخر وقوام هذا المبدأ أننا نتمثل مجالا على أساس مجال آخر يتوسط علاقات الإسقاط المفهومي، فالاستعارة لا يقتصر موقعها على اللغة فقط، إنما تكون بها مجالا ذهنيا ما وفق مجال آخر ولا تقوم الاستعارة على المشابهة بل تقوم «بتحويل التنافر بين الأشياء إلى تشابه وتطابق عن طريق حل لغز التنافر بالتقاط نقطة الالتقاء بين المتنافرين والمتباعدين وذلك بفرز السمات الانتقائية في كلا الشيئين والتقاط من بين تلك السمات ما يجعلهما متقاربين يمكن أن يحل بعضها مكان البعض». (عطية، دت، صفحة 12). ولنا في ذلك أمثلة كثيرة من قبيل: استعارة الحرب جدال والحياة رحلة، وغيرها ...

- إن علاقة المشابهة التي تقوم عليها الاستعارة إبداعية، ولا ترتكز على السمات المشتركة بين المستعار منه والمستعار له وإنما تعتمد على التوافق في التجربة والإحساس. (محسب، 2017، صفحة 266) والوظيفة الأساسية للاستعارة هي الإفهام وتقديم المعرفة وليس التزيين والزخرفة.

وعلى ضوء هذه المبادئ تتشكل الاستعارة وفق تصور معرفي مصدره الفهم، وهو نابع من تصورات حسية متجذرة في تجربتنا وثقافتنا، ورهينة لمجالين يعتمد عليها في التأسيس والفهم شأنهما شأن الدال والمدلول الذي ينطلق من فهم الصورة السمعية والتحويل إلى الصورة الذهنية.

6. الخاتمة:

بعد كل ما سبق نستخلص مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

- اللسانيات العرفانية مركزها تلك العمليات الذهنية التي تحدث وفق بنية تصورية تتقاطع فيها مجموعة من العلوم المعرفية التي اعتمدت على هذا الأساس بالذات.
- لقد انبثقت عن التيار اللساني العرفاني عدة اتجاهات ومبادئ ونظريات حولت مسار اللغة من نظام نسقي إلى توجه معرفي مصدره التجربة والثقافة.
- النظريات اللسانية العرفانية اعتمدت على مبدأي التعميم والالتزام العرفاني مما جعل الظواهر اللغوية أو النظام اللغوي كلا متكاملا لا يتجزأ ولا ينفصل عن الفكر.
- تعد الدلالة والتركيب عنصرين مهمين في نظرية النحو العرفاني فهما لا ينفصلان.
- تشكل الاستعارة التصورية أو المفهومية بعدا معرفيا جديدا في التيار اللساني العرفاني، تصوراتنا وأنظمتنا قائمة على الاستعارة التي تشكل جزءا من تجاربنا وخبراتنا.
- يمكن تطبيق نظرية الاستعارة التصورية على النصوص الأدبية كمقاربة عرفانية تسعى لبيان قيمتها في سريان مضامين النصوص.

7. قائمة المراجع:

عطية سليمان أحمد. (دت). *الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية*.

إبراهيم مصطفى وآخرون. (1972). *المعجم الوسيط*. مجمع اللغة العربية. القاهرة.
الزناد الأزهر. (2010). *نظريات لسانية عرفانية*. منشورات الاختلاف. الجزائر.
الزبيدي مرتضى (د ت) . تاج العروس. دار الفكر. بيروت.
قريرة توفيق. (2011). *الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية* مطبعة التسفير الفني.صفاقس.
لايكوف جورج، وجونسون مارك. (2016). *الفلسفة في الجسد*. (عبد الحميد جحفة، المترجمون). دار الكتاب المتحدة. بيروت
زياد حمدان محمد. (1986). *الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم*. دار التربية الحديثة.الأردن.
الخويسي زين كامل. (2008). *المهارات اللغوية*. دار المعرفة الجامعية.القاهرة.
عطية سليمان أحمد. (2019). *اللسانيات العصبية*. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي. القاهرة.
بن غربية عبد الجبار. (2010). *مدخل إلى النحو العرفاني*. مكتبة الآداب والفنون والإنسانيات.منوبة. تونس.
طعمة عبد الرحمان. (2017). *البناء العصبي للغة*. دار كنوز المعرفة.الأردن.
طعمة عبد الرحمن وآخرون. (2019). *دراسات في اللسانيات العرفانية*. مركز الملك عبد الله. الرياض.
عابي عبد السلام، و ضبعي النذير. (21 06، 2018). من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية. *مجلة اللسانيات ، 24* (01)، الصفحات 121-137.
الخراصي عبد الله. (2002). *دراسات في الاستعارة المفهومية*.مؤسسة عمان للصحافة والإعلان. الأردن.
عماري عز الدين. (20 11، 2019). مفاهيم لسانية عرفانية. *مجلة العمدة ، 3* (4)، الصفحات 62-75.
لايكوف جورج، وجونسون مارك. (2009). *الاستعارات التي نحيا بها*. (عبد الحميد جحفة، المترجمون) دار توبقال للنشر.الدار البيضاء.
غاليم محمد. (1987). *التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم*. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.
محسب محي الدين. (2017). *الإدراكيات أبعاد البستمولوجية وجهات تطبيقية*. دار كنوز المعرفة. الأردن.
غلفان مصطفى. (2010). *اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي*. عالم الكتاب الحديث. الأردن.
جيرالد هوشر. (2014). *سلطة الصورة الذهنية*. مركز الدراسات والبحوث.بيروت.

حوار الأقليات المسلمة مع الغرب- الأهداف والنتائج المبتغاة-

- Dialogue of Muslim Minorities with the West - Objectives and Desired Results

د.فارح رضوان (جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس-سايس- المغرب)
أستاذ بوزارة التربية الوطنية والتعليم العالي بالمغرب
الإيميل:farih-doctorat@hotmail.com

ملخص:
التفاعل الإيجابي بين الأقليات المسلمة والمجتمع الغربي من منطلق التأثير والتأثر الذي لا يؤثر على الهوية الذاتية والثقافة الإسلامية بقيمها وعاداتها وتقاليدها، هوموقف يغترف من محاسن الثقافات الأخرى وما تحمله من قيم كونية وإنسانية، إلا أن خيط الفرق بين هذا الموقف وموقف التبعية هو أن الأقليات الإسلامية يجب أن تكون فاعلة ومؤثرة في الثقافات الأخرى وفي الحوار الحضاري، وذلك لا يتأتى إلا بامتلاك كيان فكري وثقافي متماسك من الناحية العقدية، ومن الناحية الخلقية، وكذا اكتساب منهج علمي يحدد منطلقات كل حوار ويرسم آفاقه وغايته، فلكي يبقى وجود الأقليات المسلمة بشكل دائم في المجتمعات الغربية فإن ذلك رهين بمدى نجاعة المسلمين في التفاعل الحضاري، والكيفية التي يتفاعلون بها هي التي تحدد المكانة والقيمة لهم، وعليه فإن الأقليات المسلمة مطالبة بتحسين حضورها الحضاري بالسلوك الحسن، والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية الفعالة، والمشاركة السياسية المستمرة، والإنتاج الثقافي الهادف والتوجيه التربوي الوسطي.

الكلمات الدالة: الأقليات المسلمة، المجتمع الغربي، الحوار الحضاري، أهداف الحوار

Abstract
The positive interaction between Muslim minorities and Western society in terms of influence and influence that does not affect the self-identity and Islamic culture with its values, customs and traditions, is an attitude that cherishes the advantages of other cultures and the universal and human values they carry. To be effective and influential in other cultures and in civilized dialogue, and this can only be achieved by possessing a coherent intellectual and cultural entity from the doctrinal and moral aspect, as well as acquiring a scientific method that defines the premises of each dialogue and outlines its horizons and purpose, so that the presence of Muslim minorities remains permanently in Western societies This depends on the extent of the efficiency of Muslims in civilized interaction, and the way in which they interact determines their status and value. Therefore, Muslim minorities are required to improve their civilizational presence through good behavior, effective social and economic transactions, continuous political participation, meaningful cultural production and moderate educational guidance.

Keywords: Muslim minorities, Western society, civilized dialogue, dialogue goals.

مقدمة:

تختلف الأقليات الدينية داخل مجتمع ما اختلافا متباينا من حيث عددها، وإمكاناتها وتطلعاتها، ومدى قدرتها على التأثير في المجتمعات التي تعيش فيها، والحال هنا ينطبق على الأقليات المسلمة فقدرتها على التأثير داخل مجتمع ما يختلف من دولة لأخرى ومن مجتمع لآخر، ومما لا شك فيه أن التواصل الحضاري بين الأقليات المسلمة في بلاد المهجر يتم يوميا على الصعيد الفكري والأدبي والاقتصادي والسياسي والديني، كوسيلة للتفاعل الحضاري المبني على لغة العلاقات وعلى مبدإ التعاون المشترك، إلا أنه مع الأحداث المتقلبة التي يعيشها العالم وخصوصا العالم العربي والإسلامي من حروب ومآسي، وكذا انتشار الإرهاب والتطرف، أضحت تشكل عقبة وراء اندماج الأقليات المسلمة داخل المجتمعات الغربية، وعائقا يحول ضد فاعليتها في الحوار الحضاري .

لكن في ظل تصاعد التحديات التي تواجهها الأقليات المسلمة داخل المجتمعات الغربية في كافة المجالات، يبقى السبيل لتجاوزها طرق باب الحوار حتى لا ينقطع الاتصال والتواصل، وحتى نتفادى الأقليات مزالق الانفلات الحواري لا بد من وضع أهداف أساسية ونتائج مبتغاة فلا يكون الحوار مثل سحابة مرت بغير مطر، ويمكن مناقشتها فيما يلي:

- **إظهار سنة الاختلاف الكونية**

الواقع الإنساني يشهد على التعدد والتنوع والاختلاف الهوياتي والعرقي واللغوي والديني، إلا أن هذا الاختلاف لم يمنع الأفراد والجماعات من التواصل، فقد عرفت البشرية على مر السنين تكوين علاقات تجارية ربطت بين الحدود الجغرافية، ومع التقدم التكنولوجي اتسعت دائرة التواصل لتجعل العالم والمجتمعات البشرية قرية صغيرة، حيث أصبح من السهل التعرف على مختلف ثقافات العالم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية :13)، فالمقصد من التنوع والاختلاف هو التعارف وتبادل الأفكار والقيم الإنسانية الأخلاقية وتزكيتها واحترامها بغض النظر عن الجنس واللون واللغة والدين والعادات والتقاليد.

على هذا الأساس فإن الحوار بين الأقليات المسلمة والمجتمعات الغربية ينبغي أن يدعو إلى احترام الاختلاف والتعدد، فالاختلاف في الدين لا يلغي وحدة القيم الإنسانية بين البشر ونلاحظ اليوم إقبالا كبيرا على الحوار بين مختلف الثقافات والأديان، إذ تكاد لا تخلو دولة من المجتمعات الغربية من عقد مؤتمرات وندوات في هذا الإطار، أو أنها تقوم بتأسيس هيآت ومراكز تنشط في هذ المجال، وعليه فإن ثقافة الحوار بين المجتمعات الغربية والأقليات المسلمة تقوم أساسا على قناعة مفادها أن اختلاف

التصورات من طرف كلا الجانبين مبني على عدم التعصب واحترام آراء الآخرين، وحتى يتسنى لنا تدليل صعوبة تقبل الاختلاف الثقافي يمكن تقديم بعض المقترحات :

تجنب استعمال الألقاب والمصطلحات التي تكرس الكراهية للآخر، ومن ضمن هذه المصطلحات: وصف دين الأقليات المسلمة بالإرهاب، أو أن ثقافة المسلمين ثقافة عنف وقتل وعلى العكس من ذلك، فعلى الأقليات المسلمة تفادي أوصاف التكفير من قبيل نعت الآخر بالكفار وأهل جهنم، فالمسلمون في المجتمعات الغربية ملزمون بتفادي زلات اللسان، حتى لا تهوي بالحوار إلى جدل عقيم يستثير الفتن والمشكلات، لأن مثل هذا السلوك لا يدعو سوى إلى الكراهية ونبذ الاختلاف .

- تجنب الإساءة للمقدسات والرموز التاريخية والمناسبات الدينية واعتبارها خصوصيات ثقافية.

- الانفتاح على مشاريع التعدد الثقافي ذات البعد الإنساني من خلال تيسير الوصول إلى المناسبات الثقافية، والمعارض والمسابقات والأسابيع والأيام الثقافية.

يقول جورج ليونارد كاري كبير أساقفة كانتري بيري ببريطانيا " الأقليات المسلمة في الغرب تطالب بحقها في ممارسة شعائر عقيدتها بحرية، وأن يكون لها الحق في بناء المساجد وتنشئة أطفالها تبعا لتعاليم الإسلام، وبالمثل تصلني نداءات من الأقليات المسيحية في أجزاء عديدة من العالم تطالب بحريتها الكاملة، وأعتقد أن مصر بتقاليدها العريقة التي تعود لقرون طويلة من الترحاب والتعايش المشترك بين الكنيسة القبطية القديمة وجيرانها من الأغلبية المسلمة تضرب مثلا مثيرا للإعجاب وجديرا بالأخذ في الاعتبار " (وجيه، 2008م، ص:49)، فللغرب القدوة الحسنة في العرب والمسلمين فالتاريخ يشهد لبلاد المسلمين احتواءها للأقليات الدينية واعترافها بسنة الاختلاف قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (سورة المائدة، الآية :48).

إن الهدف من الحوار الثقافي بين الأقليات المسلمة والغرب تأكيد حق الاختلاف، وذلك لضمان المشاركة في مختلف مجالات الحياة والتمتع بالحقوق والحريات، فالتميز هو بحد ذاته إضافة للمجتمع ولايمكن اعتباره جريمة، بل الاختلاف هو تكريس للممارسة الديموقراطية في المجتمعات الغربية، والقول بأن الأقليات المسلمة هي أقلية لا تؤثر في مراكز القرار كمعطى ثابت لا يعني ممارسة الاضطهاد ضدها .

- **معالجة خلل التصور الغربي للإسلام**

يعتبر سوء الفهم للإسلام من قبل الكثيرين في المجتمعات الغربية منتشرا بكثرة نتيجة التضليل الإعلامي والأدبي الذي يقدم بلاد المسلمين على أنها بلدان إرهاب وعنف وتسلط وفقر واقتتال لاسيما في العقود

الأخيرة، أو نتيجة للممارسات الدينية المتطرفة من قبل بعض المسلمين، أو عدم مسايرة القيم الإسلامية الأخلاقية مع القيم الغربية الحديثة من وجهة نظر أخرى.

من أجل معالجة هذا الخلل لا بد من سلوك طريق الحوار من كلا الطرفين، فما يجب على الأقليات المسلمة فعله هو التعريف بوسطية الإسلام واعتداله ودعوته إلى التعايش والسلم والانفتاح على الآخر بغض النظر عن الجنس والثقافة والدين، ولعل أنجع الوسائل والطرق لإيصال القيم الإسلامية تتمثل في السلوك اليومي للمسلمين وتعاملاتهم مع غيرهم من غير المسلمين داخل المجتمعات الغربية، وكذا من خلال تنظيم ندوات دولية من أجل محاربة التيارات المتطرفة التي تحاول نشر العداء الجماهيري ضد المسلمين.

من جانب آخر فلا يخفى أن الكراهية الدينية موجودة في المجتمعات الغربية كما هي موجودة في المجتمعات الأخرى، لكن الإشكال في كيفية تعامل المجتمع الغربي مع هذه الظاهرة وهنا تقع المسؤولية على المثقفين الغربيين وأهل الرأي والفكر في تثقيف شعوبهم بأهمية التنوع الثقافي والحريات الدينية التي تعتبر حقوقا غير مشروطة، فلا مبرر أن يتوجس الغرب من الممارسات الدينية للأقليات المسلمة أو اعتبارها مصدرا للقلق والخوف، وإنما المبرر الوحيد هو وجود مشكلة فكرية ومجتمعية في البلدان الغربية، يقول أحد المفكرين الغربيين في معرض حديثه عن عبارة " فاشية إسلامية " :" فبركة مفاهيم جديدة، هي خيانة جديدة يرتكبها المثقفون فبدلا من أن يساعدوا المواطن على التفكير في ظواهر معقدة، يعملون على تبسيطها إلى أقصى حد، ويمدون الرأي العام بمواد مشوهة وسامة فكريا ويفبركون الخِدع الأيديولوجية " (بونيفال، 2013م، ص:51)، كما أن المشكلة تتجسد خصوصا في توجيه النظام التعليمي، حيث قامت إحدى الباحثات بتحليل الكتب المدرسية الغربية وخصوصا الفرنسية فوجدت أن جل الكتب تكون صورة سلبية عن العرب والمسلمين نتيجة الإيمان بفكرة الاستعلاء الحضاري والأفضلية الحضارية وتغييب الجانب الإيجابي للعرب والمسلمين، وخلصت إلى أنه " في كتب التاريخ – حتى تتغير صورة العرب المشوبة بكثير من القوالب – تخصيص مكان أكبر للعلاقات غير التنازعية بين فرنسا والغرب من ناحية والعالم العربي والإسلامي من ناحية أخرى: مكان أكبر للمبادلات في أوقات السلم ومكان أضيق لروايات المجابهة، وفي الحلقات التي تسودها المجابهة فإن الوسيلة الوحيدة للتخفيف من غلو النزعة القومية المتمركزة على الذات، هي في إدراج وجهة نظر العدو التاريخي العرب والمسلمين وذلك بتقديم الوثيقة ذات الأصل العربي أو عرض وجهة النظر هذه في الخطاب الوارد في النص الرئيسي...لن يتحقق تغيير إيجابي في صورة العرب في الكتب المدرسية إلا بإدراج النظرتين المتعارضتين في قصص المجابهة : النظرة القومية مع تنويعاتها ويكتبها مؤلفو الكتب، ووجهة أو وجهات نظر الخصم القومي التي يقدمها مؤلفو الكتب، إن المثقفين سيكتسبون عندئذ قدرة أكبر على فهم وتقييم العلاقات بين الشعوب والثقافات بفضل تنوع وجهات النظر والمصادر المقدمة لهم" (مارلين، 2005م، ص:75).

معالجة التصورات الغربية للإسلام تقتضي بالأساس معالجة تصور العقل الغربي الذي ينطلق من أسس إيديولوجية وفكرية واقتصادية، وبالتالي فحوار الأقليات مع الغرب يقتضي الكشف عن المناهج المنحرفة والمسيئة للإسلام، ولفت أنظار المؤسسات التربوية والثقافية وكذا مراكز التأثير والقرار لضرورة تعديلها، بطبيعة الحال ليست المسألة بتلك البساطة التي تأملها الأقليات المسلمة، أو أن الغرب سوف يغير من نظرته بين ليلة أو ضحاها، ولكن الحاجة إلى تطوير خطاب إعلامي حواري نقدي وموضوعي لمواجهة التغطية الإعلامية السلبية يعد استراتيجية فعالة على اعتبار الأقليات المسلمة الأكثر فهما لطبيعة المجتمع الغربي والأدرى بأساليب مخاطبته .

- **الدفاع عن الخصوصيات الثقافية الإسلامية – اللغة كمكون ثقافي-**

من أولى الخطوات التي ينبغي تحقيقها في الحوار مع المجتمعات الغربية الدفاع عن الخصوصيات الثقافية التي لها ارتباط مباشر بالهوية، ويمكن أن نحدد هذه الخصوصيات فيما يلي:

اللغة العربية والدين الإسلامي: من أكثر المخاوف التي تعاني منها الأقليات المسلمة وخصوصا الأقليات المسلمة العربية مشاهدة الجيل الجديد من أبنائها يتخلون رويدا رويدا عن لغتهم الأم إما عن جهل أو دون إدراك بسبب اهتمام الآباء بتعليم أولادهم اللغات الأجنبية وإهمال اللغة العربية، أو لأسباب تعذر تعلم اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الغربية، وبسبب اللغة تبرز مشكلة تدريس الدين الإسلامي في الجمعيات والمدارس الخصوصية الإسلامية فبالأحرى المدارس الحكومية الغربية التي تمنع العديد منها في بعض الدول التعليم الديني كبلغاريا ورومانيا وفرنسا، وبالتالي فإن تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية يقتصر فقط على الآباء الذين بدورهم يعانون من ضآلة المعلومات والمعارف الدينية.

إن مهمة الدفاع عن هذه الخصوصية مهمة جسيمة ينبغي استحضارها عند كل تفاعل حضاري وثقافي " فالتفاعل بين الحضارات والثقافات هو عملية جدلية متناقضة ومتداخلة فيها الجوانب الإيجابية التي يفترض تمثلها، والجوانب السلبية وضرورة العمل على تفاديها قدر الإمكان" (حمدان، 2005م، ص:75)، فما يحصل للأقليات المسلمة في مجتمع متعدد الثقافات اليوم هو عملية تفاعل حيوية، وإذا أخذنا قضية اللغة كمكون ثقافي يعكس الهوية، فهي مسألة شغلت الأقليات المسلمة لفترة طويلة بحكم عروبتها وإسلامها، ومن هنا تبرز الأهمية الكبيرة لمؤسسات الجالية العربية والمسلمة وقادتها ونخبها في الدفاع عن هذه الخصوصية وإقرارها .

يقول أحد المفكرين العرب المسيحين في معرض حديثه عن الهوية العربية للمسيحين في استراليا :"اجتهاديا، نقول بأن التركيز على اللغة العربية هنا لا يمكن حصره كما يحاول البعض في تسهيل التخاطب فقط بين الأجيال المختلفة ... ، باعتقادنا أن الموضوع أعمق من ذلك بكثير فاللغة، وهنا على وجه التحديد في خطاب الكنيسة وفي الحياة الاجتماعية أداة رئيسية للتواصل الثقافي، وتوارث العادات

والتقاليد والتاريخ المشترك، أي ببساطة محاولة إعادة إنتاج الروابط الاجتماعية العامة بين الأجيال وبالأخص، في مجالنا هنا، حضور الكنيسة المارونية في أوساط الأجيال الجديدة على وجه التحديد " (حمدان، 2005م، ص:80)، ، فما ينطبق على المسيحيين العرب في استراليا ينطبق على المسلمين العرب في المجتمعات الغربية ككل، فاللغة العربية لغة القرآن ولغة لا محيد عنها لفهم الدين الإسلامي فهما سليما بعيدا عن التأويلات والاجتهادات الشاذة، قال تعالى:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة فصلت، الآية :2) ، وقد اختار الله لهذا الدين الإسلامي أن ينزل باللغة العربية، وهذا يعني صلاحيتها لأن تكون لغة البشرية جمعاء، قال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشعراء، ص :195) . وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل، الآية :103.)، فلما وصفها الله بالبيان عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنها خصوصًا حين ناط الله بها كلامه المنزّل، قال تعالى :﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف، الآية :3)، فواجب الأقليات المسلمة تجاه هذا المكون الثقافي والمرتبط بالهوية العمل على ضمان تمكين تدريس اللغة العربية في أوساطهم بشتى السبل والطرق لاسيما في الأوضاع التي يعيشها العالم وخصوصا قضايا التطرف الديني .

من جانب آخر فالخوف من اللغة العربية ومن تدريسها في المدارس العمومية هو تخوف غير مبرر من طرف المؤسسات الحكومية الغربية، فاللغة العربية كما يقول المستشرق الأمريكي ومدير مدرسة المباحث الشرقية الأمريكية في القدس وليم ورل : " اللغة العربية لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي، وللغة العربية لين ومرونة يمكانها من التكيف وفقا لمقتضيات هذا العصر " (الجندي، دت، ص:27-28).

وعن رأي سردنسون روس : " العربية لغة القرآن والحديث وتأثيرها في العالم الإسلامي حق لا ريب فيه، ليس ثمة دين عالمي آخر قامت فيه اللغة الأصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن الخطير كما هو في الإسلام ... ، من أجل ذلك كان لزاما على من يتقبل الإسلام أن يتقبل معه اللغة العربية تلك اللغة التي نزل بها القرآن " (الجندي، دت، ص:30-31).

طبقا لما ذكر، فالمسلمون في بلاد الغرب لا يمكن أن يحافظوا أو يستعيدوا هويتهم الإسلامية وانتماءهم القرآني إلا بالمحافظة على مقومات ومكونات هويتهم الحضارية، ومن بين هاته المقومات اللغة العربية فهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بعقيدتهم وهويتهم وشخصيتهم، لذا فالاهتمام بها علما وتعلما لا غنى عنه.

- **تحقيق الاندماج الثقافي في ظل الحضارة الإنسانية المشتركة**

من أهداف الحوار الحضاري بين الأقليات المسلمة والمجتمعات الغربية الدعوة إلى تحقيق الاندماج الثقافي في مجتمع متعدد الثقافات وفي ظل حضارة إنسانية مشتركة، فطلب الحوار عام لكن يبقى توخي الخير منه مطلبا خاصا، ونعني بالاندماج الثقافي التعددية الثقافية التي تعبر عن "الكيفية التي ينبغي بموجبها بناء التضامن السياسي والاجتماعي في مجتمع متنوع ثقافيا، بحيث يتم فيه احترام مكونات هذا التنوع والتكيف معها، ومن ثم فإن واجب الحكومات هنا يتجسد في الاعتراف بالتنوع الإثني الثقافي المتزايد والتكيف معه من خلال العمل بقيم الديموقراطية الليبرالية والاندماج المؤسساتي اللغوي، وليس عن طريق ممارسة الإكراه والقسر تجاه الأقليات الثقافية " (علي مجيد،2010م ،ص:259).

إن الاندماج الثقافي مطلب أساسي ينبغي أن تنخرط فيه كل مكونات المجتمع من أجل ضمان حياة مشتركة ناجحة على كافة المستويات، اندماج يسوده مبدأ الاحترام المتبادل والتسامح لاسيما في الفضاءات العامة ووفق الإطار الديموقراطي، وهذا لن يتحقق إلا من خلال مبادرات جادة من المؤسسات الممثلة للأقليات المسلمة وكذا المؤسسات الغربية .

ويعد الاندماج الثقافي نقلة نوعية صعبة بين النظرية والتطبيق، ونعني بالنظرية الرؤية الثقافية وما تحمله من قيم ومثل، أما التطبيق فهو الممارسة الثقافية على أرض الواقع، فكلاهما متغير ومتطور إما بالسلب أو الإيجاب، نتيجة تطور الأقليات المسلمة وعلاقتها بالآخر ونتيجة تطور البلدان المستقبلة والظروف المحيطة بها والمؤثرة على ممارساتها توافقا أو ضغوطا، فمستقبل الاندماج الثقافي للأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية مرتبط بتطور هذه المعادلة بشقيها القيمي والفكري من جهة، والسلوكي والإنتاجي من جهة أخرى.

إن التنوع الثقافي في ظل الوحدة الإنسانية يحكم على البشر بالتعايش الثقافي، و"يعمق مفهوم التثاقف لدرجة أصبح معها عنصرا رئيسا من عناصر المجتمع الدولي المتحضّر، وإن تنوع الثقافات ضرورة اجتماعية تاريخية، وضمان للنهوض، كما أن ارتقاء حياة الإنسانية في شتى المجتمعات، وعلى مدى التاريخ، رهين بتنوع الثقافات وتفاعلها، وبتباين الرؤى، وباختلاف الآراء ، وبتوافر آلية اجتماعية تكفل التفاعل الإيجابي الحر" (كاريذرس، 1998م، ص:7).

الاندماج الثقافي كهدف مبتغى من عملية الحوار بين الأقليات المسلمة والغرب هو بحد ذاته اتجاه نحو شراكة حضارية تحتّم على ثقافة الأقليات المسلمة أن تتجانس في مضامينها وأن تتكامل في الرؤى والتصورات من منطلق الهوية الإسلامية ذات المقاصد النبيلة، حتى تتمكن من مواجهة المنافسة الثقافية الغربية من موقع الندية لا من موقع التبعية، لأن "المسلمين في الغرب إذا ما أرادوا أن يكونوا في مستقبلهم بهذه البلاد شركاء في مسيرة التحضّر للمجتمع الذي يعيشون فيه، فإنهم عليهم أن يعدوا لتلك

الشراكة مقتضياتها متمثلة في طرفي الأخذ والعطاء كما هي حال الشراكة في كل مجالات الحياة، فالأخذ باستيعاب الكسب الحضاري الغربي في وجوهه العلمية والتقنية والإدارية، والعطاء بالإسهام في إنجاز ذات ذلك الكسب بعد استيعابه، والأهم من ذلك بتبليغ ما يتوفر عليه دينهم من قيم روحية واجتماعية وأخلاقية تبليغا يصل إلى العقول والقلوب فيؤثر فيها، خاصة وهي مستعدة لتقبّلها بحكم ما تعانيه من أزمات متعددة الجوانب بسبب فقر فيها، فهو إذن عطاء قيّم في ذاته، قيّم في حاجة الحضارة الغربية إليه" (النجار، 2004م، ص:34-35).

إن الهدف من الحوار الحضاري محاولة تسهيل تكيف المواطنين الغربيين مع الأقليات المسلمة من جهة، وكذا مساعدة الأقليات المسلمة على التكيف مع بلدان الإقامة من جهة أخرى، عن طريق تنمية التواصل الاجتماعي والثقافي الملائم بينهما وبين السلطات المحلية والمركزية .

- **تحقيق القيم الإنسانية المشتركة**

قد تختلف الثقافات لكن لا أحد منا يختلف في القيم الإنسانية المشتركة بين مختلف الحضارات ومختلف الأجناس، ذلك أن القيم الإنسانية هي مجموع القواعد المؤسسة للمنظومة الأخلاقية المتكاملة التي تؤكدها الديانات السماوية والوضعية، بل حتى الفكر اللائكي ولا تنكرها النفوس السليمة، فالقيم الإنسانية مثل: الصدق والأمانة والتسامح والمساواة والعدل والكرامة، والتعاون والخير ...، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ليست قيما يتميز بها جنس بشري عن آخر أو حضارة عن حضارة أخرى، وإنما هي قيم يطالب بها المسلم والمسيحي واليهودي والبوذي والمجوسي واللائكي والعربي والأمازيغي والأوربي والأمريكي والهندي والروسي وغير ذلك من الأجناس البشرية المختلفة .

من هذا المنطلق فالمشاكل التي تعيشها الأقليات بصفة عامة، والأقليات المسلمة بصفة خاصة في المجتمعات الغربية هي مشاكل ناتجة عن تغييب القيم الإنسانية وعدم الإعلاء من شأنها، ومن ثم فإن من أهداف الحوار الحضاري بين الأقليات المسلمة والمجتمعات الغربية محاولة إحياء هذه القيم المشتركة والعمل على تحقيقها وزرع بذورها في الأجيال الحالية واللاحقة وتعميمها من خلال الأنشطة التي تستهدف الشباب والأطفال والشيوخ والتي تصب في دائرة التثقيف العام داعية إلى التعاون والتسامح والاحترام .

إن الهدف من إحياء القيم الإنسانية إحياء الضمير الإنساني وتفهم مشاعر الآخر وفهمه من أجل تحسين صفاتنا النفسية والعاطفية تجاه الذات وتجاه الآخر، يقول أحد المفكرين الفرنسيين المناصرين للوجود الإسلامي في الغرب في معرض حديثه عن السبب في تأليفه كتاب "من أجل المسلمين" "أنه دعوة إلى قضايا مشتركة إلى هبّة المجتمع لكي تكون الجمهورية كلها للجميع، إلى السير في طريق التقمص الوجداني للآخر، حيث حين نسير نحو الآخر فإننا نجد ذواتنا، دعوة إلى البحث مجتمعين عن هذا الأفق

الديموقراطي والاجتماعي، قادر وحده على طرد الزوابع والعواطف التي تهددنا، دعوة إلى الاتحاد والارتقاء مجتمعين نحو مطلب المساواة، المساواة في الحقوق وفي الممكنات، التي تريد الهواجس الهويّاتية تدميرها تاركة المجال لدمار التفاوتات والتراتبيات والإقصاءات" (بيلينل،2015م ، ص:141-142).

الحوار حول القيم الإنسانية بين الأقليات المسلمة والمجتمعات الغربية هو حوار إشعاعي يبدد غياهب الظلام الفكري الذي يرخي بظلاله على العقول الفتية وما تتخذه من مواقف حيال هذا العالم المضطرب، فهو يشكل الأرضية الضرورية للنجاح في إطلاق مبادرات إنسانية من أجل بلورة سياسات تعاون مشتركة على جميع المستويات الدينية والاقتصادية والاجتماعية، كما أن تحقيق القيم الإنسانية المشتركة مسؤولية كل مثقف عاقل مسلم أو غير مسلم، سواء في الكتابات العلمية أو المعاملات اليومية "إن الناس يعيشون بفضل العلاقات والثقافات القائمة بينهم حياة وجدانية وفكرية، والثقافة التي نعني هنا تماما العناصر الذهنية في الأساس وأشكال المعارف والقيم التي نعيش بها وعليها أو التي تعلمناها أوابتدعناها، لا نعقلها إلا حين يستخدمها الناس، وبالنسبة للآخرين، فالثقافات بعبارة أخرى، تفرض مسبقا وجود العلاقات" (كاريذرس، 1998م، ص:59).

فكل الديانات بغض النظر عن بطلانها وصحتها تدعو أتباعها إلى الاهتمام بفضائل الأعمال والأخلاق، مع العلم أن سائر الأديان لم تكن منفصلة عن بعضها البعض وإنما كل رسول بعث ليكمل مسيرة من سبقوه، فقيمة المحبة في الديانة المسيحية تدعو إلى المساواة بين البشر وعلى احترام كرامة الإنسان، فلقد جاء في كتاب الإنجيل أن عيسى عليه السلام أوصى تلاميذه بما يلي: " سمعتم أنه قيل : أحبِب قريبك و أبغِض عدوك أما أنا فأقول لكم :أحِبّوا أعداءكم وصلوا من أجل مضطهديكم لتصيروا بني أبيكم الذي في السموات لأنه يُطلع شمسه على الأشرار والأخيار، ويُنزل المطر على الأبرار والفجار، فإن أحببتم من يحبكم فأي أجر لكم؟ أوليس العشّارون يفعلون ذلك؟ وإن سلّمتم على إخوانكم وحدهم، فأي زيادة فعلتم؟ أوليس الوثنيون يفعلون ذلك؟ فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم السماوي كامل" (إنجيل متى الإصحاح، 1994م، ص:50) أما القيم الإنسانية عند الأقليات المسلمة فقد بلغت كمالها باتصالها بخاتم الرسالات السماوية عن طريق هدي القرآن والسنة النبوية الشريفة وعلت بها عن الأهواء والأنانية، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (سورة النساء ، الآية: 57.).

وقال أيضا:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا

عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة المائدة، الآية: 3).،كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل، الآية: 90.)، فالقيم الإنسانية في القرآن الكريم كثيرة وغزيرة نظمت حياة الفرد مع خالقه وحياة الفرد مع نفسه وأهله وعشيرته وقومه ومع من هم من غير ملته وشريعته .

إن الهدف من حوار الأقليات المسلمة مع المجتمعات الغربية ينبغي أن " يظل دائما متمثلا في حماية الحضارات والحفاظ عليها وليس الهجوم عليها و تدميرها، فالحضارات تشكل التقدم المادي والروحي للإنسانية –كما قال ألبرت شفيستر-إنها حصيلة تجارب البشرية في سعيها نحو التقدم والرقي والسلام على مدى التاريخ، إنها تعني التسامح وقبول الآخر والانفتاح على كل الحضارات والثقافات والأديان، ومن أجل ذلك فإنها تمثل حصون الإنسانية ضد النزعات العبثية والمدمرة، ولكنها ليست بالقطع سببا لها، لأن هدف الحضارات الحقيقي هو بناء نظام يضمن للإنسانية العدل والأمن والاستقرار " (حمدي زقزوق، 2002م، ص:54)، وهذا لن يتأتى إلا بالتزام الطرفين بالمبادئ الأخلاقية والمعايير الإنسانية وبذل الجهود لأجل تحقيقها وتطبيقها حتى تُستعاد الثقة المتبادلة وبقدر هذه الالتزامات و الاحترام يمكن عقد شراكات تكون على مستوى التطلعات .

- **تجاوز عقبات التفاهم**

من الأهداف التي ينبغي استحضارها عند كل حوار محاولة تجاوز المعوقات التي تحول دون تحقيق التواصل المطلوب، ونعني بذلك عقبات الاختلاف الديني والمذهبي والفكري والجغرافي وغير ذلك من الأمور التي تشكل نوعا من أنواع تكريس الاختلاف التفاضلي بين البشر، والذي يغير الهدف من الحوار ومنهجه، كأن يتحول الحوار من حوار تفاضلي إلى حوار تجادلي بسبب الخروج عن موضوعات محددة إلى موضوعات أخرى تتنازع فيها الأطراف المتحاورة، فبقدر ما يسود التعصب بقدر ما يؤدي إلى تأجيج العداوة وتحريك نوازع الشر وفتح أبواب السياسات الارتجالية أمام النخب السياسية التي أصبحت تسير دواليب الحوار، بحكم أن طبيعة العلاقة بينهم وبين النخب المثقفة أصبحت سطحية متجاوزة، كما "أن العقبات أمام الحوار الحضاري تحتاج أولا لتذليل معطيات النظرة الفوقية والطامعة وحب السيطرة على العالم من المؤسسات الغربية الرسمية والشعبية، أي إن العولمة هي أساس الداء " (الزحيلي، 2010م، ص:285)،لذلك فالكف عن محاولة تغيير الأقليات المسلمة بفرض نمط حياة محدد تعد العقبة الأولى خلال عملية التحاور .

من الإجراءات التي يجب اعتمادها لتجاوز عقبات التفاهم بين الأقليات المسلمة والبلدان الغربية مايلي:

- فصل الهوية الدينية عن الهوية الوطنية في الحوار، فالتحاور مع الأقليات المسلمة يكون من منطلق المواطنة المشتركة التي تعترف بالتعدد الهوياتي.

- فصل مشكلات الحوار عن الأشخاص أو المؤسسات أو الهيئات التي ينتمي إليها المتحاورون ويعتمد هذا الإجراء على عدم انتقال الانزعاج من الطرف المتحاور -شخص أو مؤسسة أو هيئة ليشمل المشكلة المتحاور من أجلها فشخصنة الاختلاف مرفوضة لأنها تؤثر على الحوار وعلى المجتمع ككل.
- على الدول الغربية عدم الحكم على الدين الإسلامي في قيمه وأفكاره انطلاقا من المسلمين ككل، لأن البعض منهم قد يكون خصما للمسلمين كما للغرب نتيجة التطرف وبالتالي فإمكانية الحوار متاحة مع المعتدلين من المسلمين.
- على الأقليات المسلمة التفريق بين شرائح المجتمع الغربي، فهي متباينة مع بعضها البعض، فمنهم من يقبل الحوار ومنهم من لا يقبل، كما أن منهم العنصري ومنهم المتعايش ومنهم السياسي المحرض على كره الإسلام والمسلمين، ومنهم المؤيد.
- الاتفاق على تحديد مفهوم الاندماج المراد تحقيقه في صفوف الأقليات المسلمة بحيث نتقبله من دون أن يمس هويتها الخاصة، فليس كل اندماج يدعو إليه الغرب مقبول قلبا وقالبا، بل على العكس من ذلك"فقد تختلط طوابع الانجليز والفرنسيين والألمان والأمريكيين وهو ما يزال يبدو عسيرا لأن هناك جامعا يجمعهم من أصول دين وثقافة ولغة، ولكن من العسير أن تختلط طوابع المسلمين والعرب معهم، وقد تشكلت بمعزل عن هذه الأمم واستمدت أصولها من دين وفكر غير دينهم وفكرهم...، ولذلك فمن العسير التخلي عن هذه القيم وتقبل الاحتواء والإذابة في الأممية العالمية"(الجندي، 1974م، ص:436).

خاتمة

إن الهدف من هذا الحوار ليس الحوار اللاهوتي الإسلامي المسيحي بين ممثلي الديانتين، لأن كلا من أصحاب الديانتين معتقد ومتمسك بها، وإنما الهدف الأسمى الخروج من معوقات التواصل التي تغطي العين بظفرة تمنعها من رؤية القيم المشتركة فتكلّ وتعجز عن خلق مساحات التفاهم والتعايش والتعاون للعيش في وطن واحد، فالعلاقات بين الأقليات المسلمة والغرب وإن كانت معقدة وغير متوازنة في بعض المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلا أنه عند دراسة المسألة من جميع الجوانب والمواقع فقد عرفت العلاقة تطورات إنسانية كبيرة، ولتجاوز عقبات التفاهم لا بد أن يستند الحوار إلى أسس موضوعية تلتزم فيه الأطراف المتحاورة بأخلاقيات الحوار وآدابه.

لائحة المصادر والمراجع:

- أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها ، مطبعة الرسالة القاهرة-مصر ،(د.ط. ت).
- أنور الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ،الموسوعة الإسلامية 6 ، دار الكتاب اللبناني ، ط1، بيروت-لبنان ، سنة 1974م .

-إدوي بيلينل، من أجل المسلمين، ترجمة عبد اللطيف القرشي، وزارة الثقافة والفنون والتراث للنشر ، ط 1،، الدوحة–قطر سنة 2015.

- باسكال بونيفال، المثقفون المزيفون النصر الإعلامي لخبراء الكذب، ترجمة روز مخلوف، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيعط1، دمشق سوريا، سنة 2013م.

- حسام الدين علي مجيد، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوع، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة أطروحات الدكتوراه 85 ، ط 1، بيروت –لبنان ، يوليوز 2010.

- حسن وجيه، حوار الثقافات إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة، سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية 6، دار الفكر ،ط 1، دمشق- سوريا ، سنة 1429هـ/2008م.

- عبد المجيد النجار ، فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا ، المجلس الأوروبي للإفتاء و البحوث عدد 4 م2004 دبلن،ايرلندا،سنة.

- علي حمدان، إشكالية الهوية والانتماء، سلسلة الأستراليون العرب، المركز الاسترالي العربي للدراسات السياسية، استراليا، يناير 2005 م.

- مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1،بيروت –لبنان ، يناير 1995م .

-الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى الإصحاح 1/6-37/5، دار المشرق للطباعة والنشر، ط 3، بيروت، لبنان، سنة 1994.

- مايكل كاريذرس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟ الثقافات البشرية نشأتها وتنوعها، ترجمة شوقي جلال ، سلسلة كتاب "عالم المعرفة" عدد 229 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، يناير 1998م.

- محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار ، ترجمة مصطفى ماهر ،وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط 1، القاهرة –مصر، سنة 1423ه/2002م .

- وهبة الزحيلي، العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق- سوريا، سنة 1431-2010 م .

نظرية أفعـال الكلام بين التأثيل اللساني الغربي والتمثل النحوي العربي

Speech verb theory between Western linguistic rooting and Arabic grammatical representation

د/ تجاني حبشي أستاذ محاضر صنف –أ- جامعة زيان عاشور- الجلفة- الجزائر
البريد الإلكتروني:habchi jani@gmail.com

الملخص:

تعد نظرية أفعال الكلام من أهم المفاهيم في الدرس التداولي الغربي، حيث كان لها الأثر البالغ على البحث اللساني، إذ يعد الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، ومفواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. ولاريب أن النظرية النحوية العربية تحوي إضاءات مشرقة في هذا الجانب الذي بشرت به نظرية أفعـال الكلام، تستحق البحث والدراسة لتكشف وجهًا من وجوه القيمة العلمية للتراث النحوي العربي . ومن أجل ذلك تأتي هذه الورقة البحثية على امتدادها لتقدم من جهة تصورا عن هذه النظرية، وذلك من خلال تحديد مفاهيمها وأهمّ مبادئها عند الغربيين، ومن جهة أخرى تسهم في الكشف عن بعض ملامح هذه النظرية في تراثنا النحوي العربي، وذلك بالكشف عن حدس العلماء في الكثير من المفاهيم والمبادئ التي جاءت بها نظرية أفعال الكلام.

الكلمات المفتاحية : لسانيات تداولية ، أفعال الكلام ، أفعال إخبارية ، أفعال أدائية

Abstract:

The theory of speech acts is one of the most important concepts in the Western deliberative lesson , as it had a great impact on linguistic research as the speech act is a central nucleus in many deliberative acts ,and its content is that every utterance rises on a formal, semantic, and effective system . There is no doubt that the Arabic grammatical theory contains shining illuminations in this aspect that was heralded by the speech act theory worthy of research and study to reveal an aspect of the scientific value of the Arabic grammatical heritage. For this reason, this research paper comes in its extension to present, on the one hand, a conception of this theory, by defining its concepts and most important principles for Westerners , and on the other hand , it contributes to revealing some of the features of this theory in our Arab grammatical heritage , by revealing the intuition of scholars in many Of the concepts and principles heralded by the theory of speech acts.

Keywords : pragmatic linguistics , speech verb , news verbs , performative verbs.

مقدمة

حظيت اللغة البشرية بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة، وظهرت مدارس عديدة عبر فترات زمانية مختلفة تسعى لفهم نظامها ومعرفة خصائصها وميزاتها، غير أن الثورة الحقيقية التي شهدها التفكير اللغوي المعاصر كانت على يد فردناند دي سوسير الذي أرسى قواعد اللسانيات ، وتضمن موضوعها دراسة اللسان، واتجهت الدراسات والأبحاث في مجال اللسانيات نحو التألق والازدهار. وقد ظلت اللسانيات خلال فترة طويلة من الزمن تكتفي بقسمين تقليدين أساسيين هما: النحو التركيبي؛ الذي يدرس علاقة العلاقات اللغوية بعضها ببعض. والدلالي؛ الذي يبحث في علاقات العلامات اللغوية بالمعاني التي تدل عليها وهي على رأي عبد السلام المسدي تعتزم الولوج إلى بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية. (المسدي ،1991 ص77) ومهما يكن فإن هذين الفرعين يطمحان إلى وصف كل اللغة البشرية. غير أن ما يلاحظ هو أنها أقصت من دراستها الجانب الحي في اللغة وهو الاستعمال المتمثل في الكلام، واهتمت أساسا بدراسة نظام اللغة دون الاعتداد بنوايا المتكلم وسياق التلفظ.

وقد ظهر قصور هذه النظريات اللغوية في كونها تجاوزت الظروف النفسية والاجتماعية للمتكلم والمخاطب، وتجاوزت ما يسمى بالمعنى غير الطبيعي الذي قامت عليه فيما بعد نظرية الاتصال عند غرايس بل إن معظم التفسيرات اللسانية التي قدمتها تلك الاتجاهات والنظريات اتجهت إلى داخل اللغة، الأمر الذي أدى بالدراسات اللسانية إلى أن تسير نحو تغيير جذري في مسار البحث اللساني، وبدأت تبرز اتجاهات لسانية مختلفة اهتمت بالجانب التبليغي في اللغة، والبحث في حقيقة المعنى بصورة لم تعرف من قبل ضمن الأنظمة الفكرية والفلسفية واللغوية والأدبية، ومنها ما قدمته اللسانيات الوظيفية بدءا بما قدمه الشكلانيون الروس بأبحاثهم في الإنشائية، وأعلام مدرسة براغ والمدرسة النسقية الذين اهتموا جميعا بالوظيفية انطلاقا من مفهوم التواصل، أضف إلى ذلك ما كان من دور لبعض علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء البلاغة، وعلماء تحليل الخطاب وهاليدي ونظريته الاجتماعية للغة الأمر الذي أعاد للغة ديناميتها بشكل جديد بعيدا عن التحليل الفيلولوجي أو البنوي أو المنطقي الشكلي. وقد نتج عن ذلك نشوء اللسانيات التداولية.

وتعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم المفاهيم في الدرس التداولي الغربي، حيث كان لها الأثر البالغ على البحث اللساني، إذ يعد الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية . ولاشك أن النظرية النحوية العربية تحوي إضاءات مشرقة في هذا الجانب الذي بشرت به نظرية

أفعـال الكلام تستحق البحث والدراسة لتكشف وجها من وجوه القيمة العلمية للتراث النحوي العربي.

وانطلاقا مما ذكر، وسعيا إلى الكشف عن الأصول والأسس المعرفية لهذه النظرية في تراثنا النحوي العربي ارتأيت أن يكون موضوع البحث هو نظرية أفعـال الكلام بين التأثيل اللساني الغربي والتمثل النحوي العربي وقد تمحورت إشكاليته فيما يلي:

إذا كانت نظرية أفعال الكلام تقوم على فكرة أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. فهل يا ترى يمكن تجسيدها في معاني حروف المعاني، وهل ننظر إلى حروف المعاني على أنها مجرد دلالات لغوية، أم أنها أفعال كلامية تـهدف إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية بالكلمات وترمي إلى التأثير في المخاطب.

أما عن الفرضيات فقد حصرتها فيما يلي:

1-عرف علماء العرب القدامى أفعال الكلام غير أنهم تعاملوا معها بكيفية تختلف عن تعامل التداوليين الغربيين معها .

2-على الرغم من وجود تشابه بين الدراستين، إلا أن ثمة تباينا واضحا على مستوى المنهج والمصطلح والمفهوم .

3-إذا كانت دراسة أفعال الكلام عند اللسانيين الغربيين انحصرت على التداوليين فقط، فإنها عند علماء العرب القدامى قد اتسع مجالها، وتناولها أصناف عدة من العلماء على اختلاف مناهجهم ومدارسهم.

أما هدف هذه الورقة فقد حصرته في الكشف عن الأصول والأسس المعرفية لنظرية أفعال الكلام في تراثنا النحوي العربي، ساعية إلى الرد على بعض الباحثين المعاصرين الذين ابتعدوا عن التأصيل العلمي بحجة انبهارهم بالاتجاهات اللسانية الغربية الحديثة، وإيمانهم بوجود قطيعة معرفية بينها وبين التراث العربي وذلك بأسلوب مناسب يجمع مختلف الإشارات بتوثيقها وتحليلها بما تيسر ذكره ، ووفق قراءة وصفية تحليلية نسأل الله تعالى فيها التوفيق والسداد.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها دراسة تقيم حوارًا علميًّا محايدًا بين مبحث من مباحث التداولية وهو أفعال الكلام والتراث النحوي العربي، تنطلق في استقراء النظرية النحوية العربية وتنأى عن تطبيق النظرية على التراث النحوي، إنما تبحث في تجليات ما يناظرها في التراث النحوي العربي ، لذلك ترتكز الدراسة على اكتشاف الأصول النظرية لنظرية أفعال الكلام، والكشف عن آلية اشتغالها من خلال تأمُّل نصوص النحاة القدامى، وبيان آثار هذه الأصول والمبادئ في التقعيد النحوي. ولئن كانت هذه الدراسة تتماس مع الكثير من الدراسات اللغوية

السابقة، فهي لا تعدو أن تكون مجرد توسع فيها، غير أنها تختلف عنها في ما يحفظ لها استقلالها عن غيرها.

وقد سارت الدراسة في عمومها على ضوء المنهج التداولي ، لكونه هو الأنسب لاستظهار الإشارات التداولية في مؤلفات النحاة العرب القدامى.كما أستعين بالمنهج التحليلي أثناء عرض آراء أولئك العلماء ومناقشتها. وهذا التنوع في المناهج جاء رغبة في استجلاء الصورة والإحاطة بأطراف الموضوع .

وانطلاقا مما أومأنا إليه أرتأى البحث تناول العناصر الآتية: أرتأي

1- التداولية في الثقافة الغربية

1-1- حدها الاصطلاحي

إن من الصعوبة بمكان الوقوف على تعريف جامع للتداولية وذلك لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة يقول دومينيك مانقونو: « إنه من الصعب الحديث عن التداولية لأن هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عددا من الأفكار واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني». (بوجادي، 2009، ص63) إلا أن كلمة التداولية لم تصبح مجالا يعتد به الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من رواد مدرسة "فلسفة اللغة الطبيعية " المنتمين إلى جامعة أكسفورد و هم : جون أوستين وجون سيرل وبول جرايس، وقد اهتموا بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، وكان هذا من صميم عملهم، ومن الغريب أن أحدا منهم لم يستعمل مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث. (نحلة، 2004، ص168 بتصرف) ويعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف تشارلز ساندرس بيرس وسانده كل من وليم جيمس وجون ديوي. (موشلار وآن ريبول، 2003، ص29 بتصرف) بينما يرجع أول استعمال لهذا المصطلح إلى الفيلسوف وليام تشارلز موريس سنة1937م، كما يعد أول من أعطى تعريفا للتداولية في سياق تحديده لأبعاد السيميائية. يقول:« إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات». (آرمينيكو، 1986، ص8) غير أنه تعريف يشتمل اللسانيات والسيميائيات على حد السواء كما أنه يتجاوز المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي، وهذا يتوافق مع وجهة نظر آرمينيكو فرانسواز المتمثلة في أن « التداولية آخر مولود للدرس السيميائي». (آرمينيكو، 1986، ص13) وعدها فان دايك بأنها «تهتم بدراسة الأفعال الكلامية والكشف عن أهميتها في عملية التواصل، وذلك انطلاقا من اعتبار الخطاب إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية، وبالوظيفة

التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف». (المتوكل،2001 ص17) وبتعبير آخر هي دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة، حيث تميز أساليب الخطاب وتوسع أكثر عملية التواصل على نحو يعارض طرائق البنوية التي انغمست في النص وأبعدت الكلام وهو مظهر أداء اللغة.

2- التأثيل اللساني الغربي لنظرية أفعال الكلام

تعد أفعال الكلام الفكرة التي نشأت منها اللسانيات التداولية، وتعتبر نواة في الكثير من الأعمال التداولية وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينات من أوستين، واستأنفت من طرف سيرل ثم اعتمدت من لدن اللسانيين الذين يعتدون بالنظرية الملفوظية يقول موشلر: «لم يتولد فعليا الاهتمام بالأعمال اللغوية في الفترة المعاصرة إلا مع أوستين، ولم تولد التداولية أيضا على الصورة التي نعرفها اليوم إلا انطلاقا من اكتشافه للظاهرة ومن الدراسة التي قام بها إثره سيرل». (جاك موشلر و آن ريبول، 2010، ص56) وهي تعد في نظر أغلب الباحثين جزءا من اللسانيات التداولية. (نحلة، 2002، ص59) وفحواها أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفس. (فان دايك، 2000 ص18)

2-1- مراحل نظرية أفعال الكلام

2-1-1- مرحلة التأسيس عند أوستين

يعد أوستين مؤسس هذه نظرية ، وواضع المصطلح الذي تعرف به الآن في الفلسفة وفي اللسانيات المعاصرة، وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفور في العقد الثالث من القرن العشرين ثم في المحاضرات الأثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955م، والتي نشرت سنة 1962م بعد موته في كتاب عنوانه (How to things with words). وقد أنكر أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفا يكون إما صادقا و إما كاذبا، وتحدى ما كان يعتبره مغالطة وصفية ، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة، وتكون الجمل من هذا المنظور ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها. (لاينز، 1987 ص 191 بتصرف) غير أن ثمة عدد كبير من الوحدات الكلامية ذات التداول اليومي ليست عبارات خبرية وعمد إلى التميز بين الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية الأدائية، فالوحدة الكلامية البيانية تستخدم لإصدار العبارات الخبرية. أما الوحدات الكلامية الأدائية فهي وحدات يؤدي المتحدث أو الكاتب بها عملا أو فعلا وليس مجرد كلام. (لاينز ،1987، ص192 بتصرف)

وقد ميز أوستين بين الأفعال الإنجازية نفسها وتوصل إلى أنها نوعان:

-أفعال انجـازية مباشرة (الإنشاء الصريح): فعلها ظاهر (أمر ، حض، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب للمتكلم وذلك مثل أعدك أن أكون هناك ، فلمثال صريح الدلالة على الوعد ولا يحتمل غيره.

-أفعال انجـازية غير المباشرة (الإنشاء الضمني، أو الأولي): الأدائيات الضمنية تعتمد اعتمادا أساسيا على

المقام، إذ به تكون أدائية أو لا تكون. (موشلر وآن ريبول ،2010، ص64) ولا كذلك الأدائيات الصريحة من ثمّ كان إدراك الأدائيات الصريحة أيسر لأنها تعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه.

غير أنه تبين لأوستين أن الحدود بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية لا تزال غير واضحة، وأن ما وضعه من شروط ليس كـافيا للتمييز بينهما، إذ وجد أن شروط الأفعال الأدائية تنطبق أحيانا على أفعال ليست أدائية، وأن أفعالا غير أدائية تنطبق عليها شروط الأفعال الأدائية، الأمر الذي دفع به إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي: (موشلر وآن ريبول، 2010، ص65)

1-**فعل القول**: يحقق ثلاثة أفعال لغوية فرعية هي : الفعل الصوتي؛ وهو أداء فعل نطق الأصوات معينة والمنطوق هو الصوت. والفعل التركيبي؛ وهو فعل نطق ألفاظ أو كلمات معينة، أي أصوات من أنماط معينة ، تنتمي إلى مفردات لغوية محددة وبتنغيم معين. والفعل الدلالي ؛ وهو أداء فعل استعمال الوحدة الصرفية التركيبية أو مكوناتها بمغزى معين محدد تقريبا وإشارة محددة تقريبا ، والمغزى والإشارة يساويان المعنى. (فان دايك ، 2000، ص263 بتصرف)

2-**الفعل المتضمن في القول**:هو ما يؤديه فعل القول من وظيفية في الاستعمال كالوعد والتحذير ...

3-**الفعل الناتج عن القول**: « هو عمل التأثير بالقول أو أثر العبارة، ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين ». (بلانشيه ،2007، ص59)

وقد تخلى أوستين في المرحلة الثانية عن فكرة التمييز بين الجمل الإنشائية من الجمل الوصفية، وأقر بأن كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد توافق على الأقل إنجاز عمل قولي ، وعمل متضمن في القول وتوافق أحيانا كذلك القيام بعمل تأثير بالقول. (موشلر وآن ريبول،2003، ص32)

وقدم في المحاضرة الثامنة عشر تصنيف للأفعال الكلامية على أساس ما سماه قوتها الإنجازية ، واقترح خمسة أقسام للأفعال الإنجازية اللاقولية وهي:

1-**الحكميـات**: تتمثل في الحكم، نحو :(التبرئة، الإدانة ، إصدار أمر ، الإحصاء، التقويم ، التحليل...)

2-**التنفيذيات(الأمريات):** وتقضي بمتابعة أعمال مثل (الطرد، العزل، الاتهام، التوصية، الاستقالة،...)

ويتأسس التمييز بين الأعمال المندرجة فيه وبين الأعمال المندرجة ضمن الصنف الأول على كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ أحكام لكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

3-**الوعديـات:** وهي إلزام المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما. مثل (الوعد، والموافقة، والتعاقد، والعزم...)

4- **السلوكيات:** وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير نحو:(الاعتذار والشكر والرأفة والنقد، والترحيب...)

5-**العرضيات:** وهي أعمال تختص بالعَرض (كالتأكيد والنفي والوصف والمحاجة والتأويل والتوضيح...). (موشلر وآن ريبول ،2010، ص66)

ولم يستطع أوستين وضع نظرية مركبة للأفعال الكلامية، بل إنه قد طرح مداخل لبعض المفاهيم المحورية فقط، ولم يكن لديه تصور قاصر عن الفلسفة فحسب، بل يرى أن مهمته تحليل اللغة بوجه خاص وليس تحليل العلاقة بين اللغة والنشاط الاجتماعي وربط بذلك أيضا التقدير المبالغ فيه للجانب التعبيري وبخاصة الصيغ الأدائية الصريحة، فلم يكن ما قدمه من تصور كافيا ولا قائما على أسس منهجية واضحة. (جرهارد، ص279 بتصرف) وقد استأنف سيرل برنامجه خاصة ما يتعلق منه بأهمية تصنيفية الأعمال اللغوية.

2- مرحلة الضبط المنهجي عند سيرل

2-1- تصنيف أفعال الكلام عند سيرل

وسع سيرل نهج أوستين في أعماله وبخاصة في كتابه (أفعال الكلام)، ويعد بذلك العالم الثاني لنظرية أفعال الكلام، وعبره وجدت هذه النظرية مدخلا إلى علم اللغة خاصة. وانطلاقا من الملاحظات التي قدمها حول التقسيم الذي قدمه أوستين لأفعال الكلام ، ومفادها أن إنجاز هذا العمل يتم من خلال أعمال فرعية هي:

- التلفظ بكلمات (صياغم – جمل): إنجاز أعمال التلفظ
- الإحالة والإسناد: إنجاز أعمال قضوية
- الإثبات أو السؤال أو الأمر أو الوعد... الخ: أنجاز أعمال متضمنة في القول
-عمل التأثير بالقول : الأثر الحاصل نتيجة عمل ما، ويُرصد في سلوك المخاطب وفعله وفكره واعتقاده. (موشلر وآن ريبول، 2003، ص267)

وعلى ضوئها قام سيرل بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية، فجعله أربعة أقسام وأبقى منها على القسمين الإنجاري والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول وهو فعل القول

(اللفظي) قسمين: أحدهما الفعل النطقي ؛ وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية و المعجمية. والثاني الفعل القضوي ؛ وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر. ومن الأمثلة الموضحة قولك يقرأ زيد الكتاب أيقرأ زيد الكتاب . يا زيد اقرأ الكتاب، لو يقرأ زيد الكتاب. فعند النطق بهذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد وهي:

-**الفعل النطقي** : يتمثل في نطقك الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

-**الفعل القضوي:** ويتمثل في مرجع ، والمرجع والخبر يمثلان قضية، والقضية هي المحتوى المشترك بينها جميعا

-**الفعل الإنجازي** : وهو الفعل المنجز فعلا. (نحلة، 2002، ص71بتصرف)

-أما الفعل التأثيري فلم يهتم به سيرل وشك في وجود أعمال تّأثير بالقول.

2- شروط الملاءمة عند سيرل

طور تصور أوستين لشروط الملائمة التي إذا تحققت كان العمل اللغوي موفقا فجعلها أربعة شروط:

2-1-شرط المحتوى القضوي : ويتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، ويتحقق هذا الشرط في فعل الوعد، مثلا أن تسند القضية إلى المتكلم فعلا مستقبليا يلزم به نفسه.

2-2-الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز.

2-3-شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل ، فلا يقول غير ما يعتقد ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

2-4-الشرط الأساسي: يتحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وإنجازه. (نحلة 2002، ص48)

3- تصنيفية سيرل للأفعال المتضمنة في القول

أنشأ سيرل تصنيفية للأفعال الإنجازية أكثر إحكاما مما قدمه أوستين ، وهي تقوم على ثلاثة أسس منهجية هي: الغرض الإنجازي ، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص. (نحلة، 2002، ص49 بتصرف)

وقد جعلها خمسة أصناف وهي: (موشلر وآن ريبول، 2010، ص75/74)

1-الإخبارات: والهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم، وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة، فأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب ، وتتضمن أفعال الإيضاح عند أوستين وكثيرا من أفعال الأحكام. (نحلة ،2002، ص79)

2-الطلبيات (التوجيهيات): وهو جعل المخاطب يقوم بأمر ما، حيث يجب أن يطابق العالَم الكلمات وحيث تكون الحالة النفسية رغبة، إرادة. والمحتوى القضوي هو أن المخاطب يجب أن يفعل شيئا ما.

3-الوعديـات: الهدف منها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل ، وحيث يجب أن يطابق العالم الكلمات

وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، وقد أخذ سيرل هذا القسم عن أوستين. (بلانشيه، 2007 ص66) والمحتوى القضوي هو أن المتكلم سيقوم بشيء ما.

4-الإفصاحات: والهدف منها هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات ، وحيث يسند المحتوى خاصية إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب، وهذا يوافق إجمالا السلوكيات وذلك كقولك: اعذرني.

5-**الإيقاعيات:** الهدف منها إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشرة دون التطابق مع تحفظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية، وتتميز بأنها تحدث صدق محتواها القضوي، وهي الأعمال التي مثلت في بداية نظرية الأعمال اللغوية صنف الإنشاءات. (موشلر وآن ريبول، 2010 ، ص76)

وقد وضع سيرل اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، (آرمينكو،1986، ص63/64) وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة لجرايس، كما وسع مفهوم الفعل الكلامي ورأى أنه لا يقتصر على مراد المتكلم بل هو يرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي، وجعل للقوة الإنجازية أدلة عليها تتمثل في النبر، التنغيم علامات الترقيم. (نحلة، 2002، ص73) وقد أوضح سيرل هدفه من هذه التصنيفات بقوله:« والنتيجة المهمة التي أوردنا من أجلها هذا التصنيفات أنه بتبني هدف الخطاب مفهوما محوريا لتصنيف استعمالات اللغة، فإنه سيوجد لدينا عدد محدود من الأشياء الأساسية التي نفعلها باللغة، إذ إننا نخبر الناس عن كيفية الأشياء، ونحاول التأثير عليهم لفعل أشياء معينة، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا ونحدث تغييرات معينة بملفوظاتنا، وغالبا ما نفعل أكثر من واحد من هذه الأشياء بتلفظ واحد». (الشهري، 2004، ص158)

وتجدر الإشارة، إلى أن الخبر بمعايير سيرل يكون مندرجا ضمن صنف التقريريات، والغرض المتضمن في القول لهذه المجموعة الكلامية هو التقرير ، أو هو إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به، وأما الإنشاء فمندرج ضمن الأصناف الكلامية الأخرى التي بحثها سيرل، فمن الإنشاء ما يندرج ضمن الأمريـات: كالأمر والنهي والاستفهام..، ومنه ما يندرج ضمن الإيقاعيات

كألفاظ العقود..، ومنه ما يندرج ضمن البوحيات كالمدح والذم والتمني. (الصحراوي، 2008، ص82 بتصرف)

4- الأفعال الإنجـازية المباشرة و غير المباشرة

فرق أوستين بين الأفعال الإخبارية والأفعال الإنجازية وبين الإنجازية الصريحة والأولية ، وخطا سيرل في هذا الاتجاه خطوة أخرى واسعة تتمثل في التمييز بين ما أسماه الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة فالأولى هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، أما الثانية فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر، من خلال فعل إنجازي آخر غير مطابق لما يعنيه. وانتهى سيرل إلى أن العمل اللغوي غير المباشر لا تدل هيأته التركيبية على زيادة في المعنى الإنشـائي الحرفي وإنما الزيادة مكتسبة من معنى المتكلم من خلال وصول السامع إليه عن طريق إستراتيجية الاستنتاج وتحيل هذه الإستراتيجية على منطق المحادثة عند غرايس، إذ إن المتلقي يتوصل إلى المعنى مستخدما كفايته اللغوية خاصة إلى جانب الكفاية المنطقية والثقافية من خلال مراعاة المواضعات الاستعمالية للغة. (نحلة، 2002، ص81 بتصرف)

3- 3- التمثل النحوي العربي لنظرية أفعال الكلام

يشكل التراث اللغوي متنفسا للغويين العرب المعاصرين، وذلك من منطلق شغفهم به ورغبة في استظهاره مكامنه، لجعله يتماشى والأطروحات اللسانية الغربية المعاصرة، وبخاصة بعد ظهور اللسانيات بفروعها المختلفة والتي منها التداولية. هذا الاتجاه الذي أكد محمد سويرتي أسبقية معرفة العرب له يقول: « إن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي ، قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما ورؤية واتجـاها أمريكيا وأوروبيا، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة». (سويرتي، 2000، ص31/30) حقيقة أكدها محمود أحمد نحلة بقوله: «إذا التفتنا إلى تراثنا اللغوي وجدنا فيه اتجاهين بارزين يماثلان اتجـاهي النظريات اللسانية المعاصرة. أحدهما يعنى بالنظام اللغوي الذي يشمل أنظمة فرعية صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، لكل منها مكوناته وعناصره وعلاقاته بالمكونات والعناصر الأخرى داخل النظام الفرعي، ثم علاقة كل نظام فرعي بالآخر. والثاني يعنى بالمقام وما يتصل به من قرائن غير لفظية تشمل منزلة المتكلم والسامع، وعلاقة كل منهما بالآخر ، وحالة كل منهما والبيئة المكانية وجمهور المشاركين فيه. على أنهم لم يكتفوا بالسياق الاجتماعي بل ضموا إليه السياق الثقافي والشرعي، ولست أشك في أن وراء ذلك كله نظرية تداولية محكمة، ومن الممكن في إطارها تطوير نظريات فرعية عديدة منها نظرية الأفعال الكلامية». (نحلة، 2002، ص85/84)

إن التراث النحوي العربي يحوي في مكامنه دررا تكشف عن المستوى الذي وصل إليه التفكير النحوي في تلك القرون المتقدمة، والحقيقة أن النحو العربي لم يكن نحوا شكليا خالصا كما تصوره بعض النحاة بل الأمر بخلاف ذلك فقد اهتم العلماء القدامى بدراسة المعنى ، وهو ما نجده مثلا مجسدا عند سيبويه ومن جاء بعده من النحاة المتأخرين كابن السراج وابن جني والسكاكي...، ممن يرون أن وظيفة النحو هي معرفة تأليف الكلام العربي كما نطق به الفصحاء من العرب وليس مجرد بحث في أواخر الكلم، فالنحو هو الوصف الذي يجاوز رصد الخصائص اللفظية إلى رصد العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى، باعتبار المعنى مجموع الوسائط التي تتفاعل في تحديد الصورة التركيبية للجملة. (المتوكل، 1989، ص87 بتصرف)

هذا إضافة إلى أن النحاة تعاملوا مع علم المعاني باعتباره جزء لا يتجزأ من علم النحو، فقد تمكن عبد القاهر الجرجاني مع حلول القرن الخامس الهجري أن ينقذ النحو من الحال التي آل إليها، حيث أعاد له شطره الثاني الذي فصلته الدراسات النحوية السابقة والمتمثل في المعاني النحوية، التي ألحقت بعلوم البلاغة باسم "علم المعاني"، وأن يعثر على الحلقة المفقودة بين النحو والبلاغة ويربط بينهما من جديد ، متجاوزا بذلك المفهوم الضيق للنحو والذي كان مقصورا في دائرة آثار العامل الإعراب. ومن أهم ما تناولوه في علم المعاني ظاهرة الخبر والإنشاء ، التي توسعوا في بحثها وتعمقوا في تطوير أسس التمييز بين الخبر والإنشاء ووقفوا على علاقاتهما بالخارج ولم يكونوا بعيدين عن نظرية الأفعال الكلامية. وهنا لابد من التذكير بفكرة مهمة تناولها العلماء القدامى مفادها أن الخبر نفسه لا يقبل كله مقياس الصدق والكذب، فمن الخبر ما لا يقبل الكذب مطلقا كالأخبار الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية والأخبار الدالة عن المسلمات. ومن الخبر ما لا يقبل الصدق كقلب المسلمات نحو : الشمس تطلع من الغرب. كما أن الإنشاء نفسه لم يسلم من مأخذ عليه حيث أدخل فيه بعض المحققين الطلب. (نحلة، 2002، ص95) والفكرة ذاتها تتطرق لها أوستين يقول جاك موشلر:« كما أن الإنشاءات الصريحة هي نفسها ليست بمنأى عن بعض العيوب فبدءا يمكننا أن نخلط بينها وبين الأقوال الوصفية ثم إنه توجد صيغ ملتبسة يمكن أن توافق إما قولا إنشائيا صريحا وإما قولا وصفيا وهي بالخصوص السلوكيات». (موشلر وآن ريبول، 2010، ص64)

وتندرج ظاهرة أفعال الكلام في تراثنا العربي ضمن نظرية الخبر والإنشاء التي تنتمي بدورها إلى علم المعاني. يقول محمود نحلة:« والمدخل الصحيح إلى هذه النظرية العربية للأفعال الكلامية باب من أبواب علم المعاني هو الخبر والإنشاء». (نحلة، 2002، ص85) ويقول في ذات الموضع:« فإذا استطعنا أن نعالج ما فيه من بعض أنواع الخلل والقصور، وأن نحكم منهج البحث فيه في ضوء

نظرية الأفعال الكلامية فربما استطعنا أن نصل إلى وضع نظرية عربية للفعل الكلامي موازية للنظريات الغربية ». (نحلة، 2002، ص85)

1-3 -أفعال الكلام المتضمنة في معان حروف المعاني

اهتم النحاة القدامى بحروف المعاني وذلك لما لها من دور مهم في التعبير والتواصل، فهي تثري اللغة بأساليب كثيرة ومتنوعة صالحة لمقامات تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم وقصده، كدلالة (ليت) على التمني، و(لعل) على الترجي، ودلالة (هل) على الاستفهام ودلالة (إنّ وأنّ) على التوكيد، ودلالة (الواو والباء) على القسم وهكذا. وإضافة إلى هذا فإن لها أهمية بالغة في الأفعال الكلامية يقول مسعود صحراوي: «وأما المعاني و الإفادات التي تستفاد من تلك الحروف أو الأدوات فنراها ممثلة بصدق ودقة لنظرية الأفعال الكلامية كما يتصورها الفكر المعاصر ، ولذلك صح في تصورنا أن تعد تلك المعاني والإفادات والمقاصد أفعالا كلامية، ومن ثم فنحن لا ننظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية وإنما هي فوق ذلك أفعال كلامية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو ذاتية بالكلمات، أي ترمي إلى التأثير في المخاطب، بحمله على فعل أو ترك أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام أو تأكيده ، أو التشكيك فيه أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطب أو وعيده، وهي معاني كثيرة لا يمكن أن تحصى أو تحصر جميعا، لأنها تتجاوز الإحصاء والحصر كما ذكر علماؤنا القدامى ».(الصحراوي 2008، ص217) فحروف المعاني من هذا المنظور «تمثل قوى إنجازية بتعبير التداوليين المعاصرين، وأن ظاهرة الاختلاف والتباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول و التي تحدث سيرل عن وجودها في اللغة الإنجليزية وهي موجودة بكثرة في اللغة العربية، بفعل وفرة الأدوات الدالة على المعاني الإنجازية المتقاربة، كتقارب معنيي العرض والتحضيض. (الصحراوي، 2008، ص217 بتصرف)

وقبل تناول أهم القوى الإنجازية التي تتضمنها معـان حروف المعاني والتي يمكن أن تتحول إلى أفعال كلامية في السياقات والمقامات المناسبة ، أرتأى البحث تناول بعض المفاهيم التي رآها مهمة في هذا المقام وهي مرتبطة بمفهومي القوة الإنجازية الأصلية والقوة الإنجازية المستلزمة.

إن اللغويين العرب القدامى تمكنوا من رصد أغراض الكلام ومقاصده، والصيغ والتراكيب التي تؤدي هذه الأغراض والمقاصد أصلا وفرعا، وذلك مثل ما نجده عند السكاكي الذي قسم الكلام قسمين خبرا وطلبا وميز داخل قسم الطلب بين خمسة أغراض أصول، وهي الاستفهام والأمر والنهي والتمني والنداء. وأن التحليل الذي اقترحه لخروج الأغراض الأصلية إلى أغراض فرعية يقوم على مفاهيم أربعة. هي الأصل والمقام وإجراء الأصل" أو امتناعه" والملابسة. (المتوكل، 2010، ص49 بتصرف) ويرى أحمد المتوكل أن لكل غرض من هذه الأغراض الطلبية الخمسة شروط إجراء، فإجراء الاستفهام على الأصل يقتضي طلب العلم مما ليس معلوما ممكن العلم به، مثلا يتحكم المقام " أو قرائن الحال" في إجراء الغرض على

الأصل أو امتناع إجرائه، بتوافر شروط الإجراء أو عدم توافرها أو خرقها، وأن الانتقال من غرض إلى غرض آخر محكوم أساسا بالمقام أي بتعبير آخر أن الاستلزام في منظور السكاكي استلزام مقامي».(المتوكل، 2010 ص50 بتصرف)

وهذه المفاهيم ليست بعيدة عما توصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة يقول أحمد المتوكل في هذا الصدد: « أما في الدرس اللساني الحديث فقد اقترضت نظريات لسانية ذات توجه تداولي أو وظيفي ثنائية" الفعل اللغوي المباشر/ الفعل اللغوي غير المباشر المقترحة في نظرية الأفعال اللغوية، وتبنتها في إطار ثلاثية تميز بين ثلاثة مفاهيم هي النمط الجملي والقوة الإنجازية الأصلية والقوة الإنجازية المستلزمة. والمقصود بالنمط الجملي الصنف الذي تنتمي إليه الجملة، صرفيا وتركيبيا وتنغيميا، وفي هذا الباب صنف (فان ديك) الجمل أربعة أصناف، جمل خبرية وجمل استفهامية وجمل أمرية وجمل تعجبية ، ويقصد بالقوة الإنجازية الأصلية القوة الإنجازية التي تطابق النمط الجملي كالإخبار والسؤال والأمر مثلا. أما المراد بالقوة الإنجازية المستلزمة فالقوة الإنجازية غير المطابقة للنمط الجملي، والناتجة عن نوعين مختلفين من الاستلزام استلزام مقالي واستلزام مقامي». (المتوكل، 2010، ص50 بتصرف)

وقد تمكن هنخفلد وماكنري من حصر عدد القوى الإنجازية الأصول في اثنتي عشرة قوة إنجازية باعتبار هذه القائمة قائمة عامة ، ومخزونا كليا تنتقي منه اللغات المختلفة ما يناسبها. وهي : الخبر والاستفهام والأمر والنهي والتمني والدعاء والتحضيض والتحذير والنصح والالتزام والالتماس والاستغراب. ويعتبران أن المكون النحوي يتكفل حصريا بالمقاصد التي تنعكس في البنية الصورية للعبارة ، أما المقاصد غير مباشرة فتوكل مهمة اشتقاقها إلى المخاطب على أساس ما يمده به السياق من مؤشرات. (المتوكل 2010، ص57 بتصرف) وتكون بذلك مقصاة من المكون النحوي، ومتروك رصدها للمكون السياقي وتنتقي اللغة العربية من القائمة تسع قوى إنجازية أصول تتحقق بواسطة أدوات كالاستفهام (الهمزة، وهل) والتحضيض (ألا) والاستغراب(أَوَ، أفَ) والتمني (ليت)، أو بواسطة صيغة المحمول" الفعل أساسا " كالخبر والأمر والدعاء والتحذير أو بواسطة الأداة والصيغة متضافرين كالنهي. (المتوكل، 2010، ص63 بتصرف) ويذهب أحمد المتوكل إلى أنه إذا صحت أصلية الإغراء والإنكار والترجي أمكننا أن نضيفها إلى قائمة القوى الإنجازية الأصول في اللغة العربية. (المتوكل، 2010، ص68) وقد اقترح هذه الخطاطة ملخصا فيها موقع الإنجازية للعبارة من المكونين النحوي والسياقي. (المتوكل ،2010، ص60)

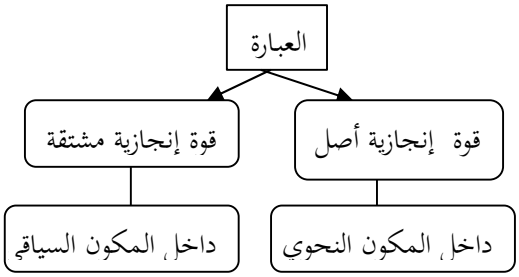

وستكتفي الورقة بتناول بعض القوى الإنجازية التي تتضمنها معاني حروف المعاني والتي يمكن أن تتحول إلى أفعال كلامية في السياقات المناسبة وذلك من باب التمثيل.

1- العرض: وهو الطلب برفق ولين ومن أدواته(ألا، أما)، وهو أخف من التحضيض.

2-التحضيض: وهو التحريض على فعل شيء وأدواته هي (هلاّ، لوما، ألا، لولا، ألاّ) . وكلاهما يندرج حسب مصطلحات سيرل في البوحيات ، والفرق بينهما في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول. (صحراوي، 2008، ص218) ويذهب أحمد المتوكل إلى اعتبار العرض قوة إنجازية أصلا وسيلة تحققها الأداة (ألا) ويكون التحضيض قوة إنجازية فرعا تحددها مقتضيات السياق. (المتوكل، 2010، ص68)

3-الردع :هو النهي بشدة وأداته كلا ويصنف بلغة سيرل ضمن الأمريات. (صحراوي،2008، ص218)

4-الاستفهام: وهو طلب خبر ما ليس عندك، ويتحقق الاستفهام بأدوات كثيرة ومنها (الهمزة، هل، من ما، أي، كم، كيف، أين، أنى، أيان). ويكون حقيقيا إذا أجرى على أصله وتحققت له شروط هذا الإجراء وهي طلب الحصول، وأن يكون المستفهم عنه ممكن الحصول و أن يهم المستفهم ويعينه شأنه، فإذا استوفيت هذه الشروط كلها في إنجاز جملة استفهامية ما أجري الاستفهام على أصله وكان استفهاما حقيقيا . أما إذا كان إنجاز الجملة الاستفهامية في مقام غير مطابق ، فإن معناها الأصلي يخرج إلى معنى آخر. (المتوكل، 1986، ص99) ويرى أحمد المتوكل أنه يتولد مقاميا بامتناع الاستفهام على الأصل الإنكار والزجر والوعيد والاستبطاء والتقرير والتوبيخ، ويندرج الاستفهام في الدراسات التداولية ضمن القوى الإنجازية الأصول. (المتوكل، 2010، ص49) وهو حسب إدريس سرحان يدل على قوة إنجازية نوعية -داخل جنس الطلب- هي طلب الفهم، وتشمل داخلها قوتين إنجازيتين فرعيتين، حيث يعد تحقيق كل منهما تحقيقا في الوقت ذاته لقوة طلب الفهم، وهاتان القوتان الفرعيتان هما طلب التصور وطلب التصديق فيطلب بالهمزة التصور والتصديق، في حين يطلب التصديق فقط بـــ (هل). (سرحان،1987 ص73)

5-التمني: هو إنشاء إرادة حدوث أمر ما، وأداته(ليت)، وهو كبقية الأساليب الأخرى إذا امتنع إجراءه على الأصل تولد منه ما ناسب المقام .

6- النداء : هو طلب الإقبال من الداعي إلى المدعو وأدواته (يا وأيا وهيا)، وقد يخرج النداء عن معانيه الأصلية إلى معان أخرى تعرف من سياق الكلام مع وجود قرائن دالة عليها، وهي تضيف للجملة إضافة إلى دلالتها الحرفية على النداء دلالات أخرى مستلزمة يتم إدراكها داخل المكون السياقي.

7-**الأمر:** هو صيغة وضعت لطلب فعل بأداة على وجه الاستعلاء، وهو يتولد مقاميا بامتناع إجراء الأمر على أصله التعجيز والتهديد والالتماس والتضرع. (المتوكل، 2010، ص65 بتصرف) وقد حصر حسام أحمد قاسم العناصر المكونة لدلالة الأمر في عنصر العلو والاستعلاء، وعنصر المكان وعنصر الزمان وعنصر

المصلحة وعنصر التفويض وعنصر الإرادة. (حسام،2007، ص47 بتصرف) واعتبر إدريس سرحان هذه الشروط كلها شروط تداولية...، وأن من القواعد المنظمة لتداول الأمر ضرورة توفر مستعملها على سلطة الأمر وحصول العلم بتلك السلطة لدى المُخاطب. (سرحان،1987، ص144 بتصرف)

8-النهي: هو طلب كف عن فعل على وجه الاستعلاء وله حرف واحد هو (لا) الناهية، وهو من بين أقسام الطلب الخمسة الأصول. (المتوكل، 2010، ص49 بتصرف) ومن أهم المعاني التي يخرج إليها الدعاء والالتماس والنصح والتحقير...، ويعتبر النهي فيها هو فعل كلامي أصلي، أما البقية فهي أفعال متضمنة في القول منبثقة من الأصل. وأن ما اعتبره بعض اللغويين والنحاة معاني مجازية إنما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضا خطابية ووظائف تواصلية معينة، يحكمها مبدأ الغرض أو القصد الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب (صحراوي، 2008، ص111) ويعتبر إدريس سرحان ملفوظات الأمر والنهي ليس لها قدرة ذاتية على حمل المخاطب على فعل المأمور به وترك المنهي عنه، فليس كل أمر مطاع ولا كل نهي كذلك...

لأنهما يدخلان في القسم الثالث من الأفعال اللغوية، أي الأفعال التأثيرية. (سرحان، 1987، ص109)

خاتمة

إجابة عن الإشكالية التي طرحتها في المقدمة، وتحقيقا للهدف الرئيس وهو الكشف عن الأصول والأسس المعرفية لنظرية أفعال الكلام في تراثنا النحوي العربي، انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها فيما يأتي :

1-لقد صدر التفكير النحوي العربي في اللغة عن رؤية تداولية في ضوء القرائن السياقية والمقامية، غير حاصرة للمعنى في الدلالة الحرفية من خلال التركيز على الأغراض والمقاصد الأساسية للكلام، وهذا ما يجعلنا نقرر أهمية ما توصل إليه الفكر العربي الأصيل في مجال تحليل اللغة الطبيعية بالنظر إلى المكونات الثلاثة التي تحرص التداولية الحديثة على العناية بها وهي النحوية والدلالية والتداولية.

2-تعامل النحاة العرب القدامى مع علم المعاني باعتباره جزء لا يتجزأ من علم النحو، وأدرجوا ظاهرة أفعال الكلام ضمن نظرية الخبر والإنشاء التي تنتمي بدورها إلى علم المعاني.

3-لحروف المعاني دور مهم في التعبير والتواصل ، فهي تثري اللغة بأساليب متنوعة صالحة لمقامات تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم وقصده، ولا ينبغي ننظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية وإنما هي فوق ذلك أفعال كلامية، ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية بالكلمات ، وترمي إلى التأثير في المخاطب.

قائمة المصادر والمراجع

1-أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر، (2010م)

2-أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، (1986م)

3-أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص،دار الأمان الرباط المغرب (2001م)

4- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، منشورات عكاظ الرباط المغرب ،(1989م)

5-إدريس سرحان، الأمر والنهي كفعلين لغويين انجازيين في اللغة العربية ، دراسة دلالية تداولية، ماجستير مخطوط، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فأس المغرب، (1988/1987م)

6-تون، أ، فان دايك ، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق المغرب، د، ط، (2000م)

7-جاك موشلار وآن روبول، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، (2003م)

8-جاك موشلر آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا ، سلسلة اللسان المركز الوطني للترجمة تونس، (2010م)

9-جرهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة
10-جون لاينز ، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهـاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، (1987م)
11-حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الآفاق العربية القاهرة، (2007م)
12-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة العلمة الجزائر (2009م)
13- عبد السلام المسدي ، قضية البنيوية دراسة ونماذج ، وزارة الثقافة تونس، (1991م)
14-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب المتحدة بيروت، (2004م)
15-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر حباشة، دار الحوار اللاذقية، (2007م)
16-محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، مجلد الثامن والعشرون ، العدد الثالث ، يناير، مارس، (2000م)
17-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية مصر، (2002م)
18-محمود أحمد نحلة، الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر في اللغة والأدب، دار الوفاء الإسكندرية، (2004م)
19-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، دار التنوير ، (2008م)

أثر العلوم الدينية في تأسيس الدرس اللغوي العربي

The effect of religious studies in establishing the Arabic language lesson

د. حبيب حساني. أستاذ متعاقد بكلية الآداب واللغات جامعة تيارت - الجزائر.
البريد الالكتروني:hassanihabib922@gmail.com

ملخص.

كان العرب قبل الإسلام أميّين لا يقرؤون ولا يكتبون، دأبهم في حياتهم رواية الشعر، يتناقلونه بينهم خلفًا عن سَلف، فيه أيامهم ومآثرهم، فجاء الإسلام ونقلهم من الجهل إلى العلم، فصاروا بفضله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه، فدعاهم ذلك إلى الخوض في تفاصيل القرآن، وسنة نبيه(ﷺ)، فنشأت لديهم علوم ارتبطت أساسا بالقرآن والسنة، وهي التّي اصطلح عليها العلوم الدينية، ولمّا اتسعت رقعة الإسلام، ودخل الأعاجم في دين الله أفواجا، خيف أن يقع الناس في اللحن، وهم يتناولون كتاب الله المبين بالتلاوة، فصارت الحاجة إلى ضبط الألسن، ووضع الضوابط ليأخذ الأعاجم العربية وفق أصولها، ويحافظ العرب على سليقتهم، فانبرى علماء الدين يبحثون عن قواعد تحفظ الجبلة، وتعصم اللسان من اللحن خشية تسربه إلى القرآن الكريم، فنشأ علم اللّغة الذي استمد أصوله، ومصطلحاته من علوم الدين، فإلى أي مدى يمكن اعتبار علوم الدين هي الرافد الأساسي لتأسيس الدرس اللّغوي العربي، وهل لقي علم العربية الحرص، والصرامة نفسها التى نالتها علوم الدين من قبل العلماء؟ هذا ما تود الدراسة معالجته وفق قناعة بحثية.

الكلمات المفتاحية: الدين، اللّغة، القراءات، الأصل، الفرع، العلّة.

Summary; Before Islam, Arabs were illiterate and neither read nor write. They were telling the poetry of their life, and they passed it on among themselves from their ancestor, where their days and their exploits were, then Islam came and transferred them knowledge, and thanks to it they recite the book of God and study it, which called them to dive into the details of the Quran. And the Sunnah of His Prophet (), then sciences appeared which were mainly related to the Quran. 'an and Sunnah, which were called religious sciences, and when the realm of Islam expanded and non-Arabs entered the religion of God in herds, he was afraid that people would fall into melody, as they dealt with the Book of God revealed through recitation, therefore the need to control languages, to put in place controls to take non-native Arabic speakers according to their origins, and Arabs preserving their pedigree , then those who know the religion looked for rules that preserve the language and keep it out of the melody for fear of its flight into the Holy Quran, so linguistics emerged which derived its origins and terminology religious sciences. To what extent can religious science be considered the main tributary of the foundations of the Arabic Language Lesson, and has Arabic science met the same diligence and rigor that religious science has attained by scholars? This is what the study wishes to address according to a research conviction.

Keywords: religion, language, readings, origin, branch, cause.

مقدمة.

يتَّفق معظم الدارسين على أنّ العرب في جاهليتهم كانوا يتكلمون لغتهم بالسليقة، ولم يكونوا بحاجة إلى قواعد لغوية تضبط كلامهم، وكان الخطأ واللَّحن من العيوب التي لا تُغتفر، وقد جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم في المستوى الأرقى من البلاغة والفصاحة، وظلّ الأمر على تلك الحال، إذ لم تزل السليقة قاسما مشتركا بين الشعوب التي دخلت تحت راية هذا الدين، وتوحَّدت تحت لوائه، فعزّز القرآن وحدتهم اللغوية، ولم تكن الدروس اللغوية إلا ملاحظات عابرة تُصوِّب بعض الأخطاء، ولم تكن من أولى اهتماماتهم، لأنهم وجهوا هذه الاهتمامات في بادئ الأمر إلى العلوم الشرعية والدينية،(علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه)، ولمّا فرغوا منها أو كادوا اتجهوا إلى العلوم الأخرى، ولم تكن بداية علوم اللغة مقصودة لذاتها، وإنما لارتباطها بالنص القرآني « وما وُجد في القرن الأول الهجري من تأمُّلات نحوية أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافز إليه إسلاميا، ولم يُقصد لذاته، وإنَّما لاعتباره خادما للنص القرآني (أحمد مختار عمر، 1997، صفحة 79)، ومع بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بدأت تظهر بوادر التأسيس لمنهج جديد في الدراسات اللغوية؛ إذ بقي الحافز الديني أحد البواعث الأساسية لهذه الدراسات، ومرجِعا منهجيا مُهِمّا أخذت منه الكثير من الضوابط والمصطلحات.

مشكلة البحث.

يتضمَّن هذا المقال بَيان واستعراض أهمية العلوم الدينية (علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه) في بَعث الدرس اللغوي عند العرب، وأثرها في خدمة هذا الدرس وترقيته، ومن هنا شكَّل هذا البحث إجابة لجملة من التساؤلات.

- ما مدى تأثير العلوم الدينية على الدّرس اللغوي عند العرب، وماهي المناهج المتوخاة في ذلك؟
- ماهي جهود علماء الدين في خدمة هذا الدّرس وترقيته؟

أهمية البحث:

تتحدّد أهداف هذا البحث فيما يلي:

- التعرف على العلوم الدينية التي ظهرت عقب بزوغ فجر الإسلام.
- التعرف على أثر هذه العلوم في تأسيس الدرس اللغوي عند العرب.
- التعرف على جهود ثُلَّة من العلماء العرب الذين كانت لهم قَدَم راسخة في بَعْث الدراسات اللغوية وترقيتها.

المبحث الأول: العلوم الدِّينية.

جاء الإسلام وكان مرجع الأحكام فيه إلى القرآن الكريم، وإلى شخص النبّي (ﷺ) فالصّحابة يأخذون عن رسول الله (ﷺ) المعارف والسّلوك ليتفقّهوا في الدّين، لأنّ مجالس النبّي (ﷺ) أولى حلقات العلم في تاريخ الأمة العربية، والرّسول (ﷺ) أوّل من علّم، وهو القائل (ﷺ):« خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه (البخاري، 2012، صفحة 643)، وهو «أوّل من صدرت عنه الرّسائل التّي تشبه المؤلفات العلمية، كرسالة الزّكاة التّي أملاها، وكانت عند أبي بكر رضي الله عنه (الرافعي، 2005، صفحة 228).

قُبض رسول الله (ﷺ) والقرآن الكريم في الصدور، ولما كانت غزوات الفتح هلك حملة القرآن في الحروب، والغزوات، ففطن الخلفاء إلى مسألة تدوين القرآن الكريم، وبدأت أولى المبادرات مع أبي بكر الصديق (ض) حيث دُوّن القرآن في صحفٍ واحتُفظ بها :« وبقيّت تلك الصّحف عند أبي بكر(ض) ينتظر بها وقتها أن يحين، حتى إذا تُوفي سنة 13هـ صارت بعده إلى عمر بن الخطّاب(ض)، فكانت عنده حتّى مات ثمّ كانت عند حفصة ابنته صدرا من ولاية عثمان(ض)، ويومئذ اتّسعت الفتوح، وتفرّق المسلمون في الأمصار فأخذ كلّ مَصر عن رجل من بقية القرّاء (الرافعي، 2005، صفحة 32) وأوّل ما توجّه إليه العرب بالدراسة هي العلوم الدينية، لما لها من اِرتباط بالقرآن الكريم وسنة الرّسول (ﷺ)، لأنّ العربية كانت ممكّنة في الألسن بالجبلة، يعرفها المؤمن والمشرك، ولكن أمر الدّين وخصائصه لا يهمّ إلّا من شرح الله صدره للإسلام، ومن هنا كانت الأسبقية للمعارف الدّينية تلقّيا، وفهما واستنباطا، ومن رحمها وُلِد الدرس اللغوي العربي.

المبحث الثاني: علـــوم اللّغـــــة.

لغة: اللغة من مادة لَغَوَ : اللّغةُ واللّغات، واللّغون :اختلاف الكلام في معنى واحد .ولغَا يلغُو لغواً يعني اختلاط الكلام في الباطل . وقول الله عزوجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَاما﴾ (الفرقان، 72)، أي بالباطل، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ (فصلت،26)، يعني : رفع الصوت بالكلام ليغلّطوا المسلمين »((الخليل بن أحمد الفراهيدي، 2005، صفحة 879).

وذكر صاحب المقاييس أن « لغو :اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على الشّيء لا يعتدّ به، والآخر على اللّهج بالشّيء، فالأوّل : اللّغوُ ما لا يعتدّ به ...والثاني قولهم :لَغِيَ بالأمر، إذا لهج به ويقال إنّ اشتقاق اللّغة منه، أي يلهج صاحبها بها (أحمد بن فارس، 2011، صفحة 957).

وجاء في اللّسان: « واللّغة من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا إذا تكلّم (ابن منظور، 2013، صفحة 680).

وجملة التعاريف اللّغوية أن اللّغة هي الكلام المنطوق به، المحقّق بصفتي النطق، والسمع، وهي خصّيصة إنسانية بوصف الآدمي كائن ناطق مبين.

وفي الاصطلاح: يعرّفها ابن جنّي « بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم (ابن جني، 2007، صفحة 76) والأغراض هنا القصدية التّي منها الفائدة التّي بها يتحقّق التواصل بين أفراد المجتمع، ويعرّفها ابن خلدون بقوله :« اِعلم أنّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصّناعة ؛ إذ هي ملكات في اللّسان، للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكة، أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات، وإنّما هو بالنّظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التّامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلّم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع (ابن خلدون، 2004، صفحة 632)، وهذا التعريف على قدمه في الزمان، إلّا أنّه مازال يحظى بالقيمة والاعتبار في الدرس اللّغوي الحديث، لأنّ اللّغة مطلقا يتوافر فيها شرطان: الجماعة والنظام، ومن ثمّ تكون غائية تتحقّق بها الوظائف، فالمقاصد حتّى وإن تفرّعت وتمايزت بتمايز الناطقين ، إلّا أنّ ذلك يجعل منها ظاهرة اجتماعية على حدّ قول الرافعي: أنّ « الأصل في تشعّب اللّغات تشعّب الجماعات، فإنّ اللّغة كما أسلفنا بنت الاجتماع، وهي ألفاظ ملك السامع في الحقيقة لا ملك المتكلم، لأنّها لا يلغى بها لغو الطائر، لكنّها تلقى لدلالة خاصّة يعيّنها الاصطلاح الحرفي بين المتكلّم والسّامع (الرافعي، 2005، صفحة 56).

جملة هذه التعاريف تضع اللّغة وسيلة تواصل بين متكلّم وسامع عبر ألفاظ، ومفردات، وتراكيب يلفظ بها المتكلم، ويتلقاها السامع فيعي دلالتها، ويحصل التواصل والتفاهم بينهما، وسقنا هذه التّعاريف لندلّل على نزول القرآن بلسان العرب ليفهموه ويعقلوه قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف، 02)، ولأنّ الله سبحانه وتعالى اصطفى من الخلق نبيّة محمد (ﷺ) لتبليغ رسالته، وهو الرّجل العربي، وبقدرة الله وجلاله اصطفى العرب عبر رسوله (ﷺ)، وهم أمّة بيان، ذوى حوافظ قوية، اكتسبوها بالفطرة لتؤسّس فيهم صفة البلاغة والبيان، وتلك صفات أهّلتهم لنشر دين الله في الأمصار المترامية بوسائط متواضعة لكنّها حقّقت المراد، لتوفّر العزم واليقين، وهي الأسباب التّي رغّبت جموع الأعاجم الولوج في دين الله أفواجا، ولمّا كان القرآن الكريم عربيا في لسانه من الطبيعي أن يَعْسُر النطق به على كثير من الأعاجم، وخاصّة حديثي العهد بالإسلام، فتسرّب اللحن، وفسدت الألسن، فخيف على كتاب الله من التحريف، والتصحيف، كما خيف أن يفسد اللّسان العربي لاختلاطه بالأعاجم، فهب لذلك رجال يستنصرون لكتاب الله وسنّة رسوله (ﷺ)، وصونا للعربية من الضّياع، وتلك بداية نشأة جملة العلوم ومنها علوم العربية.

المبحث الثالث: أثر العلوم الدِّينية في علوم اللُّغة.

منّ الله تعالى على المسلمين كثرة الفتوح، وحين اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية، وخيف أن يختلف النّاس في فهم أصول دينهم، فاتّجهت الدّراسات إلى الاجتهاد في فهم النّص القرآني، وتخريج الأحكام

استعدادا للعمل بها في واقع النّاس، وهذا الإجراء جعل الطّبقة المميّزة من ذلك الرّعيل تهتمّ بتلقي القرآن وفق منهجية الرسول الأعظم(ﷺ)، وبذلك صاروا الأساس الابتدائي في تلقين النّص القرآني على أساس كامل ومُتقن من الدّراية التزاما منهم بالخطّ النبوي الذي يمثّل لديهم المرجع الوحيد، ولعلّ السّبق في علم القراءات كان سببه الغيرة على روح الدّين، والحرص على إشاعته في الألسن، ولا سيّما مع توسّع الرقعة الجغرافية، واختلاف الأمصار، ودخول العجم إلى رحاب الدّين الإسلامي أفواجا.

أولا: علم القراءات.

علم القراءات هو أوّل العلوم الدينية نشأة؛ إذ بدأ مع بداية نزول الوحي، وجاء في اللسان « ومعنى القرآن معنى الجمع، يسمي قرآنا لأنّه يجمع السّور ... قرأت الشيء قرآنا : جمعته وضممت بعضه إلى بعض (ابن منظور، 2013، صفحة 133). الجمع خاص بالقرآن، والقراءة ليست هي القرآن

« فالقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد (ﷺ) للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف وكيفيتها من تخفيف، وتثقيل وغيره (الزركشي، 1984، صفحة 318).

فعلم القراءات اصطلاحا: هو العلم الذي يبحث في كيفية النّطق بألفاظ القرآن الكريم نطقا سليما كما أُثر عنه(ﷺ) في مختلف الوجوه التّي تحقق نزول الآيات، والألفاظ بها، ومن هنا نلاحظ أنّ هذا العلم قد مرّ ومرّ بمراحل متوالية، فمن أوّل نزول القرآن الكريم على النبّي (ﷺ) بأحرفه السبعة لقوله (ﷺ):« أقرأني جبريل على حرف واحد، فراجعته فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتّى انتهى إلى سبعة أحرف (البخاري، 2012، صفحة 639)، والحكمة من الأحرف السبعة هي التيسير على الأمّة، فالعرب المقصودون بهذه الأحرف لم يكونوا على لسان واحد في بعض أوجه الكلام، لأنّهم كانوا قبائل متعدّدة، وبلهجات مختلفة من حيث نبرات الأصوات، وأدائها، ثمّ صارت القراءات علما قائما بذاته له أصوله، ومبادئه، وتمّ تدوينه في الكتب، بعد أن وضعت للقراءات شروط وضوابط، فالقرآن والقراءات في زمن النبوّة كان يتمّ عبر تعليم النبّي (ﷺ)المباشر الصحابةَ امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَقُرءَانا فرقناه لِتَقرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكث وَنَزَّلنَٰهُ تَنزِيلا﴾ (الإسراء، 106)، وكذا تعليم الصحابة بعضهم البعض بأمر من الرّسول (ﷺ)، وأمّا في زمن الصّحابة والتابعين، فقد أُخذت بعض وجوه القراءة المختلفة وتمّ نقلها بالرّواية« فقد اِشتهر بالإقراء منهم سبعة :عثمان(ض)، وعلي(ض)، وأبّي(ض)، وزيد بن ثابت(ض) ،وابن مسعود(ض)، وأبو الدرداء (ض)، أبو موسى الأشعري(ض)، وعنهم أخذ كثير من الصّحابة، والتّابعين في الأمصار (الرافعي، 2005، صفحة 45)، ثمّ بدأت تشيع ظاهرة اختلاف القراءات في النّصف الأوّل من القرن الهجري الأوّل فعّين الخليفة عثمان بن عفّان (ض) مقرئا خاصّا لكلّ مصر من الأمصار التّي بعث إليها بمصحف، توافق قراءته أهل المصر المُرسل إليهم « وكانت سبعة في قول

مشهور- فأرسل منها إلى مكّة، والشّام، واليمن، والبحرين، والبصرة ، والكوفة، وحبس بالمدينة واحدا، وهو مصحفه الذي يسمّى الإمام (الرافعي، 2005، صفحة 36).

ومنشأ هذه القراءات « يعود إلى الاِختلاف في اللّهجات، وكيفية النطق بها، وذلك كالترقيق، والتفخيم، والإمالة، والإدغام، والإضمار، والمدّ، القصر، والوقف، والوصل، والتّشديد، والتّخفيف، وغير ذلك من طرق الأداء (أمير عبد العزيز، 1983، صفحة 94).

وقد وضع العلماء المسلمون شروطا، وضوابط للقراءة لا تُعتمد من دونها ومنها :

ـــــ التواتر: « وهو النّقل الصّحيح عن جمع لا يمكن معه تواطؤهم على الكذب (السيوطي، 2018، صفحة 102)، ولذلك لا تصحّ القراءة غير المتواترة ولو كانت مشهورة .

- موافقة اللّغة العربية: فلا تصح القراءة المخالفة للعربية .

- أن تكون القراءة موافقة لرسم المصحف العثماني، ولو اِحتمالا.

- أن تكون القراءة صحيحة الإسناد متصلة الرّواية، فهي سنّة متّبعة يجب الالتزام بها، وتثبت عن طريق النقل، لاعن طريق الرأي والاجتهاد (ابن الجوزي، 2016، الصفحات 1-7).

واشتهر من أصحاب القراءات أئمة سبعة تُنسب إليهم القراءات إلى يوم الناس هذا وهم :« أبو عمر بن العلاء شيخ الرواة المتوفى سنة 154هـ، وعبد الله بن كثير المتوفّى سنة 120ه، ونافع بن نعيم المتوفي سنة 169هـ، وعبد الله بن عامر اليحصبي المتوفى سنة 118هـ، وعاصم بن بهدلة الأسدى المتوفى سنة128هـ، وحمزة بن حبيب بن الزيات العجلي المتوفى سنة 156هـ، وعلّي بن حمزة الكسائي إمام النحاة الكوفيين المتوفى سنة 189ه (الرافعي، 2005، صفحة 46).

واعتبر البعض أنّ القرّاء عشرة فأضافوا أبا جعفر يزيد بن القعقاع المتوفى سنة 132هـ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة 205هـ، وخلف بن هشام بن طالب البغدادي المتوفى سنة 229هـ.

وهذه القراءات كلّها مستوفية للأركان المذكورة سالفا وهي « كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحّل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على النّاس قبولها سواء كانت على الأئمة السّبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الّأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السّبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصّحيح عند أئمة التحقيق من السّلف و الخلف (ابن الجوزي، 2016، صفحة 19).

لقد كان لهذه القراءات أثر جليل على لغة العرب ولهجاتهم « فترتّب على تعدّد هذه الأحرف والأوجه فائدة عظمى، وهي تنوّع في المعاني وزيادتها، إذ أنّها تشتمل على أضرب منها متغايرة متنوعة، فكلّما أجرينا الآية على وجه تبين لنا ضرب من المعنى مغاير ممّا يحتويه الوجه الآخر منها (محمد شفيع الدين،

2009، صفحة 54)، أمّا من حيث إعجاز القرآن البياني فإنّ تعدّد مناحي التأليف الصوتي للقرآن يكافئ التعدد اللّهجي الذّي عليه سليقة العرب، وهو إعجاز تحدّى به الرسول(ﷺ) العرب مع اليأس من معارضته، لأنّه إعجاز للغة العرب كلّهم (محمد شفيع الدين، 2009، صفحة 55)، بالإضافة إلى ذلك فإنّ القراءات حفظت اللّهجات العربية من الاندثار، لأنّ تعدد أحرف القرآن هو من خصائص هذه الأمّة التي نزل بلسانها، وكان علم القراءات بحق هو السبيل الأوحد إلى تفجير كلّ العلوم الشّرعية، وحتّى علوم العربية بفنونها،فكثير من الخلافات النحوية كان الفيصل فيها هي القراءات« فعندما يقع خلاف نحوي بين النّحويين، فإنّ كلّ فريق يحاول أن يأتي بحجة دامغة، وبرهان ساطع، ولا شكّ أنّ القرآن الكريم بقراءاته هو أصدق الأدلّة، وأوضح البراهين، لذلك فزع كثير من النحويين للقراءات لإثبات رأي، أو تعزيز حجة (مبروك حمود الشايع، 2009، صفحة 23)، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب المتقدّمين من اللّغويين والنّحاة من الإشارة للقراءات.

ثانيا: علم التّفسير.

ورد في كتاب العين: « فَسَّرَ، الفَسْرُ، التَفْسِيرُ هو بيانٌ و تفصيلٌ للكتاب، و فَسَرَه يفْسِرُه فسرا، و فَسَّرَه تفسيرا، والتفسِرَةُ : اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلّ به على مرض البدن، وكلّ شيء يُعرف به الشّيء فهو تفسير التفسرة (الخليل بن أحمد الفراهيدي، 2005، صفحة 743).

وذكر صاحب المقاييس في اللغة مادة « فسر : الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء و إيضاحه، من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرتُ الشّيءَ، و فَسّرْتُهُ، والفَسر، والتَفْسِرَةُ نظرُ الطبيب إلى الماء وحُكْمُهُ فيه، والله أعلم بالصّواب (أحمد بن فارس، 2011، صفحة 947).

وجاء في اللسان : « فَسَرَ، والفَسْرُ :البيان، وفَسَرَ الشّيءَ يَفْسُرُه، و يَفْسُرُه فسرا، وفَسّره أبانه، و الفَسْرُ كَشْفُ المغطّى، والتّفسير كشف المراد عن اللّفظ والتأويل (ابن منظور، 2013، صفحة 482).

وجملة الدلالة اللغوية للتفسير هي إبانة الشّيء، والكشف عن حاله، بتوضيح الغامض منه.

واصطلاحا: « التّفسير هو العلم الذي يبحث في أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى، أو علم نزول الآيات الكريمة من حيث أسباب نزولها، وترتيبها مكّية، ومدينة، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها، ومنسوخها، وعامّها، ومطلقها، ومقيّدها، ومجملها، ومفصّلها، وحلالها وحرامها، ووعدها، ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها (السيوطي، 2018، صفحة 54).

ويعرّف الشيخ الزرقاني التفسير بأنّه: «علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية (محمد عبد العظيم الزرقاني، 2004، صفحة 07)، ويعطي تحليلا لهذا التّعريف ليذهب عنه كل الشّبهات، فيعرّف العلم بأنّه المعارف التصوّرية، ويُبحث فيه عن القرآن الكريم ليُخرِج من تعريفه العلوم التي تبحث غير القرآن الكريم، و أمّا من حيث دلالته على مراد الله تعالى

ليخرِج منه العلوم التّي تبحث في أحوال القرآن من جهة غير الدلالة كعلم القراءات، وعلم الكلام، وعلم الفقه، وأمّا قوله بقدر الطاقة البشرية لبيان أنّه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات، ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع، ونفس الأمر (محمد عبد العظيم الزرقاني، 2004، الصفحات 7-8)، ففي حياة الرّسول (ﷺ) هو الذّي كان يفسّر للمسلمين آيات القرآن الكريم، وأسباب نزولها ومع ذلك فالنبيّ(ﷺ) لم يفسّر القرآن كلّه لحكمة بالغة حتّى لا تُقفل أبوابه أمام العقول البشرية اللاحقة، وفي زمن الخلفاء الرّاشدين جلّ المسلمين على علم بمناسبات النزول، ومقاصد الآيات، لأنّ القرآن نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، فكانوا يعلمون ظواهره، وأحكامه بسهولة، ويسر، وعندما اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية وفتح العرب الأمصار البعيدة، دخلت أقوام كثيرة في الدّين الإسلامي، فكان يصعب على كثير من الأقوام فهم معاني القرآن الكريم خاصّة من غير العرب؛ لأنّ القرآن الكريم جاء معجزا في بيانه، فهو« على أعلى درجات البلاغة اللّغوية، وتفنّن بمحاسن المجاز، والكناية، والاستعارة، والأساليب البلاغية المختلفة، فظهرت الحاجة إلى تفسير الآيات بتبسيط، وبيان معناها، ودلالتها وأسباب نزولها (محمد حسين محاسنة، 2000، صفحة 60)، ولذلك وضع العلماء شروطا للمفسّر، فهو يحتاج إلى اللّغة لفهم المفردات، والألفاظ القرآنية، وما تحمله من مدلولات، كما يحتاج إلى النّحو، والصّرف ليلمّ بوجوه الإعراب، والبناء، وصيغ الكلام، ولا بدّ له من علوم البلاغة، كالمعاني، والبيان، والبديع للوقوف على حقائق الإعجاز، كما يحتاج إلى أصول الفقه لاستنباط الأحكام، وأسباب النزول للوقوف على الوقائع، والمناسبات، و لا بدّ له من المعرفة بعلم القراءات (محمد حسين محاسنة، 2000، صفحة 62).

و اشتهر بالتفسير عدد من الصّحابة منهم الخلفاء الراشدون الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس الذي لُقِبَ بترجمان القرآن بشهادة الرسول (ﷺ) وأُبّي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزّبير رضوان الله عليهم جميعا، وهؤلاء هم الرّعيل الأوّل الذي نهض بالعلوم الدينية بعد وفاة النبي (ﷺ) وأهّلهم ذلك لأنّهم أخذوا أصول العلم من الرّسول (ﷺ) لقوله تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (النحل،44)، فكانوا جميعهم :

- أعلم النّاس باللّغة العربية وهي لغة القرآن، وهم أعرف النّاس بأشعار العرب، وآدابهم وطريقة كلامهم.
- عايشوا نزول القرآن الكريم، فعرفوا أسباب النزول، ومناسبة الآيات، و ظروف نزولها.
- شدّة ملازمتهم للرّسول (ﷺ)، وحرصهم على تدبّر القرآن الكريم، وأكثر الصحابة تفسيرا للقرآن الكريم ابن عباس (ض) فهو ترجمان القرآن وتأخّر الزمان به حتّى اشتدّت حاجة النّاس للأخذ عنه بعد اتّساع رقعة الإسلام، فالرّجل انقطع للنّشر، والدعوة، والتعليم دون أن تشغله خلافة، أو تصرفه، سياسة،

وتفكير في شؤون الحكم، والرّعية، وهو الذي كان يرجع في تفسيره إلى الشّعر لأنّ فيه الكثير من اللّغة التّي وردت في القرآن و عَسُرَ على المفسّرين فهمها ، ونقل صاحب العمدة قول ابن عباس (ض) :« إذا قرأ تم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه من أشعار العرب، فإن الشِعْرَ ديوان العرب (ابن رشيق، 2006، صفحة 30).

كان ـــ رضي الله عنه ـــ جامعا بين الرأي والأثر في التفسير، حتى شهد له علي (ض) بقوله: « إنّه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق((ابن قتيبة، 1977، صفحة 312)، ولعلّه لم يحصل على تلك الامتيازات المعرفية، والمنهجية في مقاربة النّص القرآني إلاّ بدعوات النّبي(ﷺ) على حين، أمّا حيازته للنصوص الشعرية، وشغفه بكلام العرب، وأخبارها، وسيّرها لدليل على توسّع خبراته، واشتداد عوده العلمي.

ومن الصّحابة أيضا عبد الله بن مسعود « كان سادس ستّة ما على وجه الأرض مسلم سواهم، وكان خادم رسول الله (ﷺ) يلبسه نعليه، ويمشي معه، و أمامه، فكان له من هذه الصلة النّبوية خير مثقّف، ومؤدّب، لذلك عدّوه من أعلم الصّحابة بكتاب الله، ومعرفة محكمه، ومتشابهه، وحلاله، وحرامه (محمد عبد العظيم الزرقاني، 2004، صفحة 20).

واشتهر بالتفسير من التابعين، وتابعي التّابعين نذكر على سبيل المثال لا الحصر، سعيد بن جبير: أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر- رضي الله عنهم، قال له ابن عباس : حدّث فقال : أحدث وأنت ها هنا ؟ فقال : أليس من نعمة الله عليك أن تحدّث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علّمتك...((ابن خلكان، 1978، صفحة 203).

سفيان الثوري: أجمع الناس على دينه، وورعه، وزهده، وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين له من المؤلفات (الجامع الكبير)، (الجامع الصغير)، (الفرائض)، (ابن خلكان، 1978، صفحة 368).

مالك بن أنس: إمام دار الهجرة مؤسس المذهب المالكي من مؤلفاته الموطأ (ابن خلكان، 1978، صفحة 135).

الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان. من آثاره (معاني القرآن) سبق ذكره في مبحث القرّاء.

قطرب : من آثاره (إعراب القرآن)، (معاني القرآن)، ((ابن خلكان، 1978، صفحة 312).

أبو سعيد الأصمعي: من آثاره (غريب القرآن)،((ابن خلكان، 1978، صفحة 170).

وإنّما ذكرنا هذه النّماذج للتدليل على أنّ علماء هذا العصر كانوا يتميّزون بالموسوعية، فتجد الرّجل مقرئا، ومفسّرا، وراوي حديث، ولغوّي، وصاحب شعر، وأخبار، وهذا كلّه لأنّ الدّافع إلى العلم كان الدين، وبالذات كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وحديث نبيه المصطفى (ﷺ) لأجل إفهام الناس مقاصد القرآن والشّريعة، ولولا هؤلاء ما كان ليصلنا هذا العلم كلّه، لأنّ التوسّع في المعارف آنذاك كان أمرا ضروريا

لخلوّ الساحة من المعرفة، فاراد هؤلاء الرواد أن يؤسّسوا قاعدة علمية عرفانية لها ما بعدها من التأثير والقيمة، والله أعلم .

ثالثا: علم الحديث.

لغة : «حدث: يقال: صار فلان أُحدوثَةً أَكثَروا فيه الأحاديث (الخليل بن أحمد الفراهيدي، 2005، صفحة 176).

وورد في المقاييس « حدث :الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كونُ الشيء لم يكن، يقال : حدث أمر بعد أن لم يكن، والرّجل الحدث : الطريّ السنّ، والحديث من هذا لأنّه كلام يحدث منه الشّيء بعد الشّيء، ورجل حِدُث:حسن الحديث، ورجل حِدْثُ نساء، إذا كان يتحدث إليهن (أحمد بن فارس، 2011، صفحة 253).

وجاء في اللّسان: « الحديث ضد القديم، والحديث الجديد من الأشياء، والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، و الجمع أحاديث (ابن منظور، 2013، صفحة 131).

وهذا التعريف اللّغوي يحيل إلى أنّ الحديث هو الكلام الذي يصدر عن المتكلّم، ثمّ يُنقل عنه بالرواية أو الكتابة، و لذلك نُسِب الحديث إلى الرّسول (ﷺ).

الحديث اصطلاحا :« ما ورد عن الرّسول (ﷺ) من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، خَلْقية، أو خُلقية، فما قاله إن كان خبرا وجب تصديقه، وإن كان تشريعا إيجابا، أو تحريما، أو إباحة وجب إتباعه فيه »، (ابن تيمية، 1985، صفحة 5)، فالله سبحانه وتعالى أمرنا باتّباع النبيّ (ص) والانتهاء عمّا نهانا عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر، 07)، وهذا الاِتّباع للنبيّ (ﷺ) أمر من أوامر الله الواردة في القرآن، ومخالفته تعني الخروج عن تعاليم الدّين، ولذلك كلّ ما أمر به الرّسول (ﷺ) عن طريق القول، أو الفعل، أو التقرير، أو الحال، أو حتّى السّيرة اليومية للنبّي (ﷺ) هو من السنّة الشريفة الواجب اِتّباعها، والمحافظة عليها والحديث الشّريف، والسنّة النّبوية يأتيان في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كمصادر للتشريع، ولم يثبت أن دُوّن الحديث في حياة الرّسول (ص)، وعن أبي سعيد الخذري أنّه قال: قال رسول الله (ﷺ):« لا تكتبوا عنّي ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه، وحدّثوا عنّي فلا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النّار (مسلم أبو الحسين، 2006، صفحة 1366)، فلم يدوّن الصّحابة، ولا التابعون أحاديث الرّسول (ﷺ)اِمتثالا لأمره، وبقي الاِعتماد على الرّاوية، وامتدّت الفتوحات واتّسعت رقعة الدولة الإسلامية، وتفرّق رواة الحديث على الأمصار، ومات عدد كبير منهم، فشعر العلماء بالحاجة إلى تدوين الحديث، وأدرك عمر بن عبد العزيز ذلك، ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب اتّفقت حولها معظم الكتب والدراسات هي :

-الخشية من ضياع الحديث الشّريف، بسبب موت أكثر رواة الحديث .
- ظهور الوضع والحمل على الرّسول (ﷺ) بسبب الخلافات السياسية والمذهبية.
- بداية ضعف ملكة الحفظ التّي اتّصف بها العرب، ثمّ إهمالها بسبب انتشار الكتابة، والفتوحات، وفيوض الأموال والموارد، ولهث النّاس وراء الدّنيا بعد انفتاح مفاتنها عليهم.
ـــــــ زوال كراهية الكتابة، لكون أمر الخشية من اختلاط القرآن الكريم بالحديث الشّريف أصبح غيرَ مطروح، لوضوح التميز بينهما .
« فكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينَةِ على رأس المائة للهجرة ، وانتُدِبَ أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم (ت117ه) وكان عاملة على المدينة ليقوم بكتابة الحديث، فقال له : انظر ما كان من حديث رسول الله (ﷺ) فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم، وذهاب العلماء (محمد حسين محاسنة، 2000، صفحة 82).
واعتَبر هذا التّاريخ هو أوّل تدوين للحديث الشّريف، و بوفاة عمر بن عبد العزيز عدل بن حزم عن جمع الحديث، ثمّ جاءت محاولة الإمام محمد بن شهاب الزهري* (ت 124ه) حيث استقصى ما وصل إليه من حديث و جمعه، ثمّ « تابع عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة 150 ه وجمع أحاديث رسول الله (ﷺ) فقد صنّف كتابا في الآثار، وحروفا من التّفسير، و جمع فيه أحاديث مجاهد، وعطاء، وأصحاب عبد الله بن عباس بمكة (محمد حسين محاسنة، 2000، صفحة 72) ، ثم أخذت عملية الجمع و التدوين تنشط على يد ابن إسحاق(ت 151 ه) والإمام مالك (ت 179 ه)، و سفيان الثوري (ت 161 ه)، ثمّ بدأت مرحلة جديدة في التدوين وهي مرحلة تصنيف، الحديث، و قد نهج المصنّفون عدّة طرق منها: التصنيف على المسانيد، وطريقة المعاجم، وطريقة الجوامع، وبالموازاة مع بداية جمع الحديث و تدوينه وضرورة التأكّد من صحّة ما يروى عن النّبي (ﷺ)، فتدوين السنّة تأخّر قرابة قرن ونيف وهذا ما جعله عرضة للوضع والتشويه، لأنّه بعد فترة الخلافة الراشدية مرّت الدولة الإسلامية بظروف عصيبة ظهرت فيها الفرق، والأحزاب، والشّيع الدينية والسياسة، فشاب تلك المرحلة الكثير من الشّك حول وضع الأحاديث، ونسبها إلى الرسول (ﷺ) بما يوافق أهواءهم، ومصالحهم، وهو خطر على علم الرواية، والنقل، ممّا استدعى الحريصين على استنباط علم الجرح والتعديل من ظاهرة المسخ، والتشويه التّي طالت الحديث الشريف، وظهرت كذلك علم الناسخ والمنسوخ، وغريب الحديث و غيرها، فالعلماء وقفوا للواضعين بالمرصاد، وصحّحوا، وجرحوا، وعدّلوا، وأخرجوا لنا الصحّاح التّي منها نأخذ سنّة المصطفى (ﷺ).
يقول ابن خلدون :« ومن علوم الحديث النّظر في الأسانيد ، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السّند الكامل الشّروط، لأنّ العمل إنّما وجب بما يغلبُ على الظنّ صدقُه من أخبار رسول

الله (ﷺ)، فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظنّ، وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضّبط ، وإنما يثبت ذلك بالنّقل عن أعلام الدّين بتعديلهم، وبراءتهم من الجرح، والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلا على القبول أو الترك (ابن خلدون، 2004، صفحة 479)، فالعلماء وضعوا شروطا لقبول الرّواية، فلا تُقبل الرّواية إلاّ عن بالغ، عاقل، عدل في دينه، بعيد عن السهو والزّلل، وأن يكون السّند متّصلا برسول الله (ﷺ)غير منقطع، كما كان العلماء يبحثون في أحوال رواة الحديث في كلّ ما تعلّق بمولدهم، ووفاتهم، وشيوخهم، وأوطانهم، ورحلاتهم لمعرفة الثّقات منهم، والضعفاء، وذلك علم سمّوه علم رجال الحديث، وبحث العلماء في غريب الحديث من الألفاظ، وفي ناسخة و منسوخة ينقل ابن خلدون عن الزهري قوله :« أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله (ﷺ) من منسوخه (ابن خلدون، 2004، صفحة 479)، وعلى ضوء هذه الدراسة للحديث قسموا الحديث وصنفوه إلى أحاديث صحيحة، وأخرى حسنة، وثالثة ضعيفة لتقريب الأخذ بالأولى تحقيقا لمبدأ انسجامه مع المنصوص القرآني؛ إذ الأصل في الرواية ألاّ تعارض بين القرآن الكريم، والحديث الشريف، وهو المبدأ الحق الجدير بالاتّباع، ومن أصول علم الحديث أخذ رواة الشّعر، ومصحّحوه، أسس منهجهم، فهو الآخر أصابه الوضع، والنحل، ولكن أصحاب الإثبات استطاعوا أن يخرجوه في حقيقته، أو ما يُرجّح أنّها حقيقته، لأنّه كلام بشر، وقد يطاله الزّيف من حيث يصعب كشفه.

رابعا: علم الفقه.

الفقه لغة: «هو العلم بالشّيء والفهم له، وفَقِهَ فِقْهًا :عَلِمَ عِلْمًا، وفَقِه الشّيءَ علمه، والفقه في الأصل الفهم، يقال أوتي فلان فقها في الدّين، أي فهما فيه، قال الله عزّ وجلّ: ليتفقّهوا في الدّين أي ليكونوا علماء به، و دعا النّبي (ﷺ)لابن عباس فقال: «اللّهم فقّهه (مسلم، 2006، ص1158)، فاستجاب الله دعاءه وكان من أعلم الناس في زمانه بكتاب الله (ابن منظور، 2013، صفحة 522).

وأمّا الفقه اصطلاحا: فيعرّفه ابن خلدون بقوله:« الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب، والحضر، والنّدب، والكراهة، والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب، والسنّة، وما نصّبه الشارع لمعرفتها من الأدلة (ابن خلدون، 2004، صفحة 483).

ومن ثمّ كانت حاجة الناس إلى الفقه في حياة النّبي (ﷺ) مرتبطة به عليه الصلاة و السلام فهو من يدلّهم على الحلال والحرام، ويعلّمهم أحكام الدين وتعاليمه، و بعد وفاته صلى الله عليه وسلّم ترك في المسلمين سنّة، سار عليها الخلفاء بعده؛ إذ كان النّاس يرجعون إليهم فيرجعون إلى الكتاب، والسّنة فإن لم يجدوا جمعوا أهل الرأي فاستشاروهم، ومع اتّساع رقعة الدّولة الإسلامية انتشر الصّحابة في مختلف أمصار الدّولة يعلّمون النّاس تعاليم الإسلام السّمحة، ولاشكّ أنّ أهل الأمصار كانوا سيسألونهم في الكثير من أمور الدّين، والدنيا، وكان الصّحابة بدورهم يجيبونهم بالعودة إلى الكتاب، والسنّة، وبما يجتهد

كلّ واحد ما دام أهلا للاِجتهاد، وأخذت تظهر تدريجيا بوادر تأسيس مدارس فقهية روادها من التّابعين الذّين عايشوا الصّحابة في الأمصار، وأخذوا عنهم « و انقسم الفقه فيهم إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي، والقياس وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز، وكان الحديث قليلا في أهل العراق كما قدّمناه، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، فلذلك قيل أهل الرأي، وتقدّم جماعتهم الذي استقّر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة، وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي بعده (ابن خلدون، 2004، صفحة 484)، وكلّ الآراء الفقهية لدى الفريقين ما كانت لتخرج عن مصادر أربعة هي: القرآن الكريم، والسّنة الشّريفة، وإجماع المجتهدين في عصر ما بعد وفاة النّبي (ﷺ)، و القياس؛ إذ يلحق أمرا غير منصوص على حكمه بأمر ورد فيه نص، لوجود علّة تجمع الأمرين، ولمّا كان الفقه كغيره من العلوم الدّين ذا صلة حميمية باللّغة وفنونها، صار العلماء والفقهاء أحوج إلى أصول العربية، وعلوم آلاتها من باب جدلية الفقه واللّغة، فكثير من المصطلحات والأحكام التّي يتداولها النحاة أصلها فقهي، « فقد اِقتبسها النّحاة من كتب الفقه واستعملوها لوجود تشابه في المعنى اللّغوي غالبا (النعيم محمد إبراهيم، 2015، صفحة 68)، ومن هذه المصطلحات.

النّسخ: لغة هو المحو والإزالة، وعند الفقهاء هو إبطال العمل بالحكم الشرعي إبطالا صريحا أو ضمنيا كلّه أو جزؤه، وهو عند النّحاة إبطال حكم المبتدأ والخبر، والإتيان لهما بحكم جديد بسبب دخول الناسخ عليهما.

الرّخصة: في الفقه هي ما شرّعه الله تعالى من الأحكام تخفيفا على المُكلَّف في حالات خاصة كالتيمم عند فقدان الماء، والرخصة النحوية هي ما جاز اِستعماله لضرورة الشّعر وتسمى كذلك الترخّص.

الواجب: شرعا هو ما طلب الشارع فعله من المكلّف فعلا حتميا كأركان الدّين، وأمّا في النّحو فهو ما لا يجوز خلافه، كرفع الفاعل ونصب المفعول.

الجائز: هو المباح شرعا، وهو ما خُيِّرَ فيه المكلّف بين الفعل والترك، أو بين الترك والفعل، وفي النحو هو ما يجوز فيه وجهان أو أكثر.

الأصل: شرعا ما ورد بحكمه نصّ ملزم كتحريم الخمر لورود النّص القرآني، والعلّة في ذلك الإسكار، وأمّا تحريم نبيذ التمر فهو فرع لم يرد بحكمه نصّ، لعلّة الإسكار الجامعة بينهما، بينما الأصل في النحو هو المقيس عليه، مثل الرفع في الفاعل، ونائبه فرع منه لأنّه تقدمه فعل مسند إليه، فوجب أن يكون مرفوعا قياسا على الفاعل.

المانع:عند الفقهاء هو ما يلزم من وجوده عدم الحكم أو بطلان السّبب، كبطلان الزكاة على المدين رغم ملكه النصاب حتى يقضي الدين لأنّه الأولى بالقضاء، وهو ذات التعريف عند النحاة؛ إذ الأصل أن يتأخر الخبر عن المبتدأ، ويجوز تقديمه حيث لا يوجد مانع.

الشرطّ: فقها هو ما يتوقف وجود الحكم على وجوده، وعدمه يعدم الحكم، وعند النحاة هو تعليق شيء بشيء (النعيم محمد إبراهيم، 2015، صفحة 73).

خاتمة.

إنّ العلوم الدينية بصفة عامة كانت البداية التّي فتّقت العقول، ومنها أُخذت الأسس العامّة التّي اعتمدتها بقية المعارف الأخرى، وبرز ذلك التعالق المعرفي بين جملة العلوم كعلوم اللّغة ورواية الشّعر التّي كان الغرض منها شرف خدمة كلام الله عزّ وجلّ، وسنّة نبيّه (ﷺ) بالآليات العلمية، وفي مقدمتها آليات اللسان العربي المبين.

وعموم القول حول العلوم العربية فإنّ الدافع إليها كان دينيا، فنشأت دراسات شتّى تهتمّ بمسائل التشريع، والعقيدة، كالتفسير، والفقه، وعلم الحديث، وفي حضرتها برزت فئة عالمة باللّغة، تبحث في علومها، وتضع الضوابط لها، صونا للألسنة من الزّلل، خشية وصول اللّحن إلى آي القرآن الكريم، فتعالقت العلوم ، وتداخلت فيما بينها، فلا تكاد تجعل لكلّ تخصّصه، فالكلّ عالم بالدّين، مفقّه فيه، محدّث، ولغوي، ونحوّي، وصاحب شعر، وأخبار، وسيّر، فهؤلاء المهتمون بالشّأن العلمي والمعرفي أنذاك من أوائل الرواة والعلماء كانوا أصحاب جذع مشترك في التلقي، حين كان يوحّدهم كتاب الله حفظا، وفهما، ثمّ ينبرون لرواية اللّغة بالآلية نفسها التّي حصل معها لهم كتاب الله، وبذلك جمعوا الحسنيين، القرآن واللّسان، وحضارة الأمّة لم تقم إلّا على هذين، لنخلص في النهاية إلى أنّ المعارف توالدت في حقل اللسان، وتخصّص لها الرّجال، وانعقدت الصّلات بينها وبين معارف الدّين، فشكّلت دائرة معارف كبرى جعلت من العالم الإسلامي آنذاك غانما بالدّين واللّغة، وهذا منهج مقصود لذاته.

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور. (2013). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
2. ابن الجوزي. (2016). *النشر في القراءات العشر*. مصر.
3. ابن تيمية. (1985). *علم الحديث*. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
4. ابن جني. (2007). *الخصائص* . القاهرة، مصر: دار الحديث.
5. ابن خلدون. (2004). *المُقدّمة*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
6. ابن خلكان. (1978). *وفيات الأعيان* . بيروت: دار صادر.
7. ابن رشيق. (2006). *العمدة*. مصر.
8. ابن قتيبة. (1977). *غريب الحديث*. بغداد: مطبعة العاني.
9. أحمد بن فارس. (2011). *معجم المقاييس في اللغة*. بيروت، لبنان: دار الفكر .
10. أحمد مختار عمر. (1997). *البحث اللغوي عند العرب*. مصر: القاهرة.

11. البخاري. (2012). *الجامع الصحيح*. دار التقوى: دار التقوى.
12. الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2005). *كتاب العين*. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
13. الرافعي. (2005). *تاريخ أداب العرب* . بيروت: لبنان.
14. الزركشي. (1984). *البرهام في علوم القرآن*. مصر.
15. السيوطي. (2018). *الاتقان في علوم القرآن*. القاهرة ، مصر: مطبعة حجازي.
16. النعيم محمد إبراهيم. (2015). أثر العلاقة بين أصول الفقه وأصول النحو في استنباط الأحكام الشرعية. رسالة ماجستير جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
17. أمير عبد العزيز. (1983). *دراسات في علوم القرآن*. مصر: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع.
18. مبروك حمود الشايع. (2009). القراءات العشر. *2009* .
19. محمد حسين محاسنة. (2000). *أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين*. الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي.
20. محمد شفيع الدين. (2009). المدينة المنورة، . *مجلة البحوث والدّراسات القرآنية ، 13*.
21. محمد عبد العظيم الزرقاني. (2004). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
22. مسلم أبو الحسين. (2006). *صحيح مسلم*. الرياض السعودية: دار طيبة .

صّراع اللغة العربية الفصيحة واللّهجات العامية في العالم العربي

The struggle between classical Arabic and colloquial dialects in the Arab world

د. بن التواتي عبد القادر جامعة عمار ثليجي –الأغواط-الجزائر -
البريد الإلكتروني:1967amel@live.com

ملخص:

إن علم اللهجات وإن كان جديدا في أوروبا وأمريكا، إذ لم يظهر سوى في القرن 18م ، فإنه قديم في الدراسات اللغوية العربية ، واهتمامهم به كان نتيجة جمعهم للغات العرب لتكون تأصيلا للعلوم اللغوية الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية وغيرها من العلوم التي كانت معينا لفهم نصوص القرآن الكريم، وينبغي أن نشير إلى أن اللهجات هذه هي أصل الفصاحة العربية، وليست لهجات متنوعة متعددة كما هو الشأن في الشرق و أوروبا وأمريكا .هذا البحث يعرض الاختلاف في البحث بين اللهجات العربية القديمة واللهجات (المحلية العامية)والنزعات القائمة بين الباحثين المتخصصين وأشباههم في العالم العربي ، كما يعرض لدعاوى الاهتمام بالعاميات وإحلالها محل الفصحى في شتى مناحي الحياة التعليمية والثقافية والإبداعية .

الكلمات المفتاحية: علم اللّهجات، القديم ، الحديث، أهميته، نتائجه.

Abstract:

The science of dialects, although new in Europe and America, as it did not appear until the 18th century AD, is old in Arabic linguistic studies, and their interest in it was the result of their collection of Arab languages to be a rooting for linguistic sciences phonetic, grammatical, morphological, lexical and other sciences that were aided in understanding the texts of the Qur'an. Noble, and we should point out that the dialects e / e are the origin of Arabic eloquence, and not a variety of dialects as is the case in the East, Europe and America.

This research presents the difference in research between the ancient Arabic dialects and the (local vernacular) dialects and the existing trends between specialized researchers and their like in the Arab world, as well as the claims of interest in colloquial and substituting it for classical in various aspects of educational, cultural and creative life.

Keywords: dialectology, ancient, modern, importance, its results

مقدمة

العلم القديم الجديد وهو في الحقيقة فرع من أهم فروع الدراسات اللغوية وأوسعها نطاقًا ويُسَمَّى: "**الدياليكتولوي**" "**Dialectologie**" أي:علم اللهجات وموضوعه: دراسة الظواهر المتعلقة بانقسام اللغة إلى لهجاتٍ تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات الناطقة بها ... وما إلى ذلك.

-إشكالية الموضوع:

يتناول البحث إشكالية اللهجات، وما المقصود باللهجات العربية؟، فهل هي اللهجات العربية القديمة الفصيحة التي اعتمدها العلماء الأولون في استنباطهم قوانين اللغة نحوا وصرفا وصوتا...،أم اللهجات العامية المتداولة في مختلف دول العالم العربي؟ وما هي خلفيات البعض في محاولة إحلال اللهجات العامية مكان العربية الفصيحة؟

-أهمية الموضوع:

تكمن الأهمية في خطورة ما يسعى إليه بعضهم، من تمكين اللهجات المحلية، وعدم إهمالها لأنها تمثل شريحة هامة في المجتمع العربي، خاصة في الجوانب الإبداعية الفنية، وهذا حسب اعتقادهم طبعا، بل وذهب بهم الأمر إلى ضرورة التّفكير في وضع ضوابط وقوانين خاصة بهؤلاء، وهو ما يمكنهم من فرض أمر واقع.

-المنهج:

اعتمد البحث على المنهج المقارن في بدايته بين اللهجات القديمة الفصيحة واللهجات العامية المحلية، والفارق بينهما من حيث الأهمية، كما اعتمد على المنهج التاريخي الذي يظهر تطور ظاهرة اللهجات المحلية، والهدف من الاهتمام بها، لأنها ليست جديدة، وإنما هي مشروع بدأ منذ فترة بعيدة (بعد استقلال بعض الدول العربية، خاصة لبنان التي تعتبر أول بلد تظهر فيه مثل هذه الدعاوى الممنهجة، ولها من يساندها ويقويها لغايات معروفة، قد تناولها البحث بالتحليل والتوضيح.

-الدّراسات السّابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت موضوع اللهجات القديمة لأنها أساس القواعد التي نشتغل عليها اليوم علميا وتربويا....،كما أن موضوع اللهجات العامية وما يسعى إليه هذا التيار، لقي مواجهة من أهل العلم والاختصاص، وعقدت الكثير من اللقاءات العلمية، وعرضت الكثير من البيانات من مجامع اللغة خاصة مجمع القاهرة تستنكر مثل هذه المشروعات الهدامة وتحذر من خطورتها.

- اللهجات بين القديم والحديث

- اللهجات في التراث اللغوي.

أدى انتشار اللحن الذي فشا في الناس إلى بداية الدراسات اللغوية العربية وكان أول ما اهتم به اللغويون العرب اهتماما كبيرا اللهجات العربية، التي جمعت عن الفصحاء فكانوا يذهبون إليهم في البوادي ويحتملون أقسى المتاعب في ذلك ليأخذوا من أفواههم كلمة أو يسمعوا منهم بيتا أو شرحا أو يتلقوا عنهم شفها طرائق النطق وصياغة الكلام وقد يأخذون من الأعراب المتاخمين للمدن إذا ثبت لديهم أن لغتهم ما زالت سليمة وقد طبقوا أرقى المناهج العلمية التي يستعملها علماء اللغة في العصر وكانوا سباقين إلى استحداث هذه المناهج التي عن هؤلاء أخذت المناهج العلمية في ميدان علم اللغة. ومنه فإن العربية هي اللغة الوحيدة من بين اللغات العالمية التي جمعت ودوّنت سواء كانت هذه اللغات قديمة أم حديثة.

1-جمع كلام العرب: أما طريقة اللغويين-ومنهم النّحاة-في جمع اللغة فكانت وقفا على السّماع .

2 - التصنيف: يقول عباس حسن: لما جمعوا من كلام العرب ما استطاعوا عكف النّحاة عليه ينظرون فيه من جهة أخرى ويهيئون أنفسهم لعمل جديد يختلف عمّا سلف فإذا مرحلة الجمع تقتصر على جمع ألفاظ اللغة من أفواه أهلها وحفظ ما تجمع لديهم ثمّ تدوينه.

3-**استنباط القوانين النحوية ووضع المصطلحات**: أما المهمة الثانية فإنها وقوف النحوي أمام المدونة اللغة (مفردات وتراكيب)ثم يراقبها مراقبة دقيقة تنبئ عما يلحقه من تغيير في المواقف المختلفة والحالات الكلامية المتباينة وتحصر ذلك التغيير في حدود مضبوطة لا يند عنها شيء.

وفي سبيل هذه الغاية النبيلة وتحقيقها أطالوا الوقوف، والمراقبة، والموازنة، واحتملوا من العناء والمشقة ما لا يحتمله إلاّ العاملون الصابرون، ووصلوا من هذا كلّه إلى استنباط قواعد مختلفة : لغوية ونحوية ، وصرفية وبلاغية ومعجمية ،ولكل منها آثاره ومزاياه في صحة القول وسلامة الكلام ، وقوة تأثيره وكان من مزايا النحو إرشادنا إلى ضبط أواخر الكلمات ضبطا صحيحا مع ما قد يتبعه من ضبط حروف أخرى، أو وضع كلمات وضعها السليم من جملتها وما يتصل بهذا من حذف وزيادة وتقديم وتأخير ... وغيره مما يوضحه (علم النحو).

فقد راقبوا آخر الكلمة في مئات الأمثلة فعرفوا أنّها قد تكون معربة مرفوعة الآخر أو منصوبة، أو مجرورة، أو مجزومة، وقد تكون مبينة. واتجهوا إلى المرفوعات في مئات الأمثلة وجهدوا في استقصاء أحوالها، وتتبع أوصافها حتى استطاعوا أن يحصروا حالات الرفع وحدها وكشفوا خصائص كلّ حالة، وظواهرها: وانبروا يسجلون تلك الخصائص والظواهر ويطلقون على كلّ حالة منها اسما تنفرد به، ولا يصدق على غيرها، فهذه مبتدأ، وتلك خبر، وهذا فاعل وذاك اسم كان... الخ ومثل ذلك فعلوا في الكلمات المنصوبة الآخر، أو المجرورة، أو المجزومة أو غيرها من المعربات أو المبنيات، ودونوا قواعدهم في علم خاص سموه : علم النحو.(عباس 1966 ص: 20-21)

استمد اللغويون قواعدهم اللغوية والنحوية من الكلام العربي الأصيل، فقد أخذوا عن القبائل العربية الموغلة في التّبدي، ولم يأخذوا من العرب المتاخمين للمدن لفساد لغتهم. جاء في كتاب المزهر على لسان الفارابي قوله: قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف: كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس، وتميم، وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب(السّيوطي (ب س) ج 1 ص167-168).

ويجب أن ندرك المقصود من هذا التقسيم الذي وضعه الجامعون للغة، فهم لم يكونوا مجرد جامعي بل إنهم كانوا يحملون تصورا دقيقا للغة التي ينبغي الانطلاق منها وجعلها مصدر تقعيد وضبط ونعني السليقة أو ملكة اللغة التي لم تفسد ولم تتأثر بأي دخيل مهما كان مصدره لذلك استبعدوا أي شك ولو كان ضئيلا.

ولذلك شرح الدارسون مفهوم السليقة، بأنها ملكة اللغة التي هي إدراك مسبق فطري لمجموع التراكيب اللسانية، الدالة، فالإنسان يولد وهو مزود بمجموعة من المقولات والعلاقات الدلالية، التي لقنها له الله -عز وجل-عن طريق الإلهام، هذا في الفكر العربي، وما درا بين العلماء من نقاش حول أصل اللغة، (هل هي وضع أم إلهام؟) وبغض النظر عن حقيقة أصلها تبقى السليقة هي مصدر تنظير، واستنباط للقوانين النحوية التي تحكم اللسان من اللحن فصاحب(السليقة) هو المنتج للفصيح من اللغة العربية.

يقول نهر هادي: إن القول بفطرية اللغة أو إبداعية اللغة، أو مفتوحية اللغة Opendness) ، التي يمكن للإنسان في ضوئها أن (يبدع)، أو (يولد) عددا غير نهائي من الجمل، وأن يفهم جملا لم يسبق

له سماعها تعود بنا أولا إلى النقاش الواسع الذي عاشه العلماء المسلمون على الصعيد الفلسفي والديني، وأجمعوا فيه على أن الإنسان (مجبول على الفطرة)(نهر 2011م ص:189)، وقد استشهد العلماء بنصوص من القرآن الكريم ،واستشهد الفلاسفة - فيما استشهدوا به - برواية حي بن يقظان الشهيرة. وتعود بنا ثانية إلى إدراك اللغويين العرب العلاقة الموجودة بين المعاني في الذهن والاستعداد الفطري والتصور، فيعرف (الشريف الجرجاني) (ت816هـ)المعاني بأنها هي الصور الذهنية· ويعرف الذهن بأنه الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر(نهر 2011م ص:190).

- **أهمية علم اللهجات:**

لعلم اللهجات أهمية كبرى في الدّرس اللغوي عموما، أبرزها ارتباطه بعلم القراءات، فالقراءة القرآنية من شروط قبولها واستنباط القوانين المختلفة النحوية والشرعية وغيرها من العلوم اللغوية والشرعية، وجب أن توافق لهجة من لهجات العرب ولو احتمالا، لأن هذه اللهجات كلها هي من الفصاحة، وهي مفاتيحه لفهم وإدراك المقاصد قال ابن العباس: إذا صعب علينا الحرف فعلينا بكلام العرب . أما تنوع اللهجات فقد تحدث ابن جنّي عن اختلاف اللغات وكلُّها حجة، وذكر أنَّ اللغتين إذا كانتا في القياس سواء فليس لك أن ترد إحداهما بصاحبتها؛ لأنَّها ليست أحقَّ بذلك من رسيلتها، أمَّا أن تقل إحداهما جدًا، وتكثر الأخرى جدًا فإنَّك تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياسًا(ابن جني 1956م- ج 2ص:10).

أما أبو حيان الأندلسي، فرأى أنها: "الوجوه المختلفة التي سمح النبي - صلى الله عليه وسلم - بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية (مزيد روفائيل2006م (28) ع1ص27)

وأصل التّقعيد اللغوي والشّرعي والاجتماعي والنّفسي. ففي التقعيد اللغوي تناول النحاة الأصوليون والفقهاء الأصوليون والمفسرون جميعهم قديمهم وحديثهم اللهجات، وكانت أصل الفهم كلّه. ومنه يظهر فضل القرآن على العربية، أنه جمع شتاتها و خلصها من شتات اللهجات الكثيرة، فهي منه كما يقول الدكتور مزيد إسماعيل نعيم و- روفائيل أنيس مرجان: يمكن أن أعد القرآن الكريم بمنزلة الروح من الجسد بالنسبة للغة العربية، بل قل بفضله سادت اللغة العربية وتهذبت، وضبطت قواعدها، واتصلت حلقات عصورها، وانفتحت للعلوم والمعارف، وحفظت وحدتها.(مزيد روفائيل2006م (28) ع1ص27) والدلائل تثبت ذالك وحتى لا نطيل الحديث في هذا الجانب.

- **علم اللهجات "Dialectologie" في الدّراسات اللغوية العربية الحديثة .**

إذا كان اللهجات كما رأينا تعني اللغة العربية الفصيحة التي نطقت بها العرب، وبقيت محافظة على سلامتها من أي تأثير خارجي مهما كان نوعه، وقد تحرى فيها الجامعون الدّقة والتّشدد في الأخذ

والتّدوين. فإن اللهجات في العصر الحديث ليست هي هذه اللهجات الفصيحة القديمة، بل لهجات محلية مختلطة مثل: القبطية في مصر، والآرامية في الشام، والأكادية في العراق، والبربرية في المغرب العربي، ورغم انتصار العربية إلا أنها قد احتفظت ببعض الخصائص اللغوية من اللغات المهزومة. ثم بدأت تظهر لهجات ممزوجة بين ما هو أصلي وأضيف إليه من لغات أخرى كان لها تأثير كبير، فاللهجة عندنا في الجزائر هي مزيج من العربية والأمازيغية والفرنسية والتركية أيضا. وهذا ينطبق على غالبية اللهجات في العالم العربي.

- إبراهيم أنيس وعلم اللهجات

تهيأت للمرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ظروفٌ خاصة دفعته دفعًا للدرس اللهجي. فقد عاد من لندن حيث الاهتمام بالدرس اللهجي على أشده ولمس ـ رحمه الله ـ هذا الاهتمام وأشار إليه قائلاً: تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد نمت هذه الدراسة في الجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصرًا هامًّا بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها، تعنى بنشرها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتيًّا يبقى على الزمن. فحركة الدرس اللهجي متطورة، بفضل استعانتها بأحدث الأجهزة والأدوات(الدسوقي ع 9ص4) .

ولذلك يقر الكثير من الباحثين اللغويين العرب المحدثين بأن الدكتور إبراهيم أنيس هو أول من أقحم هذا العلم، وفتح له مجالا واسعا، وشجع على البحث فيه.وله دراسات قيّمة أذكر منها

1 - **تطوّر البنية في الكلمة العربية**، للدكتور إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، م 11، 1959م

2- **في اللهجات العربية**، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

3- **المعجم الوسيط**، للدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه، دار الفكر، بيروت.

4- **من أسرار العربية**، الدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان 1951م.

وهذا النموذج في كتابه: في اللهجات العربية. يقول فيه (أقدمت على نشر كتاب **في اللهجات العربية)** أستحث به الهمم على العناية بمثل هذه الدراسة" معربًا عن أمله في "ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى بحوثًا جليلة تكشف لنا عن أسرار اللهجات العربية".

قدّم ـ رحمه الله ـ خطة بدونها ربّما "ستظل آراؤنا في اللهجات القديمة مجال الجدل والنقد، وأحكامنا عليها أقرب إلى الترجيح منها إلى اليقين" ورأى أنه لكي يتم تجنب ذلك يجب أن تقوم هذه الدراسة على "أسس علمية سليمة "ويجب أن نتبع" الطريق المستقيم" في دراستها(أنيس ع9-21).

وجاءت هذه الأسس في ثلاثة محاور هي:

أ ـ دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية للتعرف على خصائصها، وما امتازت به، لأنها "انحدرت من لهجات قديمة متباينة، جاءت إلى مناطق تتكلم لغات غير عربية "

ب ـ دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكتفية بما روي في بطون الكتب، بل يجب أن تطبّق على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة، مستخدمين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل الأصوات (أنيس ع 9ص21).

وهنا ندرك أن إبراهيم أنيس كان يقدم مشروعا ضخما يهدف إلى إعادة دراسة التراث اللغوي من جميع جوانبه واللهجية خاصة، والجديد في هذا إعادة دراسة اللهجات المحلية في الوطن العربي خاصة تلك التي لها أصول في لغات مندثرة، وفق التّصور التالي:

1-جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة.

2- ثم تمحيصها وتحقيقها، وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة، أو رواية ممسوخة، سالكين تتبع السّند لتمييز الحق من الباطل، والصحيح من الزائف. ثم يلي ذلك دراسة تاريخية مستفيضة لتنقلات القبائل وما بعد هذه التنقلات، ودراسة البيئات الاجتماعية لهذه القبائل في العصور المختلفة، وما خالطت من أمم وشعوب(أنيس ع9ص6) والمشروع هذا لم يسلم من النقد، بل إن إبراهيم أنيس كما تشير الروايات تردد في طبع كتابه فقد ظهرت الطبعة الأولى لكتاب " في اللهجات العربية "الذي جاء" بمثابة دعوة إلى البحث في اللهجات العربية قديمها وحديثها" بعد أن تردد يرحمه الله ـ زمنًا غير قصير قبل أن يقدم على نشره "فهناك" انصراف أهل العلم في مصر عن هذه الناحية من البحث اللغوي واكتفاؤهم بترديد بعض الروايات الشائعة في ثنايا كتب التاريخ والأدب، دون فهم لها أو نظر فيها، أو عناية بعرضها عرضًا علميًّا صحيحًا، مؤسسًا على أحدث النظريات التي قررها المحدثون(أنيس ع9-ص20) وهذا لعمري يعد بمثابة إعادة تحقيق التراث اللغوي وفق آليات حديثة، قد تمكن من الوقوف على نفائس ومذهبات غفل عنها السابقون من علمائنا نتيجة ظروف معينة فكرية أحيانا وسياسية غالبا.أو ناتج عن الاعتقاد الفاسد أن السّلف لم يترك للخلف ما يتحدث فيه.

وهناك أمور مهمة نستخلصها من مشروعه هذا القيّم، وهي تثبت الحكم الذي أصدرناه آنفا:

1- يجب أن تطبّق على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة.

2- مستخدمين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل الأصوات

لا أحسب أنني سأتناول كل ما قدمه إبراهيم أنيس من أعمال علمية، فهي كثيرة ومتعددة المناحي، وإنما هي إشارات لبعض ما نجده في المكتبة اللغوية ضمن سلسة كتب الرجل الهامة. التي

تناولت الدرس الصوتي خاصة، ومن المهم أن إبراهيم أنيس هو أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وسماه (موسيقى الكلام)، حيث ذكر أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها.... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية). فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ (Intonation) يقول روبنز معرفاً التنغيم: تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة. ويقول دانيال جونز: التنغيم ربما يُعَرّفُ بأنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية، فالتنغيم مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار.

وهذا ما نجده في باقي كتبه القيمة، التي تناول فيها جل القضايا المتعلقة بالصوت والدلالة والعروض، وامتازت آراؤه بالجرأة، مما جعله عرضة للنقد، فقد نقده صبحي الصالح بقوله: وقد تحدث كثير من الدارسين المحدثين عن هذه اللهجات بمؤلفات وخصوها منهم الدّكتور: إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية وله تخريجات خاصة منها :كسر حروف المضارعة أو ضمها في غير ما كان ماضيه على أربعة أحرف من تلك الظواهر التي عني بها علماء العربية.

- بعض الآراء النّقدية لمشروع إبراهيم أنيس:

لم يسلم إبراهيم أنيس من النّقد الذي وجه إلى مشروعه، وحتى بعض آرائه العلمية التي اعتبرت آراء متسرعة، كان يجب عليه التّأني قبل إعلانها، ومن بين الذي نقدوه صراحة صبحي إبراهيم الصالح بقوله: إنني -على إجلالي للدكتور إبراهيم أنيس، وتطلعي إلى الإفادة من كتبه، كما تَنُمُّ عن ذلك "دراساتي" هذه، أرى في جُلِّ مباحثه عيباً لا أطيق الإغضاء عنه أو السكوت عليه، وأرجو مخلصًا أن يتداركه بنفسه في الطبعات المقبلة، وإن هذا العيب ليتمثل في تهاونه بأقوال المتقدمين، وندرة عزوه الآراء إلى أصحابها، واستخفافه برد الشواهد إلى مراجعها ومظانها، كأن كتبه محاضرات عجلى لا مباحث مدروسة، أو كأنها مجموعة ملاحظات، ليس فيها تحقيق للنصوص، ونقد للوثائق، وموازنة بين المذاهب، مع أن اللغة، ولا سيما العربية، لا تدرس إلّا من خلال النصوص، فهي أصوات تسمع ثم تحفظ، ثم تنقد، وهي بذلك -كعلوم الدين- لا ينقل شيء بغير دليل يثبته، أو رواية تشهد له، أو برهان يقوم عليه. ولو صبر الدكتور أنيس على كتبه هذه صبراً أجمل، ومنحها وقتًا أطول، ثم لَمَّ شتاتها بنفسه في كتاب واحد جامع منقح غني بالمصادر الأصلية الأساسية، لأدى في هذا العصر أجلَّ خدمة لعلماء العربية، فما من شك في انطواء بحوثه على آراء أصيلة، إن فاتها الصواب أحيانًا لم تفتها الجراءة، وإن أهملت فيها النصوص غالبًا، عوض إهمالها صلاح المنهج الذي أشهد بحرارة أنه دفع الدراسات اللغوية إلى الأمام قرونًا وأجيالًا.(صبحي 1960م ص 144)

وفي كتاب الأستاذ المبارك "فقه اللغة"، الذي تمَّ طبعه خلال هذا العام في مطبعة جامعة دمشق، نظرات ثاقبة، وآراء في العربية ناضجة، حرصنا على الإفادة منها أيضًا في "دراساتنا" هذه، لكنها لم تبرأ مما يؤخذ على مؤلفات الدكتور أنيس، فلقد يخيل إلى القارئ أن الأستاذ المبارك لا يبالي بالنصوص القديمة كثيرًا، فما يذكرها إلّا قليلًا، ونادرًا ما يعزوها في الحواشي إلى أصحابها، مع أن الأستاذ دراسات في فقه اللغة(صبحي 1960م المقدمة)، ونُقد أيضا في بعض أحكامه مثل: إذا وجد أغراضاً حاول أن يطبق عليها علمه السابق فإذا وجد فيها نوعاً من المغايرة بحث عن الأسباب ودرسها لا أنه ينكرها أو يخضعها بالقوة لمعلوماته..

ورغم ذلك فإن إبراهيم أنيس كما استنتجته من أقواله كان لا يهدف إلى الاهتمام باللهجات العربية العامية لأجل تطويرها لتحل محل العربية الفصحى، وإنما لحل الكثير من الإشكالات اللغوية التي بقيت عالقة، أو كانت موقع خلاف بين اللغويين حول حقيقتها العلمية .أو يهتم باللهجات المحلية وجعلها مركز الاستنباط والتّقعيد والتّشريع كما نسمعه ونجده عند بعض الأصوات النّاعقة في الوطن العربي وهي معروفة- تدعو إلى إبعاد الفصحى وإحلال اللهجات المحلية محلها ،فلقد كانت اللغة العربية ولا تزال هدفا من الأهداف الأساسية لهجوم المستشرقين والمبشرين ، وقد بذلوا جهودا مستميتة لإثبات صحة ما يقولونه من فريات حول اللغة العربية من قبيل اتهامها بالقصور والعجز والتعقيد، كما حاولوا محاربتها بتدعيم تعليم اللهجات المحلية أو العامية وإحلالها محل الفصحى، وتشجيع كتابة الأدب والشعر بالعامية والحث على عمل المسابقات وإنشاء الجوائز والإسهاب في دعمها بالمقالات المؤيدة ، وما أكثر الكتب التي صدرت عن هيئات أجنبية أو كنسية وغيرها لتعليم العامية ، وتدريس هذه اللهجات المحلية في الجامعات على نطاق لافت للنظر بهدف زعزعة الفصحى لغة القرآن الكريم. أو أن الأمر لا يعدو أن يكون تقليدا للغرب فالجامعات الأمريكية والغربية تقوم بتدريس اللهجات العامية لذلك علينا أن نحذو حذوهم ونساهم في اقتلاع لغتنا بأيدينا... وأن اللغة العربية أصبحت إحدى العقبات في سبيل انطلاق العقل العربي.

- **اللهجات (العامية)**

من الواضح أننا نتحدث هنا عن العامية، والعامية عند المتخصصين من أهل اللغة العربية، هي **اللغة المنحرفة** كما يرى الدكتور شوقي ضيف. والاهتمام بها سيؤدي حتما إلى ما حدث للاتينية، استخدام العامية لن يقطع الصلة بيننا وبين الفصحى فحسب بل يؤدي إلى فنائنا وزوالنا عقلا وفكرا ولن تبقى سوى الأجساد لا قيمة لها كما يقول كمال بشر: إن اللغة هي الإنسان: جسما وعقلا وفكرا، فاللغة مرتبطة بالعقل والجسم أيضا، وقد قال العربي في القديم.

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم (بشر م الألوكة ص4).

إن اللاتينية مثلا، كانت هي اللغة الأدبية في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا في العصور الوسطى، وكانت العاميات المنتشرة في هذه البلاد، هي اللهجات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهي عاميات لاتينية، تشبه العاميات العربية في صلتها بالفصحى. وقد أدى استخدام الأدباء والشعراء لهذه العاميات بعد ذلك، في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا، وتركهم اللغة اللاتينية الأدبية الأم، إلى موت هذه اللغة، وانسلاخ العاميات عنها، وتكون اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهذا هو ما يريده دعاة العامية، وهو أن تتفكك لغتنا إلى لغات شتى، في أرجاء الوطن العربي.

وخلاصة القول إنه لا يحق لنا أن نخلط الفصحى بالعامية، بدعوى أنها تمتّ إليها بصلة، فإن اللغة العربية لها قدرها وجلالها وقداستها وتاريخها وأهلها والعامية خليط من هنا وهناك، فمن ضاق بالفصحى فليتركها ويبقى في عاميته، فلا عليه أن يستخدم عاميته في أحاديثه وكتاباته، غير أنه لن ينتزع منها شهادة بأن هذه العامية هي والفصحى سواء.

وهناك محاولات مدروسة، بل مشاريع تستمد خططها وتموينها من هيئات ومؤسسات تبشيرية تشتغل منذ زمن بعيد ومن أبرز النماذج التي تثبت حقيقة ذلك. ففي عام 1393 هـ 1973 م انعقد في برمانا في لبنان مؤتمر ضم عددا من أساتذة الجامعات في أمريكا وأوروبا والبلاد العربية. وبحث فيه اقتراح فرنسي قدمه جاك بيول، وأندريه رومان، ورولان مانيه. بإيجاد لغة عربية جديدة تكون مفرداتها هي المفردات الأكثر تداولا بين الناطقين بالضاد. أي استعمال اللهجات العامية الدارجة، وذلك بحجة أن " الاستعمال هو السيد الذي يفرض نفسه (الرئاسة العامة عدد1 ص98). وهكذا يتكرر الزعم الفاسق بأن الفصحى لا تستجيب للحضارة الحديثة، ولا تستوعبها، وأنها عسيرة على الذين يتعلمونها، ولا بد من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وكتابتها باللهجات العامية الدارجة.

- مجموعة من الدراسات اللهجية :

1- (كنز المصاحبة والأدب للأنيس والطالب في لغة مصر والمغرب) تأليف: يوحنا يوسف مرسل J.J. Marcel وهو محاورات فرنسية وعربية بالعامية، طبع في باريس سنة (1837م = 1253هـ) في (574) صفحة بقطع الربع، وفيه لهجات تونس ومراكش ومصر مرتبة على حروف المعجم..

(كتاب الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد) تأليف دسبارمي F. Despermet المدرس، وهو باللغة العامية، ضمن أزجالاً وأغاني وخرافات، طبع في البليدة بالجزائر سنة (1905م) في (228) صفحة بقطع الربع.

2- (لغة الجزائر العامية) تأليف هوداس Houdas(1) بالفرنسية.

3- (الخواطر في اللغة) لجبر ضومط، أستاذ العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقًا، وهو في تحليل الألفاظ بحسب أصول اللغات السامية كالعبريّة والسريانيّة وما دخل العربية من ألفاظهما

وقواعدهما. طبع بيروت في (نحو 100 صفحة) بقطع الثمن. ولضومط مباحث في اللغة العربية طبعت كتاباً فيه فوائد كثيرة.

4- (قواعد باللغة المصرية العامية) لفسك Fask الأميركي، وهي لكتابة اللغة العامية بحروف أوربية، وعنوانها بالعربية العامية، هكذا (أجرومية مصري مكتوباً باللسان المصري ومعها أمثلة) ثم بالفرنجية.

5- (اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة) بحث مفيد للمطران إقليميس يوسف داود، مطران السريان الكاثوليك في دمشق، نشره في مجلة الشرق اليسوعية (1: 842) وهو من كتابه (اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية) وفيه الألفاظ الدخيلة في العربية الفصحى والعامية من السريانية وغيرها.

6- (أحسن النخب، في معرفة لسان العرب) للأستاذ حسن المصريّ، المدرس في كلية فيينا. طبع سنة (1869م) في (266) صفحة، وهو في تعليم اللغة المصرية الدارجة.

7- (نصوص عربية في لغة العرائش العامية) للأستاذ مخيمليانو أ. سنطون Maximiliano X Santon الأندلسي، جمع فيه لغة العرائش في مراكش سنة (1910م) ونشر الأخبار بحرفها المغربي، ورسم لفظها بالحرف الإفرنجي، وترجمها بلغته المعروفة بالقسطيلية، وذيلها بمعجم الألفاظ العويصة وشرحها.

وهنا نلاحظ أن هذه الأعمال يشرف عليها مستشرقون مغرضون ومستغربون ، وعملاء ، ويرون في هذه العامية أملهم في أن تحمل لواء العلم و الأدب، وتتسع لمستحدثات الحضارة. ومن أجمل الردود على هؤلاء ما قاله رمضان عبد التواب: فأية عامية تلك التي يريدونها؟ أهي عامية مصر، أم عامية الجزيرة العربية، أم عامية العراق، أم عامية سوريا، أم عامية المغرب، أم عامية السودان؟ وفي مصر مثلا: أهي عامية الصعيد، أم عامية الوجه البحري، وفي الوجه البحري: أهي عامية الشرقية، أم المنوفية، أم البحيرة؟ إن هذا لهو الضلال المبين!(رمضان 1995م ص 112).

إن الدعوة إلى اللهجات والاهتمام بالإنتاج الفني من خلالها، أو ما يرونه (فنا أدبيا) لأنه يعبّر حسب رأيهم عن شريحة هامة في المجتمع، مجرد تبرير لا قيمة له، يسمح لأعداء الأمة أن تمرر مشروعها الاستدماري الخطير، فالأحداث التي ألمت بالوطن العربي في مشرقه ومغربه بعد الحرب الأولى جعلت جناحي هذه الأمة في وضع مماثل: سلطان أجنبي قاهر لا يريد الأرض وحدها، ولا يريد المواد الأولية وحدها، ولكنه يريد أن يحول بين هذا الشعب في هذين الجناحين وبين وظيفته الحضارية (مجلة المجمع 81 ص10).

وظلت اللغة العربية مادة تفجير يريد الغرب المستعمر تفجيرها بطرائق لا تحصى من مثل: إحياء اللغات الميتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، ورمي اللغة العربية بكل نقيصة واتهامها بكل صعوبة، وفرض اللغة الأجنبية ونشر المؤسسات التعليمية والتبشيرية، ويؤيده في ذلك التقدم الحضاري للدول الغربية وضعف الحكومات العربية واستخذاء بعض عناصرها.

وفي الواقع وجدت البلاد العربية نفسها من شواطئ الدار البيضاء إلى شواطئ الخليج أنها هدف لقوى مفترسة، وأنها تعاني أوضاعا متشابهة، وأن طريقها لتجاوز هذا الطغيان طريق واحد هو طريق الحفاظ على عناصر الأصالة الذاتية، وهي ذاتها عناصر الوحدة.

فقد نما هذا العلم في الجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصرا هاما بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها، تعنى بنشرها، وتحليل خصائصها. هذا المشروع لم يرض عنه حتى علماء اللغة في أوروبا وأمريكا، وهذا هو "ماريو باي" يرد عليهم فيقول: "شق الجيل الجديد من اللغويين في أمريكا، عصا الطاعة على النحو التقليدي، وبدءوا يدعون للمبدأ الذي ينادي بأن الصيغة التي يستخدمها الناس، هي الصيغة اللغوية الصحيحة. وقد صار شعار هذه المدرسة: إن اللغة الحقيقية، هي اللغة التي يستخدمها الناس فعلا، لا اللغة التي يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها". ولكن الصيغة التي يستخدمها الناس، لها مشكلاتها الخاصة بها، فأية صيغة هذه؟ ومن الذي يستخدمها؟ حتى في الدول التي يظهر للناس أنها تستخدم لغة موحدة، هناك مستويات مختلفة لاستخدامها، كما تختلف اللهجات المحلية، باختلاف المناطق التي تستخدمها(م البحوث م41 ع83ص52).

ويقف الإنسان مذهولا أمام بعض الدعاوى الباطلة التي تدلّ على أن حصوننا مهددة فعلا من داخلها يقول الشيخ الأستاذ أحمد يخلف: "ولقد بلغ من خبث بعض دعاة العامية في الوطن العربي أحيانا، أن زعموا أن العامية شكل صحيح من أشكال الفصحى، عنها تطور ومنها ولا يقول عاقل أو مخلص: بتعليم اللغة الأجنبية للأطفال ونترك تعليمهم الفصحى لتشيع العامية وينتشر اللحن بين الناشئة. أما العرب المستغربون الذين حطبوا في حبل أعداء الإسلام، وكالوا بصاعه فمنهم:

-**عبد العزيز فهمي** عضو المجمع العلمي المصري. الذي تقدم سنة 1943 م باقتراح لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وشغل المجمع ببحث اقتراحه لعدة سنوات حتى خصص المجمع جائزة مالية لمن يتقدم بأحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية.

- **وسلامة موسى**، الكاتب المصري المسيحي المعروف بعدائه للإسلام، الذي أيد اقتراح " ولكوكس " أن تكون هناك لغة مصرية للكتابة والتأليف، وقال:(إن اللغة العربية لغة بدوية، وأنها لغة رجعية متخلفة)

-**ورفاعة الطهطاوي** الذي دعا بعد عودته من فرنسا سنة 1285 هـ إلى استعمال اللغة العامية وتصنيف الكتب بها. ومثله الدكتور لويس عوض الكاتب المصري.

- **سعيد عقل** الكاتب اللبناني. . دعا إلى استخدام اللغة العامية، وكتابتها بالحروف اللاتينية قائلا في وقاحة عجيبة: " من أراد لغة القرآن فليذهب إلى أرض القرآن ".

وأحمد لطفي السيد - من مصر - دعا إلى التسامح في قبول المسميات الأجنبية، وإدخالها في اللغة العربية، زاعما أن استعمال المفردات العامية وتراكيبها: إحياء للغة الكلام والخطاب، وأننا بذلك نجعل العامة يتابعون كتابة الخاصة، وخطبهم وأحاديثهم(أرشيف 2008م ص22).

- **اللهجات و التعليم**-

اللهجات العامية في البلاد العربية يختلف بعضها عن بعض اختلافا واضحا على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية -واستخدامها في أية مرحلة من مراحل التعليم من شأنه أن يوسع من دائرة هذا الاختلاف، ويمنحها عوامل قوية تؤدي إلى التفريق والتنويع بصورة أشد وأكثر عمقا. وليس من البعيد -في هذه الحالة- أن تأخذ كل لهجة طريقها الخاص بها وتثبت قواعدها ونظمها حتى تستقل بنفسها وتصبح لغة قائمة بذاتها على مر الزمن. وليس هذا الأمر مستحيلا أو خيالا بالنسبة للتطور اللغوي وطبيعته. لقد حدث هذا في عديد من اللغات، كاللاتينية التي ساعدت الظروف السياسية والثقافية على التباعد بين لهجاتها حتى صارت لغات مستقلة ذات خواص مميزة تبعد قليلا أو كثيرا عن اللغة الأم.

2- يترتب على هذا الموقف انعزال الفصحى وإبعادها عن مسرح الحياة، وقد يؤدي إلى إضعافها أو القضاء على مقوماتها الأساسية بصورة أو بأخرى.

على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد. إن اختيار العامية للأخذ بها في مراحل التعليم الأولى "وغيرها بالطبع" يوقعنا في محظور آخر، فالبلد العربي الواحد لا يقتصر التعامل اللغوي فيه على لهجة واحدة. وإنما هناك عدد من اللهجات التي تختلف فيما بينها، بسبب العوامل الجغرافية أو الثقافية أو غيرها، فلدينا في مصر مثلا لهجة أو عدة لهجات بالوجه البحري، وكذلك الحال في الصعيد، وهناك من جانب آخر في أي من هاتين المنطقتين الجغرافيتين الكبيرتين ألوان من الكلام وأنماط الحديث التي يستطيع الباحث المدقق أن يصنفها إلى ما يمكن أن نسميه بلهجة العوام ولهجة المتنورين ولهجة المثقفين.

وهنا نجد أن الآخذ بمبدأ اللهجات نفسه في متاهة واضطراب حيث لا يستطيع علميا أن يحسم الأمر، فيفضل لهجة على أخرى، لأن أسس الاختيار أو التفضيل تساعده والقول باختيار العناصر العامة أو المشتركة بين هذه اللهجات قول نظري، يحتاج قبل الإقدام على تطبيقه إلى دراسات طويلة شاقة، وهو أمر -بطبيعة الحال- يحتاج إلى وقت طويل ومال كثير حتى نستطيع إنجازه بصورة علمية مقبولة. والحق أن هذا الاتجاه يعد في نظرنا خطوة على الطريق السليم نحو إصلاح تعليم اللغة العربية من شتى جوانبه، ومن هذه الجوانب تحديد نوعية اللغة في المراحل الأولى، ذلك لأن الكشف عن العناصر المشتركة أو النماذج اللغوية الشائعة في البيئة المعينة عامل من عوامل تحديد النطاق الذي ندور فيه نحو تعيين الصيغة اللغوية المناسبة لهذه المراحل.

على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد. إن اختيار العامية للأخذ بها في مراحل التعليم الأولى "وغيرها بالطبع" يوقعنا في محظور آخر، فالبلد العربي الواحد لا يقتصر التعامل اللغوي فيه على لهجة واحدة. وإنما هناك عدد من اللهجات التي تختلف فيما بينها، بسبب العوامل الجغرافية أو الثقافية أو غيرها، فلدينا في مصر مثلا لهجة أو عدة لهجات بالوجه البحري، وكذلك الحال في الصعيد، وهناك من جانب آخر في أي من هاتين المنطقتين الجغرافيتين الكبيرتين ألوان من الكلام وأنماط الحديث التي يستطيع الباحث المدقق أن يصنفها إلى ما يمكن أن نسميه بلهجة العوام ولهجة المتنورين ولهجة المثقفين.

وهنا نجد أن الآخذ بمبدأ اللهجات نفسه في متاهة واضطراب حيث لا يستطيع علميا أن يحسم الأمر، فيفضل لهجة على أخرى، لأن أسس الاختيار أو التفضيل تساعده والقول باختيار العناصر العامة أو المشتركة بين هذه اللهجات قول نظري، يحتاج قبل الإقدام على تطبيقه إلى دراسات طويلة شاقة، وهو أمر -بطبيعة الحال- يحتاج إلى وقت طويل ومال كثير حتى نستطيع إنجازه بصورة علمية مقبولة. والحق أن هذا الاتجاه يعد في نظرنا خطوة على الطريق السليم نحو إصلاح تعليم اللغة العربية من شتى جوانبه، ومن هذه الجوانب تحديد نوعية اللغة في المراحل الأولى، ذلك لأن الكشف عن العناصر المشتركة أو النماذج اللغوية الشائعة في البيئة المعينة عامل من عوامل تحديد النطاق الذي ندور فيه نحو تعيين الصيغة اللغوية المناسبة لهذه المراحل.

- العامية. إن العامية في الوقت الحاضر ليست بعيدة عن "الفصحى المعاصرة" بالقدر الذي يظنه بعض الناس. إن الدراسة الجادة والبحث العلمي الدقيق كفيلان بالعثور على عناصر مشتركة كثيرة. تصلح في نظرنا نقطة بدء موقوت لتعليم اللغة القومية في المراحل الأولى. وهنا ينبغي أن نشير إلى أمرين مهمين:

- إن هذا المنهج ليس دعوة إلى العامية بحال من الأحوال. إنه على العكس من ذلك يرمي إلى خدمة لغتنا القومية، وذلك بسبب الوصول إليها والتمكن منها من طريق واقعي مألوف للمتعلمين، ومن ثم يقبل المتعلم على ما يلقى إليه ولا يمله أو يرغب عنه.

- إن الأخذ من العامية ليس أخذا مطلقا في المادة أو الفترة الزمنية. أما من حيث المادة فهذا الأخذ مشروط بعملية الانتقاء والاختيار، وهو من حيث الفترة الزمنية أخذ موقوت كما قررنا، فلا علينا إن نحن أخذنا -في البداية- بعناصر عامية مختارة لفترة محددة، محاولين التقليل أو التخلص منها بالتدريج، حتى يقف التلميذ على أرض صلبة يستطيع الانطلاق منها نحو الفصحى بدرجاتها ومستوياتها المختلفة.

هذا الطريق بجانبيه يضمن لنا الوفاء بالمبدأ الأول المقرر الأخذ به في عملية التعليم بعامة. وهو مبدأ "وجوب الانتقال من المعلوم إلى المجهول" ومعناه في النهاية أن الأخذ بالفصحى المعاصرة مع الاعتماد على عناصر مختارة من العامية والتدرج من هذه الفصحى إلى فصحى التراث يتمشى مع المبدأين المقررين والواجب اتباعهما معا في تعليم اللغة. وهنا قد يتساءل الناس: كيف تتخذ العامية مدخلا إلى الفصحى

ومعبرا إليها؟ والإجابة عن هذه التساؤل تتلخص في وجوب القيام بعملية اختيار وانتقاء. وهذا الاختيار في حاجة إلى دراسة شاملة واسعة للهجات.

- الكتب الثقافية:

يجدر بالمسئولين أن يعنوا بالكتاب العام من حيث المضمون والشكل، ذلك لأن مثل هذه الكتب لها جمهور عريض، ومن ثم يجدر بنا أن ننتهز هذه الفرصة فنعني بلغتها، وبذلك تصبح رافدا من روافد الصحة اللغوية. مع ضرورة ضبط هذه المواد بالشكل ضبطا كاملا. وأن لا ننسى مجلات الأطفال. فهي واحدة من أهم وسائل التقريب، غاية الأمر أن تحرير هذه المجلات يحتاج إلى ذكاء وحسن تصرف في المادة اللغوية، حتى يستطيع الصغير الإفادة منها على الوجه المبتغى(كمال 1998م ص22). ويقول: "أحب أن ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالالتجاء إلى اللهجات العامية إلى شيء خطير ما أرى أنهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير. هو أن العالم العربي الآن، وكثيرًا من أهل العالم الشرقي كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره المتباعدة، فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية، فيمعن كل قطر في لهجته، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابر، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسين(كمال 1998م ص 22).

ويضيف قائلا: ولنسأل أنفسنا آخر الأمر: أيهما خير؟ أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى، يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق، أم أن تكون لهذا العالم لغات بعدد الأقطار التي تتألف منها، وأن يترجم بعض عن بعض(كمال 1998م ص 14)

الخاتمة ونتائج البحث:

هناك جملة من النتائج نستخلصها من البحث، ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- إن لغتنا العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي جمعت ودوّنت، وتملك النسخة الأصلية ممثلة في القرآن وباقي الأصول النقلية.

2- يجب التميز بين نوعين من اللهجات القديمة الأصيلة الفصيحة، أساس الاستنباط اللغوي ومستوياته، واللهجات العامية المنحرفة.

3- إن هناك من يسعى لإلغاء اللغة العربية، وهم منا، مما يعني أن حصوننا مهددة من داخلها.

4- تطوير البرامج التعليمية ضروري ومهم، لكن ليس بتهديم الضوابط والقواعد التي تركها علماؤنا القدامى، ومازال علماؤنا اليوم يشتغلون عليها.

5- لابد من فكر لساني ناضج قادر على ربط القديم بالحديث، يعني التراث اللغوي وعلم اللسان الحديث.

6- لابد من إستراتجية تربوية مدروسة تهدف إلى خلق جيل على المدى البعيد فصيح اللسان، ينتمي فعلا لهذه اللغة المقدسة.

7- لابد من الوعي الدائم لصدّ جميع محاولات الهدم الممنهج، سواء على مستوى برامج التعليم، أو شبكات[i] التواصل الاجتماعي باعتبارها وسيلة مميزة اليوم.

8- لا ينبغي الركون إلى القديم، والبكاء على أطلال الماضي، بل الانطلاق من حيث توقف أسلافنا، والبناء عليه باستغلال كل التكنولوجيات الحديثة، وتقديم الأفضل لهذه اللغة.

هذه مجموعة من النقاط المستخلصة من البحث المتواضع، تبين أن خدمة اللغة العربية مهمة الجميع، وأنها لا تقل أهمية عن خدمة كتاب الله شرحا وتفسيرا، كما قال الإمام الشّاطبي -رحمه الله في الموافقات وعلى الناظر في كتاب الله أن يكون كالخليل وسيبويه ولا يشترط أن يكون حافظا لحفظهما، والله المستعان.

ومهما تتطور اللهجات الإقليمية العامية في بعض الأقطار العربية، ومهما يحاول الدعاة إليها وضع القواعد لها والأصول، فمما لا ريب فيه أن العامية متفرعة عن الفصحى، ومتأثرة بها، وإن كانت أحيانًا تشويهًا وتحريفًا لها، وليس لداء العامية من علاج إلا محاربة الأمية، وتعميم التعليم الإجباري، وتمكين أجهزة الإعلام في الدول العربية من الارتفاع بالعامية إلى الفصحى المبسطة الميسرة، فيما تبثه بالإذاعة والتلفزيون من أشرطة مسجلة وأسطوانات، وفيما تنشره من أدبنا المسرحي الحي.

يجب على المجتمعات أن ترقى إلى اللغة العربية الفصيحة الميسرة، بضوابطها النحوية والصرفية والمعجمية، وليس أن نهدم ما بناه علماؤنا عبر مئات من السنين من الجهود العلمية الرائدة بتقديم لغة منحرفة، والتشجيع عليها، تحقيقا لغايات عدوانية تأتينا من وراء البحار، أو لضعف شخصية أن نقلد الغرب في كل شيء وأي شيء، فهناك ما نحسد عليه بأن تفردنا به وهي اللغة العربية الموحدة التي تجمعنا في مشاعرنا وغاياتنا وأهدافنا وتمنحنا القوة هذا الذي لا تملكه شعوب أوروبا وأمريكا وغيرها من الأمم.

8-المصادر والمراجع

1- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، 1956/1952الخصائص تحق : محمد علي النجار ، القاهرة.

2- رمضان عبد التواب (المتوفى: 1422ه)-1415هـ 1995م فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الثالثة

3- السيوطي -المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحق: فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية. 168-167/1

4- صبحي إبراهيم الصالح 1379هـ - 1960 دراسات في فقه اللغة دار العلم للملايين ط1

[5] – عباس حسن - 1966م اللغة والنحو بين القديم والحديث- دار المعارف مصر ،ط: 2
6-كمال بشر 1998م دراسات في علم اللغة الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع شركة ذات مسؤولية محدودة الطبعة:1
7- نهر هادي دراسات في اللسانيات 1432-2011م،ثمار التجربة-عالم الكتب الحديث،للنشر والتوزيع،عمان-الأردن،الطبعة1-السنة
-المجلات والمواقع.
[8]- إبراهيم أنيس و الدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة 6-9
[9] -مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية 2006م ـ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1) 1-5
[10] - مداخلة ابراهيم الدسوقي بمجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان إبراهيم أنيس و الدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة9-4
11 - محاضرة للأستاذ كمال بشر –اللغة العربية في مهب الريح – موقع الألوكة - /https://www.alukah.net/sharia/0/1893
12 - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد مجلة البحوث الإسلامية 12- مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة 1-98
13- أرشيف ملتقى أهل الحديث – 3 تم تحميله : في 7 رمضان 1429 هـ = 7 سبتمبر 2008 م رابط الموقع : http://www.ahlalhdeeth.com
14مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ العدد (81)3-10 1934 – 2005 (1) إلى الرقم (1)
15- مجلة البحوث الإسلامية1935 هـ - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
16- مزيد إسماعيل نعيم ـ روفائيل أنيس مرجان 2006م أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ـ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1)

النص والجسد :تجليات وتمثلات

Text and Body: Manifestations and Representations

د. نعار محمد أستاذ محاضر أ
تخصص نقد أدبي حديث ومعاصر
جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر
البريد الإلكتروني:naar1976mohamed@gmail.com

الملخص:

يندرج موضوع الجسد كأي موضوعة ضمن تمثلات جماعة من الجماعات وعليه يكتسي هذا الاستحضار اهتماما بالغا بالفعل الثقافي، ضمن فعاليات ثنائية متباينة (مجملة)إلى حد بعيد يتفق إزاءها الناس وهي على التحديد: الجليل والجميل، المقدس والمدنس والأدب في ذلك من الورشات الهامة التي أولت الجسد مكانة هامة لاعتبارات تتضمن رمادية الطرح مع التفصيل والاستطراد والتي قد يتهمها المتسرع أنها مقصودة في ذاتها مبتذلة دون أن يرعى انتباهه أنه في حضرة اللغة عندما تدفع صاحبها دفعا إلى استعارات بعيدة ، متحررا من كل صلات للدال والمدلول ، التي تراهن عليها: الأدلجة أو المماثلة أو المطابقة في ورشات أخرى فالأدب في ذلك بريء من هذا الثوب.

الكلمات المفتاحية: كلمات مفتاحية : الجسد ، النص ، تمثلات ، الجميل ، الجليل

Abstract:

The theme of bodys is among the controversial topics within a given society according to its cultural back grond .it has a relation ship with the venerale and the esthic the sacred and the profane.

Literature is an important cultural workshop dedicted to nthe body .it contains grey watter in the details with somtting of a repetitive idea which is viewed by a lot as a stain .the theme of the body is linked to language so it is stochastic arbitrary with the signifier and the signied free from any ideology or analogy .literature gave it this freedon .

Key words: the body, the text, representations, the beautiful, the great

مقدمة.

إن الجسد ليس مآلا ولا مجالا للوصاية في هذه الحضرة ، هذا ما تعكسه الرواية بالخصوص وبما أن انشغالنا وقع على اجمال وتفصيل فقد وقع اهتمامنا على زاوية محددة لتمثل الجسد ضمن اهتمامات الأدب والزاوية المقصودة هي موضوعة النص معتقدين في ذلك أن الجسد كمعطى ثقافي أهم ما يمكن أن يقترن به بوثوق تام فهمنا للنص ولبيان ذلك وتبيانه وقع اهتمامنا باهتمام وقع لأحد المهتمين بهذا الموضوع وهو الكاتب والناقد الفرنسي رولان بارت في كتابه الموسوم :"لذة النص "مستحضرا. وهو ما يهمنا. فيه اهتمام العرب القدامى خصوصا شخصية الحاتمي بهذا الموضوع وما ذلك إلا بينا للمآلات والتخريجات التي آل إليها المخيال العربي وهو يضفي بغناه صرح الفكر الحضاري الإنساني . (الحميري، 2014م، ص 75)

يرى نيتشه أن الحقيقة ليست شيئا أخر غير تعزيز استعارات قديمة ولأن البشر تجمعهم روابط وأواصل كثيرة وقع التوافق عليها من توجهين: طليعي تمثل فيه الثوابت وتداولي ينتج عنه اجتهاد وإبداع متمثلا في المتغيرات فكلا الفاعليتين تعبر عن البشر في "... علاقتهم فيما بينهم وفيما بين الاخرين بطريقة موحدة تحفظ لهم التوافق والتوازن والانسجام وتحقق لهم شروط وجودهم الكلي او الكياني بحيث تجعلهم يفكرون بطريقة واحدة موحدة ويعبرون عن ارادتهم بطريقة واحدة ويسعون الى فرض شروط نسق الوجود " " (المرجع نفسه ص :148)

وكذا فأن السلوك البشري موصول ببرمجة عقدية لا ينفك إلا أن تكون أفعاله وردودها شرطية وظيفية "إن السلوك الإنساني بكافة أشكاله هو بمثابة تحقق لبرامج خطابية منجزة سلفا ذلك أن الفرد الإنساني ليس سوى جزء من تنظيم اجتماعي خطابي واسع وأنه حينما ينشا وينمو يجد أمامه أشياء جاهزة وتجارب محققة ومن ثم فإن سلوكه يتمحور على شيء سابق في الوجود ويتعلق به وهو شيء يوجهه ويتحكم فيه وبذلك يكون السلوك " (ينظر : مفتاح ، 1999،ص12وا بعده).

لكن لا يأخذ الأمر طابعا مسلما به بقدر ما يكون على شكل مقاومة على تلك العقود المتمركزة ليجد فسحة في الهامش يختصرها الكثير في الصورة التي ارتبطت كثيرا بموضوعنا عن الجسد. في إشارة جيدة يذكر عبد الفتاح كليطو موضوع "الصورة ": ليس لوجه المؤلفين العرب القدماء صورة لأسباب دينية كانت للتصوير والفنون التشكيلية بصفة عامة سمعة سيئة لم يكن الجسد يصور ولا لينعكس على مرآة الألوان ...وبما أن النموذج المرسوم غائب فإن الصورة تظل تقريبية بطبيعة الحال " (ينظر :ايكو، 2000،ص10 وما بعدها)

فهل يا ترى تتمحور حياتنا في هذه الحدود التي رسمت وبالتالي وجب حفظها خلفا عن سلف وبالتالي تبقى تلك الحدود حتى وإن تداولنا بلبوس جديد استعارات قديمة نستعير بها حاضرنا على ماضينا؟ ماهي

المسافة التي تبقى(الحدود) ونبقى إزاءها معها ؟ وهل يترى كغيرنا من الأنواع تسيطر علينا قواعد بيولوجية تضبط أفعالنا وردود أفعالنا ولغة الجسد والحركات وأننا لا نعي وضعياتنا وحركاتنا وإيماءاتنا التي قد تروي قصة ما بينا قد يروي صوتنا قصة أخرى " . (الحميري، ص 163)

على هذا الأساس نقدم هذا البحث من نافذة أخرى وقع على أعتابها هذا التفاعل ونعني بذلك حضور المخيال بصفة تزامنية في التمثلات لأنه يطرح الإشكال المطروح ضمن فعل الكتابة والقراءة أو ضمن ثنائية النص والخطاب باعتبار الأول النوع الذي ينتج الحقيقة والثاني باعتباره المخرج أو التخريجات التي يمكن أن تقع فيه الحقيقة مع ذاتها مباشرة ومع غيرها بتمثلات ممكنة وقد وقع الاختيار على الجسد لنرى إجمالا وتفصيلا القرائن التي يمكن أن تتحقق فيها الحقيقة مباشرة وإمكانية تحقق ذلك تمثلا . ـ

ـ النص :على السنة المعاجم :.

وردت مادة (ن.ص) بالمعاني الآتية :

الرفع ومنه نصّ فلان الحديث بمعنى رفعه أو أسنده الى قائله

ونص الحديث بمعنى قرأه قراءة نصية مظهرا خلالها تميزه واختلافه عن كل حديث آخر من جنسه

ونص الناقة رفعها أو أعلاها في سيرها حتى لا تسقط في حفرة ونصها بمعنى قلقلها حفزها على السير أو حثها على الإسراع فيه ليستخرج أقصى ما عندها من قدرة عليه .

ونص الشيء بمعنى رفعه أو أعلاه من موضع السقوط إلى موضع العلو ، ليعلو أو ليصبح بمثابة الشيء العالي أو البارز أي الظاهر ظهور تميز أو اختلاف عن باقي الأشياء الأخرى من جنسه ومن غير جنسه لذلك فنص الشيء ينصنصه من موضعه بمعنى حركه ليزيحه عن موضعه أي لينقله من موضع الخفاء إلى موضع التجلي والظهور ومنه نص فلان أنفه غضبا بمعنى شمخ بها وأنف رفعها تعبيرا عن غضبه " (كليطو ، 1997، ص50)

النص: وقفات بيانية:

أما عن النص وبيانه فقد وقفنا عند هذه المحطات البيانية "نص العروس ينصها رفعها أعلاها /أقعده على المنصة والمنصة هي ما ترفع عليه العروس لترى متميزة من بين النساء الحضور أو هي بالأحرى مجلى الوجود المتجلي للعروس وهذا يقتضي أنها المنصة موضع الإفراد والتفرد او موضع الاختلاف والتميز تميز المرأة عن باقي النساء اللاتي يتزين يوم عرسها كزينتها ما قد يؤدي إلى اختلاط الأمر والتباسه في عين المشاهد قليل الخبرة ..وليمكن شهود جمالها /اختلافها وتميزها من جميع الحضور من النساء وليمكن فضلا عن ذلك التعرف عليه والاستمتاع برؤيتها وإعلان تبعيتها لمن هي عروسة به حتى لا يفكر أخر في طلب نكاحها فهي تنصص لهذه الأسباب .

وانتصت العروس بنفسها على المنصة أو أعلت نفسها بنفسها كي تقعد على المنصة (صعدت عليها صعودا ذاتيا أي دون مساعدة أحد) رغبة في الظهور أو لترى جلية من جميع النساء الحضور .

والماشطة تنصص العروس: ترفعها لتقعدها على المنصة (...) ومنه حديث عبد الله بن زمعة "أنه تزوج بنت السائب فلما نصت لتهدى إليه طلقها ،المراد : فلما أقعدت على المنصة أو فلما أشهر أمر عقد نكاحها منه أو زواجها به وعرف الناس أنها قد صارت في عصمته طلقها أو أعلن فسخ عقدة النكاح التي كانت قد انعقدت ...حتى يعلم الناس حدود العلاقة .. وهو إعلان العقد فقط ولم تصل إلى مرحلة الدخول بها ومعاشرتها على فراش الزوجية وهذا يقتضي أنها لا تزال بكرا ولم يفتض بكرتها أحد فكأنه بهذا الصنيع أراد أن يفتح الباب واسعا أمام من يريد أن يتقدم للطلب نكاحها هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن في هذا الصنيع صونا للتي كانت قد نشأت بينها وبين الرجل وإنها لم تتعد حدود الخطبة عرضه وعرضها وحفظا له من قلة السوء التي قد تلحقهما إن هما لم يفعلا ذلك ولم يعلنا عن فصم عقدة نكاحهما من أمر تلك العلاقة التي انتهى مصيرها إلى الفشل على الأقل خلال فترة التواصل وترتيب إجراءات الخطبة وإعلان عقد الزواج فهو إذن لم يفعل ما فعل إلا ليدرأ عن نفسه وعن تلك المرأة التي كان قد اتصل بها أو تواصل معها بهدف الزواج منها خطر قلة السوء التي قد يشيعها الناس فيهما " (كليطو ، ص08)

والنُصة : بالضم الخصلة من الشعر وفيها المعاني التالية :((كليطو ، نفسه)

1ـنصة الذي يقع على وجه المرأة في مقدمة الشعر ناصا هو الشخص المباشر / الماشطة بوصفها الشخص المنوط به قيام بفعل النصنصة والتنصيص أو هو في الوقت نفسه الشخص غير المباشر زوج المرأة العروس أو أهلها أو هو من دفع إلى هذا الفعل أو حرض عليه هو المرأة نفسها أو أهلها أو هو من دفع إلى هذا الفعل أو حرض عليه أو هو المرأة العروس نفسها التي قد تقوم بهذا الفعل هي نفسها

2 ـومنصوصا هي المرأة نفسه العروس3ـ ومنصوصا به هو فعل العلو والإعلاء الذاتـ ومنصوصا فيه هو المكان المحيط بالناص والمنصوص والمنصة وزمان الإحاطة بكل ذلك5ـ ومنصوصا عليه هو المنصة 5 يشك الناص في حقيقة أمرهما وما كان قد جرى بينهما 6ـ ومنصوصا له أو لأجله بوصفه الغاية التي لأجلها تنص العروس وتنصص " (الحميري، ص 48)

إن من شان النصنصة والتنصيص أنها قد تكون ذاته وهو يعلو بذاته عبر إمكاناته الخاصة أي عبر وساطة اللغة والفكر " (المرجع نفسه ص 49 50) وبخاصة في النص الأدبي أو الإبداعي عموما إنها حركة علو بواقع اللغة المعاش إعلاء له أي جعله متعاليا مفارقا لما هو كائن أو ما سيكونه في الواقع إلى ما يكونه في النص وفق مقتضياته وهذا يقتضي القول في وصف هذه الحركة أنها عبارة عن حركة مضطردة

واعية بالكل تكشف عن انفصام ذوقي بين صورة وحقيقة تتحقق بالتجاوز حتى ولو كان هذه الأخيرة لا يقوم لها المقام إلا بحركة وعي تخييلي.

النص من منظور لساني:

النص من هذه الواجهة هو القناة التي تتشكل خلالها الفكرة في صورة تلك الصورة التي قد تكون مقررة سلفا لكن لنثبت فعلا هذه الحقيقة ينبغي أن تقدم لذلك الدليل وبالتالي إذا أخذنا موضوعا كالجسد من خلال هذا المنوال التحليلي ابتداء هو يسقط هذه القاعدة لا يهمه اللبوس الثقافي الذي يحتكر شهادة براءة المغزى ومنها فكرة الجسد والصورة عموما سنقف عند مدلول النص في هذا الحقل وما يمكن من خلاله ان نفهمه من مسالك في اقتفاء المعنى وأثره.

يرى روجر فاولر في النص أنه "البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا ومعاينة " (بارت ،2002، ص10)وهو عند الكاتب واللغوي فان ديك :بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية دلالية عميقة ويتصور البنية العميقة للنص كما منظما من التتبعات " (المرجع نفسه ،ص55) ومن المفترض أن تدعم سلسلة من الجوانب الأساسية يحصرها في ثلاثة من بينها أهمية بحثنا :

ـ إمكانية تذكر مضمون نص طويل (حتى دون استخدام الوحدات المعجمية للنص ذاته)" (الحميري ،ص43).

أما اللساني ومتخصص اللغة هاليداي فيرى فيه :وحدة اغوائية في طور الاستعمال من " (بارت ، ص 108)

النص عنده أيضا شكل لساني لتفاعل اجتماعي وهو تبعا لذلك ترهين للمعنى المحتمل و خلالها النص بذاته في سبيل تجلي يعلن حركة علو وإعلاء ذاتي أو تلقائي .

النص عند زتيسيسلاف زنياك "ليس المنطوق والمتلقي فحسب بل هو فضلا عن ذلك بناء غير ممكن تكراره مقصود به التطابق (المطابقة) ويبرر مقصد التطابق الذي يشكل في حالة النصوص المكتوبة بعدها الاجتماعي والتاريخي الخاص "(المرجع نفسه ،ص 109)

النصوص عند أومن عبارة عن وحدات تواصلية تتحقق لغويا" (الحميري ،ص111)ويخلص الأخير أنه دون تواصلية لا يتكون نص .إن هذه الوظيفة تتكون من مبدأين أساسيين :

ـ مبدأ خاص بالحوار

ـمبدأ اللغوي "(الحميري ،ص112).

أما جوليا كريستيفا فالنص عندها: جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة /الخطاب واضعا الحديث التواصلي (المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة " (الحميري ،ص12)

إلى الآن رأينا تنزيلات ذات أهمية تصلنا بالنص من خلال الفكرة وعملية تأطيرها التي عادة تتحكم فيها مستويات لغة تعتبر ثوابت هذه اللغة وربما بما تصطدم به هذه الثوابت من تحديات تتعلق بمبدأ التعدد اللغوي واندماج تلك الملكة ضمن لسان هجين ثم على صعيد الفكرة التي تتحول من حقل دلالي لأخر يرى رولان بارت في النص أنه" ممارسة دلالية يعيد الكلام طاقته الوضوحية الفاعلة " (الحميري ،ص16) ثم يذكر أن الدال ملك لكل الناس وأن النص هو الذي يعتمل بكل كلل ولا ملل وليس الفنان أو المستهلك" التناصية .. (المرجع نفسه: ص 1120)الذي نجده متواترا ومتوافقا إزاء مدلوله المتعلق أساسا بالنسج .

لكن بارت يعطي النص بيانا أخر يجعله لا يمر بالسيولة المعهودة التي يأخذها من تشريعات اللغة أو من ثوابتها (ضمن توجهات الكتاب :لذة النص) يجد صداه في الأنساق التي بيننا وبينها تعايش أو جدال ويستخلص من ذلك تأملات التي من ضمنها كيف نقرأ نصا انطلاقا من تمثلات واردة وفي هذا الصدد النص نسق يستند على الاستيهام والتمثل، يستخدم بارت لفظ التمعني في ذلك ومراده أن الأخير عبارة عن "مرافعة يستطيع خلالها فاعل النص (المتعدد) الانفصال /الاتصال هاربا من منطق الأنا المفكرة المدركة ودالفا إلى أنواع أخرى من المنطق حيث يكون بمقدوره ان يحاور المعنى وان يتفكك خلاله (المرجع نفسه: ص ن.)

لذلك التمعني حسب بارت عبارة عن عمل وأن لم يكن من جنس العمل الذي يحاول بواسطته الفاعل السالم والظاهري السيطرة على اللغة بل هو جنس ذلك العمل هو من جنس العمل الجذري الذي لا يترك الفاعل خلاله شيئا بكرا أو هو عمن جنس العمل الذي يكتشف عبره الفاعل)النصي) كيف تصقله اللغة كيف تفككه منذ أن يلج فيها " (المرجع نفسه: ص ن)

لذلك فتمعني الفاعل (النصي) إذن على عكس (عملية) الدلالة لا يقتصر دور الفاعل فيه على مجرد الاتصال أو على مجرد التمثل ولكنه يموضع الفاعل المتعدد كاتبا وقارئا داخل النص وهو يموضع الفاعل ليس كإسقاط بل كضياع " (المرجع نفسه: ص 121)

يصل بارت في لمحة بيانية موحية في كونه "نسيجا في حالة نسجه أي في حالة تشابك أنظمة من الصيغ إنه النسيج الذي يتموضع فيه الفاعل الناسج ويحل (فيما ينسج) مثل عنكبوت يحل في عكاشة" (المرجع نفسه: ص 120)

ويثير بارت قضايا النص الى مداها عندما يذّكر " إن المبادئ المعيارية للنص تستطيع أن توجد في الآثار الفنية المهمشة أو المدانة اي التي تهمشها أو تدينها الثقافة الرسمية التي تحدد معايرها المدارس (الرسمية) والنقد (المؤسساتي) إضافة إلى تاريخ الأدب ..الخ ويستطيع النص /التناص والجناسات في الدوال أن يوجد في أكثر الآثار الفنية شعبية وبالكيفية نفسها يمكن للنص أن يوجد أيضا في الكتابات المسماة

الهامشية وهي الكتابات المقصاة من عالم الأدب الرسمي لذلك يمكن حصر مفهوم النص حسب بارت في الكتابة الأدبية وهذا انطلاقا من أن حضور اللغة الطبيعي أو اللافطري)في إنتاج ما يعطيه ثراء ثرا من التمعني وأن العلامات اللغوية المتينة البناء تعرض نافي اكبر من اللذة الأخرى إنها لذة أوديبية (قوامها التعرية والمعرفة والإطلاع على الأصل والنهاية (وذلك حين يكون صحيحا أن كل قصة (كل الكشف عن الحقيقة)إنما هي إظهار للأب (الغائب المختبئ أو المؤقنم) فيهب الغبطة إنه النص الذي يخدر من الثقافة فلا يحدث قطيعة معها ويرتبط بممارسة مريحة للقراءة " (بارت ،ص 38)

النص والجسد :

قبل أن نثير ما يصل بين الفعاليتين الثقافيتين بتعبير بارت لا بأس أن نمهد لأحكام يشير إليها الكاتب إزاء الأفكار التي يدافع عنها في ما تعلق بالنص منها على سبيل المثال :

"ثمة جمعية تسمى جمعية أصدقاء النص قد لا يكون بين أعضائها شيء مشترك (لأنهم لا يتفقون ضرورة على نصوص اللذة) اللهم ما عدا اشتراكهم في أعدائهم وهؤلاء طفيليون من كل الأنواع فهم يصدرون المراسيم بإسقاط حق النص ولذته سواء أكان دافعهم إلى ذلك المحافظة الثقافية أم العقلانية المتصلبة (التي تشك في صوفية الأدب) ام الأخلاق السياسية أو نقد الدال أم الذرائعية الحمقاء أم البلاهة المهرجة أم هدم الخطاب أم فقدان الرغبة الكلامية ولن يكون لجمعية كهذه مكان ولا نستطيع أن نتحرك إلا في مكان طوباوي وسيكون ذلك بالأحرى إلا في مكان طوباوي وسيكون ذلك بالأحرى نوعا من أنواع المجمعات يعترف فيه بالمتناقضات (وهذا يعني إذن أن مخاطر الغش الإيديولوجي ستكون محدودة وسيكون الاختلاف بارزا بينما يكون الصراع محروما من أي معنى (وذلك لأنه ينتج أي لذة (المرجع نفسه: ص 40)

ثم يلحق تلك الأحكام بسلسلة من التمثلات تستهلكها كلمة واحدة "لذة" التي تحمل عنوان كتابه "لذة النص" فكلمة نص معطى ثقافي وهي في رأينا استنادا لأحكام ومقاربة حجاجية يعكس من خلالها خلفيات موازية للمفاهيم التي يصدرها الكاتب ضمن الفعل الثقافي الذي يحفز عملية التأصيل لتلك المفاهيم يقول "وأنا أحب النص لأنه يمثل بالنسبة إلي فضاء نادرا من فضاءات اللغة أحبه لأنه تغيب عنه كل خصومة بمعنى خصومة المتزوجين والأزواج على وجه الدقة " (المرجع نفسه: ص 41)

ومنها قوله "إن النص صيغة إنسانية فهل هي صورة وجناس تصحيفي للجسد أجل إنها لكذلك بالنسبة إلى جسدنا الجنسي وإذا كان هذا هكذا فإن لذة النص لن تختزل إلى وظيفتها القاعدية (النص الظاهر) كما إن لذة الجسد لن تختزل إلى الحاجة العضوية " (المرجع نفسه: ص 42)

"إن لذة النص هي تلك اللحظة التي يتبع فيها جسدي أفكاره الخاصة ذلك لأن جسدي ليست أفكاري" (المرجع نفسه: ص 44)

"إن لذة النص لا تتخذ من نمط المنتصر ولا من النمط البطولي ولا من النمط العضلي نموذجا لها فهي في غير حاجة إلى أن تتقوس استعدادا للقتال فلذتي تستطيع أن تجعل الشكل انحرافا "(المرجع نفسه: ص 54)

لأنها تتحدر من نظام محدود بدقة لتفكك هو على درجة كبيرة من العنف مع أنه يكفي أن يوجد فيض دالي لكي يوجد النص (المرجع نفسه: ص 41)

في إشارة إلى دائرة تمثلاته يستشهد بارت بتمثلات مقابلة منها اللسان العربي يقول "يبدو أن علماء العرب حين يتحدثون عن النص يستخدمون هذا التعبير الرائع الجسد اليقيني أي جسد؟إن لدينا أجسادا عديدة فلدينا جسد علماء التشريح وجسد لعلماء وظائف الأعضاء وأن هذا الجسد الذي يراه العلم ويتكلم عنه" (المرجع نفسه: ص 54)

والنص في نظره شيء من التشويش والتذبذب، عدم الفصل والكاتب الذي هو مقدم على الكتابة يجد نفسه ضائعا اتجاه نصه واتجاه الأحكام التي يقررها القارئ فهو(النص)"حرز وإن هذا الحرز ليرغبني والنص يختارني أداته في ذلك ترتيب كامل لشاشات خفية وتدبير منظم لمحاكات انتقائية فثمة المفردات والمراجع وقابلية المقروء للقراءة إلى آخره ويوجد الآخر دائما إنه المؤلف وإنه ليوجد ضائعا في وسط النص .... (موجود بالنسبة إلى الكاتب أنه ليس اللسان) ولكنه اللغة أي اللغة الأم فالكاتب شخص يلعب مع جسد أمه) وذلك لكي يمجده ويزينه أو لكي يقطعه ويحمله قطعا يمكن التعرف عليها بوصفها قطعا من الجسد وإنني لأذهب إلى حد المتعة بتشويه اللغة وسيطلق الراي العام صرخات عالية لأنه لا يريد أن تشوه الطبيعة "(المرجع نفسه: ص 68)

الاستئناس بالتمثلات يعكس الجدل الحاصل بيننا واللغة التي لا تتنازل عن سلطتها ولأننا نحكم على الأشياء بمسميات اللغة فالشيء أصبح هو اللغة يمتلكنا ونمتلكه وكذلك أصبحت اللغة "فوق كل شعب من الشعوب ثمة سماء من المفاهيم موزعة توزيعا رياضيا وأنه ليدرك بضغط من الحقيقة من الآن فصاعدا أن أي اله مفهومي يجب ألا يكون البحث عنه في أي مكان خارج فلكه)نيتشه) نحن جميعا أسرى حقيقة اللغات وهذا يعني أننا واقعون في تعدد إقليميتها ومدفعون إلى التنافس الرائع الذي ينظم مجاورتها" (المرجع نفسه: ص 50)

ربما هو ضرب من الأدلجة التي تصيبنا بانفصام في كثير من الأحيان بين القناعات والفهم الذي تدفع به سنن التداول وكثيرا ما نغمط الأمر حقه يضرب بارت على هذا الفعل تمثله انطلاقا من الجسد في وصف دقيق "والإيديولوجيا كذلك إنها تعبر فوق النص وقراءته كالوجه إذ يكسه التورد (وإن بعضهم ليتذوق هذه الحمرة في الحب تذوقا شهوانيا (المرجع نفسه: ص 160)

يذّكر بارت أن سبب الانفصام المذكور هو نوع من الهروب والإغماط وهو ينتقد خصومه من هذا النوع "..ومع ذلك فإن هذا الموضوع تحتوي على جزء منسي حذفه المعلقون الكلاسيكيون إنه الفعل ويتألف من مجموعة من الطرق التي تسمح خصوصا بإخراج الخطاب جسديا والمقصود بهذا هو مسرح التعبير والخطيب المهرج المعبر عن غضبه وعن رحمته إلى آخره " (المرجع نفسه: ص 63)

ومن أجل ذلك ومن خلال التمثل يدافع بارت عن اعتقاده من منظور الهامي ثقافي وهذا ما نجد له صدى في التخريجات التي يدافع عنها "تعني كلمة نص النسيج ولكن بينما صنف هذا النسيج دائما وإلى الآن بوصفه إنتاجا وحجابا جاهزا يقف المعنى)الحقيقة خلفه إلى حد ما فإننا سنركز الآن داخل النص على الفكرة التوليدية التي يتخذها النص لنفسه وينشغل بها من خلال تشبيك دائم وإن الذات إذ تكون ضائعة في هذا النسيج تنحل فيه كما لو أنها عنكبوت تذوب هي نفسها في الإفرازات البانية لنسيجها وإذ كنا نحب الألفاظ المستحدثة فإننا نستطيع أن نعرف نظرية النص بأنها علم صناعة نسيج العنكبوت لأنها (تعني نسيج العنكبوت) ". (المرجع نفسه: ص ن)

على سبيل الخاتمة :

تتنزل ورقة البحث هذه عند إشكالية من الأهمية بمكان تتعلق بالجسد كموضوعة ولقد استند منظور البحث بتمثلات نراها جديرة بتناول هذه الموضوعة تناولا فيه اتساع للمخيلة إمكانا واحتمالا (شكلا ومضمونا)في إدراك مخرجاتها واستيعابها ،كل ذلك مبتدأ كان محوره الأساس "النص "من حيث التناول أولا على اعتبار أنه من حيث قرائن كثيرة ـوقفنا عندها ـنفهم بها الجسد ونفهم النص اعتبارا للجسد وخبر اعتبرناه "خطابا " متمثلا في تخريجات توجه تلك القرائن وقفنا عند بعضها عربيا وخصصنا لذلك غربيا بحث رولان بارت خصوصا ما تعلق بكتابه لذة النص إذ فصل فيه نوعا ما هذه الصلة بحكم الدافع والمنزع الثقافي .

قائمة المصادر والمراجع :

الن بيز، (1417 ه 1997)، **لغة الجسد** ،الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم .بيروت.

امبرتو ايكو '، (2000) ،**التأويل بين السيميائيات والتفكيكية** ،ترجمة سعيد بنكراد ،المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى .

انيس مقدسي، (1988) ،**الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث** ،دار العلم للملايين، لبنان، ط8 .

بارت رولان(2002)، **لذة النص** ، ترجمة منذر العياشي ، مركز الإنماء العربي ، الطبعة الثانية .

ـ بول ريكور، (1988)، **اشكالية ثنائية المعنى** ،ترجمة فاريال جبوري غزول ،الف مجلة البلاغة المقارنة ع8..

ـذياب شاهين ، (2003)، **الشاعر واللغة والصراع بين المحكي والمكتوب**، الرافد ع 71 يوليو .

-فوكو ميشيل، (1988)**حفريات المعرفة** ترجمة أحمد السطاني وعبد السلام بنعبد العالي الدار البيضاء، المغرب داار توبقال للنشر،

-عبد الفتاح كليطو،(1997)،**الكتابة والتناسخ** ،ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال ا، الطبعة الثانية

-عبد الواسع الحميري، (1435 ه2014م) ، **انخطاب والنص** ، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية .

-محمد على الكردي ،(1983) ،النقد بين الايديولوجيا والنظرية ،فصول م4 ع1 اكتوبر ..

-محمد مفتاح (1999)، **المفاهيم معالم** ،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 .

-ميحان الرويلي سعد البازعي(2002) **دليل الناقد الأدبي** ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ط2 .

الفن بين العقل الأداتي والعقل الجمالي من منظور مدرسة فرانكفورت

Art between instrumental reason and aesthetic reason in the perspective of the Frankfurt School

عمر شهبي، أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، وباحث في الدراسات الثقافية بمختبر الديداكتيك واللغات والمسرح، التابع لكلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل – القنيطرة، المغرب.

chahbi.omar@gmail.com

الملخص:

يتوخى هذا المقال استجلاء طبيعة التصور النقدي الجمالي لدى رواد مدرسة فرانكفورت، وذلك بناء على فرضية تنطلق من تصور مؤداه أن مدرسة فرانكفورت من أهم التيارات والتوجهات النقدية التي تناولت قضايا الفن بوصفه شكلا ثقافيا مترعا بالأبعاد السياسية والسلطوية التي تتجلى في تكريس الوضع القائم وتثبيت مؤسساته المهيمنة عبر السعي إلى تحقيق المفاصلة عن هذا الواقع بإعمال التخيل. ولهذا سعت مدرسة فرانكفورت إلى مناهضة الهيمنة داخل ثقافة المجتمع في محاولة لتحريرها من وظيفتها الموجهة إلى وظيفتها الجمالية، التي تعلي من شأن العقل الجمالي في مقابل العقل الأداتي المهيمن أو العقلانية التقنية، التي تعني نوعا من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث.

الكلمات المفاتيح: الفن - مدرسة فرانكفورت – العقل الأداتي – العقل الجمالي

Abstract

This article aims to clarify the nature of the critical aesthetic perception of the pioneers of the Frankfurt School, based on a hypothesis that stems from the perception that the Frankfurt School is one of the most important critical trends and trends that dealt with issues of art as a cultural form full of political and authoritarian dimensions that are reflected in the consolidation of the status quo and the consolidation of its dominant institutions through Seeking to get rid of this reality through imagination. That is why the Frankfurt School sought to oppose hegemony within the culture of society in an attempt to liberate it from its oriented function to its aesthetic function, which elevates the aesthetic reason in contrast to the dominant instrumental reason or technical rationality, which means a kind of thinking prevailing in modern industrial society.

Keywords: art - Frankfurt School - instrumental reason - aesthetic reason

مقدمة

لا غرو أن نظريات وأفكار مدرسة فرانكفورت النقدية قد شكلت خلفية معرفية أساسية لعدد من التيارات والمدارس الفكرية والنقدية التي استندت إلى منجزها النقدي والفكري والفلسفي بأسسه وتحولاته وتغيراته، هذا المنجز الذي يمثل مشروعا نقديا كان يرنو إلى التأسيس لفلسفة نقدية بديلة تقوم على تفكيك المشروع الثقافي الغربي وتحريره من مسلماته وثوابته من خلال فحص مسيرة المنظومة الاجتماعية، وطرح تصورات جديدة حول الإنسان والتغيرات الاجتماعية وتأثيرات الثقافة على مستوى التاريخ والجماليات والفن، وخلق بدائل فكرية ومنهجية للتحليل السياسي والاجتماعي والثقافي، شكلت لاحقا ترسانة نظرية، استعان بها الباحثون في الدراسات الثقافية من أجل فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية، ذلك أن منجزات معهد الدراسات الثقافية البريطانية قد مثلت امتدادا طبيعيا لأطروحات مدرسة فرانكفورت النقدية لاسيما جهود المفكرين تيودور أدورنو (المتوفى عام 1969) وهوركهايمر (المتوفى عام 1969) في الاهتمام بموضوع صناعة الثقافة التي تعني – وفقا لمنظري مدرسة فرانكفورت –"التلاعب بوعي الجماهير كي يبقوا على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الحالية " (أيزابرجر،2002، ص.86).

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن أطروحات مدرسة فرانكفورت غنية ومتشعبة غنى وتشعب المجالات الاجتماعية والفكرية والفلسفية، التي اشتغلت عليها وكذا روافدها النظرية المعرفية، لذا فالغاية هنا لا تتعلق باستعراض منجزات مدرسة فرانكفورت التي أطلق عليها مصطلح (النظرية النقدية)، بقدر ما يتعلق بالأمر بمحاولة للكشف عن بعض النظريات والأفكار المتصلة بما جمالي وفني، هذه الأفكار التي أثرت حقول الفلسفة وعلم الاجتماع والآداب، ومثلت مقدمة للنقد الثقافي القائم على نقد الأنساق المضمرة وتحليل النظرية الثقافية.

مشكلة البحث والفرضية:

لقد أسهمت مدرسة فرانكفورت النقدية بنصيب وافر في رفد التيارات والمدارس النقدية خلال مرحلة ما بعد الحداثة بالكثير من الطروحات والرؤى "الثورية"، وذلك انسجاما مع مشروعها النقدي الذي يتأسس على الاهتمام بقضايا التحرر والانعتاق، ومناهضة كل التوجهات التي تسعى إلى فرض الهيمنة والتسلط من داخل الخطابات والأشكال الثقافية لاسيما تلك الجمالية منها. ومن هذا المنطلق فإن الإشكالية التي يرنو هذا المقال إلى معالجتها تتعلق بإسهامات مدرسة فرانكفورت المرتبطة بقضايا الجمال والفن، هذه الإشكالية التي يمكن عناصرها في الأسئلة التالية: ماهي أهم مرتكزات التصور النقدي الجمالي

الذي تتبناه مدرسة فرانكفورت؟ وإلى أي حد أسهمت هذه المدرسة في مد الحقل النقدي برؤى جديدة تتصل بالفن وأدواره الثقافية والاجتماعية وعلاقته بأبعاد الهيمنة والتسلط؟

يتوخى هذا المقال استجلاء طبيعة التصور النقدي الجمالي لدى رواد مدرسة فرانكفورت، وذلك بناء على فرضية تنطلق من تصور مؤداه أن مدرسة فرانكفورت من أهم التيارات والتوجهات النقدية التي تناولت قضايا الفن بوصفه شكلا ثقافيا مترعا بالأبعاد السياسية والسلطوية التي تتجلى في تكريس الوضع القائم وتثبيت مؤسساته المهيمنة عبر السعي إلى تحقيق المفاصلة عن هذا الواقع بإعمال التخيل. ولهذا سعت مدرسة فرانكفورت إلى مناهضة الهيمنة داخل ثقافة المجتمع في محاولة لتحريرها من وظيفتها الموجهة إلى وظيفتها الجمالية التي تعلي من شأن العقل الجمالي في مقابل العقل الأداتي المهيمن أو العقلانية التقنية، التي تعني نوعا من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث.

المنهج المعتمد:

استندت في معالجة الإشكالية على المنهج التكاملي بوصفه فاعلية منهجية كفيلة بأن تتيح لي كشف ملامح التصور النقدي لدى مدرسة فرانكفورت المتعلق بقضايا الفن، وملامسة مختلف التصورات التي أغنت بها هذه المدرسة الحقل النقدي والمعرفي، لاسيما فيما يخص وظيفة الفن والأشكال الجمالية في المجتمع، وصلتها بأبعاد السلطة والهيمنة. وقد أملت طبيعة الموضوع وخصوصية الممارسة النقدية لدى مدرسة فرانكفورت، وروافدها المعرفية المتعددة، وإسهاماتها المميزة في العديد من المجالات النقدية والفلسفية والفنية، اختيار هذا المنهج التكاملي، الذي يقوم على الجمع بين آليات ومقاربات ومناهج عديدة، لاسيما منهج النقد الثقافي الذي حاولت من خلاله مقاربة منظور مدرسة فرانكفورت للفنون والأشكال الجمالية في علاقتها بقضايا السلطة والهيمنة، ثم المنهج التاريخي الذي أتاح لي تتبع نشأة هذه المدرسة وإسهاماتها البارزة وأثرها العميق في النقد الحديث والمعاصر.

الدراسات السابقة:

لقد شكلت مدرسة فرانكفورت محور اهتمام الكثير من البحوث والمؤلفات التي انشغلت ببيان أسس هذه المدرسة النقدية وإسهاماتها المعرفية والنقدية، كما هو الحال بالنسبة لعبد الغفار مكاوي في كتابه النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الذي اشتغل فيه بالأساس على بيان مرجعيات مدرسة فرانكفورت وأهم مقولاتها ومفاهيمها النقدية، غير أن عبد الغفار مكاوي لم يتوقف طويلا عند النظرية الجمالية في منظور مدرسة فرانكفورت. وقد ذهب في المسلك نفسه عبد الله عبد الرحمان في كتابه النقد الثقافي في

الخطاب النقدي العربي، وكذا رشيد بعلي في كتابه مسارات النقد ومسارات ما بعد الحداثة، في ترويض النص وتقويض الخطاب. وما يُلحظ هنا غياب الاهتمام الكافي بالمنظور الجمالي، وهو ما حاولت القيام به في هذا المقال.

التعريف بمدرسة فرانكفورت النقدية:

يشير مصطلح مدرسة فرانكفورت إلى تلك المؤسسة البحثية التي تأسست في مدينة فرانكفورت بألمانيا سنة 1923، هذه المؤسسة التي أطلق عليها اسم (معهد البحث الاجتماعي)، ضمت عددا من المثقفين الذين ألفوا «دراسات علمية حول القاعدة الاقتصادية للمجتمع خلال العشرينيات ثم حولوا اهتمامهم خلال الثلاثينيات إلى الأبحاث المتعددة المجالات في دراسة البنية الفوقية الثقافية. وتحت إدارة ماكس هوركهايمر بعد عام 1930 رعى المعهد دراسات جمالية ماركسية مهمة قام بها أضراب تيودور أدورنو ووالتر بنجامين وإيريش فروم وهربرت ماركوز. وقد نشرت أعمالهم في كتب وفي دورية مجلة البحوث الاجتماعية. واضطر المعهد إلى الانتقال لفترة وجيزة إلى مدينة جنيف عقب تولي النازيين السلطة أوائل عام 1933، ثم انتقل في العام التالي إلى نيويورك بالتعاون مع جامعة كولومبيا، وإن ظلت فروعه في جنيف ولندن وباريس مفتوحة لعدة سنوات خلال الثلاثينيات (ليتش،2000، ص.37 – 38). حدد رواد معهد البحث الاجتماعي - وهم نخبة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد والنفس والنقد الأدبي والجمالي المنحدرين من أصول يهودية – منذ البدء طبيعته والغاية من تأسيسه بحيث يكون معهدا حرا غير خاضع للضوابط والشكليات والنظم الأكاديمية والجامعية، يشتغل على مشكلات الاشتراكية والعنصرية وحركة العمال وفق المنهج الماركسي في التحليل النقدي الاجتماعي، إذ لقيت أعماله قبولا لدى الرأي العام المثقف في أوربا وألمانيا الغربية في العقد الثاني من عقد السبعينات، لاسيما "حركة الطلاب التي تبنت بعض أفكاره النظرية النقدية وأدمجتها في "أيديولوجيتها" اليسارية الجديدة الرافضة لكل أشكال السلطة والتسلط، وقد تأثر رواد هذه الحركة الثورية بأفكار ماركوز على وجه الخصوص، كما راجت آراؤه النقدية للمجتمع الرأسمالي الصناعي في أعقاب مظاهرات الاحتجاج على التمييز العنصري واضطهاد الأقليات وحرب فيتنام التي هزت الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية، مما ساعد على انتشار أفكار المدرسة في أوساط المثقفين والطلاب المتمردين" (مكاوي، 2017، ص.17).

لقد كان لمدرسة فرانكفورت ومفكريها الأثر الكبير على الكثير من الاتجاهات والتيارات النقدية خلال مرحلة ما بعد الحداثة، حيث تمثل مشروعها النقدي في قضايا التحرر والانعتاق ومناهضة الهيمنة داخل ثقافة المجتمع في محاولة لتحريرها من وظيفتها الموجهة إلى وظيفتها الجمالية التي تعلي من شأن العقل الجمالي في مقابل العقل الأداتي المهيمن أو العقلانية التقنية، التي تعني نوعا من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث الذي يوصف على لسان ماركوز – أحد أهم مفكري مدرسة فرانكفورت – " بالتفكير ذي البعد الواحد " (مكاوي، 2017، ص.21). فالثقافة - حسب منظري هذه المدرسة – غير منفصلة عن مسار التاريخ الإنساني وحركية المجتمعات، ولهذا "فنقد الثقافة في مفهوم مدرسة فرانكفورت لا يعني نقد الثقافة بتبيان جوانب قصورها، بقدر ما يعني النقد الذي، ينطلق من المفهوم الأساس للثقافة، ومنه نقد كل شيء يتسم بالوضاعة والانحطاط ومن ثم يعتبر مناهضا للثقافة " (وولين، 2016، ص. 12). ويبدو هنا بجلاء التوجه الذي سلكته مدرسة فرانكفورت، التي سعت إلى الاهتمام بالخطاب الثقافي تحت رعاية المثقفين الماركسيين في محاولة للكشف عن التناقضات الاجتماعية التي تعتري المجتمعات الرأسمالية المعاصرة وأطرها الإيديولوجية النموذجية، لذا وظفت هذه المدرسة "مختلف المعطيات المعرفية والنظرية المتعلقة بالنظرية الاجتماعية والفلسفية والتحليل الثقافي والنفسي وكذلك الاهتمامات السياسية لكشف الخطاب المهيمن الذي أثر في الظواهر المدروسة، وهذا ما جعل السجال ذا نفع كبير على بلورة أفكار التيارات والاتجاهات التي ظهرت بعدها" (عبد الرحمان،2012، ص.34)، لاسيما الدراسات الثقافية بشكل عام ونظرية النقد الثقافي على وجه الخصوص.

ولم يقتصر الاشتغال في إطار مدرسة فرانكفورت على الأشكال والأنماط والبنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل "شمل بنية التفكير والمواقف واللغة التي يستخدمها الناس في مجتمع ما" (مكاوي،2006، ص.95)، لأن النظرية النقدية تؤمن بأن القاعدة الاجتماعية – الاقتصادية تحدد البنية الفوقية الثقافية للمجتمع. فالأعمال الفنية ليست "مجرد ظواهر ثانوية تابعة تعكس المصالح الطبقية بل هي تعبير عن كل تناقضات الكلية الاجتماعية وتطلعاتها الطوباوية" (ليتش،2000، ص.39)، وتبعا لذلك اعتبرت النظرية النقدية الأعمال والأشكال الفنية والأدبية (بما في ذلك الأعمال الكلاسيكية والبرجوازية) ذات أبعاد سياسية "لأنها تحافظ على التطلعات البشرية والحنين لأشكال طوباوية من الحياة. فالفن لا يعكس فحسب الحقائق الاجتماعية القائمة (كما يؤكد كل الماركسيين) وإنما يجسد أيضا النزعات الراديكالية. إن المفهوم الذي قال به كانط وأرنولد في وصفهم الفن بأنه "غير ذي غرض" مفهوم خاطئ. فالفن يحتج ضد السيطرة،" (ليتش،2000، ص.39)، حيث سعت المدرسة إلى كشفت

تناقضات الواقع الاجتماعي الغربي، الذي هيمنت عليه العقلانية الأداتية وإفرازها لأشكال جديدة للسيطرة على الإنسان، ولهذا عملت أطروحاتها على إثبات التصور القائل "إن عقلانية المشروع الثقافي الغربي في جوانبه الثلاثة: كنتاج علمي، وكنظم اجتماعية تاريخية، وكنسق قيمي سلوكي، تؤلف كلها أيديولوجية شمولية تهدف إلى تبرير التسلط وجعله عقيدة." (بوتومور، 2004، ص.20) هذا التسلط الذي أفرز ما يسمى لدى أعضاء مدرسة فرانكفورت، باغتراب الإنسان في هذه المجتمعات الغربية الرأسمالية القائمة على العقلانية التقنية والإدارية التي ادعت التنوير والتقدمية، "وتباهت بالسيطرة على الطبيعة والإنسانية في الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي على السواء"(مكاوي، 2017، ص.14). فسلبت من الإنسان خصوصيته وفرديته وانحطت قيمته الإنسانية والذاتية بفعل هيمنة المنظور الآلي الإنتاجي إلى مجرد "شيء" تتحكم به القوى المسيطرة كيفما شاءت.

الفن في منظور مدرسة فرانكفورت

لقد اشتغل مفكرو مدرسة فرانكفورت على صياغة نظرية نقدية تتوخى نقد هذا الواقع الاجتماعي، وتقويض تصوراته الإيديولوجية الليبرالية، والكشف عن مظاهر وتجليات الاغتراب الذاتي والمكاني سواء في واقع الممارسة الاجتماعية أو في النصوص والخطابات. فدرس البعض منهم –خاصة أدورنو وهوركهايمر– أثر ظاهرة الاغتراب والتشيؤ على الإبداع والفن، "وبينوا كيف انحط العمل الفني في ظل المجتمع الصناعي وظروف صناعة الثقافة وأجهزة إنتاجها إلى حضيض السلعة في سوق الاستهلاك والمزايدة، مما أفقده أصالته وشموله وفعله المباشر في القلوب والعقول" (مكاوي، 2017، ص.20) .

فالفن بوصفه ممارسة جمالية هو تمرد على الثقافة التي تصنعها أجهزة الهيمنة والتسلط بغرض صياغة شخصية اجتماعية نمطية، لكن الفن حين يرتبط بهذه الأجهزة أو يتداخل معها في علاقة، فإنه يتحول إلى سلعة استهلاكية وأداة لتخدير الجماهير لا لتوعيتهم، وبالتالي يفقد الفن هنا أهم خاصياته، فيموت جوهره، ويصبح آلية من آليات إخضاع الجماهير وتدجينها وتغييب وعيها.

وقد عمل أدورنو – وهو من أهم مفكري مدرسة فرانكفورت الذين اهتموا بالنظرية الجمالية – في إطار تحليله للفكر الفلسفي والمؤسسات الاجتماعية والسياسية على دراسة النتاج الثقافي واشتغل على الجماليات، التي تعني لديه دراسة أنماط التعبير الجمالي في الفنون المختلفة خاصة الأدب والموسيقى، ليخلص إلى أن الفن "كممارسة" هو "ضرورة على المستوى الأنطولوجي للخروج من أسر "العقل الأداتي" لأن الفرد يتحرر أو يمارس حريته في الفن، ولهذا حاول أدورنو أن يبقي الفن مستقلا عن الحياة الواقعية، ورفض

أي ربط بين الفن وغيره من المؤسسات، وبين أن القوانين أو النظريات التي تضع الفن في سياق محدد فهي تقضي عليه، لأنها تقضي على قدرة الإنسان على التخيل، لتجاوز الحالة الراهنة للواقع (بسطويسي،1993، ص.60). فالتخيل باعتباره من أهم مقومات الفنون والآداب يمثل بالنسبة لأدورنو انعتاقا من قيود الهيمنة، التي تفرضها أجهزة التسلط الثقافي وخلاصا من أسر النظام الاجتماعي والسياسي، الذي لا يلبي تطلعات الناس وآمالهم في حياة سوية تتحقق في حاجاتهم الروحية والعقلية والوجدانية. فالمخيلة هي أداة الإنسان ضد القمع، الذي يسيطر على الإنسان من خلال الواقع، الذي يشتد حضوره في البناء المنطقي العقلي، ولذلك فإن العلاقات التي تقيمها المخيلة مختلفة عن تلك التي يقيمها النشاط العقلي، والذي يهمه المطابقة بينها وبين الواقع، بينما تسعى المخيلة للتحرر من أسر العقل المنطقي الذي يخضع لعلاقات الواقع (بسطويسي،1993، ص.60).

وهكذا، يرفض أدورنو نظرة جورج لوكاش الواقعية للأدب والفنون التي تقوم على مفهوم الانعكاس المباشر الذي يجعل منهما مجرد مرآة تعكس ما يحدث في الواقع من خلال المحاكاة، ويرى أنهما وسيلة للهروب، إذ يؤكد أن "الأدب لا يتصل اتصالا مباشرا بالواقع على نحو ما يفعل العقل، فتباعد الفن عن الواقع هو الذي يكسبه قوته ودلالته الخاصة" (بوتومور، 2004، ص.188)، بل إن جمالية الأدب والفنون لا تكمن في محاكاة الواقع، وإنما في الابتعاد عن الانعكاس المباشر، وهذا هو مصدر قوة الفنون والآداب حسب أدورنو، الذي يعتبر أن "أشكال الفن الشعبي تؤكد فقط، على مطابقة قواعد المجتمع" (كارتر، 2010، ص.63)، وهذا ما يجعل الثقافة الشعبية وفق منظور النظرية النقدية عبارة عن " قوة تطويعية " (أسون، 2005، ص.193).

لكن الفن الحقيقي هو الذي يتخذ موقفا نقديا ويدعو إلى تغيير الواقع من خلال خلق عوالم جمالية مغايرة ومخالفة لهذا الواقع، تنتشل الإنسان من عالمه المادي المترع بالحمولات السلعية وتجعله قادرا على الحلم والتخيل. وهذا ما أشار إليه تيودور أدورنو في كتابه النظرية الجمالية حينما قال بأن "الفن يمثل ذلك الفكر المغاير نوعيا عن ما هو موجود في الواقع، وأفق تحقيق عالم إنساني تزول فيه تناقضات الواقع القائم" (Adorno, 1974, p. 27). ولهذا فالتعبير الفني والجمالي وفق هذا المنظور أداة للتحرر من العقلانية الأداتية التي أحكمت قبضتها على الإنسان وسيطرت على أبعاد وجوده، وهو وسيلة كذلك لتشكيل الوعي والحماية من الاستلاب والممانعة والمقاومة الفكريين في ظل أنظمة اجتماعية واستبدادية تصر على صناعة ثقافة نمطية موحدة تتوخى الحفاظ على الوضع القائم. يقول أدورنو في هذا الصدد، كما ينقل ذلك بول أسون: " لقد كان الفن دائما ويبقى قوة للاحتجاج الإنساني ضد قمع المؤسسات التي تمثل

الهيمنة الاستبدادية والدينية و(هيمنات) أخرى، مع عكسه بطبيعة الحال، لفحواها الموضوعي " (أسون، 2005، ص.124).

إن الفن – وفق منظور مفكري مدرسة فرانكفورت- يجسد تلك القوة الناعمة التي لم تستطع المنظومة الاجتماعية استيعابها كما هو الشأن بالنسبة للنشاطات الإنسانية، لأنه يعكس تلك القدرة على رفض العقلانية الأداتية السائدة في المجتمع، وكذا إمكانية المفاصلة عن الواقع الذي اغترب فيه الإنسان وانحط فيه وجوده و"تشيأت" فيه حياته وتشوهت فيه المعاني الإنسانية النبيلة. يقول هربرت ماركيوز في هذا الصدد: " يضمن الخيال الفني حرية الرفض الكبير من حيث أنه حافظ على تلك التطلعات التي كبتها العقل، والتي يمكن أن تكون فيها الصورة اللامعقولة للحرية المعقولة".

لا يعني الجنوح للخيال في الفن، حسب هذه الرؤية، الانعزال والانطواء على الذات والهروب من مواجهة الواقع وإشكالياته وتناقضاته، وإنما ينطوي الفن على رغبة جامحة في المقاومة ونقد الواقع الاجتماعي من أجل خلق واقع جديد يحقق فيه الناس حريتهم وسعادتهم، وبذلك تصبح الجمالية المنفذ الوحيد – وإن بشكل غير مباشر - للخروج من الأوضاع اللاإنسانية التي تفرزها الحروب، والأنظمة الاستبدادية، والنظم الاجتماعية الظالمة لأنها تسهم في رسم صورة للتحرر الإنساني الذي يتجلى في القدرة على ارتياد آفاق الخيال وتجاوز الواقع الذي يجثم على نفوس الناس ويكبل وعيهم بعقلانيته الأداتية الصارمة.

ولهذا، فتيودور أدورنو، لم ير إمكانية لتحرير الفرد من التسلط والهيمنة، لا في ظهور جماعات معارضة جديدة، ولا في التحرر الجنسي، وإنما ارتأى هذه الإمكانية في عمل الفنان الأصيل الذي يواجه الواقع المعطى بالتلميح إلى ما يمكن أن يكون. وعلى هذا، فإن الفن الأصيل يمتلك قوة غلابة، لدرجة يضعه أدورنو في مواجهة العلم الذي يعكس الواقع الموجود فحسب، فيما يمثل الفن الأصيل شكلا أعلى من أشكال المعرفة وسعيا متجها إلى المستقبل وراء الحق (بوتومور، 2004، ص.88 -89).

إن الفن الحقيقي لا يعكس – وفق منظور مدرسة فرانكفورت ولا سيما أدورنو- البعد المعرفي فقط، وإنما يحمل بعدا سياسيا يتجلى في رفض تكريس الوضع القائم وتثبيت مؤسساته المهيمنة عبر السعي إلى تحقيق المفاصلة عن هذا الواقع بإعمال التخيل الذي يعكس التطلع إلى واقع جديد أفضل، وتجاوز الواقع الحالي ومعارضته. إلا أن أثر العمل الفني لا يكون بالضرورة مباشرا على الواقع الاجتماعي، وقد يحدث ذلك بشكل محدود. ذلك أن وظيفة الفن ليست صنع التغيير المفاجئ أو النقلة النوعية السريعة إلى العالم

المغاير والمنشود، بل تتحدد وظيفته في إحداث تغييرات شاملة غير مباشرة على مستوى وعي الإنسان بنفسه ووجوده عبر تحويل الواقع إلى لوحة فنية مفعمة بصور الحرية والعدالة والسعادة. وقد أشار تيودور أدورنو إلى هذه المعاني في كتابه النظرية الجمالية بقوله: " هناك شك حول ما إذا كانت أعمال الفن تؤثر سياسيا، فإذا كانت تفعل، فإن ذلك يكون عادة هامشيا بالنسبة للأعمال المعنية، وإن كانت تكافح من أجل أن تعمل فإنها تقصر عادة عن بلوغ مفهومها الخاص، والواقع أن تأثيرها أو أثرها الاجتماعي الحقيقي غير مباشر" (أدورنو نقلا عن فيل، 2000، ص.184).

وقد ذهب كريستوف منكه (Christophe Menke) في الاتجاه نفسه، عندما اعتبر أن للفن وظيفة نقدية مؤثرة نسبيا فقط على الواقع، وذلك لأن الفن قادر على تمثيل الإمكانيات والقدرات والأفكار التي لم تتحقق في الواقع الفعلي، ولكنه يملك إمكانية استخلاصها من الواقع الباطن للفن ثم تجسيدها في المستوى الاجتماعي (Menke, 1993, p. 57).

قد لا يكون للفن أثر مباشر على الواقع الاجتماعي كما أكد على ذلك كل من (أدورنو) و(منكه)، لكن تأثيره العميق في الوعي والوجدان الإنسانيين يجعله وسيلة فعالة لمقاومة الرداءة التي تطبع الواقع الاجتماعي والسياسي، ومنفذا للحلم بواقع أفضل وأداة تمكن الفرد من تحقيق الاستقلالية ومواجهة عقل السلطة والهيمنة، الذي يسيطر على كل مناحي الحياة اليوم، ويتجاور الفن- هنا كما يقول محمد رمضان بسطويسي مع الثقافة والدين كآخر الدفاعات التي يمكن أن يحتمي بها الإنسان ضد غزو الحياة الاستهلاكية، والتي تنذر بالقضاء على العقل(بسطويسي، 1993، ص.75-76) .

النتائج

أسفر الاشتغال على منظور مدرسة فرانكفورت للفن والخطاب الجمالي عن عدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- اهتمام مدرسة فرانكفورت بالخطاب الثقافي تأسس على تصور يعتبره مرآة مجلوة للتناقضات الاجتماعية التي تعتور الواقع الاجتماعي الغربي الذي هيمنت عليه عقلانية أداتية أفرزت ما يسمى لدى أعضاء مدرسة فرانكفورت، باغتراب الإنسان في هذه المجتمعات الغربية الرأسمالية القائمة على العقلانية التقنية والإدارية التي ادعت التنوير والتقدمية.
- التحام الفن بأجهزة السلطة في منظور مدرسة فرانكفورت يفضي به إلى الانحطاط وفقدان الأصالة والشمولية والفعل المباشر في الأفئدة والعقول، ذلك أن الفن حين يتداخل بأجهزة السلطة أو يرتبط

بها فإنه ينحرف عن طبيعته الأصلية ليتحول إلى سلعة استهلاكية وأداة لتخدير الجماهير وتدجينها وتغييب وعيها.

- التخيل بوصفه نسغ الفنون والآداب وأهم مقوم فيها يمثل بالنسبة لمدرسة فرانكفورت انعتاقا من قيود الهيمنة التي تفرضها أجهزة التسلط الثقافي وخلاصا من أسر النظام الاجتماعي والسياسي الذي لا يلبي تطلعات الناس وآمالهم في حياة سوية تتحقق في حاجاتهم الروحية والعقلية والوجدانية.
- الفن الحقيقي أداة للتحرر من العقلانية الأداتية ووسيلة كذلك للممانعة والمقاومة وتشكيل الوعي والحماية من الاستلاب الفكري في ظل أنظمة اجتماعية واستبدادية تصر على صناعة ثقافة نمطية موحدة تتوخى الحفاظ على الوضع القائم.
- الفن الحقيقي هو الذي يتخذ موقفا نقديا ويدعو إلى تغيير الواقع من خلال خلق عوالم جمالية مغايرة ومخالفة لهذا الواقع، تنتشل الإنسان من عالمه المادي المترع بالحمولات السلعية وتجعله قادرا على الحلم والتخيل.
- الجنوح للخيال في الفن لا يعني، في منظور مدرسة فرانكفورت، الانعزال والانطواء على الذات والهروب من مواجهة الواقع وإشكالياته وتناقضاته، وإنما ينطوي الفن على رغبة جامحة في المقاومة ونقد الواقع الاجتماعي من أجل خلق واقع جديد يحقق فيه الناس حريتهم وسعادتهم، وبذلك تصبح الجمالية المنفذ الوحيد – وإن بشكل غير مباشر - للخروج من الأوضاع اللاإنسانية التي تفرزها الحروب، والأنظمة الاستبدادية، والنظم الاجتماعية الظالمة.

خاتمة

لقد أسهمت أطروحات مدرسة فرانكفورت ونظرياتها لاسيما الجمالية منها في رفد الاتجاهات النقدية لما بعد الحداثة، ومنها النقد الثقافي، بالكثير من الأفكار والمفاهيم التي اعتمدت عليها في صياغة مقاربات نقدية للخطابات الفنية والأدبية والثقافية. وقد ارتبط اهتمام هذه المدرسة بالفن والأعمال الجمالية برؤى مفكريها الفلسفية والفكرية الشاملة، ونقدهم الجذري للأوضاع القائمة ولأشكال الهيمنة السائدة في المجتمعات الغربية المعاصرة، والتي تتم من خلال العقلانية الأداتية، التي انتقلت من السيطرة على الطبيعة إلى السيطرة على الإنسان، ولهذا تمثل الجمالية "البعد الوحيد" بتعبير هربرت ماركيوز، الذي قد يسعف الإنسان في التحرر من السيطرة ونقد الواقع وتغييره عبر خلق واقع آخر مغاير لما هو قائم، مفعم بقيم العدالة والحرية والسعادة.

المراجع

☜ المراجع باللغة العربية

- أسون بول، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، ط.2، مصر، سنة 2005
- أيزابرجر أرثر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية، ترجمة وفاء سلطان ورمضان بسطويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط. 2002
- بسطويسي رمضان، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، أدورنو نموذجا، القاهرة، ، مطبوعات نصوص 90، سنة 1993
- بوتومور توم، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة حافظ ذياب، دار أويا للطباعة والنشر، ط.2، طرابلس ليبيا، سنة 2004
- عبد الله عبد الرحمان، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط.1، 2012
- فيل سليتير، مدرسة فرانكفورت: نشأتها ومغزاها، ترجمة خليل كلفت، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 2000
- كارتر ديفيد، النظرية الأدبية، ترجمة: باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط.1، سنة 2010
- ليتش فنسنت، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، سنة 2000
- مكاوي عبد الغفار:

✓ النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الناشر: مؤسسة هنداوي سي آي سي، وند سور المملكة المتحدة، سنة 2017

✓ تجارب فلسفية، دار شرقيات للنشر، ط 1، القاهرة، سنة 2006

- وولين ريتشارد، مقولات النقد الثقافي - مدرسة فرانكفورت الوجودية ما بعد البنيوية، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ط.1، القاهرة- مصر، سنة 2016

☜ المراجع باللغة الفرنسية:

- Adorno Theodor, la théorie esthétique. Rad Marc Jiménez, paris, les éditions klincksiek, 1974
- Marcuse Herbert, Eros et civilisations - contribution a froud.Trad.G. Neny et Fränkel, paris, les éditions de minuit, 1963

- Menke Christophe, la souveraineté de l'art : L'expérience esthétique après Adorno et Derrida. Trad Pierre Rusch, paris, Edition Armand Colin, 1993

بنية العجائبي في رواية الحوات والقصر للطاهر وطار

The fantastic structure in the novel "Al-Hawat W Al-Qasr" (The Fisherman And The Palace) by Al-Taher Wattar

حني سيف الدين جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
البريد الالكتروني: seifhanni91@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد العلاقة المتواجدة بين الرواية والواقع، لأن غالبا ما اعتبرت الرواية أحد الأجناس الأدبية الأكثر تصويرا للواقع، من هنا سعت الرواية الجزائرية عبر تقنية العجائبي، بعث الواقع الجزائري بأحداثه ووقائعه بغية تقديم صورة لعالم أفضل وذلك عن طريق كشف زيف جمالية واقعه ومألوفيته المستعارة، معرية الوجه الحقيقي. لذا وقع اختيارنا بأخذ عينة من الروايات الجزائرية المتمثلة في الكتابة الروائية الوطارية (نسبة إلى الروائي الطاهر وطار)، وبالتحديد عمله الموسوم بـ «الحوات والقصر»، إذ لا يكاد هذا العمل يتحرر هو الآخر من الواقع، بانغماسه في التأمل الواقعي عبر تقنية العجائبي.

الكلمات المفتاحية: العجائبي، الفانتا ستيك، الشكل السردي، اللامعقول، الواقع.

Abstract:

This research aims to define the relationship that exists between the novel and reality, because the novel is often considered one of the most portraying literary genres for reality, from here, the Algerian novel, through its fantastic technique, sought to resurrect the Algerian reality with its events and facts in order to present a picture of a better world by uncovering the falsehood of its aesthetic reality, its pseudo-falsity and revealing the real face of it. Therefore, our choice was made by taking a sample from the Algerian novels represented in the Al-Wattarian novel writing (attributed to the novelist Tahar Wattar), and specifically his work titled "Al-Hawat W Al-Qasr" (The Fisherman And The Palace) , as this work is hardly emancipated from reality by his indulging in realistic contemplation through the fantastic technique.

Keywords: Fantastic Novel, Narrative Form, The Fantasy , The Reality.

مقدمة:

استطاعت الرواية خلال الفترة الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الحالي أن تحقق ثراء فنيا متميزا وهذا بانفتاحها على التجديد واستشراف تجربة إبداعية سردية متكاملة متخطية بذلك التقليد والهروب إلى مولود جديد مهووس بسمات التجاوز إلى أشكال فنية وتعبيرية كسرت القيود وجاوزت الحدود لتعطي للراهن المعيش صورة أخرى بها، حيث تنتقده وتبنيه من جديد بعيد عن الالتزام السياسي والاجتماعي وهذا عن طريق أساليب وتقنيات مستحدثة تتمرد بها اللغة عن قوالبها الجاهزة إلى تشكيلات تعبيرية غير مألوفة، حين تشتغل على أنماط التجريب وتحديث السرد لتنسج لنا نصوصا جديدة قائمة على الإشارة والغرابة، مفتوحة على السيولة الدلالية التي يضمنها التلميح أكثر من التصريح، ويكون فيها الخيال أكثر من الحقيقة واللامعقول أكثر من المعقول.

إنّ العجائبي بالرغم من الاختلاف في اعتباره جنسًا أو أسلوبا أو تقنية يُعد من أهم البدائل التي لجأت إليه الرواية، فاقترانه بالتخيل والغرابة والإثارة شد إليه الأقلام الروائية التي آثرت الممارسة الحديثة في الكتابة السردية، محاولة بذلك تكسير الواقع وتمرير الرسائل والانتقادات على المستوى الاجتماعي والسياسي من خلال استعمال الرمز والإيحاء ليس هروبا من العالم الواقعي أو تصويره بأفضل صورة فحسب بل كشف لمألوفيته وغموضه وحتى زيفه من خلال الغوص في فضاءات المتخيل، وانطلاقا مما يشكله العجيب باعتباره مكونا من مكونات هذا الواقع المعيش وكذا مدى قدرة الرواية على التقاط المتباعد والمتنافر والمركب، بعيدا عن الإيقاع المألوف وفي نسيج روائي ذو طبيعة خاصة يستطيع أن يؤلف بين العناصر المختلفة وخاصة الحوارية التي تجمع بين الاضداد.

وقد لاذت الرواية العربية وبالمثل الرواية الجزائرية بأجواء الحكي رغبة في معانقة التجريب والتنويع، و تأطير الأحداث الروائية بصيغ اللامعقول واللامألوف والتعجب، وكأنّ العلاقة بين اللامعقول في التجربة السردية صارت ذات صلة وطيدة أو حميمية إن صح التعبير.

ويرد العجائبي كعنصر دلالي في السياق العام للنص الروائي أو كبنية دينامية في الرواية، وهو الأساس باعتبار هذه البنية في العمق ذات أسس واقعية تشتغل على زعزعة المكونات وخرق الجانب المألوف والطبيعي في حدود معينة ومستويات محسوبة من روائي إلى آخر مع التركيز على عناصر العجائبي كالمسخ والتحول الخالق للحيرة والارتباط بالفكاهة السوداء والسخرية مع مزج بعض ملامح التراث، وذلك بغية إبداع أسلوب جديد في الكتابة وتوليد رؤية مغايرة تجاه الأشياء تتضمن خطابا معينا **(حليفي شعيب، 2004، ص150)** ولعل الرواية الجزائرية مثلت هي الأخرى العجائبية في مستوياتها المتعددة لاستغوار حياة الإنسان الجزائري التي ظلت بواقعيتها شكلا من أشكال التعجيب، لاسيما أنّها تَنُمُّ عن مصارعته للحياة وسط مفارقات لا يسحبها غير منطق العجائب والغرائب، وقد تجلى ذلك أكثر في

الروايات التي عالجت باقتدار كبير أزمة الإنسان الجزائري في العشرية السوداء ومن النصوص السردية التي اشتغلت على تقنية العجائبي وخطابه الفني، للأمين الزاوي النراديوالجازية والدراويش (1983) لعبد الحميد بن هدوقة ورمل الماية والقبيلة السابعة بعد الألف (1993) لواسيني الأعرج والتحليق في الخيال عبر اللامحدود واللامعقول مستعينة هي الأخرى على تقنية العجائبي وحدوده الفنية مركزة على فترة من الفترات التاريخية الحديثة التي مرّ بها المجتمع الجزائري وبالتحديد مرحلة ما بعد الثورة، من هذا المنطلق شغلتنا أسئلة محورية للخوض في ما كتبه الطاهر وطار في هذا العمل، لتكون هذه الأسئلة ربما هي لب المقالة التي تحركها إن لم تكن إجابة عنها:

- ماذا نقصد بالعجائبي وما هي حدوده؟
- كيف وظف الطاهر وطار العجائبي في رواية الحوات والقصر؟
- ما غاية العجائبي من هذا التوظيف؟
- لماذا العودة إلى واقع ما بعد الثورة؟

1- حدود مصطلح العجائبي:

إنّ االقارئ أو المتلقي لمصطلحات الأدب العجائبي يجد نفسه أمام فوضى واضطراب في استعمال هذا المصطلح، لأنّ من أهم مميزات المصطلح هو اتصافه بالدقة والوضوح والبساطة، وهذا الاضطراب في الاستعمال يجعل الصورة غير واضحة والفهم مضطرب لديه وغير دقيق.

وقد شدّد تزفيتان تدوروف على الطابع الخلافي للعجائبي وذلك حينما جعله ينهض في الحدّ بين النوعين: العجيب (Le Merveilleux) والغريب (L'étrange)، وهد بذلك الحدّ الفاصل بين فضاءين متجاورين دون أن يتماس أحدهما بالآخر، وقد أبان أنّ« الغريب ليس جنسا واضح الحدود بخلاف العجائبي وبتعبير أدق إنه ليس محدودا إلاّ من جانب واحد، وهو الجانب العجائبي أمّا الجانب الآخر فهو يذوب في الحقل العام للأدب» **(تدوروف تزفيتان، 1994، ص 70)** فهو لا يحقق من شروط العجائبي الثلاث على حد قول تودوروف إلاّ شرطا واحدا، المتمثل في وصف ردود الأفعال.

أمّا زكريا بن محمد بن محمود القزويني فقد فصل بين مصطلحي العجيب والغريب فيعرف العجيب بالحيرة التي تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه **(زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دت، ص 223)** يتبين من خلال هذا التعريف أن الحيرة التي هي حيرة مؤقتة تزول بمعرفته وعلمه بأسبابها لذا يرتبط فعل الحيرة في هذه الحالة بالجهل، الجهل بمعطيات الحادثة.

في حين يعرف القزويني الغريب « بأنّه كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة» كما أبان تودروف أن الغريب هو الذي فيه « نتلقى الأحداث التي تبدو طول القصة فوق

الطبيعة، تفسيرا عقلانيا في النهاية»(**تدوروف تزفيتان، 1994، ص 198**) فمن خلال هذين التعريفين تبدو الأحداث في بداية الأمر خارقة أو غير قابلة للتفسير لكن سرعان ما تتحول إلى أحداث عادية مفسرة ومفهومة، وهذا إمّا لأنّها لم تقع فعلا وإمّا أنّ وقوعها تم نتيجة صدفة أو خدعة أو سر مكتوم أو ظاهرة قابلة للتفسير العلمي. (**الخامسة علاوي، 2013، ص 53**) .

من خلال التعريفات السابقة يتجلى بوضوح الفروق وكذا الاختلافات الموجودة بين العجيب والغريب، وعليه فمن غير اللائق أن نستعمل المصطلحين على أنّهما مترادفين إلى درجة أنّ استعمال أحدهما يقتضي استحضار الآخر بشكل شبه آلي، كما يتبين أنّ الفروق تكمن كذلك في طبيعة الاختلاف بينهما التي ترجع إلى العقل، والاستجابة والمؤثر والمستهلك.

2- تمظهرات العجائبي في رواية الحوات والقصر:

حتى تتشكل الرواية لابد من حضور مكوناتها الأساسية الحدث والشخوص وكذا الفضاء الزماني والمكاني في نسق تصنعه اللغة فيكتمل بها متنها، ولم يكن الاختلاف بين الرواية الواقعية ونظيرتها العجائبية في هذه الأساسيات، إنّما الاختلاف في الشكل السردي، فقد اختارت الرواية العجائبية سردية التعجيب فاستحضرت لذلك الحدث الأسطوري والخرافي، والمحكي الشعبي، لتصنع منه حدثا عجائبيا مفتوحا على التحدد والتأويل يجمع بين المتناقضات، بين المعقول واللامعقول ويزاوج بين التفسير الطبيعي وفوق الطبيعي، ليثير في مخيلة القارئ بعضا من حالات الهلع والدهشة والحيرة والتردد، فيظهر السرد العجيب بشكل مغاير تماما للسرد الواقعي بفعل الدور الذي تلعبه المكونات الأساسية للرواية، لذا سنحاول أن نعرج على هذه المكونات بشيء من التفصيل والتطبيق ونرجيء الحدث أثناء الممارسة الجزئية على رواية الحوات والقصر للطاهر وطار.

2-1 الزمان: إنّ المتتبع لأحداث الرواية يخيل إليه من الوهلة الأولى أنّ حركة الزمن حركة خطية (كرونولوجية)، حينما تبدأ أحداث الرواية بانتشار خبر محاولة الاغتيال التي تعرض لها السلطان، وقرار علي الحوات بتقديم نذر له احتفاء بنجاته، لكن سرعان ما تتطور أحداث الرواية ويتغير الاتجاه الخطي للرواية بحكم أنّ « الزمن يشكل جزءا من اللعبة السردية» (**جيرار جنيت 2003، ص 45**) في الكشف عن مظاهر التجريب في الرواية الجديدة، فإنّ الرواية قيد الدراسة لم تخضع بصفة مطلقة لبنية الزمن الكوني بتتابع الماضي، ثم الحاضر ثم المستقبل (**فهيمة زياد شيبان، 2010، ص 06**) وإنّما هناك خرق لهذا التتابع، ويظهر هذا جليا منذ البداية، ففي الفصل الأول و بالضبط حينما تبدأ الأحداث من نقطة التقاء الحواتين على حافة الوادي لاصطياد السمك تتبادل أطراف الحديث عن وقائع الليلة الليلاء« كانت ليلة ليلاء، على جلالته، تعرض فيها لأقصى الأهوال التي يمكن أن يتعرض لها سلطان» ليتدخل بعد ذلك حوات آخر في هذا الفصل ليسرد ما وقع في تلك الليلة « في اليوم الثامن من رحلة جلالته

تصدى له مجهولون، قيل إنّهم كمنوا وقيل إنّهم هاجموه في المخيم مع طلوع الشمس»**(الطاهر وطار، 2013، ص 09)** فبهذا المقطع يبين لنا أنّ هذا الحوات يسرد لنا أحداثا قد وقعت في زمن سابق على النقطة التي بدأت عندها الرواية، وهكذا فإنّ حركة الزمن داخل الفصل تنتقل من الحاضر إلى المستقبل لتعود إلى الماضي، وحتى ندعم موقفنا أكثر نذهب إلى الفصلين التاسع والعاشر حين استخدم الروائي تقنية الاسترجاع Rétrospection أو السرد الاستذكاري La récit Analeptique، لكن الاسترجاع هنا يأخذ شكل الذكرى ويتكرر استرجاع أحداث ماضية **(عبد القادر بوزيدة، 2013، ص 20)**. ، لكن يتم في حالة أخذ وردّ، فيقع نوع من التناوب في حركة الرواية بين الماضي والحاضر. وهذا حينما يتذكر بطل الرواية "علي الحوات" وهو أمام قصبته « رمى الصنارة، بعد أن سوى القصبة بصعوبة، وراح يمسكها، وهو يشعر بأنّ ثقلها يتضاعف، كلما طال مسكها»**(الطاهر وطار، 2013، ص 143)**، ليعيد بعد ذلك تذكر ما حدث له في القصر « انزعوا العصابة عن عينيه، وخلوا بيني وبينه»، ليظهر الزمن في هذه الحالة كبنية دينامية تخضع للتمدد والتقلص، ليخلق الطاهر وطار بهذا الاستعمال نوعا من التلاعب الزمني، فيزيح بذلك النحب عن سلسلة الطبيعي المنطقي المتعارف عليه، لذا استغل الروائي هذه التقنية للتلاعب بالصناعة الشعرية للمتن ولمراوغة القارئ وكسر أفق انتظاره، مما سينتج نوعا من الحيرة والدهشة لدى القارئ، لأنّ الروائي الطاهر وطار في الحقيقة لا يكتفي بتغيير اتجاه الزمن من الحاضر إلى الماضي فقط، وإنّما قام كذلك بتعديل اتجاه السرد، من السرد الخطي إلى سرد متكسر أو متقاطع يخالف توقعات القارئ، فتوقف الروائي عن السرد وتغيير الاتجاه، سيجعل القارئ يحس بتوق شديد لمعرفة الجديد الذي تؤول إليه هذه الحركة.

2-2 المكان: يقوم المكان في الرواية العجائبية على تعمية الملامح الجغرافية والحدود والجهات، ويغلب عليه التجريد والغموض والانفتاح، الذي يتمظهر في الرواية العربية عامة وفي الرواية الجزائرية خاصة، ومن هنا اتخذت رواية الحوات والقصر هي الأخرى كغيرها من النصوص الجزائرية فضاءات العوالم الأسطورية التجريدية، بعيدة عن حيزها المادي **(فهيمة زياد يشيبان، 2010،ص 07)**. من خلال إضفاء السارد لأسماء عجائبية وقعت فيها أحداث الرواية كقرية بني هرّار وقرية التصوف، على غرار السلطنة وغابة الوعول، لذا نجد الطاهر وطار يولي أهمية كبيرة لفضاء وادي الأبكار، بحكم أنّ هذا المكان بالذات، هو المكان الذي خلق فيه "علي الحوات" صيادا، أضف إلى ذلك تحوله إلى مكان أسطوري يحمل قوى خفية تتدخل لنصرة بطل الرواية من أجل مهامه العجائبية وأهدافه السامية إن صح القول، فلم يكن بطل الرواية « يفارق الوادي يحمل قصبته وعدته على كتفه ويتسرب مع الشّعاب قبل طلوع الشمس ولا يعود إلاّ بعد غروبها، وأحيانا كثيرة يبيت هناك يصطاد»**(الطاهر وطار، 2013، ص 12)**، فهذه الصلة الرابطة بين البطل ووادية الذي يصطاد منه عززت قدرته على الحصول على سمكة عجيبة التي أراد أن

يقدمها كهدية للسلطان، فهذا الوادي غير عادي، ففيه تستحم الجنيات « يقال إنّها سمكة مسحورة، حملتها جنيات من نهر الأبكار، ورمتها في وادينا»»**(الطاهر وطار، 2013، ص 20)**، فاصطياده لهذه السمكة من هذا المكان ساعد بطل الرواية في تحقيق الهدف المراد ألا وهو إهداء أجمل سمكة للسلطان بسبب نجاته، ليتحول وادي الأبكار في نظر الناقد الجزائري إدريس بودية إلى مجال أسطوري متفتح على القوى الخفية اللامرئية، التي تتدخل دومًالصالح "علي الحوات" حتى تسهل مهمته **(إدريس بودية، 2007 ، ص 255)**، وقد ساعد هذا المكان من تحقيق رغبة "علي الحوات" في الحصول على السمكة المدهشة، التي سيهديها لجلالة السلطان، والمتأمل لسياقات النص سيجد أنّ وادي الأبكار يرمز لأبجدية التواصل مع الطبيعة، ويقدم شكلا لصياغة زمن الحياة، فتصبح الأسطورة تاريخًا سؤالا محتدما مع الوادي الناهض بمفرده، فخضروه قرب القرية الأولى، وهو الوادي الذي يحقق للبطل رغبته وحلمه **(إدريس بودية، 2007 ، ص 255)** ، فيصطاد سمكة سلطانية « أرسلها الغيب هبة له عن طيبة قلبه، وعن طبعه الخير» **(الطاهر وطار، 2013، ص 25)**.

لم تخرج قرية الأعداء أو الأباة هي الأخرى عن هذا الإطار، وهي آخر القرى والأقرب جغرافيا من القصر والأكثر عداء له، فبالإضافة إلى صلابة موقعها فإنّها تتميز عن غيرها من القرى بطابعها المعماري المفعمة بالعجائبية «بناؤها عجيب، ديارها في أسفل قرار سحيف، مبنية بصخور سوداء ومغطاة بقرميد من الحديد المطعم، وفي الأعلى وعلى القمم السبع المحيطة بالقرار، أقيمت مظلة من الجراتين والاسمنت تمتد على كامل محيطها نوافذ صغيرة يربض فيها رجال مسكون بالنشاشيب وفي الوسط تبدو نوافذ كبيرة، لاشك أنها أقيمت من أجل عبور أشعة الشمس إلى الأسفل» **(الطاهر وطار، 2013، ص 78)**. يتجلى بوضوح الأشواط التي قطعتها هذه القرية في ميادين العلم والمعرفة والاعتماد على الذات **(الطاهر وطار، 2013، ص 85)**، رغم موقفهم المقاوم والمعارض للقصر، لتخلق رواية الحوات والقصر مجتمعا مثاليا وسلطة مثالية، وبالتالي الرغبة في تحقيق مدينة فاضلة أو يوتوبيا UTOPIE على حد تعبير جمال كديك، فهم بصدد اختراع إحدى الانجازات العلمية المستخدمة، التي ستمنحهم حتما القدرة على التحكم في والاستغناء في الوقت نفسه عن جميع السلاطين والقصور، بالتعاون مع خيار القرية من المخترعين والحكماء والأنبياء:

« وما هو هذا الإنجاز؟

تحريك الحاسة السابعة عشر

وما هي هذه الحاسة

باختصار هي حاسة التزود الذاتي تغني الإنسان عن كلّ شيء، إذا ما برد يدفئ نفسه بمجرد قرار يتخذه، إذا ما جاع يفعل كذلك، إذا ما عطش يرتوي بقرار، إذا ما مرض عالج نفسه بنفسه، إذا ما

رغب في السفر لا يضطر لركوب دابة أو إلى السير على القدمين، إنما يحمل نفسه في الفضاء وينطلق إلى هدفه».

من خلال المقاطع السردية السالفة الذكر، يمكن القول بأن دلالات الرواية تعددت بتعدد فضاءاتها، فهي متعلقة بمستويات وعي كل قرية، لتفتح بذلك مجالا لمخيلة القارئ في استيعاب وفهم مقصدية الروائي هذا من جانب، ومن جانب آخر لقد استطاعت الرواية تحكي المتخيل بامتداداته الأسطورية المتفتحة على أجناس سردية أخرى حيث تتظافر لخلق الشكل الروائي الذي يدمج عناصر الحكاية الشعبية والأسطورية **(إدريس بودبية، 2007 ، ص 258)**، أضف إلى ذلك بعض الامتدادات التي تحملها رواية الخيال العلمي مثل مشروع تحريك الحاسة السابعة عشر في الإنسان.

3-2 الشخصيات: لا يمكن أن نتصور نصا سرديا بمكوناته الكرونولوبية والأحداث دون حضور مكون الشخصية الشاغل لهذه الفضاءات والمحرك للأحداث، هذه الأهمية جعلت الروائي الطاهر وطار في النص قيد الدراسة يستعين بعدة شخوص، ليحملها مسؤولية بعض الأدوار الاجتماعية، من هنا اختار الروائي شخصية علي الحوات كشخصية طاغية في نصه، فهو الذي يمتلك عدة فضائل وصفات أخلاقية « علي الحوات الشاب الطيب الذي شذّ عن أخوته الثلاثة، وعن كثير من أقاربه، فابتعد عن طريق الضلالة لم يسرق يوما، لم يكذب مرة، لم يتعد على أحد، لم يسلب في عرض أو يتعرض بسوء لغيره» **(الطاهر وطار، 2013، ص 85)**.

لتغدو هذه الشخصيات بمثابة الوتد السردي يقوم على بناء الرواية، فإذا نظرنا إلى تلك المواصفات التي وقف عليها الروائي عند هذه الشخصية وحدها دون غيرها من الشخصيات، سنجد أنّ الروائي الطاهر وطار قد ألح على سمات الكرم والصدق، مما يدل على أنّ هذه الشخصية هي الوحيدة المؤهلة للقيام بمهمة جمع شتات القرى السبع وكذا كشف حقيقة القصر، فلقد كان البطل علي الحوات يتحرك في مسار خطي بين وادي الأبكار والقصر، وهذا المسار نجده يتكرر في كل مرة من أجل تحقيق هدف واحد، وهو إيصال السمكة إلى القصر وبالتحديد إلى السلطان، غير أنّ هذه الشخصية أثناء مسارها لقيت عدة عواقب بسبب سعيها وجرأتها لبلوغ الهدف المنشود واكتشاف الحقيقة، فهو بذلك يشبه إلى حدّ كبير شخصيات أسطورية (سيزيف وبروميثيوس وكذا أوديب)، التي لطالما عرفت بعنادها وجرأتها، فهل علي الحوات هو سيزيف أو بروميثيوس أو أوديب الذين يريدون خيرا فيكافئون شرا ؟

فلكي يصل علي الحوات إلى القصر عليه المرور بالقرى السبع، وكان له ذلك، لكن وصوله إلى الحواجز السبع أوصله إلى عقوبة قص اليد اليمنى، حينما وجد نفسه مرميا في الساحة العامة وذلك بالقرية الخامسة، ليعيد الكرة ثانية، وينطلق من جديد إلى القصر فيعاقب بقطع يده اليسرى، ويعيد الكرة فيقطع لسانه، ليتغلب على آلامه ويحاول للمرة الرابعة والأخيرة ليعاقب بسمل عينيه، لتذكرنا

محاولات هذه الشخصية بالبطل الأسطوري سيزيف Sisyphe، الذي سعى جاهدا هو الآخر في حمل صخرة كبيرة إلى قمة الجبل، فتسقط الصخرة وتتدحرج حين يقترب البطل إلى القمة في كل مرة، ويمكن أن نشبهه كذلك بشخصية المارد بروميثيوس Promethoes، هذا البطل اليوناني الأسطوري، الذي قيل أنّه أنقذ الجنس البشري من الفناء عندما أراد زوس إبادته بالطوفان، لذا يمكن القول أنّ كل من سيزيف وبروميثيوس يرمزان إلى سمات الخير والتضحية من أجل إنقاذ الآخرين، وحكما عليهما بالعذاب من طرف الآلهة بسبب مساعدتهما للجنس البشري ويدفعا الثمن الباهض من أجل مبادئهما(**إدريس بودية، 2007 ، ص 249**) وهذا يشبه إلى حدّ ما شخصية " علي الحوات" التي رفضت الانخراط في مشروع الحياد والسلبية، ليقرر خوض مغامرته بمفرده، ويخالف بذلك موقف الآخرين حين تم أمره بالابتعاد عن القصر « إنّ أحسن خدمة تقدم للقصر هي الابتعاد عنه[...]هكذا راج بين الرعية» (**الطاهر وطار، 2013، ص 11**). لكن إصراره على مواصلة الطريق والوصول إلى القصر ومواجهة السلطة عرضه إلى مجموعة من العقوبات، مما أفقده كذلك بعضا من أعضائه الحيوية (اليد اليمنى و اليسرى، قطع اللسان، العينين)، لتصبح هذه الشخصية رمزا للتضحية، رمزا للخير، هدفها الأسمى هو التغيير ومواجهة الاستبداد، فشخصية علي الحوات بهذا الطرح تشترك مع الشخصيات اليونانية المذكورة آنفًا في الأبعاد المأساوية، مما صادفته ولقيته هذه الشخصيات من قساوة المصير، الذي رسمه لهما القضاء والقدر، واستفادة الروائي الطاهر وطار من هذه الصفات المستلهمة من الأساطير والقصص القديمة لبعض الشخوص أمكنه من إعطاء نظرة جديدة لما يحدث في جزائر السبعينيات (تناقضات الفترة)، فقد تمّ تشكيل وتوظيف هذه الشخصية لأداء مهمة ما أو رسالة مشفرة، أو إعطاء نظرة جديدة للعالم، وما رغبة وقدرة ومعرفة علي الحوات إلاّ دليل واضح مع تلك الخصائص التي منحها الروائي لهذه الشخصية، وقد لخص "فيليب هامون" أدوار الشخصية في ثلاثة أدوار: (**شعيب حليفي، دت، ص 177 – 179**)

- الرغبة: وهي علاقة الذات بالمرغوب فيه كتنفيس عن المكونات، ما يدفع الطموح لتغذية الأحداث فوق الطبيعية، ومن ثمة تشكيل المشهد العجائبي بتنفيذ خلفيات هذه الرغبة في وعيه ولا وعيه لخلق حالة نفسية لا يشعر بالراحة إلاّ حينما يحققها.
- القدرة: وتعني قدرة الشخصيات على التأثير في الأحداث بخلق الدهشة والهلع والتردد بفعل تحولها وامتساخها، وخرقها لعالم الواقع، إمّا بقدرتها الداخلية النابعة من قوتها الذاتية، أو قدرتها الخارجية المتعلقة بجانبها المورفولوجي.
- المعرفة: وهي عند الشخصيات في المحكي العجائبي معرفة غريبة ونسبية وغير مكتملة تتقصد إثارة القارئ وتشويقه، فالأحداث فوق الطبيعية يصعب تفسيرها ما دامت فوق القدرة وفوق الرغبة، ومن ثم

فهي تولد الحيرة والتردد لدى المتلقي، فالتوتر سمة رئيسية في علاقات الشخصيات العجائبية فيما بينها، ولعل هذا ما جسدته شخصية علي الحوات برغبتها في تنفيذ مهمة إهداء السمكة لجلالة السلطان، والتي لم تعرف فيها هذه الشخصية بالراحة إلاّ حينما تحقق تلك الرغبة، في حين سمحت قدرة علي الحوات بعدما أفقدته السلطات أعضاءه الحيوية بخلق نوع من الحيرة والدهشة لدى القارئ بسبب إصراره المتواصل لبلوغ الهدف، في حين سمحت هذه الشخصية للقارئ بإعادة النظر في علاقة الفرد بسلطته.

ومن منظور أنّ الشخصيات ليست بالضرورة كائنا بشريا، فقد تكون نباتا أو حيوانا أو روحا لا مرئية، فقد عرفت المجتمعات القديمة أو الحديثة مدى أهمية الحيوان في حياة الإنسان من حيث الفائدة والمنفعة، فعادة ما يكون الفرس رمزا للشجاعة والمروءة والحمام رمزا للسلام وكذا سمك الدلفين باعتباره أكثر الحيوانات اقترابا من الإنسان، من هنا أراد الروائي الطاهر وطار أن يدخل السمكة كعنصر سحري مساعد للبطل، فهذه السمكة لا تمتلك الطابع الحيواني البحري فقط، وإنّما تتصف كذلك بصفات سحرية وخيالية:

- تتنفس !
- تنظر !
- فيها الأحمر !
- والأصفر !
- والأخضر !
- والذهبي ! **(الطاهر وطار، 2013، ص 25)**.

يرتبط الجانب العجائبي للسمكة بفعل الأنسنة، فهي ليست بالسمكة العادية، وإنّما لها صفات المساعدة والشجاعة والقدرة على الكلام والحوار« يقال إنّها عندما وصلت أمامه، تحدثت إليه. يقال إنّها أعطته بعض الأوامر، قبل أن تغوص في الماء باحثة عن الصنارة [...] يقال إنّها سمكة مسحورة، حملتها جنيات من نهر الأبكار ورمتها في وادينا، بعد أن أعطتها التوصيات اللازمة لمساعدة علي الحوات**(الطاهر وطار، 2013، ص 19-20)**. لتغدو فكرة الأنسنة وبشكل سحري وعجائبي في ثنايا هذا النص الحكائي كشكل من الأشكال التي نجدها في تراثنا الديني والأدبي والشعبي والتاريخي، كما أن السمكة التي اصطادها علي الحوات تتحول هذه المرة إلى امرأة فاتنة أثناء تواجده بالقصر: «يقال في أوساط "قرية الحظة"، وخاصة لدى حاشية حكيمها، أن السمكة ما أن دخلت القصر، حتى تحولت إلى عذراء فاتنة» **(الطاهر وطار، 2013، ص 96)**، فالروائي بهذه الظاهرة ظاهرة الأنسنة، يحاول إدخال السمكة إلى عمله الفني، ويدعمها حتى تقوم هي الأخرى بدورها الإنساني ويجعلها في الوقت نفسه تتجاوز مع الإنسان ومشاعره وأفكاره كي تشاركه المعاناة والقهر والفرح في الحياة **(الخامسة علاوي، 2013، ص 259)**،

ليضفي الروائي على السمكة أحداثا لا تشبه الأحداث الواقعية، ويضفي عليها كذلك صفات إنسانية محددة ويشكلها تشكيلا إنسانيًا، ويجعلها كأي إنسان تتحرك وتتكلم وتحس، كما اعتمد الروائي على تيمة المسخ Ramétomorphose ، ذلك أنّ هذه التيمة تتماس في شكل مضخم مع تحولات الواقع الرهينة وكذا تحولات النفس الإنسانية وتقلباتها **(الخامسة علاوي، 2013، ص 263-264)**، وهذا ما جسدته الرواية عبر مقاطعها السردية، فالسمكة التي اصطادها بطل الرواية تصدر أصواتا كالأفعى لتخويف الأعداء وفي موقع آخر تتحول إلى براق،« يقال أنّ السمكة عندما أنزلها علي الحوات، راحت تصوّتُ كالأفعى، ويخرج من لسانها شواظًا لا زورديًا، لفعتهم الحرارة الخارقة فولوا هاربين [...] يقال إنّ علي الحوات مرّ على القرية يركب براقا السمكة المسحورة تحولت إلى براق ذي رجل واحد وثلاثة أجنحة، ركب علي الحوات براقه ودخل قرية "بني هرار" كالفاتح، انبهر الناس، فظلوا يحملقون المسافة حتى خرج علي الحوات» **(الطاهر وطار، 2013، ص 44)**.

يتبين من خلال هذا المثال أنّ الأفعى أو الحية هنا هي حيوانات من جنس واحد تلعب دور المساعد السحري لعلي الحوات، في حين أكسب الروائي للسمكة سمة البراق، وهي صورة واضحة في توظيف عناصر التراث، ففكرة تحول السمكة إلى براق هي فكرة عربية إسلامية محضة، وهي استلهام من تراثنا الديني العريق، لما لها علاقة مباشرة بالقصة التي حدثت للرسول صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج، لذا يمكن أن الأحداث التي وقعت بين علي الحوات والسمكة فيها الكثير من العجائبية والسحرية، فما تم ذكره من مواصفات للسمكة يتناسب مع وظيفتها،« فالسمكة على المستوى الشكلي الصوري Model، تقوم بوظيفة سردية هامة هي موضوع القيمة Objet de valeur» **(الخامسة علاوي، 2013، ص 175)**، وقد منح الروائي هذه الأداة تحت تصرف بطل الرواية يستعملها أين شاء، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال الأفعال التي أسندها الروائي لهذه الأداة السحرية، فهي ليست كباقي الأسماك العادية التي يصطدها الإنسان من أجل الأكل أو الغذاء، وإنّما هي سمكة سحرية عجيبة أحدثت نوعا من الدهشة والحيرة في مخيلة القارئ.

2-4 اللغة: إنّ اللغة العجائبية أو الفانتاستيكية نمط كلامي يتميز بسمة مفارقة المألوف لرصد أغراض نفسية أو اجتماعية بطريقة تلميحية، ترميزية، فهي رؤية مغايرة انتقادية للمعقول أو المعمول به أو المألوف، لذا نجد اللغة تلفت انتباه القارئ والباحث في بنيتها وعجائبيتها الحكائية، فهي بذلك تنقله إلى مرحلة قرائية فوقية يجد القارئ نفسه بين معنيين، معنى ظاهري فانتا ستيكي، ومعنى باطني انتقادي يتضمن معنى المفارقة بأتم المعنى.

ولقد كان للغة الأسطورية دور كبير في إعطاء الرواية عجائبيتها باعتبارها لغة مفعمة بحركات العلامات وتحولها من أوضاعها الأصلية إلى أوضاع جديدة، يتم على مستواها درجات من الاختزال، وعلى هذا

الأساس تنوع الأداء اللغوي على مستوى الخطاب في رواية "الحوات والقصر" المتعلقة بالتراث الأسطوري بين لغة السرد والحوار لتجسيد أنماط التداخل الحاصل بين لغة الكتابة الروائية ولغة الأسطورة.

إذ يتمظهر البعد الأسطوري للغة السرد التي في النّص قيد الدراسة، من خلال استعمال الروائي لطرق التوصيف والتشخيص، الدال هو الآخر على البعد الأسطوري في لغة السرد، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الوصف الخارق الذي أحاطه السارد بسمكة علي الحوات من أوصاف تتجاوز الواقعية في التشخيص إلى الغيبية المستوحاة من عوالم الأسطورة « يقال إنّه عندما بلغ مدخل القرية أنزل السمكة وأزال عنها الرداء، راحت السمكة تقفز صارخة، تضرب هذا وتلطم ذاك، انهزم الأعداء وولوا هاربين، ومرّ علي الحوات بسلام، يقال إنّ السمكة عندما أنزلها علي الحوات، راحت تصوِّتُ كالأفعى، وتخرج من لسانها شواظًا لازورديًا، لفعتهم الحرارة الخارقة فولوا هاربين،[...] السمكة تحولت إلى براق ذي رجل واحدة وثلاثة أجنحة» بالإضافة إلى هذا التوصيف، يتجلى في الرواية بعدا أسطوريا آخر، يتمثل في تركيز الروائي على العدد سبعة (07)، الذي عزز السارد نشاط البطل بملازمته له، ليحمل العدد أبعادا اعتقادية أسطورية إنْ صحّ التعبير، هذه الاعتقادات أوجدتها ذاكرة الأوساط الشعبية، حين ارتبطت رحلة بطل الرواية إلى القصر في البدء بالنجاح في تجاوز القرى السبع «انتشرت أخبار علي الحوات في كامل القرى السبع الواقعة في طريق القصر» **(الطاهر وطار، 2013، ص 44)**، زيادة على هذا كان البطل ملزما باجتياز المراكز السبع الخاصة بحراسة القصر من أجل الوصول إلى السلطان، من هنا نجد أنّ العدد سبعة (07) قد ارتبط ارتباطا وثيقا بحركة السرد ومعطياته المتعلقة برحلة البطل، ويتجلى هذا من خلال قول السارد: «تعاقب سبعة خطباء على المنصة فألقى كل منهم خطبته التي هي عبارة عن جمل قصيرة احتراما لعلي الحوات» **(الطاهر وطار، 2013، ص 60)**، في حين تتميز الرواية الحديثة بتقنيات تعمل على تشكيل نسق لغوي سردي أساسه البناء الحواري الذي يوزع الأصوات الروائية بحركية متحررة تنأى عن وجهة نظر المبدع أو رؤاه الخاصة، كما أنّ السارد يتبنى الصيغ الحوارية بين رؤى وأصوات الشخصيات الروائية ويوجهها بحسب ما تستدعيه حال الصراع الحواري الذي يؤول إلى هدف يرتضيه السارد، لذا نجد أنّ شخصية البطل في الرواية قيد الدراسة تقيم علاقة تناوبية مع السارد، راوي الأحداث في السرد، وهي الشخصية الطاغية والمهيمنة، فلهذا كان مجال الحركة السردية (حكي الأحداث) واسعا، خاصة ما تعلق بإثبات طابع العجائبية والأسطورية المحيطة بالبطل حين حاول هذا الأخير تجاوز القرى السبع والحواجز السبع من أجل الوصول إلى القصر في رحلة محفوفة بالمخاطر لا يستطيع تجاوزها، إلاّ من أتى الخوارق وتجاوز صفات البطل الإنساني إلى صفات البطل الأسطوري « يقال أنّه مرّ في وضح الشمس، دون أن يراه أحد تكور مثل غمامة، واقتحم الشوارع، ظن الناس أنّه زوبعة، ظنوا أنّه ثعبان مشعر يلتف في

الرمال، ويركب الريح السموم» **(الطاهر وطار، 2013، ص 42)**، كما تنوعت لغة البطل بين العامية والفصحى لتكون شاهدةً على بعدها الاجتماعي والإيديولوجي، لكنها في الوقت نفسه تضم إليها لغة أخرى ذات بعد أسطوري عجائبي، فهي بذلك تكمل الملامح التي رسمها لها السارد في محاولته التعريف بها أو استنباطها، فقد بدت بعض التعليقات النفسية والحوارية الصادرة عن كلام البطل متسمة بطابع الرمزية والغرائبية **(نجوى منصور، 2011 /2012، ص 206)** ، وهذا تبعا للموقف الغيبي الذي وضع فيه داخل الحكي، ومن أمثلة ذلك قول البطل وهو في حالة عتاب « جلالته فوق كلّ تقدير، فوق كلّ خطأ [...] أنّه منحوت في السماء السابعة بيد ربانية، وامتلأ في القصر بروح من الرب ! » **(الطاهر وطار، 2013، ص 77)**.

كما نلاحظ أنّ الروائي الطاهر وطار قد لجأ إلى اللغة الخبرية المفتوحة على الشّك والتأويل، وهذا من خلال الأخبار والشائعات التي كانت تنقلها شخصيات الرواية في بعض مقاطعها السردية، فالرواية من بدايتها إلى نهايتها قائمة على جملة من الأقاويل:« قيل أنّهم هاجموه... لكن أنا بلغني عكس هذا، يقال أنّ الفرسان الثلاثة...» **(الطاهر وطار، 2013، ص 09)**. يتجلى بوضوح من خلال هذه الأمثلة أنّ كلّ الأقاويل مبنية على حدث رئيسي موحد، فهي إذا متعلقة بشخص واحد وهو السلطان حين أحاطت به الشكوك والألغاز، فشاعت حوله الشائعات وتعددت، مكتسبة بذلك طابع الخوارق والمعجزات التي تنمو وتنتشر في البيئة الشعبية فتأخذ طابع خرافي يتداولها العامة بأسلوبهم وتفكيرهم الخاص، مما يعكس مرجعيتهم الفكرية والعقائدية من خلال مقولات (يقال أنّ... أو قيل أنّ...) القائمة على مبدأ تضخيم الأحداث، وتعامل الطاهر وطار مع اللغة بهذه الطريقة، يجعل من لغة الكتابة، لغة قلقة و متحولة ومتحيزة وزئبقية، يحاول الروائي من خلالها نقل الواقع إلى التخييلي، هذا الواقع الذي يريد فضحه، وفضح سلطته ومرحلته التاريخية.

خاتمة:

إنّ الحكم على نهاية البحث سابق لأوانه فموضوعه بالمكانة التي لا تقبل الوقوف عند هذا القدر اليسير، فاقتران العجائبي بالتخييل والغرابة والإثارة خلق طاقة ابتكارية كسرت قوالب الواقع الضيقة، ومن خلال عرضنا لهذه الورقة البحثية، يمكن القول أنّ ما طرحه الطاهر وطار في روايته "الحوات والقصر" طرح جديد، حاول الروائي من خلاله التخلص من النمطية التي كتبت عن الواقع لينفتح نصه بهذه الطريقة على الخطاب العجائبي، من هذا المنطلق شغل العجائبي في رواية الحوات والقصر حيزا كبيرا، فقد لون جميع مكونات الرواية دون استثناء، حين تصير الشخصيات مسوخًا، لتثير لدى القارئ نوعا من الغرابة والدهشة من خلال أفعالها وصفاتها وتصرفاتها، ولتتحول الفضاءات إلى أمكنة مخيفة تثير التردد والحيرة وحتى الفزع، فهي بذلك تخفي وراءها كل المفاجآت الممكنة، ويصير الزمن يطول

ويتقلص، يتوقف تارة وينحبس تارة أخرى، يترصد الشخصيات بكل ما يدعو للقلق والحيرة، كما طرح الروائي من خلال روايته قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية، باستعانته بالأسطورة واستعماله للترميزات والإيحاءات ومزجه بين الواقع والخيال، بين الحقيقة واللاحقيقة، وحاولا بذلك فضح المسكوت عنه وكذا كسر الطابوهات التي تعترض المجتمع الجزائري.

المصادر و المراجع:

- إدريس بودبية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، الطباعة الشعبية للجيش، ط1، الجزائر، 2007 .
- تزفتان تدوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام، ط1، الرباط (المغرب)، 1994 .
- جيرار جنيت: خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرون، منشورات الاختلاف، ط3، الجزائر، 2003.
- الخامسة علاوي: العجائبية في الرواية الجزائرية، دار التنوير، دط، الجزائر، 2013.
- زكريا بن محمد بن محمود القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ج2 ، دت .
- شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتا ستيكية،المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة (مصر).
- شعيب حليفي: هوية العلامات في الغبات وبناء التأويل، ط1 المجلس الأعلى للثقافة القاهرة (مصر)،2004 .
- الطاهر وطار: الحوات والقصر، موفم للنشر والتوزيع ، دط ،الجزائر، 2013.
- عبد القادر بوزيدة: الحوات والقصر: رحلة علي الحوات أم رحلة الوعي؟،مجلة اللغة والأدب، كلية اللغات والآداب،ع16 جامعة الجزائر (02)، 2013.
- فهيمة زياد شيبان: التجريب والنّص الروائي الحوات والقصر أنموذجًا ، مجلة المخبر، جامعة بسكرة،ع6 ، الجزائر، 2010.
- نجوى منصور: الموروث السردي في الرواية الجزائرية روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أنموذجا مقاربة تحليلية تأويلية، أطروحة دكتوراه العلوم، إشراف الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011 /2012.

أهمية اللغة في التبليغ الثقافي

The importance of language in cultural communication

أ. قشيوش رشيدة كلية الآداب واللغات
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

الملخص :

نشير في هذا البحث عن أهمية اللغة التي تعد من أهم آليات التواصل ووسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، فهي الحامل الأكبر للثقافة والمعرفة، وهي السلاح الذي تدافع الأمم به عن هويتها وكنهها، فاللغة من خلال دراستنا في هذا البحث المتواضع تعتبر من أهم المنافذ المستخدمة من أجل الولوج إلى عمق الثقافة والبنية الاجتماعية للناس أو بالأخرى هي واحدة من أهم العوامل الأساسية في تكوين بناء المجتمع وأيضا من أهم تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتعلمات.

الكلمات المفتاحية : اللغة – التواصل – الثقافة – المجتمع – التبليغ – المعرفة

Abstract :

We refer in this research about the importance of language which is one of the most important mechanisms of communication and means of understanding and interaction between members of society in all spheres of life, they are of the greatest need of culture and knowledge, it is the peace that trading nations about her identity as an approach, the language we study in this Mediterranean Sea the most important ports used for access to the depth of the culture and social structure for people or rather is one of the most essential factors in the composition of the building society and also of the most important techniques of communication and transfer of experiences, knowledge and information.

Key words: language, communication, culture, society, communication, knowledge

تمهيد :

إن اللغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة، فأنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم، وبهذا ترتبط اللغة بالتفكير ارتباطا وثيقا، فأفكار الإنسان تصاغ دوما في قالب لغوي حتى في حال تفكيره الباطني كما ترمز اللغة إلى الأشياء المنعكسة فيها، فاللغة هي القدرة على اكتساب واستخدام نظام معقد للتواصل وخاصة قدرة الإنسان على القيام بذلك، فلها معنى ومدلولات يفهمها ويعرفها السامع والمتحدث والقارئ والكاتب، ولها استقلالية ومميزات عن اللغات الأخرى، وتنقل محتوى الرسالة من خلال الاتصال، وتعتبر ظاهرة اجتماعية تتسم بعدم الثبات.

- **ماهية اللغة ؟**

اللغة نظام لساني، تكشف جوهر الإنسان وفكره، فهي مرآة ثقافته وهويته وتراثه والمعبرة عن أغراضه وتطلعاته.

والبحث في اللغة بحث في الإنسان نفسه، فهي خاصة من خصائص الإنسان والوسيلة الاجتماعية التي اقتضتها حياته، لبقاء المجتمع وتماسكه والجامع لعوامل تكوينه، والعامل الهام في وحدة الجماعات البشرية والمبرزة لتراثه الثقافي والحضاري والحافظة له.

يقول **م. م لويس** : "يجب أن نستعمل الاتصال اللغوي وسيلة لتوجيه الرغبة إلى الوصول إلى تكامل المجتمع، وكذلك لتوجيه الرغبة في استعمال الاتصال وسيلة لهذا التكامل، فهي وسيلة التعاون الاجتماعي.

واللغة ليست مكونا فسيولوجيا فحسب وإنما هي ظاهرة اجتماعية حية، وسلوك ينشط على مستوى الفرد أو الجماعة بالتفاعل الاجتماعي، وهي عنصر الاتصال والتواصل بين الفرد والآخر، وتنمي دوالها اللغوية من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر.

اللغة فعالية إنسانية تتباين بلا حدود معلومة عندما تنتقل من جماعة اجتماعية إلى أخرى لكونها إرثا تاريخيا بحثا لتلك الجماعة وهي ناتجة عن الاستخدام الاجتماعي المستمر لمدة طويلة، وهي تتباين كما تتباين جميع الجمود الخلافة – ربما ليست بالوعي نفسه – لكنها تتباين بدرجة الصدق نفسها كما في الأديان والمعتقدات والعادات والفنون لدى الشعوب المختلفة... فاللغة وظيفة "حضارية" مكتسبة غير غريزة.

- **في المجتمع واللغة (La sotieté et la langue) :**

ليس المجتمع سوى مجموعة أفراد يحكمهم نظام ذو قواعد كما أن اللغة ليست سوى جملة مفردات يحكمها نظام ذو قواعد، وإذا كان من العقل تأكيد العلاقة الجديلة بين اللغة والمجتمع فإن الحقيقة لا

تقبل ذكر المجتمع إلا باللغة، كما لا تقبل ذكر اللغة إلا بالمجتمع، انطلاقا من تصور الوظيفة الأساسية للغة هي الإبلاغ (ساسي، 1429ه/ 2009م، صفحة 16).

والوظيفة الأساسية للمجتمع الاتصال في العام والتعارف في الخاص قال الله تعالى: "**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**" (الحجرات، 13)، والتعرف هو في الحقيقة مصطلح واسع وجامع لمعاني الاتصال والإبلاغ. وعلى هذا الأساس فاللغات تأخذ سلوكها من المجتمعات وانطلاقا من هذا كانت حركية اللغة من حركية المجتمع وحركية الكلام من حركية الفرد، وكان تغير الكلام من تغير الفرد (ساسي، 1429ه/ 2009م، صفحة 16).

- إن اللغة هي أصوات التفاعل في هذا الكون وقد يكون من الأسرار الكبيرة والعجيبة التي لا يتوقف القلم سيولة في استخراجها وتحريرها.

- إن الله تعالى حين خلق أدم عليه السلام جعل من الأساسيات الأولى في **التفاعل** مع الحياة وسنتها أن علمه (ساسي، 1429ه/ 2009م، صفحة 04) الأسماء كلها، قال الله تعالى: "**وعلم أدم الأسماء كلها**" وقوة اللغة في مصطلحها ودقة معناه وسداد إبانته واعتدال ميزانه وانسجام أصواتها وخفة النطق به على قاعدة الاقتصاد التي تفيد دقيق التوازن بين المجهود والمردود فصل الخطاب (ساسي، 1429ه/ 2009م، صفحة 09).

- ولما كانت اللغة وضعا واستعمالا، وكان أساس وظيفتها الإبلاغ والإبانة، كان لزاما إلباسها صفة الوظيفية في الراهن لتؤدي دورها في صناعة فعل الاتصال مع النفاذ إلى عمق المجتمع من غير عجز مع الحضور الإيجابي الفاعل في كل مجال من مجالات الحياة.

- والبحث في اللغة هو بحث في المجتمع، فهي أسس التفاعل الاجتماعي، وبوابة الولوج في النشاط الإنساني بتجلياته المتنوعة، وبتفاصيله الدقيقة، فاللغة كما قال جاك دريدا: "تحمل العالم في جرفها وهي الهواء الذي نتنفسه".

- **اللغة والمجتمع :**

ولقد بين محمود السعران في كتابه (اللغة والمجتمع رأي ومنهج) إن النظرية "الكلاسيكية في اللغة تقوم على أساسي "منطقي" أو "رياضي" أو "نفسي" أو "ألي" تؤدي إلى اعتبار اللغة "مرآة" ينعكس عليها الفكر، أو أداة عاكسة للفكر أو "مستودعا" للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه، إلى أشباه هذا (السعران، بدون تاريخ، صفحة 79)، وما يؤخذ على هذا التفسير، أي أن وظيفة اللغة عند أصحاب هذه النظرية هي "التفاهم" أو "توصيل الفكر" أو "التعبير عن الفكر" ودلالة على هذه النظرية هي أنها لا تمكن حتى تحليل جميع أشكال "السلوك الكلامي".

فليس ثمة "توصيل" للفكر في أنواع كثيرة من "الوظائف الكلامية" كالمونولوج ولا توصيل للفكر في استعمال اللغة في "السلوك الجماعي" مثلا كالصلاة والدعاء، وفي استعمال اللغة المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية كلغة التحيات، وفي التلذذ بالأصوات واللعب بها. والأصح والأدق في هذا هو أن ننظر إلى اللغة على أنها وظيفة اجتماعية، وأيضا على أنها طريقة من العمل (السعران، بدون تاريخ، الصفحات 79- 80).

وما دامت اللغة جزءا من الحياة الاجتماعية، وما دام المجتمع العربي يشارك في الحياة الدولية بالأخذ والإعطاء فلا بد للغة العربية من أخذ سبيلين (تمام، اجتهادات لغوية، 1428ه/ 2007م، صفحة 21):

أ- فإما أن تحيا مع المجتمع وتتغير صورتها بالأخذ والعطاء.

ب- وإما أن تساعد عوامل المحافظة عليها على تجميد تطورها فينفرد المجتمع بالتطور دون اللغة فتتحجر اللغة وتتخلف ويعتمد المجتمع على لهجاته العامية يحاول إنماءها والحياة بها وتصبح الفصيحة لغة مكتوبة فقط بعيدة عن حياة المجتمع.

ومن هنا ندرك أن اللغة لا يمكن أن تنشأ إلا في مجتمع، ولا يمكن استخدامها إلا في مجتمع، فالكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية الموجودة في المجتمع الواحد والعصر الواحد علما أنه يمكن لشعبين لهما نفس التربية والنشأة في نفس المكان الجغرافي والوقت واحد أن يختلف كلاهما، والسبب في ذلك راجع إلى اختلاف مجموعة من العوامل الاجتماعية بينهما، وبشكل عام فأن اللغة تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية.

فقيمة اللغة في مضمونها الفكري والعقلي ليس هناك لغة دون فكر الفكر هو شرط للغة واللغة علامة دالة على وجود العقل والعقل يجعل فينا القدرة على التفكير والتفكير ضروري حتى نتمكن من الكلام. أن القول بأن الكلام فقط هو ما يمكن من التمييز بين الإنسان والحيوان.

- **اللغة والفكر :**

وإذا كانت اللغة خاصية إنسانية، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يفكر، فلابد وأن توجد علاقة بين الفكر واللغة.

إن علاقة الفكر باللغة علاقة يالكنيكية أو جدلية فمن جهة، الفكر يصنع اللغة ومن جهة أخرى اللغة تصنع الفكر، فنحن نفكر ثم نعبر عن أفكارنا بواسطة اللغة، إلا أن ذلك لا يعني أن اللغة هي مجرد وسيلة يمكن أن نستبدلها بوسيلة أخرى لأن الأفكار ترد إلى الذهن وهي تلبس ثوب اللغة.

ومن هنا نطرح السؤال قائلين :

هل بإمكان اللغة أن تعبر عن جميع أفكارنا ؟

إن الإنسان كثيرا ما تكون لديه أفكار ويبقى يبحث عن الألفاظ التي تناسبها، فتفكيره الطويل وتردده في الكتابة دليل على عدم وجود ألفاظ جاهزة تحمل هذه المعاني، وإن وجدت فهي لا تجسد المعنى كما ينبغي لذلك قيل "**إن الألفاظ قبور المعاني**". وانطلاقا على هذا الأساس، فالفكر فيض من المعاني لا تسعها الألفاظ.

في الاهتمام، فاللغة تصور ما يخطر في الفكر من (المعاني) وهي التي تجعل المعاني محفوظة باقية وكذلك يقول أحد الفلاسفة "الأفكار الشيء لا تودع في الألفاظ كالشرارات التي لا تبزغ إلا لتموت".

- **تأثير الفكر في اللغة :**

للفكر أثر في اللغة عظيم، ولو لا الفكر لفقدت اللغة خواصها، ولم يكن لوجودها أية فائدة، فأن الفكر هو الذي يربط الألفاظ بمعانيها فيعمد إليها وهي أصوات فارغة، فيردها كالأصداف تحمل من درر المعاني ما يبهر العقل، أو كالأغصان تحمل من الثمار ما تشتهيه النفس (محمد الخضير، 1421ه/ 2000م، صفحة 11).

والجدير بالذكر، فالفكر هو الذي يتوسل به الإنسان إلى توسيع نطاق اللغة وتنظيمها فيدخل فيها عند الحاجة كلمات جديدة، أو يبتدع فيها أساليب طريفة، ويضع لها قواعد تساعد الناس على تعلمها، وتحفظهم من الخطأ عند النطق بها (محمد الخضير، 1421ه/ 2000م، الصفحات 11- 12).

- **تأثير اللغة في الفكر :**

للفكر تأثير في اللغة كما أسلفنا بيانه، وهذا لا ينه من أن يكون للغة تأثير في الفكر من بعض الوجوه، انطلاقا من هذا التوجه، يمكننا القول تأثر اللغة في الفكر من جهة أن المعاني لا تمايز ولا تخرج في وضوح إلى أن يشار إلى كل معنى بلفظ يخصه، إذن فاللغة وسيلة إيضاح المعاني الغامضة وتنسيق المعاني المختلطة، فنذكر ههنا أيضا، أن الرجل الذي يريد أن يؤدي المعنى في صورة منتظمة يفكر أولا في اختيار الألفاظ والأساليب أكثر ممن لا يبالي أن تقع صور المعاني في ذهن مخاطبه مبهمة مختلطة (محمد الخضير، 1421ه/ 2000م، صفحة 12).

وهكذا نرى أن التفكير لا يتفتح إلا بفضل اللغة ولما كانت اللغة بمثابة الأداة للفكر، فأن كلا منهما يكمل الآخر، ويعد طرفا لا يمكن الاستغناء عنه في تفتح الشخصية (حنيفي، 2003، صفحة 266)، فالتقدم الذي أحرزته الإنسانية في مختلف ميادين العلم يرافقه دائما تقدم في ميدان اللغة، حتى أن البعض يعتبر العلوم أنواعا من اللغات. فمن الناس من يتحدث عن لغة العلم، ولغة الأرقام... والرياضيات عند هؤلاء إن هي إلا لغة خاصة اصطنعها الفكر كما أن الموسيقى والرسم والتمثيل وغير ذلك من الفنون إن هي إلا لغات خاصة يتجسم فيها الجمال.

أن التفكير والتعبير شيء واحد، وأن اللغة في الواقع ما هي 'إلا فكر ناطق، بل أننا لا نستطيع أن نضع حدا فاصلا واضحا بينهما. لا نستطيع القول، إلى هنا ينتهي التفكير، ونن هنا تبدأ اللغة. كما أننا لا نستطيع أن نعتبر إحدى هاتين الظاهرتين واسطة والأخرى غاية، إذ أنهما في الواقع شيء واحد أحدهما امتداد للآخر ومن هنا أيضا ندرك دقة تعريف ابن جني عندما قال أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. فاستعماله لكلمة "يعبر" هنا هو إدراك دقيق لطبيعة العلاقة التي تربط اللغة بالفكر (حلمي، 1978، صفحة 28).

من خلال هذا كله يتضح لنال أن العلاقة بين اللغة والفكر قائمة على الإتحاد بينهما، كل منهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، فالنظرة إلى الفكر واللغة باعتبارهما عمليتين متفصلتين نظرة خاطئة، ويتجسد هذا الخطأ إذا نظرنا إلى الكلمة المفردة، فالكلمة الخالية من المعنى ليست كلمة على الإطلاق وإنما هي صوت الجوف. ولذلك فإن المعنى هو المعيار الأساسي الضروري للكلمة ذاتها، فالمعنى هو الكلمة منظورا إليها من الداخل، من الفكر ومن هنا يكون اللغويون على حق تماما حين ينظرون إلى معنى اللفظة كظاهرة لغوية، ويترتب على ذلك ونتيجة لعلاقة الترابط بين الكلمة والفكرة، إن الفكر إذا تغير أو تطور تغيرت معاني الكلمات وتطورت هي الأخرى أو كما قال إدوارد سابير إن نمو وتطور اللغة يعتمد إلى حد كبير على نمو وتطور الفكر (حلمي، 1978، الصفحات 28- 29).

إن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة تكامل، فلا وجود لأحدهما دون الآخر، وانعدام التناسب بين الفكر واللغة لا يعود إلى اللغة ذاتها وإنما يعود إلى الإنسان نفسه.

- **دور اللغة في التبليغ :**

لكل شعب ثقافته التي يتميز بها عن غيره، وتنعكس هذه الثقافة على لغة هذا الشعب، فإذا كانت الثقافة ظاهرة خلقية وتوعوية تنجم بين بني البشر، فاللغة هي مصدرها ونبع وجودها، تخلقها مبادئ التدوين والمشافهة التي عمادها وسائل الإعلام وما يبرزه الفكر التنويري من نتاجات. لهذا نجد بأن أي علم من العلوم لا يخلو من سمة الثقافة. وبما أن كافة العلوم مصدر تواجدها من خلال اللغة، يتحتم على الفرد أن يستوعب التعبير اللغوي الخاص بكل علم من العلوم لإثراء المعرفة.

اللغة والاتصال :

اللغة أداة التبليغ والاتصال بين أعضاء الجماعة الإنسانية، تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات فهو الكائن الحي الوحيد الذي يستعمل الرمز للدلالة على المعاني، أو للتعبير عن أفكاره وعواطفه، وقد تكون هذه الرموز صورة أو كلمة أو إشارة أو حركة تصدر عن أي جزء من أجزاء الجسم أو غير ذلك.

إن اللغة وعاء التجارب، ودليل النشاط الإنساني ومظهر السلوك اليومية الذي تقوم به الجماعة ويسميه أصحاب الدراسات الشعبية الأنثروبولوجية "ثقافة" وذلك بأن نشاط المجتمع ممثلا في "نشاط

أعضائه هو ثقافة هذا المجتمع، ويتكلم أصحاب الدراسات الشعبية عن "ثقافة" مادية وأخرى غير مادية وتشتمل "الأولى" على الأشياء المادية التي يهتم بها أعضاء الجماعة، كالمساكن، والأزياء والزخارف والأدوات وما إلى ذلك على حين يقصد "بالثانية" النظم الاجتماعية كالدين والقانون، وكل أنواع العادات العرفية وفيها اللغة (تمام، اللّغة بين المعيارية والوصفية، 2007، صفحة 15).

ومن هذا المنطلق ليست اللغة إذا عنصرا من عناصر الثقافة بل إنما أساس كل أنواع النشاط الثقافي ومن ثم فهي أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي **"مجتمع معاصر"**.

- **المتكلم وسيلة الاتصال (اللغة) :**

وهكذا نجد متكلما وسامعا، واللغة التي عبر عنها بوسيلة الاتصال في المثال السابق هي مجموعة من الأصواب والكلمات، والمفردات، الجمل، والعبارات، وكلها تؤدي إلى النظام المتعارف عليه وهو النظام اللغوي الذي يتلقاه الإنسان في بداية حياته عن طريق التقليد، والمحاكاة، وعن طريق التقائية. وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن الإنسان يتعلم الكلام أولا قبل أن يتعلم القراءة، ويستدل اللغويون على ذلك بأن تاريخ وجود الإنسان على وجه الأرض متقادم جدا، إذ يعود إلى مئات الآلاف من السنين ولذلك لا يمكن تصور وجود المجمع الإنساني دون أن تكون هناك وسيلة تفاهم واتصال بين أفراده عبر هذه الحقب التاريخية القديمة (وطاس، 1988، صفحة 187). والحقيقة التي لا مراء فيها، هي أن تاريخ اللغات قديم أيضا بقدم الوجود البشري نفسه، ولكنها كانت مشافهة ومنطوقة قبل أن تكون مكتوبة ومقروءة. ذلك أن تاريخ اللغات المكتوبة يعد قصيرا جدا بالنسبة للمنطوقة إذ الإنسان ينطق أولا ثم تأتي مرحلة القراءة ثم الكتابة، وقد لا يتعلم ومع ذلك فهو يتكلم لغة الأم وهي لغة قومه وأهله، وإلى اليوم لا زال أناس يتكلمون اللغات دون أن يعرفوا القراءة ولا الكتابة.

يقول اللغوي الفرنسي أندرى ماريتنى : **André Martinet**

Ceci ne doit pas faire oublier que les signes du langage humain en vocaux, que pendant des centaines de milliers d'années, ces signes exclusivement vocaux, et qu'aujourd'hui encore, les êtres humains en majorité savent parler sans savoir lire. On apprend à parler avant d'apprendre à lire). (Martinet, p. 8)

"ومعنى هذا القول أن الكلام والنطق يسبقان القراءة الكتابة، ولعل عصرنا الحاضر يشهد على ذلك. فالأغلبية الساحقة من الناس اليوم تتكلم ولا تعرف القراءة وهذا ما يدل على أننا نتعلم الكلام قبل أن نتعلم القراءة".

ولكي يدرك الإنسان اللغة وما تحتوي عليه من مقرات وألفاظ وأصوات، فلابد أن يستمع المرة بعد الأخرى، ولابد من حاسة السمع أن تلعب دورها الإيجابي، لأن هذه المرحلة هامة في اكتساب

العادات اللغوية، وهي مرحلة الاستماع إلى اللغة المنطوقة من طرف الآخرين، ثم تلوها مرحلة الكلام ليتم التفاعل والتجارب بين أفراد المجتمع الواحد، وبهذه الطريقة تتحقق الظاهرة الاجتماعية التي نادى بها علماء اللغة، وهذه الظاهرة تتعلق باللغة نفسها عندما قالوا عنها بأنها ظاهرة اجتماعية وسلوك اجتماعي تتوارثه الأجيال حقبا وأزمنة تتطور بتطور الحياة الاجتماعية الإنسانية.

وقد أخذت الطرق التربوية والتعليمية اليوم في مجال تعليم اللغات تهتم بالجانب السمعي عند آخذه في الاعتبار ما تقدمت الإشارة إليه في أن اللغة نظام منطوق يستوجب عنه إيجاد طرف مستمع وأن مهارة النطق تكتسب عن طريق الاستماع، والسامع يصبح بعد عملية التعلم ناطقا ومتكلما في نفس الوقت بعد التكرار المستمر والخبرة التي يمر بها السامع.

- **أهمية اللغة :**

وتجدر الإشارة على أهمية اللغة، فهي أحد وجهي الفكر، ووطن القوم، فإذا عملنا لوضع لغتنا في مكانها المتميز كما هي في طبيعتها، وكما كانت في طبع العربي إذا فعلنا ذلك قطعنا الشوط الأكبر للتفوق في خدمة الأمة والعلم والإنسانية... (أسعد أحمد، 1401ه/ 1981م، صفحة 43).

"إنّ أهمية اللغة لفهم الثقافة حق الفهم أمر أخذ يحس به من يعرضون لدراسة الحضارات، وذلك لأن أي نظام لغوي تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها، وإن لم يكن هذا التعبير كاملا ومن ثم فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حق الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير" (السعران، بدون تاريخ، صفحة 19).

ومن هنا، إن ضالة ذيوع علم اللغة في مواطنه قد حدث ببعض العلماء إلى محاولة تبسطه وتقريبه من أذهان جمهرة المثقفين ففي هذه المرحلة ظهرت مؤلفات من هذا القبيل أكثرها بالإنجليزية والفرنسية ولا يزال أصحاب هذه الدراسة يدعون إلى مواصلة هذا الاتجاه وتنميته وإلى توجيه الأنصار بخاصة إلى ما قد ينفع به هذا العلم مناهج تعليم اللغات (السعران، بدون تاريخ، صفحة 19).

- **اللغة والثقافة :**

ومع ذلك فأن اللغة لا يمكن أن تعتمد كليا على الجينات لأنها تتأثر تأثرا قويا بالثقافة، وفي الحقيقة فنحن نصبح عاجزين فعليا في ثقافة لتكلم لغة مختلفة مكا لم نلجأ إلى الإشارة، وهناك ما قد يغري المرء بأن يعتقد أن اللغة هي آلية للحفاظ على سلامة الثقافة وإبقاء الأجانب خارجها، وفي هذا الصدد كثير من الخصائص الإنسانية تعتمد بوضوح لا على الشفرة الجينية بل على الثقافة التي يتصادف أن نكون جزءا منها (السعران، بدون تاريخ، صفحة 19).

وضمن التوجه نفسه يطلق ريتشارد دوكنز على هذه الخصائص المحددة ثقافيا اسم "المذكرات" وهي تضم القصص والأغاني والمعتقدات والمخترعات والنظم السياسية والمطبخ وفي الحقيقة كل ما نعده فعلا جزءا من الثقافة (السعران، بدون تاريخ، صفحة 19).

ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب، أن في ازدهار اللغة ازدهار للحياة العقلية، وتقدما في مضمار العلوم والفنون والآداب، وأن في قوة اللغة قوة للأمية الناطقة بها، وأن اللغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة (بن عثمان التويجري، 2013، صفحة 07)، وبعكس ذلك يكون في ضعف اللغة ضعف للأمة الناطقة بها، ويمكننا القول حينئذ أن هذا الضعف يسري إلى مفاصل المجتمع وإلى مرافق الحياة جميعا وفي هذا السبيل يكون التراجع الذي قد يؤدي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة (بن عثمان التويجري، 2013، الصفحات 7- 8).

إن رصد ملامح الثقافة العربية من خلال المسألة اللغوية في الفكر العربي المعاصر يحملنا على استكشاف ثلاث أزمات كبرى اخترقت سلطة اللغة العربية خلال تلك الحقبة، اثنان منها انتهتا إلى توازن نسبي والثالثة استعصت وما ننفك تلقي بتحديات قاهرة، وثلاثتها هي أزمة اللغة العربية مع اللغات الأخرى، وأزمتها مع العلم اللغوي وأزمتها مع نفسها (المسدي، 2009، صفحة 11).

كان رواد الفكر العربي المعاصر على وعي بأن اللغة العربي تحمل معها مجدا تاريخيا جليلا لأنها كانت في معظم القرون لغة الغالب وبفضل ذلك تعامل أهلها مع اللغات الإنسانية تعاملا نبيلا خلا من كل العقد الثقافية والمربكات النفسية، ولكن حركة الاستعمار بعد أن يتسنى من خلخلة الصلة بين الهوية الدينية والهوية اللغوية تفرغت بالكلية إلى ربط المعرفة العلمية باللغة الأجنبية : الانجليزية والفرنسية تخصيصا وظلت العربية تقاوم داخل قلاع غدت كالرموز في تجسيد العلاقة المكينة بين الثقافة واللغة : جامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين (المسدي، 2009، صفحة 11).

وإذا نظر المرء خارج أوروبا، إلى الثقافة اللغوية التي اعتمد عليها الأوروبيون بشكل كبير ومفيد جدا فإن الحاجة لم تزل ماسة إلى كتابات وتفسيرات جديدة، فقد تمت في الواقع دراسة كثير من المؤلفات اللغوية الصينية والعربية والهندية بشكل واسع النطاق، ولكن هذه الدراسة كانت إلى حد كبير من زاوية مكانة هذه المؤلفات في التاريخ الثقافي والأدبي لهذه الشعوب نفسها (روبنز، صفحة 12)، ولكن المعالجة العلمية التي تربط الكتابات المتفردة في هذا الميدان بالنظرية اللغوية الحالية وتطبيقاتها، وسف تسد ثغرة واسعة في فهمنا لتاريخ العالم الثقافي (روبنز، صفحة 12).

وبناء على ما تقدم فلقد كثرت الآيات والروايات التي تتحدث على مكانة التبليغ والدعوة وأهميتها في حياة الأمم والشعوب على طول التاريخ، وذلك نظرا لارتباطهما بمختلف مفاصل المجتمع البشري ومستوياته ومتطلباته الأخروية والدنيوية.

أود في الختام أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها أثناء معالجتي لهذا البحث، وقد حصرتها في بعض النقاط و لتي تتمثل في ما يلي:

1- فاللغة في أي مجتمع هي مرآة ثقافته، وهي الوسيلة التي تستخدمها الشعوب لتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها، ويوجد تكامل بين اللغة والثقافة، وكلاهما يكتسب بصورة اجتماعية فالتكامل بين اللغة والثقافة على درجة كبيرة من الأهمية وتبرز الأهمية بوضوح في مجال تعليم اللغات عامة وتعليم اللغة العربية على الخصوص.

2- للغة أهمية عظيمة من أجل فهم الدين وتعاليمه الإسلامية، فكان الإسلام لا يصح بقراءة القرآن إلا باللغة العربية، ما يدل على أهمية اللغة في حياتنا أنها كانت سيلا في فهم تعاليم الدين والإسلام، وذلك في قراءة القرآن ومن هنا اكتسبت اللغة الأهمية الأكبر في القراءة، وبهذا، فكانت القراءة سببا في زيادة أهمية اللغة لتصبح وعاء المعرفة وهي الركن الأول في عملية التفكير.

3- في سبيل أهمية اللغة كان مستحسنا الإلمام بأكثر من لغة، من أجل التطور على مستوى البلدان، فكان لتدريس ثقافة اللغة الثانية سببا في الاتصال الفعّال وتنمية الاتجاه الإيجابي في التواصل، فيتعّرف الفرد على أنماط ثقافية جديدة، تختلف عما هي في الثقافات الأصلية، فلكل لغة ذاتيتها الثقافية...وفي تفاهم اللغة يتطور الحوار والحديث ونتعاون الشعوب فيما بينها، لتصبح اللغة سببا في التواد والرحمة.

قائمة المصادر والمراجع:

Martinet, A. *Eléments de linguistique générale.*

الحجرات. (13). *القرآن الكريم*.

حسان تمام. (1428ه/ 2007م). *اجتهادات لغوية* (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.

حسان تمام. (2007). *اللّغة بين المعيارية والوصفية* (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.

حسين محمد الخضير. (1421ه/ 2000م). *دراسات في العربية وتاريخها* (الإصدار بدون). القاهرة: الدار الحسينية للكتّاب.

خليل حلمي. (1978). *المولد (دراسة في نمو تطور اللغة العربية بعد الإسلام)*. الإسكندرية: الهيئة العامة للإسلام.

ر. ه روبنز. *موجز تاريخ علم اللغة في الغرب*. ترجمة د. أحمد عوض.

عبد السلام المسدي. (2009). *التفكير اللساني في الحضارة العربية* (الإصدار 3). بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

عبد العزيز بن عثمان التويجري. (2013). *حاضر اللّغة العربية مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية*، (الإصدار بدون). الرباط، المملكة المغربية: التصفيف والتوظيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو.

علي أسعد أحمد. (1401ه/ 1981م). *تهذيب المقدمة اللغويةللعلايلي* (الإصدار 2). دمشق: دار السؤال للطباعة والنشر.

عمار ساسي. (1429ه/ 2009م). *المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة* (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحيث اربد.

عيسى حنيفي. (2003). *محاضرات في علم النفس اللغوي*. الجزائر.

محمد وطاس. (1988). *أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة، وتعليم اللّغة العربية للأجانب خاصة*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

محمود السعران. (بدون تاريخ). *علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي* (الإصدار بدون). بيروت: دار النهضة العربية.

المصطلح النحوي واللساني؛ مفهومهما وخصائصهما
"الحقول الدلالية نموذجا"

Grammatical and linguistic term; their concept and characteristics. "semantic field theory as a model"

لطيفة السالمي؛ باحثة بسلك الدكتوراه، مختبر الكتابات الأدبية واللسانية بالمغرب
المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس-الرباط (المغرب).
البريد الإلكتروني: ESSALMILATIFA10@GMAIL.COM

ملخص:

تعد نظرية الحقول الدلالية من النظريات المهمة في علم الدلالة، شأنها في ذلك شان النظرية الإشارية، والتصورية، والسلوكية، والسياقية [...] فقد حظيت باهتمام بالغ من لدن الدارسين العرب والأجانب، فاهتموا بالبحث في إرهاصاتها الأولى من خلال معاجم الموضوعات، كما بحثوا في المفاهيم التي تعرف بها، وطريقة اشتغالها داخل النصوص. علاوة على؛ المبادئ الإجرائية المسهلة لاستثمار هذه النظرية في مجالات معرفية مختلفة، كتتبع انتقالاتها من حقل علمي إلى آخر والبحث في خصائص هذا الانتقال ومميزاته.

إن هدفنا من هذا المقال هو تقريب المتلقي من نظرية الحقول الدلالية من خلال التعريف بها وبخصائصها، وعلى هذا الأساس قسمنا ورقتنا البحثة إلى محاور نوضحها على النحو الآتي:

الكلمات المفاتيح: الحقل الدلالي – الحقل المعجمي – الوحدة المعجمية – السياق

The semantic field theory is one of the important theories in semantics science, as is the sign theory, conceptual, behavioral, and contextual [...] It has received great interest from Arab and foreign scholars, so they were interested in researching its first precursors through the dictionaries of topics, as well as the concepts that they know, and the way they work within the texts. Furthermore; The procedural principles facilitating the investment of this theory in different fields of knowledge, such as tracing its transitions from one scientific field to another and researching the characteristics and advantages of this transition.

Our goal in this article is to bring the recipient closer to the semantic field theory by introducing it and its characteristics. On this basis, we divided our research paper into axes that we explain as follows:

.

تقديم:

يشهد الحقل العلمي بروز الكثير من المصطلحات النحوية واللسانية والدلالية وغيرها، التي تنتمي إلى علوم معرفية متنوعة وغنية بمفاهيمها وخصائصها وضوابطها، والتي تفرض على مستعملها فهمها، فهما جيدا قبل توظيفها في حقل علمي محدد؛ فالمصطلح يشكل لسان أمة من الأمم، ومن تم فقد حضي باهتمام واسع من لدن شرائح علمية مختلفة، وخُصِّصَتْ له بحوث ودراسات كثيرة، للإحاطة به، واستعماله استعمالا سليما، بل أكثر من ذلك أصبح علما قائما بذاته يدعى "علم المصطلح" (la terminologie).

ومعلوم أن علم المصطلح هو "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية، والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها، أو لفظ موضوعي يؤدي معنى معينا بوضوح ودقة (بلعيد، 1995، ص:5)"

وتأتي مداخلتنا في السياق نفسه، ونحاول فيها تناول "**المصطلح اللساني: من حيث المفهوم والخصائص**"، باتخاذنا "**مصطلح الحقل الدلالي**" نموذجا للمصطلحات اللسانية التي أَسَّسَتْ لنفسها مكانا كبيرا في الدراسات والأبحاث اللسانية والأدبية والبيداغوجية كذلك.

وقبل انتقالنا للحديث عن الحقول الدلالية وتقريب مفهومها من المتلقي؛ لا بد من وضع خطة للبحث؛ وهي كالآتي:

- **المبحث الأول:**

1- مفهوم الحقل الدلالي في اللغة والاصطلاح.

- **المبحث الثاني:**

1- مفهوم نظرية الحقول الدلالية؛

2- التمييز بين الحقل المعجمي والحقل الدلالي.

3- الخصائص / المبادئ التي تتأسس عليها الحقول الدلالية.

- **المبحث الثالث:**

1- أنواع الحقول؛

2- العلاقات داخل الحقول الدلالية؛

3- المنهجية المعتمدة في توزيع الكلمات على الحقول الدلالية.

المبحث الأول:

1- مفهوم الحقل الدلالي في اللغة والاصطلاح.

إن الحديث عن الحقول الدلالية يفرض علينا تعريف كل كلمة على حدة لغة واصطلاحا، من أجل الكشف عن خصائص كل واحدة منهما، وعلى هذا الأساس سنتعامل معهما كما يلي:

أ- الحقل:

✓ **لغة:** ورد في معجم المنجد ما يلي: "حقِلَ، حَقَلاً وحَقْلَةً البعير أو الفرس: أصابه وجع في بطنه من أكل التراب. الحِقْلُ والحَقْلَةُ (طب): وجع في بطن الفرس أو الجمل من أكل التراب مع البقل"(معلوف، 2010، ص: 145)

✓ **اصطلاحا:**

- الحَقْلُ: الموضعْ البكر الذي لم يُزرع فيه قط. الحقل: المزرعة التي يزرع فيها البرُّ. الحقل: الروضة. (المعجم الصافي في اللغة العربية، ص:128)

- هو العمود الذي تندرج تحته وحدات لغوية تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض، والصفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليا، يصنفها تحت لفظ عام، ويكون ذلك في زمن محدد، ولغة معينة محددة (عبد القادر عبد الجليل، 2002، ص: 559، وينظر: الفهري، 1989، ص: 370)

يتبين من خلال التعريف اللغوي لمصطلح الحقل، والتعريف الاصطلاحي، أنه مفهوم ينتمي إلى المجال الفلاحي، حيث يحيل على كل قطعة من الأرض قابلة للحرث والزرع، ومن ثم فهو يشير إلى الاختصاص والاستقلال.

ب- الدلالة:

✓ **لغة:** ورد في لسان العرب: "دَلَّهُ على الشيء يَدُلُّهُ دَلاًّ ودَلالَةً فانْدَلَّ: سدَّده إليه، ... والدَّليل: ما يُستَدَلُّ به، والدَّليل: الدَّالُّ، وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أعلى، والدَّليل والدِّليلي: الذي يدُلُّكَ ..." (ابن منظور، لسان العرب، (دلل) (399/1)، 2006، وما بعدها)

✓ **اصطلاحا:** عُرِفَ هذا المصطلح كثيرا في مجال اللسانيات، بوصفه يشكل أحد فروعها ومكوناتها الأساسية، ومن تعاريفه ما يأتي:

يفيد مصطلح الدَّلالة/الدِّلالة بفتح الدال أو بكسرها -كما جاء في لسان العرب-المعنى الذي تحيل عليه الكلمة، بحيث تكون لها جملة من المعاني المختلفة، منها ما هو خاص بها في حد ذاتها، ومنها المعنى الجديد الذي تكتسبه داخل السياق الذي وظفت فيه، وسنأتي إلى توضيح هذا العنصر جيدا في حديثنا عن دور السياق في تشكيل معنى الكلمة. والدلالة كما أشرنا علم مستقل، له فروعه المختلفة، كالمعجم وغيره.

اطلعنا من خلال هذه التعاريف على مفهوم كل من الحقل والدلالة في اللغة والاصطلاح، وحاولنا دراسة كل كلمة على حدة، للوقوف عند خصائصهما معا، وعليه؛ فإذا كان الحقل يفيد الموضع المخصص للفلاحة، والدلالة هي العلم الذي يهتم بدراسة الكلمات، فماذا نقصد بالحقول الدلالية.

المبحث الثاني:

1- مفهوم نظرية الحقول الدلالية:

إن الحديث عن الحقول الدلالية هو حديث عن نظرية قائمة بذاتها لها مجموعة من المصطلحات التي تقوم عليها، ولها خصائص اشتغالها، ثم بعض المبادئ التي تفرض علينا استحضارها أثناء تعاملنا مع الكلمة من الزاوية الدلالية خاصة في الشق المتعلق بالحقول. ومنه؛ سنسعى إلى الحديث عن هذا المفهوم بطريقة مفصلة فيما تبقى من ورقتنا البحثية على النحو الآتي:

شهدت نظرية الحقول الدلالية دراسات متعددة ومختلفة في مجالات متنوعة، وتناولها الكثيرون في اشتغالهم على اللغة، ودراسة مكوناتها والبحث في دلالات تراكيبها، ومن ثم فإن محاولة إيجاد تعريف موحد وشامل يتفق عليه الجميع بات من الأمور الصعبة، التي لا يمكن الوصول إليها بسهولة، ورغم ذلك فإننا سنسعى إلى إيراد تعاريف كثيرة مقارنين بينها، ومحاولين تأليف تعريف جديد للحقل الدلالي يوحد جميعها، ومن هذه التعاريف نذكر:

- **تعريف أحمد مختار عمر:** عرف أحمد مختار عمر الحقل الدلالي في قوله "الحقل الدلالي Semantic field أو الحقل المعجمي Lexical field هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع تحت المصطلح العام "لون" وتضم ألفاظا مثل: أحمر-أزرق-أصفر-أخضر-أبيض ...الخ (1:Semantic fields. P)
- **تعريف جورج مونان:** "مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل". (Voir G.MOUNIN, P:65)
- **تعريف جون ليونز:** "إن الحقل الدلالي هو مجموعة جزئية لمفردات اللغة" (المرجع نفسه، ص: 79)
- **تعريف محمد خالد الفجر:** "نظرية الحقول الدلالية تقوم على تجميع كل مفاهيم الكون، أو بعضها وفق حقول تمثلها كلمات مركزية، وتتفرع عنها كلمات تتحد معها بالمفهوم العام، ويعتمد فيها على علاقات يمكن استنادا إليها بناء عناوين الحقول وما يندرج ضمنها من كلمات" (محمد خالد الفجر، 2012، ص: 157).
- **تعريف محمد علي الخولي:** الحقل المعجمي هو صنف أو عنوان تندرج تحته مجموعة كلمات يتراوح عددها بين اثنتين وبضع مئات أو بضع آلاف: مثلا، (سيارة) تنتمي إلى حقل المصنوعات. وإذا أردنا تضييق الحقل، نقول إنها تنتمي إلى حقل وسائل النقل المصنوعة، لنستثني وسائل النقل الحيوانية (مثل الخيول

والجمال). ويمكن تضييق الحقل أكثر، فنقول حقل وسائل النقل البرية لاستثناء وسائل النقل الجوية والبحرية". (الخولي، 2001، ص: 174-175).

من خلال هذه التعاريف نستخلص الكثير من الملاحظات والتي تعتبر ضرورية في هذه المرحلة، من أجل توضيح خبايا هذا المفهوم المتشعب، والخروج بعناصر تعريفية دقيقة له. فإذا توقفنا عند المؤلف "أحمد مختار عمر" و"محمد علي الخولي" وجدناهما يخلطان بين الحقل الدلالي والحقل المعجمي؛ إذ جعلهما شيئين اشتركا في نفس الوظيفة؛ فالأمر نفسه سواء قلنا الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي، ولعل ما يؤكد هذا الزعم هو استعمال "أحمد مختار عمر" الرابط "أو" الذي يفيد التخيير، ثم تعويض "محمد علي الخولي" الحقل الدلالي بالحقل المعجمي، والحال أنهما لا يتطابقان كليا وإن كانا يشتركان في خصائص عدة، فالحقل الدلالي شيء، والحقل المعجمي شيء آخر، وسنأتي إلى توضيح الفرق بينهما، ومن جهة ثانية يتبين أن مجموع التعاريف لم تقدم تعريفا لنظرية الحقول الدلالية على أساس أنها نظرية قائمة الذات، لها مفاهيمها الخاصة، وروادها، والكثير من المبادئ التي تتأسس عليها، ولا يمكننا العدول عنها بأي شكل من الأشكال، باستثناء تعريف واحد للكاتب "محمد خالد الفجر"، أما باقي التعاريف فتعاملت مع الحقل الدلالي ولم تتعامل مع النظرية رغم أنها تضمنت في طياتها إشارات كثيرة. وفي الأخير نستنتج أن الحقل الدلالي هو تجميع لكلمات كثيرة تقاربت دلالاتها وشكلت نواة دلالية كبرى هي ما سمي بالحقل الدلالي (أ) أو الحقل الدال على [كلمة تجمع دلالات الوحدات المعجمية كاملة]. وبالرجوع إلى الخلط الحاصل بين مفهوم الحقل الدلالي والحقل المعجمي، يقول الأستاذ **"عبد القادر الفاسي الفهري"** في **"كتابه اللسانيات واللغة العربية"**، "يبدو أن كل لغة تنتظم في حقول دلالية، وكل حقل دلالي له جانبان حقل تصوري وحقل معجمي، ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تستعمل بها مع كلمات أخرى في نفس الحقل المعجمي لتغطية وتمثيل الحقل الدلالي. وتكون كلمتان في نفس الحقل الدلالي إذا أدى تحليلهما إلى عناصر تصورية مشتركة. وبقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدلالي" (الفهري، 1986، ص: 202). ويتبين من خلال هذا التعريف أن الحقل الدلالي غَيْرَ الحقل المعجمي، فالأول عام والثاني خاص؛ ذلك أن الحقل الدلالي يتكون من جانبين اثنين؛ تصوري ومعجمي، وهذا الأخير هو الفضاء الذي يشهد علاقات كثيرة بين الكلمات التي تنضوي تحته لتغطية وتمثيل الحقل الدلالي. ومنه نخلص إلى أن الحقل الدلالي يرتبط بالتصور في حين يرتبط الحقل المعجمي بأجرأة ذلك التصور الذهني.

ولم يكن "عبد القادر الفاسي الفهري" وحده الذي ميز بين الحقلين، وإنما نجد آخرين منهم الأستاذ **"عباس الصوري"** في كتابه **"الرصيد المعجمي الحي"**، وَسَنُورِدُ جملة من المقتطفات التي ميزت بين الحقلين، حتى نستطيع أن نقف عند خصوصيات كل واحد على حدة. ومما قاله الصوري نجد:

"لذلك كان حضور المفردات في إطارها الاشتقاقي أو ما يسمى عادة بالحقول المعجمية يشكل دعامة في اكتساب المعجم وتوسيع الرصيد. فالرصيد على هذا الأساس يمكن أن يتكون في قسم كبير منه من هذه الحقول المعجمية التي تتألف من جذر/أصل وفروع ترتبط به بناء على صور الأبنية التي اكتسبها المتعلم بالممارسة" (المرجع نفسه، ص: 130).

"فعلى الرصيد المعجمي، يؤدي الرابط اللفظي وظيفة أساسية في إدراك المعنى بصفة تلقائية، فالمتعلم عندما يكون على بينة من معنى مادة "سبح" لا يجد صعوبة في فهم ألوان هذا المعنى عبر تقلبات الأبنية والصيغ مثل (سابح وسباحة وسبح وسباح ...). لكن معنى السباحة قد يحصل للمتعلم بدون مادة "سبح"، وإنما عن طريق مادة أخرى، ولتكن مثلا ... "عام/يعوم"، سيكون أمامنا إذن معنى واحد بلفظين من مادتين مختلفتين (سبح/عام)، وما يربط بينهما ليس هو الرابط اللفظي وإنما الرابط المعنوي. فإذا تصفحنا الرصيد الأساسي سنجد هذه الأمثلة: صاحب-صديق-رفيق/صرخ-صاح .... ما يربط بين هذه الألفاظ داخل كل مجموعة هو المعنى، فالحقل الذي تدور فيه ليسا معجميا وإنما هو دلالي" (المرجع نفسه، ص: 135/134)

2- التمييز بين الحقل المعجمي والحقل الدلالي.

انطلاقا من هذه المقتطفات التي أوردناه أعلاه بخصوص الحقل المعجمي والحقل الدلالي نخلص إلى ما يلي:

- **الحقل المعجمي:**
  - مجموعة من المشتقات التي اشتركت في مادة واحدة وخضعت بنيتها للتغيير.
  - وهو مجموع الكلمات التي تتألف من جذر/ أصل وفروع ترتبط به.
  - مجموع الكلمات التي ترتبط بواسطة رابط لفظي، يمكن من إدراك المعنى بصفة تلقائية، ففي الوقت الذي يكون مدركا لمعنى كلمة "سبح" يسهل عليه فهم باقي الصيغ/ الأبنية كسابح-سباحة-سباح ...
- **الحقل الدلالي:**
  - مجموع الكلمات التي ارتبطت برابط معنوي لا لفظي كما هو الحال بالنسبة للحقل المعجمي. فعندما يفهم المتعلم معنى السباحة بمادة أخرى غير مادة "سبح" كعام، نكون أمام لفظين اختلفا في المادة واشتركا في المعنى وهو ما يصطلح عليه –من منظور عباس الصوري-الحقل الدلالي.

وإذا أردنا مقارنة ما توصلنا إليه عند **"عباس الصوري"** بما أشرنا إليه سابقا عند **"عبد القادر الفاسي الفهري"**، نلاحظ أنهما معا أكدا اختلاف دلالة الحقلين، وميزا بينهما، فإذا كان "الفهري" قد اعتبر الحقل الدلالي عاما، والحقل المعجمي خاصا، فإن صاحب الرصيد المعجمي الحي، عبر عن الأول

بالرابط المعنوي، والثاني بالرابط اللفظي أو "الاشتقاق". وعملا بهذه الاختلافات، ستتجه عنايتنا فيما سيأتي إلى بيان المبادئ النظرية للحقل الدلالي لا المعجمي.

3- الخصائص / المبادئ التي تتأسس عليها الحقول الدلالية.

يتم التعامل مع نظرية الحقول الدلالية كباقي النظريات الأخرى، لها قوانينها الخاصة التي لا يمكن العدول عنها، أو التعامل معها دون استحضارها، فهذه المبادئ أو القوانين كما سميناها قبل، هي التي توحد عمل الكثير من المهتمين والدارسين للحقول الدلالية، وبالتالي لا بد لكل دارس أن يعمل بها ويفهمها فهما صحيحا حتى يوظفها بشكل سليم.

ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذه النظرية، وضع الدارسون مبادئها على النحو الآتي، فأجملوها في أربعة وهي:

1- "لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل.
2- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
3- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
4- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي" (مختار عمر، 1995، ص: 80).

تفيد هذه المبادئ الأربعة في تصنيف الكلمات إلى حقول متعددة، تصنيفا يستجيب للشروط المتواضع عليها، فلا يمكن إدراج وحدة معجمية إلا داخل حقل واحد، ولا يمكن أن تظل مستقلة بذاتها دون أن تضاف إلى حقل معين، مع ضرورة استحضار السياق الذي وردت فيه، فدلالة الكلمات تختلف باختلاف السياقات التي توجد داخلها، لذلك لا يعد التصنيف صحيحا إلا إذا أَخَذَ بعين الاعتبار سياقاتها، وارتباطها بالتركيب النحوي عن طريق علاقات إسنادية تحدد وظيفتها، أما عن أنواع الحقول فإننا نتساءل هل قسم دارسوا الحقول الدلالية اللغة أو الكلمات إلى حقول محددة؟ أم جعلوا وجود تلك الكلمات في سياقات معينة هو المحدد للحقول التي تنتمي إليها؟ ثم هل يمكننا أن نجد كلمات تنتمي إلى حقل ما دائما أم أنها قابلة لأن تنتمي إلى أي حقل كان؟

المبحث الثالث:

1- أنواع الحقول الدلالية:

أ- تقسيم أحمد مختار عمر: **الحقول المحسوسة المتصلة:** (نظام الألوان في اللغات)، **الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة:** (نظام العلاقات الأسرية)، **الحقول التجريدية:** (ثملتها ألفاظ الخصائص الفكرية)، **حقل النشاطات الإنسانية:** (الحقل الحرفي أو المهني، الحقل الرياضي، الحقل التعليمي).

ب- تقسيم أحمد عزوز: ويضم الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة، الأوزان الاشتقاقية، عناصر الكلام وتصنيفاتها النحوية، الحقول التركيبية، الحقول المتدرجة الدلالة.

ت- تقسيم هالي واربيرغ: إذ قسم الحقول الدلالية إلى ثلاثة أقسام، **الكون:** (السماء والغلاف الجوي والأرض والنبات والحيوان)، **الإنسان:** (جسم الإنسان، الفكر والعقل، الحياة الاجتماعية)، **الإنسان الكون:** ويدخل فيه ما يتعلق أيضا بالعلم والصناعة.

بناء على ما تقدم، نلاحظ تعدد التقسيمات الخاصة بالحقول الدلالية، فكل واحد له تقسيمه الخاص، الذي يشبه التقسيم الآخر، ومن هذا لا يمكننا أن نحصر جميع كلمات اللغة في حقول محددة، وهذا ما أكده الدكتور "محمد علي الخولي" في كتابه "علم الدلالة (علم المعنى)" صعوبة الإبقاء على أنواع محددة في الحقول الدلالية لأننا نتعامل مع اللغة واللغة في حد ذاتها شيء معقد يصعب الإحاطة به. والنص الآتي يوضح ذلك: "إن اللغة عالم معقد متداخل، وتزداد المشكلة تعقيدا إذا عرفنا أن ما ندرسه هو اللغة وأن وسيلة التعبير هي اللغة أيضا، وبعبارة أخرى، موضوع الدراسة هو اللغة بكل تعقيداتها وأداة التعبير هي اللغة بكل تعقيداتها أيضا. ومما يزيد الأمر تعقيدا على تعقيد هو أننا ندرس من اللغة أعقد موضوع فيها، ألا وهو المعنى، بل معنى المعنى [..] (الخولي، 2001، ص: 180)

وإذا كانت هذه التقسيمات هي أهم ما اتفق عليه الدارسون الذين اهتموا بعلم الدلالة عامة، والحقول الدلالية خاصة، فما هي العلاقات التي تربط الكلمات فيما بينها داخل هذه الحقول.

2- العلاقات داخل الحقول الدلالية:

تترابط الكلمات أو المفردات داخل الحقول المعجمية بالكثير من العلاقات المختلفة والمتنوعة، التي تحدث عنها مجموعة من المؤلفين وفصلوا فيها كثيرا، كما قدموا أمثلة موضحة لها، وسنبين ذلك كما يلي:

- تحديد أحمد مختار عمر:

أجمل أحمد مختار عمر العلاقات التي تربط الحقول المعجمية داخل الحقول الدلالية في خمس علاقات أساسية نوضحها كما يلي:

1- **الترادف** Synonymy: "يتحقق الترادف حين يوجد تضمن من الجانبين. يكون (أ) و (ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب)، و (ب) يتضمن (أ). كما في كلمة "أم" و "والدة"" (المرجع نفسه، ص:98)

2- **الاشتمال أو التضمن** Hyponymy: يؤكد المؤلف أن هذه العلاقة أهم علاقات السيمانتيك التركيبي:[1] والاشتمال عكس الترادف لأنه تضمن من طرف واحد، بحيث يكون (أ) مشتملا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي (Toxonomic). ويقدم مثالا على هذا ب "فرس" الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى "حيوان". وبهذا يكون معنى فرس متضمنا معنى حيوان،

[1]-السيمانتيك علم الدِّلالة، وهو أحد فروع علم اللغة ويبحث في دلالات الألفاظ والتَّراكيب وتطوُّر هذه الدِّلالات. نقلا عن الموقع التالي:

ويسمى اللفظ المتضمن في هذا التقسيم عدة مسميات اللفظ الأعم، الكلمة الرئيسة-الكلمة الغطاء-اللكسيم الرئيسي-الكلمة المتضمنة-المصنف)، ويضاف إلى هذه الأنواع نوع آخر يعرف باسم "الجزيئات المتداخلة"، وهو عبارة عن مجموعة من الألفاظ التي يتضمن كل لفظ منها اللفظ الذي يليه، مثل: ثانية-دقيقة-ساعة-يوم-أسبوع-شهر-سنة.

3- **علاقة الجزء بالكل** Part-whole relation : يشبه أحمد مختار عمر علاقة الجزء بالكل بعلاقة اليد بالجسم، والعجلة بالسيارة. ويُبيّنُ مكامن الاختلاف بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال أو التضمن؛ ذلك أن اليد جزء من الجسم وليست نوعا منه. عكس الإنسان الذي هو نوع من الحيوان وليس جزءا منه. ويطرح سؤالا مفاده: هل تتعدى الجزئية فتنتقل من الجزء إلى الكل؟ ويقدم رأيين؛ الأول يقول بتعديها، والثاني ينفي هذا التعدي. ليخرج في الأخير بإمكانية التعدي في الحالات الشبيهة بالمثال التالي: "إن كم القميص بدون أسورة (كم-قميص: علاقة جزئية)، ويمكننا أن نقول إن القميص بدون أسورة (كم-قميص: علاقة جزئية أخرى) (مختار عمر، 1995، ص: 101) ، واستحالته "في علاقة جزئية مثل: (مقبض-بابا) ومثل (باب-منزل) لا يمكن تعدية هذه العلاقة، لأننا نقول: هذا الباب بدون مقبض، ولكن لا نقول: هذا المنزل بدون مقبض. ونقول: مقبض الباب، ولكن لا نقول: مقبض المنزل" (المرجع نفسه، ص: 101).

4- **التضاد** Antonymy: مجموعة من المتقابلات اصْطَلَحَ عليها اللغويون التضاد، وقد ذكر المؤلف خمسة أنواع من التضاد نوضحها على النحو الآتي:

أ- التضاد الحاد أو التضاد غير المتدرج: مثل: ميت/حي، ومتزوج/أعزب، وذكر/أنثى. وهي متضادات تقسم الكلام بحسم دون الاعتراف بدرجات أقل أو أكثر.

ب- التضاد المتدرج: "ويقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية. وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر. فعندما نقول الحساء ليس ساخنا لا يعني الاعتراف بأنه بارد. ويعتبر هذا النوع من التضاد نسبيا. وإلى جانب هذا يتيح المؤلف إمكانية وضع التضاد المتدرج على مقياس متدرج يشمل أزواجا من التضادات الداخلية، ومثاله: "الجو حار"، "والجو بارد" يمكن أن يوضع بينه في منطقة وسط عبارات مثل: الجو دافئ-الجو مائل للبرودة-باعتبارهما تمثلين تضادا داخليا.

ت- التضاد العكس: علاقة تربط أزواجا من الكلمات مثل: باع-اشترى. فقول: محمد باع منزلا لعلي يعني أن عليا اشترى منزلا من محمد، وهكذا دواليك.

ث- التضاد الاتجاهي: يتضح من خلال العلاقة بين الكلمات التالية: أعلى-أسفل، يصل-يغادر. فالجامع بين هذه الألفاظ هو الحركة في أحد اتجاهين متضادين بالنسبة لمكان ما، وإن كان الأول يمثل حركة في اتجاه رأسي، والآخر يمثلان حركة في اتجاه أفقي.

ج- التضادات العمودية والتضادات التقابلية أو الامتدادية، ويتجلى الأول في المثال التالي: الشمال بالنسبة للشرق والغرب، حيث يقع عموديا، والثاني في: الشمال بالنسبة للجنوب، والشرق بالنسبة للغرب.

5- **التنافر** Incompatibility: يرتبط بفكرة النفي كما هو الحال بالنسبة للتضاد، ويتحقق داخل الحقل الدلالي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب)، لا يشتمل على (أ)؛ أي عدم التضمن من طرفين، مثل العلاقة بين الخروف والفرس والقط والكلب. ويتضمن التنافر علاقات أخرى مثل:

أ- **علاقة الرتبة:** ملازم-رائد-مقدم-عقيد-عميد-لواء ...

ب- **المجموعات الدورية:** الشهور-الفصول-أيام الأسبوع.

ومنه، يتبين أن أحمد مختار عمر حدد العلاقات المعجمية في خمس، مع إبراز فروع كل واحدة على حدة. والآن سنحاول أن نعرض آراء كتاب آخرين، ومقارنتها بما قدمه هذا الكاتب، دائما بغرض الإحاطة بجميع العناصر التي تتصل بنظرية الحقول الدلالية. وعليه، يمكننا التساؤل:

- هل توصل محمد علي الخولي إلى العلاقات نفسها التي حددها أحمد مختار عمر؟
- هل يمكننا أن نجد علاقات أخرى غير هذه؟

- تحديد محمد علي الخولي:

يحدد محمد علي الخولي العلاقات التي تربط الكلمات داخل الحقل الدلالي في علاقتين اثنتين، علاقة تشابه، وعلاقة اختلاف، وفي هذا يقول: "الكلمات داخل الحقل الدلالي الواحد إما أن تكون في حالة تشابه في المعنى أو تكون في حالة اختلاف" (الخولي،2001، ص: 180) ، ويجعل كل علاقة منهما متضمنة لعلاقات أخرى داخلها، فالتشابه إما أن يتحقق بالترادف وإما أن يتحقق بالانضواء. أما الاختلاف فعلاقة جامعة لعلاقات متباينة ومتنوعة في الوقت نفسه، إذ حدده الكاتب في: التضاد الحاد، التضاد المتدرج/ التضاد العكسي/ التضاد العمودي/ التضاد الامتدادي/ التضاد الدائري/ التضاد الرتبي/ التضاد الانتسابي/ التضاد الجزئي.

إذا كان أحمد مختار عمر قد لخص العلاقات التي تربط الكلمات داخل الحقل الدلالي في خمس علاقات، فإن الدكتور محمد علي الخولي جعلهما في علاقتين اثنتين، التشابه والاختلاف، بحيث تتضمن كل علاقة كبرى علاقات جزئية داخلها، فإذا تحدثنا عن العلاقة الأولى وجدناها متضمنة للترادف والانضواء. أما الثانية أي الاختلاف فيتضمن التضاد الحاد، التضاد المتدرج، التضاد العكسي، التضاد العمودي، التضاد الامتدادي، التضاد الدائري، التضاد الرتبي، التضاد الانتسابي والتضاد الجزئي، وهو

بهذا لم يختلف كثيرا عن تحديد صاحب علم الدلالة في تفصيله للتضاد الذي يوجد بين الكلمات، إذ تحدث عن أنواعه المختلفة مفصلا في ذلك تفصيلا كبيرا.

- تحديد ALAIN POLGUERE:[1]

لقد تناول الان بولجير في كتابه "lexicoligie et sémantique lexicale" العلاقات التي تربط الكلمات داخل الحقل المعجمي على النحو الآتي:

- **الاشتمال أو التضمن** Hyponymy: لقد أفاض الكاتب في توضيح هاته العلاقة كثيرا مستندا في ذلك على أمثلة متنوعة. فالتضمين حسب "الان بولجير" هو أن يتضمن اللكسيم (أ) اللكسيم (ب)، في الوقت الذي يكون فيه اللكسيم (ب) أعلى في التصنيف. ويشرح هذه العلاقة من خلال المثال التالي: اللكسيم "حيوان" يشتمل على اللكسيم الكلب، واللكسيم "كلب" إلى جانب ليكسيمات أخرى مثل: قط، حصان، جمل، قرش ... متضمنة للكسيم حيوان.(polguére, , p:182/183)
- **الترادف** Synonymie: علاقة معجمية تنقسم إلى نوعين اثنين؛ ترادف مطلق أو حقيقي، ثم الترادف التقريبي. ويؤكد alain polguére أن الترادف الأول يتحقق بنسبة ضئيلة جدا إذا ما قارناه بالترادف الثاني وهو الشائع حسب الكاتب، فجميع الكلمات المترادفة غير متطابقة في المعنى كليا، بل تتقارب في دلالاتها لا غير. ويمثل لذلك بالكلمتين التاليتين: الكراهية والنفور، بحيث لا يمكن اعتبارهما متطابقتين كليا في المعنى، فهما مترادفتان لا غير .(alain polguére, p: 184/185)
- التضاد antonymie: أن توجد كلمة مخالفة لكلمة أخرى في المعنى، ويقسمه الكاتب بدوره إلى قسمين: تضاد حقيقي (les antonymes exacts)، وتضاد تقريبي (les antonymes approximatif Voir. Ibid, p: 187/188/189.
- التباين conversivité:
- التجانس homonymie: يتحقق التجانس عندما نتستعمل لفظتين متفقتين في الحروف والأصوات لكنهما مختلفتين في المعنى. (Voir. Ibid, p: 191/192)
- تعدد المعاني polysémie: يعتبر تعدد المعاني آخر العلاقات التي تحدث عنها "الان بولجير"، وهي علاقة تنم عن وجود معاني كثيرة تشترك في عناصر متعددة.

حاولنا في هذا المحور جرد مختلف العلاقات التي تربط الكلمات بعضها ببعض داخل كل حقل معجمي على حدة، منطلقين في ذلك من آراء رواد هذه النظرية، الذين اهتموا بالحقول الدلالية في جملتها وتتبعها

1- نشير هنا إلى أن ما سيتم التطرق إليه في توضيح العلاقات الرابطة بين الكلمات داخل الحقل المعجمي سنعتمد فيه على تحديد "alain polguére" في كتابه "lexicoligie et sémantique lexicale"، كما نشير إلى أننا عدنا إلى هذا الكتاب وحاولنا ترجمة بعض أجزائه وهي ترجمة جد متواضعة، ومحاولة قد نصيب فيها قليلا ونخطئ كثيرا

تنظيرا وتطبيقا. الآن وبعد كل هذه الأسس النظرية التي توصلنا إليها، نتساءل عن الطريقة التي يمكن أن يسلكها المهتم بهذا الفرع الدلالي المتشعب في تصنيف الكلمات إلى حقول دلالية محددة؟

سنسعى في المحور الآتي إلى الإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحناها، من خلال محور عنوان "المنهجية المعتمدة في توزيع الكلمات على الحقول الدلالية"، معتمدين الطريقة نفسها التي سلكناها في محاور سابقة.

3- المنهجية المعتمدة في توزيع الكلمات على الحقول الدلالية:

إن تصنيف الكلمات وفق الحقول الدلالية التي تمثلها، لا تتم بشكل عشوائي، وإنما تخضع لجملة من الضوابط المتفق عليها، من أجل تيسير هذه العملية، وتوحيد طريقة اشتغالها بين الدارسين، دون ترك مجال للاجتهاد، الذي يؤدي إلى فهم نظرية الحقول فهما خاطئا، ونظرا لكل هذه الأسباب ارتأينا عرض خطوات توزيع الكلمات على الحقول كما يلي:

أ- "يجب أن نحدد الحقول الدلالية الرئيسة كخطوة أولى.

ب- بعد ذلك، يمكن تفريع الحقول الدلالية الرئيسة إلى حقول دلالية فرعية. مثلا، الإنسان ذكر أو أنثى، ثم كل منهما بالغ أو غير بالغ. مثال آخر: الأقارب تتفرع إلى فروع من جهة الأب وفروع من جهة الأم، ثم كل منهما يتفرع إلى ذكر وأنثى. مثال ثالث الأمراض يمكن تفريعها إلى أمراض الجهاز الهضمي وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الجهاز العصبي وأمراض الجهاز الدموي ... وهكذا.

ت- الآن، يصبح لدينا عدد محدود ومحصور من الحقول الدلالية الفرعية.

ث- بعد ذلك، نبدأ في توزيع الكلمات على الحقول الفرعية (وليس على الحقول الرئيسة).

ج- كل كلمة معجمية لا بد من توزيعها على حقل فرعي. وإذا تبين أن كلمة ما لا يناسبها أي حقل، فهذا يدل على قصور في عدد الحقول وأنواعها، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في تفريع الحقول.

ح- من المهم ملاحظة أن الكلمة الواحدة لا تنتمي إلا لحقل فرعي واحد، فلا يجوز أن تظهر الكلمة الواحدة في حقلين." (الخولي، 2001، ص: 179/178).

كانت هذه هي أبرز المراحل التي توصل إليها صاحب كتاب "علم الدلالة، علم المعنى"، لتيسير فهم نظرية الحقول الدلالية وتوزيع الكلمات إلى المجالات التي تمثلها.

4- قيمة النظرية:

لقد أجمل صاحب علم الدلالة مزايا النظرية فيما يأتي:

✓ الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات المنضوية تحت حقل من الحقول، وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها، وفي توضيحه لهذه المزية استشهد بقول Foundations of linguistics "المعاجم تضع كل فرد في المجموعة على حدة في مكانه الهجائي وتترك الرابطة بين المعاني المختفة. أما المنهج التحليلي فيوضح العلاقات بينها"(Semantic fields; p: 1)

يستفاد من هذا القول تمييز المؤلف بين المعاجم التي تقوم على ترتب الكلمات ترتيبا هجائيا، ومعجم المفاهيم الذي يبحث في العلاقات بين الكلمات، ليدرج كل كلمة منها مكانها الأساس.

- ✓ تجميع الكلمات داخل الحقل الدلالي وتوزيعها يُظْهِرْ فجوات معجمية كثيرة، ومنها الفجوة الوظيفية التي تظهر في الوقت الذي لا نجد كلمات مناسبة لشرح فكرة ما أو التعبير عن شيء ما.
- ✓ تجميع كلمات كثيرة في شكل مجموعات تخدم موضوعا من المواضيع؛ بحيث تؤدي كل كلمة منها دلالة معينة ترتبط بالموضوع العام في جزئية من جزئياته، مما يوفر للمتكلم أو الكاتب الكثير من الوقت في البحث عن الكلمات التي تخدمه في غرض من الأغراض.
- ✓ وضع مفردات اللغة في شكل تجمعي تركيبي ينفي عنها التسيب.
- ✓ الكشف عن العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها. ثم بيان الفروقات الواضحة بين اللغات بهذا الخصوص.
- ✓ تجاوز بعض مشكلات المعاجم التقليدية، كغياب التمييز بين الهومونيمي والبوليزيمي[1] . فالهومونيمي يقسم إلى مداخل بعدد كلماته، والبوليزيمي يوضع في مدخل واحد لأنه كلمة واحدة. فالكلمات المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة تعالج على أنها كلمات منفصلة (هومونيمي).

تمكن من دراسة نظام التصورات، والحضارة المادية والروحية السائدة، والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية. بالإضافة إلى أن دراسة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي هي دراسة للتغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة.

خاتمة

تأسيسا على ما سبق، نخلص إلى أن الحقول الدلالية من أهم المصطلحات اللسانية، التي خصصت لها بحوث كثيرة، ونالت حقها في الدراسة والبحث والتنقيب، وتم تتبع انتقالها من مجال معرفي إلى آخر، مع التركيز على خصائصها وأسسها على اختلافها. وقد حاولنا من خلال مداخلتنا تقريب هذا المفهوم من

---

[1]- وهو وجود كلمتين أو أكثر متشابهتين في الصورة اللفظية ومختلفتين في الأصل وفي المعاني، ولا وجود لعلاقة دلالية واضحة بين معانيهما. مثل: جَدّ: "أبو أحد الوالدين،" والجد "الحظ،" والجدّ "وجه الأرض،" والجدُّ "القطع" والجدّ "البئر الجزَيِّدَةُ الموضع من الكلأ." والمتأمل في هذه المعاني لا يجد علاقة دلالية واضحة بين هذه المعاني يمكن للمتكلم العادي أن يلحظها، فهي كلمات مختلفة تشابهت في ألفاظها وليست كلمة واحدة لها معان مختلفة كالعين مثلاً من الاشتراك البوليسيمي؛ لذا يجب تكرار كتابة هذه الكلمات مع كل معنى من معانيها. أما عين فلا تُكرر لأنها كلمة واحدة لها معانٍ مختلفة، وهذا هو الفرق بين الاشتراك البوليسيمي والاشتراك الهومونيمي. نقلا عن الموقع التالي:
http://www.angelfire.com/tx4/lisan/fiqhlughah/homonymy.htm

1 انظر الفصل المتعلق بالمشترك اللفظي في الباب الثاني من الكتاب، من أجل التوسع أكثر في بيان الفروقات الواضحة بين المصطلحين؛ الهومونيمي والبوليزيمي

القارئ، وتوضيح العناصر الأساسية المرتبطة به، ليتم التعامل معه بطريقة واعية تستحضر شروط توظيفه التوظيف الحسن.

ورغم محاولاتنا في التطرق إلى خصائص هذا المصطلح المتشعب، فإن دراستنا تبقى سطحية، لأنها لم تتعمق في دراسته، دراسة متنوعة تتبع انتقالاته من مجال إلى آخر وتقف عند التغيرات التي تلحقه، والمبادئ التي يظل وفيا لها.

وهو ما سنحاول البحث فيه في دراساتنا القادمة التي تهتم بالبحث في جذور هذه النظرية، وتتبعها من حقل إلى آخر.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- ابن منظور محمد، لسان العرب، (دلل) (399/1) وما بعدها، دار الحديث، 2006م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط 5، سنة 1998، عالم الكتب (القاهرة).
- صالح العلي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، الرياض، غرة محرم الحرام، 1401ه
- صالح بلعيد، المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة 19، معجم إلكتروني، تاريخ الإضافة 2010/12/02.
- محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 2001.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986.
- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، ط1، 2002، عمان.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، ط2، 1989، بيروت.
- محمد خالد الفجر، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلة محكمة فصلية، 2012، ج 1، المجلد 87، مقال بعنوان "نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها.

المراجع الأجنبية:

- Voir G.MOUNIN, DICTIONNAIRE DE LINGUISTIQUE.
- exicoligie et sémantique lexicale, notions fondamentales, alain polguére, troisième édition, les presses de l'université de montréal, 2016.

الغناء الشعبي بمنطقة الغرب: دراسة سيميائية لأغنية "الغابة" أنموذجا.

Folk singing in the west region study semiotic of the «jungle» theme song

بوعزة الخلقي

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي وباحث بمختبر الديداكتيك واللغات والمسرح، كلية اللغات والآداب والفنون بجامعة ابن طفيل- القنيطرة، المغرب.

البريد الالكتروني: khalikibouazza@gmail.com

حنان المنوني

أستاذة التعليم الثانوي التأهيلي وباحثة بمختبر الديداكتيك واللغات والمسرح، كلية اللغات والآداب والفنون بجامعة ابن طفيل- القنيطرة، المغرب.

البريد الالكتروني:hananelmanouny@gmail.com

ملخص البحث:

سندرس في هذه الورقة البحثية الغناء الشعبي بمنطقة الغرب، من خلال تحليل "أغنية الغابة" بهدف اكتشاف الأبعاد السيميائية ودلالاتها المتوارية خلف هذا النمط الفني الأصيل التي تختص بها منطقة البحث من أجل الوقوف عند النسق الثقافي.

الكلمات المفتاحية: الغناء الشعبي، دراسة سيميائية، الفرجة، الدعاء.

Abstract:

In this paper, we will study folk singing in the west by analyzing the song of the «jungle» with a view to discovering the semiotic dimensions and their connotations behind this original artistic pattern of research area in order to determine the culture pattern.

Keywords: Folk singing, semiotic study، joy, prayer.

مقدمة:

يعكس الغناء الشعبي الأصيل النسق الثقافي والقيمي لمنطقة الغرب الذي يحمل بين ثناياه مجموعة من الأشكال التعبيرية والفرجوية والدينية والفنية جعلت من هذا المكون الفني في النسق الثقافي الغرباوي يتسم بالانفتاح والاستمرار والاحتواء.

تلعب الأغنية الشعبية بمنطقة الغرب مجموعة من الأدوار والمهام، نظرا لقدرتها القوية على العيش في أحضان المجتمع من جهة أولى، ولكونها تشكل متنفسا عاطفيا ووجدانيا يسهم في الترويح عن النفس من جهة ثانية، لذلك فهي تضطلع بأدوار مهمة في حياة الفرد والمجتمع، يقول إدريس كرم: "وتتميز بأنها غير خاضعة لسيطرة فرد أو فئة معينة، وإنما هي ملك للجميع، وفي متناول الجميع، ولعل الطابع الشيوعي لها هو الذي نوعها وجعل لها مجالات مختلفة " (إدريس كرم: 2004م، ص:26).

إن تهميش منظومة القيم في قراءة "النصوص الشفهية"، لا يعني عدم أهمية زاوية "القيم"بل إنها تعد من الزوايا المهمة في فهم اشتغال مختلف أشكال الأدب الشعبي باعتبارها أشكالا تعبيرية يتم تناقلها بين أفراد المجتمع شفهيا، الأمر الذي جعلها تتسم بطابع الانفتاح والاستمرار، هذا الأمر سيفرض علينا الوقوف عند محطتين هامتين، محطة أولى سنحدد فيها ماهية الأغنية الشعبية الغرباوية وبنيتها ومحطة ثانية سنكشف فيها اللثام عن أغنية "الغابة" بتحليلها اعتمادا على مايمنحه لنا المنهج السيميائي من أدوات للمقاربة والتأويل.

مشكلة البحث والفرضية:

تنطلق هذه الورقة البحثية من إشكالية في غاية الأهمية مؤداها: إلى أي حد ساهم "الغناء الشعبي" في تشكيل النسق الثقافي بمنطقة الغرب بالمغرب؟

الدراسات السابقة:

شكل موضوع الأغاني الشعية موضوعا لمجموعة من المؤلفات والمقالات والبحوث والأطاريح منها أطروحة حسن نجمي الموسومة ب:"غناء العيطة: الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب"، ومقال لنفس الكاتب تحت عنوان: "غناء العيطة: مدخل إلى شعر شفوي وموسيقى تقليدية"، وكتاب بوسلهام الكط: "من وحي التراث الغرباوي"، وكتاب إدريس كرم "الأدب الشعبي بالمغرب".

استنادا إلى ما سبق، يمكن القول إن مقاربة الغناء الشعبي تمت من زوايا سياقية ونصية، بينما النظر السيميائي إلى الغناء الغرباوي لم يتم الالتفات إليه إلا إلماما، وهذا الاستدراك هو الذي سعينا إليه في هذا البحث.

المنهجية:

أما فيما يخص المنهج المعتمد في هذا البحث، فقد تم الاستناد إلى المنهج السيميائي في قراءة أغنية "الغابة"، دون أن يعني ذلك الاكتفاء بهذه الزاوية، بل انفتحنا على المنهج التاريخي، ولبلوغ هذا المسعى، سعينا في هذه الورقة البحثية، للكشف عن دلالات الغناء الشعبي من خلال نموذج أغنية "الغابة"، في أبعادها الفنية والفرجوية والدينية.

1- الأغاني الشعبية بمنطقة الغرب:المفهوم والتصنيف:

تصنف الأغاني الشعبية ضمن دائرة الفنون الشعبية، لأنها تمزج بين الكلمة والإيقاع، غير أن إدراج الأغاني الشعبية ضمن أشكال الأدب الشعبي هنا، استدعته ضرورة الوقوف على النصوص دون الوقوف على الإيقاع والموسيقى، لهذا السبب اعتبرنا الأغاني الشعبية " عموما من أكثر عناصر التراث الشعبي التي أتبث بشكل واضح العلاقة بين الثقافة الراقية (أو الرسمية) والثقافة الشعبية"(محمد الجوهري، 1979م، ص:44)، والسبب هو أنها ترتبط بحياة الفرد في كل أوقاته. فالأغنية الشعبية "تنبع من الشعب وتخضع لما تخضع له أشكال التعبير الأخرى، من تطوير أو تغيير في المحتوى"(نبيلة ابراهيم: د.ت، ص:244)، وهي بذلك تقوم بوظائف التسلية والترويح عن النفس، إنها شكل تعبيري شائع في معظم الثقافات، يستخدم الكلمة والموسيقى في آن معا.

فإذا كان البعض لا ينصت أو لا يشارك في نوع من الغناء بحكم المكانة أو السن، فإنه لا ينفيه كلية خاصة إذا كان في مناسبته، وهذا ما جعلنا نأخذ النصوص مجتمعة في إطار تظافري، ليتسنى لنا الحصول على رؤية متكاملة عن كل السكان في أوضاعهم العامة، أكانوا أطفالا أم شبانا أو رجالا ونساء، كهولا وعجائز.

ذهب الأستاذ حسن نجمي في كتابه الموسوم بغناء العيطة الى التعريف التالي: "إن العيطة فن بالأساس، فن شعري وفن موسيقي"(حسن نجمي، 2007، ص:30) ، وعلى ضوء هذا التحديد يمكن القول إن انتشار هذا النمط الغنائي في منطقة الغرب ارتبطت بمجموعة من العوامل منها أساسا انتشار أجهزة الراديو، والأشرطة التسجليلية "الكاسيط"، إضافة الى انتشار الفرق الغنائية المتجولة.

استطاعت العيطة كشعر شفوي وكموسيقى تقليدية أن تحقق انتشارا كاسحا ومبهرا، بفضل ما تضمه من مقومات، أجملها الأستاذ نجمي في: "نصها الشعري والموسيقي والجسدي"(حسن نجمي، 2005م، ص:100)، وأيضا لأن هناك استعدادا لدى الجمهور، بمعنى أن لديه حاجة إلى هذا النوع من "الشعر الشعبي الشفوي، وهذه الموسيقى التقليدية وهذا الأداء الجسدي الفاتن"(حسن نجمي، 2005 م، ص:100).

ومن النماذج العيطية، نورد "حبة من حبات العيطة":

- **"الرَجَل اعْطَاوْنِي اخْبَارُو**

فِي الحَرْكَة مَاتْ
لَهْلاَ يَجْعَلْهَا له رَكْدَاتْ" (حسن نجمي، 2007، ص:30).

تفرعت العيوط إلى مجموعة من الأنواع تبعا للمناطق التي قيلت غنيت فيها منها على سبيل الذكر لا الحصر العيطة المرساوية والعيطة الحصباوية والعيطة الجبلية وغيرها كثير، وضمن هذه الذائرة وجدنا "النصوص العيطية" الغرباوية شكلا من أشكال الأدب الشعبي، ومن النصوص المهمة التي اشتهرت بها المنطقة، "عيطة الغابة":

- "مَالْ الغَابَة مَقَلْقَة؟
مَنْ حَر المْنْشَار خَايْفَة
وَتْقُول: أوْلاَدِي وَسْخَيْتُو بِيَّا".

في هذا النص تحضر "الغابة" كمجال حاضن للسلوك البشري، بكل عناصره الحيوانية والطبيعية والانسانية، وهنا تساءل الغابة الأبناء، لماذا تخلوا عنها، وبكاؤها على الفراق، بسبب جريمة الابادة التي تتعرض لها على يد آلة "المنشار" الفتاكة، هذه الصورة المجازية، التي انتقلت فيها الغابة من جماد أبكم، الى كائن حي ناطق، وله احساس وجداني وعاطفي رهف، تؤشر على العلاقة القوية التي تربط الإنسان الغرباوي بالمجال والمحيط الذي يعيش فيه.

2- مكانة فئة "اعبيدات الرمى" في سلم القبيلة بمنطقة الغرب:

تتشكل القبيلة بمنطقة الغرب من مجموعة من المراتب يتدرج أفراد القبيلة في مدارجها، يبدأ الهرم بقاعدة الشباب التي تدعى فئة "لَمْتَارَفْ" وبعدها فئة عبيد الرماة "عَبيداتْ رْمَى ثم الرماة فالشيوخ وهي الفئة الأعلى في القبيلة وهي بمثابة مؤسسة تقليدية تضطلع بمجموعة من الوظائف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية.

تضطلع فئة اعبيدات الرمى بمجموعة من الوظائف منها مصاحبة الرماة للترفيه في الصيد والأفراح والتحفيز في الغزوات والحروب ورغم التحولات التي عرفتها المنطقة فإنها حافظت على دورها في ترسيخ القيم المتوارثة في النسق الثقافي بمنطقة الغرب، لهذا تم اختزال دور هذه الفئة في العروض التي يمكن توزيعها على الشكل التالي:

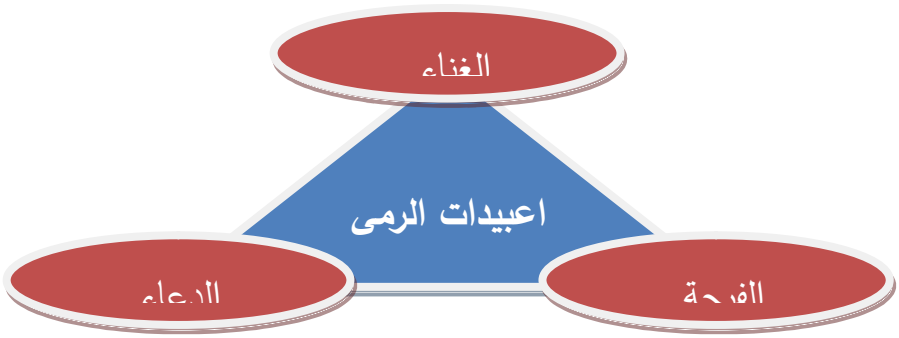

2-1 الغناء الشعبي: على اعتبار أن مكان الغابة هو الفضاء الحاضن، فقد أنتجت حوله مجموعة من الأغاني أشهرها "أغنية الغابة"، التي تقول:

- "مَال الغَابَة مَقَلْقَة؟
مَنْ حَر المَنْشَار خَايْفَة
وَتْغَوَت أوْلاَدِي، واسْخَيْتُوا بِيَّا".

لا يمكن الحديث عن اعبيدات الرمى بمنطقة الغرب دون الحديث عن الارتباط العضوي والجدلي بين المجال والثقافة، الذي نجم عنه "أغنية الغابة" التي تحمل دلالات لصيقة بالغابة كمجال، والأغنية في حقيقة الامر تعكس نظرة الرامي الى الغابة كمكان للعيش والصيد والترفيه والحياة والموت، تجاوزت التفاصيل الحياتية البسيطة لتصبح فضاء للعيش المشترك، الذي أنتجت حوله مجموعة من الأهازيج والأزجال المعبرة عن ذاتية السارد الشعبي في علاقته المتينة والقوية بموضوع الغابة.

تؤدى "أغنية الغابة" بطريقة موسيقية تكسبها الكثير من الجمالية، بفعل امتزاج أصوات مجموعة من الوسائل الموسيقية، والذين يكونون "فرقة موسيقية بدوية في غالب الأحيان تتوفر على عازف على الكمان وضارب على المقص وضاربين على البندير والتعريجة وآخرين بالأيادي" (بوسلهام الكط، 1999م، ص: 37).

تعتبر"أغنية الغابة" إبدعا شعبيا بدويا أصيلا، يدل على مدى خصوبة الذاكرة الشعبية وقدرتها على الوصف والتصوير والنقد الساخر، ومن خلال تسليط الضوء على كلمات "أغنية الغابة" نجدها تنطلق بحوار المغني (النظَّام) مع ذاته أولا حيث يسألها عن سبب قلق الغابة، بعدها مباشرة يبدأ في عملية سرد أسباب قلق وغضب الغابة، لينهي الأغنية بشجنه وولعه وهيامه بالغابة.

يختلط في هذه الأغنية السرد بالوصف والحكي، حيث نجد في بعض المقاطع من أقصيدة الغابة ما يعبر عما قلناه:

- "أمِي كَلْبِي، وَأمِي دَادَه
أوَرِيني وَحْشَك هَا الغَابَة

مَنْ حَرْ المَنْشَار خَايْفَة
أوتكُول ايَا رَمَاتِي اسْخِيتُوا بِيَّا".

2-2 الفرجة: يتخلل غناء اعبيدات الرمى عروضا فرجوية مستوحاة من الواقع الغرباوي، وتعكس في مجملها الثنائيات المتسارعة في المنطقة: [الرجل البدوي # الرجل المديني]، و[المرأة الحاذق # المرأة الخامل]، و[البادية # المدينة]، و[الجيل القديم # الجيل الراهن].

تعكس هذه الفرجات الشعبية الواقع البدوي الغرباوي بكل تفاصيلة المختلفة ومشاكله المتنوعة، منها على سبيل الذكر أغنية "خَالْتِي الضَاوية" التي تصور مراحل حمل المرأة، بطريقة تعبيرية ساخرة، يحاكي فيها الرجل المرأة الحامل، يردتي فستانا نسويا ويضع على رأسه رداءا ابيضا "سَبْنِيَّة"، ويحشو بطنه بالثياب فيظهر على شكل امرأة، ويعمد أثناء الأغنية الى الرقص وتقليد المرأة في ايماءاتها وحركاتها الجسدية والصوتية، ويدخل في محاورة غنائية مرفوقة بالعزف، حيث يسأل أفراد فرقة اعبيدات الرمى المرأة الحامل عبر لازمة تتكرر في جميع مقاطع الأغنية:

- **"خالتي الضاوية؟"**

وتجيب المرأة الحامل:

-" **أمِيمْتي جَانِي لَوْجَع".**

وتستمر الأغنية واصفة مشاهد من الشهر الأول والثاني الى أن تصل المرأة الى الإنجاب، ولعل نبش الفرقة في طابوهات المنطقة وتشخيصها أمام القبيلة بطريقة ساخرة، مساهمة فنية في معالجة العديد من السلوكات الخاطئة، منها على سبيل الذكر لا الحصر قضية حمل المرأة التي تشهد تغير في سلوك المرأة بسبب المؤثرات الطبيعية، هذا الأمر يتسبب في ارتفاع نسب الطلاق بسبب عدم فهم طبيعة هذا التحول الهرموني من قبل المرأة والرجل معا، والأغنية بطريقة كاريكاتورية تصور حالة المرأة بشكل ساخر، لتسلط الضوء على سلوكها المتحول في هذه الفترة بطريقة ساخرة، وفي هذه الفرجة الشعبية رسالة تعليمية صريحة، وجب على الرجل فهم التغير الذي يسمى في المنطقة "بِلَوْحَم"، بينما على المرأة هي الأخرى عدم المبالغة في التدلل والبحث عن المواجهة مع الرجل.

من هنا يمكن القول أن "عبيدات الرمى" مزجوا بين الغناء الشعبي والمسرح الشعبي البسيط الذي وصفه بوسلهام الكط: "بالمسرح الفكاهي الهزلي، الذي لا يخلو من جدية ونقد، لما يعانيه الناس في المجتمع البدوي، الذي أصبح في حاجة ماسة إلى مثل هذه الفرق الشعبية الهزلية والساخرة والناقدة"(بوسلهام الكط، 1999، ص:38).

3-2 الدعاء: تنهل "أغنية الغابة" مجموعة من موضوعاتها من حقلي المعتقدات الشعبية والدين، ويظهر هذا الأمر جليا حين يلجأ النظام الى استحضار الأولياء والصالحين، وهذا ملمح من ملامح التفكير والاعتقاد

السائد بمنطقة الغرب، الذي يعتبر التبرك وزيارة الأضرحة، من الأمور الغيبية التي تستوجبها الحياة لمواجهة المرض والفقر والحاجة، لهذا السبب كان الإنسان الغرباوي يلجأ الى الأولياء والصالحين طلبا لليُسر والرخاء والسعادة وإنجاب الذكور والخير العميم والمحصول الوفير، ومن تجليات هذا المعتقد الذي يستند الى هذه القوة الخفية، نجد المقطع التالي:

- **"أُو سِيدي جَلُولْ الحَبِيبْ**
واللِي زَارَكْ مَايْخِيبْ
وَاللِي حَك عَلِيك،
مَادَار مَزِيَة".

يتم التوجه في الأغنية الشعبية الى الأولياء والصالحين نحو: "مولاي ادريس، مولاي قبتين، سيدي يحي بنمنصور، سيدي جلول.."، وقد يستبدل اسم الولي غير أن الإطار العام للأغنية لا يتغير، غي أن الثابت في عروض اعبيدات الرمى يتمثل في الدعاء الذي يستدمج مجموعة من التمثلات التي تستحضر: الله سبحانه وتعالي، والوالدين، والأولياء والصالحين والشرفاء، يمكن التمثيل لها بالنماذج التالية:

النموذج	الدعاء/ المتن	الإستحضار
- النموذج الأول	- "ابْغَيْنَا رَبِي يوْقَفْ مَعَاك".	- الله سبحانه وتعالى.
- النموذج الثاني	- "رَضَاة وَالِديك تَوَقَف مَعَاك".	- الوالدين.
- النموذج الثالث	- "سِير، فِي مَاحَطِيتِي يَدَك تَرْبَحَ".	- بركة الشرفاء.
- النموذج الرابع	- "ابْغِيت مَوْلاَي ادْرِيس يَوْقَف مَعَاك".	- الأولياء والصالحين.

يمزج "عبيدات الرمى" بين الغناء الشعبي والفرجة، من خلال رسم مجموعة من الصور الحياتية بوسائل محلية بسيطة، يتم التطرق فيها الى التناقضات الصارخة والثنائيات المتسارعة في الحقل البدوي، فإذا كانت "أغنية الغابة" منبثقة من المجال، فإن العروض الهزلية التي تروم السخرية ونقد الواقع المعيش في مختلف مناحيه الحياتية مستوحاة من الواقع لهذا السبب سنوم بقراءة نموذج غنائي -من الغرب المغربي- في ضوء التحليل السيمائي.

3- المتن الشفهي لأغنية "الغابة":

3-1 المقطع الأول:

- **"جِيتَك على الغَابة**

آجِي على الغَابَـة".

3-2 المقطع الثاني:

- "الغابة فيها الذْيَاب
الغابة فِيها اغـــرَابْ
فِيها ارْمَاتي يالغابة".

3-3 المقطع الثالث:

- "نَبْكِي على الغَابة
تَبْقَاي بْخَيْر الغابة
الغـــابة الـــــعَزيزَة
العزيزة زينت العشوب
الغـــــابة زِينَة الاسْم".

3-4 المقطع الرابع:

-"طَلِيتْ على الوَادي
آسيدي ذاك الوادي".

3-5 المقطع الخامس:

-"حَيَحْنا فِي الشْعابْ لَحُومَرْ
حَيَحْنَا فِي الدْرِينَة
وفي الضاية الحايلة
حيحنا في كَعْبُوسْ
مَنْ دِيزا لْدِيزا
الضَاية العَوِيجَة".

3-6 المقطع السادس:

-"لَوحشْ مَا يَخْطَاش
فَكَرْت فِي جْوَادِي
بِالسْلاكْ أوصَيدْ الخَيل
فِيه القَينَا لْوَحشْ".

سنخصص هذا الجزء لدراسة وتحليل بعض مقاطع وأشطر أغنية "الغابة" التي تندرج ضمن موضوع الأغنية الشعبية الغرباوية معتمدين في ذلك على كل ما يوفره لنا المنهج السيميائي من أدوات التحليل وفق الثلاثانية التي اقترحها بورس.

4_ قراءة في مضمون الأغنية وعنوانها:

4-1 الموضوع: يدور هذا النص الشفهي حول إطار جغرافي هو "الغابة" مع تحديد أبرز مواصفاتها بالتركيز على بعض مكوناتها: "الاسم"، "اغراب"، "العشوب"، "الوحش"، "الذياب"؛ لكن عند مساءلة اللفظ في مدلوله الاجتماعي، نجد له دلالات تعني أن الغابة هي ملجأ آمن قد يلجأ إليه الإنسان.

4-2: سيميائية العنوان: لا يوجد للنص الشفهي عموما عنوان قار، لكن للأغنية اسم معروف ب: "الغابة" والاسم يدل على الموضوع؛ لأنه يخص الرماة في علاقتهم بالغابة من بداية النص إلى نهايته.

اللفظ	المؤولة 1	المؤولة 2	المؤولة 3
الغابة	إطار مجالي	مكان طبيعي أخضر تجدد فيه طاقة الإنسان يبعث على الراحة والهدوء.	مستقر يبعث على التفاؤل والاستمتاع بعناصر الطبيعة.

4-3 سيميائية التلقي:

_ المرسل: ⟸ مؤدي النص ⟸ يؤدى النص بشكل جماعي من طرف "عبيدات الرمى"، حيث يجتمع ثلة من المغنيين والراقصين بلباس تقليدي مرددين عبارات من الشعر المحلي "الغرباوي" المندرج ضمن الأغنية الشعبية "الغابة".

_ الرسالة: ⟸ الأغنية بمضامينها الأساسية.

_ المرسل إليه : ⟸ المتلقي

5_ التحليل السيميائي لنص "الغابة":

5_1: المستوى التركيبي:

5_1_1: النسق الفعلي: سندرس في هذا المستوى بنية الضمائر والأفعال داخل النص، رغم أنه خطاب يندرج ضمن الأدب الشعبي ويستخدم اللغة العامية.

5_1_1_1: بنية الضمائر:

المتكلم	(جيتك، نبكي، طليت، حيحنا، فكرت، لقينا،...).
المخاطب	(أجي، تبقاي بخير، ...).
الغائب	(الغابة، الغابة العزيزة، الوادي، الضاية الحيلة، الضاية العويجة، لوحش،.....).

في هذه الأغنية لم يتم ذكر الضمائر بشكل صريح، وماذكرناه في الجدول يخفي وراءه الضمائر الثلاثة المتكلم والغائب والمخاطب، فصحيح أن بنية الضمائر قد تدخل ضمن البنية السطحية، لكن بالتحليل والتعمق يمكن أن نكون تصورا كاملا عن النص، فبعد جرد للضمائر، يتبين لنا هيمنة ضمير الغائب بشكل كبير، وهذا يتناسب مع طبيعة الموضوع الذي تمثله الأغنية والذي يتجلى في الحديث عن الغابة ووصف أهم مكوناتها.

5_1_2_1: بنية الأفعال: في هذا المكون تحضر الأفعال التي تحيلنا على زمني الماضي(حيحنا في الشعاب، حيحنا في الدرينة، حيحنا في كعبوس، طليت على الوادي) والمضارع (جيتك، نبكي، تبقاي بخير....) معا. والنص يضم زمنين متقابلين، إذ يروي صاحب النص الشفهي في البداية أحداث تهم اللحظة الآنية، في حين يصف لنا كل ماوقع في الماضي وما ماقام به "عبيدات الرمى" من رقص وغناء وطقوس احتفالية في الغابة.

5_1_2: النسق الجملي: في هذا المستوى تمت المزاوجة بين الجمل الفعلية (جيتك على الغابة، نبكي على الغابة..) والجمل الاسمية (الغابة فيها الذباب، الغابة فيها اغراب...) لكن الغلبة كانت للجمل الفعلية؛ لأن "عبيدات الرمى" يصفون بواسطتها كل الأفعال التي يقومون بها داخل الغابة من رقص وصيد وغناء بإعلان ثورة على سكون الغابة وسلامها، بالطقوس الاحتفالية التي تبعث على الحركة والنشاط المستمر في الغابة.

كما نجد بعض التراكيب التي لم يتم الالتزام فيها بالتركيب النموذجي، وحققت بذلك انزياحا عن قواعد وضوابط التركيب:

_ "في الضاية الحايلة"؛

_ "فيه لقينا لوحش"؛

_ "فيها الرماتي بالغابة".

إذ جاء حرف جر متقدما في الجملة، وقد تم تكراره بسياقات مختلفة:(على، ل، في ..) لكي يكون هناك تجانس وإيقاع على مستوى الوزن.

5_1_3: العلامة النوعية: يعرفها سعيد بنكراد بقوله: "تحدد العلامة النوعية عند بورس من خلال خاصيتها كنوعية أوإحساس عام إنها تشتغل كعلامة ولايمكنها أن تشتغل كعلامة قبل أن تتجسد في واقعة ما"(سعيد بنكراد، 2005م، ص:110)، فهذه العلامة في طبيعتها هي إحساس، لكن هذا الإحساس محكوم بالطابع العام، وتشتغل بشرط أن تتجسد في الواقع، ومن هذا "فإن الإحساس الغامض الذي يستحوذ علينا ولانستطيع تحديد مصدره يشكل في عرف بورس علامة نوعية"(سعيد بنكراد، 2005م، ص:111) والإحساس الذي تشعر به وأنت تستمع لهذا النوع من الأغاني هو من نوع خاص يتجلى في تقديم عبيدات الرمى، للغابة كمكان يحيل على الراحة والتواصل الاجتماعيين مابين هذا الفضاء والفرد بصفة عامة. (الغابة صديق وونيس).

5_1_4: العلامة المفردة: هي حدث موجود في شكل علامة "(...) الأمر يتعلق بعلامة مختلفة اختلافا جذريا عن العلامة السابقة، فالأولى عامة والثانية خاصة، والأولى إمكان والثانية تحقق، الأولى لا حد لها ولا فاصل، أما الثانية فمحددة في الزمان والمكان"(سعيد بنكراد، 2005م، ص:113)، فهذه العلامة يطبعها طابع الخصوصية، والتحقق ويكون وقتها الزمني محددا، خاصة بالفرد وليس بالجماعة، كما في العلامة النوعية، وبذلك فالفرد من داخل عبيدات يوحي ويعطي شعورا للآخر بالراحة النفسية والاستمتاع، ومن ينظر إليه وهو يغني ويردد يحس بأنه فرح. يتحقق هذا الإحساس لكل فرد من داخل "جماعة الرمى"، إذا كان من محبي الغناء والرقص والطقوس الاحتفالية إضافة إلى الصيد. وهنا يستطيع بعث رسائل يوضح فيها أشياء محددة تتجلى في الصراع الذي يجري بينه وبين الوحش من جهة والاستمتاع من جهة أخرى أثناء الاحتفالية. والناس من حوله قد فهموا وأدركوا المتناقضات التي يعيشوها أفراد "الرمى" بين صراع بطولي واحتفال مع الطبيعة، بمعنى الجمع بين المغامرة والمتعة.

5_1_5: العلامة المعيارية: هي عبارة عن مبدأ عام يشتغل في شكل علامة: "فكل ما يشتغل كقاعدة معترف بها جماعيا يشتغل كعلامة معيارية" فتكون بذلك أنساق الكتابة الخاضعة لقواعد الصرف والنحو علامات معيارية، لأنها قد تمت عن طريق اتفاق جماعة من الناس.

وهناك تراكيب معينة موجودة في الأغنية تلتزم بالتركيب النموذجي، إذ اعتمدت الفعل في مقدمة الجملة.

5_2: المستوى الدلالي:

5_2_1: معجمية النص: المعجم في النص الإبداعي هو السمة الأساسية التي تنقل الخطاب من خطاب نفعي إعلامي، إلى خطاب فني تأثيري، " فالمعجم متطور لتطور الزمان والعلم (...) وكذا الشعر فإنه له أغراضا متعددة، وكل غرض يفترض وجود ألفاظ معينة، حيث تركب نوعا من التماكن والانسجام" (محمد مفتاح، 1989م، ص:56) فالغرض الذي يؤسس له هذا النص هو وصف الطبيعة "الغابة".

ولهذا المعجم ثلاثة حقول دلالية:

المؤدي "عبيدات الرمى"	الطبيعة	الغابة
(جيتك، أجي، نبكي طليت،حيحنا، ارماتي، صيد،..).	(الغابة، الوادي، الشعاب الحومر، الدرينة، الضاية الحايلة، الضاية العويجة،...).	(الغابة، العزيزة الغابة، زينت العشوب، زينت الاسم، الذياب، اغراب، لوحش،...).

بما أن الإطار الجغرافي الذي تدور فيه أجواء الغناء والاحتفال هو الغابة، فالمعجم جاء غنيا بمختلف الألفاظ التي تدل على هذا الفضاء الطبيعي.

5_2_2: الأيقون: يشبه الموضوع الذي يمثله "إن الإحالة في حالة الأيقون قائمة على التشابه، وهذا مايقوله بورس"(سعيد بنكراد، 2005م، ص:116) فالصورة التي تم رسمها للغابة ولمختلف طقوس عبيدات تمثل أيقونا بالنسبة للغابة الحقيقية، لأن "عبيدات الرمى" أثناء نظمهم لهذا النص انطلقوا من الواقع باعتماد وصف يقربنا من مميزات ومكونات الغابة، وهذا ربما يذكرنا بالمسرح حيث تعد الشخصية التي يتقمصها الممثل أيقونا بالنسبة له، "فقد يكون أي شيء أيقونه لأي شيء آخر، سواء كان الشيء صفة أوكائنا أوفردا أوقانونا بمجرد أن يشبه هذا الشيء علامة له"(سيزا قاسم، 1987م، ص:92).

5_2_3:الأمارة: الأمارة تنسج علاقة مباشرة أو ملاصقة مع موضوعها، كالدخان الذي هو أمارة على وجود النار، فهي علامة "تثير انتباهك إلى وجود شيء ما، عبر دافع ما"(سعيد بنكراد:2005م، ص:119) ، وبهذا المعنى فهي علامة تخفي وراءها شيئا أوحدثا معينا، و"تكون العلاقة بين الدال والمدلول سببية منطقية"(سيزا قاسم، 1987م، ص:80).

الأمارة الأولى: تغني عبيدات الرمى بالغابة والبكاء عليها مع توديعها بحنين وشوق أمارة على حبهم لهذا الفضاء وتواصلهم معه نفسيا وروحيا.

الأمارة الثانية: التواصل الوجداني لأفراد "عبيدات الرمى" مع الغابة أمارة على أنها وسيلة من وسائل التطهير والتنفيس الوجداني بالنسبة لهم.

5_2_4: الرمز: يحيل إلى موضوعه بفضل قانون أوأفكار عامة مشتركة، "(...) والرمز لايمكن أن يكون رمزا إلا إذا كان تكثيفا لسلسلة من النسخ السلوكية المتحققة، فلايمكن للنسخة المفردة أن تكون رمزا ولايمكن أن يؤدي السلوك الفردي إلى إنتاج رمز"(سعيد بنكراد: 2005م، ص:121-122)، فالرمز يحظى إذن بطابع عام تصادق عليه الجماعة.

_ **الغابة:** رمز حيوي للقدرة التجديدية التي تتميز بها،لأن فيها كل شيء طبيعي، يحتفظ بطاقة إيجابية متجددة مقدسة عن طريق الكائنات والنباتات التي تتجدد فيها بشكل يومي، فهي رمز السلام والخضرة والسكون.

العلامة	المؤولة 1	المؤولة 2	المؤولة 3
_ الغابة	فضاء مفتوح يتكون من التضاريس والجبال والمنخفضات، وتوجد بها نباتات وأعشاب وحيوانات، وتختلف فيها أنواع الأشجار بحسب المناخ والتربة الارتفاع وموارد المياه.	مكان فيه مجموعة من الصفات والمميزات الجميلة الموجودة فيها.	تضم ثنائية الخير والشر، ويتجسد عن طريقها صراع بين الوحش والصياد.

5_3: المستوى التداولي:

5_3_1: الخبر: يقدم لنا معلومة أولية بواسطة العلامة التي يمثلها إذ " (...) الأمر يتعلق بالبرهنة في حالتها الدنيا، مادام الخبر يقتصر على ماتقدمه العلامة، فإنه لايوفر معلومات للتأويل؛ ولكنه فقط يشير إلى العناصر الأولية التي تتوفر عليها العلامة"(سعيد بنكراد: 2005م، ص: 123).

وسنتبين الخبر، ونحصل على معلومات أولية دون تأويلها، بعد مساءلة النص بشكل مباشر:

"عبيدات الرمى"	الغابة
_ المجيء للغابة ووصف مابها من حيوانات ورماة. _ الحب الذي يكنه عبيدات الرمى للغابة ومختلف عناصرها الطبيعية. _حوار مع المجال الطبيعي، وبناء جسر مع هذا المحيط بحثا عن المغامرة والاستمتاع. تكسير سلام الغابة وسكونها الدائم عن طريق الطقوس الاحتفالية.	_ تعد الغابة هي العنصر المسؤول عن سعادة عبيدات الرمى،لأنها توفر لهما مكانا يعج بالطاقة الإيجابية والسلام الممزوج بالحركية. _ تسمح الغابة كفضاء كبير ومفتوح بإقامة عبيدات الرمى لطقوسهم الاحتفالية وممارسة هوايتهم المعروفة وهي الصيد. _ تضم الغابة فضاءات طبيعية مختلفة يستأنس بها عبيدات الرمى.

من خلال ماتم ذكره نجد أن المواصفات التي أعطيت للغابة ترتبط بالصراع مع الطبيعة بالصيد كما ترتبط بأجواء الاحتفال والرقص والغناء.

5_3_2: التصديق: لا يمكننا أن نتحدث عن العلامة التصديقية، إن لم نقم بتحديد الموضوع أولا، والذي هو عبيدات الرمى في علاقتهم بالطبيعة (الغابة)، فالتصديق يبنى أساسا على عنصر التأويل باعتباره إحدى أهم ركائز المنهج السيميائي، ويتحدد بواسطة الكشف عن الدلالة التي أراداها المؤلف، والنصوص هنا تحتمل كل تأويل بشرط البرهنة والتعليل، وكثيرا مايطرح الإشكال التالي: هل هناك تأوبل ثابت ومستقر أم هناك مدلولات متعددة؟

إن التأويل في هذا المكون يسمح بالتحول من تأويل إلى آخر على اعتبار أن "الانتقال من مؤول إلى آخر يكسب العلامة تحديدات أكثر اتساعا سواء كان ذلك على مستوى التقرير أوعلى مستوى الإيحاء"(أمبرتو إيكو، 2000م، ص: 120)، والجدول التالي سنبين عبره التأويلات التي توصلنا إليها:

العبارات	التأويلات
ـ (حيحنا في الشعاب الحومر الدرينة الضاية الحايلة الضاية العويجة...).	تكرار لفظ حيحنا عدة مرات في النص، دليل على الاستمتاع الحركي والنفسي والجسدي الذي يحس به عبيدات الرمى إذ يتمتعون بحرية الحركة داخل المناطق الطبيعية بعكس ماقد يجدونه من صعوبات في بعض الفضاءات والمجالات التي يمكن أن تقيد حريتهم في الحركة والاستمتاع.
ـ (لوحش ما يخطاش، صيد الخيل، فيه لقينا لوحش).	بحث عبيدات الرمى عن المغامرة بتجسيد صراع بين الوحش والصياد.

5_3_3: الحجة: هي علامة تشكل بالنسبة إلى مؤولها علامة قانون، فهي "ذلك الفعل الذهني الذي يحاول من خلاله الشخص الذي يحكم أن يقتنع بصحة قضية ما"(سعيد بنكراد: 2005م، ص:125)، في هذه

المرحلة يجب إعطاء البرهان الكافي الذي انطلقنا منه وتوصلنا عبره لتأويلات صنفناها ضمن مكون التصديق.

والتركيز في هذا النص الشفهي على أن الغابة هي ذلك المتنفس الجيد، بالنسبة لأفراد "عبيدات الرمى"، إذ بواسطته يمارسون أي طقوس يحبونها من رقص وغناء وصيد وحركة، من أجل بسط تقاليد الجماعة داخل المجال الأخضر. فكثرة استمتاعهم جعلتهم يجدون صعوبة في توديع الغابة بعد اتمام مراسيم الصيد والطقوس الاحتفالية.

خاتمة:

عموما، لعبت الأغاني الشعبية دورا كبيرا في ترسيخ النسق الثقافي والقيمي بمنطقة الغرب، ومن المولدات الرمزية التي لجأ إليها هذا الفن "الغابة" التي -تجاوز فيها اعبيدات الرمى- دلالة الحيز والمكان لتصبح فضاء حاضنا للقيم المبثوثة في المتون"العيطية"، والتي تزخر بمحمول ثقافي متأصل في الوجدان والتمثل والسلوك الفردي والجماعي أسعفتنا عملية البحث والغوص في دلالاتها السيميائية من الوقوف على بعض تجلياتها.

إن الأغنية الشعبية الغرباوية تحمل في طياتها بعض المضامين الاجتماعية، التي تتميز بتأثير الثقافة الشعبية إذ تتم الإشارة في نصوص هذه الأغاني إلى زمرة من المعتقدات الشعبية كزيارة الأضرحة واستحضار الأسطورة مع التأكيد على عادات مختلفة يتفرد بها المجتمع الغرباوي عن باقي مناطق المملكة، فباستنطاق نصوص الأغنية الشعبية نعرف العادات والتقاليد ونتبين الطقوس الاحتفالية ونتعرف على المجال المؤطر لذلك. والمنهج السيميائي الذي استخدمناه مكننا من بناء جسر تواصلي مع أغنية "الغابة" إذ تبينا عبر أدواته مجموعة من التأويلات والمقاربات جعلتنا نكتشف الزوايا المتعددة لطقوس "عبيدات الرمى" وتأثرهم بالمجال الطبيعي.

اضاءات مساعدة:

- "الحَبَّة" (بفتح الحاء) تعني في الغناء العيطي، مجموعة من الأبيات الشعرية الشفهية.
- "حَيَحْنا": مصدرها من "تَحْيَاحْ" وتعني الجلبة لاخراج الوحيش والطيور من مغاراته قصد صيدها أو قنصها ويطلق على الفئة التي تقوم بهذه الوظيفة ب"الحيَّاحَة".
- "الشْعَاب الحُومَر": المرتفعات الحمراء.
- "الضاية الحايلة" و"الضاية العويجة": أسماء أماكن بمنطقة الغرب.
- "زِينَة لَعْشُوبْ": جميلة الأعشاب.
- " لوحش مَا يَخْطَاشْ": وفرة الوحيش.

المصادر والمراجع:

أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية: تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت لبنان، 2000.

- إدريس كرم: "الأدب الشعبي بالمغرب: الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة"، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، المغرب، 2004.

- بوسلهام الكط: "من وحي التراث الغرباوي"، مطبعة أمبريال، الرباط، 1999.

- حسن نجمي، "غناء العيطة: الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب"، ج1، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، سنة 2007.

- حسن نجمي، غناء العيطة: مدخل إلى شعر شفوي وموسيقى تقليدية، مجلة: "التراث اللغوي الشفاهي: هوية وتواصل"، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، سنة 2005.

- سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، (مدخل لسيميائيات، ش،س، بورس)، المركز الثقافي، بيروت، السنة.

- سيزا قاسم: نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدارالبيضاء، 1987.

- محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم:(دراسة نظرية وتطبيقية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدارالبيضاء، 1989.

- نبيلة ابراهيم: "أشكال التعبير في الأدب الشعبي"، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

جمالية الرقص الشعبي في المنجز الفني للنزعة التعبيرية
ـ محمد صغير أنموذجاً ـ

The aesthetic of the Folk dance in the artwork of the expressionism
Algerian artist Mohammed Seghir Aesthetic approach in the artistic models of the

جعفاري سمير
طالب دكتوراه، قسم الفنون، كلية الأدب العربي والفنون،
جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم
البريد الإلكتروني:samir.djafari.etu@univ-mosta.dz

الملخص:
رغم أنّ النزعة التعبيرية قد أحدثت اهتماماً ونوعاً من الاتجاه نحو تحطيم الشكل وتشويهه قصد التصعيد من قوة التعبير حول الجانب المأساوي في حياة الأفراد والمجتمعات، إلا أنها أوجدت اتجاهاً آخر مناقضاً له تماماً، استمدت منه تلك التعابير الجميلة الأكثر إشراقاً وأملاً في حياتهم، والتي تمثلت في مظاهر التراث الشعبي، ومن بين أكثرها استلهاماً وتجسيداً نجد تيمة الرقص الشعبي والتي تجلت في أغلب لوحات فناني النزعة التعبيرية منذ البدايات الأولى.
ويعد الفنان الجزائري المخضرم محمد صغير من بين الفنانين التعبيريين في المغرب العربي الذين وظفوا في منجزهم التشكيلي مفردات بصرية من التراث الشعبي المغاربي، ولعل أكثرها توظيفاً تيمة الرقص الشعبي، حيث تمظهر تارةً في الرقص النسوي الجماعي، وتارةً أخرى نجدها في الرقص الرجالي الجماعي في حفلات ألعاب الخيالة التراثية.
ستسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة الشكل الجمالي لتيمة الرقص الشعبي في تجربة صغير الفنية المتنوعة والمتجددة من خلال منجزه التشكيلي ، والتي تحرك في دواخلنا كثيراً من الأوهام والأحلام، لكونها تطرح تعابير وأحاسيس قوية في ثنائيات حسية متناقضة لتراث شعبي عريق ، في سرد فني جميل لمسيرة حياة اجتماعية خاضها الفنان طيلة حياته التي قضاها بين المغرب والجزائر. وسوف نوزع مقاربتنا هاته على المحاور التالية:

- الرقص الشعبي في المنجز التشكيلي.
- النزعة التعبيرية ومبدأ الاستلهام من التراث الشعبي.
- مظاهر الرقص الشعبي في أعمال الفنان محمد صغير.

الكلمات المفتاحية:
الجمالية ، الرقص الشعبي ، التراث الشعبي ، النزعة التعبيرية ، الفن الحديث ، محمد صغير .

Abstract :

Although expressionism has created an interest and a kind of trend towards shattering and distorting the form in order to escalate the power of expression around the tragic side of the lives of individuals and societies, it has created another trend that is completely opposite to it, from which these beautiful expressions, brighter and more hopeful in their lives, have been derived from Aspects of folklore, and among the most inspired and embodied, we find the theme of folk dance, which was manifested in most paintings of expressionists from the very beginning.

Veteran Algerian artist **Mohammed Seghir** is among the expressionists in the Arab Maghreb who employed in their plastic achievement a visual vocabulary of the Maghreb folklore. Perhaps the most employed ones are the theme of folk dance, where it appears at times in collective women's dance and at other times we find in men's collective dance in heritage parties.

This research paper will seek to approach the aesthetic form of the theme of folk dance in **Seghir**'s diverse and renewed artistic experience through his formative achievement, which moves within us many illusions and dreams, as it presents strong expressions and feelings in contradictory sensual dichotomies of ancient folklore, in a beautiful artistic account of a life's path Social fought by the artist throughout his life, which he spent between Morocco and Algeria. We will distribute our approach to the following areas:

- Folk dance in plastic arts.
- Expressionism and the principle of inspiration from folklore.
- Aspects of folk dance in the artistic work of the artist **Mohammed Seghir.**

Keywords: Aestheticism, folk dance, folklore, expressionism, modern art, Mohammed Seghir.

مقدمة:

إنّ ما يلفت المتلقي للأعمال الفنية ذات النزعة التعبيرية هو ابتعادها تماماً عن القواعد والأسس الكلاسيكية التي تميزت بها الأعمال الواقعية، واعتمادها أشكالاً مشوهةً (**Distorted shapes**)،

وألواناً صاخبة ومتناقضة لم يعهدها جمهور الفن، فجاءت كرد فعل إبداعي متحرر من التقاليد الفنية، ويرجع هذا الفعل إلى معطيات نفسية وتاريخية وإنسانية تمثلت في القيود المثبطة التي فرضتها نخبة النقاد والمنظرين على الفنان وعمله، إضافة للأزمة الإنسانية الناتجة عن الحربين العالميتين، وقد تبدت ملامح هذا الفعل في لجوء بعض فناني ألمانيا والنمسا إلى الاتجاه بشكل رئيسي نحو التعبير الشخصي، وتحطيم الأشكال الظاهرية للموضوعات من أجل أن يكشف عن الجوهر الكلي أو التعبيري، وقد وصل هذا السعي إلى أن منح الفنان الموضوعات التي يعبر عنها معنى جديداً(عطية،1991،ص 12)، وجعله يغير المفاهيم والمعايير بشكل مطلق، حيث أصبح العمل الساذج والبدائي والمشوه في القرن التاسع عشر معياراً لفن القرن العشرين، وهذا المعيار الجديد يقدر الطلاقة والأصالة في التعبير.

ورغم أن النزعة التعبيرية في البدايات الأولى تركت جانباً من الواقع واتجهت بشكل مباشر نحو فضح التعبيرات لتوفير شعور أكثر فردانية وذاتية من خلال اقتراح مواضيع جديدة ممنوع التعبير عنها كما هو الحال في اللاعقلانية (**Irrationalism**) والهوس (**The morbid**)، والانحراف (**Perversion**) والجنس (**Sexuality**) وغيرها من المواضيع التي كانت من المحرمات في إطار المجال الفني، إلا أن كل هذا الميل القوي للرؤية الداخلية والتعبير العميق لم يبعد مشاعر الفنانين التعبيرين وعواطفهم من توظيف مفردات تراثية بصرية كالرقص الشعبي، الذي ميز عدّة فنانين عبر حقب متفاوتة امتدت من حدود التعبيرية الألمانية إلى حدود التعبيرية الجديدة.

ولم يخل الفضاء التشكيلي الجزائري من هذا التأثير الهائل لأفكار النزعة التعبيرية وفلسفتها – خاصة بعد المأساة التي خاضها الشعب الجزائري وما خلفته من آثار وانفعالات على نفسية الإنسان والفنان – فلجأ بعض الفنانين الجزائريين لاعتماد أساليب البساطة والتشويه من خلال أعمال فنية تعبيرية حملت في غالبها تراثاً مادياً وحسياً متنوعاً.

ومن بين هؤلاء الفنانين نجد الفنان محمد صغير، الذي جسد أعمالاً فنية نقلت مظاهر التراث الشعبي المغاربي من خلال تيمة الرقص الشعبي بصفة خاصة والفلكلور بصفة عامة ، نقل فيها جانباً من معاناة وألام وأمال وأفراح الفرد والمجتمع، فكيف وظف صغير الرقص الشعبي استطيقياً؟ وكيف تحول عنده شكل الرقصات من مكنون حسي إلى محسوس بصري جمالي؟ ماهي تجليات تيمة الرقص الشعبي في المنجز التشكيلي للفنان صغير؟ هذه بعض التساؤلات التي نحاول مقاربتها جمالياً من خلال بعض النماذج الفنية للفنان.

1. الرقص الشعبي في المنجز التشكيلي:

استدعيت تيمة الرقص الشعبي في العديد من المنجزات التشكيلية - منذ نشأة الحضارات – كاستعارة بصرية توثيقية ذات دلالات عقائدية في بداياتها، كتلك الأيقونات الموجودة في مقابر ومعابد قدامى

المصريين واليونانيين. ومع تجلي فكرة الجميل أصبح لتيمة الرقص الشعبي مدلولاً حسياً جمالياً تجسد في عمليات تزيين قصور أباطرة الرومان واليونان، ولم يقتصر ذلك على الجداريات بل تجاوزها إلى الألبسة والأواني، وقد اعتمد فنانو عصر النهضة على حركة الجسد المثالية ذات البعد الفلسفي والجمالي، فنرى تفانيهم ومبالغتهم في نقل دينامية الأجساد وفق معايير مضبوطة.

لعب الرقص الشعبي في القرن التاسع عشر دوراً مهيمناً بشكل خاص، ليس فقط في قاعات الرقص في العالم، ولكن بشكل رئيس في الساحات الاجتماعية في كل من الشرق والغرب، فكان لكل مجتمع رأي في فرض موروثه من خلال حركات راقصة تعبر عن كينونته وتراثه العميق. ومع تنوع أشكال الرقصات الشعبية وتمايز جمالياتها ، جعل بعض فناني الحداثة يوظفونها في منجزاتهم التشكيلية كالفنان الانطباعي الفرنسي إدغار ديغا (**Edgar Degas**)الذي جسد صور الرقص الشعبي المستلهم من التراث الشعبي الروسي، كما يبدو جلياً في لوحة ثلاث راقصات روسيات (**Three Russian dancers**) والتي يصور فيها مشهداً تراثياً لثلاثة فتيات روسيات يؤدين رقصة من ريف سان بطرسبورغ.

	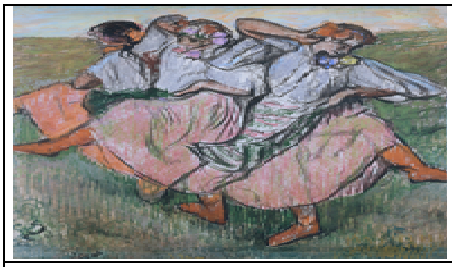
راقصة سوداء، 95×80، زيت على قماش، 1909 مجموعة خاصة.	**ثلاث راقصات روسيات، 67×62، باستيل على ورق، 1895، متحف ستوكهولم الوطني .**

نفس الأمر بالنسبة للفنان التعبيري الألماني ارنست لودفيج كيرشنر(**ErnstLudwig Kirchner**) (الذي بدوره يستلهم عمله الفني راقصة سوداء(**Blackdancer**) من الرقص الشعبي الإفريقي، هذا التراث العريق والثري الذي جعل العديد من الفنانين يستقرون مدة طويلة في بلدان إفريقية ويرتبطون بشدة مع تراثها الفريد، كحال الفنان التعبيري بول كلي(**Paul Klee**)، الذي عبر عن رموز تونس التراثية في كثير من أعماله، ففي لوحة الرقص في قبضة الخوف (**Dance in the grip of fear**)يجسد لنا رمزية رقصة صيد الغزال الشعبية في جنوب تونس.

الرقص في قبضة الخوف،32×26، ألوان مائية على ورق، 1938، مجموعة خاصة.

2. النزعة التعبيرية ومبدأ الاستلهام من التراث الشعبي:

إنّ مبدأ استلهام فناني النزعة التعبيرية من المادة التراثية لا يتمثل في اقتباسها والاستعانة بها في إنجاز أعمال فنية ذات بعد تعبيري له صلة بالتراث الشعبي، بل يتجاوز الأمر ذلك، حيث أن هذا الأخير له رؤيته وفلسفته الجمالية الخاصة عند التعبيرية والتي قد تختلف مع الفن كما هو سائد في زماننا.

ويمكننا تلمس مفاصل الاستلهام من التراث الشعبي عند فناني النزعة التعبيرية من خلال عملية وضع التيمة التراثية في تجربة شعورية ذات دلالات غير مطروحة، ولا يمكن لهذه العملية أن ترقى لتطلعات الفنان التعبيري إلاّ إذا تمثلت روح تلك المادة التراثية أو موضوعها.

تنطلق عملية الاستلهام من التراث الشعبي من مبدأ عدم التقيد بتسجيل الانطباعات المرئية للمادة التراثية، بل عليه التعبير عن التجارب العاطفية والقيم الروحية الكامنة فيها. فضلاً عن ذلك، فقد تميزت أعمال فناني النزعة التعبيرية بنزوع ذاتي في استثمار الشكل واللون في التيمة التراثية على أساس من العنفوان الداخلي، وأطلقت العنان لتلك المشاعر الإنسانية اللاهية التي تقرر بنية الشكل أو النموذج المصور.

لقد كان الاهتمام بالحالات والأوضاع النفسية في المادة التراثية هو جل ما ركز عليه الفنانون التعبيريون، حيث أوغلوا في تصوير ووصف عالم مبني على الإدراك، وذلك باستخدام تقنيات ورموز جديدة وألوان متنافرة، وبأشكال يجري تحريفها عن عمد،(الأعسم، 1997، ص 80)

لقد وجد التعبيريون في التراث الشعبي وسيلة لإيضاح الحقيقة الجوهرية للذات البشرية ولأسرار الوجود، مخضعة بذلك الأشكال التراثية الإنسانية ومواضيع الطبيعة وباستشهاد القيم اللونية لنزعتها هذه، إذ أنهم سعوا جاهدين لنقل ما تعانيه الإنسانية من بؤس وعناء كامن متخيّ إلى العمل الفني، الأمر الذي دفعهم إلى تجزئة عناصر الحقيقة المرئية في المادة التراثية ليصعدوا من قوة تعبيرهم عن قصد. ولقد

عبر فان غوغVan Gogh(1853-1890) عن وجهة نظر النزعة التعبيرية هذه على أكمل وجه حينما ناشد الفنان بضرورة إضفاء طابعه الذاتي إزاء الواقع على العمل الفني لأنه كان يرى أنّ دور الفنان لا يقتصر على تسجيل الأشياء كما تبدو عليه أن يظهرها على وفق مشاعره إزاءها .أما غوغان(1848 - 1903) Gauguin فقد كان يجد في اللون منفذاً يعبّر فيه عن الذات وعن مشاعرها الهائجة تعبيراً يقترب من الذات البدائية، وكان يرى أنّه من غير الصحيح أن نتعامل معه على وفق ما يظهر به في الواقع، وإنما يجب أن يؤخذ على وفق سحر الذاتي.(كولنجوود،2001، ص 70)

إنّ مبادئ النزعة التعبيرية هذه تقترب مما قدمه البدائيون في رسوماتهم، إذ إنّهم عادة ما يهتمون بالجانب التعبيري في رسوماتهم من خلال تجسيد إسقاطاتهم الذاتية حيال المواضيع المرسومة، بأشكال مشوهة، موظفين بذلك أساليب المبالغة، والحذف، والإضافة، والتكرار...الخ، وفقاً لانفعالاتهم الذاتية، فضلاً عن أنهم لا يجسدون مواضيعهم في الغالب على وفق رؤية تسجيلية، بل يحرفونها عن عمد متى ما استدعت الضرورة لذلك، إذ يكون اهتمامهم منصباً على إضفاء طابعهم الذاتي على الموضوعات نظراً لما يتمتعون به من حس تعبيري فني ومشاعر هيابة جياشة تدفعهم للمضي قدماً في هذا الاتجاه دون مبالاة لما تجلبه لهم الحواس .

يمكننا القول إنّ الخطاب الفني البصري للنزعة التعبيرية قد أتقن عملية استلهام التراث من خلال موضوعاته – تيمة الرقص الشعبي مثلاً- كمادة معرفية ومنجز إنساني لا بوصفه ركاماً مرمّداً يحمل سكونية الماضي ورفض التعامل معه على أنه أمر واقع واجب الانحباس داخل قدسيته، وعلى هذا الأساس خطف الفنان التعبيري تأثير التراث إلى الذات، لتكون الذات المبدعة في تنقيب واع عن تراثها ضمن أكداس التراث، ويكون لها من بعد، أفق واضح تبلور منه رموزها الشخصية.

3. مظاهر الرقص الشعبي في أعمال الفنان محمد صغير:

1.3- النزعة التعبيرية ومبدأ التشويه :

تعد تيمة الرقص الشعبي أو ما يطلق عليه بالفلكلور الشعبي من بين أكثر الموضوعات حضوراً وتمثيلاً في أعمال الفنان محمد صغير (1927-2006) Mohammed Seghir، شأنه شأن العديد من فناني النزعة التعبيرية، كالفنانالألماني ارنست لودفيغ كيرشنر (1880– 1938) Kirchner Ernst Ludwig الذي بدا جلياً تأثر صغير بأعماله من خلال الوضع التركيبي الخاص بتصوير الشخوص الراقصة، مثلما نجد ذلك في لوحة الراقصاتDanseuses،وهي عمل تعبيري يغلب عليه صفة البساطة والتشويه الواضح، والتي ارتكزت عليها النزعة التعبيرية لغرض تصعيد دراما التعبير.

الراقصات، 67×87، زيت على قماش، 1908، متحف كون هاج	**رقصة المراهقات، 45×32، ألوان مائية، 1998، مجموعة خاصة.**

ونجد الفنان صغير قد استعان بتيمة الرقص الشعبي كاستعارة بصرية لمفردات تراثية مغاربية استلهمها الفنان في منجزه التشكيلي، حيث لا تخلو لوحاته من مشاهد الرقص الشعبي، وأهم ما يشاهده المتلقي هو تلك الأشكال النسوية المشوهة ، ففي لوحة رقصة الصف **Dancing in a line**، ذات الإيقاع المتحرك الراقص، يظهر لنا التشويه من خلال الخطوط الخارجية المتداخلة مع الخلفية، والوجوه المحرفة القريبة من لوحة آنسات أفينيون**Avignon girls** المشهورة للفنان بيكاسو **Picasso**(**1881 – 1973**)

رقصة الصف،67×77، زيت على قماش، ب ت ، مجموعة خاصة .	**آنسات-آفينيون، 67×77، زيت على خشب، 1907، متحف الفن الحديث.**

إن التشويه المتعمد هنا ليفسر لنا التناقض الكبير في ثنائية الفرح والحزن الذاتي الذي يحاول الفنان التعبير عنه من خلال ثقل أجساد النسوة وتراصها والمعيق في نفس الوقت لحركتهن. أما في لوحة راقصات الطوارق **Tuareg dancers The**، فنرى نسوة يرقصن ويلوحن بالخناجر التي يحملنها في أيديهن للأعلى، تلك المتناقضات الثنائية تعاود الظهور من جديد ، الرقص والخناجر المحرفة عن انسيابيتها وحدَّة أطرافها والمضرجة بالدم الأحمر القاني، أما شكل النسوة ولباسهن فتختلف النسبة والتناسب فيما

بينها، ويظهر التشويه واضحا من خلال تجنب التفاصيل الدقيقة، وتحريف الألوان الأساسية الثلاثة عن كنتها الصافية.

ويتسيد التشويه في قيم الخط والشكل عند صغير بشكل كامل في أعماله التعبيرية الأخيرة التي يتناول فيها موضوع الرقص، قبل أن يتوجه نهائياً لتحطيم أشكاله كلية من خلال مواضيعه التعبيرية التجريدية، ويتجلى ذلك في لوحات الرقص **The Dance**، حيث نشاهد اختزالا في اللون وتشويها في نسب الجسم وديناميكيته.

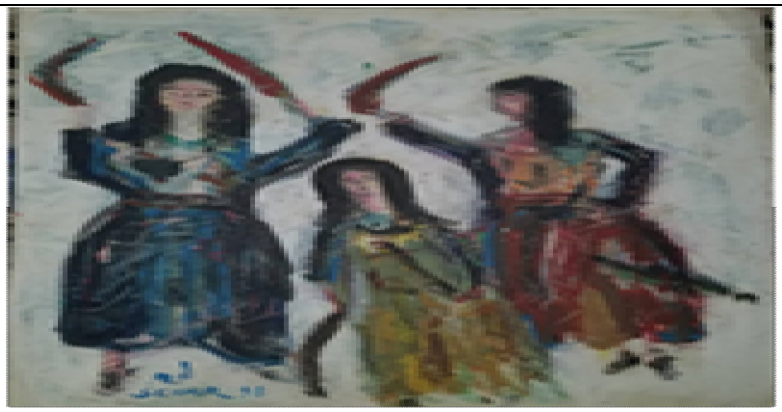

راقصات الطوارق، 43×56، زيت على قماش، 1998. مجموعة خاصة

أما بالنسبة للألوان فهي تعكس مدى تأثر الفنان صغير بالفنان النمساوي **أوسكار كوكوشكا - (1886 Oscar Kokochska(1980** ، رائد جماعة الانفصاليين التعبيرية بالنمسا، ويتجلى ذلك من خلال استعمال ضربات الفرشاة قصد تشويه الشكل، بالإضافة إلى استخدام اللون بغزارة وكثافة، مبتعداً عن التلوين الزخرفي والتزويقي ليعطي بعداً إنسانيا لعمله، حيث كانت للعوامل الاجتماعية والسياسية في تلك الحقبة الزمنية الدافع الغائي في توجيه البنى الثقافية الطرح لقضايا وهموم المحيط الدولي والصراعات القومية مع قوى الاحتلال.

الرقص1، 30×27، دراسة بمادة القار، 1992 مجموعة خاصة .	**الراقصات، 44×34، حبر على ورق، 1906، متحف نيويورك.**

2.3- الرؤية الروحية وملامح الإختزالية :

إنّ الفنان المبدع لا يلجأ إلى قواعد التراث وتقاليده وتقنياته كغاية في حد ذاتها وإنما يلتقط من هذه التقاليد بقدر ما يستوعبه ليعيد تنظيمه وترتيبه ودمجه على نحو مغاير تماماً فريد في ضوء الأسلوب أو الطراز الفني المميز للفنان ليخرج في النهاية المنتج الفني الأصيل بعيداً عن التقليد،(القريطي،1984، ص 84)ووفقاً للنظرية الجمالية للناقد الأمريكي ألبرت بارنز **Albert C. Barnes (1872-1951)** التي تأثرت بنظريات الفيلسوف الأمريكي جون ديوي**John Dewey (1859-1952)** فإن القيم المنقولة أو المحولة **values transferred** تعني أنّ جانباً كبيراً من التأثير الانفعالي المباشر للوحات الرقص الشعبي عند صغير إنما هو محول بطريقة لاشعورية من قيم انفعالية ارتبطت في الأصل بأبعاد عاطفية وخيالية لتراث شعبي حملته روحية المكان والزمان، فمثلاً نجد في لوحات رقصة السبيبة ، أبعادها العاطفية والخيالية والمفاهيمية، و دلالتها التعبيرية. مثلما أن إدراك «**ملمح السراب**» أو « **آثار حركات الرقص** » ليس مجرد إحساس بصرى ،وإنما هو إحساس مرتبط في نفس الوقت بأحاسيس ملمسية وانفعالية. وباختزال الشكل واللون وإعادة التنظيم للحركة يمنح الفنان عمله الفني جماله الصوفي ،عندما يجمع القيم الحسية مع المشاعر والعواطف. من هنا عبر"**صغير**" في لوحته عن حالة «**الرقص الروحي**». ويحمل الطابع الإختزالي أبعاداً تعبيرية، تقرب المتلقي بالقيمة المتخفية وراء حركة الشكل واللون وارتباطهما بساحة الرقصة وخلفيتها، وبنفس غاية "صغير" في تجسيد الشعور بروحية التراث الشعبي للطوارق وبصورة أكثر قرباً من واقع الزمكان في لوحات رقصة السبيبة **The sebeiba dance**، أراد هنري ماتيس**Henri Matisse** البحث عن شيء أكثر واقعية من الواقع عندما رسم لوحة الرقصة **The dance** . ولتوضيح دور الاستعارة **metaphor** في فنه وضع في لوحته إذ يلجأ الفنان لذهنه

للتوصل إلى الاستعارة أو المجاز وأفعال التقمص الوجداني، وإلى موضوعات متجانسة عاطفياً مع انفعاله، فيجعلها تحل محل الموضوع المباشر والانفعال المباشر في صور جمالية خيالية. وأساس الاستعارات البصرية فكرة مزج التشابهات بين واقعين لتصور ما فوق الواقع .

لقد عمد صغير إلى إضفاء روحية ذاتية خالصة لتيماته المستمدة من تراث شعبي عريق، من خلال تخليص الشكل الواقعي الطبيعي من تفصيلاته الزائدة والإبقاء على ما يمثل جوهره الثابت، أي إزالة الحجب التي تحجبه للوصول إلى حقيقته الجوهرية. وهو ما يسميه كاندينسكي**Kandinsky**بالضرورة الروحية أو الضرورة الداخلية.(سلوم،شعيرة،2013، ص 665)

رقصة الطوارق 2، ،ألوان غواش على ورق ، ب ت، مجموعة خاصة.	**رقصة الطوارق 1، ،ألوان غواش وحبر على ورق، ب ت، مجموعة خاصة.**

الرقصة،2.6 م x3.91 م ، زيت على قماش، 1910، متحف الأرميتاج.

الخاتمة:

يتظهر جوهر التعبير عن الأحاسيس والانفعالات الداخلية في لوحات الفنان صغير التي تميزت بأشكالها وألوانها المختزلة والمشوهة من خلال تيمة الرقص الشعبي المستلهمة من تراث شعبي مغاربي، فهو يجنح نحو مظاهر التغييب الجزئي لملامح شخوصه الراقصة ، كما يسعى قبل أي شيء لكسر مرتكزات الشكل المألوف في اللوحة التقليدية، فنجده عن قصد لا يهتم بالتشريح الجمالي لمواضيعه الجمالية ولا بأبعاد المنظور، وتبرز اللوحة عند الفنان صغير في أحيان كثيرة كهاجس انفعالي يمنح تجربته المزيد من المغامرة والجرأة

والمخاطرة ولا سيما حين ينشر اللون بتلقائية زائدة كأنه يريد أن يخبرنا أن الفنان لا يمكن أن يتملص من ذاته لأن الفن هو جزء أساسي من حياته، ولهذا لا يمكن وضع حدود بين التعبير الانفعالي الذي يمارسه، والإحساس بالقيم المتناقضة التي يعايشها.

إنه يقدم شكل الجسد وحركته بمزيد من الجرأة والحرية في معالجة الخطوط والألوان، وهو في ذلك يؤكد علاقته الوطيدة بالنزعة التعبيرية التي جعلته يشق طريقه نحو ملامح تشويه الأشكال والمبالغة في تحريفها، حتى إن لوحاته تصدم المشاهد العادي الذي يفتقر إلى ثقافة بصرية تجعله قادراً على استيعاب هذه الأشكال الخارجة عن المألوف والبعيدة كل البعد عن الذوق العام والمظاهر الاستهلاكية.

لقد جاءت هذه المبالغة التعبيرية في لوحاته بشكل عفوي بعد سلسلة تجاربه المتواصلة التي زادت قناعته بالبحث عن أسلوب أكثر ارتباطا بمشاعر القلق والاضطراب الموجود في عالمه الذي يروج للقتل والتدمير والترهيب، وتحمل لوحات صغير الأخيرة دلالات تعبيرية واضحة ضد أعداء الإنسانية الذين جاءوا لتدمير الحضارات التي تعاقبت على الأرض العربية منذ آلاف السنين، ويفضح فيها التطرف الإيديولوجي والشر الإنساني، إذ تظهر تأثيرات هذا الواقع المتفجر بشكل غير مباشر في نسيج لوحاته من خلال اللمسات اللونية المتداخلة مع إحساس داخلي انفعالي يقطف الإيقاع الخارجي المتغلغل في حركة حياتنا الراهنة المشبعة بالصدمات والتوتر والعنف في وقت الحروب المتواصلة من دون نهاية، فهو يؤكد في لوحاته أن الحالة التعبيرية هي المدخل الحقيقي للتفاعل مع الحياة المضطربة من وقع الحروب التي خلفت مزيداً من السواد في الذاكرة الإنسانية.

ورغم إغراق صغير لوحاته بمظاهر الاختزال و التشويه، يستطيع المتلقي أن يستشعر تراثاً شعبياً مغاربياً مختصراً بأقل إشاراته لدرجة محو كل العناصر غير المفيدة، وهذا ما يمنح عمله صفة المختصر المفيد، حيث يغيب الشكل الواقعي تماماً وتبقى إشاراته التي تدل عليه بحركات وضربات ولمسات لونية جريئة تبحث عن صياغة تعبيرية مختصرة ومتقشفة تزيد من ارتباط لوحاته بقلق حياتنا المعاصرة، فتصبح اللوحة وكأنها مشروع للتعبير عن تشنجات القلق والاضطراب في عالم اليوم الإنساني، واللافت أكثر في لوحاته هذا الفنان تلك القدرة في إظهار إمكانيات اللون التعبيرية وطاقاته اللامحدودة، مبتعداً قدر الإمكان عن التكرارات البصرية الشكلية واللونية، حيث تتحول المساحة إلى ما يشبه الغناء اللوني الصاخب الأكثر تمثيلاً لشخصيته وعوالمه الذاتية.

المصادر والمراجع:

1. عطية، محسن، **غاية الفن**، دار المعارف، مصر، 1990.
2. الأعسم، عاصم عبد الأمير، **جماليات الرسم في الرسم العراقي الحديث**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد: كلية الفنون الجميلة،1997.

3. كولنجوود، روبين جورج، **مبادئ الفن**، ت: أحمد حمدي محمود، م: أحمد حمدي محمود، تق: ماهر شفيق فريد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001.

4. القريطي، أمين، **مفهوم الأصالة بين التجريد والتقليد في محتوى الإبداع الفني التشكيلي**- مجلة دراسات وبحوث- جامعة حلوان، مج.7، ع.2 مارس، 1984.

5. سلوم سها محمد، شعيرة عبد السلام، **إشكالية اللاموضوعية (المعادل الهندسي) في تجربة كاندنسكي الغنائية.** مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، م:29، ع: 2، 2013.

Le recours à la didactique intégrée en classe de DNL au Maroc

The usage of integrated didactics in non-linguistic subjects in the moroccan classroom.

Zhaoui Laila
Université Ibn-Tofail. Kenitra. Maroc.
Faculté des lettres et des sciences humaines.
Laboratoire Langage et Société.
lailazhaoui@live.fr

ملخص :

يهتم هذا المقال بتدريس المواد غير اللغوية باللغة الفرنسية ،مما يتطلب دمج التخصصات العلمية بلغة التدريس المستعملة، إذ أنه من الضروري إستعمال الموارد اللغوية و الإعتماد على الدمج بين اللغتين العربية و الفرنسية، بالإضافة إلى إستعمال الترجمة كوسيلة للشرح و لضمان فهم المحتوى العلمي المدرس بشكل أفضل. و بذلك فإن أستاذ المواد العلمية مطالب بإعتماد طرق حديثة و مندمجة، حيث أن تلاقي اللغات يشجع على نشر المعلومات بشكل أوسع. يمكننا القول أن الفرنسية أصبحت لغة تساعد على نشر العلم و المعرفة لذلك تم إعتمادها كلغة تدريس المواد العلمية و التقنية في المغرب.

الكلمات المفتاحية:

لغة التدريس- ديداكتيك مندمجة- كفاية مستعرضة- بيداغوجية عملية- تخصص غير لغوي.

Résumé :

Cette étude porte sur l'enseignement des DNL en français qui nécessite une articulation entre la langue d'enseignement et les disciplines scientifiques. Il est primordial de mobiliser des ressources bilingues, d'opter pour l'alternance entre l'arabe et le français et de recourir à la traduction pour garantir la compréhension. L'enseignant des DNL est amené à adopter une didactique intégrée puisque le croisement des langues encourage le partage du savoir. Le français est une langue fonctionnelle permettant de transmettre un savoir et d'enseigner des contenus scientifiques. Alors elle devient une « langue vecteur » et non pas une « langue objet ».

Mots-clés :

Langue d'enseignement- didactique intégrée- compétence transversale- pédagogie actionnelle- disciplines non linguistiques.

Abstract:

This study focuses on teaching non-linguistic subjects using French in the moroccan classroom which calls for a combination between the teaching language and the scientific subjects taught. It is necessary to mobilise bilingual resources; opting for an alternation between Arabic and French, also using translation to guarantee a better understanding. The teacher should adopt an integrated didactic because the combination of arabic and french better motivates the share of knowledge. French is a functional language that allows the transmission of knowledge and the teaching of scientific contents. In this case, it becomes a transmitting language not a target one.

Keywords:

teaching language - integrated didactics- transversal competency - active pedagogy- non-linguistic subjects.

1. Introduction

Suite à la mise en pratique du parcours international au collège à partir de 2017, on enseigne les disciplines scientifiques dans une langue que la majorité de nos apprenants ignore, ne maitrise pas ou la maitrise partiellement. Il faut noter que les compétences linguistiques de nos apprenants en français sont insuffisantes et le discours de l'enseignant n'est pas à leur portée d'où la nécessité de recourir à l'alternance et à la traduction en classe de DNL et cela à travers le passage de la langue communicative à la langue véhiculaire du savoir en optant pour une didactique intégrée en classe de DNL.

La nouvelle réforme du système éducatif marocain s'appuie sur une approche novatrice et utilitaire visant à placer l'apprenant au cœur de l'opération d'enseignement-apprentissage puisqu'il devient acteur et non pas un simple consommateur du savoir transmis. Cette réforme favorise l'épanouissement des apprenants à travers un enseignement recentré sur leurs connaissances et

compétences de base. Alors les enseignants devront travailler dans de meilleures conditions leur permettant de parfaire leur travail et d'améliorer leurs pratiques en classe tout en maitrisant les nouvelles méthodes d'enseignement et les outils pédagogiques nécessaires pour aboutir à la réussite de cette nouvelle réforme. Tout cela ne peut s'effectuer qu'à travers un environnement de travail propice et de qualité sans oublier la nécessité de la formation continue des différents enseignants pour être à jour. Nous pouvons dire que la situation actuelle de l'Ecole marocaine est vraiment alarmante suite à la grande faiblesse linguistique. Le français en tant que langue d'enseignement représente un réel obstacle auquel se heurtent nos apprenants quotidiennement.

Le recours au parcours international au collège et au lycée vise à instaurer une meilleure communication entre les étudiants des DNL et leurs professeurs universitaires et renforcer leur chance d'accès au monde du travail puisqu'il y a un réel fossé linguistique entre le qualifiant et l'universitaire à cause de la langue d'enseignement des sciences parce que plusieurs étudiants n'arrivent pas à achever leurs études universitaires dans les branches scientifiques malgré leur grande motivation et leur savoir relatif à la discipline choisie et cela est lié à leur faiblesse linguistique. Le plus grand problème est dû à la difficulté rencontrée suite au changement de la langue d'enseignement puis à la fracture linguistique qui existe entre le qualifiant et l'universitaire.

« *La langue française serait alors facteur de réussite pour l'élève qui arrive à décrocher de bonnes notes lesquelles en principe, sanctionnent ses performances conformément aux objectifs assignés. Elle serait facteur d'échec pour celui qui obtient une mauvaise note laquelle non seulement influe sur sa moyenne générale mais aussi traduirait des lacunes dans sa formation intellectuelle.* » [1]

La situation didactique au Maroc est complexe et cela se rapporte aux savoirs scientifiques transmis ainsi qu'à la langue dont on enseigne les DNL actuellement.

Nos apprenants du collège ou du lycée sont très peu en contact avec la langue française en dehors du milieu scolaire, c'est pour cette raison d'ailleurs qu'ils souffrent énormément, non pas par méconnaissance ou incompétence liées aux sciences en elles-mêmes, mais plutôt parce qu'ils sont contraints de les étudier en langue française alors qu'ils ne la maitrisent pas. Plusieurs personnes évoquent l'importance de la langue maternelle et pensent qu'elle est le meilleur moyen de communication pouvant faciliter l'opération d'enseignement-apprentissage.

« *Ainsi, la pédagogie convergente, à travers l'articulation des langues maternelles et du français, les objectifs d'enseignement- apprentissage, les méthodes actives, l'implication des communautés à la vie de l'école,*

[1]. EL GHERBI.1993.P :127

l'adaptation de l'école au milieu de l'apprenant, a été choisie comme socle pédagogique sur lequel sera bâti le curriculum de l'Enseignement Fondamental, point de départ de la refondation. » [2]

Sauf qu'au Maroc, elle est exclue à l'école, plus particulièrement à l'écrit en faveur de l'arabe standard, du français et des autres langues étrangères. Pour faire face à cette situation, il faut programmer des formations continues permettant d'améliorer le niveau linguistique et communicationnel des enseignants des DNL et de renforcer leurs compétences afin de perfectionner leurs pratiques en classe et d'améliorer leurs techniques de communication pour être mieux compris par leurs apprenants, pour décrire, expliquer le cours avec précision, rédiger des fiches pédagogiques, écrire un compte-rendu d'expérience en français, utiliser le français à l'oral comme à l'écrit, rechercher, collecter et créer des ressources pédagogiques adaptées avec un bon français.

Il est évident que la situation actuelle de notre pays a engendré l'ouverture sur les langues étrangères notamment dans notre système éducatif pour garantir la mobilité professionnelle d'où la nécessité de l'enquête de terrain que nous menons depuis 2019. Le présent travail s'intéresse à l'enseignement des matières

scientifiques en français et plus particulièrement à la première année collégiale. Pour cela, nous avons mis en œuvre un dispositif permettant d'enseigner le programme du français en se basant sur des supports tirés des trois manuels des matières scientifiques enseignées en français.

Ce dispositif proposé est censé garantir l'amélioration du niveau des apprenants dans les matières concernées et même leur réussite tout en facilitant la tâche aux apprenants et aux enseignants des DNL à travers la mobilisation du corps enseignant et le recours à une collaboration basée sur des compétences transversales et interdisciplinaires afin de parfaire notre travail et de veiller à la réussite de ce parcours international venu dans le cadre de la réforme apportée par la vision stratégique 2015-2030. Ainsi, nous avons mené une enquête de terrain au sein des établissements scolaires publics et privés de notre ville afin de mettre en pratique notre dispositif proposé, l'expérimenter, l'analyser et l'affiner à partir des remarques des différents partenaires.

[2]. Fomba et al., 2003 :11

Cette recherche propose une étude de la nouvelle réforme du système éducatif marocain se rapportant aux matières scientifiques dispensées en français et cela dans le cadre de la didactique intégrée, puisque nous proposons un travail collaboratif entre les enseignants du français et ceux des DNL pour adopter une compétence transversale et interdisciplinaire leur permettant de parfaire leurs démarches et pratiques en classe.

2. Le décloisonnement entre le français et les disciplines dites non linguistiques

Les professeurs des matières scientifiques ont enseigné en arabe depuis plusieurs années, maintenant ils ont du mal à enseigner en français. Il y a deux difficultés à ce niveau, la langue d'enseignement et le savoir à transmettre à travers cette langue étrangère. Pour cela, un programme de formation continue et initiale des enseignants des trois matières scientifiques a été lancé afin de

permettre à ces derniers d'améliorer leur travail et leurs pratiques en classe et les adhérer aux objectifs de la vision stratégique 2015-2030. « *Roulet (1980,1995) et bien d'autres évoquent les méfaits de la séparation excessive entre les didactiques et les enseignements de langue maternelle et ceux des langues étrangères, et posent les jalons d'un décloisonnement des disciplines.* »[3]

2.1. La langue d'enseignement « *Pour rester dans la cohérence, tout en plaçant l'intérêt suprême du pays avant toutes autres considérations. La CPU soutient et recommande un enseignement des matières scientifiques en français à tous les niveaux d'éducation et de formation, tout en mettant en place les conditions nécessaires pour un enseignement de ces matières également en anglais* »[4] a indiqué la confédération dans un communiqué.

Le Maroc est un pays qui se caractérise par sa grande diversité linguistique et culturelle et cela a eu un impact sur le système éducatif marocain d'où le recours aux langues étrangères pour enseigner les disciplines scientifiques et techniques. A ce propos, nous pouvons dire que :

[3]. cité par Moore, 2001

[4].https://leseco.ma/maroc/les-presidents-d-universites-pour-l-enseignement-des-matieres-scientifiques-en-francais.html

« *La domination quasi monopolistique d'une langue, quelle qu'elle soit, inhibe le jeu des mots et des idées, souvent stimulé par les traductions, passages et échanges d'une langue à l'autre* »[5]

Notre pays a opté pour une éducation bilingue puisque «*Dans les pays en voie de développement, cette demande est causée par la promotion d'une ou de plusieurs langues vernaculaires ajoutées à la nécessité de maintenir une langue internationale pour servir à l'éducation secondaire et supérieure. Dans d'autres pays où la langue officielle est déjà langue internationale, un changement d'attitude envers les minorités, vers plus de tolérance , a souvent permis aux groupes éthiques qui parlent une langue autre que celle de la majorité, d'organiser*

avec le consentement du gouvernement leur propre enseignement dans leur propre langue. »[6]

Selon notre enquête de terrain, 80% des interviewés sont pour le choix du français comme langue d'enseignement des matières scientifiques et techniques au Maroc.

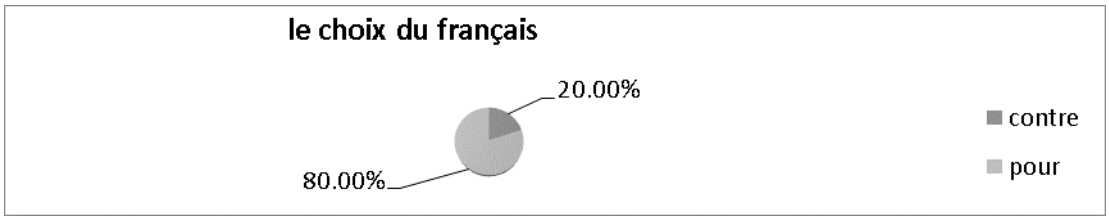

Figure 1 : le choix de la langue française

2.2. L'interdisciplinarité

C'est l'art de combiner plusieurs disciplines à la fois, son but est d'atteindre un objectif commun en adoptant des approches diversifiées.

« *Il s'agit de la mise en relation de deux ou de plusieurs disciplines scolaires qui s'exerce à la fois aux niveaux curriculaire,*

[5].*https://sectionsinternationalesmaroc.files.wordpress.com/2016/05/introduction-dnl-gajo-fc3a8s-2016.pdf*

[6].*https://books.openedition.org/cjb/1068?lang=fr*

didactique et pédagogique et qui conduit à l'établissement de liens de complémentarité ou de coopération, d'interpénétration ou d'actions réciproques entre elles sous divers aspects en vue de favoriser l'intégration des savoirs. »[7]

L'interdisciplinarité est fondamentale, il faut à tout prix l'adopter au sein de l'Ecole marocaine. Selon Gajo « *les disciplines peuvent et devraient se nourrir des contenus des autres* » [8]

Nous pouvons dire aussi que : « (….) *la langue française exerce une fonction différenciatrice, pour ne pas dire discriminatoire, en ce sens que les élèves issus de catégories socio-économiques et culturelles privilégiées réussissent mieux que les autres aussi bien en français que les autres disciplines* »[9] d'où l'importance du choix du français comme langue d'enseignement.

Dans le cadre de notre enquête de terrain, nous avons distribué plusieurs questionnaires aux différents partenaires de l'opération d'enseignement-apprentissage, nous avons obtenu les résultats suivants :

80% des interviewés pensent qu'il est nécessaire de modifier le manuel de français puisqu'il est inadéquat par rapport aux exigences du parcours international.

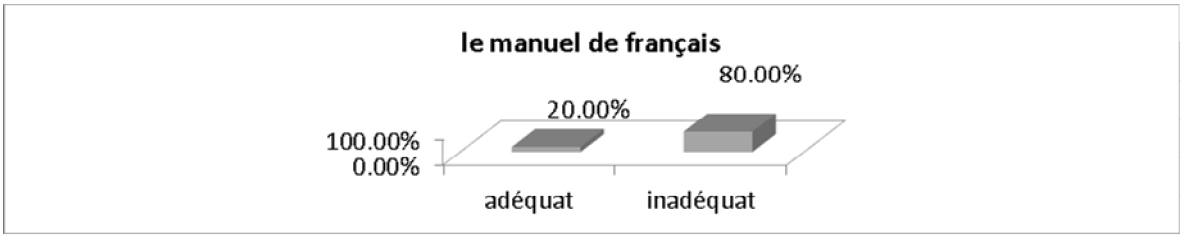

Figure 2 : le manuel actuel de français

[7]. https://www.erudit.org/en/journals/rse/1998-v24-n1-rse1840/031959ar.pdf

[8]. http://www.theses.fr/s218735

[9].https://www.researchgate.net/publication/314274216_LE_FLE_ET_LE_SYSTEME_SCOLAIRE_QUELS_STATUTS_EN_DIDACTIQUE_DES_LANGUES_AU_MAROC

70% sont pour le recours à un manuel de français à caractère scientifique répondant aux besoins de nos apprenants.

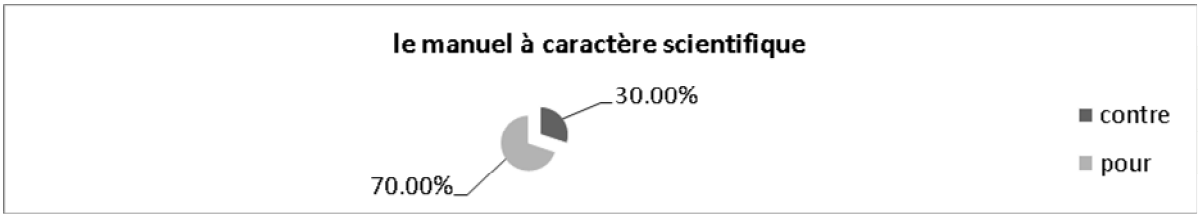

Figure 3 : le recours à un manuel de français à caractère scientifique

2.3. La compétence transversale C'est un savoir-faire relatif à plusieurs disciplines à la fois, une capacité à communiquer dans une langue étrangère, une capacité d'analyse, de synthèse, d'organisation, de planification et d'autonomie pour permettre à l'apprenant de s'intégrer dans sa société. La compétence transversale dépasse le cadre d'une discipline scolaire. Elle s'inscrit dans une

perspective qui autorise la mise en place de méthodes parfaitement adaptées aux différentes matières concernées. Nous pouvons dire que c'est « *La mise en place de concordances et de convergences effectives entre [les]enseignements [linguistiques], entre eux et avec les enseignements non linguistiques* »[10]

« *La langue française serait alors facteur de réussite pour l'élève qui arrive à décrocher de bonnes notes lesquelles en principe, sanctionnent ses performances conformément aux objectifs assignés. Elle serait facteur d'échec pour celui qui obtient une mauvaise note laquelle non seulement influe sur sa moyenne générale mais aussi traduirait des lacunes dans sa formation intellectuelle.* »[11]

55% étaient contre le recours à la compétence transversale dans notre système éducatif

[10].https://www.cairn.info/guide-pour-le-developpement-et-la-mise-en-oeuvre--9789287182333-page-31.htm

[11].https://journals.indexcopernicus.com/api/file/viewByFileId/440141.pdf

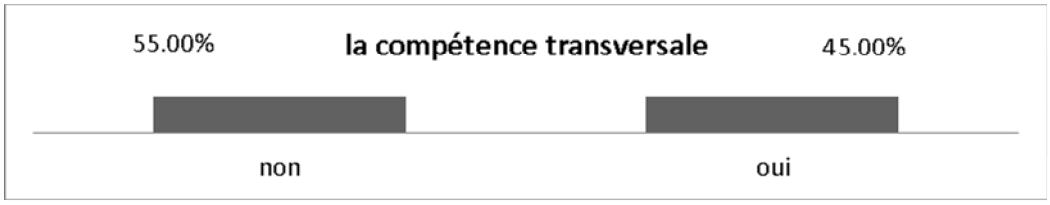

Figure 4 : le recours à la compétence transversale

80% sont pour l'adaptation du manuel de français selon les exigences de la vision stratégique

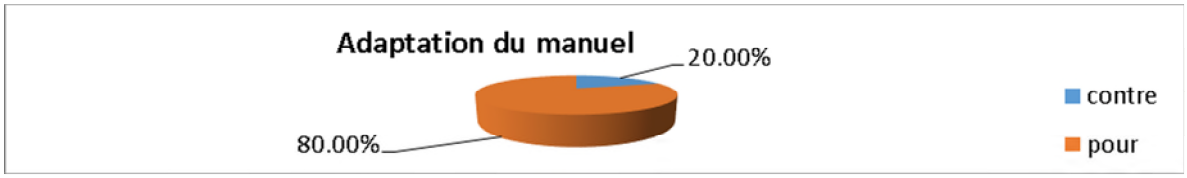

Figure 5 : l'adaptation du manuel de français

2.4. La didactique intégrée

L'enseignement des matières scientifiques se fait par l'intégration d'une langue étrangère. Le parcours international au collège vise à développer des compétences

fonctionnelles dans les langues enseignées à travers une didactique qui se situe dans une perspective actionnelle. Cette démarche cherche à promouvoir l'enseignement basé sur les contenus et sur la notion des tâches à accomplir en se basant sur une pédagogie des contacts et des échanges. C'est une approche décloisonnée des langues d'enseignement.

« *selon le professeur Wambach, la question du bilinguisme est d'abord une question de méthodologie de la langue nationale ce qui implique une mise en adéquation de la formation des enseignants, mais elle implique aussi un renouvellement global des démarches aussi bien dans l'enseignement du français que dans celui des sciences, pour y arriver, selon le professeur, il faut évidemment rompre avec la pédagogie des sentiers battus* »[12].

[12]. https://journals.openedition.org/lidil/2743

Dans la didactique intégrée, l'articulation entre l'enseignement des langues étrangères et les savoirs non linguistiques s'impose. La didactique intégrée a pour objectif d'apprendre aux apprenants à être plurilingues et donc à se construire un répertoire langagier dans lequel il y a plusieurs langues, alors les usages des langues sont mélangés, articulés et organisés les uns par rapport aux autres, même au sein de la classe de DNL. On s'intéressera tout au long de notre recherche aux rôles et enjeux du recours au français en tant que langue d'enseignement des sciences, tout en mettant l'accent sur les différents processus d'apprentissage et aux échanges linguistiques en classe ainsi qu'aux moments de passage de l'arabe au français et vice-versa. Il est nécessaire de recourir à des méthodes et pratiques translinguistiques pour faciliter le passage d'une langue à une autre. C'est pour cela que nous devons opter pour une didactique de l'alternance basée sur l'intégration des apprentissages. Il s'est avéré qu'il est nécessaire d'alterner les langues d'enseignement pour construire des savoirs scientifiques.

Il faut dire que la didactique intégrée vise le développement de la compétence plurilingue et transversale et cela concerne aussi l'éducation et la formation des

citoyens marocains. Elle vise aussi la rationalisation et la cohérence des savoirs enseignés. Le parcours international permet l'ouverture à la pluralité et à la diversité des langues. Il appelle à des mises en relation inter linguistiques entre l'arabe et le français et par la suite l'anglais aussi et cela dans le cadre d'une didactique intégrée où l'on s'intéresse à la micro-compétence liée aux stratégies adoptées ainsi qu'à la macro-compétence à savoir le curriculum. Bourguignon (1993 : 105) insiste sur « *Le rôle constructif et sécurisant de la réflexion métalinguistique sur la langue maternelle, comme préalable à l'intégration d'une notion nouvelle en langue étrangère.* »[13]

2.5. La pédagogie active

En pédagogie active, le rôle de l'enseignant n'est plus essentiellement celui d'un transmetteur des savoirs. Il devient plutôt un guide, un coach et un accompagnateur. C'est une pédagogie qui s'oppose aux méthodes traditionnelles de l'enseignement magistral et de la démonstration.

[13]. https://www.cairn.info/journal-ela-2001-1-page-71.htm

Elle permet aux apprenants de créer des liens entre eux et d'acquérir facilement des connaissances transférables dans leur contexte professionnel futur. C'est une pédagogie qui permet aussi d'appréhender, de pratiquer et d'acquérir la démarche scientifique puisqu'elle cultive la curiosité chez l'apprenant et éveille ses sens pour l'observation et l'imagination. Cette méthode incite aussi l'apprenant à analyser ses observations et à confronter ses réponses aux réalités. Le parcours international relève d'une didactique multi-intégrée puisqu' : « *elle utilise des dénominations spécialisées (…). On peut donc la définir comme l'usage d'une langue naturelle pour rendre compte techniquement des connaissances spécialisées.* » [14]

2.6. L'approche actionnelle C'est une approche qui s'oriente vers l'action de l'apprenant parce que la construction du savoir se fait entre l'enseignant devenu animateur et l'apprenant qui est un acteur dans son apprentissage. Elle est fondée

sur la réalisation de tâches proches de la vie réelle des apprenants. Dans ce cas l'apprentissage devient collaboratif et solidaire puisqu'on implique l'apprenant et on le rend actif et autonome pour se confronter à la vie sociale.

L'approche actionnelle vise à développer le savoir, le savoir-être et le savoir-apprendre en employant les quatre compétences du CECRL. Alors l'enseignant a pour mission d'encourager l'interaction, c'est un facilitateur et un médiateur qui est amené à créer un environnement riche et varié pour répondre aux besoins de ses apprenants.

3. Le passage de la langue communicative à la langue véhiculaire du savoir

3.1. Le rôle des enseignants des DNL

Très souvent quand on enseigne dans une classe bilingue on va se saisir d'une langue étrangère pour enseigner un contenu disciplinaire, il s'agira de formuler ces savoirs scientifiques dans une autre langue.

Le recours à la langue étrangère comme langue d'enseignement des DNL pousse les professeurs ainsi que leurs apprenants à mettre l'accent sur le contenu scientifique sans pour autant s'intéresser à la forme et aux règles linguistiques,

[14].https://www.etudier.com/dissertations/Francais-Sur-Objectif/251582.

c'est le message à transmettre qui compte le plus. Alors, les enseignants des DNL sont-ils amenés à veiller à l'acquisition de la compétence linguistique chez les apprenants ?

Selon notre enquête de terrain et nos questionnaires, nous avons constaté que les professeurs des DNL conduisent leurs activités en français sans s'arrêter sur les problèmes linguistiques. Ils considèrent que les apprenants savent assez de français pour pouvoir fonctionner en français dans la classe des DNL. Il n'y a pas une attention particulière à la langue alors que cette dernière pose question, donne un certain nombre d'indices qui permettraient éventuellement d'interroger de manière intéressante les savoirs propres à la discipline.

75% de nos interviewés sont pour le parcours international malgré tous les obstacles rencontrés surtout se rapportant à la langue d'enseignement.

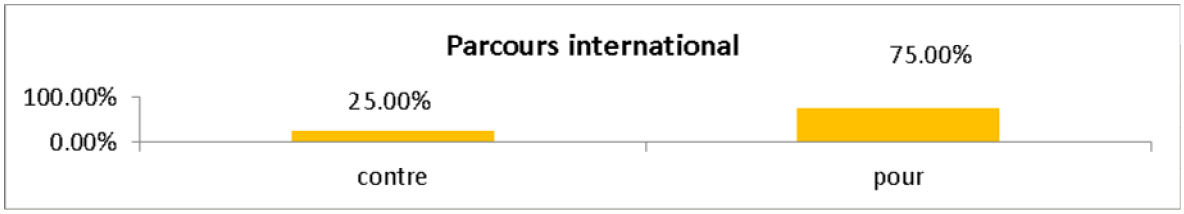

Figure 6 : Le choix du parcours international au collège

3.2. La formation des enseignants

La langue est toujours engagée dans la construction et la transmission des savoirs scientifiques, cela suppose de mobiliser des ressources langagières et discursives et d'en prendre conscience. Quand on enseigne, on est baigné de langues, on passe par la langue et le discours pour étudier des savoirs scientifiques. Le discours dans ce cas, nous donne des outils, des occasions et des leviers pour mieux enseigner un certain nombre de savoirs dans toutes les disciplines, mais très souvent, on ne saisit pas ces occasions parce qu'on n'est pas formé pour identifier dans le discours des traces et des leviers qui nous permettent de remonter à la constitution du savoir scientifique ou technique. L'approximation n'est pas admise lorsque les ressources linguistiques sont en lien avec la conceptualisation, alors on donne la priorité au savoir scientifique et à la compréhension.

Parfois, certains ajustements linguistiques même très fins sont capitaux, nécessaires et prioritaires. Même si au point de vue de la communication, ils n'ont aucune forme d'importance ou de pertinence. On se rend compte que dans les disciplines scientifiques il y a à la fois du langage ordinaire, puisqu'on communique à travers des énoncés qu'on entend dans toutes les classes, il y a aussi une terminologie commune mais avec des significations, des acceptions spécifiques et puis il y a des termes tout à fait propres à la discipline ou au champ disciplinaire considéré. La langue étrangère représente un réel obstacle d'où la nécessité de la formation initiale et continue des enseignants des DNL pour

répondre aux exigences de cette nouvelle réforme du système éducatif marocain. Dès le départ, les apprenants savent qu'ils devront fournir énormément d'efforts, ils activent une forme de vigilance linguistique pour faire face à cette situation et pour s'approprier les savoirs de la discipline enseignée. Et dans ce cas, le recours à L1 et à d'autres langues peut se faire sous la forme d'alternance ou de contrastivité. L'enseignant s'autorise à recourir à la traduction et même à montrer aux apprenants des documents scientifiques en arabe afin de garantir la compréhension de la majorité. Le système éducatif marocain a connu énormément de réformes avant d'aboutir à la vision stratégique 2015-2030. 80% de nos interviewés trouvent que ces réformes n'étaient pas à la hauteur de leurs attentes.

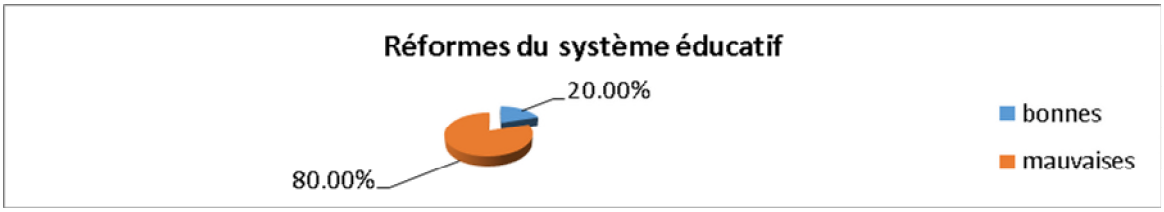

Figure 7 : les réformes du système éducatif marocain

3.3. L'approche interculturelle Cette approche se base sur l'intégration de la dimension culturelle dans l'enseignement des langues. Sa finalité est de rendre possible la communication active en langue étrangère dans des situations réelles. C'est un processus dynamique engendré par des interactions entre les cultures puisque la pluralité est présente au sein de chaque individu. Elle privilégie la rencontre, l'acceptation de l'altérité, les mélanges, les métissages des cultures et des identités. Pour qu'il y ait une réelle réforme du système éducatif marocain, il faut penser à rénover les curricula mais aussi l'aspect socio pédagogique et socio culturel.

« *Comme l'apprentissage d'une langue est avant tout, une activité sociale, il est indispensable de construire chez l'apprenant des comportements sociaux nouveaux. Sachant que se mettre à la place de l'autre, passe d'abord par la connaissance de soi* »[15]

3.4. L'intercompréhension «...*La coexistence de deux langues dans un même mouvement alternatif de construction de concepts, non seulement peut contribuer à enrichir ces derniers et à les autonomiser par rapport aux mots, mais en outre, et de nature à favoriser une certaine prise de distance réflexive et contrastive par rapport à telle ou telle des langues activées.*»[16]

Alors, il est nécessaire de donner du sens aux apprentissages afin de motiver les apprenants et les encourager à améliorer leur niveau en enrichissant à la fois les connaissances linguistiques et disciplinaires. Cette coexistence a pour objectif de valoriser l'intercompréhension et d'améliorer le processus d'enseignement-apprentissage des langues, cela permet d'effectuer des tâches communicatives et sociales de la part de nos apprenants. Le processus de l'intercompréhension s'appuie sur deux principes majeurs, le contact des langues en question ainsi que leur fusion « convergence » ou leur dissociation « contraste ».

4. Conclusion

Il y a une tâche discursive qui va porter une activité scientifique, cette tâche est conduite dans une langue étrangère. Cela nous amènera souvent à des problèmes de communication, de transmission, d'accès à la compréhension et donc on va déployer très régulièrement dans des classes bilingues, des stratégies de résolution de problèmes de communication y compris la pédagogie intégrée et la traduction.

[15].https://www.cairn.info/apprentissage-d-une-langue-etrangere-seconde-3--9782804142773-page-135.html

[16].https://www.cairn.info/journal-ela-2001-1-page-71.htm

Les enseignants des DNL doivent être formés aux approches communicatives qui leur donnent des ressources pour améliorer leurs stratégies et leurs pratiques en classe. Il faut travailler malgré la langue étrangère et pour elle-même, c'est un travail plus difficile et plus laborieux mais on est censé exposer nos apprenants davantage à cette langue étrangère en les mettant face à des difficultés

communicatives pour enrichir leur boite à outils. L'essentiel pour les enseignants des DNL est d'être compris et de réussir à gérer la tâche du point de vue de la performance communicative, de faire face à des problèmes pour assurer la transmission du sens. Il faut dire qu'on ne peut pas forcément s'arrêter sur le moindre écart par rapport à la norme, on ne peut pas corriger toutes les erreurs. L'idée c'est d'être compris, cela demande des ajustements sans pour autant penser à une mise en évidence de tous les problèmes linguistiques que le professeur pourrait rencontrer. Les savoirs scientifiques passent par des ressources linguistiques particulières, l'apprenant peut s'exprimer d'une manière plus ou moins correcte, en utilisant un accent satisfaisant, il peut commettre des erreurs plus ou moins nombreuses de morphologie, de syntaxe, de grammaire, etc. Pour conclure, nous pouvons dire que le parcours international vise la construction de compétences nouvelles qui dépassent le cadre de la langue maternelle des apprenants en mettant en valeur l'intercompréhension entre les langues et l'importance de la pédagogie intégrée pour transférer les compétences et les savoirs d'un contexte à un autre.

Bibliographie

- Billiez, J. (éd.) (1998). De la didactique des langues à la didactique du plurilinguisme.
Université Stendhal-Grenoble III: CDL-LIDILEM.
- 2000, Charte Nationale de l'Education et de la Formation. Royaume du Maroc, commission spéciale d'éducation et de formation.
- Conseil Supérieur de l'Education, de la Formation et de la Recherche Scientifique. Loi-cadre. 2016
- Conseil supérieur de l'éducation, de la formation et de la recherche scientifique : CSEFRS (2014) vision stratégique 2015/2030.[www.csefrs.ma]. Consulté le 5/6/2020.

- GAJO Laurent et PAMULA-BEHRENS Malgorzata, 2013, « Français et multilinguisme dans la science », dans Synergies Europe 8. Revue du GERFLINT (Groupe de recherche sur le français langue internationale).

- GAJO Laurent, 2007, « Enseignement d'une DNL en langue étrangère : de la clarification à la conceptualisation », Revue Tréma, URL : [http:// trema.revues.org/448].

- Houriya Bouarich, La politique linguistique éducative au Maroc de 1912 à nos jours.

- 2001, le livre blanc, Royaume du Maroc, Ministère de l'Education Nationale.

- Martine Schuwer (éd), Parole et pouvoir.2005. Enjeux politiques et identitaires.

-MESSAOUDI Leila, 2016, « La fracture linguistique dans l'enseignement scientifique au Maroc: quelles remédiations? », Revue Langues, Cultures et Sociétés. Volume 2,n°1.Juin 2016. Conférence au CNRST, Rabat 16 mai 2016, URL :

[http://www.cnrst.ma/images/CNRST/PDF/Presentation_RDV_scientifique_9.pdf

- Mina Sadiqui, « Didactique du français au lycée au Maroc .Entre didactique des langues et didactique des disciplines scientifiques ». (paru dans le français à l'université 21/01/2016)

- Perrenoud Philippe,1995, De la fabrication de l'excellence scolaire à la fabrication de l'échec, Genève.Droz.

Les Termes de l'Héritage dans le Coran

Étude Traductologique de quelques termes de l'Héritage dans Coran de l'arabe vers le français

The Terms of Inheritance in the Quran Translation study of some terms of Inheritance in Quran from Arabic to French

Saber Oubiri
PhD Researcher in Arabic, Islamic & Translation Studies
Faculty of Arts, KU Leuven, Belgium
Maîtrise en Traductologie, Concordia University, Montreal, Canada
Saber.oubiri@kuleuven.be

Résumé

Le présent travail porte sur la problématique de la traduction de la Terminologie Islamique. La Recherche se base sur une comparaison de la traduction de quelques termes de l'héritage cités dans le Coran, de l'arabe vers le français. Ainsi que l'article aborde la langue de spécialité et la traduction d'une Terminologie Spécifique, à savoir la Traduction Religieuse, ses difficultés, ses Enjeux et ses Défis. Pour se faire, le Chercheur pose les questions suivantes : Comment le traducteur peut traduire des termes chargés de connotations culturelles et religieuses dans une société donnée vers une langue cible, laquelle pourrait manquait les mêmes concepts de la Langue de Départ? Quels sont les procédés qui aident le traducteur dans son travail d'intermédiaire entre des cultures essentiellement différentes ?

Mots clés :

Traductologie, Coran, Termes de l'Héritage, Terminologie Islamique, Traduction des Textes Sacrés et Religieux, Langue de Spécialité.

Abstract

The scope of this work involves the problems of translating Islamic Terminology. The Researcher based his study upon a comparison of the translation of some Terms of Heritage quoted in the Koran, from Arabic into French. The article examines the language of specialities and the translation of a specific terminology as well, namely the religious translation, its difficulties and challenges. The Researcher asked the following questions: How may the translator translates terms loaded with cultural and religious connotations within a given society towards a Target Language, which would not possess the same concepts of the Source Language? What are the procedures that help the translator to fulfill his task of intermediaries between cultures essentially different?

Keywords: Translation Studies. Koran, Heritage Terms, Islamic Terminology, Translation of Sacred & Religious Texts, Language of Speciality.

Introduction

Le travail se concentre sur l'étude traductologique des termes : فريضة، كلالة، وصية, traduction entreprise par les traducteurs du Coran, respectivement, Muhammad Hamidullah, Denise Masson, Cheikh Boureima Abou Daouda et Abdallah Penot, et j'examinerai comment chaque traducteur a traduit ces termes. Je vais discuter aussi du sujet de la terminologie et la traduction, en passant par la terminologie islamique, la définition du concept de l'héritage en Islam et son importance dans la vie des musulmans ; c'est une science appelée Ilm Al mawarith et Ilm Al faraid. L'objectif de mon travail est de démontrer que la traduction religieuse est une spécialité à part entière, dans la traduction qui nécessite des traducteurs formés afin d'aboutir à une traduction fidèle au sens du texte religieux.

1- Généralités

l.l. Définition de la langue de spécialité

Le terme de "langue(s) de spécialité" est relativement récent. Galisson et Coste (1976 : 511) le définit comme tel sans que le terme n'apparaisse en tant que tel : "Expression générique pour désigner les langues utilisées dans des situations de communication (orales ou écrites) qui impliquent la transmission d'une information relevant d'un champ d'expérience particulier."
La définition du concept de « langue de spécialité » pose des grands problèmes sur le plan théorique, et nous sommes loin de trouver un consensus sur sa définition. Certains auteurs parlent de langue spécialisée, de langue de spécialité, de langage technique, de vocabulaire spécialisé, et d'autres, de vocabulaire scientifico-technique. Théoriquement, il va de soi de dire que tout domaine de savoir dispose de sa propre langue : une manière et une forme d'expression. Par exemple, on peut constater que chaque profession emploie un jargon technique :

> souvent des mots de langue courante dans une acceptation singulière,
> généralement opaque a la compréhension du profane (Gemar 1990 : 85).

Il convient de rappeler à cet égard quelques définitions qui reflètent au mieux les aspects d'une langue de spécialité :

> expression générique pour désigner les langues utilisées dans des situations de
> communication (orales ou écrites) qui impliquent la transmission d'une information
> relevant d'un champ d'expérience particulier (Kocourek 1982 : 17)

Hoffman définit la langue de spécialité comme :

> A complete set of linguistic phenomena occuring within a definite sphere of communication and limited by specific subject, intentions and conditions (Kocourek 1982 : 17)

Quant à Lerat :

> La notion de langue spécialisée est [plus] pragmatique : c'est une langue

naturelle considérée en tant que vecteur de connaissances spécialisées. (Lerat 1995 : 20)

Tandis que Dubois et al. la définit comme suit :

On appelle langue de spécialité un sous-système linguistique tel qu'il rassemble

les spécificités linguistiques d'un domaine particulier (Dubois et al. 2001 : 40)

Nous pouvons aussi définir la notion de langue de spécialité en se basant sur trois paramètres proposés par S. Berrada et Y. Elias (Berrada & Elias 1992 : 14) :

a-Langue de spécialité/langue générale :

Nous pouvons la définir ici comme une sous-langue qui possède ses propres particularités lexicales. b-Langue de spécialité/ domaine d'activité : Elle est un outil de communication et un système linguistique relatif à une activité scientifique, juridique..etc. b-Langue de spécialité/ domaine d'extension : on la voit comme un système linguistique utilisé par un groupe restreint de spécialistes dans un domaine défini.

Cependant, faut-il vraiment qu'on parle de sous-langues, ou plutôt de vocabulaire propre à un domaine? Alain Rey (Kocourek 1982 : 18) dit :

Qu'il n'y a pas à proprement parler de langues, mais des 'vocabulaires', 'des usages' et des 'discours' de spécialités.

Ne serait-il pas pertinent de se poser la question : est-ce qu'il s'agit vraiment de langue, ou juste de style de langue ou de registre? La réponse vient de Koccurek (Berrada & Elias 1992 : 15) lorsqu'il a dit :

La langue de spécialité est plus qu'un style, plus qu'un registre et plus qu'un vocabulaire. C'est un ensemble complet de ressource qui possède plusieurs styles plusieurs registres et plus que des caractéristiques lexicales

1.2. Existe-t-il une langue de spécialité?

Apparemment, il n'y a pas un consensus sur la définition du concept de 'langue de spécialité'. Selon l'auteur L'Homme (L'Homme 1990 : 30-31), les spécialistes se sont entendus sur certaines caractéristiques des LSP :

- L'objectif du texte ou du discours spécialisé est de communiquer un fait, émettre une hypothèse, faire état d'une observation, diffuser des connaissances, expliquer un procédé ou une méthode reliés à une discipline qui étudient l'être humain, le monde animal ou végétal. - La communication spécialisée est faite par un spécialiste du domaine en question (à part quelques exceptions : le journaliste écrivant un article de vulgarisation ou le traducteur, mais dans les deux cas, les connaissances sont acquises par l'intermédiaire d'un spécialiste). Tous les chercheurs ne s'entendent pas sur le fait d'inclure les articles de vulgarisation dans les LSP.

- La communication scientifique et technique s'adresse dans la plupart des cas à des spécialistes ou des personnes en voie de le devenir (à part les textes de vulgarisation qui s'adressent au grand public).

- La langue de spécialité semble tenir à la fois de la langue (langue naturelle) et des langues artificielles (langages formalisés). Elle utilise les ressources offertes par la langue et s'apparente, par un certain nombre de traits, aux langages formalisés : par exemple, le recours à certains éléments symboliques (symboles chimiques, formules mathématiques), à certains codes et formulations figées, l'utilisation particulière de signes diacritiques, etc.

- II semble que chaque langue de spécialité possède des caractéristiques la différenciant par rapport à une autre. La terminologie d'un domaine en est une, mais les domaines de la syntaxe, de la morphologie, de la sémantique ou de la stylistique restent encore à démontrer, ce qui justifierait l'expression langues de spécialité au pluriel. En même temps, il semble exister une sorte de tronc commun entre toutes, ou du moins, entre certaines langues de spécialité, tronc

commun qu'il est difficile de mesurer, ce qui justifierait l'expression langue de spécialité au singulier.

- Il semble que la langue de spécialité et la langue de tout autre type ne soient pas des systèmes indépendants. La langue de spécialité ne résulterait que d'une réorganisation de certains phénomènes linguistiques, et ces différences se mesureraient en termes de fréquence.

- Il semble que la langue de spécialité se subdivise en sous-ensembles : langue technique, langue scientifique, langue professionnelle, niveaux de langues de spécialité (communication orale, langue didactique, langue ultra-spécialisée, etc.), etc.

2. Sciences linguistiques et la traduction

2.1. La terminologie et la traduction

2.1.1 Qu'est-ce que la terminologie :

Le Petit Robert (2001:2501), dictionnaire général, donne seulement à la terminologie deux définitions :

a-vocabulaire particulier utilise dans un domaine de la connaissance ou un domaine professionnel : ensemble structuré de termes.

b-étude systématique des « termes » ou mots et syntagmes spéciaux servant à dénommer classes d'objets et concepts.

Tandis que le dictionnaire de référence en ligne, Le Trésor de la Langue Française, nous donne plusieurs définitions de la terminologie :

A. — *Vieilli.* Ensemble de termes, de mots savants généralement abscons, dont il est fait un usage fréquent et abusif. Vaine terminologie. Nos métaphysiciens modernes ont ressuscité la Terminologie de l'École, et nous ont donné une foule de mots plus inintelligibles les uns que les autres, pour les découvertes les plus heureuses. Au lieu de la Terminologie de la Sorbonne, nous avons des idéologues dévots à la poupée de Condillac (MERCIER Néol. 1801, p. 282).

B. — 1. Ensemble des termes relatifs à un système notionnel élaboré par des constructions théoriques, par des classements ou des structurations de matériaux observés, de pratiques sociales ou d'ensembles culturels. Terminologie d'un domaine, d'une théorie; terminologie homogène; terminologie grammaticale, linguistique, mathématique, philosophique, scientifique, technique; terminologie de la médecine, de la musique; terminologie des sciences exactes, des sciences sociales; lexique d'une terminologie. La pensée en est vraie [de la brochure de Scudo] et paraîtrait plus piquante si la terminologie philosophique actuelle ne la vulgarisait pas (BARB. D'AUREV., Memor. 1, 1837, p. 132):

- ... la terminologie dans les arts, et particulièrement dans l'art littéraire, est des plus incertaines: forme, style, rythme, influences, inspiration, composition, etc., sont des termes qui s'entendent sans doute; mais qui ne s'entendent que dans la mesure où les personnes qui les emploient ou les échangent entre elles, s'entendent elles-mêmes. D'ailleurs, des mots aussi « élémentaires » que phrase ou vers ou même consonne demeurent bien mal définis. VALÉRY, Variété V, 1944, p. 292.

2. „Art de repérer, d'analyser et, au besoin, de créer le vocabulaire pour une technique donnée, dans une situation concrète de fonctionnement de façon à répondre aux besoins d'expression de l'usager`` (R. DUBUC des Banque Mots, 1977, no 13, p. 6). Terminologie théorique, pratique, appliquée. Les besoins de description relient la terminologie au discours didactique sur chaque domaine et donc à la science, à la technologie (...); ceux de diffusion aussi, ainsi qu'à la pédagogie, à la traduction; ceux de normalisation aux théories de la connaissance, à la sociolinguistique, et encore à la traduction et à la lexicographie (A. REY, La Terminol., 1979, p. 58).

3. a) Ensemble des termes spécifiques à un auteur, à un penseur, à un courant de pensée. Terminologie kantienne, sulpicienne; terminologie marxiste. Il y a des substances pensantes. Qu'on les nomme du nom que l'on voudra (...) qu'elles se

nomment des pensées (mentes) dans la terminologie augustinienne, ou plutôt des intellects (intellectus) dans la terminologie thomiste, ce sont de toute façon des choses qui pensent (GILSON, Espr. philos. médiév., 1931, p. 190). « Une dictature, oui... il faudra bien commencer par-là », dit Jacques rêveusement. « Une dictature des producteurs, pour mieux dire... On a tant abusé du mot: prolétariat. Même dans les milieux révolutionnaires, on essaye maintenant de se débarrasser de la vieille terminologie humanitaire et libérale de 48... » (MARTIN DU G., Thib., Été 14, 1936, p. 159).

b) Ensemble des termes, des expressions propres à une région, à un groupe social. Terminologie populaire. Costals faisait une si drôle de figure (...) en racontant ces histoires, que Mme Dandillot trouva qu'il était « un amour »: la terminologie boutiquière lui venait assez aisément (MONTHERL., Démon bien, 1937, p. 1269). Marat (...) avait loué dès 42, lorsqu'il commençait à « faire de la résistance », une maison de maître accotée à une ferme, un château selon la terminologie de la région (VAILLAND, Drôle de jeu, 1945, p. 130).

Voir : http://atilf.atilf.fr/dendien/scripts/tlfiv5/advanced.exe?8;s=417818775;

Nous allons mentionner ci-dessous quelques définitions de quelques universitaires pour pouvoir cerner la définition de la terminologie. L'Homme (2004 : 15) la définit comme étant :

La terminologie se penche sur les questions fondamentales que soulève l'étude des termes et propose un cadre conceptuel pour les appréhender.

Pour Rondeau (1983 : 11)

La terminologie étudie les dénominations des notions. […] Par son aspect linguistique, elle touche à la sémantique lexicale. […] Par son aspect philosophique, la terminologie touche à la logique et l'ontologie, comme l'a noté en particulier Wüster.

D'après Robert Dubuc (2002 : 3), la terminologie désigne :

La démarche qui permet de grouper et de structurer un ensemble de termes propres à une technique ou à une discipline.

2.2. Le rapport entre terminologie et traduction

Il est évident que la terminologie joue un rôle important dans la traduction, et en particulier dans la traduction spécialisée. Ainsi, il existe une certaine complémentarité entre les deux disciplines. Cependant, on peut dire que la terminologie s'exerce sur un cadre monolingue et se situe au niveau de la langue, d'une part, et que la traduction sur le plan de la parole (Evers : 2010), d'autre part. Dans ce même cadre, L'homme (2004: 54) précise que le mot *terme* peut avoir différents sens pour différents spécialistes à l'instar du documentaliste, le terminologue, le terminographe, le spécialiste et le traducteur. Mais pour ce dernier, le *terme* voudrait surtout dire « unité de traduction faisant problème ». Le traducteur fait appel, dans son travail de recherches, à plusieurs ressources terminologiques, qu'elles soient monolingues ou multilingues. On peut citer, entre autres, glossaire, lexique, dictionnaire, encyclopédie et thésaurus.
Le rapport de complémentarité entre la terminologie et la traduction n'est plus aussi évident qu'il y a trente ans, car la terminologie a trouvé de nouvelles orientations, qui lui ont permis de se renouveler, grâce à l'exploitation des corpus et aux méthodes de traitement automatique du langage (Humbley : 2011) .Ainsi, le changement d'orientation de la recherche fondamentale dans ces deux disciplines est considéré comme l'élément le plus important de la rupture de fait entre traduction et terminologie. Au début des années 1990, la terminologie s'oriente vers la recherche en intelligence artificielle.

3.La terminologie islamique ou de la Sharia

3.1. Définition

Elle est composée de deux termes : terminologie et islamique. Nous avons déjà défini ci-dessus la terminologie. Islamique, ce qui se rapporte à l'Islam ou à la Sharia. C'est-à-dire tout ce que Dieu a ordonné, préciser pour ses créatures. Par conséquent, lorsqu'on parle de terminologie islamique, on veut dire terme qui possède une signification religieuse particulière qui est soumise à une utilisation spécifique dans un contexte donné. Ghazala (2004 :84) définit la terminologie islamique comme suit :

tout terme ou expression ou notion nouvelle, dans la langue arabe ayant sa source du Coran, de la Sunna ou du Fiqh (ma traduction).

Les premiers chercheurs de l'Islam ont reconnu la notion de la terminologie islamique, et ils ont fait une différence entre : sens islamique ou de la Sharia et nom linguistique pour marquer la différence entre le sens arabe et le sens de la Sharia.

3.2. Les contraintes vis-à-vis la traduction de la terminologie islamique

Nous pouvons résumer ces contraintes dans les points suivants :

a- L'absence de la terminologie islamique dans la langue cible. Par exemple le mot :"زكاة ", ne peut être traduit en français par aumône, car la Zakât en islam ne se limite pas à l'acte de générosité ou de charité. On pourrait donc le traduire par *aumône purificatrice*.

b- La particularité de la terminologique islamique par rapport à sa signification. Les termes Salat et Siyam, ont leur synonyme dans la langue française, mais ils n'ont pas la même spécificité religieuse. c- Il est difficile d'exprimer la terminologie islamique dans une langue étrangère. d- Il existe une certaine contradiction entre la terminologie islamique et l'équivalence proposée. Citant l'exemple du terme islamique **تعدد الزوجات** qui est rendu par polygamie ou bigamie. Mais on sait que cette notion en Islam, avoir au maximum quatre épouses en même temps est permis, mais conditionnelle.

Cependant, cette pratique est interdite, voire criminalisée dans d'autres cultures, notamment au Québec. Cela pose un problème pour le traducteur et il risque d'être traité de traitre au cas où il ne fait pas attention à ces détails. d-Contradiction culturelle : on peut citer ici le terme Zakat qui est expliqué, dans le dictionnaire Webster, comme étant une taxe, mais qui veut dire en Islam aumône purificatrice.

e-Les faux amis : Par exemple en anglais on trouve le terme faqir, faquir, fakeer, fakir qui n'a rien à voir avec le mot arabe **فقير**, mais qui fait référence à des sectes religieuses (Lout : 2012).

3.3. Les procédés de la traduction de la terminologie islamique

Nous allons aborder ci-dessous la manière avec laquelle on peut résoudre le problème de la traduction de la terminologie islamique.

a- La traduction littérale ou l'équivalence formelle.

b- Utilisation de l'équivalent direct+ un terme explicatif : on dit en arabe **صيام رمضان** , on peut rendre cela par jeûner le **mois** de Ramadan. Nous avons ajouté le mot 'mois' pour donner plus d'information.

c- Utilisation de l'équivalent : **صيام** , on le rend par le jeûne.

d-Traduction littérale plus l'explication : lorsqu'on dit en arabe : **الطواف** , nous pouvons le traduire en anglais par : circumambulation **around the Kabah.** Nous avons ajouté ici "around the Kabah, qui ne figure pas au TS pour expliquer qu'il s'agit des tours que fait le musulman autour de la Kabah.

e- L'explication : on a recourt à cette méthode lorsqu'il n'existe pas d'équivalent direct ou indirect au terme islamique. Par exemple la notion du terme arabe **زكاة الفطر** , qui n'existe ni en français ni en anglais. Pour la traduire, nous allons recourir à l'explication. (a compulsory charity to be delivered by every muslim towards the end of Ramadan, the month of fasting).

f- Translittération: Ici on transcrit le terme arabe en lettres latines et on

l'explique en marge. Par exemple le mot arabe الكعبة , Ka'bah: the House of Allah and the direction of prayers. Ghazala (2004 :23).

C'est les mêmes méthodes utilisées lorsqu'on traduit des textes qui ont des concepts culturels spécifiques (realia). A cet égard, nous pouvons citer les méthodes proposées par Harvey (2000:2-6):

Functional Equivalence: It means using a referent in the TL culture whose function is similar to that of the source language (SL) referent. As Harvey (2000:2) writes, authors are divided over the merits of this technique: Weston (1991:23) describes it as "the ideal method of translation," while Sarcevic (1985:131) asserts that it is "misleading and should be avoided."

Formal Equivalence or 'linguistic equivalence': It means a 'word-for-word' translation.

Transcription or 'borrowing' (i.e. reproducing or, where necessary, transliterating the original term): It stands at the far end of SL-oriented strategies. If the term is formally transparent or is explained in the context, it may be used alone. In other cases, particularly where no knowledge of the SL by the reader is presumed, transcription is accompanied by an explanation or a translator's note.

Descriptive or self-explanatory translation: It uses generic terms (not CBTs) to convey the meaning. It is appropriate in a wide variety of contexts where formal equivalence is considered insufficiently clear. In a text aimed at a specialized reader, it can be helpful to add the original SL term to avoid ambiguity.

4.Ilm Al-mawarith et al fara-idh (science de l'héritage) en Islam

4.1. Définition

Pour comprendre la problématique de l'héritage en Islam, il faut retourner au Coran. Plus encore que de principe, car l'héritage est revendiqué par la sharia comme une « loi divine » et que ladite « Loi » est par définition obligatoirement inscrite dans le texte coranique. L'Islam met beaucoup l'accent sur les lois de

l'héritage et sur l'importance de rédiger un testament. Le testament islamique (al-wasiyah) constitue un ensemble de consignes qui s'applique après la mort de la personne l'ayant rédigé. Celui-ci est appliqué après le paiement des frais funéraires et de toute dette impayée. Il est à noter que toute la science de l'héritage est tirée du Coran et du Hadith (paroles du prophète Mohammed).

4.2. Dans la langue arabe : Le mot "al farâ-idh" (الفرائض) est le pluriel "farîdhah (فريضة), lui-même étant tiré du mot "al fardh" (الفرض) qui signifie le fait de fixer quelque chose. Allah a dit {...versez-leur alors la moitié de ce que vous avez fixé} (Sourate Al Baqara, verset 237). Et le terme fardh prend six sens en arabe : approximation, délimitation, ce qu'on donne sans remboursement, descendre, démonstration, et permission.

4.3. En Islam : C'est le fait de donner à chacun des héritiers la part qui est fixée par Allah.

4.4.1. Les règles de l'héritage en Islam :

La Sharia (loi islamique) permet à une personne de léguer jusqu'à un tiers de ses avoirs à qui elle souhaite, à condition que les bénéficiaires du legs ne comptent pas parmi ceux qui recevront les deux autres tiers de l'héritage. Il n'est pas valable de partager un héritage laissé par un défunt avant que ne soient réglés tous les droits qui pèsent sur ce défunt : les dettes qu'il avait, que ce soient des dettes à l'égard des gens ou à l'égard de Allâh comme la zakât qui est obligatoire sur un bien, avant que ne soient exécutés ses legs.

4.4.2. Les quinze personnes qui héritent parmi les hommes :

Quinze personnes héritent sont : le fils, le fils du fils, le père, le père du père, le frère du même père et de même mère, le frère du même père, le frère de même mère, le fils du frère de même père et de même mère, le fils du frère du même père, l'oncle paternel de même père et de même mère ou de même père, le fils de

l'oncle paternel de même père et de même mère, le fils de l'oncle paternel de même père, l'époux et la personne qui a affranchit.

Les héritières sont au nombre de dix :

La fille, la fille du fils, la mère, la mère de la mère, la mère du père, la sœur de même père et de même mère, la sœur de même père, la sœur de même mère, l'épouse et celle qui a affranchit.

4.4.3. Les parts obligatoires selon le Coran

Les parts obligatoires selon le Coran sont six : la moitié, le quart, la moitié du quart (le huitième), le tiers, la moitié du tiers (un sixième) et les deux tiers.

Ceux qui héritent la moitié de l'héritage

La moitié est la part obligatoire pour cinq personnes uniques, c'est-à-dire qu'il n'y a personne avec eux qui hérite : l'époux, la fille, la fille du fils s'il n'y a pas la fille, la sœur de même père et mère, et la sœur de même père.

Ceux qui héritent le quart de l'héritage

Le quart est la part obligatoire de deux catégories des héritiers : l'époux s'il y a avec lui un enfant de l'épouse, et c'est la part de l'épouse ou des épouses, s'il n'y a pas un enfant de l'époux, ni fils de l'enfant, que ce soit d'elle ou autre qu'elle. Tout ceci est selon l'unanimité.

Ceux qui héritent le huitième de l'héritage

Le huitième est la part obligatoire d'une seule catégorie des héritiers : c'est la part obligatoire de l'épouse ou des épouses avec l'existence d'un enfant ou d'un enfant du fils, qu'il soit mâle ou femelle, ceci est selon l'unanimité.

Ceux qui héritent les deux tiers de l'héritage

C'est la part obligatoire de quatre catégories des héritiers : c'est la part obligatoire d'un ensemble de filles, c'est-à-dire deux filles ou plus, et les filles du fils, deux ou plus. Et c'est aussi la part des deux sœurs ou plus, du même père et mère ou du même père.

Ceux qui héritent le tiers de l'héritage

C'est la part obligatoire de deux catégories des héritiers : la mère s'il n'y a pas d'enfant de la personne morte qu'elle soit mâle ou femelle, ni d'enfant du fils du mort, c'est-à-dire fille ou garçon du fils, et qu'il n'y a pas deux frères ou sœurs du mort ou plus, c'est-à-dire deux frères ou deux sœurs ou un frère et une sœur ou plus.

Le sixième est la part obligatoire pour sept catégories qui sont : le père, le grand-père, la mère, la grand-mère, la fille du fils, la sœur du même père et l'enfant de la mère qu'il soit mâle ou femelle.

Le père et la mère ont droit chacun au sixième, s'il y a un enfant (du mort) avec eux et ceci conformément au Coran.

4.4.5. Les cas qui privent de l'héritage :

a - L'assassinat :

Selon Abou Hourayra, le Prophète a dit : « L'assassin n'hérite pas. » (Rapporté par At-Tirmidhi et Ibnou Majah).

b - La divergence de religion :

Selon Oussâma Ibnou Zayd, le Prophète a dit : « Le musulman n'hérite pas du mécréant, et le mécréant n'hérite pas du musulman. » (Rapporté par Al Boukhar, Mouslim, At-Tirmidhi, Abou Dawoud et Ibnou Majah).

c - L'esclave :

Car l'esclave et ce qu'il possède appartiennent à son maître, et si l'esclave devait hériter d'un de ses proche décédé, le bien reviendrait à son maître.

5. Etude traductologique des termes : Faridha, Kalala, et Wassiya

5.1. Terme Faridha

Sourate Al-Nisa (4)

Verset 11 en Arabe	Traduction en Français	Traducteur
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيما ... حَكِيمًا ﴿١١﴾ Translittération ...Farīđatan Mina Allāhi 'Inna Allāha Kāna `Alīmāan Ĥakīmāan	...Cette prescription émane de Dieu, le Très Savant, le Très Sage.	Abdallah Penot
	...Ceci est un ordre obligatoire de la part d'Allah, car Allah est, certes, Omniscient et Sage.	Cheikh Boureima Abdou Daouda
	...Telle est l'obligation imposée par Dieu : Dieu est celui qui sait, il est juste.	Denise Masson
	...Ceci comme un arrêté de la part de Dieu. Dieu demeure savant, sage, vraiment!	Muhammad Hamidullah

Nous notons ici que le traducteur Penot a traduit Faridha par **prescription**, Boureima par ordre **obligatoire**, Masson par **obligation** et Hamidullah par **arrêté**. Ils ont tous trouvé l'équivalent en français du terme arabe et ils l'ont rendu. Ici, le terme arabe Faridha ne pose pas problème.

5.2- Terme Kalala

Sourate Al-Nisa (4) -Les femmes

Verset 176 en Arabe	Traduction en Français	Traducteur
يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ... ﴿١٧٦﴾ Translittération Yastaftūnaka Quli Allāhu Yuftīkum Fī Al-Kalālati 'Ini Amru'uun Halaka Laysa …	Ils te questionnent [au sujet de la succession dévolue aux héritiers collatéraux [dis-leur : Dieu vous instruit au sujet de ceux qui n'ont pas d'héritiers directs…	Abdallah Penot
	Ils te demandent ce qui a été décrété. Dis : « au sujet du défunt qui n'a pas de père ni de mère ni d'enfants, Allah vous donne son décret…	Cheikh Boureima Abdou Daouda
	Ils te demandent une décision concernant les successions. Dis : Dieu vous donne des instructions au sujet de la parenté éloignée…	Denise Masson
	Ils te demandent une réponse. Dis : « au sujet du défunt qui n'a ni ascendant ni descendant qui en hérite…	Muhammad Hamidullah

Par contre ici, le terme arabe Kalala est difficile à traduire en français, car il n'existe pas d'équivalent à cette notion dans la langue cible.

Abdeljaoued (254) a défini le terme Kalala en arabe :

اختلف في تفسير الكلالة فقيل كل موت لم يرثه ولد أو أب أو أخ. وفي القرآن الكريم تعني حال من لا وارث له من ولد أو والد. (عبد الجواد: 254).

(Tout défunt qui n'a pas été hérité par un fils, père ou un frère. Au Coran ça veut dire l'état de ce qui n'a pas d'héritiers que ce soit fils ou père).

Tous les traducteurs ont recouru à la méthode de la traduction par explication pour rendre ce terme. Or, ils auraient pu maintenir le même terme en arabe (c.-à-d. Kalala), le transcrire en lettres latines, puis l'expliquer en marge. Je considère cette méthode la plus appropriée, parce que de cette façon nous allons appliquer la théorie de Lawrence Venuti, à savoir : foreignization, à travers la translittération, qui convient le mieux lorsque nous traduisons les termes religieux et ceux à connotations culturelles.

5.3. Terme Wassyya

Sourate Al-Baqara (2) -La Génisse

Verset 180 en Arabe	Traduction en Français	Traducteur
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ Translittération Kutiba `Alaykum 'Idhā Ĥađara 'Aĥadakumu Al-Mawtu 'In Taraka Khayrāan Al-Waşīyatu Lilwālidayni Wa Al-'Aqrabīna Bil-Ma`rūfi Ĥaqqāan `Alá Al-Muttaqīna.	Il vous a été prescript, quand l'un de vous est à l'article de la mort et qu'il a laissé du bien derrière lui, de faire un testament conformément à l'usage…	Abdallah Penot

	On vous a prescript, quand la mort est proche de l'un de vous et s'il laisse des biens, de faire un testament en règle, en faveur de…	Cheikh Boureima Abdou Daouda
	Voici ce qui vous est prescript: quand la mort se présente à l'un de vous, si celui-ci laisse des biens, il doit faire un testament en faveur de…	Denise Masson
	On vous a prescrit, quand de l'un de vous la mort proche, de laisse une bonne action : un testament en règle, en faveur de…	Muhammad Hamidullah

و صى و أوصى بمعنى أمر. (عبد الجواد: 302).
(Ordonner, recommander).

Il a été traduit par tous les traducteurs par testament en règle, sauf Penot qui l'a traduit par testament. Or, pour marquer la différence entre le droit étranger (par exemple québécois) et la loi islamique, il aurait fallu le traduire par legs testamentaire. Je considère la traduction des autres traducteurs bien placés, car en ajoutant le mot règle sa marque la différence entre testament en Islam et en droit étranger.

Le dictionnaire de droit québécois et canadien définit le testament comme suit :

Acte juridique unilatéral, révocable, établi dans l'une des formes prévues par la loi, par lequel le testateur dispose, par libéralité, de tout ou partie de ses biens, pour n'avoir effet qu'à son décès (Code civil du Québec, art. 704).

En Islam, le legs testamentaire se définit d'une façon complètement différente, quel que soit sur la part à léguer, les conditions que doit observer le testateur ou le légataire. Ibn Arafa définit le legs testamentaire par :

Le testament est, dans son acceptation juridique, un acte par lequel le testateur constitue, sur le tiers disponible de ses biens, un droit qui deviendra définitif à son décès, ou par lequel il constitue un tuteur pour le remplacer après sa mort (Tiar : s.d.).

Il n'est pas permis au testateur de faire un legs quelconque a l'un de ses héritiers. Cette interdiction est basée sur l'interprétation d'un hadith du prophète Mohammed, lorsqu'il a dit : « Pas de legs en faveur d'un héritier ». Ainsi, le legs ne peut porter sur plus du tiers pour le testateur laissant des héritiers.

6. Conclusion

Le Chercheur a tenté, tout au long de ce présent travail, de démontrer que la Terminologie Islamique est un domaine de langue spécifique qui nécessite une attention particulière de la part des traducteurs lorsqu'ils sont appelés à traduire ce genre de texte spécialisé. Ainsi, nous avons donné des exemples précis de la Terminologie Islamique, à savoir les Termes de l'Héritage, car l'Héritage occupe une grande importance dans les sociétés musulmanes, et sa terminologie porte en elle-même la Chariaa et la législation. La compréhension de cette dernière et sa traduction précise préservent les droits des personnes et réalisent la Justice entre les gens. Il va de soi que la Terminologie Islamique est riche de Termes qui nécessitent d'être étudiés et traduites en se basant sur le Coran, la Sunna , tout en respectant la Culture de la Langue Arabe, à l'instar des Termes de l'économie Islamique : Zakat, Murabaha, Gharar, Ijara, Riba etc. ainsi que les Termes de l'état civil (Nikah, Serment d'anathème, khool…etc.). Nous appelons nos collègues Chercheurs/es d'approfondir notre travail et d'examiner d'autres Termes que nous n'avons pas pu étudiés.

Références

Abdallah, Penot (s.d.). Le Coran. Alif Editions. Disponible à: http://www.lenoblecoran.fr/abdallah-penot/ [consulté le 30 juin 2017].

Ahmed Affi, Hassan Affi (2014). Contemporary Interpretation of Islamic Law. Matador

Aisha , Stacey (2015), Héritage et testament en Islam. Disponible à : http://www.islamreligion.com/fr/articles/5217/viewall/heritages-et-testaments-en-islam-partie-1-de-2/ [consulté le 25 juin 2017].

Amira D., Kashgary. The paradox of translating the untranslatable: Equivalence vs. non-equivalence in translating from Arabic into English. Journal of King Saud University - Languages and Translation

Amr. A. Shalakany, Islamic Legal Histories, 1 Berkeley J. Middle E. & Islamic L. 1 (2008). Disponible à: http://scholarship.law.berkeley.edu/jmeil/vol1/iss1/1 [consulté le 30 juin 2017].

Ann , Black, Hossein , Esmaeili and Nadirsyah, Hosen (2013). Modern Perspectives on Islamic Law. Edward Elgar Publishing Limited.

Ayad , Abderrahmane (2015). La terminologie islamique dans la langue française. Étude lexicosémantique. Aleph. Médias, langues & sociétés, volume 2, Numéro 4, Pages 143-150. Disponible à : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/15234 [consulté le 8 juillet 2017].

Aziz, Al-Azmeh (2013). Islamic Law (RLE Politics of Islam): Social and Historical Contexts. Routledge.

Belkacem, Djebari (2017). Réflexion sur le partage de l'héritage selon le Coran: Essai. PUBLISHROOM

Berrada, S. et Elias, Y. (1992). Traduire le discours économique. Tanger, Publication de l'École Supérieure de Traduction, p. 14.

Boureima Abdou Daouda (1999). Le sens des versets du Saint Quor'an. Édition Daroussalam. Disponible à : http://www.lenoblecoran.fr/boureima-abdou-daouda/ [consulté le 30 juin 2017].

Denise, Masson (1996). Le Coran. Édition de D. Masson. Disponible à : http://www.lenoblecoran.fr/denise-masson/ [consulté le 30 juin 2017].

Dr Al 'Ajmi (2011), L'heritage dans le Coran : Loi divine, droits des hommes ou droits des femmes? ½ La wassyya ou legs testamentaire. Disponible à : https://oumma.com/lheritage-dans-le-coran-loi-divine-droit-des-hommes-ou-droits-des-femmes-12-la-wasyya-ou-legs-testamentaire/ [consulté le 25 juin 2017].

Dubois, Jean et al (2001). Dictionnaire de linguistique, Paris : Larousse. El-Khatib, Abdallah. (2010) "A Critical Study for the Proper Methodology of Translating Islamic Terms in the Holy Qur'an into English with Special Reference to Some Qur'anic Terms." 33.2 دراسات: علوم الشريعة و القانون

Fedorova, Irina (2012). La dimension culturelle de la traduction dans la perspective socio-écologique. Congrès Mondial de Linguistique Française. Disponible à : https://www.shs-conferences.org/articles/shsconf/pdf/2012/01/shsconf_cmlf12_000179.pdf [consulté le 25 juin 2017].

Gemar, J-C. Traduction et langue juridique : apports méthodologiques de la jurilinguistique. Taller de Letras, Vol. 18, 1990, p.85.

Harvey, M. (2003). A beginner's course in legal translation: the case of culture-bound terms.

HUMBLEY, John (2011). *Terminologie et traduction une complémentarité* oubliée ? Tralogy I. Paris. Disponible à : http://lodel.irevues.inist.fr/tralogy/index.php?id=63 [consulté le 17 juillet 2017].

L'Héritage en Islam : Lois, Partage des Biens (s.d.). Disponible à : http://www.islam.ms/heritage-en-islam/ [consulté le 25 juin 2017

L'Homme, Marie-Claude. Y A-T-IL UNE LANGUE DE SPÉCIALITÉ ? POINTS DE VUE PRATIQUE ET THÉORIQUE. Langues et linguistique, numéro spécial Journées de linguistique, 2011, p. 26-33

Luc William Dongmo Kenfack (2016), Analyse sociohistorique de la traduction des textes religieux et didactiques en langue yemba : le cas de l'arrondissement de Dschang . Éditions Connaissances et Savoirs.

Mahmoud , Ismail Saleh (1999). A dictionary of Islamic words and expressions. Sans maison d'Edition.

Mashood A., Baderin (2014). *Islamic Legal Theory, Volume I.* Routledge.

Mohammed, Tiar (s.d.). Recueil des textes juridiques et actes notaires, arabe-français. Imp. E.P.A., Alger

Morena, Braçaj (2015). Procedures of Translating Culture-Specific Concepts. Mediterranean Journal of Social Sciences. Vol 6 No 1 S1.

Muhammad Al-Jibali (s.d.). Islamic Will & Testament. Al-Kitaab & As-Sunnah Publishing.

Muhammad, Hamidullah (1977). Le Coran. Le club Français du Livre. Disponible à : http://www.lenoblecoran.fr/mohammed-hamidullah/ [consulté le 30 juin 2017].

Nourredine BESSADI (2010). Le traducteur juridique algérien face à la difficulté de traduire certains termes juridiques arabes. Alternative Francophone vol.1, 3, p. 40-48. Disponible à : https://journals.library.ualberta.ca/af/index.php/af/article/view/9532/pdf [consulté le 8 juillet 2017].

Olfa, Youssef (2017). The perplexity of A Muslim Women: Over Inheritance, Marriage, And Homosexuality. Lexington Books. Translated by Lamia Benyoussef

Paradelle, Muriel. De la difficulté du bon usage des mots et de leur incidence sur la compréhension et l'application d'une norme juridique autre : La Shari'a, plus et au-delà du droit. Revue de Droit: Université de Sherbrooke; 2013, Vol. 43 Issue 1/2, p443-478, 36p.

Pierre, Lerat (1995). Les langues spécialisées, Paris : PUF.

Rumsey, Almaric (1880). Moohummudan law of inheritance and rights and relations affecting it: Sunni doctrine: comprising together with much collateral information, the substance, greatly expanded, of the author's Chart of family inheritance. London: W.H. Allen. 3rd ed.

Zeina, Nabhani(2010). Les problèmes culturels de la traduction. Mémoire de maitrise, Université Allameh Tabatabaei. Disponible à : http://idochp2.irandoc.ac.ir/FulltextManager/fulltext15/th/135/135703.pdf [consulté le 10 juillet 2017].

Références en arabe

د. محمد خير بن محمود البقاعي ، ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية رينيه خوام، وأندريه شوراكي، وجاك بيرك نموذجا

(Dr.Mohammed Kheir Ben Mahmoud Al Bikayi, La traduction du sens du Coran vers le français, René Khawam, André Chouaqri et Jacques Berque)

https://islamhouse.com/ar/books/460139/

د.عبد الله بن عبدالرحمن الخطيب، مناهج ترجمة المصطلحات الدينية والشرعية في القرآن الكريم.

(Dr. Abdallah Ben Abderahmane, Les procédés de la traduction de la terminologie religieuse et légale dans le Coran)

https://islamhouse.com/ar/books/460135

لامياء شريبي، ترجمة القرآن الكريم بين تحديات المصطلح و مطالب الدلالة، مذكرة نيل شهادة الماجستير في الترجمة، 2012-2013 ، جامعة منتوري قسنطينة.

(Lamia Cheribi, La traduction du Coran, défis terminologiques et sémantiques, mémoire de maîtrise, université de Constantine)

http://bu.umc.edu.dz/md/index.php?lvl=author_see&id=37526

د. عبد الله عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم و تطور فهمه عند الغرب، دعوة الحق، جمادى الآخرة 1417 هـ، العدد 174 ، السنة الخامسة عشرة.

(Dr.Abdallah Abess Al Nadaoui, Les traductions du sens du Coran et le développement de sa compréhension par l'occident)

https://islamhouse.com/ar/books/388666

الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم (2002). معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، دار الأفاق العربية.

(Dr.Rajeb Abdeljaoued Ibrahim, Dictionnaire de la terminologie islamique dans le Misbah Al Mounir)

http://files.books.elebda3.net/elebda3.net-wq-5566.pdf

مجلة المترجم، "مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن"، جامعة وهران –السانية الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، العدد 13 ،يناير – جوان 2006 ،ص 115-140

(Revue du Traducteur, "laboratoire de la didactique de la traduction et multilinguisme", Université d'Oran)

حسن غزالة، مقالات في الترجمة و الأسلوبية، ط 1 ، دار العلم للملايين، 2004، ص 84.

(Hassen Ghazala, articles sur la traduction et la stylistique)

دباش، عبد الحميد، ترجمة المصطلح التشريعي في الفقه الإسلامي، من العربية إلى الفرنسية، مجلة المترجم،"مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن"، جامعة وهران –السانية الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، العدد 13 ،يناير – جوان 2006 ،ص 115-140

(Debbach Abdelhamid, la traduction de la terminologie législative dans le Fiqh islamique, de l'arabe vers le français, Revue du Traducteur, "laboratoire de la didactique de la traduction et multilinguisme", Université d'Oran)

أ.د./ محمود إسماعيل صالح، الألفاظ الإسلامية وأساليب معالجتها في النصوص المترجمة إلى اللغات الأجنبية

(Dr.Mahmoud Ismail Salah, les termes islamiques et les méthodes de leurs traitements dans les textes traduits vers les langues étrangères)

http://dr-mahmoud-ismail-saleh.blogspot.ca/2013/11/blog-post_10.html

Simultaneous Interpreter as a Speaker

المترجم الفوري بوصفه متحدثا

By: Ibrahim Talaat Ibrahim

Email: ibrahim.talaat.albayati@gmail.com

AL-Iraqia University/College of Arts Republic of Iraq

Researcher's Curriculum Vitae

Ibrahim Talaat Ibrahim is a faculty member at Al-Iraqia University/ College of Arts/ Department of Translation. He is an M.A holder in Translation and Interpretation Studies. He has been promoted into Instructor degree in 2018. He has published more than 10 papers in the field of translation, applied linguistics, literature and methods of teachings. Moreover, he has four published books including an English novel and its Arabic translation not to mention to books with reference to translation and applied linguistics. He currently studies in the Ph.D. program at AL-Mustansiriyah University/ College of Arts/Department of Translation

Abstract

Simultaneous interpreting is defined as the most difficult type of interpreting because the interpreter is required producing the same message in different language at the same time. This is why, it is a challenging task shouldered on the interpreter concerned. The current paper aims to know how far the Department of Translation Fourth Year Students / AL-Iraqia University/ are likely to make use of direct speech strategy through interpreting random speeches from English into Arabic and vice versa.

Keywords: Simultaneous Interpreting, Strategy, Use, Speech

المستخلص:

تعد الترجمة الفورية واحدة من اصعب انواع الترجمات لان المترجم الفوري المعني مكلف بترجمة نفس الخطاب الى لغة اخرى في نفس الوقت. ولهذا السبب، ان عملية الترجمة الفورية فيها الكثير من التحديات الملقاة على عاتق المترجم المعني. ويهدف البحث الحالي الى معرفة امكانية طلبة قسم الترجمة المرحلة الرابعة-الجامعة العراقية المتوقعة في ترجمة الخطابات العشوائية باستخدام استراتيجية الكلام المباشرمن الانكليزية الى العربية والعكس صحيح.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الفورية واستراتيجية واستخدام وخطاب

1. Introduction

Simultaneous Interpreters face big challenges during the process of interpreting from English into Arabic and vice versa for a number of reasons, they are as follows:

1-Three tasks are shouldered on simultaneous interpreters: Receiving, analyzing and producing the same message in different languages at the same time.

2-Differences on the level of word-order:

-Arabic Language Word-order: Verb+Subject+Object

-English Language: word order: Subject+Verb+Object

3-Cultural Differences

All these problems will be discussed in the paper.

The ultimate goal of the study is to find out means of improving department of translation students in interpreting speakers' speeches from Source Language (SL) into Target Language (TL) to know how far they are are confident, clear, not repetitive, embodying speaker's character and grammatically correct in interpreting. Besides, the current paper is important for translation students, researchers in the field of translation, interpreting and any amateurs who want to be better interpreters. Besides, it shows strategies and the flaws that the interpreters make during interpreting. Moreover, the current study raises the following questions: How far Department of Translation students are confident, clear, not repetitive, embodying speaker's character and grammatically correct in interpreting speaker's character during the process of interpreting. In other words, are they likely to use direct speech strategy once they listen to the speech of the speaker from English into Arabic and vice versa?

2. The History of the Interpreting Profession

Since the early beginning of interpreting studies (Rolfe 1911; Gehman 1914), Interpreters have attracted the attention of researchers whose names are as follows: Thieme, Hermann and Glässer (1956) highlighted this period and

beyond. Kurz (1985a, 1985b, 1986) focused on the Ancient Era of Egypt due to the fact that an interpreter first image is dated at Horemheb's tomb (1330 BC), and Ancient Rome. Wiotte-Franz (2001) showed a comprehensive monograph with regard to interpreters in antiquity (6th century BC to 6th century AD) in which she referred to the participation of interpreters in the geopolitical relations in this era, on interpreters' activities in the areas mentioned as follows: (courts, multilingual armies, administration، trade, diplomacy, religion), and on interpreters' images (their names where available, social origins, training, and professional practice) Throughout the course history, references with reference to interpreting – an essentially oral profession – are given in writing.

Herodotus is defined as (484–425 BC) a symbolic father of (Western) history. Herodotus' journey to Egypt in the 5th century BC represents a tourist trip to a "strange" place in our days, where guides and interpreters are badly required to facilitate the whole journey.

The lines presented below, are taken from Herodotus' account at one of the pyramids, to shed lights on how historical sources are built.

"On the pyramid it is declared in Egyptian writing how much was spent on radishes and onions and leeks for the workmen, and if I rightly remember that which the interpreter said in reading to me this inscription, a sum of one thousand six hundred talents of silver was spent(… Histories, II, 125, Macaulay and Lateiner's translation; Herodotus 2004)"

(Mikkelson, Renée, 2015: 11)

The abovementioned quotation is an English translation of what Herodotus wrote in the Greek language from an original inscription in Egyptian – hieroglyphic or not we do not know – based on his recollection of the – oral – sight translation by the help of an anonymous interpreter while paying a visit to the pyramid. It sounds that interpreting aloud was a routine activity 2,500 years ago, as it is nowadays.

Elsewhere in his Histories, Herodotus cites that the Egyptian society was divided into seven classes and interpreters were among them, Since Pharaoh Psammetichus era organized the process of training Egyptian children as interpreters by placing them with Ionians and Carians to learn the Greek language. According to historians' viewpoints, Herodotus' words, in the translation presented above, is the historical piece of evidence available to all of us, however, they are subject to various interpretations. The text we are concerned with is the result of many transfers: from written to oral and vice versa, embracing two languages, and then another translation from the Greek language into English. So the authorship is based on a collective process: a penman who wrote the inscription, probably assigned by someone else; an interpreter who transferred it aloud; Herodotus, who noted it down in Greek from memory; and the English translators. Manipulation might have effects at various levels, but what is important here is the role of Egyptian interpreter. We expect that the interpreter was honest on ethical level. In other words, he was not fabricating the contents of the inscription, which he would decode as a result of the fact that he was literate in Egyptian script، according to Herodotus words, or because he knew it by heart as a result of the training he received. "We might wonder whether his recital was the same routine explanation we hear from present-day guides the world over". As for the second point, we expect he was rendering it correctly: the vegetables – would there be similar species in Egypt and Greece or would his oral rendering be an adaptation, domestication for Herodotus' ears? – And the amount of money, a process involving an immediate currency exchange, presuming it was not Herodotus who made the process of conversion. Schrader's Spanish translation (Herodotus 1992 [1977]) reads ajos ("garlic") instead of "leeks" – an amendment to local tastes? Discrepancies between translators are attributable to the original manuscript employed or to the challenge of finding the suitable equivalent words for plants, animals, etc., from

other periods and places. What can be inferred is that the interpreter-informant acted in accordance with his decision making process as a gatekeeper, by selecting the message he transferred – would he read the inscription verbatim, with all the caveats attached to the concept of verbatim, or only parts thereof (Ibid: P.12).

3. Types of Oral Translation:

There are different types of oral translation, the mostly used ones are explained below:

3.1. At Sight Translation

At Sight translation (ST) is defined as an oral process that aims at rendering a written text. When carting out the task in question, the at sight translator follows the procedures explained as follows: First, he reads a written text. Second, he processes the meaning as quickly as possible. Third, he orally transfers the meaning of the text while it is still being read. It is worth noting that At Sight translation embraces visual input of a written text and oral output of its meaning. In other words, it is a hybrid form of language mediation that represents both the translation and the interpretation processes partially (Agrifoglio, 2004: P.43).

3.2. Consecutive Interpreting

Consecutive interpreting (CI) is described as the process of interpreting the speech made by the speaker after he mentioned one or more ideas in the source language and after that pauses while the interpreter gives that pieces of information it is said that when making use of CI in the court setting, the duration of the source language can be a few seconds to several minutes. "Long consec" is defined as "an expression employed to describe consecutively interpreting a lengthy passage (over several minutes) or possibly an entire speech at a time، usually with the aid of note taking," while "short consec" is described as an "expression refers to consecutively interpreting a short passage, possibly a

word to a few sentences, with or without the aid of notes." (Berk, Seligson, 1990: P.37).

3.3. Simultaneous Interpreting

Simultaneous interpreting first saw the light of day in the early 1920s when Edward Filene and A. Gordon-Finlay, employing proto-type telephone technology, developed equipment concerning the telephonic interpreting equipment. It was not until the fall of 1945, however, that simultaneous interpreting made its televised international debut during the Nuremberg Trials. So, Simultaneous Interpreting (SI) is defined as a process of interpreting speaker's speech into the Target language (TL) while the speaker is making the speech in the Source Language (SL).

SI is considered to be the most difficult type of interpreting because the interpreter receives the pieces of information, analyses them and produces a speech in another language at the same time (Mikkelson, Renée, 2015: P.79).

4. Memory

Simultaneous interpreting (SI) is a sophisticated task due to the fact that it is associated with several different cognitive tasks to be carried out more or less concurrently (Lambert, 2004). So, SI needs significant tasks with reference to language comprehension, they are mentioned as follows: word recognition and semantic and syntactic decoding, to be done at once as language production-related tasks such as lexical selection and semantic and syntactic encoding. If we imagine of the human processor, the brain, as a capacity-limited system (see, for example, Baddeley, 1999), the effect on the interpreter's working memory become crystal clear. As long as the amount of sensory information that can be processed and stored is limited, tasks that could be effortless when performed individually start competing for the same processing resources when performed concurrently, slowing them down and making them less robust. The interpreters' capability of carrying out the simultaneous interpreting task was explained by

what was assumed intuitively to be their good (working) memory (Herbert, 1952; Seleskovitch, 1968). However, several experiments have been carried out to draw a comparison between the memory capacity of interpreters to that of non-interpreters, with largely inconclusive and partially contradictory results. It is imaginable and the complex task of simultaneous interpreting is possible not because of an increased memory capacity, but rather because some of the information processing in the brain has been automated. This automation would render these processes subconscious and less constrained by the brain's capacity limits (Styles, 1997). This means, practice, which has been shown to make almost perfect time sharing of simultaneous tasks possible (Schumacher et al., 2001; Lambert, 2004), might lead to the automation of certain processes rather than to an increase in memory capacity.

5. Challenges of Interpreting

The researcher summarized the main challenges that any simultaneous interpreter might come across depending on his experience in teaching Simultaneous Interpreting Subject for fourth grade students. They are explained in the following points:

5.1. Three in one Task

The tasks are as follows:

1- Receiving the pieces of information from speaker with the employment of input channels: (ears and sometimes eyes).

2- Processing the pieces of information that the interpreter receives from the speaker appropriately by selecting the appropriate equivalent and managing the word-order in the target language.

3- Producing an acceptable interpreting by following the points mentioned above and paying attention to speaker's intonation and style.

5.2. Word Order

The English word order is different from the Arabic one. Therefore, the interpreter in question should pay attention to this challenge because the English sentence always starts with a noun while the Arabic one starts with a verb. It is worth mentioning that the English word order is (**S**ubject+**V**erb+**O**bject) and Arabic is (**V**erb+**S**ubject+**O**bject).

5.3. Cultural Differences

The cultural differences constitute big challenges for simultaneous interpreters, they are of different types: such as social, religious, environmental topics as well.

6. Strategies of Interpreting

The researcher prepared the following strategies so as to be the alphabet of simultaneous interpreting, they are presented below:

1- Paying attention to the speaker's voice: the interpreter has to interpret into the target language with the employment of the same level of speaker's voice so as not to cause any difference.

2- The interpreter has to embody the speaker's character once he starts interpreting. In other words, he must never resort to the third person pronoun. For example when the speaker says I can make a difference in your life: the interpreter should not say: ((هويستطيع ان يحدث التغيير في حياتك inappropriate product (استطيع احداث التغيير في حياتك) appropriate product.

3- The interpreter has to resort to abbreviations so as to take advantage of time and keep pace with the speaker.

4- He has to be straight forward when it comes to the speaker's employment of more than one language including interpreter's mother tongue during his speech. It means that the interpreter should not use two languages. Instead he has to retain to the language of interpretation in order not to let the audience get bewildered.

5- The interpreter has to make use of semantic translation method: rendering meanings of words from one language into another instead of communicative method: transferring the meaning and sense of word from source language into target language if the speaker mentions an idiom or a joke that needs in-depth understanding so as to be on the safe side.

6- If the interpreter fails interpreting certain expression in the speech of the speaker, it is better for him skipping it than interpreting something he is not sure of it.

7- The interpreter should focus on interpretation and not to be influenced by his personal feeling and emotion. In other words, he has to be impartial with his interpretation and even the speech that is against his ideologies.

8- The Interpreter must get benefit from the pauses of the speaker in his speech to buy time.

9- The Interpreter has to render the meaning of one synonymous expression instead of two to for reasons of economy and time.

8. The Embodiment of Speaker's Character on the levels of Speech, intonation and style.

The researcher chose forty fourth grade students/ Department of Translation/ College of Arts/ AL-Iraqia University and he selected two videos in English to be the case study of the current research:

4.1. Anglina Jolie- UNHCR Special Envoy (02:05 Minutes)

https://www.youtube.com/watch?v=ZjPBDVgHEUI Retrieved on Thursday 17-1-2019

6.2. كلمة وزير التعليم العالي بمناسبة العام الدراسي الجديد للجامعات 2018\ 2019 (02: 37 Minutes)

https://www.youtube.com/watch?v=PWRF0hq5fCA Retrieved on Thursday 17-1-2019

The orientation of the simultaneous interpreting is to be from English into Arabic and Vice Versa.

9. Methods of Simultaneous Interpreting

The researcher created two methods of interpreting speakers' speeches from Source Language (SL) into Target Language (TL) so as to know how far fourth

year students are confident, clear, not repetitive, embodying speaker's character and grammatical in interpreting speakers' characters from (SL) into (TL), they are as follows:

9.1. Direct Interpreting Method (DIM):

It is about employing the entire strategies mentioned (see 3. above) with the employment of Speakers' (pronoun I).

9.2. Indirect Interpreting Method (IIM)

It is concerned with resorting to some strategies highlighted (see 3. above) with the use of the third person singular pronouns (He, She) instead of (I).

10. Model of Analysis

The researcher created an eclectic model for the analysis of the Students' interpreting. It is highlighted below

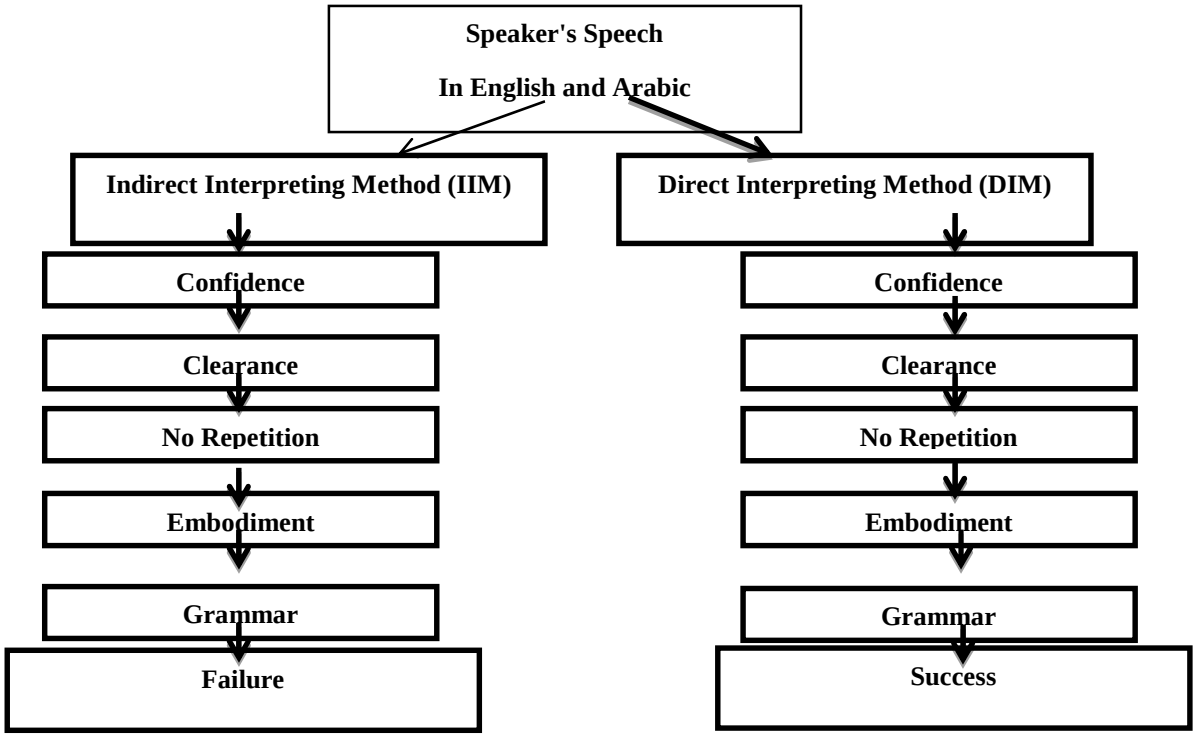

Diagram (6) Eclectic Model of Analysis

11. Simultaneous Interpreting Results

The researcher examined forty students in Department of Translation/ College of Arts/ AL-Iraqia University to know how far fourth year students are able to interpret the two speeches from English into Arabic and vice versa successfully. It is worth noting that all fourth year students were given the strategies of simultaneous of interpreting in many lectures then, they were examined by the researcher to see their results (see 3. above). Besides, the results of research are divided into two main parts: (English into Arabic) while the second one is dedicated to (Arabic into English). Moreover, each main part is further sub-divided into five sub-parts that are concerned with the followings:

Confidence: Are students confident enough in interpreting speeches into the target language?

Clearance: Are they clear in their voices clear in interpreting from SL into TL and vice versa?

No Repetition: Are fourth year students repetitive or not in using equivalent terms during interpretation?

Embodiment: Are they embodying speakers' characters during interpretation?

Grammar: Are they grammatical in interpreting the speeches from English into Arabic and vice versa simultaneously?

Furthermore, the researcher made use of an eclectic model of analysis (see 6. above) that is of two main methods direct and indirect interpreting methods (see 5. above) so as to complete examining fourth year students.

The results of simultaneous interpreting are highlighted in the table below

Student No.	English into Arabic					Arabic into English				
	Grammar	Embodiment	No Repetition	Clearance	Confidence	Grammar	Embodiment	No Repetition	Clearance	Confidence
1	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
2	F	S	S	S	S	F	S	F	F	F
3	S	S	S	F	S	F	S	F	S	S
4	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
5	S	S	S	S	S	S	F	S	F	S
6	S	S	S	S	S	F	S	F	F	F
7	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
8	S	S	S	F	S	S	S	S	S	S
9	S	S	F	S	S	S	S	S	F	S
10	F	S	F	F	S	F	F	S	S	S
11	S	F	S	S	S	F	S	F	F	S
12	S	S	F	S	F	F	S	S	S	S
13	S	S	S	S	S	F	F	F	F	S
14	F	F	S	S	S	F	S	S	F	S

15	F	S	S	S	S	F	S	S	F	F
16	S	S	S	S	S	F	S	S	S	S
17	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
18	F	S	S	S	S	F	F	F	F	F
19	F	S	S	S	S	S	S	F	F	F
20	S	S	S	S	S	F	F	F	F	F
21	S	S	S	S	S	F	S	S	S	S
22	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
23	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
24	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
25	S	S	F	S	S	S	S	S	S	S
26	F	S	S	F	S	F	F	F	S	F
27	S	S	S	S	S	F	F	F	S	F
28	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
29	S	S	S	S	S	S	S	F	S	S
30	S	S	S	S	S	F	F	F	F	F
31	S	S	S	F	S	F	S	S	S	S
32	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
33	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S

34	S	S	S	F	S	S	S	S	S	S
35	S	S	S	F	S	S	S	S	S	S
36	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
37	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
38	S	F	F	S	S	F	S	S	F	S
39	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S
40	S	S	S	S	S	S	S	S	S	S

Total Rates of Success	17.5	82.5	7.5	92.5	12.5	87.5	17.5	82.5	2.5	97.5	42.5	57.5	20	80	30	70	32.5	67.5	22.5	77.5
(S) and Failure (F)	F	S	F	S	F	S	F	S	F	S	F	S	F	S	F	S	F	S	F	S

Table (7) Simultaneous Interpreting Results

Conclusion

The researcher has found out the following conclusion, they are presented below:

Most of fourth year students/ Department of Translation/ College of Arts/ AL-Iraqia University employed direct interpreting method in interpreting the two speeches.

Fourth year students interpreted Angelina Jolie's speech (English into Arabic Orientation) better than interpreting Iraqi Minister of Higher Education one (Arabic into English Orientation) to prove the abovementioned results, the rates are mentioned as follows:

As for English into Arabic orientation, students followed grammatical rules in interpreting the speech in question at a rate of 82.5%. Besides, they embodied speaker's character by 92.5 %. Moreover, they were successful in avoiding repetitive expressions in the target language at a rate of 87.5 %. Furthermore, their voices were crystal clear in interpretation by 82.5 %. And they were confident at a rate of 97.5 %.

Speaking of Arabic into English orientation, fourth year students were successful in making use of correct rules of grammar in interpreting into target language by 57.5 %. It is worth noting that they embodied speaker's character at a rate of 80 %. Besides, they avoided repetition by 70 %. Furthermore, they were clear in their interpreting at a rate of 67.5 %. Moreover, students were confident in interpreting the speech in question by 77.5 %.

References

Agrifoglio, M. 2004. ***Sight translation and interpreting: A comparative analysis of constraints and failures***. Interpreting, 6 (1), pp. 43–67

Baddeley A (1999) ***Essentials of human memory***. Hove, UK: Psychology Press.

Berk, Seligson, S.1990. ***The bilingual courtroom: Court interpreters in the judicial process***. Chicago: University Chicago Press.

Lambert S (2004) ***Shared attention during sight translation, sight interpretation and simultaneous interpretation.*** Meta 49(2), 294–306.

Mikkelson, Holly and Renée Jourdenais (2015). ***The Routledge Handbook of Interpreting.*** London: Routledge.

Seleskovitch D (1968) ***Interpreting for international conferences: Problems of language and communication.*** Washington: Pen and Booth.

Styles E A (1997) ***The psychology of attention***. Hove, UK: Psychology Press.

Websites

https://www.youtube.com/watch?v=ZjPBDVgHEUI Retrieved on Thursday 17-1-2019

https://www.youtube.com/watch?v=PWRF0hq5fCA Retrieved on Thursday 17-1-2019

إصدارات

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

برلين – ألمانيا

ISSN : 2625-8943

رقم التسجيل

VR.3373.6326.B

لمزيد من المعلومات حول المجلة
يرجى زيارة موقعها على النت
http://democaticac.de